

ج ٣٠٤ م ١٢ رمضان وشوال سنة ١٣٩٧هـ / ايلول تشرين ١ (سبتمبر - أكتوبر) ١٩٧٧

رحلة بلاد العُلا

أعد المشرفون على (الندوة العالمية لدراسة تاريخ الجزيرة) لضيوفهم رحلة إلى مدينة العُلا ، ركبوا الطائرة من الرياض صباح يوم الأربعاء التاسع من جمادى الأولى سنة ١٣٩٧ هـ (٢٧ ابريل ١٩٧٧ م) إلى مطار المدينة ومنه استقلوا الحافلات إلى العلا فقطعوا مسافة تقارب ٣٥٠ كيلاً وكان النزول في إحدى المدارس وكان كل شيء من أمور الإقامة مرتباً ومنظماً .

وكنت من بين أولئك الذين ذهبوا إلى العُلا ، ولكنني لم أكلّف نفسي عناء الذهاب إلى الحِجر حيث تقع الآثار التي كان من أهم دواعي الرحلة مشاهدتها ، وقد سبق لي أن زُرت العلا ثلاث مرات وشاهدت تلك الآثار وقرأت كثيراً مما كتب عنها فاكفيت من هذه الرحلة بأن دونت معلومات عن العلا وسكانها وعن بعض الأماكن القريبة منها . وقد استقيت كثيراً من تلك المعلومات من حضرة وكيل الأمير الشيخ عبد الله بن نويصر ، وأصله من بلدة الحَرِيق ، ولكنه نشأ في هذه البلاد وأقام كل سني عمره حتى صار يُعَدُّ من أهلها ، ومكنه عمله في الإمارة بأن عرف كثيراً من أحوالها كما استفدت معلومات أخرى من بعض موظفي الإمارة وبعض رجال التعليم في هذه المنطقة .

مدينة العلا : تعتبر قاعدة لعدد من القرى ومناهل البادية الواقعة بقربها ، وقد ازدهرت البلدة في هذه الأيام ونمت نمواً سريعاً ودخلتها وسائل الحضارة

الحديثة ، وامتد عمرائها بامتداد الوادي الذي تقع فيه ، من العُدَيْب شمالاً حتى قرية مُغَيَّرَاءَ في الجنوب نحو ٢٠ كيلاً .

وادي القُرَى : والعلا قديماً من أشهر قُرَى الوادي المعروف باسم (وادي القرى) وهذا الوادي يمتد من الشمال نحو الجنوب بما يقارب مائة كيل وله فروع كثيرة . فمن فروعه الغربية التي تنحدر من حرة عَوَيْرِض :

- | | |
|---------------------|-----------------------------------|
| ١ - غَارِبُ | ٢ - السُرَيْطُ (ويسمى طيب اسم) |
| ٣ - حَوْضَا | ٤ - ثَرْبَة |
| ٥ - شَلَال | ٦ - عَشَار |
| ٧ - أُمُّ طُلَيْحَة | ٨ - دَن - وتُدعى عكمة ، وعكمة جيل |
| ٩ - مَرَاخ | ١٠ - ساق |
| ١١ - الخالص | ١٢ - صدر (صدر) |
| ١٣ - الضبيعة | ١٤ - أُمُّ هَشِيم |

ومن فروعه الشرقية التي تنفض في وادي الحجر - أعلى وادي العلا -

- | | |
|----------------------------|--|
| ١ - الأقرع ويقابل فرع غارب | ٢ - مُزَيْلِقَة |
| ٣ - القُلَيْبَة | ٤ - ضَوَيْن |
| ٥ - أُمُّ جِرْفَان | ٦ - الرُّمَاحِيَة |
| ٧ - حُمَيْطُ | ٨ - مَهَجُ ظَفِير بضم الظاء - مصغراً - |

- | | |
|------------------------------|---|
| ٩ - مَهَجُ ظَفِير بفتح الظاء | ١٠ - أُمُّ عَوِينر وتصب في المعتدل ^(١) |
|------------------------------|---|

هي وما بعدها .

- | | |
|-------------------|------------------------|
| ١١ - أُمُّ عاذر | ١٢ - خَرَمُ الشَّيْثَة |
| ١٣ - أُمُّ لحم | ١٤ - تلعة الحماد |
| ١٥ - تلعة المذبحة | ١٦ - المَحَاش |

(١) المعتدل هو أعلى وادي العلا دون الحجر ودون العذيب .

١٧ - رَمٌ من جبال المَجْدَر والعُقَيْف ١٨ - مُرَيْخَة

١٩ - مَلَح يصب في طرف وادي العلا الغربي قرب مَغْبَرَا

وقال لي أحد المدرسين : إن من فروع وادي العلا : العُدَيْب وقُرَاقِر ودَتْن ومُرَاخ وساق والحالص وصَدْر ، فيه قرية بهذا الاسم .

ويجتمع بوادي العلا بعد ذلك أودية من أشهرها وادي نخلة ^(١) ووادي الجيزل ووادي عَمُودان .

وأشهر فروع وادي نخلة هي :

- | | |
|----------------|--------------------------------------|
| ١ - الحاطية | ٢ - النُغْرُ - بفتح الغين ٣ - البرود |
| ٤ - عذاقة | ٥ - أراك ٦ - الصُمَيْمَة |
| ٧ - واسط | ٨ - القُلَيْب ٩ - مَلَح - بفتح اللام |
| ١٠ - الركاكنة | ١١ - القطار ١٢ - الصفا |
| ١٣ - الحَوَيْض | ١٤ - غَبَيْطِين - مثنى غَبَيْط |

وهذه الفروع تنحدر من الجبال الواقعة فيما بين العلا وخيبر .

أما فروع وادي الجيزل وهو من أعظم الأودية تنحدر إليه ميول حرة عويرض المتجهة صوب الغرب فها هو أشهرها :

- | | |
|---------------------------|---------------------------------------|
| ١ - أبو طينة (الماوين) | ٢ - الصَّلَفَة (فيه هجرة لبني عطية) |
| ٣ - النُقَيْبُ | ٤ - عِرْقَيْن (مثنى عرق) |
| ٥ - الضُرَيْس - بضم الضاد | ٦ - رَبْشَا - بالراء فالباء وآخره ثاء |

مثلثة

- | | |
|-------------------------------------|------------------------------------|
| ٧ - الفارعة (تجمّع الأودية الستة) | ٨ - نُقَيْع - بضم النون وفتح القاف |
|-------------------------------------|------------------------------------|
- وآخره عين

(١) وضع اسمه في الخريطة B ٤ - ٢ - I (القدحشان) ؟

- ٩ - حماطة
١٠ - ضَمَر - بالضاد المعجمة المفتوحة وإسكان الميم وآخره راء
١١ - الرَّقَبَة
١٢ - الجَيْفَة بكسر الجيم
١٣ - أُمُّ نُصَيْب
١٤ - المُثَبِّني
١٥ - نُعَاصَا
١٦ - عَنَنَر
١٧ - الرَّغَاي
١٨ - أَحَرَ - بفتح الالف والحاء المهملَة وآخره راء
١٩ - الأثْلَة
٢٠ - عَوْرَشُ
٢١ - ظَبْيُ
٢٢ - البروك
٢٣ - اللّحيّانة
٢٤ - جَيْلَة

تجتمع هذه الأودية الثلاثة التي هي وادي القرى ووادي الحيزل ووادي نخلة ثم تلتقي بها أودية كثيرة منها وادي عمودان ووادي العيص ووادي العين وسبول أودية خبير ثم تأتيها سيول أودية المدينة فتكون كلها وادياً واحداً يتجه مغرباً حتى يصب في البحر ^(١).

قرى العلا ومواردها : والعلا مركز إمارة من إمارات المدينة المنورة ومن أشهر القرى وموارد المياه التابعة لإمارة العلا : العين وأمُّ زَرْب والسَّليمة ، وقَعْرَة الدَّوْمَة وهجرة ذَوَيْب (متان الحَبِّ) وحُرَيْمِلُ والأَبْرُق ، والحُفْرَة وكل هذه تقع جنوب العلا وأكثر سكانها الطوالعة من عَمْرَة .

(١) قال في « وفاء الوفاء » - في ذكر مجتمع سيول المدينة : (ثم تنحدر هذه السيول ، فتلقاها سيول الشباب من كنفها ، ثم يلقاها وادي ملل يذئ خشب ، وظلم والجنيّة ، ثم يلقاها وادي ذي أوان ودوافه من الشرق ، ويلقاها من الغرب بواط والحرار ، ويلقاها من الشرق وادي الأثمة ، ويلقاها وادي ترعة من القبلة ، ثم يلتقي هو ووادي البيص من القبلة ، ثم يلقاء واد عمودان في أسفل المروة ، ثم يلقاء واد يقال له سفيان حين يفضي إلى البحر عند جبل يقال له أراك ، ثم يدفع في البحر من ثلاثة أودية يقال لها اليمسوب والنتيجة وسقيب انتهى . ونقل عن المطري أنها تفضي إلى البحر ، إلى كرا من طريق مصر .

ومن القرى والموارد التابعة لإمارة العلا في الجهة الجنوبية أيضاً : الحديدة
وسكانها الفريعات من بلكي ، والخرمات للزبن ، والفضليعة للوحشسة
والخوالي والفقيير للفريعات والرشود ، والمحاسنة والقعرة للرموش ،
وعمودان لهم أيضاً . وكل هذه المواضع أهلها فروع من قبيلة بلكي .

والزباير سكانها خليط من جهينة وبلكي .

ومن القرى الواقعة في أعلى وادي العلا العذيب والحجر وسكانها
الفُقراء من عترة .

ومُغتبراء سكانها اليلبيان واحدهم أبدا من عترة أيضاً وهذه في أسفل
الوادي .

ومن قرى العلا الواقعة في الشمال الغربي ثربة في طرف حرة عويرض
وفي وادي بهذا الاسم وهو من روافد وادي العلا وسكان ثربة المواهب من
بلكي .

وشلال بفتح الشين المعجمة واللام مخففة بعدها ألف فلام للمناصير من
قبيلة بلكي .

وعورث وادي من فروع وادي العجزل فيه قرية بهذا الاسم سكانها
المواهب من بلكي .

ضاع بالضاد المعجمة بعدها ألف وعين معجمة سكانها المناصير من قبيلة
بلكي .

وجيلة بالهمز والمثناة التحتية المسكنة بعدها لام وهاء قرية سكانها من
بلكي وغيرهم .

ومن القرى والمناهل الواقعة في الشمال الغربي من مدينة العلا : الفرعة
بتحريك الراء ، وأبو طينة والفارعة وأبو راحة والنشينة والتجبل بضم
النون وفتح الجيم ، وإنا - بكسر الالف - والبلاطة وبر شويمة ، وتقيهة
بفتح التاء المثناة الفوقية وكسر الفاء بعدها ياء مثناة تحتيه فهاء ثم هاء أيضاً
وقصيب والحشينة بضم الحاء المعجمة ، والنورد بفتح الورد ، وجيلة بفتح

الجيم بعدها مشاة تحتية ساكنة فداال مهملة فهاء .
والقَوَيْرة وكل هذه واقعة في وادي الجزل وعلى روافده ، وسكانها
من بَلِيٍّ .
هذه أشهر القرى والمناهل كما أملاها عليّ وكيل الإمارة الشيخ عبد الله
النويصر .

سكان العلا : يسكن مدينة العلا في العهد الحاضر عدد من الأسر منهم :

- | | |
|----------------------------------|---|
| ١ - الزُحُوف انتقلوا من المايّات | ٩ - القضاة |
| ٢ - آل محمد | ١٠ - البدنة |
| ٣ - آل حمد | ١١ - الأسيّرة |
| ٤ - السلامة | ١٢ - العوَاد |
| ٥ - المحفوظ | ١٣ - القُرُوق يتمون إلى بني عُدْرَة |
| ٦ - النافع | وهم من أقدم الأسر ، ويسكنون
الشَّقِيق ^(١) . |
| ٧ - الوهبة | ١٤ - آل بُدَيْر ، انتقلوا من تَيْمَاء |
| ٨ - آل عليّ | ١٥ - التّامِنة |

هذه الأسر كما أملاها عليّ الأستاذ عبد الله عمر بُدَيْر وهناك أسر غيرها
تنسب إلى بني صخر كآل عيد وآل مبارك وآل سُؤَيْرِي ، وآخرون يتنسبون
إلى قبائل أخرى كقبيلة بلي وحرب وغيرهما . ويسكن في قرى العلا وأوديتها
من القبائل فروع من عترة ومن قبيلة بلي^٢ ومن جُهَيْنَة ولكن هؤلاء قليل .

أما القبائل التي تسكن منطقة العلا فمن أشهرها :

قبيلة بَلِيٍّ - بفتح الباء وكسر اللام وآخره ياء مشاة تحتية ، واحدهم بَلَوِيٍّ .
وأظهرت لوكيل إمارة العلا رغبتني بأن أعرف فروع قبيلة بَلِيٍّ فقال :
سأحضر الآن رجلاً خبيراً بها . ثم أمر أحد الحاضرين بأن يدعو إبراهيم علي

(١) الشَّقِيق : إحدى محلات بلدة العلا القديمة وهي القسم الشمالي من المدينة .

فَتَشْرَحُ ، فلما حضر قال : هذا يملئ عليك ما تريد . فسأته : هل هو بَلَكَوِيٌّ ؟ فقال : أنا من أهل الوجه ، ولكنني أعرف القبيلة وأعرف جميع فروعها . ثم أملئ على — ما نَصَّهُ بعد إصلاح بعض عباراته :

قبيلة بَلَكِيٍّ : فرعان كبيران هما : مَخْلَدٌ — بفتح اللام مخففة وخِزَامٌ : فمن مَخْلَدٍ :

- ١ — المعاقلة الذين منهم الرِّقَادَاتُ : واحدٌ مُعَيِّفِيٌّ .
- ٢ — الْوُحْشَةُ : واحدٌ وَحِشِيٌّ .
- ٣ — الْعُرْدَاتُ : واحدٌ عَرَادِيٌّ .
- ٤ — السُّحْمَةُ : واحدٌ سُحْمِيٌّ .
- ٥ — الرُّمُوثُ : واحدٌ رُمُوثِيٌّ .
- ٦ — الزَّبَالَةُ : واحدٌ زَبَالِيٌّ .
- ٧ — الْهَلْبَانُ : واحدٌ هَلْبَانِيٌّ .
- ٨ — الْحُمُرَانُ واحدٌ حُمُرَانِيٌّ وهم غير الحُمُرِ ، الذين واحدٌ مَحْمُرِيٌّ ، وهاؤُلاءِ من بَلَكِيٍّ أيضاً ولكنه لم يذكر لي من أيِّ الفرعين هم .
- ٩ — الْبَرَكَاتُ .

ومن خِزَامٍ :

- ١ — وَابِصَةٌ : واحدٌ وَابِصِيٌّ .
 - ٢ — المَوَاهِبُ : واحدٌ مَيَّهَوْبِيٌّ .
 - ٣ — الْفَوَاضِلَةُ : واحدٌ فَاضِلِيٌّ .
 - ٤ — الْمَطَارِقَةُ : واحدٌ مَطْرَقِيٌّ .
 - ٥ — الْمُقَابِلَةُ : واحدٌ مُقْبِلِيٌّ .
- الْوُحْشَةُ : أحد أفخاذ فرع مَخْلَدٍ من بَطُونِهِمْ :

- ١ — النَّمَارِينُ .
- ٢ — النَّعِيرَاتُ .

الْعَرَدَات ، من غلدة من أفخاذهم : المُشَيَّمَات واحدهم هُشَيْمِي .
٢ - الْقُرُون : واحدهم قروني .

السُّحْمَةُ : من مَخْلَد ومن أفخاذهم :

- ١ - المَظْهَرُ واحدهم مَظْهَرِي .
- ٢ - المَرُوف واحدهم مَرَفِي .
- ٣ - الرُّوَحِلَة واحدهم رُوَحِلِي .
- ٤ - الزَّيْنُ واحدهم زَيْنِي .
- ٥ - القُضَاة واحدهم قُضَاةِي .
- ٦ - السُّلَيْمَان .

الرُّمُوث ومن أفخاذهم :

- ١ - الرُّشُود واحدهم رُشُودِي .
- ٢ - العُشَامِينُ واحدهم عُشَامَانِي .
- ٣ - الزُّوَكَةُ واحدهم زُوكِن .
- ٤ - الهُرْمَةُ واحدهم هُرَيْم .
- ٥ - المَحَاسِنَة واحدهم مُحَاسِنِي .

الرَّبَالَة من فرع مَخْلَد ، ومن أفخاذهم :

- ١ - المَشَاعِلَة واحدهم مُشَاعِلِي .
- ٢ - الصَّرَابِطَة واحدهم صُرَيْبِطِي .
- ٣ - العَصَابِينُ واحدهم عَصْبَانِي .
- ٤ - الجُدُولُ واحدهم جِدْلِي .
- ٥ - البُؤِينَات واحدهم بُؤِينِي .
- ٦ - الخُشْمَان واحدهم خُشْمَانِي .
- ٧ - العَبَلَة واحدهم عَبِلِي .
- ٨ - السُّمَيْرَات واحدهم سُمَيْرِي .
- ٩ - القَرَاعِطَة واحدهم قُرْعُوطِي .

الهِلْبَانُ من فرع مَخْلَد ومن أَفْخَاذِهِمْ :

- ١ - الجَوَابِرَةُ واحدُهم جَوْبِيرِي .
- ٢ - الرِّبَادِين واحدُهم رِبْدِي .
- ٣ - الْحَجَّارِشَةُ واحدُهم حُجْبِيرِشِي .

البركات : ويشمل اسم البركات من فروع مَخْلَد :

- ١ - الفُرِيَعَات
- ٢ - المَعَاظِلَة
- ٣ - الوُحْشَة
- ٤ - الرِّمُوث
- ٥ - الهَلْبَان
- ٦ - الْحَوَالِي

وقد تقدم ذكرهم ، أي إن هذه الفروع يطلق عليهم اسم البركات .

ومن فروع خِزَام : وابصة وَأَفْخَاذِهِمْ .

- ١ - الْحَضْرَة واحدُهم حُضْرِي .
- ٢ - الْقَوَاسِمَة واحدُهم قَوَاسِمِي .
- ٣ - الزُّرُوط واحدُهم زَرْطِي .
- ٤ - السُّبُوت واحدُهم سُبُوتِي .

ومن فروع خِزَام : المواهب وَأَفْخَاذِهِمْ :

- ١ - الْمَنَاصِير واحدُهم مَنْصُورِي .
- ٢ - الشَّوَامِي بفتح الميم بعدها ألف مقصورة (أبو شامة)
- ٣ - الرُّحَيَات واحدُهم رُحَيَاوِي .
- ٤ - السَّرَاحِين واحدُهم سِرْحَانِي .

ومن فروع خِزَام : الفواضلة ومن أَفْخَاذِهِمْ :

- ١ - الرِّقَاقِصَة واحدُهم رَقِيقِصِي .
- ٢ - الدَّرَاعِين واحدُهم ذِرْعَانِي .
- ٣ - الْحَمِيطَات واحدُهم حَمِيطِي .

هكذا أُملي على إبراهيم هلي فتشوح فروع قبيلة بَلْبِي ويلاحظ وقوع

تداخل في بعض الأفخاذ .

٢ - الْفُقَرَاءُ - من عَنَزَةٍ ، واحدهم فقير .

ذهبت مع أحد رجال التعليم إلى قرية العُدَيْب الواقعة في واد بهذا الاسم ، ويدعى أيضاً وادي الحشيش - أي العشب والرعي - شمالي العَلَا ، فقابلنا أمير القرية ، وهو شيخ الفقراء ، فأحسن الاستقبال ، وقدم ما يقدم للضيف المتعجل ، من قهوة وتمر ولبن .

وقرية العُدَيْب هذه حديثة ، عمرت سنة ١٣٤٥ . على ما اطلعت عليه في كتاب موجه للشيخ عبد الله بن سليمان بن بليهد - رحمه الله تعالى من متعب بن صالح الفقير جاء فيه : (هاجرنا في وادي العُدَيْب المعروف بوادي الحشيش ، واعترض علينا بعض الناس حيث قالوا : أنتم في وادي العذاب ، التابع لمداين صالح ، فإننا نسترحكم أن تأمرونا بسكناه ، أو تنهونا ، نرحل عنه) ، وتاريخ الكتاب ١١ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٥ . وقد علق عليه الأمير ابن مساعد بأنه أذن له ينزل تلك الهجرة وطلب من الشيخ أن يعرفه بالحدود المحرمة . فكان جواب الشيخ : (الذي تحصل لنا من كلام المؤرخين أن وادي الحجر الذي فيه ديار ثمود مقدار ثمانية عشر ميلاً ، هو عبارة عن مسافة تسع ساعات بدبيب الأقدام ، وسير الأثقال ، فإن اعتبر الموضع المذكور من شمالي الحجر إلى الموضع ، وكان خارجاً من هذه المسافة فلا بأس بسكناه ، والاستقاء من مياحه) ثم التوقيع : (رئيس القضاة : عبد الله بن بليهد) .

وقد استوضحت من الشيخ الفقير صاحب العُدَيْب عن فروع عشيرته ، فأمل على ما نصه :

الْفُقَرَاءُ : واحدهم فقير - على الاسم المعروف ضد الغني - فينقسمون إلى أقسام هي : -

١ - آل مبارك .

٢ - الشُّفْقَةُ واحدهم شَفْقِي .

٣ - الجَمَعَات واحدهم جَمْعِي - بكسر الجيم .

٤ - الحُجُورُ واحدهم حِجْرِي - بكسر الحاء .

- ٥ - الصَّقْرَةُ واحدهم صَقْرِي - مُصَفَّرَا -
٦ - الخَمَاعِلَةُ واحدهم خَمْعَلِي .

أفخاذ آل مبارك :

- ١ - المطلق
٢ - الرُّحَيْل
٣ - العصمان
٤ - الدرعان
٥ - الصالح

أفخاذ الشفقة :

- ١ - الحمدان
٢ - الجُرْوَة واحدهم جُرْيُوي
٣ - السواسية واحدهم سُوَيْسِي .

أفخاذ الحجور :

- ١ - ابن مقبول
٢ - الحرصان
٣ - القسروم
٤ - الشرايدة
٥ - الهَلَابِي واحدهم هَلَابِي .
٦ - الصُّهْبَان .

أفخاذ الخماعة :

- ١ - الذِّيَابَةُ واحدهم ذِيَابِي
٢ - الفُضَيْل واحدهم فُضَيْلِي
٣ - الخَمْنَعَان واحدهم أَخْمِنَع
٤ - الحُشُور واحدهم حَشْرِي
٥ - الجمعان
٦ - الجديد
٧ - الحُرَيْبَات واحدهم حُرَيْبِي .

ثم عدت في اليوم الثاني إلى دار الإمارة لمقابلة وكيل الأمير ، لكي أستوضح عن فروع عنزة كالطوالعة واليَدَيَّان الذين تقع منازلهم جنوب منطقة العلا فيما بينها وبين خير وكذلك عن فروع جهينة التي تجاور قبيلة بلي من الناحية الجنوبية من منطقة العلا ، ولكنني وجدت الرجل مشغولاً بتهيئة وسائل تجميل بلدته إبتهاجاً بعودة ملك البلاد المفقدي بعد شتائه مما ألم به من مرض ، فلم أزد الاثقال عليه وانصرفت وكان اسفر في ظهر ذلك اليوم .

التعليم في منطقة العلا : في مدينة العلا عشر مدارس : ثانوية واحدة ومتوسطة وخمس مدارس ابتدائية وثلاث مدارس لمحو الأمية .

وهناك مدارس في القرى وهي ثلاث عشرة مدرسة في العُدَيْب وشَلَّال ومُغْبِرَاءَ وأبو زُرَّاب والوَرْد والنَشِيفَة وأبو رَاكَة والفارعة والجديدة (جديدة منقرة) والضُّلَيْعة والسَّلِيلَة .

وللبنات في مدينة العلا مدرسة ثانوية ، ومعهد لإعداد المعلمات ، ومدرسة متوسطة ، ومدارس ابتدائية ثلاث ، واثنان لمحو الأمية .

آثار منطقة العلا : أهم الآثار في منطقة العلا هي الآثار اليهودية في وادي الحِجْر أعلى وادي العلا وقد ذكره الله في القرآن الكريم (وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ) وقد ذكر الله أنهم كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً ، ولا تزال المواضع المنحوتة باقية* ، وقد تناول الدارسون هذه الآثار ، وألصقتَ عنها المؤلَّفات .

أما بلدة العلا فمن آثارها قلعة* في قمة جبل صغير تدعى قلعة أم ناصير^(١) تُطِلُّ على البلدة على القسم القديم منها .

وبقرب هذا الجبل عين قديمة تسمى تِدْعِيل .

وعلى مقربة من الجبل الذي فوقه القلعة مسجد البلدة القديم ويدعى مسجد الصخرة .

أما المسجد الجامع فيدعى مسجد العظام . ويرى بعض الباحثين أن هذا الجامع هو المسجد الذي ذكر السهودي مؤرخ المدينة في كتابه « وفاء الوفا » وها هو نص كلامه في تعداد المساجد النبوية من المدينة إلى تبوك : (الثالث عشر : بِيَالْحِجْر ، وذكر ابن زُبَّالَة بدله : العُلَا وكلاهما بوادي القرى . الرابع عشر بالصعيد صعيد قُرُوح . الخامس عشر : بيوادي القرى . وقال الحافظ عبد الغني : في مسجد الصعيد — وهو اليوم مسجد وادي القرى . قلت : فهذا والذي قبله بوادي القرى أحدهما في سوقها والآخر في قرية بني

(١) لا أدري هل مَعُول من قال بأن في العلا دامة موسى بن نصير .

عُدْوَرَة ، لكن المجدد غابر بين الثلاثة أخذاً بظاهر العبارة ، ولأن في رواية أخرى لابن زُبَّالة : صلى رسول الله - ﷺ - في المسجد الذي بصعيد قرح ، من الوادي ، وتعلمنا مصلاه بأحجارٍ وعظمٍ ، فهو الذي يُجَمَّعُ فيه أهلُ الوادي) انتهى كلام السهمودي .

ومن آثار العلا : الخُرَيْبَةُ - خُرَيْبَةُ العلا لا خُرَيْبَةُ الحِجْر - وهي بلدة دارسة فيها آثار كثيرة .

المابِيَّات : وعلى مقربة من العلا جنوباً بنحو خمسة وثلاثين كيلاً تقع آثار بلدة دارسة يطلق عليها الآن اسم المَابِيَّات . ويفهم من نصوص المتقدمين أن اسمها الرَّحْبَةُ .

قال السهمودي في « وفاء الوفا » : الرحبة كَرْبَةُ بلاد عُدرة قرب وادي القرى وسُقْيَا النُّجَيْلِ وذكرها صاحب « المسالك والممالك » في توابع المدينة انتهى .

أما ياقوت فنقل عن نصْر : الرحبة ناحية بين المدينة والشام ، قريبة من وادي القرى انتهى . ويرد ذكر الرحبة هذه في وصف الطريق من وادي القرى إلى المروءة كما في كتاب « الأعلام النفيسة » لابن رسته ص ١٨٣ و « البلدان » لليعقوبي ص ٣٤١ .

وهذا الموضع يقع في اتساع من الوادي ، ولعله أخذ اسمه من هذا .

ثم عُرِفَت الرحبة فيما بعد باسم مدينة صالح . قال ابن طولون : في كتاب « البرق السامي في تعداد منازل الحاج الشامي » قال ابن ناصر الدين في مسودة « توضيح المشتبه » : ومداين صالح التي بالقرب من العلا ، في طريق الحاج من الشام ، بلد إسلامي ، وصالح المنسوبة اليه من بني العباس بن عبد المطلب ، وفيها قبور عليها نصايب ، تاريخها بعد الثلاث مئة . ذكره الحافظ أبو محمد القاسم بن البرزالي فيما وجدته بخطه انتهى كلام ابن ناصر الدين .

ويظهر أن كلمة (مداين) صوابها (مدينة) فقد ذكر إبراهيم بن شجاع

في كتاب ألفه سنة ٦٢٣ (١) وصف فيه الطريق من دمشق إلى مكة ، بعد أن ذكر العُلا ، وأنها المترلة الثالثة والعشرون قال : الرابعة والعشرون : الحفاير : أرض رَمْلٍ وتلال وجبال ، ووادي مُتَّسِع ، يُسَمَّى الدَّيْدَان ، ومدينة صالح ، بها بقايا بنيان ، وبيوت وقلعة خراب برأس تلٍ عالي ، وآبار تنبع طيبة ، وعين ماء وفضاء وحفاير مطر . انتهى .

لمحة تاريخية عن وادي القرى : ووادي القُرَى هو وادي العُلا وقد تقدم ذكر فروعه وروافده ، وقد يطلق اسم وادي القرى على ما حوله من المواضع كوادي الجيزل ، ويلاحظ ان المتأخرين من الرحالين ومؤلفي كتب المواضع أطلقوا اسم وادي القرى على أسفل أودية المدينة حيث تجتمع السيول ، فتخصب الأرض وتكثر هناك القرى ، على مسافة تقرب من مسيرة يومين غرب المدينة أي فيما يعرف قديماً باسم وادي ذي حُسْب ، ولهذا يحسن بالقارئ ملاحظة ذلك .

وادي القرى الوارد ذكره في كتب التاريخ والذي غزاه الرسول ﷺ هو وادي العُلا وكان أشهر سكانه قبيلة بني عُدْرَة ومن مواضع تلك القبيلة على ما في معجم البلدان وغيره :

- ١ - أديم ، عند وادي القرى .
- ٢ - أضاعي ويعرف الآن باسم ضَاخ ويقع في الشمال الغربي من العُلا في وادٍ من فروع وادي الجيزل وفيه قرية سكانها المناصير من قبيلة بَلِي .
- ٣ - الحَاكَةُ : وتقع هذه شرق العلا على طريق حاج الشام ولها ذكر في رحلات الحج .
- ٤ - حدوداء .
- ٥ - ريب . وهذا الموضع والذي قبله لم أجد من يعرفهما .
- ٦ - الرَّقْعَةُ وهذه تقع جنوب العلا ، في الطريق إلى المدينة ، وقد ذكر

(١) « منازل الحجاز » لابن المطار مخطوط .

علماء السير أن الرسول ﷺ مرَّ بها ، وأن له فيها مسجداً ذكره مؤرخو المدينة .

٧ - سُقْيَا الْجِزْل ، وهذه كانت من أشهر مدن هذه الناحية ، ولها ذكر كثير في كتب المسالك ومعاجم الأمكنة ، وتسمى أيضاً سُقْيَا يَزِيد ، وسُقْيَا بني أُمَيَّة ويظهر أنهم تملكوا فيها فنسبت إليهم للتفريق بينها وبين السُقْيَا الواقعة بين مكة والمدينة والمعروفة الآن باسم أم البيرك .
ومما جاء في كتب المتقدمين عن السقيا هذه قول البشاري ^(١) : إنها أحسن مدن هذه الناحية ، والنخيل والبساتين مُتَّصِلَةٌ من قُرْحٍ إليها ، والجامع خارج البلد .

وقال ياقوت في « معجم البلدان » : سُقْيَا الْجِزْل موضع آخر مات فيه طُوَيْسُ الْمُخَنَّثِ الْمُغَنِّي . قال : يعقوب : سُقْيَا الْجِزْل من بلاد عُدْرَةَ قريب من وادي القرى) . انتهى .

وقال السهودي في « وفاء الوفاء » : (والسقيا أيضاً موضوع بوادي الجِزْل ببلاد عُدْرَةَ ، قرب وادي القرى ، وذكر الأسدي أنها على سبع مراحل من المدينة ، وعلى نحو مرحلتين من ذي المروة ، وأنه كان يلتقي بها من يريد المدينة على غير طريق الساحل مع من يصل من الشام انتهى ، وللعلماء فيها كلام كثير .

والذي ظهر لي من كلامهم أنها تقع في موضع يعرف الآن باسم أم فُقُور ، والفُقُور جمع فُقُر يقصد بها المواضع المحفورة لتجري فيها مياه العيون ، وموضع أم فُقُور في مُلَنَّقَى وادي الجِزْل بوادي المطران ، غرب قلعة زُمرْد ، إحدى محطات السكة الحديدية ، في بَرَّاح من الأرض ، في الشمال من أم زَرْب بمَبَل يسير إلى الغرب ، على بعد نحو ٧٠ كيلاً من أم زرب . وعن العلا نحو ٥٠ كيلاً وتقع أم فُقُور بقرب خط الطول ٣٨/٠٠ وخط العرض ٢٦/١٣ .

(١) « أحسن التقاسيم » ص ٧٤ .

٨ - القُفَيْرُ ، وقد ورد هذا الاسم في معجم البلدان وغيره مصحفاً القُفَيْرِ بتقديم القاف وهذا خطأ .

والقُفَيْرُ لا يزال معروفاً ويقع غير بعيد من أم قُفُورٍ ، وهو الآن قرية سكانها القُريعات والرُشود - والمحاسنة من قبيلة بَلِيٍّ .

٩ - كتمان .

١٠ - مُحَجَّر .

١١ - المريسيع

١٢ - مياسر .

١٣ - ميساه .

هذه المواضع الأربعة ذكرها المتقدمون في بلاد بني عُدْرة .

ومما تجدر الإشارة إليه أن بني عُدْرة هاؤلاء اندمجوا في قبيلة بَلِيٍّ التي انتشرت في هذه الجهات .

١٤ - وادي القُرى ، ذكر المتقدمون أنه من بلاد بني عُدْرة .

ويظهر أن وادي القُرى لخصوبة أرضه وكثرة مياهه كثر سكانه وبلغوا درجة من الحضرة بحيث أصبحوا خليطاً من مختلف الناس ، فقد كان في عهد رسول الله ﷺ يسكنه اليهود ، وقد غزاهم رسول الله ففتح البلاد عنوةً وغنم أموالها ، وأقام بوادي القُرى أربعة أيام ، وترك الأرض والنخل بأيدي اليهود ، وعاملهم عليها . فلما بلغ يهود تيماء استيلاء رسول الله ﷺ على خيبر وفدك (الحائط) ووادي القُرى صالحوه على الجزية ، وأقاموا في بلادهم ، فلما كان عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أخرج يهود خيبر وفدك (الحائط) ولم يخرج أهل تيماء ولا أهل وادي القُرى لأنهما داخلتان في أرض الشام .

وفي صدر الاسلام كان سكان وادي القُرى أكثرهم من الطالبيين جاء في كتاب « الروض المعطار » : وادي القُرى من أعمال المدينة وهي مدينة عامرة كثيرة النخل والبساتين وبها ناس من ولد جعفر بن أبي طالب ، وهم الغالبون عليها ويعرفون بالواديين انتهى .

ويظهر أن المقصود بهذه المدينة الرَّحْبَة التي تقدم الكلام عليها .
أصل الغناء في الحجاز من وادي القرى : ذكر ياقوت وغيره أن عمر بن
داود بن زاذان مولى عثمان بن عفان كان من وادي القُرَى وكان يعرف
بعمر الوادي وكان مُغَنِّياً وكان مهندساً وكان في أيام الوليد بن يزيد ، وهو
أستاذ حكم الوادي المغني الذي ترجمه صاحب « الأغاني » ^(١) وذكر طرفاً
من أخبار أستاذه عمر . وتقدم أن طويساً المُغَنِّي مات في سُقْيَا الحِزْل .

شعر في وادي القُرَى : وبعده ألا يجدر أن يرتاح ذهن القارئ ؟
جفاف البحث بأبيات من الشعر لها صلة بوادي القرى ؟

قال جميل بن مَعْمَرٍ العذري :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً
بِوَادِي الْقُرَى إِنِّي إِذَا لَسَعَيْدُ
وَهَلْ أَرَيْتَ جُمْلًا بِهِ وَهِيَ أَيْمُ
وَمَارَتْ مِنْ حَبَلِ الْوِصَالِ جَدِيدُ

وقال أحمد بن حنبل في كتابه « منطق الطير » :

أَوَادِي الْقُرَى هَذِي الْقُرَى أَيْنَ أَهْلُهَا ؟
وَمَاؤُهُمْ فِيهَا الَّذِي كَانَ مُنْصَبًّا ؟
أَظُنُّكَ لَمَّا أَنْ أَكَلْتَ لَحُومَهُمْ
شَرَبْتَ عَلَيْهَا الْمَاءَ مِنْ بَعْدِهِمْ شُرْبًا

وقال :

رَأَيْتُ قُرَى وَادِي الْقُرَى فِي مَسِيرِنَا
وَبَنَيْنَاهُ طُوبًى وَمِنْ تَحْتِهِ حَجَرُ
وَلَمْ يَبْقَ فِيهَا سَاكِنٌ مُتَحَرِّكًا
وَلَيْسَ بِهَا لِلنَّامِ عَيْنٌ وَلَا أَثَرُ

(١) ج ٦ ص ٦٢ .

وقال صلاح الدين الصفدي :

مَرَرْنَا بِوَادِي الْقُرَى ضَحْوَةً

وَدَسْنَا بِمِ الْمَهْمَةِ الْأَغْبَرَا

فَأَمْطَرَنَا اللَّهُ ذَاكَ النَّهَارُ

فَكَانَ قِرَانَا بِوَادِي الْقُرَى

انطباعات عن الرحلة : لا يستطيع المرء أن يعرف حقيقة أي إنسان ما لم تَقَوَّ الصَّلَةُ به باختلاط أو مصاحبة أو معاملة ، فترة من الزمن ، والمرافقة في الأسفار من أقوى أسباب المعرفة ، ومن ثمرات هذه الرحلة الطيبة وإن كان وقتها قصيراً أنني ازددت معرفة ببعض الرفقاء .

لقد عرفت الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصاري منذ سنين العالم الباحث المتَّزِنَ ، ولكنني عرفته في هذه الرحلة الرجل الطيبَ الواسع البال ، الذي قلَّ أن تُشاهده إلا مُبْتَسِماً ومع أنه كان عماد الرحلة إلا أنه كان لا يميز نفسه عن أي واحد من معه بأي أمر من الأمور .

وعرفت كثيراً من الأخوة في هذه الرحلة ، معرفة زادتني تعلقاً بهم ، ممن لا أرى ما يدعوا لذكر اسمائهم ، كما عرفت بعض الإخوة من أهل بلدة العلا ممن استفدت من معرفتهم ولقيت من تقديرهم ما يوجب عليّ شكرهم .

وما استفدته في هذه الرحلة معرفة موضعين من المواضع التي ورد ذكرها في خبر غزوة رسول الله ﷺ تَبَوُّوكَ ، ذكر المؤرخون أن فيهما مسجدَيْنِ تَبَوَّيْتُمَا هُما : ^(١) ذُو الْحَيْفَةِ بالجِمْ مَكْسُورَةٌ بعدها بَاءُ مَثْنَاءُ تَحْتِيةٌ ففَاءُ مَفْتُوحَةٌ فهاء .

والموضع الثاني حَوْضًا بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ بعدها وَاوٌ سَاكِنَةٌ فَضَادٌ مَعْجَمَةٌ . فألف مَكْسُورَةٌ وقد ذكر المتقدمون هذين الموضعين على صور مختلفة في رسم اسميهما توقع في الحيرة واكتفى بإيراد ما ذكره السهمودي في كتابه « وفاء الوفا » ^(١) في ذكر مساجد تبوك ، ومنه يتضح اضطراب أقوال المتقدمين في

(١) ص / ١٠٣٠ الطبعة الثانية .

ضبط الاسمين المذكورين قال :

التاسع بذي الحليفة . قاله ابن زبالة وغيره أيضاً وهو غريب لم يذكره أصحاب البلدان .

العاشر : بذي الحليفة ، لم أرَ من جمعه مع الذي قبله إلا المجد ^(١) وقال : إنه بكسر الخاء المعجمة ، وقيل بفتحها ، وقيل : بيمين مكسورة وقيل بحاء مهملة مفتوحة . واقتصر في أسماء البقاع على كسر الجيم .

والذي في تهذيب ابن هشام ذكر هذا المسجد بدل الذي قبله ، وعكس ابن زبالة .

الحادي عشر : بالشوشق قاله الحافظ عبد الغني عن الحاكم قال المجد : وكأنه تصحيف ^(٢) .

الثاني عشر : بصدر حَوْضَى بالخاء المهملة والضاد المعجمة . مقصور ، كما وجد بخط ابن الفرات . واقتصر عاياه المَطَرِيٌّ وقال المجد — مع ذكره لذاك في أسماء البقاع — : إنه بفتح الخاء والمد ، موضع بين وادي القُرَى وتبوك قال : وهناك مسجده عليه السلام انتهى .

وهو مخالف لما ذكره هناك من المغايرة بين مسجد ذي الحليفة وبين مسجد صدر حَوْضَى في ذتب حَوْضَى ، ومسجد آخر في ذي الحليفة من صدر حَوْضَى ، والمغايرة هي التي في « تهذيب ابن هشام » ولعل صدر حَوْضَى هو المعبر عنه بِسَمْنَةٍ في رواية ابن زبالة . فإنه — كما سيأتي — ماءٌ قرب وادي القُرَى . وفي نسخة المجد في حكاية روايته : ومسجد بذنب حَوْضَى ، بدل قوله : بسمنة .

(١) يقصد بالمجد : مجد الدين صاحب « المغام المطاية » ر « القاموس » وغيرهما .

(٢) يقصد تصحيف الشقة شقة بني عذرة وقد تكون تصحيف السقيا سقيا بني عذرة وهي سقيا الجزل التي تقدم ذكرها .

(٣) مراده « السيرة النبوية » التي ألفها محمد بن اسحاق ، ثم هذبها عبد الملك بن هشام . وهي مشهورة مطبوعة مراراً .

هذا طرف من اختلاف المتقدمين في ضبط هذين الاسمين .

أما الاسم الأول فليس الحليفة بالحاء المهملة ، ولا الحليفة بالحاء المعجمة ولا الحيفة ولكنه ذُو الحَيْفَةِ بالحيم وإسكان الياء المثناة التحتية ، وفتح الفاء وآخره هاء ، وينطق الآن بخلف (ذو) وهو وادٍ من فروع وادي الجيزل ، ينحدر من حرة العويرض مُتَجِهًا صوب المغرب ، حتى يصب في وادي الجيزل ، ويقع بالنسبة لِحَوْضًا في الشمال على مسافة تقارب ٢٠ كيلاً .

ويوجد في الحَيْفَةِ ثَمَائِلُ (أحساء) وقت الأمطار ، والقادم من تبوك قد يَمُرُّ بأعلاه .

أما حوضاً فبالحاء المهملة بعدها واوٌ ساكنة فضاد معجمة ، وآخره ألف مقصورة ، وهو وادٍ صغير ينحدر من حَرَّةِ العُويرِضِ أيضاً مُتَجِهًا صوب الشرق ، حتى يفيض في أعلى وادي الحِجَرِ الذي هو أعلى وادي العلا ، وهو يفيض في هذا الوادي في الشمال الغربي منه .

وطريق تبوك يمر بأسفل حوضاً .

وأقرب منهل لهذا الوادي هو منهل ثَرْبَةِ ، وتقع في الجنوب الغربي منه بنحو ١٥ كيلاً .

وحوضاً هذا جاء عنه في معجم البلدان وعنه نقل الفيروز آبادي في « المغام المطابة ^(١) » ما نصه : حوصاء - بالفتح والمد - : موضع بين وادي القُرَى وتبوك ، نزله رسول الله ﷺ حين سار إلى تبوك ، وهناك مسجد في مكان مصلاه ، في ذنب حوصاء ، ومسجد آخر في ذي الحيفة من صدر حوصاء . وقال ابن اسحاق : حوضاً : بالضاد المعجمة والقصر ، كذلك وجدته ^(٢) مضبوطاً بخط ابن الفرات وقال : وبني به مسجداً قاله الخازمي .

مدينة ذِي المَرَوَةِ : وقد استفدت من رحلتي هذه الاطمئنان بأن ما حددت به مدينة ذِي المَرَوَةِ في كتابي « بلاد ينبع » كان صحيحاً فقد ذكرت

(١) ص ١٢٣ .

(٢) القول للخازمي وهو في كتابه « البلدان » .

أنها كانت تقوم في الموقع المعروف الآن باسم « أم زرب » في ملتقى الأودية التي منها وادي الحزل ، ذلك أنني عرفت أن المروة التي كانت تسمى بها تلك المدينة لا تزال معروفة باقية ، وتقع بالنسبة لها غرباً غير بعيد منها بينها وبين جبل يدعى الآن الظليعة (بقرب خط الطول ٢٢ - ٣٨ وخط العرض ٣٨ - ٢٥ تقريباً) .

والمروة تلك صخرة بيضاء منتصبة .

ولكي يدرك القارئ أهمية مدينة ذي المروة يحسن إيراد طرف مما ورد عنها في كتب المتقدمين :

قال البكري ^(١) : وعنه نقل صاحب « الروض المعطار » ^(٢) : (ذو المروة من أعمال المدينة قرى واسعة للهيئة) . ومفهوم هذا أن اسم ذي المروة يشمل المدينة المذكورة وما حولها .

وعدها المقدسي في كتاب « أحسن التقاسيم » ^(٣) من مدن خيبر هي والخوراء .

وفي « معجم البلدان » (ذو المروة قرية بوادي القرى ، وقيل بين ذي خُشْب ووادي القرى ، نسبوا إليها أبا غسان محمد بن عبد الله بن محمد الحروري سمع بالبصرة الفضل بن الحُباب ، وروى عنه محمد بن عبدوس النسوي ، سمع منه بنو المروة) انتهى .

وقال أيضاً : (ذو المروة يفضل تَمَرُهُ على سائر تمر الحجاز إلا الصيحاتي بخير ، والبردي والعجوة بالمدينة) انتهى .

وجاء في كتاب « وفاء الوفا » للسمهودي ما نصه : (ذو المروة على ثمانية بُرْد من المدينة . وقال المجد : هي قرية بوادي القرى ، وهو مأخوذ من قول ياقوت : ذو المروة قرية بوادي القرى ، على ليلة من أعمال المدينة ، ثم قال المجد : وقيل : بين ذي خُشْب ووادي القرى .

(١) معجم ما استعجم ١٢١٨ .

(٢) ص ٥٣١ .

(٣) ص ٨٣ .

قلت : كونها بين ذي خشب ووادي القرى المشهور المعروف ، لكن أهل المدينة اليوم يسمون القرى التي بوادي ذي خشب : وادي القرى ، فلعله مراد ياقوت .

وذكر الأسدي ما يقتضي أن ذَا المروة بعد وادي القرى بنحو ثلاث مراحل جهة المدينة . وروى ابن زبالة أن النبي ﷺ نزل بذى المروة وصلى بها الفجر ، ومكث لا يكلمهم حتى تعالتى النهار ، ثم خرج حتى أتى المروة فأسند إليها ظهره مُنْصِباً ثم دعا حتى ذَرَّ قرن الشمس شرقاً ، يدعو : ويقول في آخر دعائه : « اللهم بارك فيها من بلاد ، واصرف عنهم الوباء ، وأطعمهم من الحُسنى ، اللهم أسقمهم الغيث ، اللهم سلمهم من الحاج وسلم الحاج منهم » .

وفي رواية أنه نزل بذى المروة فاتته جهينة من السهل والجبل ، يشكون إليه نزول الناس بهم ، وقهر الناس لهم عند المياه . فدعا أقواماً فأقطعهم وأشهد بعضهم على بعض بأن قد أقطعتهم وأمرت أن لا يُضَامُوا ودعوت لكم ، وأمرني حبيبي جبريل أن أعدكم حلفاء) .

وقال أيضاً : (١) (وفي سنن أبي داود أن النبي ﷺ نزل في موضع المسجد تحت دومة فأقام ثلاثاً ، ثم خرج إلى تبوك وأن جهينة لحقوه بالرحبة ، فقال لهم : « من أهل ذي المروة » ؟ قالوا : بنو رفاعة من جهينة . فقال : « قد أقطعها لبي رفاعة » . فاقسموها فمنهم من باع ، ومنهم من أمسك فعمل) .

ولما ذكر مساجد النبي ﷺ في طريق تبوك عد الثامن عشر بذى المروة وقال : (قال المطري : على ثمانية بُرْدٍ من المدينة كان بها عيون ومزارع وبساتين أثرها باقٍ إلى اليوم) . انتهى .

وأضيف إلى ما تقدم أن آثار البلدة من أقنية وأسس بناء وآثار زراعة لا تزال باقية .

(١) ص ١٠٣١ الطبعة الثانية .

قُرُوحُ أين تقع ؟ قرح هذا بالضم ثم السكون وهو سوق وادي القرى يضاف اليه صعيد قرح على ما ذكر ياقوت والفيروز آبادي والسمهودي ، وكان من أسواق العرب في الجاهلية ، وقيل : إن هلاك قوم عاد كان في هذه القرية ^(١) ومن أوفى من وصفه من المتقدمين ممن اطلعت على كلامهم المقتضي في كتاب « أحسن التقاسيم » الذي ألفه سنة ٣٧٥ قال : (وناحية قُرُوح تسمى وادي القرى ، وليس بالحجاز اليوم بلدٌ أجَلٌ وأعمَرُ وأهلٌ وأكثرُ نجارةً وأموالاً وخيرات — بعد مكة — من هذه ، عليها حصن منيع ، على قُرُونِهِ قَلْعَةٌ ، قد أهدقت به القرى ، والتمتت به النخيل ، ذو تمرٍ رخيصة ، وأخبار حسنة ، ومياه غزيرة ، ومنازل أنيقة ، وأسواق حارة ، عليه خندق ، وثلاثة أبواب محددة ، والجامع في الأزقة ، في محرابه عَظُمٌ ، قالوا : هو الذي قال للنبي ﷺ : لا تأكلني فأنا مسموم .

وهو بلد شاميٍّ مِصْرِيٍّ عِراقِيٍّ حِجَازِيٍّ ، غير أن ماءهم ثَقِيلٌ ، وتمرهم وسط ، وحمائمهم خارج البلد . والغالب عليها اليهود) انتهى .

لم أستطع الاهتداء إلى موضع قرح ولكنني استنتج استنتاجاً من كلام المقدسي : أنه القسم الشمالي من مدينة العلا فقد ذكر أن حصن البلدة على قُرُونَتِهِ قلعة . وكما يفهم من ذكر مسجد قرح المنسوب إلى النبي ﷺ أنه عُلِمَ بِعَظُمٍ ، وتقدم ذكر جامع العلا الكبير ، وأنه يسمى مسجد العظام ، وفي الطرف الغربي من البلدة القديمة قلعة على جبل . استنتج من كل هذا أن بلدة قرح جزء من العُلا شملها الآن اسم العلا ويؤيد هذا ما أورده ابن جرير في تفسير سورة الأعراف عن ابن اسحاق — في الكلام على قوم ثمود : وكانت منازلهم الحِجَرُ إلى قُرُوح وهو وادي القرى ، وبين ذلك ثمانية عشر ميلاً . انتهى .

وهذا ينطبق على ما يعرف الآن باسم خريبة العلا ، وهي الطرف الشمالي من البلدة وتبعد عن الحجر بنحو ٢٥ كيلاً وهو يقارب ١٨ ميلاً .

(١) « وفاء للوفاء » ص ١٢٨٨ .

(٢) صفحة ٨٤ .

ولهذا فاسم العُلا شَمَلَ ما كان يعرف قديماً باسم قُرح ، وكثيراً ما يحدث مثل هذا بحيث يسمى الموضع وما حوله باسم جزء منه فيطغى اسم ذلك الجزء على جميع الموضع ويُنسَى ما عداه .

وعلى ذكر بلدة العلا نجد وصفها في أول القرن السابع قريباً من وصف المقدسي لقُرح . قال ابراهيم بن شجاع الحنفي في كتاب ألفه سنة ٦٢٣ (١) :
(العلا أرض رَمْلٍ أبيض ، بين جبلين عالين ، ثم مضيق ، ثم وادي ، ونبات كثير ، وعبون ، ثم مدينة العلا وسط الوادي ، نخل كثير ، ونمر ، والمدينة صغيرة ، وبها قلعة صغيرة على رأس جبل صغير ، وعبون عذبة يزرع عليها ، ولها أمير ، ويودعون بها أمتعتهم) .

ووصفها ابن فضل الله العمري في كتابه « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » بأنها إحدى مدن الحجاز ، ماء جارٍ ، ونخل وزرع ، يضرب بمفازتها المثل ، ليس بالمفازة ماء إلا بُرّ الأخيضر بوسطها ، ثم حفاير الزمرد وشعب النعام .

وقال صلاح الدين الصفدي في رحلته إلى الحج :

لقد بعد العلا ونأى محلاً وطال ، ونحن نسأل عن عريبه ؟
ويا عجباً له يزاد بُعْداً وقد قمنا إليه من جنبيه
وقال :

لما حججتُ وحججني لم نرض ما بين الملا
أبصرت قدري خاملاً لما دخلتُ إلى الملا
وقال :

خرجنا نحو طيبة من دمشق بأفئدة للقيها حرار
ولكن في العلا زدنا اشتياقاً كأن قلوبنا حُشيت بنار

(١) « منازل الحجاز » مخطوط .

(٢) « درر القوائد المنظمة » : ٤٦٤ .

(وأبرح ما يكون الشوق يوماً إذا دنت الديار من الديار)

الدِّيْنْدَانُ : أطلق كثير من علماء الآثار من المستشرقين هذا الاسم على منطقة العلا ، وكنت أظن أن الاسم اغريقياً أو رومانياً لم يعرفه علماء العرب ، ولعلني أشرت إلى هذا في الكلمة التي القيتها في (الندوة العالمية الأولى لتاريخ الجزيرة) في شهر جمادى الأولى من هذا العام ، فعقب طالب في قسم الآثار على كلمتي قائلاً : قد ذكرها صاحب « معجم البلدان » فشكرته ولم ارد البحث في الموضوع لأنني أعرف أن صاحب معجم البلدان قال : الدِّيْنْدَانُ مدينة حسنة ، كانت في طريق اللقاء من ناحية الحجاز ، خربت . انتهى .

وأعرف أن هذا الكلام لم يحدد موضع هذه المدينة ، وما أطول المسافة بين اللقاء والحجاز ؟! وذكرت في كلمتي تلك قول ابراهيم بن شجاع الحنفي ، وهو معاصر لياقوت ، بأن الديدان وادٍ فيه مدينة وقد تقدم في الكلام عن الرحبة .

وفي أثناء الرحلة قابلني ذلك الطالب ، ويظهر أنه من أهل العلا الحضر ، فوجه إليَّ أسئلة فهمت منها أنه لا يقصد الاستفادة ، وإنما يريد أن يظهر مقدرته العلمية ، فحاولت إفهامه بأن كلام إبراهيم بن شجاع صريحٌ في إطلاق ذلك الاسم على أسفل وادي العلا بخلاف كلام ياقوت . والغريب في الأمر أن هذا الطالب يريد أن يقدم رسالة تتعلق بدراسة هذا الموضوع نفسه لنيل درجة جامعية وما كان يعرف قول ابن شجاع فيه ولا ما جاء في كتب المتقدمين غير ابن شجاع عنه ولهذا حاول جاهداً أن يظهر أن قول ابن شجاع قول لا قيمة له ، ولعله فعل هذا لأنه لم يسبق أن قرأه ، قال : إنه قرأ عن آثار هذه المنطقة كثيراً وصار يورد أقوالاً استقاها كلها من كتاب المستشرق موزل عن « شمال الحجاز » ولم يذكر اسم الكتاب وأخذ يعدد أسماء مؤلفات لم يرها فأفهمته بمصدر أقواله وبأن بعض ما ذكر ليس صحيحاً ، ولما لم أر الفتى في موقف المستفيد ورايته كما قيل : زَبَبَ قَبْلَ أَنْ يُحَصِّرِمَ انصرفت عنه .

أذكر هذا والأسى بغمرني من حالة كثير من شبابتنا الذين عندما ينال أحدهم طرفاً يسيراً من العلم يتوهم أنه بلغ الغاية .

حمد الجاسر

بِلَادِ الْحِجَازِ فِي الْمَخْطُوطَاتِ الْمَفْرُوسَةِ

من أبحاث الندوة العالمية الأولى لتاريخ الجزيرة

— محمد بن أحمد الملقب انس الساري والسارب من اقطار المغرب إلى
بابن الملبح منتهى الآمال والمآرب .

الخزانة العامة — دار الوثائق — الرباط رقم حج عام ١٠٤٠ هـ
ك ٢٣٤١

— ابو سالم العياشي الرحلة العياشية
المكتبة الملكية بالرباط رقم ١٥٦ حج عام ١٠٧٤ هـ

— أحمد الهشتوكي هداية الملك العلام إلى بيت الله الحرام
الخزانة العامة بالرباط ق ١٩٠ حج عام ١٠٩٦ هـ

— أحمد بن ناصر الدرعي الرحلة الكبرى
الخزانة العامة بالرباط د ١٢٩١ حج عام ١١٢١ هـ

— عبد الرحمن بن أبي القاسم رحلة القاصدين ورغبة الزائرين
الشاوي المكتبة الملكية بالرباط ٥٦٥٦ هـ
حج عام ١١٤١ هـ

- ابو محمد الشرقي الاسحاقى رحلة الوزير الاسحاقى
المكبة الملكية بالرباط ١٤٢٨ حج عام ١١٤٣ هـ
- عبد المجيد بن علي الملقب بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت الله الحرام
بالزيادي الحج عام ١١٤٨ هـ
- احمد اللكوسي الحضيكي رحلة إلى الحرمين الشريفين
الخزانة العامة بالرباط د ٨٩٦ حج عام ١١٥٢ هـ
- ابو مدين احمد بن الصغير الرحلة الحجازية
الدرعي الحج عام ١١٥٢ هـ
- محمد بن عبد السلام الناصري الرحلة الكسبرى
الخزانة العامة بالرباط د ٢٦٥١ حج عام ١١٩٦ هـ
- محمد بن عبد الوهاب بن احراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام
عثمان . الحج عام ١٢٠٠ هـ
- المكبة الملكية بالرباط ٥٢٦٤

طوبوغرافية المنطقة :

فرضت طبيعة المنطقة الواقعة ما بين (خليج العقبة) و (مكة المكرمة) على القوافل سلوك طريق خاص يضيق شمالاً لاقترب السلاسل الجبلية من البحار ، ويتسع كلما اتجهنا نحو الجنوب .

وهذا الطريق ينقسم إلى مناطق متباينة من حيث البيئة والمناخ وصلاحية للحياة البشرية وقد عكست (مخطوطاتنا) جميع هذه المظاهر الطبيعية إلى حد يمكن معه القول بأنها تعد دراسة طوبوغرافية للمنطقة .
وأهم ما تتصف به الطريق :

١ - من (خليج العقبة) إلى (عش الغراب) :

الطريق ساحلي تكثر به المرتفعات والوهاد وتعبه القوافل في عدة ممرات ولا تخلو بعض نواحيه من وجود أحساء ونخيل .
والمخطوطات تكاد تجمع على أن العقبة هي (أول أرض الحجاز ...
فان من هنالك تخالف الأرض ما قبلها وتباين الجبال ما سواها ويشد شبهها بجبال الحجاز السود ويتقوى الحر وتستمر الأرض) (العياشي .
ص ١٧٦) .

والطريق بعد العقبة عقبة (ثم ارتحلنا من العقبة وسرنا في مسلك ضيق بين البحر والجبل لا يمر به إلا جمل اثر جمل كأنه من الصراط إلا أنه غير مستقيم) (الدرعي ص ٩١) .

٢ - من (عش الغراب) إلى (عيون القصب) :

تصبح الطريق داخلية بوجه عام ، تكتنفها مرتفعات جبلية (ومن هنا لا يرى البحر إلى عيون القصب بعد ثلاث مراحل بين جبلين في أرض كثيرة الغبار تسمى وادي القر لبرودته وهو طويل متصل إلى مغارة شعيب وليس به ماء) (الناصري . ص ٢٠٣) . وأهم مناطق هذه المرحلة مغارة شعيب التي توجد (بها مياه جارية عذبة طيبة خفيفة وفيها مرعى للابل والبغال) (الدرعي الصغير ص ١٠٨) .

أما مدين فهي (بلدة بساحل البحر كثيرة الفواكه والمياه الغزيرة) (الصغير ١٠٨) .

٣ - من (المويلح) إلى (الوجه) :
الطريق ساحلية تتدفق في بعضها المياه الغزيرة كما تنتشر أشجار النخيل ولا تخلو بعض مناطقها من زراعة الخضر وبعض الحبوب .
وتتوفر هذه المرحلة على أربعة موانئ هي بالتوالي : المويلح ،
الازلم ، اصطبل عنتر ، الوجه .

٤ - من (اكره) إلى (ينبوع) :
تصبح الطريق داخلية وتشتد حرارتها ولا توجد فيها عمارة .
ويمكن تسمية هذه المرحلة بطريق الأودية لوجود ست أودية أهمها :
وادي اكره ، العقيق ، النبط ، النار (هبت على الناس ريح السموم
وتسقيهم من نضيج اليعقوم واشتد الحر وتوالى الكرب على الناس واشتد
العطش على الرجال فبركت الابل وفرت لظلال الاشجار) الدرعي
ص ٩٥) .

والطريق بين المويلح والينبوع يعد من أهم المراحل (فلا عمدة
للمحجاج في طعام ولا في علف سوى الماء عند الحاجة اليه وجله قبيح فلا
يتزلون في هذه المقاوز إلا التزول المعتاد الذي لا يحصل بدونه المراد
ويسمون بها اليوم العشارية لأنها عشرة مراحل متوالية لا إقامة فيها)
(الزبادي ص ٦٦) .

٥ - من (ينبوع) إلى (مكة المكرمة) :
الطريق داخلي ، أهل بالسكان وتعزز به الينابيع وتكثر به الأراضي
الزراعية (ينبوع أول بلاد الحجاز العامرة فيها قرى كثيرة ومزارع
ونخيل وعيون جارية ... وهذا العمران متصل نحو ثلاثة أيام (العياشي
ص ١٧٦) .

ومن أشهر أودية هذه المرحلة : رايع ، وادي العميان ، والزاهر .
ومن الملاحظ ان الطريق الذي تعبره قوافل الحجاج بين العقبة ومكة

لم يتغير طوال القرنين الحادي عشر والثاني عشر للهجرة كما تؤكد ذلك دراستنا لهذه المخطوطات . وإذا كانت مسافة هذا الطريق نحو ١١٥٠ كم فإن القوافل تقطعها خلال شهر تقريباً بعد أن ترحل ٢٥ رحلة ، وأهم المراحل :

بعد خليج العقبة ، حفائر النخل ، ظهر الحمار ، عش الغراب ، مغاير شعيب ، مدين ، المويلح ، بندر الازلم ، اصطبل حنر ، بندر الوجه ، اكره ، العقبة الزرقاء ، الحوراء ، العقيق ، النبط ، وادي النار ، الينبوع ، السقائف ، بدر ، مستورة ، رابع ، قديد ، خليص ، عسنان ، وادي العميان ، وادي الشريف ، فمكة المكرمة .

ومن مكة نحو المدينة تعود القوافل من نفس الطريق حتى بدر ومنها تتجه نحو الجديدة ، النازية ، الفريش فالمدينة المنورة . وهذا الطريق يعرف : (بالطريق السلطاني) . وتقطعه القوافل خلال إحدى عشرة مرحلة . ومن المدينة المنورة تتجه القوافل نحو الينبوع فخليج العقبة . أما الطريق بين مكة وجدة فتقطعه القوافل في مرحلة واحدة . وما بين مكة والطائف فخلال يومين لوجود المرتفعات الجبلية : (والطريق من مكة إلى الطائف فيها قهاوي ويسريخ المارة بالتزول فيها واشتراء ما يحتاج من طعام وعلف ... أخذنا في صعود الجبل العظيم .. وغالب الطريق في هذا الجبل قد نقر من الصخور العظام وتصدت الحجارة فيها بيضاء رشيقة مصفحة ... وفي هذا الجبل أشجار عظيمة من العرعار وغيره .. ورأينا التبرود تصيح وتنب في أعالي تلك الصخور فتعجبنا من ذلك ... ثم سلطنا في شعاب ذات مياه غزيرة ... إلى أن وصلنا إلى قرن الثعالب وبازائه قرية ذات مزارع وأشجار من أنواع الفواكه ... إلى أن وصلنا بلد الطائف) .

(العياشي ١١٦ ج ٢)

(فما رأينا فيما سلطنا من بلاد الحجاز مكاناً أشبه ببلادنا منه)

(العياشي ١١٦ ج ٢) .

اقتصاد : المنطقة

تعكس مخطوطاتنا الأوضاع المختلفة للحياة الاقتصادية في هذه المنطقة من زراعة ورعي وتجارة ومواصلات ، ومهما قيل عن قساوة الطبيعة فان سقوط الأمطار في بعض الفصول ووجود ينابيع المياه بالإضافة إلى سهولة استخراج الماء من الآبار تساعد جميعها على إنتاج أنواع مختلفة من المزروعات وعلى تربية أعداد مهمة من الماشية (وهذه البلاد الحجازية مطرها قليل وان نزل كان طوفاناً في لحظة لكثرة الجبال والأودية والشعاب المتطاولة بها) .

(الناصري ٢١٠)

يضاف إلى ذلك وجود أراضي خصبة صالحة للزراعة (وعادة أهلها كغالب أودية الحجاز يزرعون على ماء المطر في الأماكن التي يستتفع فيها الماء) (الناصري ٢٣٠) .

ومن الأمثلة التي ساقها رحالتنا عن خصب بعض المناطق ومستجاتها :
مزارع مدين (فعادة اعراب مدين ان تنسوق الحجاج هناك باحمال كثيرة من أنواع العنب وغيرها من الفواكه) (الدرعي الصغير ١٠٨) .

وتبوك حيث توجد (بساتين وكان أهلها يأتون بالرمان والعنب يبيعونه للحجاج) (رحلة ابن عثمان) . والينبوع وبدر وراغب (الذي تزرع فيه مقاي كثيرة ودخن وذرة وهو من أخصب أودية الحجاز . (العياشي ١٨٥) .

أما أراضي قديد فتنتج الفواكه المختلفة وبها (دلاع جيد رخيص ويسمونه بلغتهم حبحب ولا يكاد ينقطع شتاء ولا صيفاً إلا في السنة الجذبة) (العياشي ١٨٦) .

وفي وادي الشريف (قرى متعددة ذات نخيل وبساتين وعيون تجري وأعظمها القرية التي ينزل فيها الحجاج وفيها سوق وعين كبيرة وبساتين مؤنقة) (العياشي ١٨٧) .

وفي وادي الزامر (جنان مكة آبار وأشجار وخضروات) (العياشي ١٨٩)
أما في ضواحي المدينة المنورة فتوجد (فواكه في غاية الجودة خصوصاً

عنبها ورطبها وأما الخضر فأكثرها وجوداً الجزر والباقلا والملوخية والبامية والبصل واللفت (العياشي ٣٠١) .

وفي منطقة آبار علي توجد (آبار كثيرة عذبة باردة تسقى بها نخيل عليها وخضر كثيرة سيما الباذنجان الكثير والقرع بأنواعه الجيد) (الناصري ٢٨٩) .
ثم (نمشي في أرض متسعة خصبة تجتمع إليها سيول كثيرة وتزرع فيها مقاني متنوعة تسمى بركة) . (الناصري ٢٣٢) .

أما الظهران (فهو واد كبير به قرى ونخيل وبساتين وفواكه وخضر وعيون عذبة ... تقام به سوق عظيمة .. ومنه يحمل لمكة أودية من الفواكه والخضر) (الناصري ٢٣٢) .

وبوجه عام (أكثر المقاني في بلاد الحجاز انما تزرع على ماء المطر في الأماكن التي يستنفع فيها الماء) (العياشي ١٨٦) .

وفي الطريق من مكة إلى الطائف تتعدد المناطق الخصبة التي تنبت أنواعاً مختلفة من الفلفل والفواكه (وادي نعمان ... واد عظيم أفيع ... به ادواح يانعة وقد كساه الخصب ألواناً ... وبازاء قرن الثعالب القرية ذات مزارع وأشجار من أنواع الفواكه . (العياشي ١١٦ . ج ٢) .

ومن نماذج الري التي أثارت انتباه بعضهم خليص حيث (سيق الماء في قنوات محكمات من العين يتفجر في مواضع للسقي ... إلى أن خرج الماء إلى بركة عظيمة تحت القرية ... ثم يخرج الماء من البركة إلى مزارع قريبة من البلد) (العياشي ١٨٦) .

أما تربية الماشية فتقوم بها مجموعة من القبائل التي تنتقل في البادية إلى حيث الكأ والعشب وقد سجل بعض رحالتنا حالات مختلفة لتجارة هذه القبائل مع قوافل الحجاج بأنواع الماشية ومنتجاتها :

ونزلنا بندر الازم ووجدنا شرذمة من الاعراب يبيعون الحشيش والغنم ... ولما بلغنا العقبة السوداء ... تلقت الاعراب الركب بكثرة السمن واللبن والخرفان للبيع (الدرعي ٩٦) . وكثيراً ما تستعد هذه القبائل لمواسم الحج (واخبرت ان

العرب يستعملون لذلك في أول السنة فيحصلون في البادية أيام الربيع ويبيعونه وينقلونه إلى قرب الامصار حتى تأتي الركبان فيجتمع لهم من ذلك ما يقوم بكفاية سنتهم (العياشي ص ٣٠٠) .

كما ان متاجرة اعراب البادية مع المدن لا تنقطع (ومن عادتهم في الشراء من الاعراب الذين يجلبون اللبن والجبن والسمن والقمم ان يشتري منهم قوم من الاعراب الساكنون بالمدينة وأطرافها ... فيدخلونه الاسواق ويشتري منهم أهل المدينة) (العياشي ص ٣٠٠) .

كانت للتجارة الأهمية الكبرى في النشاط الاقتصادي بهذه المنطقة ويمكن القول بأن جميع المراكز التي كانت تحط بها الرحال هي أسواق تجارية بالدرجة الأولى : (اعراب مدين ... تسوق الحجاج هناك باحمال كثيرة من أنواع العنب وغيرها من الفواكه) (الصغير ص ١٠٨) .

وأهل تبوك (يأتون بالرمان والعنب ويبيعونه للحجاج (ابن عثمان) . وفي ينبوع يوجد أهم سوق في (القرية التي ينزل بها الحاج ... وتعمر هناك سوق كبيرة يوجد فيها غالب المحتاج) (العياشي ١٧٨) . وفي بدر (اسعارها في الغالب أرخص من غيرها مع صغرها وانقطاعها عن البلاد) (العياشي ١٨٣) .

وفي القروح قرى متعددة مضرقة ذات نخيل وذات ظل ظليل وعيون جارية عذبة .. وقامت بين أهله وبين الركب سوق عظيمة في المحتاج من زرع وغنم وعنز) (الناصري ٢٨٧) .

وإلى جانب تجارة المزروعات والغلل هناك تجارة الاسماك والجواهر (وسرنا فترلنا الحوراء ... وبها الجبل المنقطع في البحر يسكنه اعراب كثير عيشهم صيد السمك وقد باعوا في الركب منه كثيراً ... وهم يفوصون في بعض الأحيان بمكان قريب منهم في البحر فيقعون على جواهر نفيسة يشتريها منهم بعض من مر بهم من الحجاج بشمن بنحس) (الناصري ٢١٢) .

وأعظم المراكز التجارية المدن الأربع : مكة ، المدينة ، جدة والطائف ،

ومن أهم أسواق مكة : المدوة ^(١) (ثم اتينا المدوة في زحام كثير في السعي
لانه من أسواق البلد العظيمة) (العياشي ١٩٢) .

وفي جدة (اسواق ممتدة مع جانب البحر وغالبها أخصاص واسعة متفتحة
إلى البحر) (الدرعي ١٣٢) .

أما الطائف ففيها (اسواق حافلة يحضرها الناس من أطراف نجد ويحلب
اليها الحبوب والثمار والزبيب والعسل مما قضينا العجب من كثرتة بحيث يخيّل
الينا اننا لم نر مثل ذلك في الكثرة في الاسواق العظيمة) (العياشي ١١٦ ج ٢) .

وعن وسائل المواصلات هناك الرواحل من القوافل ، وقد كانت (من
عاداتهم في اكرية الرواحل من القوافل الذاهبة إلى مكة والينبوع ان بالمدينة
رجالاً يعرفهم غالب الحمالين فمن احتاج الكراء من ارباب الدواب أو ارباب
السلع اتى اليهم فيعقدون له الكراء مع صاحبه ويتكلفون بما عسى ان يحصل من
الجمال من غدر في الطريق بهروب أو مكر ... ويأخذون بذلك حلاوة من
الجمال ومن المكري وذلك دأبهم بحكمة أيضاً) (العياشي ٣٠٠) .

أما كيفية السير (فصرنا نرحل عند الزوال وننزل عند الفجر والشروق
على حساب ما اقتضاه الحال) (الزبادي ص ٥٥) .

وكثيراً ما كانت بعض مراحل الطريق والوعرة منها تنظم بشكل خاص
(فسلكتنا طريق المصانع .. والمصانع سوارى مبنية في سبخة لا يظهر فيها أثر
الطريق فجعلوا تلك الاعلام المبنية دليلاً عليها وجعلوا في رؤوس الأبنية حجراً
طويلاً خارجاً إلى ناحية الطريق ليستدل به الماشي ليلاً وربما علقوا على بعض
الاعلام مصابيح بليل وبين كل علم وعلم نحو فرسخ أو أقل حتى انتهوا إلى
رأس وادي الرمل) (الزبادي ٥٦) .

ولا تخلو بعض المراحل من أماكن خاصة يستريح بها الحاج (والطريق
من مكة إلى الطائف فيها قهاوي ويستريح المارة بالزول فيها واشترأ ما يحتاج
من طعام وعلف كما ذلك بطريق جدة ... وقد آوانا الحر إلى قهوة باصل الجبل

(١) الصواب : (المروة) .

بين صخور عظام حولها ماء صاف عذب بارد سهل التناول للصاراد والوارد
(العباشي ١١٦ ج ٢) .

وفي الموانئ توجد السفن التي تربط بلاد الحجاز بالمناطق المجاورة لها ،
كبناء المويلح (وبه مرسى حسنة تنزل بها السفن القادمة من سويس والقادمة
من جدة) (الدرعي ٩٣) . .

وميناء الحوراء (مرفأ سفن مصر) (الناصري ٢١٢) .

ومرسى البنبوع الذي (يجلب منه الميرة للمدينة فان السفن الجالبة للطعام
من مصر ترسو بينبوع البحر ما كان منها للمدينة) (الناصري ٢١٥) .

ويعد ميناء جدة الاول في بلاد الحجاز (فهي من أعظم البقاع وهي مدينة
ممتدة مع ساحل البحر نحو ميلين وفي مرساها سفن كثيرة كبار وصغار وغالبها
معمول بالشريط بصنعة عجيبة ليس فيها مسمار وهي مع ذلك كبيرة المقدار
واسعة الانحاء تحمل أضعاف ما يحمل غيرها من السفن) (العباشي ١٠٤ ج ٢) .

وإلى جانب ما تقوم به الموانئ من دور في المواصلات يتوفر كل منها على
(حصن كبير فيه عسكر وامين ويخزن فيه الميرة) (الدرعي ٩٣) .

(وشأن هذه البنادر ان يخزن فيها الطعام على الدوام ليجده الركب في
الذهاب والإياب ويترك الناس فيها ما استعملوه من الازودة والأطعمة إلى الرجوع
ولولا لطف الله بالعباد بوجود هذه البنادر لما قدر أحد على سلوك هذه الطرق
لكثرة مخاوفها وقلة مرافقها) (الزيادي ٥٦) .

والحديث عن التجارة يجرنا إلى ذكر ما أوردته مخطوطاتنا عن الأسعار
والعملة وأنواع المكاييل ، ففي موسم الحج تعيش البلاد ظروفًا خاصة (فلا
سعر معلوماً ولا مكاييل وافيًا ولا ميزان صحيحاً كل يفعل ما يشاء ولا يتكلم
الولاية في شيء من ذلك) (العباشي ٢٨٥) .

وبعد انقضاء أيام الموسم (رجعوا إلى معتاد حالهم في الأمور الدنيوية من
الفلاحة والتسعين في الأسواق وتصحيح المكاييل والموازين) (العباشي ٢٨٥) .
وترتفع الأسعار أيضاً في الفصول الغير الممطرة (ولم تزل الأسعار على ما

تقدم من الغلاء إلى أن هجم الشتاء وقرب زمن الربيع فلانت الاسعار وكثر اللبن والجبن في الاسواق . (العياشي ٣٠٢) .

وعن اثمان بعض الحاجات (كان القمح ثلاثة اصاع بريال ... اما التمر فنحو اربعة اصاع بالريال والشعير ليس بينه وبين القمح إلا يسير تفاوت ... والعسل اشترت رطلاً منه بقريب من ثلث الريال ... وأما الفواكه ... العنب بثلاث مئة للرطل .. واللبن يباع بمائتين للرطل) (العياشي ٣٠٢) .

أما العملة المستعملة فنجد : الدينار الذهبي

الريال الفضي

القيراط المسكوك من الفضة

القرش

المائدية

وقد كان الريال يساوي ٥٠ قيراطاً . وعن المكاييل هناك : الصاع او الربيعي واجزاؤه الركيلة .

الناحية الاجتماعية :

رغم الأحوال الصعبة للحياة في المنطقة ما بين خليج العقبة والطائف فان الطابع المميز للسكان بها يكاد يكون الاستقرار بوجه عام ، وذلك في الواحات التي تتوفر على المياه وبعض الأراضي الصالحة للزراعة وتربية الماشية . والمراكز التي تحيط بها الرواحل على طول الطريق جميعها قرى تتوفر على الكثير من الشروط التي يتطلبها نزول الحجاج من طعام وشراب وإقامة وعلف للسواب وغير ذلك ، وحسب مخطوطاتنا هذه ، يوجد ما بين خليج العقبة ومكة وهي مسافة تقدر بنحو ١١٥٠ كلم ، ازيد من ٢٥ قرية تختلف عن بعضها من حيث الاهمية والسعة وتجمع السكان :

ففي الينبوع مثلاً (قرى كثيرة ... وهذا العمران متصل ثلاثة أيام ... وغالب أهل القرى يأتون إلى هذه القرية التي يتزل بها الحجاج للتسوق وتعمير

هناك سوق كبيرة يوجد فيها غالب المحتاج (العياشي ٨٧٨) .

وفي خليص حيث عين ماء تجري ، ابنة وقهاوي وسوق (العياشي

١٨٧) .

ويتجلى طابع الاستقرار في المدن الأربع الرئيسية : مكة ، المدينة ، جدة والطائف ولكل منها طابعها المميز بحكم موقعها وأهميتها وظروفها العامة :

(فأهل المدينة أهل رفاحية وتوسع في المعيشة في زماننا هذا وتعال في الملابس الفاخرة وتزينوا يزي الأعاجم في مآكلهم ومشاربهم وملابسهم لكثرة سكنى الاعاجم بها فان بها طائفة كبيرة من عسكر الترك ... خلاف أهل مكة فانهم لم يزالوا على اعرابيتهم واستعمال البداوة وعدم المبالاة والإهتمام في الملابس والمآكل قد غلبت عليهم البداوة وكثرة مخالطتهم لأهل البادية وسكناتهم بها حتى امرأوها من الاشراف فان غالب سكناتهم بالبادية وان كانت لهم منازل بمكة ... ولباسهم على زي لباس العرب) (العياشي ٣٠٣) .

أما جدة (فمن أعظم البقاع وهي مدينة كبيرة ممتدة على ساحل البحر نحو ميلين ... فيها قهاوي ومجالس حسنة يبالغ أصحابها في كنسها وتنظيفها ورشها بالماء وفيها جلوس غالب أهل البلد وقد اتخذوا فيها اسرة كبيرة منسوجة بصفة محكمة) (العياشي ١٠٤ ج ٢) .

وفي الطائف (قصور تحيط بها جنان من نخيل قليل وأعتاب كثيرة وفواكه مما يشتهون) (العياشي ١١٦ ج ٢) .

لقد كان من نتيجة تعامل اعراب هذه المناطق مع الوفود المختلفة للحجاج أن تأثروا وأثروا وظهرت لديهم مع الأيام عادات وتقاليد لم يغفل رحالتنا عن تدوين بعضها (لا زالت معهم في كلامهم بعض فصاحة ونطق بلغة قديمة وافصح منهم عرب يروقه لقلة مرور الناس بهم وعدم مخالطتهم لغربهم وقلة جولانهم وعدم دخولهم الأمصار عكس الحجاز) (للناصري ٢٨٨) .

وإذا كان الحجاج يفلتون على الحرمين من جميع بقاع العالم الاسلامي فان اهم الوفود الإسلامية كما دونتها بعض مصادرنا هذه ، كانت تتكون من

(الركب الفاسي ثم الجزيري ثم المصري ثم الشامي ثم اليمني ثم الاصطنبولي ثم العراقي ثم الكوفي ثم البصري ثم الهندي ثم العجمي ثم الكنكي السرتي ثم القرماني ثم البنكلي والبعض من هذه القبائل الرحل هي التي كانت تقوم بأعمال النهب وقطع الطريق على قوافل الحجاج وعند استقصاء عوامل خروج هذه الجماعات كما جاء في مخطوطاتنا ، نجد :

١ - جذب مناطقها أو اشتداد القحط في بعض المواسم .

٢ - جهالتها الجهلاء .

٣ - انعدام السلطان .

٤ - طغيان نفوذ بعض القبائل .

٥ - عمليات انتقام وتأثر .

وكثيراً ما كانت تستغل التضاريس الوعرة للتربص بها كأن ترابط في بعض الممرات والأودية وعند المرتفعات :

(ثم ارتحلنا من العقبة وسرنا في مسلك ضيق بين البحر والجبل لا يمر به إلا جمل أثر جمل كأنه متن الصراط إلا أنه غير مستقيم وقلما يخلو هذا المحل من لصوص يتعرضون للركب فتشد اذابتهم وتعظم نكايتهم لا سيما عند البرج قرب بندر العقبة) (الدرعي ٩١) .

(ثم سرنا إلى مرحلة تنتهي عند اصطبل عنتر وقد اختفى بها العربان للأذى وتسروا) (الصغير ١١٠) .

وعن طغيان بعض القبائل هناك (حرب التي عمرت من البلاد الحجازية مسافة اثني عشر مرحلة ... ينيفون على مائة ألف رجل لا يقيمون وزناً لقبيلة من قبائل الحجاز) . (الناصري ٢٢٧) .

وغالباً ما كانت عمليات قطع الطريق تستهدف الحصول على أموال ومؤون وذخائر ولم تكن للقتل وسفك الدماء أي لسد الحاجة بالدرجة الأولى : (وكانوا لقوا من المحرامية شدة في الطريق ... ودفعوا للاعراب مالاً كثيراً نحو مائة ألف بعدما انتهب من ركبهم وقتل اناس) (العياشي ١٩٠) .

وقد كان لانعدام السلطان اثره الكبير في هذه العمليات (فالسراق يهجمون على الناس هجوماً ويعظم اذاهم في أيام الموسم لقلة الحكم بتهاون الحكام وإرخاء العنان لهم) . (العياشي ١٩٢) .

كما أن هذه العمليات كانت تم للانصاف والثأر (عند عسفان وجدنا الأعراب هناك لمحاربة المصري لشتان بينهم وبعثوا إلينا لما فزلنا رسولاً وهم بالحبيل يذكر للشيخ ان المغاربة ليس بيننا وبينكم الا الخير وارادناكم ان ترحلوا وتخلوا بيننا وبين المصري انه تعدى علينا) (الصغير ١٣٨) .

وبالمقابل هناك قبائل كثيرة في بوادي هذه المناطق كانت تقوم بالاضافة إلى خدمة الحجاج ، بحمايتهم والتعهد بشؤونهم مقابل أموال معلومة (وبعث لهم عشرة آلاف ريال مرتب سنة فامتنعوا عن قبولها وردوها وقالوا لا نقبل شيئاً إلا إذا دفعت لنا مرتب اربع سنين السالفة) (الناصري ٣٠٩) .

وإذا ما داهمت القافلة المحمية أخطار ، هب حمايتها من أفراد القبيلة للدفاع عنها (فاخرج الشيخ خزانة البارود وأمر بتفريقه على الرماة في المحلة ... وعندما حط الركب في قضاء متسع وخلع على الأعراب ما رآه من الخلع عادوا بسلام) (ابن مليح ٨٦٠) .

ومن جهة أخرى ان دراستنا لهذه المصادر تكشف لنا عن حقيقة هامة وهي ان ما كان يلاقه الحجاج من أهوال وعن ناشئة بالدرجة الأولى عن قسوة الطبيعة ووعورة التضاريس وأخطار السبيل وشدة البرد إلى جانب عمليات النهب وقطع الطريق :

(في وادي النار هبت علينا ريح غربية كانت أول النهار باردة ووسطه وآخره سموماً لقي منها شدة ولم يروا أشد منه قبله) (العياشي ١٧٧) .

(وقع به سيل عرم بعثر الحجاج فذهبت بسببه رقاب ودواب وأموال عريضة ولم ينج إلا من كان على التلول والكدى) (الناصري ٢٠٩) .

(وما قط رأينا مثل هذه الرحلة في درب الحجاز طولاً وبرداً حتى مات بها خلق كثير من الجوع والبرد) (الناصري ٣١١) .

(وربما نزل البرد بهذه البلاد يحاكي في الكبر يفيض الدجاج فيهلك الناس والدواب) . (الناصري ٢١٠) .

وفي بندر الوجه (هب على الناس ريح السموم وتسقيهم من نضيج البحموم واشتداد الحر وتوالي الكرب على الناس واشتد العطش على الرجال فبركت الابل وفرت لظلال الأشجار ... مات من المغاربة زهاء الستين ... نساء وصبياناً ورجالاً وولداناً هذا ما رأينا عياناً) (الدرعي ٩١) .

ووادي النبط (واد كبير بين جبلين لا سعة فيه في النبط إلى الخضيرة فاذا طلع النهار واشتد الحر حجبت الجبال عنه الهواء فينعكس خرياً أو شرقاً صاعداً مع الوادي أو منهبطاً فيصير سميماً محرقاً ولا ماء هناك من النبط إلى البنبوع وربما اتلف الناس فيه العطش فتموت المئات بل الآلاف في اسرع مدة) (الدرعي ٩٧) .

وعمليات قطع الطريق وما ينشأ عنها من مضاعفات خطيرة لم تكن تخلو منها بلد من البلدان ، فالرحالة المغربي الدرعي الصغير الذي حج عام ١١٥٢ هـ ، أثبت في مذكراته عن هذه الرحلة مقارنة عجيبة ، فقد قطع المسافة مسابين فاس وايمتنانوت (بسوس) خلال ثلاثة اشهر وسبعة أيام وهي نفس المدة التي قطع خلالها المسافة ما بين طرابلس الغرب ومكة (وهذه مسافة عشرة أيام بيننا وبين فاس قطعناها في ثلاثة أشهر وسبعة أيام مع ما لقينا فيها من الأهوال والأمور المفزعة وما ذلك إلا لقلة الأحكام وكثرة الفساد ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) (الصغير ٢٧٢) .

وعن أسماء بعض القبائل التي ورد ذكرها في المخطوطات ، هناك :

- عرب بني عطية عند خليج العقبة .
- اعراب مدين عند بلدة مدين ويدعون العميرات .
- عند المويلح أعراب بني عقبة ومغارة .
- عند اكراه اعراب هتم .
- عند الحوراء اعراب جهينة .
- قرب بدر عرب صبح .

- قبائل حرب بلادهم من الدهناء إلى الطائف إلى المدينة المنورة .
- اعراب عترة عند منطقة هدية .
- قرب ينبوع اعراب الاحويطات وبنو سعد .

المظهر الفكري :

أبرزت مخطوطاتنا في هذا الجانب :

١ - دور مكة والمدينة كمركزين ثقافيين رئيسين في بلاد الحجاز لمكانتهما الدينية .

٢ - حلقات العلم في بيت الله الحرام والمسجد النبوي الشريف لمختلف العلوم ، ولكل منها كراسي خاصة وأماكن معينة وأوقات محدودة .

٣ - العلماء ينتمون إلى مناطق مختلفة من العالم الاسلامي شرقاً وغرباً ، وتضمن هذه المخطوطات قوائم طويلة لهؤلاء العلماء خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر للهجرة .

٤ - لكل عالم اختصاص خاص ومؤلفات عديدة في ميادين اختصاصه وتتوفر مكتباتهم الخاصة على مؤلفات لا حصر لها ، وكثيراً ما كانوا يطلعون عليها طلبتهم ويسمحون لهم بالنقل عنها . أي أن حلقات العلم لا تقتصر على المسجد وحده وإنما تنعقد في منازل العلماء أيضاً (فكانت بيني وبينه محبة وقال لي كلما تحتاج من الكتب للنظر فعندي) (الصغير ٧٦) .

(ذاكرنا في مسائل من العلم واطلعنا على جملة مؤلفاته ومصنفاته وهي كثيرة) (الاسحافي ٢٨٧) .

ولما كان قسم هام من المصادر التي اطلع عليها حجاجنا قد ضاع أو وقع به تحريف وغيره فإن مخطوطاتنا قد أصبحت مصدرنا الأول حسب القاعدة المعروفة (اذا ضاع الاصل حل الفرع محله) .

٥ - لقد أجاز هؤلاء العلماء طلبتهم المغاربة في شتى أنواع المعرفة ، وكل إجازة تتضمن التعريف بالعالم وموطنه وشيوخه الذين درس عليهم ، وموضوع

الاجازة . كما تحمل اسم طالب العلم المجاز وتوقيع العالم ونخاته وتاريخ
الاجازة .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنفرد بصفتي الجمال والجلال وشرع الحرام والجلال .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الهادي من الضلال وعلى آله واصحابه
الذين خصهم الله بأعظم الأعمال ومن تبعهم من ورثة الانبياء على أحسن حال
مستديمين إلى يوم ظهور محامد الصفات ومحاسن الجلال .

أما بعد فإن الاجازة من سنن العلماء العاملين ومن طريقة الناسكين والعاملين
ولهذا طلب مني ذلك وان لم اكن أهل لذلك من هو بالعلم موصوف والكمال
معروف الشيخ عبدالله ابو مدين ابن احمد الصغير الدرعي فاجبته للملك فاقول :
قد أخذت فقه الحنابلة عن مولانا مفتي الحنابلة في المدينة المنورة الشيخ ابراهيم
بن محمد سنده المعروف وعن السيد مصطفى القادري البغدادي سنده المعروف
أيضاً واجزته بذلك حسبما اجازاني واساله ان لا ينساني في دعواته .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين وتابعيهم باحسان إلى يوم
الدين حرر يوم الخميس الثالث من شهر ذي الحجة عام ثلاثة وخمسين ومائة
والف .. كتبه الفقير إلى الله تعالى محمد حديدي الحنبلي بن الشيخ محمد سنبل
الفقيه بالمروة . (الصغير ص ١٩٣ - ١٩٤)

٦ - وإلى جانب التدريس يتولى العلماء أيضاً مناصب القضاء والفتوى
والإمامة والخطابة والشهادة ، وان رغبوا عنها لما أصبح عليه الأمر من الترام
وبيع وشراء لهذه المناصب (واما الخطبة فهي كالامامة موزعة بين فقهاء المدينة
لكل واحد مقدار معلوم من الايام على قدر حصته التي يأخذها من جامكية
الخطباء) (العياشي ٢٨٨) .

٧ - وقف مدونون مخطوطاتنا طويلاً عند تسجيل الاحداث التي عرفتھا
الأماكن المختلفة التي مروا بها ما بين العقبة والطائف ، دون ان يغفلوا عن
ذكر الأوضاع القائمة ، وقد رجعوا في ذلك إلى مصادر ومراجع عديدة في

المشرق والمغرب ونقلوا عنها الكثير من المعلومات ، مما جعل مذكراتهم أشبه بدائرة المعارف بالنسبة لكل منطقة أو مدينة ، أو قرية .

٨ - في الحرمين الشريفين مكتبات عمومية تتوفر على العدد العظيم من المؤلفات الهامة في مختلف العلوم والفنون ، وقد رجع إليها رحالتنا ونقلوا عنها :
(... خزائن الكتب العلمية الموقوفة بالحرم الشريف يستعير منها الناس للقراءة) (العياشي ٢٨٤) .

(فصل في ذكر ما شاهدته بمكة من الكتب مما لم أكن رأيت أو الا نادراً في خصوص خزائنها) (الناصري ٢٨١) .

(انتهى كلام ابن رشيد رحمه الله حسبما نقلته من نسخة عليها خطه وإجازته لتلميذه وصاحبه عبد المهيمن الحضرمي رحمه الله تعالى رأيت هذه النسخة بمكة المشرفة عدة أسفار) . (العياشي ٢٢٨) .

٩ - قيام بعض علمائنا الحجاج بالتدريس في الحرمين الشريفين :

(لما كان أول شهر صفر أبحاني أصحابنا المالكية بالمدينة المنورة أن أقرأ لهم مختصر الشيخ خليل في فقه مالك ... فابتدأت قراءته في مؤخر المسجد بالجانب الغربي منه وكانت قراءتنا من بعد صلاة العصر إلى قرب المغرب) (العياشي ٢٨٦) .

١٠ - من عادات علماء الحرمين انقطاعهم عن التدريس يومي الثلاثاء والجمعة (ومن عادة المدرسين بالمدينة تعطيل القراءة في المكاتب والتدريس يوم الثلاثاء والجمعة) (العياشي ٢٨٩) .

١١ - وكما نقل حجاجنا الكثير من علمائهم في الحرمين الشريفين ودونوا ذلك في مخطوطاتهم ، قام البعض منهم بشراء العديد من المؤلفات في الموضوعات المختلفة . وفي مكتبائنا اليوم عدد من هذه المخطوطات انما لا يوجد بها ما يؤكد بأن نقلها إلى المغرب قد تم في هذه الفترة المتحدت عنها ، ومن ذلك على سبيل المثال :

- اخبار مكة محمد بن عبدالله الازرق الخزائن العامة بالرباط
ق ٤٣

- العقد الثمين في تاريخ البلد الامين الخزائن العامة بالرباط
ك ٣٣٥٦

- النبذة اللطيفة شهاب الدين القليوبي الخزائن العامة بالرباط
ك ١٤١١

- الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها والبيت الشريف
لمحمد جار الله بن القاضي القرشي
الخزائن العامة بالرباط
ك ٢٤٥

الأحوال السياسية :

أهم ما دونه مخطوطاتنا في المجال السياسي لبلاد الحجاز خلال القرنين
الحادي عشر والثاني عشر للهجرة :

١ - التعرض لآوضاعها العامة المتمثلة في :

أ - انحصار مناطق نفوذ العثمانيين وشريف مكة .

ب - التزام المناصب الشرعية .

الامر الذي نتج عنه مضاعفات خطيرة أبرزها :

(١) انعدام الامن بوجه عام في البوادي والمدن .

(٢) الجهالة الجهلاء التي أصبحت عليها الأغلبية العظمى من الناس .

(٣) انتشار البدع المختلفة .

٢ - الدعوة إلى إصلاح العباد والبلاد :

أ - بمحاربة البدع .

ب - بالعودة بالناس إلى الدين الاسلامي القويم .

ج - بإقرار الأمن في ربوع البلاد .

٣ - وعندما قامت حركة الاصلاح بقيادة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في منتصف القرن الثاني عشر للهجرة وتزعم جيوش الموحدين حفيد الشيخ الأمير عبد العزيز ، تردد صدى الحركة في بعض مخطوطاتنا هذه .

لقد لاحظت حجاجنا انحصار النفوذ العثماني في مراكز محدودة :

— في بندر المويلح (هناك حصن كبير فيه عسكر) (الدرعي ٩٣) .

— في بندر الوجه (حصن حصين في جرف واد كبير) (الدرعي ٩٤) .

— في جدة (في كلا طرفيها حصار متقن البناء فيه مدافع كثيرة وعسكر لا يفارقه وقد رأيت في الحصار القريب منها ما يستغرب وصفه من المواقع طولاً وكبراً ورأيت بها مدفعاً له خمسة أفواه بصنعة غريبة) (العياشي ١٠٤) .

— وفي المدينة « كبير العسكر الساكن بالقلعة » (العياشي ٣٠٩) .

كما أن نفوذ شريف مكة لم يكن يتجاوز أحياناً ربضها (عمالتها اليوم من خارج جدة والطائف والظهران وما كان بالقرب منها هو الذي في إيلة أميرها وقد كانت إيلاتها من قبل أوسع من هذا) (الناصري ٢٥٣) .

ومما زاد في اضطراب الأوضاع بالبلاد التزام المناصب الشرعية :

(والحاصل ان المناصب الشرعية كلها في البلاد الشرقية حجازاً أو مصرأ أو شاماً من إمامة وخطابة وأذان واقامة وقضاء وفتوى وشهادة بل ووقيد المساجد انما تنال بالشراء من الولاة فاذا مات صاحب خطة او عزل دفع الراهب فيها مالا للولاة فيولونه مكانه على أي حال كان من صلاحيته لذلك ام لا ، فعظم الخطب على المساميين والاسلام في ذلك خصوصاً مناصب القضاء) .

(العياشي ٢٨٨) .

وهكذا كان من مضاعفات الأوضاع السياسية السيئة ان مهد الاسلام لم
بعد يعرف طعماً للسلام بسبب :

١ - انعدام الامن بوجه عام :

(وأعراب الحجاز اليوم لاتنالهم الأحكام الشرعية من ناحية من ولي الحرمين)
(الناصري ٢٥٣)

وقبائل حرب (التي عصرت في البلاد الحجازية مسافة اثني عشر مرحلة ...
ينفقون على مائة الف رجل لا يقيمون وزناً لقبيلة من قبائل الحجاز أصلاً مع
ما هم عليه من الظلم والحراقة والتوغل في الفحش والجهل) .

(الناصري ٢٢١)

الأمر الذي يخشى معه حدوث ما لا تحمد عقباه (وأخشى ان طال هذا
الأمر أن يتعطل الحج) .
(الناصري ٣١٠)

وحق في الحرمين الشريفين لا يأمن الانسان على نفسه وماله :

ففي مكة (السراق يهجمون على الناس هجوماً ويعظم أذاهم في أيام
الموسم لقلة الحكم بتهاون الحكام ولارتقاء العنان لهم) .

(العياشي ١٩١) .

وفي المدينة (وعلى طول إقامتي بالمدينة لم ادر كيفية تصرف الولاة فيها ولا
من له التصرف التام بها) (العياشي ١٩١) .

فلا عجب والحال كما ذكرنا ان يثير انتباههم وجود بعض الأمن في
نواح من الحجاز (وقد شاهدنا في هذه الحضرة من العافية التي بسطها الله في
الطرق والقرى والامان التام ما قضينا منه العجب) (العياشي ١٣٢) .

٢ - وللجهالة الجهلاء التي أصبحت عليها أغلبية المسلمين :

(قدم خلق كثير من الأعراب ... واكثرهم عرب جفاة ليس لهم من
دين ولا مذهب جلهم لا يعرف صلاة وصوماً ... وبالجمله فعرب الدرب

والحجاز ونهامة ونجد أجهل العرب وأكثرهم جفاء قلما نجد أحدهم يحسن شيئاً من رسوم الشريعة الظاهرة من صلاة وصيام (إلا القليل) (العباشي ٣١٢) .

٣ - ثم لانتشار البدع الضالة التي أثرت في عادات الناس وأخلاقهم ، من ذلك تصرف الحجاج في موضع (يسمى السقائف ويقال له دار الوقدة يقدون فيها الشمع الكبير ... وشاع عندهم ان الصحابة في غزوة بدر أوقدوا هنا ناراً ... وكم مثلها من بدعة محدثة يرى الناس أنها من أعظم القربات)

(العباشي ١٨١) .

وفي بدر (هضبة في الجبل ... والحجاج يتمسحون به ويتطارحون عليه ... رأيت هناك حجراً مخروطاً شبه مغارة ينزل الناس متبركين بها ... ويؤثرون في ذلك خرافات لا أصل لها) (الناصري ٢٢١) .

وقد بلغت الجرأة والتطاول بالبعض ممن التقى بهم الشيخ العبّاشي في المدينة حدا جعل شيخنا يدوي بصريع العبارة (وهذه جرأة عظيمة منه قاتله الله ... إلا أن الاهتمام بمثل هذا في هذه الأوطان أعرب من غريب) (العباشي ٢٨٤) . ونتيجة للأوضاع السيئة التي آلت إليها أحوال العباد والبلاد توجه حجاجنا بالدعوة إلى الله أن يهيء لمهد الاسلام من يحارب البدع ويعود بالناس إلى مبادئ دينهم القويم حتى يعم الأمن وتصلح أحوال المسلمين :

(فعرب الدرب والحجاز ونهامة ونجد أجهل العرب وأكثرهم جفاء قلما نجد أحدهم يحسن شيئاً من رسوم الشريعة ... فمتى يعرف هؤلاء صلاة أو صياماً أو حداً من حدود الشريعة ؟) (العباشي ٣١٢) .

(وكم مثلها من بدعة محدثة يرى الناس أنها من أعظم القربات نسأل الله ان يثبتنا على سنة النبي المستقيمة لا نرى فيها عوجاً ولا امتاً) (العباشي ١٨١) . (والسراق يهجمون على الناس هجوماً ... لقلّة الحكم بتهاون الحكام) (العباشي ١٩٢) .

(فلو قبض الله الأمراء لمنع الناس من التسوق فيه أيام الموسم لكان في ذلك نفع كبير) (العياشي ١٩٢) .

(ولو قبض الله لذلك الموضع من يعمره لكالت فيه أي إصانة للحجاج ، ولكن الله يفعل ما يريد) (العياشي ٢٣١) .

فالأوضاع التي امتنكرها بعض حجاجنا ممن زاروا البلاد خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر للهجرة والنصف الأول من الذي يليه ، والأماشي التي عبروا عنها لانقاذ البلاد والعباد هي نفس المبادئ التي ستقوم عليها حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عند منتصف القرن الثاني عشر للهجرة والمتمثلة خاصة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعودة إلى مبادئ الدين القويم .

وعندما انطلقت حركة الإصلاح الوهابية بزعامة الأمير عبد العزيز بن سعود ، رددت بعض مخطوطاتنا صدى ذلك :

١ - التأكيد على ان الإصلاح ليس وفقاً لى جهود الحاكم وحده :

(و عهدنهم على الأمير وعلى كل من له على ذلك طاقة) (الناصري ٢١١) .

وهذا تأييد صريح للحركة الإصلاحية بعد ان عجزت السلطة القائمة عن تحقيق ذلك .

٢ - تفصيل القول في القبائل التي تجاوزت مع الحركة الإصلاحية وعمليات الانتقام التي تعرضت لها من قبل شريف مكة :

(و اعراب الحجاز اليوم ه عام ١١٩٦ ه ، غالبهم لا تفاهم الأحكام الشرعية من ناحية من ولي الحرمين ... وفي سنتنا هذه وقعت دائرة بينه وبينهم ... ومع ذلك لم ينقادوا له ولا اقاموا له وزناً وحجة الأمير عليهم انهم يتحزبون عليه من والاهم من الاعراب فنكتوا بيعته بعد ان دخلوا فيها) (الناصر ٢٥٣) .

ومن أهم المناطق التي انضمت للحركة الإصلاحية التي تعرضت لنقمة شريف مكة :

(وقد وصلناها « اي الجديدة » ووجدناها مخربة خربها سلطان مكة سرور
عند توجهها إلى المدينة) (ابن عثمان) .

(ووجدنا أهل رايع فارين من بيوتهم خوفاً من الشريف سلطان مكة)
(ابن عثمان) .

(وحتى قديد خربها سلطان مكة في وجهته هذه إلى المدينة) (ابن عثمان)
(الوجه ... دائر من العمارة في هذا الزمان) (١١٩٦ هـ) (الناصري)
(٢٠٩) .

(قديد ليس به الآن عمارة ولا نخل ولا بستان) (الناصري ٢٣٠)
(خلبص اليوم خالية ما بقي بها إلا أثر انقاضها) (الناصري ٢٣١)
— وعندما قامت الحركة الإصلاحية وتمكنت من القضاء على بعض البدع
كبذعة دار الوقود سجلت مصادرتنا ذلك :

(دار الوقود كانت من قبل دار الحاج وبها يوقدون الشمع ... والآل
(عام ١١٩٦ هـ) لا ينزلها الركب غالباً) (الناصري ٢١٧) .

وفي الختام تعكس بعض مخطوطاتنا أملها الكبير في نجاح حركة الإصلاح
لينعم مهد الاسلام بالرخاء والطمأنينة والسلام (لا أحرمننا الله من العودة إليها
مع امننا) (الناصري ٢١٦) .

وعند مطلع القرن الثالث عشر للهجرة كانت الجزيرة العربية تعرف صراعاً
قوياً وتطوراً هاماً بعد ان نجحت الحركة الجديدة في نجد في الحصول على تأييد
(كثير من الناس ... وانتقلت أخلاق الاعراب من التوحش إلى الانسانية ...
وانعدم الشر ... واحبتهم سائر الامم) (ابن سند ١٦٧) .

وبعد ان دخل الاعراب في العقيدة التي تدعو إلى كتاب الله وترك البدع
(الجبرتي ٢٠٧) .

الدكتور عبد الكريم كُرَيْم

في رحاب الحرمين

- ١٢ -

وتواصل السير مع الرحالة العياشي المغربي ، بتلخيص ما يتعلق بالحجاز من رحلته « ماء الموائد » فقد وصف الآثار التي شاهدها في مكة .. وذكر الأمكنة التي ينبغي أن تزار فذكر من بينها جدة والطائف - وقد نشرنا كلامه عنهما كاملاً منذ بضع سنوات - والجعرانة ، وقد تقدم حديثه عنها في الحلقة الأولى من ملخص الرحلة .

لقد أدّى مناسك الحج سنة ١٠٧٣ وسنكتفي بعرض لمحات من مشاهداته بإيجاز ، إذ الكلام عن الحج ومناسكه ومشاعره ، وما يفعله المرء من الاستعداد لأدائه من الأمور التي تتكرر في كل زمان عند جميع من كتبوا عن ذلك

المبيت بمنى قبل الوقوف : قال : (وكان نزولنا بمنى فوق مسجد الخيف بسفح ثبير... وبتنا تلك الليلة بمنى ولم يبت بها إلا المغاربة وقليل من غيرهم ، وكثير من الناس ذهبوا إلى عرفات وذلك دأبهم منذ أزمان فقد قال الخطاب : وهذه السنة - أعني المبيت بمنى هذه الليلة - قد أميتت منذ أزمان ، وقد ذكر ذلك كثير من المرتحلين كابن رشيد والعبدي ومن بعدهما ، وذكروا أن الخوف يمنع من المبيت هناك بعد ذهاب الأركاب .

وصف الموقف النبوي بعرفة : قال العياشي : (إلى أن وصلنا إلى موقف النبي ﷺ وما عرفناه قبل هذه السنة (١٠٧٣) هـ وبعث معنا شيخنا أبو مهدي رجلاً دلتنا عليه ، وهو تحت موقف الإمام اليوم في أصل الجبل على صخور مفرشة ، وبني على تلك الصخور محوط شبه مسجد (١) .

(١) : « المباشية : ١/١٩٢ .

ثم وصف الانصراف من عرفة ، والتزول بمزدلفة ، وقال : (وهدلنا
يمينا واستندنا للجبل ونزلنا - في المزدلفة - فلما غاب القمر أخذ السراق يرموننا
بالأحجار من الجبل لقربنا منهم ، وكان ظنهم أنهم يخرجوننا من الرحال بذلك
فيصادفوا فرصة ، فكفانا الله شرهم) (١) .

وادي النار (محسر) : وقال : (وسرنا حتى جئنا وادي النار ، وأسرعنا
به وهو أول ما تحاذي البركة الخربة التي على يسارك إن مررت بطريق
الأركاب ، وأنت ذاهبٌ إلى منى حتى تأخذ في الطلوع إلى منى ، وترتفع بك
الأرض ، وبهذا عَرَفَهُ أعلم عصره بالمناسك خليل المكي حسبما نقله عنه
البلوي في رحلته ، إذ سأله عن (٢) حدة) ونقل في موضع آخر عن رحلة ابن
رشيد (٣) ما نصّه : قال أبو عمرو بن الصلاح : وأول مُحَسَّر من القرن
المشرف من الجبل ، الذي على يسار الذهاب إلى منى ، ثم يخرج منه سائراً إلى
منى سالكاً للطريق الوسطى التي تخرج إلى الكعبة (٤) وليس من مُزْدَلِفَةٍ ولا
من منى ، وهو مسيل ما بينهما) (٥) انتهى .

في منى أيام التشريق : قال (ثم جئنا إلى منازلنا بمنى ، وكان نزولنا وراء
المسجد قرب الغار الذي نزلت به سورة المرسلات على النبي ﷺ وخبره
مذكور في الصحيح ، وقد بني على بابه محوط شبه مسجد صغير ... وهو في
أصل جبل ثبير ، بينه وبين مسجد الخيف رمية بحجر .

وكان نزولنا في هذا المحل إثاراً لقرب هذا المكان وقرب المسجد ، مع
كونه أنظف وأوسع ، وأقرب للجبل الذي يشرف منه على منى كلها ، وهو
أسر وأمكن للإنسان في حاجته ، والناس يتحامون القرب من الجبل تقية من
أذى السراق ، يستجير بعضهم ببعض ، ويفرون إلى الدخول في غمار الناس ،
لا يبالون بما نالهم في ذلك من وطء الأقدام ، وتقطيع الجبال ، وتعفن الأرجاء ،

(١) : « العياشي » ١/١٦٤ .

(٢) : « العياشي » ١/١٦٥ .

(٣) نشرت « العرب » كل ما يتعلق منها بالحجاز .

(٤) : « الرحلة العياشي » ٢/٢٥٥ .

واستنشاق الروائح الكريمة ، ونحن استسهلنا أمر السرقة في جنب هذه المضار ،
وكان مترلنا أنظف المنازل وأحسنها وأبعدها عن الأذى وأبهجها (١) .

وصف سوق منى :

(ثم في الغد عمرت الأسواق ، وكثر الاتفاق ، وخرجت البضائع ذوات
الأثمان وصنوف التجارات ، وتزاحم الناس على الشراء رجاء لبركة ذلك
المكان ، وأكثر التجار يقولون : إن من اشترى شيئاً من منى وجعله في تجارته
وجد بركته ، وظهرت له ثمرته ، ولا يبعد ذلك فإنه موسم شريف ، ومحل
بركة ، يأتيه الناس من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم) (٢) .

ذبائح منى : (وقد ذبح في منى في ذلك اليوم والذي بعده من البقر والغنم
ما أحسب الغني والفقير ، وكفى الوارد والمستوطن ، وامتلات الطرقات
وأفنية المنازل باللحم ، وأما الجلد والساقط والآكارع فلا ترى أحداً يأخذها ،
بل بقي كثير من الغنم غير مسلوخ إلى أن ارتحل الناس من هناك ، لم يمسه
الناس ، فمن الفقراء من يأخذ نحواً من عشرة من الغنم ، فيبيعون لحومها
بأرخص ثمن ، ويبسسون ما قدروا عليه ، ضيافة الله الذي لا يقدر أحد على كفاية
خلقه سواه ، فقد ورد من آفاق الأرض أصناف من الخلق لا تحصى ، أغنياء
وفقراء فأكل الكل من ضيافة مالكمهم ، وتزودوا ما قدروا ، وفضل ما أعجز
الطير والوحش والهوام ، فأقسم لقد مررت بهذا المكان بعد سنة أو قريباً من
ذلك في قفولي من الطائف فوجدت به عدة كثيرة من الغنم قد يبست جلودها
على لحومها وعظامها لم تُمسَّ إلى أن صارت مثل الخشب من يبسها) (٣) .

المنازل في منى : (وبعد الفراغ من الرمي جئت لمنزله شيخنا تاج الدين
فوجدت عندهم شيخنا سيدي عيسى الثعالبي ... ولأهل مكة - خصوصاً
الأكابر من أهل الوظائف كالعلماء والأمراء والتجار وأكابر البلد - منازل

(١) : « المياشية » ١ / ١٩٨ .

(٢) : « المياشية » ١ / ١٩٩ .

(٣) : « المياشية » ١ / ١٩٨ .

بمبنى يتزلونها أيام الموسم ، متتمة البناء ، غالبها مشرف على السوق فيها غرف عالية ، ومطابخ ومرافق ، وربما نزلوها في بعض الأحيان في فصل الربيع فصل التفرج ومترل شيخنا تاج الدين المالكي هذا من أحسن المنازل ، له مصطبة موقفة بجانب الطريق ، لها شبايك (^(١)) .

الليلة الثانية في منى :

(ولما كانت الليلة الثانية من ليالي منى بالغ أهل مصر والشام في إيقاد المصاييح ، واتخاذ المصانع منها (^(٢)) ، وصور الأشجار والأحذية ، وأكثروا الرمي بالمدافع والبنادق والمحارق المرتفعة في الجو ، وفعل مثل ذلك السلطان زيد ، وفي ذلك نزهة للأبصار ، وتسلية للأفكار ، وعجال للاتعاط والاذكار ، والقبول والإنكار ، مترل جمع أصناف العباد ، وحشر إليه عمائر البلاد ، فهو أجمل الأندية ، ومبانيه أحسن الأبنية ، تشرق بالنهار فساطيطه الموقفة ، وبالليل مصاييحه المشرقة) .

ثم وصف ما شاهده من الآثار في منى ، ومنها :

مسجد العقبة : قال : (وهذا المسجد هو المكان الذي بايع الأنصار رضي الله عنهم بيعة العقبة ، فهو من المساجد المنسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم .. وهو في الشعب تحت جمرة العقبة يسير على يسارك وأنت ذاهب من مكة إلى منى) (^(٣)) .

مسجد الخيف : (وهذا المسجد يسمى مسجد علي ، قيل ان علي بن أبي طالب رضي الله عنه أول من بناه ، وهو موضع مترل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في حجة الوداع .

وطول هذا المسجد من المحراب إلى الباب الذي يقابله ٤٠٠ قدم وعرضه ٣٤٠ وبوسط المسجد قبة مثمثة كل ثمن منها ٢٤ ذراعاً من خارجه .

ورأيت في بعض التواريخ أن في محل هذه القبة كان فسطاطه عليه السلام

(١) : « العياشي » ١٩٩/١ .

(٢) : « العياشي » ٢٠١/١ .

(٣) : « العياشي » ١٩٨/١ .

وصحن هذا المسجد كبير ، إذ المسقف منه مقدمه نحو أربعة صفوف ، ومن سائر الجوانب غير مسقف .

. مسجد النحر بمعى : (مسجد النحر وهو موضع منحر النبي ﷺ ، وهو في وسط الدور مقابلة الجمرة الوسطى ، وما عرفته إلا في هذه السنة (١٠٧٣ هـ) دلى عليه شيخنا أبو مهدي ، وهو مسجد واسع حسن البناء إلا أنه انهدم أكثره ، وتلوث بالأقذار والكناسات) (٢) .

مسجد الكبش : (وهو في شعب مقابل الجمرة الوسطى على يمين الذهاب إلى العقبة ، وهو بين صخور كبار ، ليس حوله ديار ، ويقال إنه الموضع الذي أخذ فيه إبراهيم عليه السلام الكبش الذي فدى به الذبيح عليه السلام ، وهناك ذبحه) (٣) .

انتهاك المساجد والمزارات خارج مكة : وقال (وغالب المساجد والمزارات التي هي خارج مكة تنتهك في أيام الموسم ، ويترها الناس بدوابهم ، ويطبخون فيها من غير تكبر ، وهي من البلايا العظيمة) (٤) .

التعجل من منى : (وفي اليوم الثالث تعجل الناس كلهم وتلك عادتهم ولم يبق إلا ركب أهل العراق ، وكلمنا أصحابنا المغاربة فأبوا إلا الاستعجال لشراء القماش بمكة ظناً منهم أن بتأخير يوم يفوت غرضهم ، ولم يشعروا أن ما فاتهم من ثواب هذه الليلة وإحياء هذه السنة أعظم مما يدركون من الغرض العاجل مع أنه لا يفوتهم ولو تأخروا) (٥) .

— ولما زالت الشمس من اليوم الرابع ارنحلنا من منى ورمينا الجمار بلا زحمة إذ لم يبق بمعى إلا نحن وركب أهل العراق .

(١) : د العياشي « ٢٠٤/١ » .

(٢) : د العياشي « ٢٨٢/٢ » .

(٣) : د العياشي « ٢٨٤/٢ » .

(٤) : د العياشي « ٢٨٢/٢ » .

(٥) : د العياشي « ٢٠٤/١ » .

ثم سرنا حتى نزلنا المحصب ، ولم يحصب أحد سوانا ، بل كثير من الناس لا يعرفونه ، وتعجبوا من نزولنا هناك ، وصلينا بالمحصب الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، وبعده أخذنا في الرحيل فأصابنا مطر وابل ، ولم يمكننا المرور وسط مكة للزحمة والظلمة فعدلنا ذات اليمين إلى كداء ، ومررنا وراء الجبل حتى نزلنا أسفل ذي طوى بالمحل المسمى بالشبيكة ، وهناك يتزل الركب المغربي ، وبتنا هناك ثم تركنا هناك خباءنا وإبلنا وبعض أصحابنا ودخلنا إلى مكة ، ونزلنا بالمكان الذي أكثريناه قرب باب إبراهيم ^(١) .

وصف منى قبل نزول الحجاج فيه : وتأملت بسيط منى وشعابه ، وتبينت سمعتها وامتدادها ^(٢) ، وكانت في أيام الموسم ربما ينحيل إلى الناظر ضيقها لكثرة الخلق ، ومن رأى منى وما حولها من الأماكن في غير أيام الموسم علم حسن تشبيه من قال : من أراد أن ينظر إلى الدنيا بعد انقراض أهلها فلي نظر إلى منزل الراكب بعد ارتحاله . ومنى في أيام الموسم هي الدنيا بأسرها ، قصور عالية ، وأسواق حافلة ، وجنود مجندة ، وملابس فاخرة ، وأطعمة شهية ، ومراكب هنية ، وبضائع غير معدودة ، ومتاجر ثمينة ، إلى أنواع العبادات من تكبير وتهليل ، وصلاة وقراءة ونحو ذلك ، وإطعام طعام ، ورمي حجار ، وما الدنيا محمودها ومذمومها إلا ما ذكرنا .

ولا تمر على ذلك كله ثلاثة أيام حتى لا تحس منهم من أحد ولا تسمع لهم ركزاً ، فلا ترى في منازلهم إلا عظاماً نخرة ، وخرقاً بالية ، وفضلات متنتة ، وغذاءً أحوى ، وقتاماً أغبر ، تسفيه الريح وتذروه ، وهذا هو الحقيقي (٣) للدنيا ، فليعتبر أولو الأبصار ، من سكان البادية والأمصار ^(٤) .

الأمم في الحجاز في عهد الشريف زيد :

تقدم وصف مشاهدة العياشي لموكب أمير مكة ، وثناؤه على ذلك الأمير

(١) : « العياشي » ٢٠٥/١ .

(٢) في ٢٤ ذي القعدة سنة ١٠٧٣ .

(٣) : « العياشي » ١٢٥/٢ .

بحسن السيرة ، وانتشار الأمن في عهده (١٠٧٣ هـ) وقد تحدث عن ذلك في مواضع أخرى منها قوله : (وقد شاهدنا في هذه الحضرة من العافية التي يبسطها الله في الطرق والقرى ، والأمان التام ما قضينا منه العجب فمن ذلك أنا ألفينا عيراً في ليل مظلم ، تحمل أحمالاً من البزّ الهندي والقماش الرفيع نحو عشرين جملاً ، وطلبنا أحداً من أصحابها نسأله عن خبر البلد فلم نجد معها أحداً ، وذهبنا نحواً من ميل فوجدنا أصحابها في قهوة مستريحين ، وأخبرونا أنها لو ذهبت كذلك إلى مكة لم يتعرض لها أحد ، وأخبرونا بعجائب من مثل ذلك وقعت في أيام زيد ووالده محسن ، فمن ذلك أنهم زعموا أن رجلاً جاء للسلطان محسن فقال : إني وجدت بالبلاد الفلانية حملاً من البزّ في الطريق . فقال له : ومن أخبرك بأنه البز فقال له : مَسَسْتُهُ برجلي . فأمر بقطع رجله وقال : لِمَ مَسَسْتُهُ برجلك ؟ إلى غير ذلك من أمثال هذه الحكايات لا نعلم صحيحها من سقيمها . ومن لطيف ما شهدناه من أمان هذه الديار وعافيتها أن المسافرين من مكة إلى جدة ، أو من جدة إلى مكة يكرّون الحمير للركوب ولا يذهب صاحب الدابة معها ، فإذا ذهب المكترى إلى المحل الذي يذهب إليه أرسل الحمار ، ولا عليه منه ، فلا يأخذه أحد إلا ربه إن كان في ذلك البلد أو نائبه ولكل واحد من أصحاب الدواب نائب في غير البلد الذي هو فيه يعرف دابته ويقبضها حتى يكرّرها له . ممن يرجع إلى البلد الذي هو فيه (١) . وقال أيضاً : وأعانهم - يعني الجمالين على قطع المسافات ، ما بسط الله في تلك البلاد من العافية الوافية ، فلا ترى لصاً ولا سارقاً في ليل ولا نهار إلا في قرب من المدينة - كما تقدم - . وإنما تشتعل نار الحرية والسرقة في تلك البلاد أيام الموسم فقط لاختلاط الناس واجتماع الأوباش من كل أوب . وقد عاينّا من الطمأنينة في الطريق والعافية والسكون في مسيرنا هذا ما قضينا منه العجب ، لأننا ما كنا نسلك هذه البلاد إلا في أيام الموسم ، ونعابن ما يقع بها من النهب والسرقة والروعات المتوالية ، فظننا أنها كذلك دائماً (٢) .

(١) : د العياشي ، ١٠٩/٢ .

(٢) : د العياشي ، ٩٣/٢ .

ومع ذلك فقد تحدث حوادث كثيرة ، وقد يلاقي الحجاج من عنث
الجمالين وأذاهم الكثير .

المكاريون من عرب الحجاز : قال : (واكثرينا من عند أناس من عرب
الحجاز ، ليس لهم دين ولا مروءة ، كلما عقدنا معهم عقداً ، حلوه ،
وأبرمنا أمراً نقضوه ، طلباً لزيادة في الكراء ، إلاً بعد شدّ الأحمال على
الجمال .

ثم سرنا - من مكة - مع رفقة ليس فيها أحد من أبناء جنسنا وضافت
علينا الأرض بما رحبت ، وأساء الأكرياء معنا في الركوب والنسزول
والحملان ...

ونزلنا في خليص ، في رأس العين بفهاوي هناك ، واستطال علينا
المكاريون ، إذ ليس بالقافلة أحد من المغاربة وقالوا : إن أمتعتكم ثقيلة ، فلما
أن تزيدوا في الكراء ، وإما أن نطرح لكم أمتعتكم هنا حتى يقدم عليكم
الركب ، وزدنا لهم في الكراء .

والحاصل أن ما أكثرينا به من مكة إلى المدينة أزيد مما أكثرى الناس من
مكة إلى مصر ، واغترفنا ذلك كله رغبةً في إقامة أيام بالمدينة قبل الركب فأكمل
الله مرغوبنا .

عزرة في طريق المدينة : وقال : (ولما ارتحلنا من جديدة جدوا في السير ،
وساروا سيراً حثيثاً . ونزلنا قبور الشهداء عند طلوع الشمس ، ثم ارتحلنا
من هناك قبل الظهر ، وساقوا سوقاً عنيفاً ، وكانوا يتخوفون عادية من لصوص
عنزرة في تلك المسافة ، وما غابت الشمس حتى دنونا من جبل مفرح .

وكان معنا في القافلة شيخ حرم المدينة ، تجدد في تلك السنة ، وقدم من
اصطنبول ، وعزل الذي كان قبله ، فقدم مكة أولاً وحجاً ، ثم سار إلى
المدينة ، وعندما وصلنا السبيل الذي هناك وجدنا طائفة من عسكر المدينة جاءوا
يتلقونه ، فأمن الناس واطمأنت قلوبهم ، وخرج شيخ الحرم من محفته ولبس

أحسن ثيابه ، وركب فرسه ومرتنا سيراً حيثما فوصلنا ذا الحليفة نصف الليل ^(١) .
وقال أيضاً : (وكان المحل - من ذي الحليفة إلى الفريش ، محلّ خوف ،
لأن تلك المسافة يطرقها لصوص عترة ، وهو في درك بني سالم ومنازلهم بعيدة
عنها ، وصاحبنا المكاري من بني سالم فطار قلبه خوفاً من عترة ، ولم نزل
نسير رويداً طول الليل إلى أن وجدنا أول القافلة يبطحاء الفريش) ^(٢) .

العرب والركب الشامي : قال : « ثم خرج الركب الشامي من المدينة على
وجل عظيم من العرب الذين يمرون بهم في طريقهم ، وقد كانوا قد أوقعوا
بالركب وقعة شنيعة في ذهابهم (٣) قرب تبوك وأخذوا مئين من إبل الركب ،
وأموالاً لا تحصى ، وقتلوا أقواماً . وسبب ذلك أنه كانت لهم إتاوة على الركب
في كل سنة ، يأخذونها من أميرهم ، كما هو شأن أرباب الدرك في كل
طريق ، يعطونها من بيت المال ، وفي هذه السنة عُرِّل الأمير الذي كان يأتي
بالركب كل سنة ، واستبدل به غيره ممن لا يعرف حال الطريق وأعرابها ،
فلما جاءت شيوخ العرب أرباب الدرك لأخذ ما كان لهم عادة من عند السلطنة
منعهم من ذلك ، وأغلظ لهم في القول ، وظن أن قوة عسكره تحميه منهم ،
ولم يعلم أن من قبله من الأمراء ما تحملوا لهم بذلك إلا لعجزهم عن مقاومتهم ،
فراجعوه في ذلك ، وناشدوه فصمّم على الامتناع ، فلما أيسوا منه شتوا
الغارة على الركب فدافعهم قليلاً فانهزم ، فتهبوا من الركب شيئاً كثيراً ،
فلما رجع لم يخرج من المدينة حتى بعث نجيباً إلى الشام ليأتيه المدد ، وواعدهم
موضعاً معروفاً في الطريق ، ومع ذلك التزم للأعراب بأزيد مما هو عادتهم ،
فسلم الله تعالى الركب بسبب ذلك) ^(٣) .

الجهل والفقر هما أصل الداء : لا شك أن كثيراً من الأمراض الاجتماعية
في كل أمة وفي كل زمان ومكان ، إنما تنشأ عن الجهل وعن الفقر ، وهكذا
كانت حالة أبناء البادية في عصر الرحالة العياشي ، كما وصفها ، وكما هو

(١) : « العياشي » ٢٨٦/٢ .

(٢) : « العياشي » ٦٢/١ .

(٣) : « العياشي » ٢٨٦/١ .

معروف . قال في كلامه على المدينة المنورة ، أثناء الزيارة الرجبية : (وَفَدَّ خَلْقٌ
كثير من الأعراب ، وأكثرهم عرب جفاة ليس لهم من دين ولا مذهب ،
جلهم لا يعرف صلاة وصوماً ، فتدخل جماعة منهم المسجد غاسلين أطرافهم
يريدون الصلاة على زعمهم ، فيقف أحدهم ملياً ثم يسجد على قدر ما يرى ،
إما ثمان سجديات أو عشر سجديات أو أكثر على حسب نشاطه ثم ينصرف
وغالبهم على هذا الوصف ، ومنهم أفراد يدينون بدين الحق ، وسلامهم على
النبي ﷺ : حياً الله مَحْمَداً . رافعين بها أصواتهم ..

وأخبرني شيخنا المُلّا إبراهيم عن الشيخ القشاشي أنه بينما هو ذات يوم
عند المواجهة ، إذ جاء أعرابي في شملته ، ويده عصاه ، حتى وقف أمام
الوجه الشريف ، فضرب بعصاه الأرض مرتين وهو يقول : يا محمد يا محمد
لا تقل أنا ما جئتكَ ، ها أنا ، وذهب ولم يزد على ذلك .

وكان الشيخ يقول : عسى أن يكون ذلك نافعاً له عند الله فإن ذلك مبلغ
علمه

وبالجملة فعرب الدرب والحجاز ونهامة ونجد أجهل العرب ، وأكثرهم
جفاء ، قلما تجد أحدهم يحسن رسوم الشريعة الظاهرة من صلاة وصيام
إلا القليل .

وعوام الأعراب والبربر بمغربنا بالنسبة إلى هاؤلاء ، فقهاء ، فلا تجد
عامياً بالمغرب وإن بلغ الغاية في الجفاء إلا وهو يعلم أن الصلاة ذات ركوع
ومسجود وإن كان لا يحسن أن يقرأ فيها ، ويعلم وجوب صوم رمضان بل هو
أشد عندهم من الصلاة بخلاف هاؤلاء فقد أخبرني مخبر عن عرب الدرب أنه
سأل بعضهم هل صام أم لا ؟ وهو رجل كبير كهل ، فقال : إني إلى الآن لم
أصم ، لكن أبي صام ثلاثة أيام . فاستفهمه عن ذلك فقال : إن الرجل عندنا
إذا قارب أوان الهرم والشيخوخة صام ثلاثة أيام ، فيقولون فلان صام ، وذلك
علامة بلوغه حدّ الكبر ، وأما قبل ذلك فلا يعرف صياماً ولا غيره ، وهم
جديرون بذلك لبعدهم من الأمصار ، وقلة القرى في بلادهم فلا يجدون أحداً

يعلمهم الخير ولا يرشدهم إليه ، وعلى تقدير دخولهم الأمصار في بعض الأحيان فلا يلتقي إليهم أحد بالاً ولو رآهم أكبر فقهاء الأمصار يصلون الصلاة المتقدمة من تتابع السجدة لا يزيد على أن يضحك منهم ، أو يتغافل ويذهب عنهم ، فمَن يعرف هاؤلاء صلاة أو صياماً أو حَداً من حدود الشريعة ؟ .

ولقد رأيت رجلاً بالينبع ظهر الشيب في مفرقه ، وسألته عن مكة فقال لي : ما حججت قط . وبينه وبين مكة ثمانية مراحل (٩) ، وسألته عن المدينة فقال لي : دخلتها مرتين أو ثلاثاً وبينه وبينها ثلاثة مراحل ، وأمثال هاؤلاء كثيرون (١١) .

من مكة إلى المدينة :

ولترافق رحالتنا - بعد أداء الحج ووصف المشاعر المقدسة في مكة وآثارها في رحلته إلى المدينة ، حيث يصف لنا كثيراً من المواضع التي مرَّ بها .

الطريق من مكة إلى المدينة : قال : (ولما كان يوم الأحد الموفى عشرين ذي الحجة أخذ المغاربة في الرحيل من مكة بعد ما قضوا أوطارهم واشتروا تجارتهم ، وهم أول الأركاب الواردة من الآفاق خروجاً من مكة . بل لا يخرج قبلهم إلا بعض قفول أهل المدينة المشرقة ، ففطننا طواف الوداع ضحى وخرجنا إلى منزل الحاج وهو الشبيكة .

ثم ارتحلنا من الشبيكة وهي الثنية السفلى التي بأسفل مكة ومنها خرج النبي ﷺ .

قال ابن رُسَيْدٍ في رحلته : وذكر بعض أئمتنا أن الخروج إلى عرفات الثنية السفلى أيضاً فروى عن الحافظ أبي محمد علي بن أحمد الأندلسي قال : كداء المحدودة هي بأعلى مكة عند المحصب ، خلق رسول الله ﷺ من ذي طوى بقريب (٩) من شعب الشافعيين (٩) عند قبةعان خلق رسول الله ﷺ منها إلى المحصب فكانه ﷺ ضرب دائرة في دخوله وخروجه ، بات ﷺ

(١) : « الماشية » ٣١٢/١ .

بذي طوى ثم نهض إلى أعلى مكة فدخل منها ، وفي خروجه إلى أسفل مكة ثم رجع إلى المحصب . قال أبو محمد الأندلسي الظاهري : أخبرنا بذلك أحمد بن محمد العبادي عن كل من لقي بمكة من أهل المعرفة بمواضعها من أهل العلم بالأحاديث في ذلك . قال ابن رشيد : وإنما سلك رسول الله ﷺ هذا الطريق ملحفاً (؟) شبه دائرة لأنه لا يحصل التيامن في النزول والدخول إلى مكة والخروج منها إلا كذلك فتأمله والله أعلم . قلت : وما نقله ابن رشيد عن ابن حزم من خروجه ﷺ إلى عرفات من كذا لم أر من ذكره من أهل السبب والحديث ، مع شدة تتبعهم لأفعاله وحضور جمع من المسلمين لم يجتمع مثله قط في حياته ﷺ ومثل هذا لا يكاد يخفى من أفعاله في ذلك الجمع العظيم ، فقد حفظ من أفعاله ﷺ في تلك الحجة الخفي والجلي حتى مباله (ع . س) في الشعب قبل الوصول إلى مزدلفة ، فكيف يخفى هذا على أئمة الحديث والسيرة ؟ بيده أن أبا محمد بن حزم مغزى بجمع الغرائب مع سعة اطلاعه ووفور علمه ، وكثرة حفظه الذي لا ينكره له موافق ولا مخالف ، فقد ذكر بعض الأئمة أن أبا محمد بن حزم ساق حجة الوداع في كتابه الذي أفرده لحجة الوداع مسافاً لا يمكن أن يسوقها كذلك ، حتى بعض من حضرها لكثرة ما جمع ، ومبالفته في التبع للطرق وجمع الروايات وترجيحها ، وهو أهل لذلك . والمذكور عند سائر المحدثين أنه ﷺ لم يزل نازلاً بالأبطح من يوم دخوله مكة إلى أن ارتحل ذاهباً إلى منى يوم التروية ، ويبعد أن يرتحل من الأبطح وينحدر إلى مكة ، ثم يخرج من كدى ثم يصعد إلى كذا ، فينزل منها إلى الأبطح فيذهب إلى منى من غير حاجة أكيدة لما في ذلك من المشقة الفادحة الحاصلة من تحليقه بإمكانة متعددة حتى يعود إلى المكان الذي ارتحل (منه) ومثل هذا ليس من الأفعال الجليية ، ولو فعله ﷺ لكان فيه أقوى دليل على مشروعيته وتأكيد العمل به ، ولسأله أصحابه عن السير في ذلك لمخالفته للعادة مخالفة قوية ، ولو كان ذلك لنقل نقلاً مستفيضاً ، وصار من أفعاله المطلوبة وليس هذا مثل إدارته ناقته في حل ، لخفة الإدارة ، وقد تكون لغرض اقتضاه

(١) الصواب : العذري .

الحال ، مثل قصد العدول إلى ناحية ، أو إرادة تكليم أحد ، فدارت الناقة لأجل ذلك وذلك كثير ما يقع للإبل ، ومع ذلك فقد نُقِلَ ، فلبتأمل ما ذكرنا ، والله أعلم (١) .

السَّبِيل بين قديد والجحفة : قال : (ومررنا بقديد في الضحى الأعلى ولم يقل الناس ذلك اليوم ، لأن الهواء فيه بعض رطوبة ومررنا بالسبيل (٢) الذي هناك قبل العصر وفيه ماء قليل ، وحوله ناس من الأعراب يبيعون العلف والحبيب والرطب ، يأتون بكل ذلك من القرية التي بإزائه ، وبينه وبينها عشرة أميال على يمين القادم من مكة ، ولم نبت ذلك اليوم حتى قاربنا الرمل الذي دون الجحفة) (٣) .

سبيل محسن في البرواء

(ثم ارتحلنا من رايغ وبالع الناس في محل الماء خوفاً من العطش لكون البروة معروفة في أيام الشتاء ، فضلاً عن أيام الحرّ - بذاك . وقد أخبرنا شيخنا محمد بن مساهل الطرابلسي أنه لما حج في سنة سبع وستين خرجت عليهم ريح في هذا المحل أهلكت كثيراً من الناس ، وكان ذلك في أيام البرد ، ولأجل ما يقع في هذه المحل من العطش اتخذ فيه سبيلان للماء يجلب إليهما من نحو مرحلة أحدهما يسمى سبيل محسن لإضافة لبانيه ومحبتة الأمير محسن والد زيد بن محسن أمير مكة ، وهو الذي يلي مسيرة ، والآخر لولده زيد وهو الذي يلي بدراً ، وقد قسما المسافة ما بين بدر ومسيرة ثلاثاً في التقدير ، إلا أنهما قل ما يوجد فيهما ماء ، ليسارة ما يحمل إليهما من الماء لبعده (٤) الشقة) .

بين بدر والصفراء

(ثم ارتحلنا .. من قرب سبيل محسن ، ومررنا بالسبيل الآخر ظهرأ ،

(١) : « العياشي » : ٢٢٧/١ - ٢٢٩ .

(٢) سبيل محسن له ذكر في الرحلات .

(٣) : « العياشي » : ٢٢٩/١ .

(٤) : « العياشي » : ٢٣٠/١ .

وجئنا لبدر قبل غروب الشمس بقليل ، ونزلنا على طرف البركة التي هناك ولم يتيسر للناس اخراج خزينتهم في تلك الليلة ، فلما أصبحوا أخذ الناس في دفع أزوادهم المدخرة هناك ، ووجدوا ببدر رطباً كثيراً بأرخص قيمة ، وأخذوا منه ما اشتهوا . ولما لم يرتحل الركب صباحاً ظنوا أنهم لا يرحلون إلى آخر النهار ، ويبرد الهواء وبينما هم في اشتغالهم قبل الظهر بقليل في أشد ما يكون من الحر إذ ضرب شيخ أهل تونس طبله ، وارتحل الناس بلا مشورة ، واشتد الحر عليهم ما بين تلك الجبال ، ولم يصلوا إلى الصفراء حتى وقع الموت في الإبل والناس فمات ناس وإبل كثيرة من شدة الحر . وكان من لطف الله بنا أنا لما اشتد الحر عدلنا إلى قهاوي على يسار الطريق وأنحنا إبلنا خارجها ودخلناها وجلسنا فيها ساعة حتى استرحنا واستراحت الإبل ، وتوضأنا وصلينا الظهر والعصر ، ثم سرنا آخر الناس كلهم فلم يضع لنا جمل ولا رجل في ذلك اليوم . وبتنا بعد ما جزنا الصفراء بساعة عند مفترق الطرق التي تذهب إلى الشبع والتي تذهب إلى جديدة (١) .

بئر الملاء نافع :

وذكر وهو عائد من المدينة إلى مكة مروره ببئر ندعى (بئر الملاء نافع) وسأني ذكره عند ذكر العلماء الذين اجتمع بهم في المدينة . قال : ثم إلى مستيرة (٢) (٣) ثم خرجنا منها ، وعدلنا يمينا ، عن طريق الركب المعهودة ، وتركنا المسافة المسماة بالبزوة يساراً ، ودخلنا بين تلول وكثبان ورمل عظيم ، ونزلنا بئر الملاء نافع قرب الصباح ، بعد ما غلبت الإبل وهذه البئر تنسب إلى أحد الفقهاء الحنفية المستوطنين بالمدينة ، وقد تقدم ذكره - وهو الذي حفرها بماله ، ونفع الله بها العباد ، لأنها في مكان متقطع بين رمال كثيرة ، وكان صاحبها الذي تنسب إليه حاضراً معنا في القافلة لأنه حج في هذه السنة .

وهذه الطريق لا يسلكها إلا القوافل لكثرة رمالها ، وإنما سلكوها لأنها

(١) : العياشي ٢٣٠/١ .

(٢) هي (مستيرة) .

المنعصر من الأخرى يوم فلان . ثم ارتحلنا من هناك ونزلنا الصفراء وسط الليل (١) .

الجديدة : قال : « ثم ارتحلنا - من مفترق الطرق - وجئنا الجديدة وقت الغداء ، واشتد الحرُّ ، ونزل الناس بها لخزن أموالهم وأحمالهم ، وما يفضل من زاد وعلف إلى أن يرجعوا من المدينة ، وتلك عادة الركب المغربي والمصري ، بل غالب المصريين يبعثون أحمالهم وأثقالهم من بدر إلى الينبع مع الأعراب والفلاحين الذين لا غرض لهم في الزيارة ، إذ لا قصد لهم إلا في الكراء . وليس في بلاد الحجاز مكاناً أشدَّ حرّاً من هذه الخيوف فيما علمنا .

ووجدنا هناك بركة عظيمة بجديدة ، بناها أمير الحاج الشامي ، ذات ماء غزير ، قد صنعت وراءنا وما كنا رأيناها قبل ذلك ، أعانت الناس في سقي الإبل وملء القرب ، ولولا هي لافناهم وإبلهم العطش ، لأن ماء القرية التي ينزل بها الحاج وجدناه قد غار ، ورجع الناس إلى البركة فسقوا واستقوا ، وعزموا على الرحيل ، ثم بدا لهم في المبيت لكثرة الموتى والمرضى ، ترى الرجل يمشي في حوائجه فتغيب عنه ساعة ، ثم يقال لك قد مات ، وذلك ، والله أعلم ، من شدة الحر وكثرة شرب الماء مع التعب المفرط ، فتنفطر قلوبهم .. وفي هذه القرية مسجد جامع ببناء متقن تجري العين من تحته من بناء الأمير رضوان (ح) وكم له في طريق الحج من مآثر ومعالم تدلُّ على علُوِّ همته (٢) .

النازية : (ثم ارتحلنا من جديدة وجئنا وقت الغداء للنازية ، ووجدنا بأرطها سبيلاً فيه ماء) (٣) .

عرق الظبية :

(وجئنا لمسجد الغزالة وهو من المساجد التي (صلى) فيها النبي ﷺ ،

(١) العياشي ٢/٢٨٦ .

(٢) : « العياشي » ١/٢٣٠ .

(٣) : « العياشي » ١/٢٣١ .

وهو المسمى عند المؤرخين بمسجد عرق الظبية ، وأناخ الناس فيه حتى أنظرُوا
ثم سرنا صاعدين مع الوادي حتى أتينا بئر الروحاء (١) .

الروحاء : (ثم سرنا - من مسجد الغزالة - صاعدين في الوادي حتى
أتينا بئر الروحاء قبل الظهر ، وأنخنا فيه ساعة واستقينا منه ماء قليلاً ، لأن بئر
طويل ، وماؤه ضنين ، وهو حلو ، وحوله بركة عظيمة قد تعطلت ، وبقرها
مسجد وثيق البناء صحيح ، ولو قبض الله لذلك الموضع من عمره لكانت فيه
أي إعانة للحجاج ، ولكن الله يفعل ما يريد .

وقد ذكر السيد السهودي قريباً من البئر مسجداً من مساجده ^{عليه} ولا
أدري هل هو المبني الآن أو غيره ، وقد تأملت فيما قرب من البئر فلم أر أثر
مسجد غير هذا (٢) .

شرف الروحاء / قبور الشهداء : ثم سرنا منه - بئر الروحاء - واشتد
الحر ، وجعلت الإبل تدخل في الشجر وتطلب الظل ، وتمتنع من المشي ولو
ضربت فيسير الناس ساعة ثم يقفون ، ومات أناس آخرون ، ولم ننزل حتى
قربنا من شرف الروحاء : وهو المكان المسمى الآن بقبور الشهداء قبل العشاء
بقليل (٣) .

ثم ارتحلنا بعد طلوع الفجر - من شرف الروحاء - وجئنا لقبور الشهداء ،
عند طلوع الشمس ، وقد ذكر بعض الناس أن الشهداء الذين سمي بهم المكان
قوم قتلوا هناك ظلماً ، وقد ذكر السهودي مسجداً من مساجده ^{عليه} بشرف
الروحاء ، وهناك مكان محوط عليه بمحارة شبه مسجد ، يزوره الناس ،
وأظنه هو .

وفي شرف الروحاء آثار آبار مغطلة ، وبنيان دائر . وقد كانت هناك في
القديم قرية ولم يَبْدُ الآن بها شيء من ذلك .

(١) : د العياشي ٢٣١/١ .

(٢) : د العياشي ٢٣١/١ .

(٣) : د العياشي ٢٣١/١ .

وقد وجدنا هناك سبيلاً آخر مبنياً ، تجدد وراءنا فيه ماء ، وحوله ناس
من الأعراب يبيعون الماء والعلاف ، وأخبرنا أن وراء الجبل بلد خال ، فيه آبار
وبعض نخيل . وأظنها السقيا ^(١) ، فإنها قريب من شَرْف الروحاء ^(٢) .

الفريش : (فلما جاوزنا شرف الروحاء .. جئنا الموضع المسمى بالفريش ^(٣)
فأنافخ الناس حتى أفطروا ، وساروا في يوم حار عازمين دخول المدينة المشرفة في
ذلك اليوم ، ولم يَعْجَبْ الناس ولا إبْلَهُمْ بما لقوا من شدة الحر في ذلك اليوم
لشدة الفرح) ^(٤) .

مُفَرَّحٌ : قال : (وأول مكان تُرى منه قباها وأسوارها ، وتشاهد منه
بالبصر والبصيرة أنوارها الجبل المسمى بمفرح فتسارع الناس عند الدنو منه
لصعوده ...

ثم أورد قصيدة له طويلة :

هذا مُفَرَّحٌ كاسمه وكأنه
ياقوتة رُشَّتْ بذائب عَيْبَسِرِ
وأمامه البیداء يسطع نورُها
لبصائر الزوّار ، هل مِنْ مُبْصِرِ ؟
وعلى يمينك قد بدا (عَيْبَسِرٌ) يَرَى
بالقرب كالنور العقیقير الأعْفَرِ
وأنسخ ركابك بـ (المُقَدَّس) إنه
لمبارك ، وبمائه فتطهر
واخذُ الركابَ مع (العقیق) منعا
عينيك في ذاك المكان النیر

(١) : « المياشية » : ٢٣١/١ .

(٢) السقيا هي أم البرك وليست هذه التي ذكر .

(٣) في الأصل (بالفريش) تصحيف .

(٤) : « المياشية » : ٢٣٢/١ .

يا حَبَسْلا (أَحُدُّ) تَرَكَهُ يُحِبُّنَا
وَنُحِبُّهُ ، جِبلٌ جَمِيلٌ النَظَرِ
فَكَانَ مَا هُوَ حَلَّةٌ مِنْ عَسَجَدٍ
صُبُغَتْ جَوَانِبُهَا بِمِسْكٍ أَذْقَرِ

— إلى أن قال — : ولما تجاوزنا جبل مُفَرَّجٍ بغلوة أو غلوتين وصلنا إلى
متهى أبعد الحرمين ، وهو حرم الشجر الذي هو بريد في بريد ، وحده
طرف اليبداء (١) .

في المدينة المشرفة :

في المدينة المشرفة : (كان دخولنا للمدينة المشرفة ليلة الخميس الثانية من
المحرم فاتح عام ثلاثة وسبعين وألف وبقنا تلك الليلة برباط سيدنا إسماعيل
ابن جعفر الصادق ، فمتاً مَنْ زار منا من تأخر إلى الصباح لأن الحرم
الشريف بعد صلاة العشاء يغلق ولا يفتح إلا قرب الفجر) (٢) .

ثم نحدث عن الزيارة ، وعن وصف الحرم الشريف ، والروضة المقدسة ،
والقبور الكريمة ، ووصف ما في المدينة من مساجد وآثار ، وعوّل على السيد
السهودي — مؤرخ المدينة — فنقل عنه ، وأكثر النقل ، وما أضافه بميزه
بقوله : (قلت) أو (وهذا لم يذكره السيد) .

في الحرم الشريف : قال : (ولما كان يوم الثلاثاء سابع الشهر محرم —
ارتحل الركب المصري من المدينة بعد إقامة ثلاثة أيام بها ، وكان الحرم الشريف
في أيام إقامتهم لا تكاد تسمع فيه صوت قارئ ولا مؤذن لكثرة اللفظ
والصخب ورفع الأصوات وازدحام الناس في المسجد لا ينقطع ذلك ليلاً
ولا نهاراً لأن أبواب الحرم لا تغلق ما داموا هناك ، ويكثرون بالليل إيقاد
الشموع في المسجد ، وتجتمع إليهم صبيان أهل المدينة يقرأون لهم موال

(١) : « المياضية » : ٢٣٢/١ / ٢٣٤ / ٢٣٥ .

(٢) : « المياضية » : ٢٣٥/١ — بتصرف يسير .

وقصائد في مدح النبي ﷺ وهم محققون بهم ، ويسمون ذلك مولد النبي ﷺ ، يستعدون له من بلادهم بالشمع والحلواء ، ويدفعون للصبيان أجرة على ذلك ، ويقع على أرض الحرم من الشمع المذاب شيء كثير لأجل ذلك ، فيلصقونه ويجمعونه ، ويرجعون به إلى بلادهم تبركاً به ، فتجد منهم في المسجد بالليل جماعات كثيرة على هذا النمط ، فيكثر لذلك الصباح في المسجد واللغط الذي لا ينبغي . لاسيما مع ما يضاف إلى ذلك من ولول النساء ، وبكاء الأطفال واختلاط النساء بالرجال وبالجملة فعوام المصريين من أبعد الغوغاء عن إصابة الصواب لولا أن بحر رسول الله ﷺ لا تكدره الدلاء لكانوا جديرين بالمت بسبب ما يحصل منهم من سوء الأدب وسيء الأقدار في الحرم الشريف ..

حكى لي بعض المجاورين أنه وجد في بعض المواسم رجل مع امرأة في الحرم الشريف ، فحملا إلى الحاكم ، فشهدت البيعة أنها زوجته ، وقيل له : ما حملك على ما فعلت ؟ . فقال : انه لا وكَدَ لنا ، فرجوت أن تحمل المرأة ببركة هذا الحرم ، فعذر بجهله ، ولم يعاقب ^(١) .

وقال عن فرش الحرم الشريف : (ولما استهل ربيع النبوي نظف الحرم الشريف ، وفرش بفرشه المعهودة من الزراني المبوثة الحسان ، التي لا يوجد لها نظير إلا في بيوت الملوك ، وغالبها يأتي من أرض الهند ، من عند ملوكها ، وقد رأيت سدى بعضها حريراً خالصاً ، وكنت أتوقى الصلاة فيها ، وطعمها من جيد الصوف) ^(٢) .

وقال : (وكانت عادة المصريين ليلة رحيلهم من المدينة أن يجتمع أمراؤهم وكبراء أهل المدينة والأغوات في صحن المسجد ليلاً ، ويوقد شمع كثير ، على حَسَنَك كبار من فضة وُسَّيَتَ بذهب ، ويحضر جماعة من المنشدين ينشدون قصائد في مدحه ﷺ وينثر عليهم من اللوز والسكر والأزهار وأنواع الحلوى ، ويدار عليهم بالأشربة اللذيذة إلى أن يمضي هزيع من الليل ، وهذه عادة أمراءهم وأمراء الشاميين في ليلة الرحيل ، ولم يفعل

(١) : « العياشي » : ٢٤١/١ ، ٢٢١ : ٢٨٤/١ .

(٢) يقصد لحنتها - أي ظاهرها -

المصريون شيئاً من ذلك في هذه السنة ، لما وقع من الاختلاف والعزل بسين
أمرائهم - كما تقدم (١) .

البقيع - مقبرة المدينة - قال : (فأول ما يلقاك من المشاهد إذا خرجت
على باب المدينة المسمى بباب البقيع قبة فيها صفة بنت عبد المطلب ، على يسارك
وأنت ذاهب في الرقاق الذي في وسط البقيع إلى ناحية المشرق .. وإن ملت إلى
اليمن مع سور المدينة ، فهناك مسجد صغير قيل إن فيه موقف النبي ﷺ حين
خرج يستغفر لأهل البقيع ، وقيل : هو زاوية دار عقيل بن أبي طالب التي
دفن فيها ، وفيها دفن كثير من أهل البيت) (٢) .

وسرد في البقيع المشاهد المعروفة في عهده :

مساجد المدينة : وتتبع مساجد المدينة مسجداً مسجداً فوصفها معولاً على
السمهودي ، ومن تلك المساجد :

مسجد قبا : قال بعد أن وصفه : وفي خارج المسجد من ناحيته الغربية
رباط كبير مليح مبني بالحجارة المنحوتة ، فيه بيوت كثيرة يسكنها الغرباء
وله أوقاف ، ومقدمهم القيم بأمر الرباط صاحبنا الشيخ صالح بن أحمد البصري
المصري (٣) .

مسجد الجمعة : (وهو في طريق قبا على نحو ميل أو أقل من مسجد قبا عن
يمين الذاهب من المدينة إليها ، على الطريق التي تمر بين النخل ومن مَرَّ على

(١) ذكر (ص ٢٣٦ ج ١) : وكانوا - يعني المغاربة - يخوفوا لإزعاج المصري لباهم من الإقامة
هو شأنه في غالب السنين ، فلا يقيمون إلا يوماً واحداً ، وفي هذه السنة أشغلهم من ذلك ما
وقع منهم من الاختلاف فقد جاءت كتب من مصر بمنزل الأمير إبراهيم ، وتولية أبي الشوارب
مكانه . وأبى المنزول أن يتقاد لحكم العزل حتى كادت أن تكون فتنة ولكن الله سلم فاستسلم
للأمر وسلم المحصل للأمير هبدان ، وكان سج معه . وأقام هو بالمدينة إلى أن توفي بها بعد
شهر أو أزيد .

(٢) : « العياشي » ٢٤٤/١ .

(٣) : « العياشي » : ٢٣٨/١ .

(٣) : « العياشي » ٢٤٨/١ .

طريق الحرّة الغربية فهو على يساره . فقد روي أن النبي ﷺ لما خرج من قبا في هجرته أدركته الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن الوادي وهي أول جمعة صلاها ﷺ بالمدينة . وهذا المسجد اليوم في منخفض من الأرض قد أحاطت به حدائق النخيل من أكثر جهاته .

وفي شماله أطم خراب قيل إنه محل عتبان بن مالك ﷺ وفيه أثر مسجد صغير غير مسقف يقال إنه المكان الذي صلى به النبي ﷺ من بيته ، ومسجد الجمعة في مستبطن الوادي الذي يحول بينه وبين قومه إذا سال ، ومنازل قومه في غربي الوادي على طرف (الحرّة) (١) .

مسجد الفضيح : وهو مسجد صغير شرقي مسجد قبا على شفير الوادي على نشز من الأرض مريضوم بحجارة سود ...

ويعرف الآن بمسجد الشمس . قال السيد : ولا أعلم سبب هذه التسمية (٢) .

مسجد بني قريظة : قرب حرثهم الشرقية على باب حديقة هناك ، وعنده خراب أبيات شمالي الحديقة من دور بني قريظة ، وأطم الزبير بن باطا القرظي داخل في هذا المسجد ... وهذا المسجد كبير عليه حظيرة من حجارة قريب من القامة . وفي زاويته الغربية الشمالية دكة كبيرة هي في موضع منار المسجد قبل انهدامه (٣) .

مسجد مشربة أمّ إبراهيم : وهذا المسجد شمالي مسجد بني قريظة قريب من الحرّة الشرقية (٤) .

(١) : « المياشية » ٢٤٨/١ .

(٢) : « المياشية » ٢٤٨/١ .

ويعني بالسيد السهوري .

(٣) : « المياشية » ٢٤٨/١ .

(٤) : « المياشية » ٢٤٩/١ .

مسجد بني ظفر : شرقي البقيع بطرف الحرة الشرقية ، ويعرف اليوم بمسجد
البغلة ...

وعند هذا المسجد آثار في الحرة من جهة القبلة يقال إنها أثر حافر بغلته
عليه السلام وهناك أيضاً أثر على حجر كأنه أثر مرفق ، يُذكر أن النبي ﷺ أتكا
عليه ، ووضع مرفقه الشريف عليه ، وعلى حجر آخر أصابع . والناس
يتبركون بها (١) .

مسجد الاجابة : وهو لبني معاوية بن مالك من الأوس ، وهو شمالي
البقيع قريب منه على يسار السالك إلى العريض ، يازاته تلؤل هي آثار قرية بني
معاوية (٢) .

مساجد الفتح : الأول المرتفع على قطعة من جبل سلع في المغرب ، يصعد
إليه بأدراج شمالية وشرقية ، هو المراد بمسجد الفتح عند الاطلاق ويقال له
أيضاً مسجد الأحزاب والمسجد الأعلى ...

وأما المساجد التي في قبلته فقد روي أن النبي ﷺ صلى في مسجد الفتح
الذي على الجبل وفي المساجد التي حوله (...)

الماء في المدينة : وتحدث العياشي عن عين المدينة (العين الزرقاء) وعما في
المدينة من آبار أثرية فقال ما ملخصه :

مسجد القبلتين : (غربي بطحان وسمع ، قريب من العقيق في مكان
مرتفع ، والطريق إليه في آكام سود من الحرة وشعاب ... وعليه بناء وثيق .
وليس بقربه شيء من العمارة ، وقريب منه حديقة فيها بئر ماء . وأرض
تزرع (٣) .

مسجد السقيا : (على يسار الذهاب إلى المدينة من العقيق في الحرة الغربية

(١) المياشي : ٢٤٩/١ .

(٢) : المياشي : ٢٥٠/١ .

(٣) : المياشي : ٢٥٢/١ .

على طريق الحاج عندما يقرب من المساكن ، ويشرف على المدينة ... قلت :
وهو اليوم مبني ببناء وثيق ، يأوي إليه الغرباء في بعض الأحيان خصوصاً
أيام الموسم ، فإن الركب المصري ربما وصلوا بالتزول في بعض السنين إلى تلك
الناحية (١) .

مسجد ذباب : (ويعرف اليوم بمسجد الراية ، وهو على جبل صغير
قريب من سلع من شرقته ، قريب من ثنية الوداع ، على يسار الداخل إلى
المدينة من طريق الشام .

كهف سلع ، وشعب بني حرام

(قال السيد : على يمين المتجه من المدينة إلى مساجد الفتح من الطريق
القبلية ، بقرب شعب بني حرام عن يمينه هناك مجرى سائلة تسيل من سلع إلى
بطحان فإذا دخلها صعد يسيراً في المشرق كان الكهف عن يمينه ، وأعلى
منه في المشرق كهف آخر لكنه صغير جداً فالأول هو المراد ، وإذا توجه من
هذه السائلة طالب مساجد الفتح كان شعب بني حرام على يمينه ، وهو شعب
متسع فيه آثار مساكنهم ، وأثر مسجدهم الكبير ...

قلت : وأثر المسجد اليوم باق بأسفل الوادي إلا أنه لا بناء عليه . وإنما
عليه حظير صغير ، وهو لا يعرفه كثير من الناس ، ولا يُؤْبَهُ به ، وكذا
الغفار) .

مصلى الأعياد : (المشهور منها الآن ثلاثة كلها غربي المدينة خارج باب
المصري بين الموضع المعروف بالمناعة وبطحان) (٢) .

المشهد (قبر حمزة) : (والمشهد عليه قُبَّة عالية متقنة (٣) ، وبابه مصفح
بالحديد . وحوله بناء متسع فيه بئر ، وفيه أخلية للوضوء متصلة بالسطح .

(١) : العياشي ٢٥٣/١ .

(٢) : العياشي ٢٧٣/١ .

(٣) البناء على القبور محرم شرعاً ، والحمد لله الذي طهر هذه البقاع المباركة بما لا يبيحه الشرع
الشريف .

قال السيد : والقبر الذي عند رجلي حمزة والذي بالصحن ليسا من قبور الشهداء ، وفي خارج المشهد برّ أخرى كبيرة . وإزائها صفة مسجد ، وتحتها ماجل ماء يهبط إليه بدرج ، وباب المسجد في سائر الأيام مقفل لا يفتح إلا يوم الخميس يأتي القيم من المدينة ، بالقصد لذلك (١) .

المهراس : وفي أصل الجبل - أحد - غار يزعمون أن النبي ﷺ اختفى فيه ، ولا يصح ذلك ففي « مسند أحمد » عن ابن عباس رضي الله عنهما : وجال المسلمون جولة نحو الجبل ، ولم يبلغوا حيث يقال الناس (٢) الغار ، إنما كان تحت المهراس . هـ .

وفي أعلى الشعب عند مضيقه من حيث يشرع للصعود للجبل الموضع المسمى بالمهراس ، وهي مواضع متقورة في الجبل بين صخور عظيمة ، يجتمع فيها المطر ، قل ما تخلو منه ... وفيه غسل جرحه ﷺ ، يوم أحد كما في « الصحيح » .

مسجد الفسح (٣) ومسجد الثنية : وهو المسجد اللاصق بأحد على يمينك وأنت ذاهب في الشعب للمهراس ، وهو صغير منهدم ...

قلت : وبين هذا المسجد وبين مشهد حمزة في البيداء التي هناك مسجد صغير مبني بالحجارة المنحوتة مرتفع عن الأرض أقل من قامة يصعد إليه بدرج ، غير مسقف ولا مرتفع الحيطان يقال له مسجد الثنية ، واحدة ثنانيا الانسان يقال : إن فيه كسرت رباعية النبي ﷺ .

مسجد ركن جبل عينين الشرقي : على قطعة من الجبل ، والجبل في قبلة مشهد سيدنا حمزة .

مسجد الوادي : على شفيره شامي جبل عينين قريب من مسجد ركن جبل عينين يقال إنه مصرع حمزة رضي الله عنه وأنه مشى بطعته من الموضع الأول إلى هذا فصرع .

(١) : « الرحلة العياشي » : ٢٥٤/١ .

مسجد طريق السابلة : وهو الطريق اليمنى الشرقية إلى مشهد حمزة رضي الله عنه (١) .

مسجد في طريق أحد : وفي الطريق إلى أحد أيضاً عند آخر النخيل مسجد صغير محوط عليه بأحجار ، يقال إن النبي ﷺ جلس فيه للاستراحة بعد الرجوع من أحد ، ولم يذكره السيد - رحمه الله - (٢) .

المياه في المدينة المنورة

العين الزرقاء

(وقد جعل ماء بئر أريس نفقاً من أسفلها على وجه الماء ، حتى يتصل ماؤها بالبئر التي يقال لها العين الزرقاء وهي في حديقة أخرى قريبة من بئر أريس ، وهي بئر كبيرة قد أميدت بمياه آبار متعددة منها بئر أريس . فصارت متبحرة (٣) يشخب فيها ميزابان عظيمان من مياه غيرها من الآبار . فاتخذت لها أسراب تحت الأرض إلى أن خرجت إلى بطحان ، ثم إلى غربي المدينة ، فقسمت جداول فأدخل منها إلى المدينة ما احتجج إليه ، فأظهرت داخل المدينة مناهل متعددة ، وبنى لها بناء متقن ، يهبط إليها في نحو ثلاثين درجة محكمة البناء ، متقنة الوصف ، واسعة المشى منها يستقي أهل المدينة كلهم لشربهم .

والذي رأيت منها ثلاثة مواضع : أحدها شرقي المسجد بينه وبين باب البقيع ، في المكان المسمى الآن الحرة والآخر : شامي المسجد بعيداً منه إلى ناحية باب الشامي . والآخر : خارج باب السلام في الناحية الغربية عند سوق المدينة بالبلاط . وأما خارج المدينة فإذا خرجت في محال متعددة أيضاً ثم لم تزل تقرب من وجه الأرض قليلاً كلما انحدرت في أرض المدينة ، إلى أن خرجت على وجه الأرض قريباً من الغابة ، شرقي مسجد رومة ، بينه وبين أحد . وعليها هناك المزارع وقد رأيت جدولاً منها قريباً من مسجد الراية في طرف ذباب يهبط إليه في نحو ثلاث درج .

(١) : « المياشية » : ٢٧٣/١ .

(٢) : « المياشية » :

وهذه العين المباركة من أغزر العيون وأحلاها ماء . وألذّه ، بها جل انتفاع أهل المدينة ، ومنها كل السيّلات الموقوفة بالمدينة . ومنها تملأ الدواقر التي توضع في الحرم للشرب ، وهي لا تكاد تحصى كثرة ، فما أعظم بركتها وأوسع نفعها ^(١) ولقد شاهدت من يستشفى بمائها ، وقد حملنا بعض مائها للاستشفاء ، ولله در القائل : -

لئن قيل في زرق العيون شامة
فعتدي أن اليُمن في عينها الزرقا

بئر البصة : (يضم الموحدة وتخفيف الصاد المهملة كما هو الدائر على السنة أهل البلد .

وهذه البئر قريبة من البقيع على طريق قبا ، في حديقة نخل على طريق بطحان ، وماؤها أخضر وهناك بئر أخرى صغيرة ... ورجح السيد أنها الصغرى .. وقد ابنتي بقرب الصغرى مسجد واتخذ لها درج يتزل بها إليها ، وقد شربنا من مائها مراراً ^(٢) .

بئر زمزم : وهي قريبة من السقيا على يمين الطريق ، حتى زعم بعضهم أنها بئر السقيا ، وهي بئر مليحة ، في حديقة نخل ، حولها بركة وبناء .

وسميت زمزم تشبيهاً بزمزم في التبرك بها ونقل مائها للآفاق ، وقد زرتها والحمد لله ، وكانت إذ ذاك ملكاً لبعض أصحابنا من المغاربة المجاورين ، فاطعمنا من تمر حديقته وسقانا من مائها .

وقال في موضع آخر : هي إحدى الآبار المنسوبة للنبي ﷺ ، واشتهرت بزمزم تشبيهاً لها بزمزم المكيّة لبركتها واشتغاء الناس بها ، وهي في غربي المدينة مما يلي الحرّة ، وماؤها عذب ^(٣) ...

(١) : العياشي : ٢٧٥/١ .

(٢) : العياشي : ٢٧٧/١ .

(٣) : العياشي : ٢٨٠/١ و ٢٨٨/٢ .

بئر السقيا : والسقيا في آخر منزلة النقا على يسار السالك إلى بئر علي ، وهي بالحرة الغربية ، وحولها بركة عظيمة لورود الحاج أيام نزولهم هناك (١) .

بئر اليسيرة : (- من اليسر ضد العسر - وتعرف الآن ببئر العهن ، بكسر فسكون .

وهي معروفة في عوالي مليحة جداً ، منقورة في الجبل ، وعندها سدرية ...

وقد زرتها وهي في عوالي المدينة قريب من مسجد بني قريظة ، وعلى بابها حديقة كبيرة حسنة ، ملك لبعض المغاربة) .

بئر غُرُثس : - بضم فسكون .. بئر شرقي قُبَا على نصف ميل من مسجدها إلى جهة الشمال ، وقد جُعِل لها درج ينزل إليها منها ، وحولها حديقة ، ويحاذيها مسجد ، وقد زرتها) .

بئر رومة : وهي أسفل العقيق قرب مجتمع الأسياك ، ولم أزر هذه البئر إلا مرة واحدة لبعدها ، والطريق إليها على مساجد القنح . ثم يعدل يساراً إلى ناحية مسجد القبلتين ، ثم يمر تحته أسفل منه قاصداً العقيق فهي هناك ، وبقرىها مزارع .

بئر حاء : (وهي اليوم في حديقة صغيرة من سور المدينة (؟) شمالية ، بينهما الطريق ، وأقرب أبواب المدينة إليها باب البقيع ، وهي بينه وبين باب الشامي) .

بئر بضاعة : بضم الموحدة على المشهور ، وهي في حديقة كبيرة ذات نخل ، أقرب أبواب المدينة إليها باب الشامي ، غربي الخارج منه قليلاً وحولها مسجد وبركة ماء) .

بئر أريس : هذه البئر في حديقة غربي مسجد قبا قريب ، وماؤها غزير ، يسنى منه إلى بركة في الحديقة . وفي هذه الحديقة أنواع من الفواكه والأشجار وبها غناب كثير .

(١) : « الماشية » : ٢٧٩/١ .

وأهل المدينة يقصدون هذه الحديقة للقائلة فيها والتفرج وقد جعل لها نفقا من أسفلها على وجه الماء حتى يتصل ماؤها بالبئر التي يقال لها العين الرقاة (١).

ماء آبار المدينة ، قال : (كان في رباط الشيخ عبد القادر الجيلاني بقرب باب النساء بينه وبينه ثلاث خطوات ، بئر حلوة على خلاف المعتاد من آبار المدينة ، فإنها مالحة ، فبينما أنا أتحدث مع نقيب الرباط متى جرى ذلك فقال لي : إنما حدثت فيها الحلاوة منذ أعوام قريبة ، وكانت كغيرها من الآبار فأصبحت ذات ليلة وهي حلوة ولا يعلمون السبب في ذلك فقلت له : لعل مجرى العين قد انخرق فيها ؟ فقال : ليس بالقرب منها مجرى للعين . والله أعلم بحقيقة ذلك .

أهل المدينة كما وصفهم العياشي

أطال الرحالة العياشي الإقامة في المدينة في زيارته هذه . فقد دخلها في الليلة الثانية من شهر المحرم (١٠٧٤هـ) وخرج منها إلى مكة في السابع عشر من شهر شعبان من تلك السنة (٢) . ولهذا فقد تحدث عن آثار المدينة وعن أهلها باستفاضة . وأحاديثه شيقة وممتعة ، يحسن إيرادها بنصها . قال : (وأهل المدينة — زادهم الله خيراً وأوسع عليهم ، أهل رفاهية وتوسع في المعيشة في زماننا هذا وتغال في الملابس الفاخرة ، وتزيّوا بزّي الأعاجم في ماكلهم ومشاربهم وملابسهم ، لكثرة سكنى الأعاجم بها ، فإن بها طائفة كبيرة من عسكر الترك ، وبها من الأعاجم أقوام كثيرون من الأكراد والترك وأطراف الشام ، يشترّون الحصص والحامكية ، فيجلسون بالمدينة ويرتزقون بما يأتيهم من ذلك على حالهم التي كانوا عليها في بلادهم من التوسعة ، فافتدى بهم غالب أهل المدينة من أقويائها .

(١) : « العياشي » : ٢٧٥/١ .

(٢) : « العياشي » : ٢٨٦/١ .

(٣) : « الرحلة العياشي » : ٢٨٤/١ .

وقد كانت المدينة في الزمان المتقدم معروفة بالقناعة حتى قال مالك عليه السلام بالكفارة والتفقات بالتفاوت بين المدينة وغيرها لقناعتها . قال (الأمر في هذا الزمان إلى خلاف ذلك ، فصاروا أرغف الناس عيشاً ، وأكثرهم في المآكل والملابس إسرافاً ، أعني الكبراء منهم ، وأما الفقراء وغالب المجاورين - خصوصاً المغاربة - فهم على حالهم من الفقر والمسكنة .

ولقد أخبرتُ أن للنساء عليهم عادة يسمونها الشخصخة وهو ما تشتري به المرأة ما تشتهي من الأزهار ، فربما بلغ ذلك ريالاً في كل يوم ^(١) .

عادات أهل المدينة : وقال : (من عادة أهل المدينة إذا ذهبت الأركاب ان ينظف الحرم الشريف ويفرش بفرشه المهدودة ، من الزرابي الماثونة الحسان ، التي لا يوجد لها نظير إلا في بيوت الملوك ، وغالبها يأتي من الهند من عهد ملكها ، وسُدَى بعضها حرير خالص ، وطعمها من جيد الصوف الملون الذي لا يكاد يفرق بينه وبين الحرير إلا ذو بصيرة ، يفرش به المسجد النبوي القديم المسقف كله ، وتخرج الربائع (٢) التي فيها المصاحف العتيقة والأجزاء الحسان من وقف الملوك والكبراء ، وصُفَّت في قبلة المسجد ، وفتحت خزائن الكتب العلمية الموقفة بالحرم الشريف يستعير منها الناس للقراءة ، وشرع الأئمة في القراءة والتدريس .

وكانت عادتهم إذا كان اليوم السابع عشر من ذي القعدة - ويسمونه الكئيس - جمعت بسط الحرم كلها وأدخلت في المخازن فلا يبقى في المسجد إلا الحصر ، وأدخلت المصاحف التي في المسجد والسباحات إلى الروضة . ورد كل من استعار كتاباً إلى صاحبه أو إلى ناظر الخزانة التي أخذ منها واقتضى غالب الديون ، وتفاصيل الشركاء ، وانتهى أمر غالب الأكرية ، يتهياون بذلك للموسم ، لأنه في غالب الأمر مظنة ارتحال قاطن ، وقلوب غالب ، واجتماع الناس من الآفاق ، واشتغال أهل المدينة بقبض الأقوات والجرايات التي تأتيهم من الأوقاف ، وذهاب من يريد النسك إلى مكة أو من يريد

(١) : العياشي ٥ : ٣٠٢/١ .

التجارة فلا يبقى في المدينة إلا القليل من الناس ، ويكنس الحرم الشريف في ذلك اليوم ، وفيه يكنس البيت العتيق بمكة أيضاً ، ويفعل فيها مثل ذلك .

وأيام الموسم عند أهل الحرمين فيها يجمعون غالب أمور معاشهم فلا يتفرغ أحد لتدريس ولا عبادة إلا ما لا بُدَّ منه ، فإذا انقضت أيام الموسم وذهبت الأركاب الواردة من الآفاق ، ولم يبق بالحرمين إلا أهلها رجعوا إلى معناتهم في الأمور الدينية من القراءة والتدريس وأنواع العبادات ، والدينية من الفلاحة والتسكير في الأسواق وتصحيح المكاييل والموازين .

وأما أيام الموسم فلا سِعَر معلوماً ، ولا مكيال وافيأ ، ولا ميزان صحيحاً ، كل يفعل ما شاء ، ولا يتكلم الولاة في شيء من ذلك ، إلا أن يقع أمر مهم .

ويتنافس الناس في الخدمة في ذلك اليوم بنقل البسط وغيرها ، ويعمل في ذلك الأمراء والكبراء العظام فمن دونهم .

ولما قربت ليلة المولد الشريف بولغ في تنظيف الحرم وتزيينه ، وغسلت مصابيحها ، وجعل فيها مائع شديداً الحمرة لا أدري ما هو وألقي فوقه قليل زيت طيب أخضر ، فإذا توقد المصباح ظهر إشراق المصباح لشدة صفائه وملاقاته لضوء النار ، وأشرقت حمرة ذلك المائع لكونها ملائمة لصفاء الزجاج فتصير حمرة كحمرة الياقوت ، وذلك الخط من الزيت فوقه أخضر كالزمرد ، وفوقه صفاء الزجاج يتموج فيه ضوء النار ، وينعكس فيمازج اشراقه صفاء الزيت وخضرته ، وصفاء المائع الأحمر وحمرة ، فلا تسأل عن حسن ذلك المنظر وبهائه ، وقد رتبت المصابيح في تعليقها ترتيباً حسناً لاثقاً ، وشكلت تشكيلاً بديعاً بين تربع وتدوير ، فإيا له من منظر ما أبهجه ، ومن ليل ما أسرجه ، فإذا كان بعد صلاة العصر من اليوم الحادي عشر أخرجت القناديل الكبار والحسك ؟ ، العظام من الحجرة الشريفة ، غالبها من النحاس المطلي بالذهب ، وكل واحدة أعظم من قاعدة الرجل العظيم ، وصفت في صحن المسجد ، ووضعت فيها الشمع الخليطة الصافية اللون منها ما يزن نصف قنطار

ومنها دون ذلك ، وفي وسط تلك القناديل قنديل كبير من فضة خالصة ، زنته أكثر من قنطار ، فيه خمس حسك كبار من فضة مدور الشكل فيوضع في كل حسكة منه شمعة ، وتبسط البسط الرفيعة ، من جوانب القناديل من كل جهة ، لجلوس الأمراء وأرباب المراتب ، و لجلوس المنشدين ، فإذا صليت المغرب أوقدت المصابيح كلها ، والشمع الذي في صحن المسجد ، وأخذ الناس في الاجتماع ، وأوقدت أربع مشاعل كبار ، على أسطح معدة لذلك في صحن المسجد ، اثنان في مقدمه ، واثنان في مؤخره ، فإذا صليت العشاء جلس الأمراء في الفرش المعدة لهم كل على مرتبته ، وجلس الشعراء أمامهم والمنشدون ، وضربت خيمة قريبة من باب النساء ، ووضعت فيها أنواع الأشربة الحلوة ، فإذا امتلأ المجلس وغص بأهله وجلس كل واحد في موضعه قام المنشدون فينشدون من غرر القصائد في مدح النبي ﷺ ، ما انتخبوه وأعدوه لذلك الموضع بألحان عجيبة ، وتراجع متسقة ، وبازائهم جماعة يردون عليهم بأصوات حسنة ، فيجيء السقاءون بأنواع الأشربة الحلوة فيسقون الأمراء ثم المنشدين ومن معهم من أتباعهم ثم سائر الناس ، ثم يؤتى بأنواع الرياحين والأزهار فتوضع بين أيديهم أضعافاً ، ثم تفرق أيضاً على الحاضرين ، ثم يؤتى بأطباق من اللوز والسكر وأنواع الحلوى فتتفرق أيضاً وينثر ما بقي منها على عامة الناس ، ولا يزالون كذلك حتى يمضي من الليل ما شاء الله النصف أو قريب منه فينصرفون .

وهذه الليلة من الليالي الغر المسترخص شراؤها بياقي العمر ، لولا ما شأنها من كثرة النساء في المسجد واكتارهن من الولاول ، إلا أن أكثرهن في مؤخر المسجد من قبة الشمع وما حولها إلى آخر المسجد (١) .

ومن عادة أهل المدينة أيضاً في كل ليلة جمعة أن يجتمع الناس بعد صلاة العشاء ، في آخر أروقة المسجد النبوي الموالي لصحن المسجد ، فيأتي جماعة من المنشدين فينشد كل واحد قصيدة أو قصيدتين بصوت رخيم وتطريب

(١) : المياشي ٢٨٤/١ - ٢٨٦ .

(٢) الناصرية ج ٢ / ٥٣ - ٥٦ .

وتقسيم ، والناس يحلقون بهم ، ولهم أثباع يردون عليهم ، مثل ما تقدم في ليلة المولد ، إلا أنهم لا يحتفلون لذلك في ليلة الجمعة ، كاحتفالهم ليلة المولد ولا قريباً منه (١) .

ومن عاداتهم يوم الجمعة الخروج للبقيع ، ووضع الرياحين الكثيرة على القبور ، خصوصاً المشاهد المألوفة فيكون عندها أضغاث من الرياحين ، ويؤتى به إلى الحجرة الشريفة أيضاً ؛ ويلقى من طيقان الشبايبك التي داخلها ، فلا يزال هنالك حتى يذبل ويذوي ، فيخرج في كناسة الحجرة ويقسمها الأغوات بينهم مع باقي الشمع الذي يوقد داخل الحجرة وما يتساقط من الطيب ، فيجمعون ذلك فيهدون منه لأصحابهم والأكابر ويبعثون منه إلى من يهاديهم من أهل الآفاق (٢) .

ومن عاداتهم يوم الجمعة أيضاً أن يكنس المسجد النبوي كله . ويؤتى بأغطية من ديباج أسود مخصوص بالذهب فيعلق على أبواب المسجد ، ويؤتى برايتين سوداوين من ديباج مخصوص أيضاً ، فيركزان عن يمين المنبر وشماله ، وتكسى درج المنبر من أعلاه إلى أسفله ديباجاً من ذلك النعت ، ويعلق أيضاً على أبواب الحجرة الشريفة . فإذا كان قبل الزوال بقريب من ساعتين طلع المؤذنون على المآذن فيبتدئ مؤذن الراية بالذكر والصلاة على النبي ﷺ وقراءة آيات من القرآن فإذا فرغ تلاه صاحب السليمانية على نحو من ذلك ثم لا يزالون كذلك يتناوبون الذكر والصلاة على النبي ﷺ والتلاوة على المآذن كلها إلى أن يخرج الإمام بأثر الزوال ، يقتسمون الوقت بذلك فإذا قرب دخول الإمام قام أحد المؤذنين على سرير المؤذنين فينشد ما شاء الله ، فإذا دخل الإمام ورقى المنبر أذن المؤذنون دفعة واحدة داخل المسجد على السرير الذي وسط المسجد ، وكيفية آذانهم أنه يبتدئ رئيسهم فيقول : الله أكبر الله أكبر فيقوله الآخرون بعده دفعة واحدة ، ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله مني

(١) : « العياشي » : ٢٨٧/١ و « الناصرية » : ج ٢ ص ٥٦ فما بعدها .

(٢) : « العياشي » : ٢٨٧/١ .

(٥) الناصرية ج ٢ ص ٥٦ .

فيقولونه أيضاً بعد فراغه دفعة واحدة ، وهلم جرّاً إلى آخر كلام الأذان (١) .

وأما الخطابة فهي كالإمامة موزعة بين فقهاء المدينة لكل واحد مقدار معلوم من الأيام على قدر حصته التي يأخذها من جامكية الخطباء فمنهم مقل ومكثر ، وذلك إما بالوراثة من أسلافهم أو بالشراء من الولاة وهو الغالب ، فمنهم من تدور نوبته في كل شهر مرة ، ومنهم من لا تصل إليه النوبة إلا مرة في السنة ، ومنهم بين ذلك على حسب انصبأهم في المال المأخوذ على ذلك . والحاصل أن المناصب الشرعية كلها في البلاد الشرقية حجازاً ومصرأ وشاماً من إمامة وخطابة وأذان وإقامة وقضاء وفتوى وشهادة ، بل ووقيد المساجد إنما تنال بالشراء من الولاة .

ومن عادة المدرسين في المدينة تعطيل القراءة في المكاتب والتدريس ، يوم الثلاثاء ويوم الجمعة ، ويقرأون فيما سوى ذلك من الأيام . خلاف عادتنا في المغرب من التعطيل يوم الخميس والجمعة : فكنت أيام إقرائي بالحرم الشريف يكلفونني القراءة يوم الخميس فيشق ذلك عليّ لكونه خلاف المعتاد لدينا ، ولخرجنا في ذلك اليوم إلى زيارة أحد أو غيره من المشاهد ، فطالبتهم كل المطالبة أن نعوض الخميس بالثلاثاء ، فأبوا كل الإباءة ، فجزيت على عادتهم كما قيل :

إن جئت أرضاً أهلها كلهم عوراً فقمض عينيك الواحدة

ولا أدري ما السبب في تعطيل الثلاثاء لديهم ، والخميس والجمعة سببهما شهر .

ومن عادتهم في إقامة الصلوات الخمس في الحرم الشريف تقديم الصلوات

(١) : « العياشة » : ٢٨٧/١ .

(٢) « الناصرية » : ج ٢ ص ٥٧ .

(٣) : « العياشة » : ٢٨٧/١ .

(٤) : « الناصرية » : ج ٢ ص ٥٧ .

(٥) العياشة ٢٨٩/١ .

في أول الوقت ما عدا الصبح للحنفي فيؤخره إلى قرب الإمفار ، فيصلون الظهر أول ما تزل الشمس ، وما يقبل غالب الناس إلا بعد الصلاة ، فيذهبون بعد الصلاة إلى منازلهم لنوم القائلة ، وكان ذلك يشق على الغرباء قبل اعتيادهم لذلك فتكاد صلاة الظهر تفوتهم في المسجد لأنهم لا يتأهبون لها إلا بقدر الآذان ، وليس بين الآذان والصلاة قدر يسع التأهب فمن لم يتأهب للصلاة قبل دخول وقتها فاتته في الجماعة غالباً وذلك خلاف السنة في تأخير صلاة الظهر إلى ربع القامة أو أزيد للإبراد في شدة الحرّ ...

وأول من يصلي من الأئمة الشافعي ثم الحنفي إلا في صلاة المغرب فيقدم الحنفي لضيق وقته عنده كالمالكية ، ولا يؤم بالمدينة من الأئمة سواهما من أرباب المذاهب إلا في الجمعة فيصلي صاحب النوبة على أي مذهب كان ، فيتناوب الإمامان الصلاة في المحراب النبوي فإن صلى أحدهما فيه صلى الآخر في المحراب الذي على يمين المنبر الشريف ، وأما المحراب العثماني الذي في الصف الأول فلا يصلي فيه إلا في بعض أيام الموسم إن كثر الناس ^(١) .

ومن عاداتهم في الصلاة على الجنائز إدخال الجنائز إلى الحرم الشريف فيصلي عليها بالمسجد ، ثم يمر بها أمام الوجه الشريف ويوقف بها وقفة ، ثم يذهبون بها إلى محلها من البقيع أو غيره ، إلا جنائز الروافض كالنخاولة فإنها لا تدخل بها المسجد ، ولا يؤتى بها للمواجهة ، بل يأتي أصحابها إلى خارج المسجد من ناحية الروضة ثم يرجعون ، ولقد أحسن من سنّ لهم ذلك من الولاة ، فحق من يبغض ضجيجي الرسول ﷺ ورفيقه في الحياة والممات أن يبعد من حماه حياً وميتاً . قبض الله من يخليهم منها إلى تيماء وأريحا آمين آمين ^(٢) .

ومن عاداتهم في الاملاكات أن يكون عقد النكاح في المسجد الحرام ، فيأتي أكابر المدينة من أرباب المراتب والمناصب ، والخطيب ، فيجلسون

(١) : « العياشي » : ٢٨٩/١ .

(٢) : « العياشي » : ٢٩٥/١ ، أما الحملة الأخيرة فهي من زيادات : الناصرية ج ٥٩/٢ .

صفتين ، من المنبر إلى الحجرة الشريفة ، صف مستقبل القبلة ، وصف مسند ظهره إلى جدار القبلة ، وجلس عن يسار الشيخ كبير الخطباء بالمدينة أحمد البصري ، وبإزاء الخطيب المتعاقدان ، فشرع في الخطبة ، وأطال الثناء على الله بما أهله ، وعلى رسوله ﷺ .

ولقد حضرت إملاك هندي قدم من مكة في الرجبية ، مع الشيخ عيسى كان بينهما صحبة . فأراد العقد لولده مع ابنة رجل آخر من كبار تجار الهند ، فلما كان وقت العقد ذهب بي الشيخ معه وكرهت خلاف أمره ، وما كنت أحب حضور محافل أهل الدنيا المشوبة بأنواع من التصنع والمباهاة خصوصاً في ذلك المحل الذي حق الإنسان فيه أن يخضع ويخضع ... فجلس الشيخ مسنداً ظهره للمنبر النبوي وجلست بإزائه ، وجلس أرباب المراتب من العلماء والخطباء وأكابر الناس ثم ذكر المتعاقدين ، وأطال الثناء عليهما إلى أن ذكر العقد وأشار إلى المتعاقدين ، ورضياً بذلك كل ذلك بلسان الدلو (؟) وصوت جهوري وذلك الذي أنكرته مع المبالغة في الثناء على المتعاقدين بما أكثره زُورٌ بحضرة أشرف الخلق وفي روضة الجنة ، فصغرت نفسي عندي ، وتضاءلت ، وودت أنني لم أحضر ذلك المجلس ، ولو كنت أعلم أن صورة المجلس على هذا الوجه ما حضرته .

ثم أتى بأطباق الرياحين ووضعت بين الصفين ، وأطباق من اللوز والسكر وفرق ذلك على الحاضرين وقام المنشد فأنشد قصيدة أو قصيدتين في مدح النبي ﷺ فافترق المجلس ، وقام الحاضرون إلى المتعاقدين يهنؤنها ، وهذه صورة إملاك كل ذي وجاهة ورياسة من أمير أو تاجر أو صاحب خطة وأما غيرهم فعلى حسب ما يتفق لهم .

فاذا كان ليلة الدخول أتى بالرجل ومعه جماعة كبيرة من أصحابه وأقاربه ، ومعه الشموع حتى يوقف على باب المسجد بعد العشاء الأخيرة ، فيدخل وبسلم على النبي ﷺ ، ويدعو فيخرج ، ثم يذهب به كذلك يزفونه إلى بيت المرأة في دار أهلها عكس المعتاد في كثير من البلاد أن المرأة هي

التي تُزَفُّ إلى زوجها ، وأن الدخول في بيت الزوج ، وعند هؤلاء لما كانت العادة الدخول بالمرأة في بيت أهلها صار الزوج هو الذي يُزَفُّ ، فإذا أصبح الزوج ذهب من بيت الزوجة إلى بيته وأخذ في إطعام الناس طعام الوليمة ، وجاء الناس لتهنئته ، وفي الليلة المقبلة تأتي الزوجة من دار أهلها إلى دار الزوج ، ولكل قطر عادة ولكل قوم سادة ، وعادات السادات سادات العادات (١) .

نساء المدينة : (ونساء المدينة لمن عوائد منمومة في الخروج إلى التنزه والتفرج في البساتين ، والأماكن المنفسحة ، ويسمون ذلك القايلة (؟) فيقولون : نقبل اليوم في الموضع الفلاني وخروج الرجال لذلك أكثر ، فتكلف المرأة زوجها في ذلك من النفقة ما لا قدرة له عليه) (٢) .

وقال أيضاً عن النساء في المدينة : .. (بيد أن نساءهم يبالغون (؟) في الستر الظاهر بحيث لا يبدو من المرأة ولا مغرز لإبرة ، حتى من أطرافها ، يلبسن الخفاف السود ، ويتبرقعن ، ويسدلن من أزهرن ما يكون نهاية في الستر ، إلا أنهن يكترن من الطيب عند الخروج ، فيوجد عرف الطيب منهن من مسافة ، فيكون ما سترته ظاهراً أبديةً باطناً . وهذا فسر بعض العلماء قوله ﷺ : « رُبَّ كاسية في الدنيا عارية في الآخرة » (٣) .

من عادات أهل المدينة : (ولأهل المدينة ولوع وغرام شديد بأكل اللحم ، زاعمين أنهم يستفرون بتركه لحرارة أبدانهم وبيسها ، فيحصل لهم الترطيب به ، فإذا أكلوا غيره حصل لهم ببس في الطبيعة حتى أن من نساءهم من لا يطبخ غداءً ولا عشاء إلا أن يكون لحم ، ويقلن : نحن لا نعرف الطبخ بلا لحم ، ولو أدنى ذلك إلى بقائهم بلا عشاء ولا غداء . وقد أخبرني بعض أصحابنا أن من أهل المدينة من يشتري العبد فلا يكون له شغل إلا شراء اللحم ،

(١) : « المياشية » ٢٩٥/١ .

(٢) : « المياشية » ٢٥١/١ .

(٣) : « المياشية » ٢٤٥/١ .

فيدور عليه في المدينة وأسواقها وفي العوالي وقباء ، في زمن قلته ، فلا يرجع إلى سيده حتى يحصله ، أو يدور المدينة ونواحيها كلها ، فإذا حصله كان ذلك شغله في ذلك اليوم ، ولا يستعمله في غيره ، لأنه إنما تملكه بقصد ذلك (١) .

الثروة والتجارة في المدينة : وقال : وبعد رحيلهم - يعني المصريين - من المدينة بثلاثة أيام نزل الركب الشامي ، ولقوا من الحر في الطريق شدة عظيمة كالذي وقع للمصري قبلهم أو أشد ، فمات منهم جملة كثيرة في الطريق ، وجملة بعدما وصلوا إلى المدينة . وأقاموا بالمدينة المشرفة عشرة أيام ... ونصبت الأسواق ، واتسعت الأرزاق ، وقسمت الصدقات ، وكثرت الإنفاقات ، وبالجملة فلا يستفح أهل المدينة بركب انتفاعهم بأهل الشام فإنهم يقدمون بتجارات كثيرة ، وطعام وزيت وأشربة ، يبيعونه في المدينة عند قدومهم ، ويدخرون ما بقي إلى الإياب فيبيعون كل ذلك بالمدينة ، ولأهل المدينة عند قدومهم عادة مذمومة وهي أنه لا تبقى مخدرة من النساء إلا خرجت تبشر البيع والشراء بنفسها ، ولها على الرجال في ذلك الوقت إتاوة يؤدونها لمن ، فيبتعن بها ما أحبين من اللائق بهن من طيب وشبهه ، وربما لا تقنع إحداهن من زوجها إلا بالخمسين ديناراً فما فوقها . فقد حكى أن امرأة بعض المدرسين بها ، أعرفه ، طلبت منه في ذلك اليوم ما تخرج به إلى السوق على العادة ، فدفع لها عشرة دنائير ، فاستقلتها ، وذهبت من شدة الغيظ فرمت بها في المرحاض (٢) وأتلفتها عليه ، وقالت : أمثلي يخرج إلى السوق بهذا المقدار ، فلم يملك من أمره إلى أن ذهب وتسلف خمسين ديناراً فدفعها لها (٣) .

(١) : « المياشية » : ٣٠٢/١ .

(٢) حاشية مكتوبة بالقلم : (هذه الدالة التي لنساء المدينة على أزواجهن قديمة في الأرس والخزرج ، سكانها الأقدمين ، واقتدى بهن نساء المهاجرين بعدما كن كالميت بين يدي ... بمكة عند أزواجهن ، يشير إلى ذلك قصة عمر مع زوجته وقصة حفصة مع النبي صلى الله عليه وسلم كما في « البخاري » وغيره .

(٣) : « المياشية » : ٢٤٥/١ .

عادات أهل المدينة في المعاملات التجارية

(ومن عاداتهم في التعامل أنهم يسمون الأربعين مايدباً ^(١) حرّفاً ^(٢))
فيقولون : عشرة أحرف وعشرون حرفاً ^(٣) ، يعنون كل أربعين قيراطاً من
قراريط الفضة المسكوكة بعد حرّفاً كقولنا في بلادنا لهذا المقدار مثقالاً ،
ويقولون للدينار من الذهب المسكوك شريفياً أو سلطانياً .

ويقولون للريال المسكوك من الفضة ريالاً وقرشاً قلت : وهذا خلاف
عُرف مصر في القرش ، فإنه عندهم أقل من الريال .

ويقولون للقيراط المسكوك مُحَلَقاً ، وبمصر يقولون له فضة وقائدياً .

ويقولون للصاع الذي به التعامل ربّيعياً ، ولجزءيه كيلة ، ويسمون
الحروف المتقدمة إذا ذكرت مجموعة ذهباً فيقولون : عشرون ذهباً أو
ثلاثون ذهباً يعنون عشرين حرفاً ^(٢) من غير قصد إرادة الذهب ، إذ التعامل
بالذهب إنما هو بالدنانير وأجزائها .

وقد وقعت بيني وبين بعض مدرسي المالكية مناظرة بسبب هذه المسألة ،
أعني تسمية الصرف بالذهب ، وذلك أن بعض الموثقين كتب في معاملة بين
شخصين : أربعين ذهباً أو ثلاثين ذهباً - يعني الصروف - فلما كان وقت
الافتضاء قال له : إني آتبك بالصروف التي هي العدة المذكورة من القراريط ،
قال له المدرس : لا يحل ذلك إلا مع المتاجرة لأن هذا صرف مؤخر ، فإن
الذي في ذمتك هو الذهب ، وأنت الآن تريد دفع الفضة عنه ، فهو صرف مافي
الذمة ولا بُدَّ فيه من صرف هنا ، إذ المراد بلفظ الذهب هنا العدة المذكورة
من الفضة باتفاق من المتعاملين وغيرهما من سائر الناس حتى المدرس بنفسه
لا ينازع في ذلك ، والعبرة إنما هي بمدلول اللفظ المفهوم منه عند المتعاقدين لا
بمدلوله لغة ، فإن العرف الخاص نقل هذا اللفظ من مدلوله لغة إلى مدلول

(١) كذا في الناصرية : ٦٠/٢ .

(٢) كذا في الناصرية ، وفي المباشية (صرفاً) وفي المباشية : (الصروف) .

آخر معروف في العرف الخاص لا ينازع فيه أحد من أهل البلد ، فلو أرادوا مدلول الذهب لغة ^(١) عنه باللفظ الدال عليه في عرفهم كما قدمنا . ويفيد ذلك كون هذا المقدار من الفضة وهو الأربعون قيراطاً ليس في الذهب فرداً يقابله من أفراد الذهب المسكوك الذي يقع به التعامل حتى يصار إلى أنه هو المراد ، فلو قلنا أن المراد الذهب لغة لكان فيه جهالة إذ لا يدري أي أربعون ديناراً أو أنصاف الدينار أو أرباعه ولأن كل ذلك لا يقابل الأربعين قيراطاً التي هي المرادة ، فلو كان في التعامل ذهب مسكوك يروج رواج الأربعين قيراطاً لتوهم أنه المراد . فلما بلغ ما قلت إلى ذلك المدرس لم بدعن للحق فطلب الاجتماع بي وجاءني وذكر لي ما تقدم فلم يجد مدفعاً إلا أن قال : أنظر ما تتقصد من ذلك فإني أخاف أن يكون ذلك ذريعة للناس إلى التعامل بالربا . فقلت له : إذا وضع الحق فلا يترك مخافة الوقوع في الباطل فإن ذلك إنما يكون مع التباس الأمر واشتباهه فيحتاج الإنسان لدينه ، فترك ما لا بأس به حذراً مما به البأس وأما بعد تمييز الباطل بصفته المعلومة شرعاً وتمييز الحق جانباً منه بوصفه المعروف حتى لا يخاف التباس الحق بالباطل فلا معنى لترك الحق إذ ذاك لأجل توهم متوهم .

ثم انجر بنا الكلام إلى مسألة صرف الريال بالمائدية وهي القرارات المذكورة من دون وزن بل بالعدد وقد جرى على ذلك عمل أهل الحجاز ومصر إلا القليل ، وقليل ما هم ، فقلت له : لو انضبط لهم مقدار معلوم من خمسين أو ستين من القرارات تكون في وزنها قريباً من وزن الريال لخرجت عن مسألة « العتبية » من قول ابن القاسم في الدينار بعشرين قيراطاً من الذهب ، إذ لا فرق بين الذهب والفضة في ذلك فلما خفف في دينار واحد في مقابلة عشرين قيراطاً فليكن كذلك درهم كبير من الفضة وهو الريال في مقابلة أجزاء كثيرة من الفضة نحو الأربعين أو الخمسين أو الستين إذ لا عبرة بكثرة العدد وقلته . مع اعتبار التفاوت اليسير في الوزن ، وانفراد إحدى الجهتين بوحدة ، ولكن لما لم ينضبط العدد المدفوع فيه الريال فتارة يكون خمسين وتارة إلى ستين كان

(١) كذا ولعل الصواب : (لعمرو الله) .

في ذلك مكايسة ظاهرة ، وخرجت المسألة من بابها المعروف الذي سبب الرخصة مع الضرورة ، فأبى من قبول ذلك ولو مع الانضباط حتى أطلعت على كلام شيخ مشائخنا سيدي العربي الفاسي في مسألة الريال والرد فيه من دراهم وقته ، أو المهادلة ، وقد حقق ذلك كل التحقيق ، فلما رآه رجع إلى مثل قوله الأول ، والجواب عنه ما قررنا (١) .

وقد ذكر العياشي - في موضع آخر من رحلته (٢) : (وعدد المثقال عندهم أربع وعشرون موزونة ، ويقولون للمثقال الأربعيني مثقال شريف ، نسبة للأمير الشريف صاحب سجلماصة) انتهى ولا أدري من يعني بكلمة عندهم .

الاسعار في المدينة

وقد كانت الأسعار أيام مجيئنا المدينة شديدة ، فكان القمح ثلاثة أصع بريال ، والصاع عندهم يقرب من ثلاثة أصع بصاع الزعوة (٣) وأما التمر فنحو أربعة أصع بالريال ، والشعير ليس بينه وبين القمح إلا يسير تفاوت ، بخلاف اليهود في غالب البلاد ، والعسل اشترت رطلًا منه للدواء بقريب من ثلث ريال ، والسمن دون ذلك ، وأما الفواكه فكانت في أيامها ووسط إبانها العنب بثلاثة مائدية للرطل ، وقد رأيت رمانة في آخر الإبان يبعث بخمس مائدية (٤) .

ولم تزل الأسعار على ما تقدم من الغلاء إلى أن هجم الشتاء وقرب زمان الربيع ، أرخت السماء عزاليها بالأمطار الغزيرة المتوالية وسالت الأودية ، ولم يأت أحد من ناحية إلا حدث بالجو فلاتت الأسعار وكثر العبر (٥) والجبن في الأسواق ، وكان الجبن أول ما بدا يباع بشمانية مائدية للرطل ، فلم تخض إلا

(١) : العياشي : ٢٩٧/١ .

(٢) : العياشي : ٢٠/١ .

(٣) : العياشي : ٣٠١/١ .

مدة مسيرة حتى صار يباع بمائدين ، وكثر اللحم السمين ، وكان قبل ذلك هزبلاً جداً ، ومع هزاله قل ما يوجد ^(١) ...

من عادات أهل المدينة

ولأهل المدينة موسم كبير في شهر رجب ، يحتفلون فيه لزيارة حمزة والشهداء (رض) يأتي الناس إليه من أقطار الحجاز من مكة واليمن والطائف والينبع ، فيحشر هنالك خلائق لا يحصون يقاربون ما يجتمع في موسم الحج ، ويخرج أهل المدينة إلا القليل ، بأولادهم ونسائهم ، ويخرجون معهم المضارب الحسان والخيم الكبار ، ويخرج أمراء المدينة وعسكرها ، وتنصب الأسواق العظيمة هنالك ، يخرجون من أوائل رجب ، ويتلاحق الناس كل على قدر حاله ، فيتكامل خروجهم في اليوم الثاني عشر وهو اليوم المشهود عندهم ويوم الزينة ، فلا يبقى بالمدينة إلا أهل الأعذار ومن شاكلهم ، ويحصل هنالك في تلك الليلة من أنواع اللهو والطرب واللعب أشياء ، والرمي بالمدافع والمحارق ، ويبست الناس طول ليلهم ويومهم في القراءة والزيارة حول القبر ، ويوقد هنالك من الشمع شيء كثير ، وأصحاب شيخنا القشاشي هم المتولون لوظيفة القراءة حول القبر ، لا تنقطع القراءة الليل بأجمعه والنهار بتمامه وكبيرهم شيخنا الملا إبراهيم (رضي الله عنه) . معهم لا يفارقهم في ذلك المحل ، وكيفية القراءة ، أن تجتمع جماعتهم كلهم فيبدأ أحدهم فيقرأ جزءاً ويسمع الباقيون ، فإذا فرغ من حزه أخذ الذي يليه في القراءة والآخرون يستمعون ، ثم كذلك سائر الليل والنهار . وحكى لي أن بعض الفقهاء بالمدينة كان ينكر على أهل المدينة خروجهم إلى أحد في رجب ويقول لهم : إن ذلك من البدع المنفوعة لما يحصل في ذلك من أنواع اللهو والسرف في المطاعم وغيرها ، والتكلف في النفقات ، والخروج من المدينة بالأهل والأولاد والخيم ، الشبيه بشد الرحل بل هو مع ما في ذلك من التشبه بمواسم الحج في الهيئة واعتقاد القرية ، واعتقاد يوم في السنة إلى غير ذلك من الأمور التي لا توافق ظاهر الشرع ، وكان ذلك الفقيه لا يخرج معهم إذا خرجوا ، ويشدد النكير عليهم في ذلك ، فبينما هو

(١) : المياشي : ٣٠٢/١ .

ذات يوم من الأيام التي نهياً الناس فيها للخروج جالس في الروضة أو قريب منها ، إذ غلبته عيناه فرأى النبي ﷺ وهو يدخل ويخرج في الحجرة ، ويقوم ويقعد ، كفعل منتهىء لسفر ، وأثاث السفر معدة بين يديه . فقال له : يا رسول الله ما هذا الذي أرى ؟ أتريد الانتقال عنا والخروج من المدينة ؟ قال : لا إنما نريد الخروج لزيارة عنا حمزة مع أهل المدينة ، أو كلاماً هذا معناه ، فأنبهه الفقيه من نومه ، ونهياً للخروج مع الناس فعجبوا من ذلك وسألوه فأخبرهم بذلك (١) .

من عادات أهل المدينة أيضاً قال : (وأهل المدينة يخرجون إلى هذه المساجد - مساجد الفتح - لقصد التفرج في أيام كثيرة ، ولهم يوم معلوم في السنة يخرجون إليها بالأخبية والأطعمة الكثيرة فيبيتون بها في ليل وطرب ، وهو يوم النصف من شعبان . وقد خرجنا مرة لزيارة المساجد فوجدنا الأعلى منها مملوءاً نساء ، ولم نتمكن من الدخول إليه ، وهن يطبخن فيه أنواع الأطعمة) (٢)

ومن عاداتهم بمكة والمدينة التهنتة بالشهر أي شهر كان ، خلاف المعتاد لدينا بالمغرب فإن التهنتة عندنا إنما تكون بالأعياد وما شاكلها . ولديهم لا بد من التهنتة في أول يوم من كل شهر فيذهب كل واحد إلى من له عليه حق بولاية أو شيخوخة أو صحبة حتى يهنته بالشهر في منزله . والله در القائل :

إِنَّ الْأَهْلَةَ فِي السَّمَاءِ مَنَاجِسِلُ بَطْلُوْعَهَا تَتَحَصَّدُ الْأَعْمَارُ
أَبْدَأُ بِهِنَّ نِيَّ بَعْضُنَا بَعْضاً بِهَا وَظَلُوْعَهَا بِأَفْوَلِنَا إِنْذَارُ

من عادات أهل المدينة أيضاً : وقال : (وسيل العقيق عند أهل المدينة من أعظم المنترهات من سالف الدهر ، ولشعراهم الأقدمين فيه أشعار كثيرة . قال شيخنا أبو سالم ؛ إمام المرحلين في زماننا هذا - وقد حضرت بالمدينة سيله ثلاث مرات ، فخرج الناس على طبقاتهم ونصبت الخيام والمضارب بحافته ،

(١) : « المياشية » : ٢٥٤ / ١ .

(٢) : « المياشية » : ٢٥١ / ١ .

(٣) : « المياشية » : ٢٨٩ / ١ .

وطبخت الأطعمة الكثيرة مع مرور وهو وطرب ، وأقاموا به يوماً أو يومين ، وقد سال مرة سيلاً عظيماً منع الرفاق الوافدين من مكة للرجبية من الوصول إليها إلا بعد مدة ، قال وقد حضرني أبيات ونحن على شاطئه مع جملة من أصحابنا أولها :

جرى العقيق ودمعي كالعقيق جرى
فلا تسل سائلي عما هناك جرى

— ٨ أبيات (١) .

من عادات أهل المدينة (النخالة)

لهم عادة في كل يوم خميس غالباً يأتون إلى مشهد السيد اسماعيل من أول النهار يطبخون هنالك طعاماً كثيراً ، ويجمعون رجالاً ونساء بأولادهم ، وفي الغالب يأتون لختان أولادهم ، فإن من له ولد يريد ختانه لا يختنونه إلا في ذلك اليوم في ذلك المكان ، وربما جاؤوا لغير ختان بل لمجرد الزيارة واطعام الطعام ، ولا يحضر معهم غيرهم وغالب ما يطبخون هنالك الأرز والهريسة باللحم .

وصفة طبخ الهريسة أن يجعل اللحم في المطبخ ويجعل معه اللحم ، ويطبخ حتى يفارق اللحم العظم فتزال العظام ، ويبالغ في طبخ اللحم مع القمح حتى يطيب القمح وينزلع فيأخذون عصياً شبه المغارف عراض الرؤوس فيلوكون ذلك به حتى يختلط اللحم مع القمح ويصير مثل العجين فيأخذونه في الأواني ويصبون عليه السمن ، وهي عند أهل الحجاز من أشهر الأطعمة ، وهي قوية إذا شبع منها الإنسان قد لا يشتهي الطعام يوماً وليلة (٢) .

الزيارة الرجبية

جرت عادة أهل المدينة بزيارة قبر سيدنا حمزة (رض) كل يوم خميس

(١) : « الرحلة الناصرية » : ج ٢ ص ٧٣ .

(٢) : « العياشي » : ٢٨٤/١ .

وربما باتوا هنالك ليلة الخميس في غالب الأحوال ... ولا أعلم لاختيارهم الزيارة في يوم الخميس سبباً إلا أن يكون ما ورد من أن الأموات يعلمون بزيارتهم يوم الجمعة ، ويوماً قبله ويوماً بعده ، فلما كان يوم الجمعة يضيق المشي فيه بسبب الاشتغال بمقدمات الصلاة وزيارة البقيع ، ويوم السبت لزيارة قبا فلم يبق إلا يوم الخميس ...

وباب المشهد لا يفتح إلا يوم الخميس يأتي القيم من المدينة بالقصد لذلك .

ولأهل المدينة موسم كبير في رجب يحتفلون فيه لزيارة حمزة والشهداء (رض) ، يأتي الناس من أقطار الحجاز من مكة واليمن والطائف والينبع فيحشر هنالك خلائق لا يحصون يقاربون ما يجتمع في موسم الحج ، ويخرج أهل المدينة إلا القليل بأولادهم ونسائهم ويخرجون معهم المضارب الحسان والخيم الكبار ، ويخرج أمراء المدينة وعسكرها ، وتنصب الأسواق العظيمة هنالك يخرجون من أوائل رجب ، يتلاحق الناس كل على قدر حاله ، فيتكامل خروجهم في الثاني عشر وهو اليوم المشهود عندهم ، ويوم المدينة ، فلا يبقى في المدينة إلا أهل الأعذار ومن شاكلهم ، ويحصل هنالك في تلك الليلة من أنواع اللهو والطرب واللعب أشياء كثيرة ، والرمي بالمدافع والمحارق ، ويبعث الناس طول ليلهم ويومهم في القراءة والزيارة حول القبر ، ويوقد هنالك من الشمع شيء كثير .

وأصحاب شيخنا القشاشي هم المتولون لوظيفة القراءة حول القبر ، لا تنقطع القراءة الليل أجمعه والنهار بتمامه ، قال : وكبيرهم شيخنا الملا إبراهيم رضي الله عنه ، معهم لا يفارق ذلك المحل ، وكيفية القراءة أن تجتمع جماعتهم كلهم ، فيبدأ أحدهم فيقرأ جزءاً فيسمع الباقيون فإذا فرغ من جزئه أخذ الذي يليه في القراءة والآخرون يستمعون ، ثم كذلك سائر الليل والنهار . قال : وحكي أن بعض الفقهاء بالمدينة كان ينكر على أهل المدينة خروجهم إلى أحد في رجب ، ويقول لهم أن ذلك من البدع المذمومة لما يحصل في ذلك

(١) : د العياشي : ٢٥٣/١ .

من أنواع اللهو والسرف في المطاعم وغيرها ، والتكلف في النفقات ، والخروج من المدينة بالأهل والأولاد والحليم الشبيه يشدّ الرحال بل هو مع ما في ذلك من التشبه بمواسم الحج في الهيئة واعتقاد القرية ، واعتياد يوم في السنة إلى غير ذلك من الأمور التي لا توافق ظاهر الشرع . وكان ذلك الفقيه لا يخرج معهم إذا خرجوا ويشدّد النكير عليهم في ذلك جداً - ثم ذكر أن ذلك الفقيه رأى النبي ﷺ يدخل الحجرة ويخرج منها ويقوم ويقعد وانه قال : إنما أريد الخروج لزيارة عمنا حمزة مع أهل المدينة ، وكلاماً هذا معناه ، قال : فانتبه الفقيه من نومه وتنبأ للخروج مع الناس فتعجبوا من ذلك وسألوه فأخبرهم ...

ولما كان أول رجب جعل الناس يقدمون من أقطار الحجاز واليمن ، مكة والطائف واليمن ونجد وجدة وما والاها من أطراف اليمن لشهود الرجبية ، وزيارة سيد الشهداء حمزة ﷺ فما من يوم إلا وتدخل فيه قافلة من مكة ونواحيها ، ولم يزل الناس يتلاحقون ، فخرج أهل المدينة إلى أحد من اليوم الخامس والسادس من الشهر ، ورجعوا في اليوم الثاني عشر ، ولم يبق بالمدينة إلا القليل ، وخرج العسكر لحراسة الناس في الطرقات من المدينة إلى أحد .

وبعد الرجوع من أحد نزل الوافدون في المدينة ينتظرون الرجبية وهي ليلة سبع وعشرين منه ، ليلة المعراج ، وقدم خلق كثير من الأعراب ، وكانت بالمدينة سوق عظيمة ، وامتلاً المسجد وجوانبه فما من يوم إلا ويزداد الخلق فيه كثرة ، فإذا كانت الليلة السابعة والعشرين تكامل حشر الناس ، فمن لم يدخل إلى المسجد من قريب من العصر قلتما يجد موضعاً لصلاة المغرب والعشاء فيغص المسجد بمن فيه ، ويفتح الحرم طول الليل ويبيت الناس في ذكر وقراءة وصلاة ، كل على حسب ما يسنح له إلى الصباح ، فإذا أصبح أخذ الأعراب في التوديع فيسمع لهم حنين كحنين الإبل في المسجد ، وصياح وصراخ ، رافعين أصواتهم بالصلاة على النبي ﷺ والاستغاثة به ، فيرق قلب سامعهم ويحن ويشفق لهم على جفائهم وجهلهم ، فلا يأتي مساء ذلك اليوم حتى لا يبقى بالمدينة منهم إلا القليل ...

وإذا استهل شهر شعبان أخذت القوافل في الرجوع إلى مكة ، ويرجع غالب من جاء من أهلها ، ولا يبقى إلا القليل ممن يريد شهود رمضان بالمدينة (١) .

فواكه المدينة وخصرها

وفواكه المدينة مع غلاتها في غاية الجودة ، خصوصاً عنبها ورطبها ، وأما الخضر فأكثرها وجوداً الجوز والباقلأ والملوخية والبامية والبصل واللفت .

والخضر البرية ليس بها إلا الخبيز (٢) .

الصحة في المدينة : (ولا يأكل أحد في تلك البلاد السمن القديم والشحم القوي إلا أضرب به ما لم يكن حديث عهد بالبلد ، فإذا طالت إقامته بالبلد تطبع بطبعهم . وطبع ذلك البلد المشرف وهو آؤه قلما يوافق أحداً من أهل مغربنا الأقصى ، ممن بلده ريف ذات مياه وخصب ، وإنما يوافق أمزجة أهل الصحراء كتوات وتجراره وأهل السودان وذلك - والله أعلم - لفرط حرارة هاؤلاء ، فقلما رأيت أحدهم مريضاً في تلك البلد إلا مرضاً خفيفاً ، وقلما رأيت أحداً ممن بلده كبلادنا ريف وخصب إلا وقد ألظ به المرض إلا القليل ، ممن طالت إقامته جداً في البلد وتطبع بطبع أهلها .

وقال : من يوم قدومنا للمدينة كل من تكلمنا معه من أصحابنا المجاورين يقول لنا : استعدوا لحمى المدينة ، فلا بُدَّ لكم منها . فإنها تحفة النبي ﷺ وكرامته بلخيرانه لتمحيص ذنوبهم . وكان بعض أصحابنا يتمعض (؟) من ذلك ، ويشق عليه سماعه منهم ، ويقولون : نحن نرجو أن تكون كرامة النبي ﷺ لنا بغير ذلك . فكان أولنا وقوعاً في المرض ، وأطولنا إقامة فيه ، والله يغفر له ويكفر زله ، قال : ولا بُعد ولا نكسر في تسمية الحمى بتحفته ﷺ ولذلك

(١) : « العياشي » : ج ١ ص ٣١٠ .

(٢) : « العياشي » : ٣٠١/١ .

أصل في السنة ، فقد ورد في بعض الأحاديث أن الحمى استأذنت على النبي ﷺ فقال لها : « اذهبي إلى الأنصار ، فإن لهم علينا يداً — أو كما قال ﷺ — وروى الإمام أحمد وغيره برجال الصحيح عن جابر بن جابر ﷺ : استأذنت الحمى على رسول الله ﷺ فقال : « من هذه ؟ » فقالت : أمّ مكتوم . فأمر بها إلى أهل قبا ، فلقوا ما لا يعلمه إلا الله ، فأتوه فشكوا ذلك إليه فقال : « ما شتم ، إن شتم دعوت الله أن يكشفها عنكم وإن شتم تكون لكم طهوراً » ؟ قالوا : أو تفعل ؟ قال : « نعم » قالوا : فدعها .

ولما قرب زمان انقضاء الحرّ ، وأقبلت هوادي زمن البرد ، وظهرت البرودة في الهواء صباحاً ومساءً ، أخذوا يدثرون أبدانهم في الثياب الكثيفة التي تلبس في أيام البرد الشديد — ويقولون : إن البرد في أول إبانته يسرع إليه فساد الأمزجة ، وهو أضر من البرد الشديد الذي يكون في وسط الشتاء ويقولون : إن الناس يلبسون من غليظ الثياب في آخر الخريف ما لا يلبسون في صحيح الشتاء ، وشديد الزمهرير . وكنا نحن لآلفنا البرد الشديد في بلادنا نلقاه بأبداننا ، ونعري له أطرافنا فرحاً بقدومه ، لما قاسيناه من شدة الحرّ الذي لم نعهد مثله في قطرنا . فكانوا ينهوننا عن ذلك ولا تنتهي ويقولون : ليس هواء هذه البلدة وبردها كالذي تعهدون . فكنا لا نلتفت لذلك ، ثقةً بما نعهد في أنفسنا في بلادنا من الصبر على بردها الذي لا يكون برد هذه البلدة بالنسبة إليه إلا كنسبة زمان الاعتدال لزمان الحرّ والبرد — فكان ذلك — مع قدر الله تعالى — هو السبب في حصول المرض المتطاوّل بنا وبكل أصحابنا ، ولقد صدقوا فيما قالوا ، ويشهد له قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه : اتقوا البرد في أول إبانته ، وتلقوه في آخر أوانه ، فإنه يفعل بالأبدان ما يفعل بالأشجار ، فأوله محرق ، وآخره مورق ، ذكره الزمخشري في كتاب « ربيع الأبرار » .

خصوصاً في تلك البلاد ، فإن بدن الإنسان يكون مشتعلاً حرارةً لغلبة الحرّ ، فإذا فاجأ البرد البدن في تلك الحرارة أضرّ به ، بخلاف البرد الذي

يجيء في آخر الإبان فإنه يصادف البدن قد سكنت حرارته (١) .

الادارة والحكم في المدينة

تُدار الأمور العامة في المدينة المنورة في الوقت الذي كان العياشي فيها (١٠٧٤ هـ) من قبل أمير المدينة وولاية الأُمراء ، وأما شؤون الحرم الشريف فيتولاها شيخ الحرم وشيخ الأغوات ، والأغوات (الطواشية) يمثلون في ذلك العهد مُجْتَمَعاً له عاداته وتقاليده الخاصة ، كما وصفه العياشي .
فلنبداً بهذا الوصف .

الأغوات

وشيخ الحرم وهو كبير العبيد الأغوات الموقوفين على خدمة المسجد والحجرة الشريفة ، والأغوات بلغتهم كناية عن الخصي من العبيد ، واختاروا وقف الخصي دون غيره لكونه أطهر وأزهر وأكثر فراغاً من الأشغال ، اذ لا أهل له ولا ولد يشتغل بهم وهو أبعد من دنس الجَنابة ومباشرة النساء ، وهم عدد كثير قريب من الثمانين ، يزدون وينقصون بحسب كثرة الراغبين في الوقف وقلتهم ، والأربعون منهم هم الكبار الذين يأتي رزقهم ومؤونتهم من بيت المال ، وما زاد على ذلك انما يرزقون من الأوقاف التي لهم بالمدينة ، أو مما يأتيهم من الهدايا والصدقات من أقطار الأرض ، ويسمى ما سوى الأربعين البطالين لأنهم انما يستعملون في الأشغال التي هي خارج الحجرة والمسجد النبوي من الأعمال الممتنة ، ولا يجلسون مع الأكابر في الدكة ، وانما يجلسون خارجها ، ولهم ضبط وسياسة كسياسة الملوك ، فلكل واحد منهم رتبة معلومة ، وشغل معلوم . فإذا مرّ بالأصاغر أحد الأكابر قاموا كلهم ، وكذا الأكابر فيما بينهم ، فأكبرهم شيخ الحرم وهو يتجدد في الغالب إما في سنة أو سنتين أو أكثر ، ولا يأتي الا من دار السلطان من عبيده ، يليه

(١) : « العياشي » : بتصرف ٣٠١/١ .

(٥) : « الناصرية » : ٦٦/٦٥/٢ .

النقيب ويليهِ المستشار وهو الذي يتولى قبض الصدقات وما يهدى لهم أو للحجرة ، ويبيده مفاتيح الحجرة وحوامل الزيت والشمع ، ويبيده جميع ما يتصرف فيه الأغوات من مصالح المسجد ومن أوقافهم ، فإذا مات واحد من الأربعين دخل واحد من البطالين في موضعه ، وهو من كان شيخ البطالين والترتيب في ذلك بالتقدم فمن تقدم محبته يقدم على من تأخر محبته ، وليس فيهم شافعي ولا حنبلي ، بل كلهم حنفية أو مالكية على مذهب ساداتهم الذين أوقفوهم ، وذلك لأن الشافعية والحنابلة لا يرون صحة وقف الحيوان ،

ومن أوقف عبداً من الأغوات على الحجرة نُسِبَ إليه ، سواء كان من التجار أو من الأمراء أو العلماء ، فيقال : أغافلان وكلهم يبيتون في المسجد ما عدا شيخ الحرم والنقيب ، وأما الآخرون فلا يبيت واحد منهم بداره إلا لعذر بيتن من مرض أو نحوه ، ولاكنهم - جزاهم الله خيراً - عن تعظيم المكان وتوقيره وتبجيله وكلهم أهل خير وبركة - قد اختارهم الله لخدمة أشرف البقاع ، وشرفهم بالنسبة لأشرف الخلق ﷺ (١) .

وقد كان كبيرهم المتسلم أيام مجاورتنا الآغا يحيى ، وهو من أوقاف الشيخ الصالح الحاج الأبرسيدي أبو حفص بن الشيخ عبد القادر بن بو سماحة المغربي من ناحية فجيج ، وتوفي الآغا يحيى بعد خروجه من المدينة ونحن بمكة ، وتولى مكانه الآغا مصطفى وهو مالكي أيضاً .. وكلاهما كان يباليغ في تعظيمنا والاحسان إلينا .

ومن عادة الأغوات كل ليلة إذا فرغ الناس من صلاة العشاء ورواتها قاموا بأيديهم الفوانيس الكبار - وهي الفئارات عندنا - مشعلة ليخرجوا الناس من المسجد فيأثون إلى المواجهة والصف الأول يقف بعضهم أول الصف ووسطه وآخره ، فيخرجون كل من فيه ، فإذا لم يبق أحد بذلك الصف تكلموا بكلمة ذكر رافعين أصواتهم بها ، فينتقلون إلى الصف الذي يليه ، ثم كذلك حتى لا يبقى في المسجد أحد سواهم فيغلقون أبواب المسجد ، ويطفئون

(١) : « البياضية » : ٣٠٥/١ و « الناصرية » : ج ٢ / ١٦٦ و ٦٧ .

المصاييح كلها إلا التي في مواجهة الوجه الشريف والتي داخل الحجرة ، فيخرجون فرشهم من الخواصل ، فينامون هنالك ، ولا ينام أحد منهم في المسجد ، بل ولا يأتيه إلا من قصد منهم الصلاة (؟) ومنهم أناس على قدم صدق في العبادة ، وغالب نوم الصغار منهم في مؤخر المسجد .

ومن وراء المسجد في الناحية الشامية مiazza كبيرة ، فيها بئر كبير وأخيلة ، وفتح لها باب إلى آخر المسجد ولا يفتح إلا ليلاً بعد غلق الأبواب ، وتسرج فيها المصاييح لوضوء الأغوات ، وإزالة حقنة من احتاج إلى ذلك بليل .

فإذا غلقت الأبواب هدأت الأصوات منهم ، وخشعوا فلا تكاد تسمع من أحد منهم كلمة ، فمن احتاج منهم إلى كلام أحد كلمه كأخي السرار .

ولقد رأيتهم يبالغون في خفض أصواتهم بالليل ، حتى بالسعال والعطاس ، وتنزل عليهم السكينة ، وتلحقهم هيبة المكان ، وليس ذلك منهم مجرد استعمال ، بل لما يخالط قلوبهم من هيبة المكان قال : ولقد أخبروني أنه لا يقدر أحد منهم بليل أن يصل إلى الروضة ولطرف الحجرة والمواجهة إلى الأفراد منهم وأنهم يسمعون بالليل قعقة السقوف وقرقة الشبايك حتى يظن أن أحد أبواب الحجرة فتح أو أن بعض السقوف وقع ، فلا يجدون شيئاً من ذلك ، وذلك ، والله أعلم ، لنزول ملائكة الرحمة على قبره ﷺ وقدم بعض رجال الغيب للزيارة ويظهر ذلك بالليل لهدوء الأصوات به ، وخلو المكان ...

فإذا كان بعد الثلث من الليل جاء رئيس المؤذنين ففتحوا له وصعد إلى المئذنة الراحية وأذن وشرع في الدعاء والذكر والصلاة على النبي ﷺ فيقوم كل من في المسجد من الأغوات فيتوضؤون ، ثم يصبحون كل ما في المسجد من المصاييح ، فإذا فرغوا من الإصباح ، وقرب الصباح ، فتحوا أبواب الحرم ، ولا يأتي وقت فتحها حتى تجتمع بأبواب المسجد جماعة كثيرة من المتجهرين ، ينتظرون الفتح ، فإذا فتحت الأبواب دخلوا مزدحمين ، وتسابقوا الصف الأول من الروضة فيما بين القبر والمنبر ، فمن سبق إلى موضع كان

أحق به ، فإذا أراد القيام لحاجة كزيارة أو تجديد وضوء بسط نمرة (٩) له في محله ، فلا يجلس أحد فيه ولو أبطأ ، وكثيراً ما يعتدي في ذلك أقوام فيدخلون مع أول داخل من غير طهارة لقصد السبق إلى الموضع وتحجير ه ، فإذا بسط فيه فروته أو متدبله ذهب إذ ذاك إلى الطهارة وأسبابها وكثير منهم يبطل في الطهارة فيحجر على الناس المحل ، وربما عرض لأحدهم حاجة بمنزله أو في السوق فيترك النمرة في محله ولا يقربه أحد وإن أبطأ كثيراً ، وفي ذلك من الضرر على المصلين ما لا يخفى ، على أن دخولهم مزدحمين ، واستبقاهم إلى الروضة حتى ربما سمع لأقدامهم من شدة العدو دوي سوء أدب لا يخفى ...

وساداتنا الأغوات رضي الله عنهم وجزاهم خيراً لا يغفلون طرفة عين عن حراسة الحرم الشريف ، وتأديب من أساء الأدب فيه بلفظ أو رفع صوت أو نوم ولو في قائلة إلا في مؤخر المسجد ، ومن وجدوه مضطجعا من دون نوم للاستراحة ، فإن مدَّ رجله إلى ناحية الحجره زجروه ، وإن استقبل القبلة بوجهه أو الحجره من غير أن يكون مستندبراً لها تركوه ، ولا يغفلون عن حضور المسجد في ساعة من ليل أو نهار ، فإن خرجت طائفة جلست طائفة .

ولهم ديار وخدم وأتباع ، وتخييل وضياع ، وسعة دنيا . ولا يشغلهم ذلك عما هم بصدد من خدمة المسجد ، بل لبعضهم أزواج وسراري ، اتخذوها للتلذذ بما سوى الجماع .

وأحكامهم فيما بينهم منضبطة غاية الانضباط ، ولا يحكم فيهم سلطان ولا غيره ، ولا يولى عليهم ولا يعزل منهم ، إلا بأمر شيخهم . ولا يرث معهم بيت المال إن مات أحدهم ، إنما يتوارثون بينهم . ومن وجبت عليه عقوبة منهم أو أدب أدبوه ، من غير أن تكون لأحد عليهم ولاية ، كل ذلك تعظيم لجانب النبي ﷺ أن تكون لأحد ولاية على عبده وخدم حجراته الشريفة ولا يدخل معهم من العبيد الذين يهدون من الآفاق إلا من رضوا إدخاله ، بمال يدفعه عنه سيده أو يدفعه هو إن كان له مال ، ومع ذلك يبقى في رتبة الصغار المشتغلين بالخدمة الخارجة . فإن رضوا حاله وحسنت أخلاقه تركوه حتى تأتي نوبته في الدخول في زمرة الأربعين ، وإن ظهرت منه خيانة أو سوء أخلاق أو

سرقة أو شيء يشبهه نفوه إلى حيث شاء من البلاد .

وبالحملة فلعميد سيدنا رسول الله ﷺ وخدام مسجده جلالة قدر ، وعظيم منصب ، وسعة أرزاق وكرم أخلاق ، وهم أحقّاء بذلك .

ولكبرهم كلمة نافذة في المدينة ، تنفذ أحكامه ، وتمضي تصرفاته ، في القوي والضعيف والشريف والمشروف ، ويطأ عقيبته الكبراء والأشراف (١)

أمراء المدينة : قال في الكلام على الخطبة في المسجد النبوي الكريم : (ولم يكن يدعى في الخطبة يوم الجمعة إلا لثلاثة ، أولاً بعد الصلاة على النبي ﷺ والراضي عن : الآل والخلفاء والصحابة — للسلطان الأعظم ملك الترك ، إلا أنهم يبالغون في تعظيمه بأوصاف لا ينبغي أن يعظم بها أحد من الخلق ، خصوصاً بحضرة الرسالة (٢) وليس في تلك الأوصاف أحسن ولا أجمل ولا أكمل من قولهم فيه : خدام الحرمين الشريفين ، فأكرم بها نسبة — وقد رأيت في بعض التواريخ أن أول من وصف بذلك من الملوك في الخطبة السلطان الأجل صلاح الدين أيوب وأنه لما قال الخطيب ذلك وسمعه سجد شكراً لله أن أهله لذلك وسماء به ... ثم بعد الدعاء لملك الترك موصوفاً بكونه ملك البرين والبحرين ، والشامين والعراقيين يدعى للسلطان زيد بن محسن موصوفاً بكونه حامي الحرمين الشريفين . ثم يدعى للأمير المدينة السيد الحسين بن حماد موصوفاً بكونه حامي المدينة وأميرها ، على أنه — فيما يظهر — ليس له من ولاية المدينة وإمرتها إلا الاسم أو ما يقرب منها (٣) لأنه من تحت أمير السلطان زيد والتصرف لنوابه وأقاربه .

وقد كانت إمرة المدينة فيما مضى والتصرف في ولايتها لبني حسين ، كما أن ولاية مكة لبني حسن ، وكانت تقع بينهما حروب ، وكانت بنو حسن لهم قوة وبطش ربما غلبوا عليهم . والآن صار الأمر لبني حسن ، فجمعوا الولايتين ، ولم يبق لبني حسين إلا رسوم قليلة من ولاية المدينة ، وصاروا كلهم إلا القليل بادية يرحلون ويتزلون بنواحي المدينة ، وهم قبيلة عظيمة قوية ،

(١) : العياشي : ١ / ٣٠٥ ال ٣٠٩ .

ليس لهم إسم إلا بنو حسين ، وكبيرهم الموسوم بولاية المدينة ، نازل بالمدينة ، وبعض أقاربه ، ولهم شارة حسنة ، ومنازل رقيقة تدل على نباهة الذكر (١) .

تصرف الولاة في المدينة : (وعلى طول إقامتي بالمدينة لم أدر كيف تصرف الولاة فيها . ولا من له التصرف التام بها . فإن شيخ الحرم وهو كبير الخدام تنفذ أحكامه . وكبير العسكر الساكنين بالقلعة أمير أيضاً ، وابن عم السلطان زيد وزوج ابنته السيدة تقيّة النائب عنه في النظر في مصالح البلد كذلك ، والأمير الذي تنسب إليه إمرة المدينة من الشرفاء الحسينيين كذلك . والحاكم الذي يسجن ويضرب ويقتل ويؤدب وهو من خُدّام السلطان كذلك ، ولا أعلم هل لكل واحد من هؤلّاء ولاية على قوم بالخصوص أو على عمل من الأعمال ، ولم يشف لي أحد غرضاً في كيفية ذلك ، ولم أبالغ في الفحص عنه ، إذ لم يتعلق لي به غرض إلا مجرد العلم بالاحاطة بأخبار المدينة دينيتها ودنيويتها لحبتي لها ولساكنيها) (٢) .

إتاوات ومكوس : وقال : (ولما كان منتصف صفر دخل الركب العراقي إلى المدينة ونزلوا شامي سلع من غربي ذباب إلى قريب من مساجد الفتح . وكنا نخرج في بعض الأيام إلى نعيمهم قصد التفرج . وقد أخذوا فيما بين مكة والمدينة نحواً من ٤٥ يوماً بسبب أداء المكوس الموظفة عليهم من قبل الأمراء . وجملة ما أدوا من خروجهم من أصبهان يزيد على خمسين ديناراً ذهباً لكل رأس ، والخمسون عندهم معدة لهذا زيادة على النفقة والكراء ، فإن كانت المكوس التي تنوبهم خمسين فأقل لم يتضرروا لاستعدادهم بها وما زاد على الخمسين استقروا به .

وقد أخذ منهم هذه السنة عامل البصرة لما مروا بها ثلاثين ديناراً وأشخص معهم عسكراً وأميراً من قبله حتى يردّهم إلى البصرة ... متعللاً بأنهم ليسوا في ولاية سلطانه فلا يجب عليه حمايتهم إلا بإتاوة يأخذها منهم . ولأجل ذلك لا

(١) : « العياشي » : ٣٠٩/١ .

(٢) : « العياشي » : ٣٠٩/١ .

يدفع هذا المكس أهل بغداد ولا أهل الكوفة والبصرة وان قدموا معهم في
الركب لأنهم في طاعة ملك الروم وأمراء هذه البلاد عماله

وناهيك بما يقع لحجاج المغاربة في دخولهم مصر وخروجهم منها ، إلا
أنهم لا يأخذون إلا ممن معه تجرة . وعند الخروج من مصر لا يأخذون إلا
من أهل المغرب الأقصى وأهل السودان ، متعللين بما ذكرنا أولاً أنهم ليسوا
من رعية السلطان ، فلا يخرجون السلع من بلد السلطان إلى بلاد سواها إلا
بِجُعل ...

ولا يأخذ سلطان مكة شيئاً من كل من يرد من الشام ومصر والمغرب لانه
وإن كان مستقلاً في مملكته هو في الحقيقة عامل من عمال صاحب الروم ، يأتيه
من مصر من الأموال والأطعمة ما يقوم بكفايته وكفاية عساكره .

وأما أهل اليمن فأمرؤهم في الإمامة أقاربه من النسب والمذهب ، وبينهم
مواصلات كثيرة ومحاماة .

وأما الهند فلا يقدمون إلا في البحر ، وغالبهم تجار ، فيدفعون العشر بمجدة ،
وإن قدم بعض كبرائهم قاصداً للحج فقط فإنه يستصحب من الهدايا والتحف
ما يجبل وصفه ، وأخذ أمير مكة في هذه السنة من هاؤلاء الأعجام أهل العراق
أحد عشر ديناراً ذهباً لكل نفس ، ستة لدخول مكة ، وخمسة لدخول
المدينة وقد حبسهم عن المشي بعد الخروج من مكة إلى مر الظهران حتى
أقاموا هنالك نحواً من ١٢ يوماً بسبب بقية بقيت عليهم من الخراج .
فلما وصلوا إلى بدر حبسهم أميرهم هناك أسبوعاً حتى أعطوا ثمانية دنانير
آخر ، لكل نفس ، متعللاً بانقضاء الزاد والعلوفة بسبب التعطيل المذكور ،
وهذا كله سوى ما يعطونه الأعراب من يوم خروجهم من المدينة ، وقد قدموا
هذه السنة بركب عظيم ، فيه داية السلطان وطيبه وحاجبه ووزيره ، وعدة
الذين أعطوا المكس من الأعجام سوى الأعراب والخدام ثمانية عشر مائة .

نفوذ الأتراك في المدينة : وقال عن الأتراك : (بها طائفة كبيرة من عسكر السلطان ، زاعمين أنهم معدون لحراستها ، وفي الحقيقة إنما يأكلون مال السلطان في غير شيء فلا يغيثون ملهوفاً ، ولا يردعون ظالماً) (١) .

المناصب الشرعية :

(والحاصل أن المناصب الشرعية كلها في البلاد المشرقية حجازاً ومصرًا وشاماً من إمامة وخطابة وإذا ن وإقامة وقضاء ، وفتوى وشهادة ، بل ووقيد مساجد إنما تنال بالشراء من الولاية فإذا مات صاحب خطة أو عزل دفع الراغب فيها مالا للولاية فيقولونه مكانه على أي حال كان من صلاحيته لذلك أم لا ، فعظم الخطب على المسلمين والإسلام في ذلك خصوصاً منصب القضاء ، فما رأينا ولا سمعنا في البلاد كلها بقاض يقارب الحكم بما يشبه أن يكون شرعاً ، وإنما مدار أمرهم على الرضا جهاراً ، فينقض الحكم الواحد في اليوم الواحد مراراً متعددة بحسب كثرة الرشى وقلتها .. على أن بعض أصحابنا وهو الشيخ عبد الله با عفيف اليمني قد أتى على قاضي المدينة لحبته وهو القاضي مكّي ثناء حسناً وزعم أنه متبع للحق جهده وأنه من أصحاب شيخنا السيد محمد باعلوي اليمني المكي ، وأنه هو الذي أمره بتولية خطة القضاء والبقاء فيها بعد إرادة التنصل عنها . وغالب الناس بالمدينة على خلاف مدعى صاحبنا هذا في هذا القاضي والله أعلم بحقيقة أمره ، بيد أن في سنة تسع وخمسين وهي أول سنة حججت فيها جاء إلى المدينة قاضي تركي من قبل القسطنطينية ، فأظهر العدل فيها غاية ، وأقام الدين على الحق ، وضرب على أيدي كثير من ولاية المدينة ، ومنعهم من كثير من الباطل والظلم الذي هم به متصفون ، فثقلت وطأته عليهم ، واشتدت شكيمته على السلطان الأمير زيد بنفسه ، حال بينه وبين كثير من مراداته التي على خلاف الديانة ، وكان السلطان زيد قدم في تلك السنة إلى المدينة ، وأقام بها مدة ، فلم يزل يمثالون (؟) على القاضي حتى اغتيل ليلة من الليالي وكان يأتي إلى المسجد النبوي قرب صلاة الصبح راكباً ، يصلي في

(١) : : المباشية : : ٢٠٢/١ .

المسجد ، فكمن له رجل قريباً من باب المسجد فضربه بيمينه فقطع بها أعمامه ، ففرّ الضارب في ظلمة الليل ، ولم يكن مع القاضي إلا قليل من خدامه ، فأجرى فرسه من ألم الضرر حتى أتى باب المسجد ، بل قيل : إنه دخل المسجد بفرسه حتى أتى وجاء الرجه الشريف فتزل وأخذ بشباك الحجر ... ولم يرسل يده من الشباك حتى قبضت روحه ، وفرّ الضارب ، ولم يُدرَ أين توجه ، حتى سمع به بمكة أو بجدة ، فأظهر السلطان الأسف على موته ، وأظهر التفتيش على الضارب وزعم أنه لا علم له به ، ولو علمه لنكّل به وقتله ، والخاصة من الناس لم يصدقوه في ذلك ، وعلموا أنه لا يقدر أحد على الجرأة إلا بإذنه ، وأنه لا يخفى عليه فاعله لشدة حزمه ، وعظم مكره ، وكثرة بهائه (؟) حتى إنه لا يكاد يخفى عليه سارق شملة بأرض الحجاز كلها فكيف يخفى عليه مثل هذا . فبالله أي قاضٍ بعد هذا الشهيد يقدر على إظهار الحق والقول به في هذه الديار وما شاكلها . وإلى الله المشتكى .

العلماء في المدينة من أهلها ومن غيرهم

يُعنى الرحالون الذين يقدون إلى الحجاز — أعظم عناية — بالاتصال بعلماء الحرمين وغيرهم من الوافدين عليهما ، لتلقي العلم والرواية عنهم ، ولهذا تعتبر الرحلات من المصادر المهمة لدارسي الحياة العلمية في مكة والمدينة .

ورحالتنا العياشي من أولئك الذين حرصوا على الالتقاء بالعلماء في المدينتين الكريميتين وقد تحدث فأوفى الحديث عمن اجتمع به منهم ، ممن نكتفي بسرد أسمائهم ، فمنهم : —

١ — الشيخ أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الرحمن الربيع^(١) (؟) البجلي ، الزبيدي ، وهو أول من قرأ عليه في المدينة وقال عنه : (ما سمعت أن في أقطار

(١) : « المباشية » : ٢٨٨/١ .

(٢) كذا ولما (الديبج) بالدال .

الأرض كلها على كثرة من سمعت أحسن منه تلاوة للقرآن (وأطال في الثناء عليه ، بدأ القراءة عليه في صفر سنة ١٠٧٣ بالمسجد النبوي ^(١) .

٢ - الملا ابراهيم بن حسن الكوراني الشهرزوري ثم الشهراني نسبة إلى شهران من بلاد الكرب ^(٢) أطال الثناء عليه وأخذ عنه ، ثم اجتمع به مرة أخرى وزار معه شيخه الملا محمد شريف الذي قدم للحج هذا العام ١٠٧٣ .

٣ - ياسين بن محمد بن غرس الدين الخليلي أحد خطباء المسجد الحرام وأئمة ، قرأ عليه وأطال الثناء ^(٣) .

٤ - ابراهيم بن الشيخ خير الدين الخباري ، قدم والده من القاهرة إلى المدينة سنة ١٠٢٧ فتولى الامامة والخطابة والتدريس وخلفه ابنه بعد وفاته ، قرأ عليه ، وأورد شيئاً من شعره ، ومنه في مدح العياشي : -

مُنْذُ لَاحِ بِالْمَغْرِبِ الْمَأْهُولِ فَاضِلُهُ

وَرَاحَ مَرْنَضُماً ثَنِيَّ الْعَلَا نَاشِي

عَاشَتْ مَعَالِمُ أَرْبَابِ النِّهْيِ وَسَمَتْ

وَلَا عَجِيبٌ إِذَا عَاشَتْ بَعِيشَ

فَلْيَبْقِ لِلْعِلْمِ كَيْ نَبْقَى مَدَارِسُهُ

مَأْهُولُهُ يَقْتَضِيهَا الْفَاضِلُ النَّاشِي

وقال العياشي :

سَبَرْنَا الْعَالَمِينَ فَمَا رَأَيْنَا كَابِرَاهِيمَ سَيِّدَنَا الْخَبَارِي

تَخْيِيرُهُ الزَّمَانَ كَمَا تَرَاهُ خِيَاراً مِنْ خِيَارِ مَنْ خِيَارُ ^(٤)

٥ - بدر الدين الهندي النقشبندي ، قدم المدينة سنة ١٠٦٨ أخذ عنه وأثنى عليه ^(٥) .

(١) : ٣١٦/١ : الرحلة العياشية .

(٢) : ٣٢٠/١ إلى ٣٤٢ (٢٢ صفحة) و ٢٨٧/٢ .

(٣) : ٤٤٣/١ .

(٤) : ٤٤٩/١ : ٤٤٤/١ ال ٤٤٩ .

(٥) : ٤٤٩/١ إلى ٤٥٣ (٤ صفحات) .

٦ - عبد الله با عفيف البغني ، اجتمع به في الطريق من مكة إلى المدينة ثم في المدينة وذكر أن له قصائد نبوية وفي مدح شيخه محمد باعلوي الحضرمي المكي ، المتوفي سنة ١٠٧١ ، وأورد له قصيدة نبوية وأخرى رائية في مدح شيخه وثالثة ^(١) .

٧ - أحمد بن تاج الدين : أطال الثناء عليه ، وذكر عنه غرائب في علم الحساب والتوقيت وأنه انفرد في تلك الأفكار بمعرفة علم السيميا والزيارج والحدثان ^(٢) .

٨ - محمد بن سليمان الروادني ولقبه بحكيم الإسلام وأطال الثناء عليه ^(٣) .

٩ - الملا نافع ، قال عنه : ومنهم - يعني العلماء الذين اجتمع بهم في المدينة ، الشيخ المسنن المعقولي المفسر الملا نافع العجمي شهير الصيت عند علماء العجم ، وعند أرباب الدولة ، تتثال عليه صلاتهم في كل أوان ، ويرون له مزية على غيره ، وقد سكن المدينة مدة ، وهو شيخ كبير ، قد أصابته آفة في رجله ، فصار يمشي على عصوين ، يقرأ عليه « تفسير البيضاوي » في الحرم الشريف ، ولا يحضر مجلسه إلا الأتراك ، أو من كان عارفاً بلسانهم ، فإنه إنما يكون يقرر باللسان التركي والفارسي ، ولذلك لم أحضر مجلسه ولم أستفد منه شيئاً ، والعارفون بلسانه يثنون على حسن تقريره وجودة ملكته ^(٤) .

١٠ - محمد الفزاري - من فزارة بلدة بين أعالي النيل وأرض السودان ، استوطن المدينة ٤٠ سنة ، وقال عنه : (من أقدم المجاورين وأكثرهم معرفة للأماكن التي تزار) ^(٥) .

(١) : ٢٨٩/٢ إلى ٢٩٧ .

(٢) : ٢/٢ إلى ٣٠ .

(٣) : ٣/٢ إلى ٤٦ (١٦ صفحة) .

(٤) : ٥٧/٢ .

(٥) : ٤٦/٢ .

١١ - (محمد بن علي بن عبد القادر المالكي ، أصل سلفه من المغرب ،
ولأسلافه في المدينة صيّت ، وبيتهم مشهور بالعلم ، وهو أحد خطباء الحرم
والمفتي المالكي ، وأورد من شعره (١) .

١٢ - يحيى بن الباشا الأحسائي ، ووصفه بالنحوي وأورد طرفاً من
شعره (٢) .

١٣ - ومن علماء المدينة الذين لم يأخذ منهم ولم يأخذوا عنه إبراهيم
الحججار الحنفي ، عمري النسب ، من مدرسي الحرم .

١٤ - الشيخ علي الضريب المالكي الأحسائي . جاور بالمدينة مدة طويلة ،
وله بعض معرفة بمذهب مالك . يدرس الرسالة أحياناً ، وحضرت يوماً مجلسه
عند المنبر النبوي ، يسرد عليه « تفسير البغوي » أو « الدر المنثور » للسيوطي
لا أدري أيهما لطول العهد ، فلم أسمع تحقيقاً ولا تحصيلاً .

وهو رجل ذكي الطبع يكاد يحفظ كل ما يسمع ، وربما هجم على انشاء
الشعر في بعض الأحيان ، فتقع له أبيات تستطرف ، في خلال الغناء الذي يسيل
به واديه ، سمعته ينشد ذات يوم مطارحات زعم أنها وقعت بينه وبين شيخنا
تاج الدين .

وقد جمعني وإياه قافلة في رجوعنا من مكة إلى المدينة ، فرأيت منه
عجباً ، يركب النجيب فيسير به العنق ، فإذا وجد فجوة نصّ من دون
سائق ولا قائد .

وأخبرني بعض أصحابنا أنه ربما يمر راكباً من المدينة على طريق الفُرع ،
فيتقدم أمام القفل وحده فلا يخطئ الطريق مع توعرها ، وكثرة شعابها ،
والتناف أشجارها ، فينفذ فيها تقوذاً الماهر الحرّيت .

— وما رأيته قط بالمدينة وأفنيتهما ولا في الطواف ، والسعي يحتاج إلى قائد .

(١) ٤٧/٢ إل ٥٣ .

(٢) ٤٢/٢ - ٤٦ .

ومن طالع « نكت الهميان في نكت العميان » لصالح الصفدي لا يستغرب مثل هذا من ذكائهم وفطنتهم ، وناهيك بما يحكى عن الإمام الشاطبي أنه مر بموضع في سفرة له وهو راكب فأنحنى فوق الدابة ، فقيل له في ذلك . فقال : أليس ها هنا شجرة ؟ فقالوا : ما نرى من شجر . فقال لهم : أنظروا إن لم تكن هنا شجرة فلا تثقوا بشيء مما تأخذونه عني ، فإني مررت بهذا الموضع منذ عشرين سنة ، وفيه شجرة ، فحفروا فوجدوا عروق الشجرة وأصولها ، وقد اندثرت فروعها ^(١) .

١٥ - محمد السوداني : من مدرسي الحرم وهو كفيف البصر ^(٢) .

١٦ - محمد بن رسول الشهرزوري الحنفي ، قال عنه : (ذو الحسب الزكي والنسب العلي ، وذكر أنه ربما درس في الحرم في فقه الشافعية ^(٣) .

١٧ - أحمد البرقي الحنفي : رئيس الخطباء وجمال الأدباء ، وأحد الفصحاء اللسان ! وذكر شعراً له حينما استعار منه جزءاً من طبقات الشافعية للسبكي ^(٤) .

١٨ - الشيخ مرزا الشامي الدمشقي ، قال عنه : له خبرة بطريق القوم ، واعتناء بجمع كتب الفن سيما مؤلفات ابن عربي ^(٥) .

كذا قال ، وابن عربي وأمثاله ممن ابتلي بهم المسلمون ، وآراء المحققين من العلماء فيه وفي مؤلفاته معروفة .

١٩ - عبد الله بن نُمَيْيٍّ العمودي اليمني ، وصفه بالعبادة والتصوف .

٢٠ - حسن البرقي ، ذكر أنه كان يجلس في الروضة فيجتمع إليه جماعة من العوام والطلبة ، وذكر أنه سمعه يشرح حديث « إن الله يضحك إلى رجلين » الخ ومثل لذلك يوحشي .

(١) : « الرحلة العياشية » ٥٦/٢ .

(٢) : ٥٧/٢ .

(٣) : ٥٧/٢ .

(٤) : ٥٨/٢ .

(٥) : ٨٥/٢ .

وقد كتب عن هذا متقدماً ، وقال إنه لم يذكر ذلك له ولا لأحد من أصحابه خشية أن يظن به استراق السمع في مجلسه والتطلب لموراته ^(١) .

٢١ - جمال الدين النقشبندي ، وصفه بكونه شيعه وأنه لقيه بمكة ، وذكر أنه توفي سنة ١٠٧٦ ودفن بالبقيع . بلغه خبر وفاته وهو في المغرب ^(٢) .

٢٢ - الملا محمد شريف بن القاضي يوسف بن محمد الصديق الكوراني ، من العلماء الذين اجتمع بهم وأجازوه وهو شيخ أستاذه ابراهيم بن حسن الكوراني ^(٣)

عناية العياشي بوصف الكتب

الكتاب هو أداة العالم ، ووسيلته التي تنمي علمه ، ولهذا فليس غريباً أن يعنى العياشي بوصف ما يطلع عليه من نوادر الكتب .

قال في كلامه على قرية والتي ^(٤) :

وقد وجدنا في روضة - محمد بن موسى الصالح المدفون في تلك القرية - صفراً من نوازل البرزلي بخط الإمام ابن مرزوق ، وقد أفسد القطر جانباً منه ، ومعه إجازات لبعض السادة القادرية بخط مشرق ، وتعجبنا من وصول ذلك إلى هذه القرية ، وما نظنه إلا من كتب سيدي محمد بن اسماعيل ^(٥) ، فإنه لما مات بتكورادن سنة ١٠٦٤ خلف كتباً كثيرة ، وأوصى بها لخادم الروضة الروضة النبوية . وبقيت كتبه هناك مدة ثم حملوها إلى القليعة فارتين بها لما بلغهم أن متولي البلد يتحدث بأخذها ، ولم تزل هناك إلى أن ذهب سيدي

(١) ٨٨/٢ .

(٢) ٩٠/٢ .

(٣) ٢٨٧/٢ .

(٤) في الهامش : وهي بين أوجرت ونفزاوة .

(٥) في الهامش : (محمد بن اسماعيل الكوراني) .

علي بن الشيخ الحفيان للحج بعد ذلك بسنين فبعثوها معه ، وضاع كثير منها بسبب ذلك ، وقد رأيت بعضها بالمدينة الشريفة ورأيت زمام ما وصل منها ، وليس يشبه ذلك وقد أخبرني بنفسه رحمه الله قبل موته بسنة ، لما لقيته بفجيج أن كتبه تبلغ قريباً من ألف وخمسمائة تأليف ، والذي بلغ منها إلى المدينة المشرفة نحو من مائة وسبعين سفرأ ، رأيت منها جملة كثيرة . وهي كتب نفيسة جداً ، اقتنى أكثرها لما كان بمدينة اصطنبول اشتراها له الوزير الأعظم لما قال له : إن بهذه المدينة كتباً نفيسة وليس لي ما أحصل به أمنيئتي منها . فبعث دلائل الكتب وقال له : كل ما يقع بيدك من الكتب فاعرضه على هذا الشيخ فما استحسنت منها فاتركه له ، ونخذ الثمن من عندي لأربابه ، فلم يزل ذلك دأبه مدة إقامته هناك ^(١) .

وقال أيضاً : ومما أثلفه هذا السيل (سيل ٩ شعبان سنة ١٠٧٣) الذي دخل المسجد الحرام بمكة ، خزانة من الكتب لشيخنا أبي مهدي عيسى الثعالبي كانت في المسجد على وجه الأرض ، ولها باب مفتوح إلى المسجد بين باب حزورة وباب ابراهيم ... أتى عليها الماء كلها ولم يسلم منها شيء ، وكانت نحو ثمانين سفرأ ، فيها من نفائس الكتب وغرائبها التي لا تكاد توجد في غيرها . ما أكثر أسفه عليها بعد ذلك ، فأمر بها فحفرت لها حفرة في الأرض ودفنت فيها ، وكان منها أجزاء من المدونة الكبرى التي هي أم الدواوين الفقهية ولم يسلم منها شيء ، وكثر أسفي على عدم رؤيتها لغرابتها ، وتكون أكابر الفقهاء من قبل هذه القرون لم يظفروا منها بشيء ، وأظن أنه أخبرني أنه وجد المذكورة في خزانة رباط الموفق وأنها كانت بيد الإمام الخطاب . : ومنها الأجزاء عيون الأدلة لابن القصار ، وكان يثني عليه كثيراً في بسط أدلة المذهب والانتصار له والرد على المخالفين ، مع التحقيق التام إلى غير ذلك من الكتب منها ما هو ملكه ، ومنها ما هو من كتب الوقف ^(٢) .

(١) : « العياشي » : ٤٠/١ بتلخيص .

(٢) : « العياشي » : ٩٧/٢ .

رحلة ابن رُشيد^(١) : اطلع عليها ونقل عنها وقال : (نقلته من نسخة عليها خطه واجازته لتلميذه صاحبه عبد المهيمن الحضرمي رحمه الله ، رأيت هذه النسخة بمكة المشرفة عدة أسفار . وذكر في آخرها أنه استخرجها من مسوداته بعد عشرين سنة من رجوعه بسؤال عبده المهيمن المذكور منه ذلك قال : بعد ما كنت أغفلت ذلك وأعرضت عنه لقلّة من يرغب فيه . فإذا كان الناس في زمانه لا يرغبون في جمع فوائد المرتحلين سيّما مثله في ضبطه واثقانه وكثرة جمعه فما بالك في زماننا هذا الذي عم فيه الفساد ، وغلب على بضاعة العلماء ، ولا يسمع من فوائد الرحلة إلا ما كان أسماراً ، وصارت صلة الأدب فيه أطماراً ، فالمشتغل بجمع ذلك مثلي ، أو من هو على شكلي ، ليس في الرأي ذا أصالة ، إن لم يجعل ذلك عوضاً عن البطالة)^(٢) .

وقال أيضاً عن رحلة ابن رُشيد :

رأيت منها عدة أجزاء بمكة عند شيخنا أبي مهدي ، وكانت في وقف المغاربة برباط الموفق ، وعلى هذه النسخة خط المصنف في أماكن . وخط تلميذه الإمام عبد المهيمن الحضرمي ، وكانت النسخة ملكاً له .
ثم نلخص منها فوائد^(٣) .

منتهى السؤل من أمداح الرسول ﷺ : رأيت بمكة سيفراً في الغالب الكثير من أمداح النبي ﷺ قال كاتبه في آخره : كُمل السفر التاسع من كتاب منتهى السؤل من مدح الرسول . وذلك في أوائل ربيع الآخر عام ٦٧٣ وكتب محمد بن أبي القاسم بن أحمد بن عبد الرحمن الانصاري . قلت : وهذا التأليف لم يقصد به جامعه جمع كلامه أو كلام مخصوص ، بل ما انتهى إليه من الأمداح النبوية وما شاكلها ، والله أعلم كم بقي لتمام الكتاب .

(١) نشرت « العرب » كل ما يتعلق بالحجاز منها .

(٢) : ٢٢٨/١ .

(٣) : ٢ / ٢٤٠ إلى ٢٥٦ .

ومن جملة ما في هذا السفر : المعلم الرابع من كتاب الدرر السنية في المعالم السنية ، وهو في السيرة النبوية والأعلام المحمدية ، للقاضي أبي عبد الله محمد بن عيسى بن محمد بن أصبغ الأزدي . وذكر في آخره أن عدد أبيات الكتاب سبعة آلاف بيت من الرجز . وأنه أنشأه بقرطبة سنة ٦١٤ في أشهر آخرها مستهل صفر من السنة المذكورة . والمعالم الثلاثة لا أدري فيما هي .

ومن جملة ما في هذا السفر . وهو نحو النصف كتاب الآلي المجموعة من باهر النظام ، وبارع الكلام . في صفة مثال نعل رسول الله عليه الصلاة والسلام . مما انتدب لجمعه رجاء نفعه عبد الله بن محمد بن هارون الطائي القرطبي ، وسبب جمعه - على ما قال - : أنه سئل منه نظم أبيات تكتب على النعل المشرفة فكتب في ذلك قطعة ، وندب أدباء قطره الأندلس لذلك فأجابوا ، وكتب من ذلك ما وصل إليه ، وجملة ما فيه من المقطعات ينيف على مائة وثلاثين بين صغيرة وكبيرة . قلت : ولم يطلع على هذا التأليف شيخ مشايخنا الحافظ أبو العباس المقرئ مع سعة حفظه وكثرة اطلاعه ، ومبالغته في التقدير والتفتيش عما قيل في النعل ، ولم يطلع لمن قبل عصره إلا على عدد أقل من هذا بكثير ، وغالب ما أودعه في كتابه «فتح المتعال في مدح النعال» كلامه وكلام أهل عصره ، ولو اطلع على هذا الكتاب لاغتنب به كثيراً ^(١) .

تاريخ الإسلام للذهبي : قال عنه : (وما رأيته من الكتب الغريبة بمكة المشرفة تاريخ الإسلام للحافظ الذهبي ، وهو عشرة أجزاء كبار على السنين من أول الهجرة ، فجعل كل عشر سنين طبقة ، فصار سبعين طبقة ، إلى آخر المائة السابعة ، وهو كتاب حافل لم يدع شاذه ولا نادة مما تشوق إليه النفس من علم التاريخ إلا أودعها كتابه مع الاختصار والاتقان ، فكأنها جمعت له الدنيا وأهلها في صعيد واحد ، وهو موجود في وقف قايت باي بمكة في رباطه المعروف . وقد رأيت منه أجزاء وطالعت بعضها ، وما قيدت مسن بعضها ^(٢) :

(١) : ٢٥٦/٢ .

(٢) : ٢٥٧/٢ إلى ٢٥٨ .

طبقات الصوفية للمنوي : قال : ومن الكتب المغربية التي رأيتها بمكة طبقات الصوفية للمنوي .. وقد أجاد فيها .. سيما للمتأخرين من الصوفية فلم أر أخبارهم مستوفاة في غيرها ^(١) .

القوانين لابن أبي الربيع : قال : وما رأيته بمكة القوانين لابن أبي الربيع في علم النحو ، ومما قيده منها ^(٢) :

كتاب الجفر الكبير الذي قل أن يوجد في الدنيا رآه عند الشيخ أحمد بن تاج الدين ، في المدينة ، وتلخصه ^(٣) .

عقلاء مغرب ومعرفة فتح الأولياء وشمس المغرب لابن عربي قال : إنه استعاره من الشيخ مرزا الشامي الدمشقي في المدينة ، وهذا الشيخ جمع من كتب الفن كثيراً سيما مؤلفات ابن عربي فله بها اعتناء ، وقال عن الكتاب : (ما رأيته قبل ولا بعد إلا عنده) ^(٤) .

١ - الخلفيات واسمها : « الفوائد المتقاة الحسان . من الصحاح والغرائب » تخريج أبي نصر الشيرازي من أصول سماعات القاضي أبي الحسن علي بن الحسن بن الحسين الحلبي ، وهي عشرون جزءاً ، سمعها على شيخه العاليي ^(٥) وانتقى منها .

٢ - أربعون حديثاً عن أربعين شيخاً لتقي الدين الفاسي مؤرخ مكة ^(٦) .

٣ - شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة لأبي القاسم القشيري ، رواها عن شيخه وأوردها ملخصة ^(٧) .

(١) ٢٥٨/٢ إل ٢٥٩ .

(٢) ٢٥٩/٢ .

(٣) ٢/٢ إل ١٧ .

(٤) ٨٦/٢ .

(٥) ١٣٩/٢ إل ١٦١ .

(٦) ١٣٩/٢ .

(٧) ١٦١/٢ إل ١٦٧ .

العود من المدينة إلى مكة

قال : (ونهياً خروجننا من المدينة المشرقة ضحى يوم الثلاثاء (١٧ من شعبان) وقطعت المسافة إلى ذي الحليفة راجلاً فوجدنا القافلة بذى الحليفة ونزلنا هناك إلى أن قرب العصر فارتحلنا .

وهالني الركوب في الشدوف لأنني ما عهدته قبل ، وعادلني في الجانب الآخر أخي عبد الرحمن ، ولم أستأنس ركوبه إلا بعد مدة ، وكان بخيل لي إذ صرت في جنب البعير أن الجانب الذي أنا فيه قد مال للسقوط وكذلك كان بخيل لصاحبي حتى تمررت به فكنا ننام فيه ما شئنا ، وتمدد أرجلنا ونضطجع كيف شئنا وسرنا غالب تلك الليلة منفردين عن القافلة لم نلحق من قبلنا ولا لحقنا من بعدنا ... إلى أن وجدنا القافلة في بطحاء الفريش فملنا عن الطريق قليلاً وأنحنأ تحت سمررة (١) .

وصف الشدوف : قال : (ولما انتصف شهر شعبان تأهبنا للسفر ، واكتربنا جملين بثلاثة عشر قرشاً ، وانخفنا لركوبنا شقداً (٢) وهبه لنا شيخ الأغوات أغا سليم .. وهو محمل كبير ما رأيت إلا في أرض الحجاز ، ذو شقتين توضع كل واحدة على جنب البعير ويقرون بينهما بحبال وثيقة على ظهره ، ولا بُدَّ للراكب فيه من معادل له في الجهة الأخرى ، مقارباً له في الرزانة ، ثم يوصل بين الشقتين من أعلى بحبال يظلل عليها بغطاء يقي الحرَّ والبرد وهو من أشهى المراكب وأهناها ، سيما لمن له فرش وثيرة ووسيدة يتكىء عليها من الجانبين ، فإنه لا يكاد يحس بأن الإبل تسير به ، فقد رأينا من اعتاد الركوب فيه ينام من أول الليل إلى آخره ولا يستيقظ إلا بإناخة الحمل عند النزول ، وقد لا يستيقظ (٣) .

كراء الرواحل : ومن عاداتهم في أكرية الرواحل من القوافل الذهبية إلى مكة والينبع ، أن بالمدينة رجالاً يعرفهم غالب الحمالين ، فمن احتاج الكراء

(١) : • المياشية • : ٩٢/١ .

(٢) الشدوف من المراكب القديمة كالمودج ، وقد مر وصفه في الكلام على رحلة التيجيبي .

(٣) : • المياشية • : ٩٢/٢ .

من أرباب الدواب وأرباب السلع أتى إليهم ، فيعقدون له الكراء مع صاحبه ، ويتكفلون بها عسى أن يصدر من الجمال من غدر في الطريق بهروب أو مكر ، ويسمى أحد هاؤلاء المُخْرَج ، فلا يعقد أمر كراء إلا بحضرة أحدهم .

وجلسهم في الغالب بباب المصري ، ويأخذون بذلك حلاوة من الجمال ومن المكري ، وذلك دأبهم بمكة ^(١) .

طريقة السير : — لم نعتد المشي في الليل كما هو شأن أهل تلك البلاد ، فإن سيرهم بالليل ، لا يحملون الإبل من السير إلا ما سمحت به أنفسهم عن اختيارها فيركونها تمشي على مهل بلا سائق وذلك الذي أعانهم على قطع تلك المسافات بضامر إبلهم مع هزالها وضعفها .

وكما وصف العياشي الإبل في الحجاز هذا الوصف ، فإنه قد وصف وسيلة الركوب الأخرى وقد سار عليها من مكة إلى جدة فقال ^(٢) :

ولم أر أسرع شيئاً من حمر الحجاز ولا أوطأه مركباً ، ولا أقل تعباً مع السرعة المفرطة في المشي ، فلقد كنت أنظر وأنا راكب إلى أطرافي هل يتحرك منها شيء مع الإسراع في المشي فلا يكاد يثبني لي حركة شيء منها ، مع أن مركوبي ليس من أجودها ، فلقد أخبرت أنه كان حمار عند رجل من أهل مكة يصلي المغرب بجدة فيركب عليه ويصلي الصبح بمكة ، وهي مسافة القصر تحقيقاً ، وهم يتغالون في ثمن ما هذه صفتها منها ، فيبلغ الحمار مائة دينار ذهباً . وقد رأيت حماراً عند فقيه الحنفية الشيخ الزنجبيل رافقنا عليه من المدينة إلى مكة ، تقتحمه العين ، فأخبرت أنه اشتراه بقريب من ذلك الثمن ^(٣) .

وقد وصف المواضع التي سَرَّ بها وصفاً لا يخرج عما وصفها به حين قدومه إلى المدينة . ومن ذلك :

(١) : « العياشي » : ٣٠١/١ .

(٢) : « العياشي » : ٩٣/٢ .

(٣) : « العياشي » : ١٠٤/٢ .

البزوة : ثم ارتحلنا بعد الزوال من بدر ، ونزلنا دور (٩) الخبث ، قرب السبيل الأول الذي بالبزوة في وسط الليل ، ووجدنا البزوة مخضبة كأنها بستان .

ثم ارتحلنا منه غداً قرب الزوال ونزلنا قرية مستيرة (١) قرب الصباح ، ووجدنا البطيخ بها أرخص ما يكون حتى اشترينا خمسة بمحلق (٢) .

رابع : ونزلنا رابع .. ووجدنا السيول قد اجتاحت أكثر منازل أهله ، وذهبت بمزارعهم وهدت الجانب الذي فيه المنارة من مسجدهم ، وأفسد الطريق ، وتعبنا في قطع الوادي .

ثم ارتحلنا منه ، وغوى أهل الرفقة عن الطريق في الرمال التي بينه وبين قُدَيْد ونزلنا آخر الليل عند السبيل الذي هناك ووجدنا به قهوة وقوماً يبيعون العلف والحب ، ثم ارتحلنا منه ومررنا بقديد (٣) .

عُسْفَان : ثم ارتحلنا من خُلَيْص ومررنا بعسفان وسط الليل ، وعندما مررنا بالثنية التي تهبط من خلوص على عسفان تنسمناً نسباً طيباً وعرفاً ذكياً ، استنشقه كل من معنا من راكب وراجل . وقلنا لمن معنا من العرب : ما هذا الشذا ؟ فقال : عرف الخزامى ، فإن منبتها في هذا المحل كثير فسألت أحداً منهم وناولني ضغثاً منها فإذا هو نبت له زهرة وعرف ذكي ، من أذكى مشموم . شممناه في تلك البلاد ...

وعند قرية عسفان فارقنا من الربيع (٤) - وهي القافلة بلغتهم - من أراد الذهاب إلى جدة فعدلوا يميناً ، ودخلوا في إحدى تلك الشعاب التي يمين القرية .

برقة : مررنا بعسفان وسط الليل ... ونزلنا آخر الليل بمحل يسمى برقة ،

(١) كذا تكرر اسم مستورة .

(٢) : « العياشة » : ٩٤/٢ .

(٣) : « العياشة » : ٩٤/٢ .

(٤) الربيع هم المرافقون والمصاحبون أباً كانوا .

دون السبيل الذي هناك ، فيه رمال ذات أشجار ، بين تلك الرمال تلاح تمرُّ بها السيول ، فيها مزارع ومقاي كثيرة ، تجلب منها إلى مكة وإلى جدة ومن الظهران وتسوقنا العرب هناك بالحبيب الكثير الحلو الفاخر .

ثم ارتحلنا من هناك ونزلنا مرّة الظهران آخر الليل .

الوصول إلى مكة : (ليلة الأحد ٢٩ شعبان)

ارتحلنا من مر الظهران بعد الزوال ودخلنا مكة المشرفة بعد ما ذهب ثلث الليل ، وكنا حرصنا على دخولها نهاراً فأبى من معنا من العرب لأنهم كانوا يخافون من أخذ الأمير إبلهم يحملها إلى المدينة ، فإننا وجدنا ولده في طائفة من العسكر بلدي طوى ، وقد أخرج مضاربه وخيامه إلى هناك برسم السفر إلى المدينة .

وأنخنا في سوق باب ابراهيم بالسفحة (٢) التي أمام رباط الموفق الذي هو معدّ للمغاربة .

ثم حملنا أمتعتنا إلى دار نزلنا بها وراء سوق الشامي من ناحية الباب الذي يلي دار الندوة قريباً من جبل قعيقعان في مكة المكرمة :

أقام الرحالة العياشي في مكة حتى انتهج الحج ، ثم رجع إلى المدينة (١) .

في المدينة مرة أخرى : خرج من مكة ١٨ ذي الحجة سنة ١١٧٣ فوصل المدينة ليلة ٢٩ منه . قال : (ولما وصلنا وجدنا أبواب المدينة مغلقة فطرحنّا أمتعتنا بالمناخة قرب مسجد العيد ، ونزل في مقام اسماعيل بن جعفر الصادق .

وأقام في المدينة خمسة أيام وسافر منها يوم الخميس الثاني من محرم سنة ١٠٧٤ (٢) .

من المدينة إلى ينبع : ارتحلنا صباحاً من ذي الحليفة ، وأخذ الناس السير ،

(١) : « العياشي » : ٩٤/٢ .

(٢) : « العياشي » : ٢٨٧/٢ - ٢٩٧ .

ولم يقلوا لا سوية قدر ما أكلوا قريباً من الفريش ، ومررنا بشرف الروحاء قبل المغرب ، ولم نبت الا قرب منصرف الروحاء .

وفي الغد ارتحلنا ومررنا بمسجد الغزالة وسرنا حتى نزلنا بالجديدة بعد ما اشتدت القائلة ، ووقف الناس بها هنيئة ريثما أخرجوا أمتعتهم التي اخترنوها ، فارتحلوا ولم ينزلوا الا قرب الصفراء حيث تنصرف الطريق يمينا إلى ينبع ...

وفي الغد ارتحلنا وملنا يمينا مع شعاب متوعدة ، وعند المنصرف قبر يقال إنه قبر عبدة بن الحارث سيد شهداء بدر أحد البارزين في ذلك اليوم ، وزرناه وسرنا إلى قريب من الظهر فوصلنا بسيط الدهناء ووجدنا البركة المعمولة هناك ممتلئة ماء ، ووقع شتآن بين المغاربة الأفريقيين والخوانيين ولم ينزلوا حتى كاد يبدو لهم نخيل ينبع ... وما سرنا قط مثل هذه المراحل طويلاً إلا أن الله لطف بالركب فلم يروا محارباً ولا سارقاً^(١) .

من ينبع إلى صحراء سينا : لم أر فيما قرأت من رحلة العياشي في وصف الطريق من ينبع إلى صحراء سينا ما أراه يضيف جديداً في تحديد المواضع التي مرَّ بها سوى ما نقله عن رحلة ابن رشيد الفهري الأندلسي ، وهي رحلة قد نقلتها ونشرت ما يتعلق منها بالحجاز في مجلة « العرب » غير أن في المخطوطة التي نقلت عنها كلمات غير واضحة أشرت إلى مواضعها . وها هو ما نقله العياشي من تلك الرحلة مما يتعلق بوصف هذا الطريق ، مع ما يضيفه العياشي :

ينبع : قال ابن رشيد : ولما وافينا ينبع خرج مغنون بأصوات طيبة عذبة ، يرددون هذه الأبيات ، ويحيون بها القادمين ، ويحيون نفوسهم الميته بطيب تلك النغمات :

أيها القصادمون أهلاً وسهلاً

كيف نجد ؟ وكيف بان المصلّي ؟

كيف خلّفتم العقبى وسلعاً ؟

وقبا والنقا ومن ثمّ حلاً ؟

(١) : « العياشي » : ٢ / ٢٩٨ .

فأجابوا : لله ما كان أهنا

زمن الملقى ، وما كان أحلنى !!

قال ابن رشيد : لله درهم حادوا عن الجواب ، لما رأوا أنهم لا عذر لهم في الإياب .

وينبعُ عن يمين رضوى لمن كان متحدرًا من المدينة إلى البحر روى أن رسول الله ﷺ صلى في مسجد ينبع ، وهو من حديث محمد بن عمر بن أبي طالب رضي الله عنه .

قلت : يفهم من قول ابن رشيد : لله درهم الخ أن (كَيْفَ) في كلام السائل للإنكار والتوبيخ عن الرجوع من تلك الأماكن ، وكيف طابت نفوسهم حتى خلفوها ؟ وليس في الكلام ما يدل على ذلك : بل يمكن أن تكون للسؤال حقيقة عن تلك الأماكن على وجه التحسر والتحزن والاشتياق إليها كالتي قبلها ، وإذا كان كذلك فالجواب مطابق لأنه إخبار بما يزيد في شوق السائل وحنينه إلى تلك المعاهد .

وأما مسجد ينبع فقد ذكر السيد السهودي أنه من المساجد التي صلى فيها النبي ﷺ وأنه مسجد القرية التي ينزل بها الحاج . وقد ذكر أهل السير أن النبي ﷺ وصل إليها في إحدى غزواته .

وأما الأبيات المتقدمة فقد اشتهرت بين أدباء المغرب في قرب ذلك العصر ، وعارضها بعضهم ، وذيل عليها آخرون ومن ذيل عليها الأديب البارع أبو بكر محمد بن الحسن بن يوسف بن الحسن بن حبيش اللخمي الزاهد نزيل تونس المتوفي بها سنة ٦٨٧ قال العزمي (٩) بعد التعريف به ، وذكر جملة مستكثرة من نظمه ما نصه : وأنشده بعض حجاج المغاربة هذه الأبيات — فذكرها وذكر أنه سمعها بالبقيع (٩) وسأله أن يزيد عليها فقال رحمه الله :

حيث روض التعيم بالأنس يحنى

وهروس السرور بالسعد تُجَلِّى

— ثم أورد ٢٦ ستة وعشرين بيتاً بعد هذا وقال : ثم أطلال فيها ، وهي

وهي كلها سَلْسَلَةٌ غريبة المناحي ، رائعة الألفاظ ، عذبة المعاني ^(١) .

المغيرة : قال ابن رشيد : ووافينا من ينبع المغيرة ، ماء يحضر في أحساء .
وضبط هذا الاسم مَفْعَلَةً - بفتح الغين من التغيير . انتهى .

قلت : والماء المذكور يسمى في هذه الأزمان نَبْط ، وما ذكرني ضبطه
إن كان من التغيير - كما قال - فيكون مفعلة بفتح الغين المعجمة وتشديد
الباء اسم مفعول والذي ينطق به الكافة في أمثالها - وهي كثيرة - مُغْيِرَةٌ
بفتح الغين المعجمة ، ويساء ساكنة خفيفة تصغير مغارة - من الغور وهو
الأنسب بالأمكنة المسماة بهذا الاسم والله أعلم ^(٢) .

مغارة شعيب : قال ابن رشيد : مغارة شعيب هي ماء مَدِين ، بلد
جذام ، يروى عن النبي ﷺ أنه قال لو قد جذام : « مرحباً بقوم شعيب
وأصهار موسى ، ولا تقوم الساعة حتى يتزوج فيكم المسيح ويولد له » .
ومدين الذي سميت به أحد بني وائل من جذام ^(٣) .

القباب : قال ابن رشيد : ورحلنا من نخيل ضحى يوم الأربعاء إلى موضع
يعرف بالقباب ، وافيناه ضحى يوم الخميس فيه مصانع للماء كثيرة ، في
جباب مَقْبُوءَةٌ ، وفيه غدر .
وأنشد في وصف تلك الليلة :

لَيْلٌ كَأَنَّ مَدَاهُ عَكْسَ أَحْرَفِهِ

لَيْلٌ ، وَلَيْلٌ ، فَلَا طَوْلَ وَلَا قِصَرَ

قلت : ولا أثر لشيء مما ذكر من المصانع والجباب في وقتنا هذا في الطريق
التي يسلكها الحاج في تلك الناحية ، وأما البيت الذي أنشده فليتأمله العارف
بمقاصد البلغاء هل يدل على طول الليلة وشدها أو حسنها واعتدالها ، وهو إنما
ساقه مساق الدلالة على طولها وشدها ، ولم يتبين لي الآن وجه ذلك ^(٤) .

(١) : « الرحلة العياشية » : ٢٤١/٢ - ٢٤٢ .

(٢) : « الرحلة العياشية » : ٢٤٣/٢ .

(٣) : « العياشية » : ٢٤٣/٢ .

(٤) : « الرحلة العياشية » : ٢٤٣/٢ .

من ظُرفِ اليمامةِ أبو العيناء

(سبصدر قريباً مؤلف أدبي متبحر للامام السباح الشيخ محمد بن ناصر العبودي بعنوان :
« أخبار أبي العيناء اليمامي » وقد رأيت « العرب » إتخاف قرائها بطرف من مباحث هذا الكتاب ،
للإطراف والترويح عن النفوس ، وللامتاع بما يحوي من فوائد) .

أبو العيناء مع الخلفاء :

بلغ أبو العيناء من علو المنزلة في الظرف ، ومن المكانة في الأدب إلى أن
يفكر الخليفة في منادته ومجالسته ثم يعرض عليه ذلك . ولكن أبا العيناء يخشى
ألا تمكنه علمته في ذهاب بصره من الوفاء بحقوق مجالسة الخليفة ، وهذا يقصد
به أن يكون نديمه ومجالسه بصفة رسمية أو على وجه الدقة أن يسلك في سلك
الموظفين الذين يختصون بالسلطان والا فهو يجالس ويحادثه كثيراً كما سيأتي .

روى الإمام ابن الجوزي عن أبي العيناء قال ، قال المتوكل : قد أردتُك
لمجالستي ، فقلت : لا أطيق ذلك ، ولا أقول هذا جهلاً بما لي في هذا المجلس
من الشرف ولكنني محجوب^(١) والمحجوب يختلف إشارته ، ويغنى عليه
الابناء ، ويجوز أن يتكلم بكلام غضبان ووجهك راضٍ ، وبكلام راضٍ
ووجهك غضبان ، ومتى لم أميز هذين هلكتُ قال : صدقت ، ولكن تلزمتنا^(٢)
فقلت : لزوم الفرض الواجب ، فوصلني بعشرة آلاف درهم .^(٣)

ورويت القصة على وجه آخر ، ولعلهما واقعتان مختلفتان في التوقيت وان
اتحدتا في الموضوع .

وهو أن المتوكل قال لأبي العيناء بعد كلام سابق ، دع هذا ، ونادمتا ،
فقال : أنا رجل مكفوف ، وكل من في مجلسك يخدمك ، وأنا محتاج أن
أخدم ، ولست آمن من أن تنظر إلي بعين راضٍ وقلبك علي غضبان ،

(١) محجوب كفيف البصر .

(٢) أي تكثر زيارتنا .

(٣) كتاب الأذكياء ص ١٠٠ - ١٠١ وتاريخ بغداد ج ٣ ص ١٧٤ والمنتظم ج ٥ ص ١٥٧ .
وبعض القصة في الكناية والتمريض للشعالبي ص ٣٦ .

أو بعين غضبان ، وقلبك راضٍ ، ومنى لم أميز بين هذين هلكتي ، فاختار العاقبة على التعرض للبلاء ^(١) .

ونقل التوحيدي عن أبي العيناء أنه قال : قال لي المتوكل : امض إلى موسى ابن عبد الملك ، واعتذر إليه . ولا تعرفه أني وجهتك ، فقلت له : تستكمني بحضرة ألف ؟ قال : إنما عليك أن تنفذ فيما تؤمر به ، وعليّ أن أحترس مما أخاف منه ^(٢) .

قال الشاشي : كان المتوكل يعجب بكلام أبي العيناء وسرعة جوابه ونوادره ^(٣) .

وقال الإمام ابن الجوزي : روى أن الخليفة المتوكل قال : أشتهي أن أنادم أبا العيناء ، لولا أنه ضرير فقال أبو العيناء : إن أعفاني أمير المؤمنين من رؤية الأهله ، ونقش الخواتيم فإني أصلح ^(٤) .

وأحاديث أبي العيناء مع المتوكل كثيرة كما قال الحصري : لأبي العيناء مع المتوكل مجالس أدخل الرواة بعضها في بعض ، وقد ذكر جملة منها من ذلك ما نقله عن الصولي : حدثني أبو العيناء قال : لما أدخلت على المتوكل ، فدعوت له وكلمته ، استحسنت كلامي . وقال لي : إن فيك شراً ، فقلت : يا أمير المؤمنين : إن يكن الشر ذكر المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ، فقد زكى الله تعالى وذم ، فقال في التركية : (نعم العبد إنه أواب) وقال في الذم (همار مشاء ، بنميم متاع للخير معتد أثيم) .

(١) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٨٨ ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٦٩ وجمع الجواهر ص ١٥٩ وآمال المرتضى ج ١ ص ٣٠١ .

(٢) البصائر والاختار ج ٣ ص ٢٦٦ .

(٣) الديارات ص ٥٣ .

(٤) تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٧٤ وأخبار الطراف والمتاجين ص ٦٤ ومعجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٨٧ . والأذكياء وزهر الآداب ج ١ ص ٣٢٩ ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٦٧ ومحاضرات الأدباء ج ٢ ص ١٣١ وجمع الجواهر ص ١٥٩ وآمال المرتضى ج ١ ص ٣٥١ والديارات ص ٦٠ مرآة الجنان ج ٢ ص ٢٩٧ والطراف والمتاجين ص ٦٩ .

إلى أن قال : وان كان الشر كفعل العقرب التي تلدغ السّيء والدّنيء بطبع لا يتميز فقد صان الله عبدك عن ذلك .

إلى أن قال أبو العيّن ، قال لي المتوكل : ما تقول في داري هذه ؟ قال : قلت رأيت الناس بنوا دورهم في الدنيا ، وأنت بنيت الدنيا في دارك^(١) . فقال لي : ما تقول في عبيد الله بن يحيى ؟ قلت : نعم العبد لله ولك مُقَسَّم بين طاعته وخيّد متبك ، يؤثر رضاك على كل فائدة ، وما عاد بصلاح ملكك على كل لذة .

قال المتوكل : فما تقول في صاحب البريد ميمون بن إبراهيم ؟ وكان قد علم أني واجد عليه لتقصير وقع منه في أمري ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، يد تسرق ، واستت تضرط ، وهو مثل اليهودي سرق نصف جزيرته ، فله إقدام بما أدّى ، وإحجام بما أبى ، إساءته طبيعة ، وإحسانه تكلف^(٢) . وكذلك قال البكري : لأبي العيّن أخبار كثيرة ، ونوادير معجبة ، ومجالس شهية مع المتوكل .

وقال له المتوكل يوماً : يا أبا العيّن ، لا تكثر الوقعة في الناس ، فقال : إن لي في بصري لشغلاً عن الوقعة فيهم . قال : ذلك أشد لحيفك في أهل العافية^(٣) .

وزاد الراغب الاصبهاني بعد ذلك : أعرف الناس بعوار العور^(٤) .

ودخل أبو العيّن على المتوكل فقال : كيف كنت بعدي ؟ قال أبو العيّن : في أحوال مختلفة خيرا رؤيتك ، وشرها غيبتك . فقال المتوكل : قد والله

(١) هذه الجملة وردت منفردة في عدد من المراجع مثل « اللطائف والظرائف » ص ٣٣ .

(٢) زهر الآداب ج ١ ص ٣٢٣ - ٣٢٤ . وجمع الجواهر ص ٢٨٢ - ٢٨٣ ومروج الذهب ج ٤ ص ١٣٥ . وله غيره .

(٣) المصدر نفسه والبصائر والذخائر ج ٣ ص ٢٤٨ . وجمع الجواهر ص ٢٨١ .

(٤) محاضرات الأدباء ج ١ ص ١٨٩ وفيه المهدي وهو غلط لأن أبا العيّن ولد بعده .

اشْتَقْتُكَ ، قال أبو العيناء : إنما يَشْتاقُ العبدُ ، لأنه يتعذر عليه لقاء مولاه ، وأما السيدُ فمَنى أراد عبده دعاه ^(١) .

وقال له المتوكل : مَنَ أَسْخَى مَنَ رَأَيْتَ ؟ قال أبو العيناء : ابنُ أبي دؤاد . قال المتوكل : تأتي إلى رجل قد رفضناه فتنسبه إلى السخاء ؟

قال : إنَّ الصديق — يا أمير المؤمنين — ليس في موضعٍ من المواضع أنفق منه في مجلسك ، وإن الناس يغفلون فيمن ينسبونه إلى الجود لأن سخاء البرامكة منسوب إلى الرشيد ، وسخاء الفضل والحسن ابني سهل منسوب إلى المأمون ، وجود ابن أبي دؤاد منسوب إلى المعتصم ، فاذا نسب الناس الفتح وعبيد الله ابني يحيى إلى السخاء فذلك سخاؤك يا أمير المؤمنين .

قال المتوكل : صدقت ، فَمَنَ أَبْجَلُ مَنَ رَأَيْتَ ؟

قال أبو العيناء : موسى بن عبد الملك . قال : وما رأيت مِنْ بَجَلِهِ ؟ قال : رأيتُه يخدم القريب كما يخدم البعيد ، ويعتذر من الاحسان كما يعتذر من الاساءة .

فقال له المتوكل : قد وَقَعْتَ فيه عندي مرتين ، وما أحب ذلك ، فألقه واعتذر إليه ، ولا يعلمُ أَنِي وَجَّهْتُ بك .

قال أبو العيناء : يا أمير المؤمنين ، مَنَ يَسْتَكْتَمُنِي بحضرة ألف ؟ قال : لن تخاف ، قال : على الاحتراس من الخوف .

فصار إلى موسى فاعتذر كل واحد منهما إلى صاحبه ، وافترقا عن صلح ، فلقبه بعد ذلك بالجعفري ^(٢) فقال موسى : يا أبا عبد الله قد اصطَلَحنا فمالك لا تأتينا ؟ فقال أبو العيناء : (أتريد أن تقتلني كما قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْس) . فقال موسى : ما أرانا إلا كما كنا ^(٣) .

(١) زهر الآداب ج ١ ص ٣٢٨ . وجمع الجواهر ص ٢٨٤ وأمالى المرتضى ج ١ ص ٣٠٠ .

(٢) الجعفري قصر من قصور المتوكل .

(٣) زهر الآداب ج ١ ص ٣٢٨ - ٣٢٩ .

ودخل أبو العيناء على المتوكل في قصره المعروف بالجعفري سنة ست وأربعين ومائتين فقال له المتوكل : ما تقول في دارنا هذه ؟ فقال : ان الناس بنوا الدور في الدنيا ، وأنت بنيت الدنيا في دارك ، فاستحسن كلامه ^(١) .

وقال له المتوكل : ما أشد ما مر عليك من فقد بصرك ؟ فقال أبو العيناء : ما حُرِمْتُ منه من النظر اليك أيها الأمير ^(٢) .

وقال أبو العيناء : لَمَّا أُدْخِلْتُ عَلَى الْمُتَوَكِّلِ عَاتِبَنِي جُلَسَاؤُهُ . فَلَمَّا بَرَزْتُ عَلَيْهِمْ ، قَالَ الْمُتَوَكِّلُ : ادْفَعُوا ^(٣) إِلَيْهِ عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ لِإِتْقَانِ لِسَانِهِ ، فَقُلْتُ : قَدْ قَتَلْتَنِي وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ لِي : وَيْحَكَ ، وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قُلْتُ : لِأَنَّ مَنْ خِفْتَهُ لَا يَعِيشُ . فَقَالَ : لَيْسَ خَوْفُ فَرَقٍ ^(٤) ، وَلَكِنْ خَوْفُ صِيَانَةٍ ^(٥) .

وَعُرِضَتْ جَارِيَةٌ عَلَى الْمُتَوَكِّلِ ، فَقَالَ لِأَبِي الْعَيْنَاءِ هَذِهِ عُرِضَتْ عَلَى أَنَا شَاعِرَةٌ فَقُلْ شَيْئاً لَتَجِيزَ ، فَقَالَ أَبُو الْعَيْنَاءِ :
أحمد الله كثيراً .

فَقَالَتْ : حِينَ أَنْشَأَكَ ضَرِيرًا .

فَقَالَ أَبُو الْعَيْنَاءِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : قَدْ أَحْسَنْتَ فِي إِسَاءَتِهَا ^(٦) .

وقال المتوكل لأبي العيناء : إني لأفرق من لسانك . فقال أبو العيناء : يا أمير المؤمنين الكريم ذو فرق وإحجام ، واللّيم ذو وقاحة وإقدام ^(٧) .
وقال أبو العيناء : أنشدني المعتصم بعقب مدح جرى لبغداد :

(١) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٨٧ - ٢٨٨ ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٦٨ .

(٢) زهر الآداب ج ٣ ص ٢٢٠ .

(٣) مخاطب المسؤولين من خزائن .

(٤) الفرق الفزع وشدة الخوف .

(٥) البصائر والذخائر ج ١ ص ٨٦ .

(٦) البصائر والذخائر ج ٢ ص ٢٦٥ (طبع دمشق) .

(٧) غرر الحماص ص ٢٣٢ .

سفاني بعينه كأمس الهوى فظننتُ وبى منه مثل اللثم^(١)
بعيني مهابة شقيقته وشنب عذاب وفرع أحم

قال أبو العيناء : فتوهمت أنه يعني سرّ من رأى ويكنى عنها بهذا الكلام
فقلت : يا أمير المؤمنين قال مروان في جدك قريش : الأبلج ذوالبهاء ، غيث
العفاة غداً الانواء ، وهم زمام الدولة الزهراء فقال : قل يا أبا عبد الله في
مدح بني هاشم لك ولغيرك فلقد أصبت مقالاً ، فأنشدته لمروان بن أبي
حفصة :

إلى ملك مثل بدر الدجى عظيم الفناء ، رفيع الدعم
قريع نزار ، غداة الفخار ولو شئت قلت : جميع الأمم
له كف جود تُفيد الغنى وكف تبديد بسيف النقم
فقال : زدني ، فأنشدته :

انتجعي يا ناق ملك غالب قريش بطحاء أولى الأهاضب
والرأس ممدود على المناكب مدّ القباطي على المشاجب

إلى أن قال : فقال المعتصم : حسبك يا أبا عبد الله . ثم ذكر أنه أعطاه مالا
عظيماً وانصرف ، فقال الناس : يا أبا العيناء ، ما هذا ؟ فقال : مال الله على
يد عبد الله . الحمد لله ، والشكر لأمر المؤمنين ما دامت السماء ، وما حملت
مقلة أي الماء^(٢) .

دخل أبو العيناء على محمد بن عبد الملك الزيات الوزير ، فجعل لا يكلمه
إلا بأطرافه ، فقال أبو العيناء ان من حق نعمة الله عليك ، لما قد أهلك له
في هذه الحال التي أنت عليها ، أن تجعل البسطة لأهل الحاجة إليك ، فبقضاء
الحاجات تدوم النعم .

فقال محمد : أما إني أعرفك فضولاً كثير الكلام ، أو ترى أن طول

(١) اللثم الجنون غير المطبق .

(٢) المحاسن والنساوي ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

لسانك بمنع من* أن أؤدبك إذا زللت . وأمر به إلى الحبس .

فكتب إليه أبو العيناء من الحبس : قد علمت أن الحبس لم يكن تقدماً إليك ، ولكنك أحببت أن تريني مقدار قدرتك عليّ ، لأنّ كل جديد يُستلذّ ، ولا بأس أن تريني من عفوك مثلما أريتنا من قدرتك .

فأمر بإطلاقه وانقطع عنه مدة ، فلقيه ، فحبس محمد بن عبد الملك دابته عليه ^(١) ، فقال : ما لي لا أراك يا أبا عبد الله ؟ فقال له أبو العيناء : أما المعرفة بعنايتك فمناكرة ، ولكنني أحسب الذي جدّد استبطاءك فراغ حبسك مِمَّنْ كان فيه فأردت أن تغمرني فيه ^(٢) .

تدريته :

أخبار أبي العيناء ، وما أثر عنه من النوادر لا تدل على دقته في التعبير دقة تبعده عن شبهة قد تلحق دينه فهو كان يمزح ويلقي بالنادرة وإن كان ظاهرها يخالف ما ينبغي أن يكون عليه المتدين الحريص على دينه . وربما كان لحبه للنادرة أثر في اقتناصها ولو كان فيها ما يوحى بسوء في التعبير الذي ينبغي أن يصاب عنه جانب الدين . ومع ذلك فانه كان مستوراً في الدين فلم يرم بالعظائم التي رمى بها بعض الأدباء في عصره كالزندقة ، ولا بالمذاهب المنحرفة عن الجادة السلفية في الاعتقاد كذهب الجهمية والمعتزلة .

على أن الشيء الذي سجل عليه أنه ليس من الورع بذاك فكان أخذ حملاً سميناً وأكله دون رضی صاحبه ، وأوصى صديقاً له قولى ولاية بأن يحون فيها ويسرق ، وكان حريصاً بأن تلحقه تهمة بأحد غلمانة لولا أنه احتاط لذلك . على أننا إذا حاولنا التماس العذر له نقول إنه ربما كان أخرج تلك الأقوال ، وفعل بعض تلك الأفعال من باب التناذر والملاطفة ، ونستدل على ذلك بأنه هو الذي كان يروى بها ، ويتملح بها .

(١) أي وقف عليه وهو راكب دابته .

(٢) جمع الجواهر ص ٣٠٠ وهي بلفظ أبسط من هذا في الديارات ص ٥٥ .

روى عن أبي العيناء انه قال : وضعتُ أنا والمُحَاطِظُ (١) حديثُ فُذْكَ (٢)
وأدخلناه على الشيوخ في بغداد ، فقبلوه ، الا ان ابن شيبَةَ العلوي ، قال : لا
يشبه آخر هذا الحديث أوله ، فأبى أن يقبله ، وكان أبو العيناء يحدث بهذا بعد
ما كان (٣) .

وقال أبو العيناء : مررت يوماً في درب بِسْرَ مَنْ رَأَى فقال لي غلامي :
يا مولاي ، في الدرب حَمَلٌ سَمِينٌ ، والدرب خالٍ ، فأمرته أن يأخذه ،
وغطيته بطبلساني ، وصرت به إلى منزلي ، فلما كان من الغد جاءتني رُقعةٌ
من بعض رؤساء ذلك الدَّرب مكتوب فيها : جُعِلَتْ فُذْكَ ، ضاع لنا
بالأمس حَمَلٌ ، فأخبرني صبيان دَرَبِنَا أنك أنتَ أَخَذْتَهُ ، فأمر برَدَّهُ
مُتَضَمِّلًا ، فكتبتُ إليه : يا سبحانَ الله ، ما أعجب هذا الأمر ! مشايخ دربنَا
يزعمون أنك بغاء ، وأكذبُ بهم أنا ولا أصدقهم ، وتصدقُ أنتَ صبيان
دربك اني أَخَذْتُ الحَمَلَ ، قال : فسكتَ ولم يُعاوِدْني (٤) .

ان هذه القصة توحى بشيئين غير سرقة الحمل : الأول : أن غلام أبي
العيناء يعرف عنه قلة الورع حين عرض عليه أخذ الحمل . الثاني : الكذب على
الرجل في رمية بذلك التعت الخبيث .

وروى الحافظ الخطيب عن أحمد بن محمد بن عيسى المكي قال ، كتب
أبو العيناء إلى صديق له ولي ولاية :
أما بعد ، فإني لا أعظُّكَ بوعظَةِ الله فإنك عنها غنيٌّ ، ولا أخوِّفُكَ إياه
لأنك أعلم به مني ، ولكني أقول كما قال الأول :

(١) في معجم الأدباء (الحافظ) تحريف .

(٢) فُذْكَ قرية تقع بالقرب من خيبر راجع الكلام عليها في كتاب « في شمال غرب الجزيرة ..
للاستاذ حمد الجاسر » ص ٢٤٥ وما بعدها ويريد بحديث فُذْكَ حديثاً في الخلاف الذي حصل
بين أبي بكر الصديق وفاطمة رضي الله عنهما حول فُذْكَ فيما يظهر .

(٣) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٨٩ . ونكت المهيان ص ٢٦٥ .

(٤) معجم الأدباء ج ١٣ ص ٢٩٥ - ٢٩٦ ونكت المهيان ص ٢٦٨ ونهاية الأربع ج ٤ ص ٧١ .

أحار بن بذر قد وليت ولايته فكُنْ جُرْداً منها تخون وتسرق (١)
وكثيرٌ تميماً بالغنى ، إنعسا الغنى لسانٌ به المرءُ الهَيُوبَةُ ينطق

واعلم أن الحياة فطنة ، والأمانة حرفة (٢) . والجمع كَيْسٌ ، والمنع صرامة ، وليس كل يوم ولاية ، فاذا ذكر أيام العطلة ، ولا تحقرن صغيراً ، فإن من الدور إلى الدور وإبلاء الولاية رقدة ، فتنبه قبل أن تُنبه ، وأخو السلطان أعمى عن قليل سوف يبصر ، وما هذه بالوصية التي أوصى بها يعقوبُ بنه ، ولكن رأيت الحزم في أخذ العاجل ، وترك الآجل (٣) .

أرأيت أسوأ من هذه الوصية إذا أخرجت مخرج الجلد . وأرأيت أنها لطيفة خفيفة الروح إذا أخرجت مخرج الهزل وقيلت لمن لا يغيرها ، ولا يأخذ بما فيها ؟ وأغلب الظن أنه كذلك لأن أبا العيناء قال له : إنك أعلم بالله مني ، وقوله في آخرها : وما هذه بالوصية التي أوصى بها يعقوب بنه .

أما مذهبه فإنه لا بد أن يكون موضع التفات للتعرف عليه في ذلك الوقت الذي كان وقت الاختلاف والشقاق في المذاهب نتيجة لتأثير الفلسفات الوافدة على بلاد المسلمين في ذلك الوقت كالفلسفة اليونانية والأفكار الهندية والزرادشتية ، إضافة إلى المذاهب الكثيرة المنتشرة في بلاد المسلمين وبخاصة مذهب الشيعة .

فكان أن سأل المتوكل أبا العيناء عن مذهبه ، فأجابه أبو العيناء ببواب مقنع لمن كان في ذلك الوقت : ولندع الصُّولي يروي ذلك فيقول إن أبا العيناء حدث فقال : قال لي المتوكل : بلغني أنك رافضي ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، وكيف أكون رافضياً وبلدي البصرة ، ومنشئ مسجد جامعها ، وأستاذي الأصمعي ، وجبراني باهلة ، وليس يخلو الناس من طلب دينٍ ودنيا ، فإن أرادوا ديناً فقد أجمع المسلمون على تقديم من أخرها ،

(١) حار في يده أصله حارث بن بدر وحذفت الهمزة للترخيم . والجرد واحد الجرذان .

(٢) حرفة فقر : وحرمان .

(٣) تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٧٦ وهي أيضاً في معاضرات الأدباء ج ١ ص ٨٣ .

وَتَأخِيرَ مَنْ قَدِمُوا^(١) وَإِنْ أَرَادُوا دُنْيَا فَانْتَ وَأَبَاؤُكَ أَمْرَاءَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَا دِينَ إِلَّا بِكَ ، وَلَا دُنْيَا إِلَّا مَعَكَ ، أَبُوكَ مُسْتَتِرٌ لَ الْغَيْثِ^(٢) وَفِي يَدَيْكَ خَزَائِنُ الْأَرْضِ ، وَأَنَا مَوْلَاكَ ، فَقَالَ ابْنُ سَعْدَانَ^(٣) زَعَمَ ذَلِكَ فِيكَ . فَقُلْتُ : وَمَنْ ابْنُ سَعْدَانَ ؟ وَاللَّهِ مَا يُفَرِّقُ بَيْنَ الْإِمَامِ وَالْمَأْمُومِ ، وَالتَّابِعِ وَالتَّابُوعِ ، إِنَّمَا ذَاكَ حَامِلُ دُرَّةٍ^(٤) ، وَمُعَلِّمُ صَبِيَّةٍ ، وَأَخَذَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ أَجْرَهُ ، فَقَالَ : لَا تَفْعَلْ لِأَنَّهُ مُؤَدِّبُ الْمُؤَيَّدِ^(٥) فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنَّهُ لَمْ يُوَدِّهِ حِسْبَةُ ، وَإِنَّمَا أَدَّبَهُ بِأَجْرَةٍ ، فَلِذَا أُعْطِيَتْهُ حَقُّهُ فَقَدْ قَضَيْتَ ذِمَامَهُ^(٦) .

فَقَامَ ابْنُ سَعْدَانَ ، فَقَالَ : يَا أَبَا الْعِينَاءِ ، لَا وَاللَّهِ مَا صَدَّقَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي شَيْءٍ مِمَّا حَكَاهُ عَنِّي ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْمُتَوَكِّلِ ، فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَسْهَلَ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : مِنْ أَنْ يَقْضَى مَجْلِسُكَ عَلَى مَا تُحِبُّ ثُمَّ يُخْرَجَ هَذَا فَتَقْطَعَنِي قَالَ : فَضَحِكَ الْمُتَوَكِّلُ^(٧) .

وَلَعَلَّ مِنَ الطَّرِيفِ أَنْ نَذْكُرَ فِي هَذَا الْفَصْلِ وَرَدًّا لِأَبِي الْعِينَاءِ كَانَ يَقُولُهُ إِذَا خَرَجَ مِنْ دَارِهِ لَا شَكَّ أَنَّهُ مُسْتَوْحِي مِنْ عِلَّتِهِ ، وَهِيَ الْعَمَى .

قَالَ الْخَصْرِيُّ كَانَ أَبُو الْعِينَاءِ إِذَا خَرَجَ مِنْ دَارِهِ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الرِّكْبِ ، وَالرِّكْبِ ، وَالْأَجْرِ ، وَالْخَشْبِ ، وَالرَّوَايَا وَالْقُرْبِ^(٨) . فَهُوَ يَسْتَعِذُّ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ الرِّكْبِ وَهُمْ الْجَمَاعَةُ الَّذِينَ يَرْكَبُونَ دَوَابًّا رُبَّمَا تَخْبِطُ

(١) يريد بذلك التفضيل بين الصحابة .

(٢) يشير إلى جد آل العباس وهو العباس بن عبد المطلب عم رسول الله (ص) وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد استسقى به الغيث أي أخرجه ليدعو للناس بيزوله .

(٣) هو إبراهيم بن سعدان المؤدب ترجم له ياقوت وغيره .

(٤) الدرة سوط صغير .

(٥) هو ابن الخليفة .

(٦) ذمامه حقه .

(٧) مجمع الأدباء ج ١ ص ١٥٢ ١٥٤ والديارات ص ٥٨ .

(٨) زهر الآداب ج ١ ص ٣٢٦ .

ماراً ، أو تضيق طريقاً ، أو على الأقل تثير غباراً متصاعداً يلوث الجو ، ويؤكّم الأنوف ، وقد يكون الركب من ذوي السلطان في ذلك الوقت الذين لم يكونوا يبالون فيه بمشاعر العامة والدهماء .

وهو يستعبد من الركب جمع ركة لأنها كثيراً ما تضرب الأعمى في الزحام فيتأذى من ذلك ، أما الأمر الأفظع من الركب فهو الآجر الذي قد يتساقط فيقع فوق رأس الأعمى دون أن يشعر به أو يجعل كومة في الطريق استعداداً للبناء به فيعثر به الأعمى فيسقط . وقد يتبعثر الآجر في الأرض فيجعل مسلك الأعمى في الطريق صعباً وعراً بعد ما كان سهلاً نقياً . والأمر الآخر الأفظع منه هو الخشب الذي يحمل على الدواب ، ويسار به في الأزقة والشوارع ، وقد تكون ضيقة فتضايق أطراف الخشب أطراف الأعمى حتى يتأذى بذلك وربما يصاب بجروح بطول بها الوقت في ذلك الزمان قبل أن تندمل . وقد لا ينجي منه اللصوق بالحدار ونحوه .

أما الروايا جمع راوية ، والقرب : جمع قربة . فهي أدوات نقل الماء على الدواب ، وإذا لامست الأعمى في الشتاء تأذى باتساخها ، وببرودة ماؤها ، وربما أصاب ثيابه من ظاهرها ما يشك في طهارته ..

أرأيت كيف كان ورد أبي العيناء وأنه بما يضيق به الأعمى في الشوارع الضيقة لخبير .

ولكن هل هذا ورد رجل متدين يحرص على أن يكون ورده مستوحى من الكتاب والسنة والأدعية المأثورة ؟ لا شك في أن الاجابة الصحيحة ستكون بالنفي .

وهناك سؤال عن علاقة أبي العيناء بالخمر أكان يعاقرها ؟ أم كان هاجرها ؟

ذكروا أن الخليفة المتوكل قال له : كيف شربك للخمر ؟ قال : أصجز

عن قليلة ، وأفتضح عند كثيره (١) ...

فهل هذه إجابة من يشرب منها شيئاً ؟ أم هي إجابة من يحتبها ؟ أم هي إجابة معدة لمقام الخليفة الذي ذكروا أنه كان منها غير بعيد ؟ الذي يظهر أن أبا العيناء لم يكن شرباً للخمر ، هذا ما يدل عليه جوابه ، ولكنه لم يجزئ النقي ، ولم يخرج مجزئاً لأنه في مقام كهذا الذي وصفناه .

ونجد شعراً منسوباً لأبي العيناء نسبه إليه مؤلف ليس بالغ البعد عن عصره هو الشابشي صاحب كتاب الديارات وهو صريح في الشرب ، فان كانت نسبته إليه صحيحة ، ولم يكن قاله بقصد مجازة المُجَّان من الشعراء أمثال أبي نواس يبين قدرته على صنعة الشعر في الحمريات فانه يدل على أن أبا العيناء كان قد جرب معاورة الخمر ، ومصاهرة ابنة الدُّنْ وهذا هو الشعر (٢) :

نزلنا دَبْرَ بَاشَهْرَا	على قَيْسِيَه ظَهْرَا
على دِيْنِ شَوْعِي	فما أَسْنَى ، وما أَمْرَا
وَسَقَانَا وَرَوَّانَا	من الصَّافِيَةِ الْعَذْرَا
فطاب الوقت في الدَّيْرِ	ورابطنَا به عَشْرَا

وهذا بعض الشعر وتماه عند الشابشي تسعة أبيات (٣) .

وظني أنه مصوغ وأن نسبته إلى أبي العيناء غير صحيحة ، وإن كان الظاهر أن الشابشي لا يشك في نسبته إليه بدليل أنه ساق ترجمة لأبي العيناء ، وروى نوادر كثيرة عنه لمناسبة ذكره لهذا الشعر .

وهذه طريقة لا تليق أن توجه إلى رجل مشهور بالورع على خفة ظلها ، ووقوعها في محلها من التمايح والثناء — وبخاصة إذا كانت بين صديقين حميمين

(١) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٨٨ ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٦٨ . وجيع الجواهر ص ١٥٩ .

(٢) معجم البلدان رسم (باشهرا) ج ٢ ص ٤٩٩ .

(٣) الديارات ص ٥٢ .

نرفع بينهما بسط التكلف وتطرح عنهما معاً أثقال الاحتشام وهي كما رواها الراغب الأصبهاني حين قال :

كتب ابن مكرم إلى أبي العيناء : عندنا سكباج ^(١) يُرْعَف المجنون ^(٢) وحديث يُطْرَب المحزون : واخوانك الملحدون ^(٣) . فلا تعلقوا عليّ وآثتون ! فكتب إليه أبو العيناء : (أحسثوا فيها ولا تكلّمون) ^(٤) .

وهذا السؤال الذي قد يكون وراءه ما وراءه وان كان قد طرح على سبيل الإحراج والسخرية أو ربما كان قد طرح على سبيل المزاح والمداعبة . ولكنه على أية حال لا يمكن أن يلقي على رجل تقي ، مشهور بالتدين ، سليم العرض من أقوال الناس إلا على غير سبيل الجدد .

قال جناح بن سلمة لأبي العيناء يوماً : ما ظُهُورُكَ وقد خرج نوقيع أمير المؤمنين في الزنادقة ^(٥) ؟ فقال أبو العيناء : أستدفع الله عنك واصهارك ^(٦) .

وهذه التالية التي زعم أنها طرفة وهي تثير الاشتزاز بل ان أبا العيناء لو كان متين الدين لَمَّا قبل أن يقال له فضلاً عن أن يقرها في الظاهر وأن يجيب عليها بجواب يدل على استهائه بما تضمنته .

قال له العباس بن رُسْتَم يوماً : أنا أكفّرُ منك ، فقال له أبو العيناء : لأنك تكفّرُ ومعك خفير ، مثل عبید الله بن يحيى وابن أبي دواد - القاضي - وأنا أكفّر بلا خفارة ^(٧) .

(١) السكباج مرق يميل من اللحم والخل أصل الكلمة فارسية (سكبا) راجع الألفاظ الفارسية العربية ص ٩٢ .

(٢) في الديارات ترعب المجنون والظاهر أن ذلك تحريف لأن المجنون لا يرببه المرق .

(٣) في الديارات المحازون تحريف .

(٤) محاضرات الأدباء ج ١ ص ٣٠٧ . والديارات ص ٩٠ .

(٥) أي وقع الخليفة أمراً بالقبيض حل الزنادقة ومعاقبتهم .

(٦) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٩١ ونكت الحميان ص ٢٦٧ .

(٧) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٩٥ ونكت الحميان ص ٢٦٨ .

وهذه النادرة الأخرى وفيها يقول أبو العيناء : إنه يخشى أن تلحقه همة كانت تلحق كثيراً من مترفي عصره وكانت تصيب بعضهم ، ولو كان أبو العيناء على درجة عالية من التدين لما لحقته مثل تلك التهمة .

قيل لأبي العيناء : لِمَ اتَّخَذْتَ خَادِمَيْنِ أَسْوَدَيْنِ ؟ قال : أَمَا أَسْوَدَانِ فَلْتَلَا أُتْهِمَ بِهِمَا ، وأما خادمان (١) فَلْتَلَا يَنْتَهَمَا بِي (٢) .

واعترف أبو العيناء بشيء من العقوق لوالده وإن كان أخرج ذلك مخرج الهزل ورواه ليضحك الناس على الوالد الذي يكون شديداً على أولاده .

فقد قال أبو العيناء : أنا أول مَنْ أَظْهَرَ الْعُقُوقَ بِالْبَصْرَةِ ، قال لي أبي : يَا بُنَيَّ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَرْنَ طَاعَتِهِ بِطَاعَتِي ، فَقَالَ : (اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ) فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَتِ ، إِنْ اللَّهَ اتَّمَنَّنِي عَلَيْكَ وَلَمْ يَأْتَمَنَّكَ عَلَيَّ فَقَالَ تَعَالَى : (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ) (٣) .

وإذا كان عقوق والده صحيحاً فإن ابنه قد اقتصر لوالد أبي العيناء من ابنه إذ روى أن أبا العيناء قال لابنه وهو مريض : أي شيء تشتهي ؟ قال : الْيَمَّ (٤) . أي : أن يصبح يتيماً ومعنى ذلك أنه يتمنى لأبيه الموت وقد وردت آثار عدة على أن من عاق أباه يعقه ابنه (٥) .

ولقد هجاه بعض شعراء عصره بقلة التدين ، ولكن الدين هجوه هم

(١) خادمان هنا معناها مجبوران . وقد صرح بذلك الثعالبي في الطائفة والطرائف ص ٧٦ .
والراغب في محاضراته ج ١ ص ١٠٥ .

(٢) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٩٨ . ونكت الهيان ص ٢٦٨ .

(٣) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٩٩ . والبصائر والذخائر ج ٣ ص ٢٩٩ وزهر الآداب ج ٣ ص ٢١٩ . ونكت الهيان ص ٢٦٩ . وجمع الجواهر ص ٢٤٤ . والفيث المسجم ج ٢ ص ٢٧٠ .

(٤) جمع الجواهر ص ٢٨٢ .

(٥) أوردنا جملة صالحة منها في كتابنا (الأمثال العامية في نجد) عند ذكر المثل (البر سلف) فراجع ان شئت .

من يستحقون الهجاء بقلة التدين أكثر منه ، إذ بعضهم من المشهورين بذلك
كالحَمَّاز الذي قال فيه (١) :

كَتَدَبُوا لَيْسَ أَبُو الْعِيَاءِ فِي الْكُفْرِ دَعِيًّا
ظَلَمُوا الْبَائِسَ مَا زَا لَ مِنْ اللَّهِ بَرِيًّا
وَبِذَا نَعْرِفُهُ مَذْ كَانَ ، لَا كَانَ ، صَبِيًّا
فَاخْبِرُوهُ تَجِدُوهُ بِالَّذِي قُلْتُ مَلِيًّا

وأحمد بن أبي طاهر في قوله من مقطوعة في ذم أبي العيَاء (٢) :

قَدْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ فَالْكَفْرُ مُسْتَوَلٌ عَلَى طَبْعِهِ
وَوَصَمَهُ بَعْضُهُمْ بِشَيْءٍ آخَرَ فِي بَيْتَيْنِ لَمْ نَشَأْ إِبْرَادَ الثَّانِي مِنْهُمَا لِإِقْدَاعِهِ
وَهُمَا لِأَبِي عَمْرِو السَّرَاجِ وَأَوَّلُهُمَا (٣) :

جَادَ أَبُو الْعِيَاءِ فِيمَا اشْتَهَى مِنْ لَذَّةِ الْعَيْشِ بِلَا مَرْزِيَةٍ

أما محمد بن عروس فقد تناول بالهجو نواحي عدة من شخصية أبي
العيَاء ، ثم أجمل ذمه إجمالاً مما لا يدع مجالاً للشك في أنه لم يتحرر الحقيقة
في قوله (٤) :

ظَرَفَ أَبِي الْعِيَاءِ مَمْلُولٌ وَدِينُهُ لَا شَكَّ مَدْخُولٌ
وَلَيْسَ ذَا عِلْمٍ بِشَيْءٍ وَلَا لَهُ إِذَا حَصَلَتْ مَحْصُولٌ
مَا هُوَ إِلَّا جَمْلَةٌ غَثَّةٌ وَلَيْسَ لِلْجَمْلَةِ تَفْصِيلٌ

(١) نور القيس ص ٢٢٤ .

(٢) ذكرك في فصل .. بلاغة أبي العيَاء ..

(٣) محاضرات الأدباء ج ٢ ص ١٠٦ .

(٤) لوات الوفيات ج ٢ ص ٣١٩ (طبعة محي الدين عبد الحميد) .

شعر أبي العيناء :

لأبي العيناء شعر جيد أوصله إلى مرتبة الشعراء المعروف بهم ، وإن كان مُقِلًّا من الشعر ولم يشتهر بشعره لأنَّ شهرته بنوادره وذكائه غطت على ذلك :

وقد أفرد له الإمام المزرباني ترجمة في معجم الشعراء ووصفه بأنه قليل الشعر جداً وذكر له شاهداً شعرياً واحداً قال رواه الصولي له عن المُبرِّد :

لعمري لئن كانت نواكم تباعدت لما قرّ بنيا ^(١) منكم الدار أطول
فلن تنأبي الدار عنكم فمبلغ الينا ، وإن كان التبصر أجمل ^(٢)

وهذا الشاهد كما ترى رث أن لم نقل انه غث ، ولأبي العيناء مقطوعات شعرية جيدة سيأتي إيرادها فيما بعد عن غير المزرباني .

ونعنه ياقوت بأنه الأخباري الأديب الشاعر . ثم ذكر في آخر ترجمته مختارات من شعره ^(٣) . وقال ابن خلكان : له أخبار حسان ، وأشعار ملاح مع أبي علي الضير ^(٤) . ووصفه ابن النديم بأنه كان فصيحاً بليغاً شاعراً . ثم ذكر أن لأبي العيناء شعراً جمع في كتاب اسمه « شعر أبي العيناء » .. وهو في نحو ثلاثين ورقة ^(٥) .

(١) ربما كان الصحيح (لما قربتنا) .

(٢) معجم الشعراء ص ٤٤٨ .

(٣) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٨٦ .

(٤) وفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٦٦ .

(٥) الفهرست ص ١٨٧ .

وهذا دليل على أن أبا العيناء مقل من الشعر إذ ثلاثون ورقة ليست بالحجم الكبير لشعر جمع في وقت ليس ببعيد من وقت الشاعر .

قال في ذم الزمان (١) :

تَوَلَّيْتُ بِهِجَةَ الدُّنْيَا فكل جديد لها خَلَقَ
وَحَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ فما أدري بمنْ أَيْقُ
وفي الشكر والثناء :

رَأَيْتُ مَعَالِمَ الْخَيْرِ تَسُدَّتْ دُونَهَا الطَّرِيقُ
فَلَا حَسَبٌ وَلَا أَدَبٌ وَلَا دِينَ ، وَلَا خُلُقُ
أُنشد الثعالبي لأبي العيناء (٢) :

شكرك معقود بإيمان حُكْمٌ فِي سِرِّي وَإِعْلَانِي
عَقْدٌ ضَمِيرٌ ، وَفم ناطق وفعل أعضاء وأركان

وفي الصداقة والإخوانيات (٣) :

لِعَمْرِكَ مَا حَقُّ أَمْرِي لَا يَتَعَدَّلِي عَلَى نَفْسِهِ حَقًّا عَلَيَّ بَوَاجِبُ
وَمَا أَنَا لِلنَّائِي عَلَيَّ بِوُدِّهِ بِوُدِّي وَصَافِي خُلَّتِي بِمَقَارِبُ
ولكنه إن مال يوماً بجانبٍ مِنَ الصَّدِّ وَالْمَجْرَانِ مَلَتْ بِجَانِبِ

شعره في الهجاء : طبعي أن يكون لأبي العيناء شعر في الهجاء ما دام شاعراً مذكوراً بشعره لأن نثره كثير منه كان في الهجاء ، أو كان قوارص كلم ساخرة وقعها على النفس أعظم من وقع الهجاء الشعري التقليدي الذي اشتهر عنه بعض الناس كأنه لا يزيد على كونه صنعة من الصنائع .

(١) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٠٢ .

(٢) المتحلل ص ٨١ .

(٣) تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٢٧ .

فمن ذلك قوله يهجو أسد بن جوهري :

تَعِيسَ الزَّمَانُ لَقَدْ أَتَى بِعُجَابِ	وَمَحَا رُسُومَ الظَّرْفِ وَالْأَدَابِ
وَافَى بِكِتَابِ لَوْ انْبَسَطَتْ يَدِي	فِيهِمْ ، رَدَدْتُهُمْ إِلَى الْكِتَابِ
جَيْلٌ مِنَ الْأَنْعَامِ إِلَّا أَنَّهُمْ	مِنْ بَيْنِهَا خَلِقُوا بِلَا أَذْنَابِ
لَا يَعْرِفُونَ إِذَا الْجَرِيدَةُ جُرِّدَتْ	مَا بَيْنَ غَيْتَابٍ إِلَى عَتَابِ
أَوْ مَا تَرَى أَسَدَ بْنَ جَوْهَرَ قَدْ غَدَا	مُتَشَبِّهًا بِأَجَلَةِ الْكِتَابِ
فَإِذَا أَتَاهُ سَائِلٌ فِي حَسَاجَةٍ	رَدَّ الْجَوَابَ لَهُ بِغَيْرِ جَوَابِ
نَكَلْتُكَ أَمُوكَ ، هَبْكَ مِنْ بَقْرَالٍ	فَلَا مَا كُنْتَ تَغْلَطُ مَرَّةً بِصَوَابِ (١)

وقال في هجاء الوزير أحمد بن الحنصيب :

قُلْ لِلْخَلِيفَةِ يَا ابْنَ عَمٍّ مُحَمَّدٍ	إِشْكِلْ وَزِيرُكَ إِنَّهُ رَكَالٌ (٢)
قَدْ أَحْجَمَ الْمُتَظَلِّمُونَ عَنْهُ مَخَافَةً	مِنْهُ ، وَقَالُوا : مَا تَرُومُ مُحَالٌ
مَادَامَ مُطْلَقَةً عَلَيْنَا رِجْلُهُ	أَوْ دَامَ لِلتَّرْقِ الْجَهُولِ مَقَالٌ
قَدْ نَالَ مِنْ أَعْرَاضِنَا بِلِسَانِهِ	وَلِرِجْلِهِ بَيْنَ الصَّدُورِ مَجَالٌ
إِمْنَعْنَاهُ مِنْ رَكْلِ الرِّجَالِ وَإِنْ تَرُدُّ	مَالًا ، فَعِنْدَ وَزِيرِكَ الْأُمُوالُ (٣)

وقال في الشكوى :

الْحَمْدُ لِلَّهِ لَيْسَ لِي فَسْرَمٌ	وَلَا عَلَى بَابِ مِتْرَلِي حَرَمٌ
وَلَا غُلَامٌ إِذَا هَتَفْتُ بِهِ	بَادِرٌ نَحْوِي كَأَنَّهُ قَبَسٌ
لِابْنِي غُلَامِي ، وَزَوْجِي أَمْتِي	مَلَكَئِهَا الْمَلَائِكَةُ وَالْعُرُسُ
غَنَيْتُ بِالْيَاسِ ، وَاعْتَصَمْتُ بِهِ	عَنْ كُلِّ فَرْدٍ بِوَجْهِهِ عَبَسٌ
فَمَا يَرَانِي يَبِابُهُ أَحَدٌ	طَلَّقَ الْمُحِبَّاءَ مَنَحٌ وَلَا شَرَمٌ (٤)

(١) مجمع الأدباء ج ١٨ ص ٣٠٢ وغرر الخصاص ص ١٣٧ وفي زيادة بيتين .

(٢) أشكله ، أي وضع فيه الشكال ، وهو حل تقيد به الدابة ، وركال ، ير كل الناس برجله .

(٣) مجمع الأدباء ج ١٨ ص ٣٠٤ .

(٤) المصدر نفسه .

وأنشد ابن المعتز لأبي العيناء وقال انه مما يستحسن له قوله في علي بن الجهم :

أراد ابن جهم أن يقول قصيدة بمدح أمير المؤمنين فأذّناس
فقلت له : لا تعجكن بإقامة فلست على طهر ، فقال : ولا أنا

قال ابن المعتز : وقد روى الناس أن هذين البيتين لمروان ، وليما ذلك بشيء (١) وقد أكد نسبتهما إلى أبي العيناء الشاشي حيث رواهما له جازماً (٢).

ومن شعره في المال (٣) :

مَنْ كَانَ بِمَلِكٍ دِرْهَمَيْنِ تَعَلَّمَتْ
شَقَاتَهُ أَنْوَاعَ الْكَلَامِ فَقَالَ

وَتَقَدَّمَ الْفَصَحَاءُ فَاسْتَمَعُوا لِيهِ
وَرَأَيْتُهُ بَيْنَ الْوَرَى مُخْتَالًا
لَوْلَا دِرَاهِمُهُ الَّتِي فِي كَيْسِهِ

لَوَجَدْتَهُ شَرَّ الْبَرِيَّةِ حَالًا
إِنَّ الْغَنِيَّ إِذَا تَكَلَّمَ كَاذِبًا

قَالُوا : صَدَقْتَ ، وَمَا نَطَقْتَ مُحَالًا
وَإِذَا الْفَقِيرُ أَصَابَ ، قَالُوا : لَمْ يُصِيبْ
وَكَذَبْتَ يَا هَذَا ، وَقُلْتَ ضَلَالًا

إِنَّ الدَّرَاهِمَ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا
تَكْسُو الرِّجَالَ مَهَابَةً وَجَلَالًا
فَهِيَ اللِّسَانُ لِمَنْ أَرَادَ فَصَاحَةً

وَهِيَ السَّلَاحُ لِمَنْ أَرَادَ قِتَالًا

(١) طبقات الشعراء ص ٤١٦ .

(٢) الديارات ص ٥٦ - ٥٧ .

(٣) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٣٠٤ - ٣٠٥ .

ومن شعره الفلسفي (١) :

يا وَبَنَحْ هَـذِي الْأَرْضُ مَا تَصْنَعُ
أَكَلٌ حَتَّى فَوْقَهَا تَصْرَعُ ؟
تَزْرَعُهُمْ حَتَّى إِذَا مَا أَتَوْا
أَشَدَّهُمْ نَحْصَدُ مَا تَزْرَعُ

وقوله في الدنيا (٢) :

مذمومة بالمهم مخطوبة سَمٌ دُعَا فُ دُرُ أَخْلَافِهَا
ولم تزل تفتل الألفها أَفٌ لَيْمَنُ تَقْتُلُ أَلْفَهَا
وقال في الفخر (٣) :

أَلَمْ تَعَلِّمِي يَا عَمْرُكَ اللَّهَ أَنِّي
كَرِيمٌ عَلَى حِينِ الْكِرَامِ قَلِيلٌ
وَلَائِي لَا أَخْزَى إِذَا قِيلَ مُقْنِسِرٌ
جَوَادٌ ، وَأَخْزَى أَنْ يَقَالَ : بِخَيْلٍ
وإن لَا يَكُنْ عَظْمِي طَوِيلًا فَإِنِّي
لَهُ بِالْخِصَالِ الصَّالِحَاتِ وَصُولٌ
إِذَا كُنْتُ فِي الْقَوْمِ الطُّوَالِ فَضَلَّتْهُمْ
بَطُولِي لَهُمْ حَتَّى يَقَالَ طَوِيلُ
وَلَا خَيْرَ فِي حَسَنِ الْجُسُومِ وَطُولِهَا
إِذَا لَمْ يَزَنْ طُولَ الْجُسُومِ عَقُولُ
وَكَاثِنُ رَأَيْنَا مِنْ جُسُومٍ طَوِيلَةٍ
نَمُوتُ إِذَا لَمْ تَحْيِيَهُنَّ أَصُولُ

(١) المصدر نفسه ص ٣٠٦ .

(٢) محاضرات الأدباء ج ٢ ص ١٦٨ .

(٣) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٣٠٥ - ٣٠٦ .

ولم أرَ كال معروف ، أما مذاقـــــــــه

فَحُلُّوْ ، وأما وَجْهُهُ فجميلُ

وذكر الشاشتي أن أبا العيناء قال في التشفي من رجل عزل عن عمل كان يتولاه :

قل لزيد بن صاعد جاءكَ العزل في لطف
فاجزعَ الهمَّ واصطبرِ فعلى رَبِّكَ الخَلَسُ
أنت أبضاً إذا وليت فلا تكثر الصِّلَفَ (١)

وفي المطل وخاف الوعد أنشد له الثعالي (٢) :

لاني لأعجب بل فعالك أعجب من طول تردادي ، إليك وتكذب
وتقول لي قولاً أظنك صادقاً فأجيء من طمع إليك وأذهب
فإذا اجتمعت أنا وأنت بمجلس قالوا : مسيلمة . وهذا أشعبُ

مع ما ذكرنا من شعر أبي العيناء في هذا الفصل وفي فصول مفرقة في الكتاب ومنه مقطوعات في فصل عماء ، فلإننا نجد ياقوتاً رحمه الله يقول في كتابه معجم البلدان : أن أبا العيناء قليل الشعر جداً لم يصح عندي له شيء من الشعر البتة (٣) .

هذا مع أنه أورد له تسع قطع شعرية في ترجمته من معجم الأدباء فلإما أن تكون العبارة مقحمة أو يكون ياقوت كتبها قبل أن يصل علمه إلى القطع التي أوردتها مع أن عدداً من المؤلفين نظموا أبا العيناء في سلك الشعراء ، ومنهم المزرباني صاحب المعجم كما تقدم ، ومنهم معاصر أبي العيناء وهو ابن المعتز حيث أورد أخباره في كتابه طبقات الشعراء ، وأنشد من شعره بيتين نقلناهما

(١) الديارات ص ٥٥ .

(٢) نثر النظم ص ٣٦ .

(٣) معجم البلدان : رسم دير باشهراج ٢ ص ٤٩٩ .

في هذا الفصل إضافة إلى المراجع العديدة التي ذكرت شعر أبي العيناء أو التي وصفته بأنه شاعر .

بل ان بعضهم أورد له شعراً قاله على البديهة ودون ترو أو إعمال فكر وذلك ما لا يتأتى لكثير من الشعراء المكثرين فضلاً عن غيرهم وذلك في بيتين أوردناهما مع قصتهما في فصل (بدبيته) .

أما وصفه بأنه شاعر أو أن له شعراً أو أشعاراً أو نسبة شعر إليه فهذا فيه عدة نصوص إلى جانب ما صرح به ابن النديم من أن شعره جمع فبلغ ثلاثين ورقة وابن النديم أعلم بحال شعر أبي العيناء لقربه من زمانه نسبياً من ياقوت الذي هو أبعد زمناً عنه .

ومن الذين وصفوه على سبيل الاجمال بالشعر الحافظ ابن حجر إذ قال : له أخبار حسان وأشعار ^(١) .

وقال الامام الدارقطني : كان أبو العيناء حسن الشعر ، جيد العارضة ، مليح الكتابة والرسل ، خبيث اللسان ، كثير التعريض بدم ^(٢) .

ووصف أبو بكر الزبيدي أبا العيناء بأنه كان أدبياً ظريفاً شاعراً ^(٣) وقال الشاشي : كان حسن الشعر ^(٤) وهذا إثبات لكونه شاعراً بطبيعة الحال .

وقال اليافعي : أبو العيناء صاحب النوادر والشعر والأدب ... له أخبار حسان ، وأشعار ملاح ^(٥) .

(١) لسان الميزان ج ٥ ص ٣٤٥ .

(٢) لسان الميزان ج ٥ ص ٣٤٦ .

(٣) طبقات النحويين والقويين ص ١٨٧ .

(٤) الديارات ص ٥٣ و ص ٦٠ .

(٥) مرآة الجنان ج ٢ ص ١٩٦ .

مَعَ الْقُرْآنِ... فِي أَسْمَائِهِمْ وَتَعْلِيْقَاتِهِمْ

مَدِينَةُ حَائِل

... كنتم زرتُم مدينة حائل منذ بضع سنوات ، وقد علمت أنكم تؤلفون عنها كتاباً . وحيث أنني أُعنى بدراسة الناحية الجغرافية عن تلك الجهة فهل تتفضلون بمساعدتي بما قد أستفيد به في الموضوع ، وخاصة ما كتبتم عنها ، إن كنتم نشرتم شيئاً من ذلك .

جامعة الرياض : سعد اليعبي

العرب : قام رئيس التحرير بتأليف معجم شامل عن (شمال المملكة : إمارات حائل والجوف وتبوك وعَرَعرَ والقُرَيَّات ، وهو أحد أجزاء « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » وقد صدر القسم الأول منه في ٤٨٠ صفحة يحوي من حرف الألف إلى نهاية حرف الحاء ، وبقية الأقسام تحت الطبع .

وهذا الكتاب لا يقتصر على وصف المدن والقرى في تلك النواحي بل يشمل مختلف المواضع من جبال وأودية ومياه ، ومواقع أثرية قديمة .

أما عن مدينة حائل فلمَّا السائل الكريم نص ما جاء في ذلك الكتاب عنها .

حائل - بفتح الحاء المهملة بعدها ألف فهزمة مكسورة تقلب ياءً فلام - : الحائل لغة : الناقة لم تحمل عامها ذاك ، ورجل حائل اللون : إذا كان أسود متغيراً - والعامة يسهلون الهزمة في كلمة (حائل) فيبدلون ياءً ، كما دُهم في مثل هذا الاسم .

في كتب المتقدمين يطلق اسم حائل على موضعين ، أحدهما وادي أو موضع في بلاد طيء ، والثاني رمل وأرض جنوب الوشم بقرب المُرُوت ، على طريق حاج البعامة قديماً وما ينبغي أن يلاحظ أن اسم حائل حينما يرد في

شعر قُشْبِر أو جَعْدَة أو عَقِيل أو غيرهم من بني عامر فإن المقصود به في الغالب الموضع الواقع قرب المَرْوُث ، وقد ورد هذا كثيراً ، وقد وقع الخلط من كثير من الباحثين قديماً وحديثاً بين الموضعين ولا يعنينا في بحثنا الآن إلا الموضع الذي في بلاد طيء .

وتكاد تجمع أقوال المتقدمين على أن اسم حائل كان يطلق على وادٍ ، ويحسن أن نورد جملاً من أقوالهم : —

قال الهجري ^(١) : (حائل وادٍ يفلق بين الرمل وأجا ، ليس ثمّ وادٍ غيره ، يَصُبُّ في الحَرْن) . انتهى .

وقال البكري : (وحائل أيضاً موضع آخر بجبلي طيء . وقال أبو سعيد الضريّر : حائل : بطن وادٍ بالقرب من أجا ، وهذا هو الذي أراد امرؤ القيس بقبوله :

تَمَيَّنَتْهَا حَتَّى إِذَا لَمْ يَسْغُ لَهَا حَلِيٌّ بِأَعْلَى حَائِلٍ وَقَصِيصٌ
ويدل على ذلك قوله :

تَبَيَّنَتْ لَبُونِي بِالْقُرْبَةِ أَمْسَاً وَأَسْرَحُهَا غَيْباً بِأَكْنَافِ حَائِلٍ
وَالْقُرْبَةُ : بجبلي طيء معروفة .

وبشهد لك أن حائلاً هذا قريب الروحاء قول حسان — أنشدته ابن إسحاق — :

بَيْنَ الْمَرَادِيحِ ، فَأَذْمَانَةٌ فَمَدَفَعَ لِلرَّوْحَاءِ مِنْ حَائِلٍ ^(٢)

وفي « معجم البلدان » : حَائِلٌ قال ابن الكلبي : وادٍ في جبلي طيء . قال امرؤ القيس :

(١) « أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع » ص ٢٨٥ .
(٢) « معجم ما استعجم » ولقد أبعد النجمة فأين الروحاء من حائل التي ذكر ، وإذا صحت كلمة (حائل) في شعر حسان فهو موضع ثالث وهو في الحجاز بقرب المدينة المنورة .

أبت أجاباً

ودخل بدوي إلى الحضر فاشتاق إلى بلاده فقال :

لعمري لنور الأفحوان بحائل وتور الخزامى ، في آلاء وعرفج
أحب إلينا - يا حميد بن مالك

من الورد والخبيري ، ودهن البنفسج
وأكل أربع وضب وأرتب أحب إلينا من سمانى وتدرج
ونص القلاص الصهب تدمي أنوفها

يجب بنا ما بين قو ومنع
أحب إلينا من سمين بدجلسة

ودرب متى ما بظلم الليل برتج

وقال جابر (بن حني التغلي) :

ولقد أراتنا - ياسمي - بحائل نرعى القرى فكأماً فالأصفر
فالجزع بين ضباعة فرصافة فعوارض ، حوالبسابس مقفرا
لا أرض أكثر منك بئض نعام

ومدانيا نندي وروضا أخضرا

وفي « المشترك وضعاً » نياقوت أيضاً : حائل : موضعان :

الأول : موضع بأرض اليمامة لبني قشير . وقال الحفصي : لبني نمير
وبني حمان .

الثاني : حائل : ماء في بطن المروء من أرض بني يربوع .

الثالث : حائل : واد في جبل طيء ، قال امرؤ القيس :

تبينت لبوني بالقرية أمنا وأسرحها غيباً بكناف حائل

وقول ياقوت : إن الاسم يطلق على موضعين ، ثم ذكره موضعاً ثالثاً
غير مستقيم . فموضع بني قشير ومن معهم هو الذي في بطن المروء .

وإذن فهما موضعان لا ثلاثة .

وياقوت - رحمه الله - في كتابه « المشترك » عندما يجد للمتقدمين أقوالاً في تحديد الموضع الواحد قد يظن أن كل قول يُقصدُ به موضعٌ منفصل عن غيره ووقع هذا كثيراً في هذا الكتاب .

هذا مجمل كلام المتقدمين عن حابل الوادي - فلنحاول تحديده على ضوء ما ذكروا . يدعى أعلى وادي حائل الآن الأدبَرع (وانظر هذا الاسم) وتمتد فُروعه من جبل حَضَن الواقع جنوب أجَا ، ثم تجتمع فيه جميع سيول أجَا التي تنحدر إلى الشرق ، وترفده أودية صغيرة تأتي من الجنوب ، وتجتمع كلها على مقربة من مدينة حائل شرقها ، ثم يتجه الوادي نحو الشمال الشرقي ، حتى تَلبُّ به رمالُ الثُود ، فتصرفه نحو الجنوب الشرقي ، حيث تلتقي معه سيول شرقي جبل سَلَمَى وما دونها من أودية ، وبعد اجتماعها تفيض على مقربة من بَقْعَاء حيث تحجزُها الرمال . وقول الهجري بأن هذا الوادي يتفلق بين الرمل وأجَا لَيْسَ ثُمَّ وادٍ غيره يصبُّ في الحَزْن ، وهو يقصد حَزْنَ بَنِي يَرْبُوع قد يكون هذا قبل تراكم الرمال الحاجزة بينه وبين الحزن ، ووجود مناهل في أحناء تلك الرمال وأرض جلد يؤيد رأي الهجري .

وذكر ياقوت أن سيل حائل ينتهي إلى قاع يسمى قَرَأَقَر (انظر هذا الاسم) نسيل إليه أودية ما بين الجبلين ، في حَقِّ أَسَدٍ وَطِيٍّ . ويظهر أن كلمة قَرَأَقَر يقصد بها في الأصل القاع الذي تجتمع فيه السيول ثم أطلقت اسماً لمواضع متعددة (يقع وادي حابل من أعلى فُروعه إلى حيث ينتهي قرب بَقْعَاء بين خطَّي الطول ٤١° و ٤٠° - ٤٢° وخطَّي العرض ٢٧° - ٢٨°) .

هذا عن حائل الوادي ، فماذا عن حائل البلدة ؟ ! لم يطلق اسم حائل على البلدة - فيما أعلم - إلا في عصر متأخر ، وكانت الشهرة إلى ما قبل قرنين من الزمن لبلدة قَعَار ، الواقعة جنوب قرية حائل التي كانت قرية

صغيرة شرق موقع المدينة الآن ، في مضيق من الوادي يدعى الحَنْقَة ، بين سلسلة منفصلة من هضاب أجلا يفصلها الوادي ، فتسمى السَّمَرَاوِين - مثنى سَمَرَاء - ممتدة على الحَنْقَة في موضع يدعى الساقلة إلى حيث يتسع الوادي عند نخيل الرَبِيعِيَّة ، ولا تزال آثار البناء بارزة ، ويقول أهل بلدة حائل : إن البلدة القديمة كانت معمورة إلى عهد غير بعيد ، حيث كانت مَقَرَّ آل علي حُكَّام حائل الذين انتزع الحكم منهم آل رَشِيد في منتصف القرن الثالث عشر .

وآثار سُور البلدة بارزة ، وقد شاهدها .

ويقول موزل ما تعريبه ^(١) : (اسم حائل كان يطلق على وادٍ في الأصل ، وكانت البلدة تسمى القَرْيَة ، ولتمييزها عما يسمى بهذا الاسم قيل قَرْيَة حائل ، ثم أُسْقِط منها الاسم المضاف ، فقيل : حائل ويورد قول امرئ القيس عن إقامته في القَرْيَة في حائل في مراعي بني ثعل .

ويغلط موزل حين يورد ما ذكر الأصفهاني في « الأغاني » ^(٢) ونصه : أن ابن الطُّشَيْرِيَّة وابن بَوَزَل خَرَجَا بِسِرَانٍ حَتَّى نَزَلَا بِرَمْلَةٍ حَائِلٍ بَيْنَ قَفَّارِ الْمَلْح - ثم أورد من شعر ابن الطُّشَيْرِيَّة قوله :

بِأَسْفَلِ خَلِّ الْمِلْحِ إِذْ دَيْنُ ذِي الْهَوَى
مُؤَدَّى ، وَإِذْ خَبِرْتُ الْوِصَالَ أَوَائِلَهُ

ثم يعقب عليه : ينبغي أن يكون هذا الموضع هو واحة قفار الواقعة على بعد ١٢ كيلاً من حابل . وهذا خطأ ، فما ذكر الأصفهاني ينطبق على حائل التي بقرب السَّمَرَوَاتِ جنوب نجد ، بقرب منازل ابن الطُّشَيْرِيَّة وقومه .

ويورد موزل ما ذكر ابن جرير في تاريخه ^(٣) من أن أَحَدَ طَيِّئٍ نصح

(١) « شال نجد » حاشية ص ٨٣ الأصل الإنجليزي .

(٢) ص ٧ - ١٠٨ طبعة الساي .

(٣) ص ٢ - ٣٠٤ ط أوروبا .

الحُسَيْن بنَ علي - حينَ خرجَ على يزيد - بأنَ يَسيرَ معه حتى يبلغَ مَنَاعَ ، حيثَ امتنعت طيٌّ من ملوك غَسَّانَ وحميرَ ومن النعمان بن المنذر ، ثم يتزل القرية - وسيأتي الخبر بطوله في الكلام على (مَنَاعَ) ويعلق على هذا بما تعريبه (٢) : إنها الحقيقة ممتعة أن يكون ملوك الغسانيين قد أغاروا على بلاد قبيلة طيٍّ كما كان يفعل زعماءُ قبيلة الرُّوَلَةِ الحديثة التي تنزل منازل الغسانيين القديمة ، وهم يحاولون الاستيلاء على أجزاء من تلك البلاد .

ولقد حاول ملوك الحيرة السيطرة على طريق النقل الممتدة من الحبيرة إلى وسط الجزيرة فشنوا الغارات على الجماعات العنيدة من قبيلة طيٍّ .

ولم يتمكن الغسانيون ولا ملوك الحيرة من محاصرة القرية التي كانت حسبما نعتقد مسورة ، إذ كان من الصعب عليهم نقل المواد اللازمة لمحاصرة منطقة تبعد كثيراً عن موطنهم . انتهى كلام موزل .

أما متى أطلق اسم حائل على القرية فليس لديّ من النصوص ما يحدّد ذلك الزمن ، غير أنه كان معروفاً في أول القرن الثاني عشر الهجري .

وبما هو معروف عند سكان هذه الجهات أن بلدة قفار كانت أقوى من حائل ، وأكثر سكاناً .

ولم أر لبلدة حائل منذ القرن الحادي عشر فما قبله ذِكْراً فيما اطّلت عليه من أخبار هذه الجهات ، وقد قام أمراءُ مكة بغزوات إليها فلم يذكر مؤرخو تلك الغزوات حائلاً ، وإنما ذكروا (شَمَرَ) ظناً منهم أنه اسم موضع كما في « سمط النجوم العوالي » للعصامي (١) فقد ذكر أن شريف مكة خرج غازياً في سنة ٩٦٣ (نحو شمر) وهربوا إلى رؤوس الجبال فقصد منازلهم وخرب شمر المذكور لأنه من أمنع مواطنهم) وذكر أنه غزا جبل شَمَرَ وأوقع ببني لام سنة ٩٦٤ . وذكر أن في شعبان سنة ١٠٨٠ (ثمانين

(١) « شمال نجد » مامش ص ٨٣ الأصل الإنجليزي .

(٢) ٤ - ٣٦٥ - ٣٦٦ - ٣٧٥ - ٤٠٦ .

وَأَلَفَ (حَدِثَتْ وَقْعَةُ قِفَارِ بَيْنِ السَّيِّدِ حَمُودٍ مِنْ قُرَادِ أَمِيرِ مَكَّةَ الشَّرِيفِ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ وَبَيْنَ عَتْرَةِ ^(١)) .

وقد زار بلدة حابيل كثير من الرحالين ، من مستشرقين وغيرهم ، بعد أن أصبحت قاعدة للإمارة . ومرت بها حقبة من الزمن كانت قاعدة للحكم في نجد ، منذ أن تضعضع حكم آل سعود بعد وفاة الإمام فيصل والاختلاف بين أبنائه ، حيث استولى آل رشيد على البلاد كلها ، حتى استولى الملك عبد العزيز - رحمه الله - على مدينة الرياض - سنة ١٣١٩ - فانحصرت إمارة آل رشيد في الشمال ، وما زالت تتقلص حتى استولى الملك عبد العزيز على حائل في شهر صفر أول عام ١٣٤٠ هـ . وما هي بعض أقوال بعض من زاروا بلدة حائل .

زارها السيد عباس المكي الحسيني الموسوي في سادس المحرم سنة ١١٣١ هـ فقال ^(٢) : (فَأَتَيْنَا عَلَى جَبَلٍ شَمَّرٍ ، وَالْكَلِّ مِينَاً لَدَيْهِ الْإِنْشِرَاحُ قَدْ شَمَّرَ ، وَهَنَاكَ قَرْيَةٌ تَسْمَى (حَائِلُ) ضَرْبُ الْأَنْسِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَهْمُومِ بِحَائِلٍ ، ذَاتُ نَخِيلٍ وَأَشْجَارٍ ، وَعُيُونٍ وَأَبَارٍ ، وَطُيُورٍ وَأَزْهَارٍ ، وَبَسَاتِينٍ وَاسِعَةٍ وَثَمَارٍ ، وَكَأَنَّهَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَانِ ، فِيهَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانٌ ، وَأَهْلُهَا عَرَبٌ كَرَامٌ ، شَمِلَ كَرَمُهُمُ الْخَاصَّ وَالْعَامَ ، لَمْ تَلَقْ فِيهِمْ غَيْرَ شَجَاعٍ عَظِيمٍ ، وَجَوَادٍ كَرِيمٍ ، وَبِهَا كُلُّ غَادَةٍ أَمْلُودٍ ، تَفْتَكُ بِلِبَائِهَا الْأَسْوَدَ ، هَيْفَاءُ رَعْبُوبَةٍ رِدَاحٍ ، مَحْبَاهَا يَضِيءُ كَالْمَصْبَاحِ ، كَامِلَةُ الْحَسَنِ وَالْأَوْصَافِ قَدْ جَمَعَتْ بَيْنَ الْجَمَالِ وَالْعِفَافِ :

مِنْ كُلِّ غَيْدَاءٍ ، إِذَا أَسْفَرَتْ جَلَاءَ مُحَبَّاتِهَا سُجُوفَ الدُّجُونِ
وَالْمُقَلَّةُ الْكَحْلَاءُ مَهْمًا رَكَتْ أَثَارَتِ الْحَرْبِ بِيَكْسَرِ الْجُفُونِ

وزار والان الفنلندي بلدة حائل سنة ١٨٤٥ م (١٢٦٢ هـ) فقال عنها ^(٣) :

(١) سبط النجوم الموالي « للمصامي ٤ - ٥١٢ .

(٢) نزهة الجليس ٥ ج ١ - ٩٢ - الطبعة الثانية .

(٣) صور من شمالي جزيرة العرب ٣٠٢٥ ١٢٧ .

وتقوم حائل في وادٍ مسطح ومنخفض ، يمتد تقريباً من الشرق إلى الغرب في سفح جبل (سمرا حائل) وفي طرفه الشرقي نبعٌ وحيد ماؤه قاتر ، ضارب إلى الملوحة ، ويبدو أن الأكواخ الطينية الأولى بُنيت حوله . وهناك آثار مهدمة أحدث منها عهداً أما اليوم فالبئر مهجورة ، بعد أن انتقل السكان تدريجياً إلى عملة أعلى باتجاه الغرب ، حيث سهل البطين الفسيح ، الذي تكثر فيه الجداول الداخلية ... وَأَهَمُّ شيءٍ يجب أن يفكر به المواطنُ الحديد باديةً ذي بدء هو تأمين ماء الرّي ، وحال اكتشافه الماءَ يحفر بئراً وسرعان ما تنمو حوله بساتينُ النخل والأشجار المثمرة الأخرى ، ثم تُبنى في وسط البساتين منازل من المواد المستعملة في الصحراء ، كاللبن وقطعة أصغر حجماً من الآجر الذي يصنعه السوريون ، ومن جذوع شجر النخل أو الأثل تعمل الأبواب ، وحافة السقف ، وهو دائماً مسطح ، وأكثر البيوت من طبقتين غرفهما قليلة ، ولكنها فسيحة ومريحة ، ولا يدخلها النور إلا من الباب ، ومن كُؤاتٍ صغيرة في الجدران تحت السقف مباشرة ، وفي كل بيت دون استثناءٍ منتهى منفصل عن المبنى ، ويواجه البستان أو هو في وسطه لاستقبال الضيوف ، وفيه تجتمع الرجال لتبادل الأحاديث وللتنظر في الأعمال ، ويحيط بأرض كل بيت سور ، غير أن مساحة القرية الفسيحة تجعل إحاطة الأرض بالأسوار أمراً مستحيلاً على أكثر السكان ، ولا يمتاز مَقَرُّ ابنِ رَشِيد عن سواه بسوى أنه أكبر حجماً وأوسع أرضاً ليؤوى عائلته الكبيرة ، وأتباعه وضيوفه الكثيرين طوال السنة ، فكل غريب يأتي إلى حائل وليس له فيها أنساب أو أصدقاء يحل ضيفاً في قصره ، واثقاً بأنه يُستقبل ويستضاف طوال المدة التي يريد ، وينبئ المسافرين جمالهم في ساحة فسيحة تسمى مَسَاخاً تحيط بها مبانٍ صغيرة وغرف هي زرائب تشبه بعض الشبه الخانات الفارسية ، وينام الغرباء فيها وفي المقهى والجامع ، والضيوف الأقل شأنًا يفرشون أرض الساحة قرب جمالهم .

وتلتصق بجدران المباني المحيطة بالساحة أرائك ومقاعد من الطين ، وبين تلك الجدران يعقد الرئيس محكمته مرتين في اليوم ، مرة صباحاً والأخرى بعد الظهر .

وفي القرية ساحات كثيرة مكشوفة ، وأسواق تباع فيها اللحوم والخضار
والخون على حُكس ما هو في الجوف والقرى الشمالية ، حيث يُعَدُّ عرض
الأغذية للبيع في الساحات العامة عملاً شائعاً . والأسواق في حائل عريضة
مُرِيحة ، مع أنها غير معبدة ، وفي السوق الرئيسية المسماة لُبْدَة عدد من
الحوانيت المكشوفة ، أصحابها تجار متجولون ، يأتون من العراق ولقدينة
والقصيم وفي حائل اليوم ٢١٠ من منازل و ٢١٠ عائلات ، وإذا استمر اتساع
البلدة اتصلت قريباً بقرية صغيرة اسمها الوُسَيْطَا يسكنها عشر عائلات ،
وتبعد عن حائل ثلاثة أرباع الساعة في السهل الأقرب إلى سفح أجا . انتهى
كلام والان .

وزارها بلجريف (ولیم جیفرڈ) سنة ١٨٦٢ م (١٢٧٩ هـ) في عهد
الأمير طلال بن رَشِيد ، فذكر ^(١) أنه قابل الأمير بواسطة زامل أمين
الحزينة ، فأدخله من باب سِرِّي - عند الفجر - إلى غرفة يقوم بحراستها
عبيد سود - ويقف بعيداً عنها حراس مسلحون ، لا تصل أصواتهم المتكلمين
- ثم ذكر أن عُبَيْدًا عَمَّ طلال - وقد وصفه بالمكر كتب معه كتاباً إلى
الأمير عبد الله الفيصل ، وذكر أن عُبَيْدًا سار غازياً من حائل ، وأن طلالاً
حين سار عنه شعر بالحرية ، فدعا بلجريف لمقابلته في ٦ أيلول (سبتمبر) ،
فحضر إلى غرفة زامل - بعد الظهر - وقد أقيم على الباب حارس لإبعاد
الزوار ، ثم أقبل طلال يخفّره حارسان مسلحان ، تركهما في الفناء ، كان
عادي الثياب ، جدي النظرات ، أكثر من العادة ، ينمُّ مُحَيَّاه عن
انشغال شديد ، فجلس وصمت ، ولم نشأ أن نفسد صمته ، وأخيراً نظر إليّ
وقال : لا تسألني في هذه الظروف ، ولن أعطيك جواباً ، على أنني أوكد
لك مؤازرتي ، تابع رحلتك وعندما تعود سيتحقق ما تريد .

وقد زار مدينة حائل الرحالة الإيطالي ^(٢) كارل غوارماني ، سنة ١٨٦٤ م

(١) « اكتشاف جزيرة العرب » ص ٥٠ .

(٢) « اكتشاف جزيرة العرب » ٢٩٠ - ٢٩٥ .

(١٢٨١ هـ) ، وكان أول ما لفت نظره عند وصوله إليها رؤية جثة يهودي عجمي ادعى الإسلام ، ولكنه أبى تأدية الشهادتين حين اقتضح أمره ، وكان جاء نجباً لشراء خيل للشاه ، فقضت عليه الجماهير . ووصف الأمير طلال بن رشيد بأنه يجسد المثال الكامل في نظر البدو ، وكان يعقد مجلس القضاء أمام القصر صباحاً ، وأمام المسجد مساءً ، وكان يعلن على رؤوس الأشهاد أن الأيتام والأرامل أحب إليه من أهل بيته ، وكان كرمه كرماً منطرباً ، فقد منح شاعراً أعمى مائة ريال وثنوباً ضافياً وجمللاً وجواداً ، لقصيدته أنشدتها ، أما قضاؤه فكان عادلاً لكنه صارم . وكانت النتيجة أمانة الطرق .

وقال ابن دنجيل ^(١) : بلدة حائل الكاتنة جنوبي أجا ، وشمال السمرات ، في مستوى من الأرض ، وهي بلدة كبيرة فيها أسواق عامرة ، ونجارة واسعة . وسميت حائل لأنها هي الحائل أو الفارق بين سلمتي وأجا ، ويقول أهلها إنما سميت حائل لأنها لا تلد أميراً أجنبياً ، بل إنما أولياؤها منها . ويقولون : إن عاصمة الإمارة في قديم الزمن (الساقلة) وهي الآن خراب آثارها باقية ، وتبعد نحو ساعة من شرقيها .

والذي عمر هذه الإمارة ^(٢) آل عتيبي الذين منهم آل رشيد .

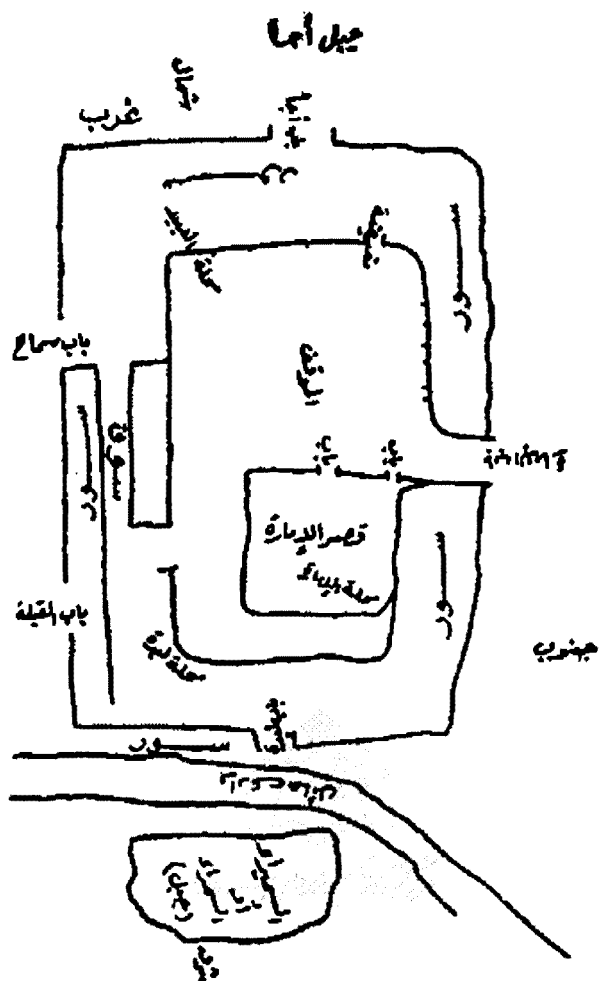
وقالوا : عمرت الساقلة في نحو القرن السابع ونصف (؟) ، وما لبثت أن خربت ، وعمرت هذه الإمارة ^(٣) على أثرها ، والظاهر أن هذه الإمارة سميت باسم وادٍ هناك ، يسيل سيلاً عظيماً إذا نزل المطر ، فغلب الاسم عليها كما هي العادة ، ونسى أهل البلد هذا المعنى .

وقد جاء ذكره وحمل موضعه في « معجم البلدان » - ثم أورد نقوصاً من المعجم وقال : وهذا الوادي كثير الخير ، يأتي سيله من أمكنة بعيدة ، تصب فيه ، فيفيض على البلد ، ويسقى الزروع وغيرها .

(١) « القول السديد » غلوط .

(٢) كذا ولعل الصواب : أنشأ هذه الإمارة .

(٣) كذا والصواب (البلدة) أي حائل .



مدينة حائل كما رسمها ابن دخيل سنة ١٣٣٠ تقريباً .
 والبلدة واقعة على جباله الشمالي وهو واقع بينها وبين السميرا كما
 ترى في الرسم التقريبي :
 وفي كلام ابن دخيل هذا أخطاءٌ صححها أحد أدباء حائل فهد العلي
 العريتي بما ملخصه (١) :

(١) « العرب » السنة الثالثة ص ٧٦٢ .

١ - قوله : إن بلدة حائل جنوبي أجا وشمال السمرام بعيد عن الصواب لأن حائلاً تقع في شرق أجا وغرب السمرام .

٢ - وقوله : لأهل الحائل والفارق بين سلمى وأجا . المعروف عند أهل المنطقة أن هذا الوصف يخص وادي (الأدبرع) الذي يحول إذا سال بين أهل سلمى وأهل أجا ، وقد نشأت حائل على سفحه الغربي فاستمت وتوشك أن تصل إلى أجا .

٣ - السافلة التي ذكر أنها عاصمة الإمارة ، ينطقها أهل هذه الجهة السؤيفة بالتصغير والمعتقد عندهم أن العاصمة قديماً كانت بلدة ققار وكان لها في الماضي شأن كبير .

٤ - والقول بأن بلدة حائل على جال الوادي الشمالي . الصواب على الحال الغربي . والسمراء - في كلامه - صوابها السمرام .

وقال موزل (١) : - وقد زار مدينة حائل سنة ١٩١٤ (١٢٣٤ هـ) :

(كانت حائل في أوج ازدهارها في عهد محمد بن رشيد ، تتألف من ٤٠٠٠ منزل ، تقريباً ، لكل أسرة منزل وهذه المنازل تقع في أربعة أحياء (حارات) حول سوق المدينة ، المعروف باسم سوق المشاهدة .

١ - كان حي برزان يقع في الناحية الشرقية .

٢ - وإلى الجنوب موقع لبدة .

٣ - وحي مغضة يقع غرباً .

٤ - أما حي عفتان فيقع في الشمال الغربي من السوق . ولكل من برزان ولبدة ومغضة علم خاص وقت الحرب . وفي المدينة عدد من التجار يقرب من ثمانين أسرة ، ممن هاجروا من النجف - في العراق - وأقاموا في برزان ولبدة .

(١) هـ شمال نجد .

وفي مدينة حايل جامعان ، وفي سماح وسوق النماحيس مسجداً ،
وفي مسجد برزان تقع مدرسة المُرثيدي الدينية ، وفي لُبْدَة مدرسة ابنِ
مَرْعِي ، وهاتان المدرستان يقوم معلموهما بتدريس العلوم الدينية .

وفي مدينة حايل صانعٌ ماهر في صنع الأسلحة (السيوف) وتحليتها
بأنواع النقوش وتزيينها بمهارة يدعى محمد بن بائي ، وهو من أسرة تدعى أنها
من أصل (.....) .

كان للأمير حرس خاص يقرب من ٤٠٠ (أربعمائة) مولى من الرقيق ،
يسكن هؤلاء في منازل يحوى المنزل عشرين منهم تقريباً ، وإلى جانب هؤلاء
عدد كبير من الشبان المتطوعين للخدمة ، يطلق عليهم مع الموالي (رجاجيل
الشيوخ) وكانت الأخلاق العامة في حايل على أدنى مستوى .

وفي الاضطرابات التي حدثت بعد سنة ١٨٩٧ م دُمِّرَ قسم كبير من
حائل ، وقطعت النخيل ، وطُمِرت الآبار ، وقد أمر الوزير زامل السبهان
ببناء سور للبلدة من اللبن ، خوفاً من هجوم مفاجيء .

وقال أيضاً : ^(١) (يفصل مدينة حايل طريق الحج الذي يدخل المدينة
من ضاحية السَّوَيْفِيَّة شرق شمال حائل - ثم يتجه إلى الجنوب الغربي
إلى سوق العبيد ، فاصلاً المدينة إلى قسمين الحميّ الجديدي في الشمال الغربي ،
والحميّ القديم في الجنوب الشرقي ، وفي الحميّ الجديدي يسكن ابن رشيد وخدمه) .

وقال أيضاً : (وفي سنة ١٩١٠ في عهد زامل السبهان حينما كان يتوقع
الهجوم من ابن سعود ، أو المواليين له من الأسرة الرشيدية - أقيم سور من اللبن
على المدينة ، له أربعة أبواب واحد إلى الجنوب ، ومنه الطريق إلى قفار ،
وقصر العَشْرَوَات ، والثاني إلى الغرب إلى وادي عُقْدَة والثالث إلى الشمال
يقابل قرية التَّوْقِيد ، والرابع إلى الشرق يؤدي إلى بَقْمَا) انتهى .

(١) موزل : « شمال نجد » .

وتقع مدينة حاييل في سفح جبل أجا من الشرق ، في سهل ذي تربة رملية حمراء ، تمتد بمحاذاة ذلك السفح ، يتسع جنوباً وشرقاً . بينما يقع في جهته الشمالية الشرقية جبل السمرام ، وهو أنف كان مُمتدّاً من جبل أجا يفصله الوادي ، وترتفع الأرض قليلاً فيما بينه وبين أجا ، وقد شمل العمران ذلك المرتفع .

ويقدر ارتفاع موقع حاييل عن سطح البحر بنحو ٩٠٠ متر تقريباً .

وتطلّ قمم أجا على المدينة ، بل يكاد الجبل أن يحتضنها ، وتشاهد بلدة قفار ذات البساتين والأشجار جنوب المدينة ، ويلبّ بها من الشرق مجرى الوادي ، وقد بلغه العمران ، وفي أسفله النخيل الكثيرة في السويفلة ، وفي سفح السمرام .

ويشاهد من المدينة في الجنوب الشرقي جبل نوف (ينوف قديماً) ويمتد السهل شرقاً حتى مرتفعات ياطيب من دون جيلدية وما حوله من جبال . وجنوباً نحو ٣٠ كيلاً حيث جبال أركان والمليحة شرق بزّاخة .

(وتقع مدينة حاييل بقرب خط الطول ٣٠° - ٤١° وخط العرض ٣٣° - ٢٧°) .

ويربطها بالقصيم طريق معبد ، ويربطها بالمدينة طريق معبد أيضاً يفرق عن طريق القصيم بعد قرية الحناكية (نخل قديماً) للقادم من المدينة .

وهناك طريق يمتد منها إلى العراق ، كان الحجاج يسلكونه في عهود متأخرة ، غير الطريق المار بقرية فيد ، ولكنه لم يُعَبّد بعد ، وكذا الطريق إلى الجوف - وطريق تيماء .

وبعد زوال إمارة آل رشيد باستيلاء الملك عبد العزيز - رحمه الله على قاعدة تلك الإمارة ، بدأها الانتعاش ، ولكن بصورة بطيئة ، فقد أنهكت أهلها الحروب ، وانقطعت السبل فأصبحت البلدة بالضعف بما اضطر كثيراً من أهلها إلى مغادرتها ولكنها ما زالت تنتعش كغيرها من مدن المملكة ،

وشملت مظاهر العمران ، فحفرت بقربها الآبار (الارتوازية) وفتحت فيها مدارس . وأنشئت مستشفى ، وأصبحت قاعدة لشمال نجد ، من القصيم شمالاً حتى حدود المملكة شرقاً وشمالاً ، وحتى غرب حرة خيبر بقرب المدينة غرباً .

وفي (عام ١٣٨٧) كان في حایل ثمانی مدارس ابتدائية ، مجموع طلابها ٢٥٦٧ - ومدرستان متوسطتان تلاميذهما ٣٧٦ ومعهد للمعلمين طلابه ١٩٩ - ومدرسة ثانوية طلابها ٤١ (مجموع الطلاب : ٣١٨٣) .

وقدر عدد سكان المدينة بـ ٢٠١٢١ نسمة .

ثم منذ خمس سنوات تغيرت المدينة تغيراً مفاجئاً فقيوت حركة العمران ، واتسعت المدينة وكثر سكانها .

تاريخ نجد للقاضي

ورد في البحث المنشور عن (مؤرخي نجد) في المجلد الخامس من مجلة « العرب » - ص ٨٩٢ ذكر الشاعر ابراهيم بن محمد القاضي أن له تاريخاً نقل عنه الشيخ مقبل بن عبد العزيز الذكير في تاريخه ، وقال عنه : (استخلصنا منه جزءاً قليلاً من حوادث البادية) .

وأنه كان موجوداً إلى سنة ١٣٤١ .

وقد علمت من حفيده الأستاذ إبراهيم بن محمد بن ابراهيم بن محمد القاضي الموظف في (جامعة الرياض) :

١ - أن الشاعر ابراهيم توفي في شهر المحرم سنة ١٣٤٦ .

٢ - أن تاريخه محفوظ لدى أحفاده في الرياض وشكراً للأخ الأستاذ ابراهيم القاضي . ورحم الله جده المؤرخ الشاعر .

مكتبة العرب

آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب

الدكتور محمد بن أحمد الضبي ، الأستاذ المشارك في كلية الآداب في جامعة الرياض ، من خيرة الشباب المعنيين بدراسة التراث ، ومما صدر له من المؤلفات كتاب « آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب » وهو سجل لجميع ما كتبه الشيخ - رحمه الله - بأسلوب حديث ، وأوفى مرجع عما نشر عن مؤلفاته مع ملخص لترجمته .

ويقع هذا الكتاب في نحو مئتي صفحة في طباعة أنيقة (المطابع الأهلية للأوفست في الرياض) وقد صدر هذا العام (١٣٩٧ / ١٩٧٧ م) .

البترول والمستقبل العربي

المؤلفات عن النفط لا تحصى كثرة ولكن الباحثين من أبناء بلادنا في هذه المادة التي تركز عليها حياتنا قليلون ، ومنهم الأستاذ عبد العزيز مؤمنة المعروف باتجاهه في أبحاثه وكتاباته تلك الوجهة ، وآخر ما اطلعت عليه من تلك الأبحاث كتاب « البترول والمستقبل العربي » وقد جاء في كلمة إهدائه لابنه : (ولما كنّا أمام مفترق طريق تاريخي ومصيري فإن علينا أن نستفيد من معطيات الحاضر وهي عظيمة ، من أجل النهضة الشاملة التي تحقق الحياة الحرة الكريمة للجيل الذي سيواجه غروب شمس البترول) ويقع الكتاب في أربعة عشر فصلاً هي :

- ١ - دراسة وتحليل لمشكلات تزايد الدخل البترولي .
- ٢ - الشركات والدول التابعة لها هي المستفيد الأكبر من أموال البترول .

٣ - كيف نتمكن من خلق ارتباط منتظم بين القطاع البترولي وبين بقية القطاعات الاقتصادية الأخرى .

٤ - الأبعاد الجديدة للصراع بين الدول المنتجة والدول المستهلكة .

٥ - دراسة وتحليل للتفاعلات القائمة حول أسعار البترول .

٦ - مخطط كيسنجر للطاقة يهدف إلى استمرار السيطرة الأمريكية على موارد البترول .

٧ - استعادة الملكية البترولية بين السند والحزر .

٨ - كيف نواجه الموقف البترولي الجديد بعد الدعوة إلى خفض الاستهلاك والأسعار في الدول الصناعية ؟

٩ - المعطيات السياسية والاقتصادية لسنة ١٩٧٤ .

١٠ - نظرة شاملة حول الانتاج البترولي واحتياطه .

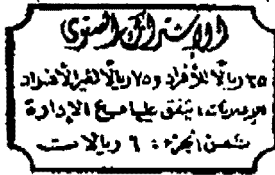
١١ - اتجاهات التجارة الخارجية لعدد مختار من الدول العربية .

١٢ - بحث في الفعاليات الأساسية لعملية التنمية .

١٣ - الحماية المتوجبة لأسعار البترول وعائداته ضد التضخم .

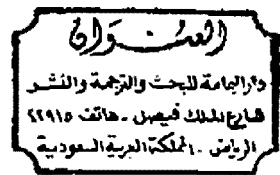
١٤ - حقائق وأرقام عن الأهمية الاقتصادية للبترول العربي .

ثم المراجع وهي ٢٩ بين كتاب وتقرير باللغتين العربية والانجليزية .
ولعل المؤلف لم يبالغ حين وصف هذا الكتاب بأنه (زاد للفكر الواعي الجاد
في أخطر قضية واجهت العرب وهي قضية البترول) ويقع الكتاب في ٢٨٠
صفحة ، في طباعة جيدة ، وتاريخ الطبع (محرم ١٣٩٦ يناير ١٩٧٦) في
بيروت .



العرب

مجلة شهرية تعنى بتاريخ العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها، محمد الجاسر



ج ٥٦ س ١٢ نوا القعدة والحجة ١٣٩٧ - تشرين ١٢ (نوفمبر / ديسمبر ١٩٧٧)

كتب المنازل من روافد الدراسات عن جغرافية جزيرة العرب

توسع المتقدمون من العلماء في علم الجغرافية ، فلم يكتبوا بما ألفوه عن هذا العلم بهذا الاسم ^(١) ، ولا بما أطلقوا عليه « تقويم البلدان » أو ماسمونه علم « الممالك والساكن » أو « مسالك الممالك » بل أفردوا قسماً منه خاصاً بوصف طرق الحج ، ودعوه كتب « المنازل » أو « منازل الحجاز » أو « منازل الحج » ضمنوه في أول الأمر كتب « المناسك » المؤلفات التي خصصت لبيان أحكام الحج ووصف أعماله ، ثم أفردوه في مؤلفات خاصة ، تفرد بها بلادنا .

كما تختص هذه البلاد بكثرة كتب الرحلات للحج التي لا تنف عند وصف المراضع وتحديد المسافات بينها بل تشمل وصف جميع جوانب الحياة في هذه البلاد على اختلاف هذه الجوانب .

وقد أفردت لدراسة تلك الرحلات مؤلفاً دعونه « في رحاب الحرمين » ومنذ نحو عشر سنوات (شهر ذي القعدة سنة ١٣٨٨) ومجلة « العرب » تنشر بحوثاً عن تلك الرحلات ، بدأتها بالحديث عن رحلة ابن رشيد الفهرى

(٥) من أبحاث (الندوة العالمية الأولى لدراسة تاريخ الجزيرة) ألقى يوم الثلاثاء ١٣٩٧-٥-٧

(١) الجغرافية - بأصنام البين وأهلها .

الأندلسي (٦٥٧ - ٧٢١) الذي حج سنة ٦٨٤ هـ إلى شهر ربيع هذا العام (١٣٩٧) حيث نشرت ملخص رحلة البلوي الأندلسي الذي حج سنة ٧٣٧١ تحدثت عنها المجلة من حيث الزمن ، أما آخر رحلة نشرت فهي رحلة ابن عبد السلام الدرعي المغربي المتوفى سنة ١٢٣٩ - الذي حج سنتي ١١٩٦ و ١٢١١ هـ وألف رحلتين كبيرى من أمتع الرحلات وأوسعها وأشملها فائدة وصغرى موجزة جدا . وقد نشرت « العرب » ما يتعلق ببلادنا منهما ولا تزال توالي نشر ملخص الرحلات .

أما الكتب التي خصصت لوصف المنازل - موضوع الحديث - فإنها على قلتها قد تحفظ لنا بعض النصوص المهمة من مؤلفات قيمة أصبحنا لانعرف عنها شيئا . ولعل من أهم ما نشر إليه من المؤلفات كتاب العذري الأندلسي الذي كان من مصادر الشريف الإدريسي صاحب « نزهة المشتاق » في اختراق الآفاق » والبكري مؤلف « المسالك والممالك » و « معجم ما استعجم » وغيرهما من العلماء .

وقبل الحديث عن العذري تحسن الإشارة إلى أن جانباً كبيراً من روافد الثقافة العربية أتى إلينا عن طريق علماء المغرب عامة ، وعلماء الأندلس خاصة ، فلو لا هؤلاء لفقدنا جانباً عظيماً أصيلاً من أسس مقومات الثقافة العربية . وليس من المغالاة القول بأننا بواسطة أولئك العلماء عرفنا الكثير مما لم نعرفه عن طريق غيرهم من العلماء المشاركة ، عن تاريخ بلادنا وعن حياة أهلها ، وعن علماء منها ، حفظوا لنا تراثهم ، بعد أن نقلوا مؤلفاتهم إلى الأندلس واستفادوا منها ، وضمنوها مؤلفاتهم كالهجري والهمداني أعظم عالين عرفا في الجزيرة ، ودونا كل جوانب المعرفة في عصرهما عنها .

ولئن كان واجب الاعتراف بالفضل لنويه يقضي علينا بأن نستمطر من الله صعب الرحمة والغفران على أجداد أولئك العلماء في ثرى قرطبة

(١) وقع تطبيع (خطأ طباعي) في المجلة ص ٣ ص ٦٤٦ حيث جاء ٧٨٤ مكرراً والصواب

. ٦٨٤

وأشبيلية ومجريط وسرقسطة وطليطلة وغيرها من الحواضر في جميع أنحاء
الفرندوس المفقود ، فانه يحتم علينا توجيهها تحية من الأعماق إلى حفدة أولئك
العلماء وورثة علمهم في المغرب الغربي في مختلف أرجائه ، من حفظه ذلك
التراث ونقلته ، الذين حلوه وتوارثوه ونمّوه حتى أوصلوه إلينا ممثلاً
في مؤلفاتهم التي لا تقف عند حد الرحلات التي بزوا بها غيرهم من علماء
المشاركة ، بل يشمل جميع أنواع العلوم .

العنري الأندلسي :

ومن علماء الأندلس الذين عنوا بالأبحاث الجغرافية حتى برزوا فيها
وتفوقوا أحمد بن عمر بن أنس العنري ، من قبيلة عنزة القضاعية التي كانت
تحل عند ظهور الإسلام سواحل الحجاز الشمالية ، فيها بين الوجه وحقل ،
وما قرب منهما ،

قدم جده الثامن . . واسمه زغبة بن قطبة العنري الأندلسي فاستقر بها
وكان له صيت وذكر ، وكذا حفيده عمران بن منيب بن زغبة ، أما أحمد
بن عمر بن أنس فقد ولد في سنة ٣٩٣ في بلدة دلالة من قري المرية ،
وتلقى العلوم على مشاهير علماء عصره كابن عبد البر وابن حزم وغيرهما ثم
رحل - مع أبيه - إلى المشرق في سنة ٤٠٧ فوصل إلى مكة في شهر رمضان
سنة ٤٠٨ وجاور بها إلى سنة ٤١٦ . وتلقى العلم عن علمائها وغيرهم من
مشاهير العلماء الوافدين عليها من مختلف الأقطار الإسلامية ، وفي « جنوة
المقتبس ^(١) » أنه كتب وهو في مكة قطعة كبيرة من المصنفات والتواريخ
وذكر ياقوت في « معجم البلدان ^(٢) » أنه بعد رجوعه إلى الأندلس أخذ
عنه مشائخه الذين كان تلمي عنهم العلم قبل رحلته إلى المشرق ، فحدث عنه
أبو عمر بن عبد البر في كتاب الصحابة وغيره من تصانيفه ، وكذا أبو محمد
ابن حزم كان من شيوخه فسمع منه وحدث عنه بعد عودته من المشرق ، ومن
تلقى العلم عنه أبو عبد الله الحميدي ، المحدث المشهور ، وأبو عبيد البكري ،
صاحب كتاب « المسالك والممالك » و « معجم ما استعجم » وغيرهما .

ومن مؤلفات العنري : (١) كتاب « أعلام النبوة » (٢) كتاب « نظام المرجان في مسالك البلدان » وقد يطلق على هذا الكتاب أسماء أخرى منها : « البستان في غرائب البلدان » و « المسالك إلى جميع الممالك » وكان هذا الكتاب من مصادر الشريف الإدريسي الجغرافي المعروف صاحب كتاب « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » وقد فقد كتاب العنري ^(١) سوي مقتطفات منه عن الأندلس نشرها الدكتور عبد العزيز الأهواني في مدريد سنة ١٩٦٥ م. وعُثرت على مقتطفات أخرى من الكتاب تتعلق بطرق بالحج وغيره ، وهي موضوع حديثي هذا . ونقل ابن رشيد الفهرى الأندلسي في رحلته عن العنري بواسطة ابن حزم في تحديد عقبة كداء في مكة المكرمة ^(٢) .

وقد توفي العنري سنة ٤٧٨ في الأندلس .

مقتطفات من كتاب العنري :

في مكتبة جامعة الرياض كتاب يقع في عشر ورقات مصور على شريط (ميكرو فلم) عنوانه « منازل الحجاز » ولم يذكر فيه اسم مؤلفه . وإنما اكتفى بالقول بأنه بخط محمد بن العطار وأثناء تصفحي للورقات العشر رأيت فيها نقولا كثيرة عن كتاب « نظام المرجان في مسالك البلدان » فيها طرافة وامتناع ، ورأيت مؤلف الكتاب يصرح بأن صاحب كتاب « نظام المرجان » كان في بلد سنة ٤١٤ وأن تاريخ كتابه كان في أول القرن الخامس ، فأثار قوله في نفس الرغبة لقراءة كل تلك النقول وهي :

- ١ - ذكر المنازل من بغداد إلى مكة — من الصفحة السادسة إلى الثامنة .
- ٢ - ذكر منازل الحجاز من اليمن — من الصفحة التاسعة إلى الثانية عشرة .
- ٣ - الطريق من جدة إلى القلزم — ١٢ إلى ١٥ .

والناقل قد يختصر الكلام — كما يفهم من قوله : — في آخر ما نقل عن طريق اليمن : (ثم يسبرون إلى حضرموت وغيرها من بلاد . واقتصرنا

(١) ويقال إن منه نسخة في المكتبة الخالدية في القدس .

(٢) مجلة « العرب » ص ٥ ص ٥٤١ .

إلى هنا عن إيراد غير ذلك فليراجع المتقول منه) ثم شرع ينقل عن ابن فضل الله العمري في « مسالك الأبصار » . وقد يضيف زيادة في أوصاف بعض المواضع ، إن لم تكن الإضافة في أصل النسخة التي نقل عنها من كتاب « نظام المرجان » كما في وصف بلدة زبيد بأنها (شديدة الحر في وطاة ، بلدة الملك يشق بها ويصيف في تعز ، لأنها باردة على جبل كثيرة الفواكه والماء والهواء) . ومعروف أن تعز لم تعرف إلا بعد القرن الخامس . الذي هو عصر مؤلف كتاب « نظام المرجان » وتصيف الملك فيها كان في عهد الدولة الرسولية في القرن السابع وما بعده ..

ولكن مما لا شك فيه أن كثيراً من النقول لا يتطرق الشك إلى صحة نسبتها إلى كتاب العذري ، وأما الإضافات فإنها لقدم مصدرها – والكتاب من مخطوطات القرن التاسع فيما يظهر – لا تخلو من الفائدة .

لقد أعددت تلك النصوص المنسوبة إلى كتاب العذري للنشر في مجلة « العرب » ولن أطيل بعرضها ، بل اكتفي بنماذج قصيرة منها كما وردت في الكتاب :

١ – (ذكر منازل الحجاز من اليمن : ابتداء صاحب « نظام المرجان » من مكة وقال : منها طريقان ، طريق نجد ، وهي معتدلة الهواء قليلة الوباء ، رمل وحصا وآبار ومراعي . وحفاير قريبة ، نحو عشرين يوماً لنجران ، ثم يسرون في المدن والقرى نحو عشرة أيام لقرى صنعاء . والأحسن طريق تهامة ، كثيرة المدن والخير ، والمخالف والرساتيق المتصلة ، إلا أنها أكثر وباء ، وأحد هواء) . ثم شرع في وصف منازل الطريق . ونكتفي بإيراد وصفه لأشهر تلك المنازل بنصه : –

(١) مدينة السرين : عظيمة بسوق وجامع على البحر ، بناؤها بالخشب والحشيش ، وكذا الحمامات ، والماء يسخن خارجاتها وجامعها مبني بالمدنر ، وسورها في البحر ، ولها مرعى ، وزرعهم النرة والسمسم ، يسقي بماء السماء . قليلة البرد ، وغلالهم قليلة ، وتجلب لها الميرة من الحبشة

وغيرها ، ولباسهم الرداء والإزار ، ومعاملتهم الدراهم المزيفة ، والبلد من عمل مكة (١) .

(ب) : (مدينة حلبي بن يعقوب (٢) : لها قرى ودساكر ، ومسجد وجامع وسوق كبير ، بناؤها بالخشب والحشيش ، وماؤهم الآبار والمطر وزرعهم الذرة والشعير ، لباسهم كما تقدم (٣) .

(ج) (مدينة ضنكان : برية جبلية ، رساتيق وقرى ، وسوق وجامع . وعندهم قروود في أسواقهم ، يحفظون (؟) حوانيتهم إذا غابوا . ولهم واد يخرج منه نبر الذهب . لباسهم القميص والأردية) .

(د) (عشر : وهي كثيرة الخير ، ولها رساتيق ، بناؤها كما تقدم بها حمامات وجامع على البحر ، لباسهم إزاء ورداء ، وسوق عظيم . وزرعهم الذرة والشعير والحنطة (٤) .

٢ . (وأما الطريق من بحر القلزم إلى جدة فيسمى مراسي .

أولها : البوابة (٥) تدخل السفن بين شعاب كثيرة فتخرج من مرسي جدة إلى مرسي الخور (٦) ومأمون وضيق : إلى مرسي ذهبان (٧) .

إلى باحة (٨) .

إلى حصار .

إلى بحر العطايف ، كثيرة الحجارة .

(١) ص ٩

(٢) ص ٩

(٣) يعني في كلامه على السرين .

(٤) ص ١٠

(٥) الكلمة غير معجمة ، ولهذا يصح أن تقرأ بعدة وجوه .

(٦) لعلها (البحر) من المراسي القديمة .

(٧) لا يزال معروفاً .

(٨) لم يظهر لنا وجه الصواب في هذا الاسم وما بعده .

إلى مرسى القصير .
إلى رابع محرم الحجاج المصري .
إلى الخور .

ثم إلى شبران ، إلى ذي الخيام ثم إلى مدينة الجار ، ساحل المدينة المنورة ، بينها وبين بدر عشرون ميلا . بها سوق وجامع وآبار كجدة ، يخرج أهلها إذا فتحوا الباب إلى باب النبي ، يستقبلون المدينة ، ويسلمون على النبي صلى الله عليه وسلم ^(١) .

ثم يسرون إلى السلم
إلى العطايا .

إلى حمان .

إلى شرم القصير .

ثم إلى جزيره عشقة في وسط البحر بها صيادون .

ثم لرأس اللوق ^(٢) ، وهي سبعة أطراف خارجة في البحر يمر بها ويدخل مرسى الحموم .

إلى خورشيران .

إلى ذي الحجاز ^(٣) .

إلى مرسى الشبعان .

(١) وعلق ابن المطار على كلامه على الجار قائلا :
(كذا قال ولعله كان في زمن صاحب « نظام المرجان » أما الآن فلا وجود لهذه البلدة ، إلا أن يكون بندر البنيح أو الدهنا ، فان تاريخ كتابه في أول القرن الخامس . قال : أنه سمع سنة ٤١٤ يدر دويا عظيماً كالحمل ، مراراً كثيرة في بعض الأيام ، فسأل عنه ف قيل له : إن هذا هدير الحبل الرمل الأبيض العظيم ، الذي يدر وهو إمارة عندهم السنة الحصية الجيدة ، وأمان لوصل السفن لمدينة الجار ، وهو مستفاض عندهم انتهى والجار قد حققنا موضعه في كتّاب « في شمال غرب الجزيرة » وهو مطبوع .

(٢) لا يزال معروفاً وقد رسم في الخريطة باسم (رأس الك) .

(٣) الحجاز هذا غريب البوابة على ما حدد السيد علي بن وهاس .

إلى جزيرة ابنة سحر (١) .

إلى جزيرتين حضاوضا (٢) بهما عظام الدليل ، تمر السفن بينهما إلى مدينة الحوراء ، مسورة بها ثمد وآبار وجامع ، بساحل وادي القري .

ثم تسلك بين جزيرتين تسمى الخلق .

ثم إلى جزيرة أم الملك .

إلى جزيرة شيرة (٣) ، وتضيق الشعاب والجزائر .

إلى مضيق زنقة الزريقا .

إلى جزيرة رتعا .

إلى مرسي الوجه ، وعليه في البحر جزيرة مردونة (٤) بها حجر عظيم طريق القلزم ، يأخذون هناك من الركاب البشارة .

ثم إلى مرسي الرس في بلد جهينة (٥) .

ثم إلى مرسي زاعم (٥) .

فإن أردت أن تجوز إلى بحر النعم مرسي ريف مصر ، وإن أردت القلزم فن زاعم إلى مدينة العويند (٦) ، مسورة صغيرة ، بها آبار وأعراب .

إلى مرسي هواز (٧) .

إلى مرسي بهور (٨) .

إلى مرسي الرحيمات .

(١) تسمى الآن جزيرة أم سحر (٢) تسمى الآن شيبار أمام الخنك .

(٣) جزيرة مردونة قبل الوجه - وقد تكون كلمة (وعليه) صوابها (وقيله) .

(٤) لا استبعد أن جملة (مرسي الرس) ليست في عملها ، وهذا بعد الوجه ، والرس الذي

في بلاد جهينة أحد الجبال القريبة من رضوى - من جبال القبلي - قبل الوجه ولا شك

(٥) مرسي زاعم : لا يزال معروفاً شمال ميناء الوجه غير بعيد .

(٦) العويند : موقعها على ساحل البحر في مفيض وادي عنتر ، أمام جزيرة العويندية

شمال مرسي زاعم .

(٧) هواز شرق جزيرة العويندية وفيه مرسي هواز .

(٨) بهور يدعى بهر الآن ، ويقع شمال جزيرة النصار وهو وادي يصب في البحر شمال مصب

وادي دامة (أدى قديماً) .

إلى جزيرة النعمان (١) .

إلى مرسى ضبا مأمون : به سبع آبار عذبة . وشجر المقل ، وتمر
هندى ، وبها أثر قدم انسان في الحجر ، متوسط الكعب والأصابع ،
لم أجد من يخبرني عنه .

ثم إلى مرسى التحد (٢) .

إلى مرسى الحر (٣) .

إلى مرسى النبك والصل (٤) .

إلى عينونة (٥) ، ثم تلحج في البحر وتترك أيلة إلى القزم ، تمشي
مع القصير تحت جزيرة أبي محمد يسارا .

وإن لحجت البحر فالى جزيرة مرقان بها أثر جب وبنيان .

ثم إن جزيرة أبي محمد ، جبل شامخ بها مرسى ، أول بحر تاران ،
عظيم الموج والهيجان لا تجوز فيه إلا بريح طيبة وهدوء الماء إلى أن تبلغ
مرسى بني حدان ، وهي ثلاث مراسي شرم والمرخاة وشرم البيوت .
ثم شرم البير ، بها بئر ماؤها يسهل مجالس كثيرة كما يسهل الدواء .

(١) جزيرة النعمان : تقع بين مصب وادى الأزلم جنوباً ومصب وادى هر شمالاً جنوب
بلدة ظبسا .

(٢) كذا ولعل الصواب الجبة بالجيم والباء الموحدة وهو ما يعرف الآن باسم شرم جبة ،
بين رأس معرش (كتب في الخريطة - مراثى ومهارش خطأ) وبين شرم الحر ، أى جنوب
المويلح .

(٣) الحر : ويدعى شرم الحر - يقع عند طرف جبل الكبريت (طويل الكبريت) .
الشمال المتصل بالبحر .

(٤) النبك هو المويلح الآن (انظر كتاب « المناسك » ص ٦٥١) .
أما الصلا ، وقد تسمى المصل فيفهم من كلام صاحب « درر الفوائد المنقطة » أنها الشربة
وهذه بعيدة عن النبك (المويلح) بقرب عينونة مما يدل على أن في الكلام نقصاً ، صوابه (إلى
مرسى النبك إلى الصلا) .

(٥) عينونة : لا تزال معروقة ، في رأس خور من البحر تمتد عند مدخل خليج العقبة .

ثم إلى رأس القنديلة ، طرف خارج في البحر تقعد عنده السفن ،
يمنتظرون غلبة الريح الآتي من أيلة ومن القلزم ، فتأتیان متضادتين ، فما قوي
منهما تبعوه ، وهنا تري العقبة) . . الخ .

٣- ومن وصفه لبعض منازل طريق الحج العراقي : - ويلاحظ أن
وصف صاحب « المناسك » لمنازل هذا الطريق هو خير وصف وصل إلينا .

(١) (زباله : (١) قرية عامرة عظيمة ، بها أسواق وماء كثير) .

(ب) (الثعلبية : مدينة بسور وحمامات وسوق ومسجد ، وجامع ،
به ماء برك ، وهي ثلث الطريق) .

(ج) (الأجر (٢) به عرب وخيام وآبار ، وطين أبيض غسول) .

(د) (فيد (٣) به قناة تزرع ، كثيرة الأهل ، به مسجد جامع ،
نصف الطريق ، والبلد لطيف) .

(هـ) (سبراء : منزل خصب ، به عرب ، وبرك وآبار) .

(و) (الحاجر (٤) : وهو خصب : ، به حصن كبير لأبي دلف ،
 وآبار وبرك) .

(ز) (الربرة (٥) : اعراب وبرك وآبار : منزل أبي ذر الغفاري
رضي الله عنه ، وبها قبره ، ومسجد وجامع) .

(ح) (بطن نخل (٦) : كثير الخير والأهل والنخل والزرع والماء من
القي والآبار قرية الفواع أرضها رضاء ، عمرها مصعب بن الزبير ،
ثم منزله أيام الحج) .

(١) ص ٦ (٢) ص ٦ (٣) ص ٦ (٤) ص ٧ .

(٥) انظر عن تحديد الربرة « مجلة العرب » السنة العاشرة - الجزء الأول والسنة الحادية
عشرة ص ١٦١ .

(٦) هو ما يعرف الآن باسم الحناكية .

أما عن الكتب المؤلفة في وصف منازل الحج — بعد استثناء كتب الرحلات التي أفردت لها بحثاً خاصاً . . . فما وصل إلينا منها : —

١ — كتاب « المناسك » لأبي إسحاق إبراهيم ابن إسحاق الحرابي البغدادي (١٩٨-٢٨٥) ويرى بعض الباحثين أنه لتلميذه القاضي وكيع . يعتبر هذا الكتاب — بحق — أوفى الكتب التي وصلت إلينا في تحديد منازل الحج ، وأوسعها تفصيلاً وشمولاً ، وأكثرها دقة ، وأغزرها فائدة وهو وإن أطلق عليه اسم « المناسك » فإنها لم تتجاوز فيه ثماني صفحات من أصله الذي يقع في ٢٣٢ صفحة وقد نشرته « دار الإمامة للبحث والترجمة والنشر » بفهارسه ومقدمته المتعلقة بترجمة المؤلف وهي في ٢٧٧ صفحة فجاء في ٨٢٢ صفحة ^(١) .

٢ — كتاب « درر الفوائد المنظمة في اخبار الحج وطريق مكة المعظمة » .

وهذا الكتاب من أوفى ما ألف في موضوعه ومؤلفه الشيخ محمد بن عبد القادر بن محمد الانصاري الحنبلي الجزيري نسبة إلى جزيرة النيل في مصر ^(٢) وكان والده قد تولى رئاسة ديوان إمارة الحج ، فرتبه ترتيباً حسناً ، وجعل له عوائد مقررة مرسومة ، فصار عمله قانوناً يعتمد عليه — على ما ذكر ابنه ومكث على ذلك سنين طويلة حتى توفي سنة ٩٤٤ هـ فقام ابنه مؤلف كتاب « درر الفوائد » برئاسة الديوان فكان — على ما وصف به نفسه (كالمحبوس على أمر هذا الديوان ، مخاطباً به من جانب السلطنة في سائر مهماته) وطالت مدته في هذا العمل بحيث قاربت خمسين عاماً ، إذ كانت أولى حاجاته — مع والده سنة ٩٢٦ وآخرها سنة ٩٧٦ على ما ذكر ابن حميد في « السحب الوابلة » . ولم يسلم الشيخ الجزيري — من جراء عمله

(١) هو الملحق التاسع من (نصوص وأبحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب) وصدر في سنة ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .

(٢) وهم مؤلف « ايضاح المكنون ذيل كشف الظنون » فظنه منسوباً إلى الجزيرة الفراتية فقال (العراق) .

في رئاسة هذا الديوان من ظلم أمراء الحج وعسفهم إذ جلسهم - ان لم يكن كلهم - من جفاة الأعاجم من أمراء الأتراك والمصريين وغيرهم .

قال مؤرخ مكة الشيخ قطب الدين الحنفي النهروالي في كتاب « البرق الباني في الفتح العثماني » في الكلام على الأمير أحمد كوجك ، أحد قواد الجيش التركي في انتمن الذي قتل في حصن بَعْدَان سنة ٩٧٧ : (وكان أحمد هذا قريباً من قرقوش في أحكامه ، وكان أمير الحج المصري في سنة ٩٧٦ ، فغضب على مباشر الركب ، المرحوم القاضي زين الدين الجزيري الحنبلي ، وكان فاضلاً أديباً ليلاً ، مؤرخاً ، أجاز له علماء مذهبه بالافتاء والتدريس ، ومع ذلك كان شيخاً مسناً وقوراً ، فاستحيا أحمد يلك من شيبته ، وضربه ضرباً مبرحاً ، ثم حطه في الحديد ، ومشاه مرحلة كاملة مع زيادة ضعف بدنه وترفعه) انتهى .

ويظهر أن الشيخ لم يتولَّ رئاسة الديوان بعد تلك السنة ، فقد توفي بعدها بعام (أي سنة ٩٧٧) على ما ذكر (بروكلمان ^(١)) .

لقد عاصر الجزيري انشاء الدولة التركية في بلاد العرب ، وأكثر قاداتها ورجالها في ذلك العهد لا يعرفون للعرب فضلهم ومنزلتهم ، والجزيري ممن كان يعتز بعروبه ، وقد ألف كتاباً دعاه « خلاصة الذهب في فضل العرب ^(٢) » ولهذا فليس عجيباً أن يعيبش بين أولئك الأعاجم غريباً ، يقاسى ضروب الاهانة والظلم في عهد شيخوخته الذي تشتد فيه حاجته إلى الراحة ، والاحترام والاجلال .

وهذا العالم مؤلفات أخرى تدل على فضله ، ومما وصل إلينا منها كتاب « عمدة الصفوة في حل القهوة » ولن نتضح لنا قيمة هذا الكتاب إلا بمعرفة ما حدث من الاختلاف بين العلماء حول القهوة عند بدء استعمالها في أول

(١) ج ٢ - ٥٧٧ (الأصل) .

(٢) : « ايضاح المكتون في ذيل كشف الظنون » ص ٥٥٥ .

القرن العاشر الهجري . وهو اختلاف اشد حتى كان مثارا لكثير من الفتن في مكة وفي غيرها من المدن الإسلامية حتى قام بعض الأمراء بهدم الأمكنة التي كان الناس يجتمعون فيها لشرب القهوة ، وبتكسير أواني الشرب وباتلاف حبوب البن ، وبمعاقبة من تعاطى شرب القهوة ، فكان هذا الأمر مما شغل الناس في ذلك العهد ، شغلا حمل كثيراً من العلماء إلى التأليف فيه ، ومن أمتع تلك المؤلفات كتاب صاحبنا الجزيري . ومن مؤلفات الجزيري : « الزجر عن الخمر » و « دفع المضرة عن الهرم والهرمة » و « منارة المنازل ، ومناهج المناهل » وصفه صاحب « إيضاح المكنون في ذيل كشف الظنون » بأنه كتاب كبير ^(١) . ولعله ألفه بعد كتاب « درر الفوائد » فهو لم يشر إليه في هذا الكتاب .

وللجزيري نظم كثير ، ولكنه - كنظم العلماء - أما كتاب « درر الفوائد المنظمة » فقد بدأ الجزيري في تأليفه سنة ٩٦٠ واستمر حتى ٩٧٦ يضيف إليه وينقحه ، بعد أن أخرج نسخة منه سنة ٩٦١ . فانتشرت نسخه بين العلماء ، منقولة من نسخة المؤلف الأولى الموجودة الآن في (مكتبة الأزهر) في القاهرة . ومن تلك النسخ نسخة (مكتبة شيخ الإسلام) في المدينة . التي نسخ عنها الشيخ محمد حسين نصيف - رحمه الله - نسخة بعث بها إلى الأستاذ محب الدين الخطيب ، ليتولى طبعها بعد أن ساعده على ذلك ، فكان أن رجع الخطيب إلى نسخة (مكتبة الأزهر) مكتملاً بها عن البحث عن نسخ أخرى ، وطبع الكتاب ^(٢) غير متضمن للاضافات التي أضافها المؤلف في خلال بضعة عشر عاماً (من سنة ٩٦١ إلى سنة ٩٧٦) . ومع أن فضل الناشر الشيخ محمد نصيف - رحمه الله - وأياديه على العلم وأهله مما لا يجهله أحد ، وأن منزلة الأستاذ محب الدين الخطيب في العلم ، وحرصه على أن تخرج منشورات مطبعته على خير صورة ، إلا أن - طبعة كتاب « درر الفوائد » خرجت مشحونة بالأخطاء ، إذ الأصل -

(١) ص ٥٥٥ .

(٢) سنة ١٣٨٤ في المطبعة السلفية بمصر في ٧١٤ صفحة .

وهو بخط المؤلف فيما يظهر — ليس متقن الخط ، وكثير من الكلمات فيه خالية من الإعجام ، ومن عادة العلماء عدم التأني في الكتابة ، والتعويل على الفهم أكثر من الاعتماد على صور الكلمات المرسومة .

وبالإضافة إلى ما وقع في هذه المطبوعة من أخطاء فإنها خالية من الفهارس المفصلة .

والأسوأ من كل ذلك نقص المطبوعة . . فينما نجدتها تقف في ذكر إمارة الحاج عند ذكر أمراء الحاج سنة ٩٥٧^(١) نجد نسخة دار الكتب تمتد الكلام فيها إلى سنة ٩٦٦ في ذكر أمراء الحاج ، بل يصل إلى ذكر حوادث صفر سنة ٩٦٧ وهناك زيادات كثيرة في مواضع أخرى تقارب ربع المخطوطة وقد أوضح المؤلف في آخر مخطوطة الدار استمراره في تنقيح الكتاب وزيادته بعد اكمال جمعه فقال : —

(وكان جمعي له أوقات الفراغ من فكرة يقدر زناد همومها ، وعمة يتوالى على الخاطر صادم غمومها ، ومدة التأليف والاشتغال عنه بينهما بون وأبعاد ، فهي في التعداد لا تنفي بالمراد ، ثم بعد مدة من إيراد جمعه في هذا المؤلف من الأزل شمرت عن ساعد الاجتهاد ونقحت تلك المسودة ورتبتها وزدت عليها ما به إن شأكم الله حصول النفع لمن استزاد ، فجاء بحمد الله وافيًا بالمراد ، حسن الاختصار والاقتصاد) انتهى^(٢) .

ولا استبعد وجود نسخ أوفى من مخطوطة الدار أيضاً^(٣) .

ومهما يكن فالكتاب من أنفس المؤلفات وأوفاهها في موضوعه وخاصة ما يتعلق بطريق الحج من القاهرة إلى مكة ، بطريق الساحل ، وفيه معلومات وافية عن القبائل التي تحمل منازل ذلك الطريق كالحويطات وبني عطية

(١) ص ٣٩٩ ٢٢١ صفحة ٤٣١ - ٤٣٣ من الجزء الأول .

(٢) ص ٤١٢ ج ٢ نسخة دار الكتب المصرية .

(٣) في خزانة جامعة القرويين في فاس مخطوطة تقع في مجلدين .

وبني عقبة وبلى وجهية وغيرها. وهي معلومات لا توجد في غيره ، ولهذا فهو من أهم المصادر في دراسة أنساب هذه القبائل .

ولهذا الكتاب مختصر في مكتبة (جامعة ييل) في الولايات المتحدة الأمريكية ، منسوب إلى محمد مدين (٢) بن عبد الرحمن زيد الدين برقم ١٢٩٦

٣ - منازل الحجاز

تأليف أحمد بن إبراهيم السروجي (١) الحنفي (٣٩ - ٧١٠) رسالة موجزة في خزانة تطوان برقم ٣٢٩ في هامش منازل الحجاز « لمحمد بن عبد القادر الحنفي في الصفحات ٦٥ و ٦٥٠ بخط دقيق جداً . وفي وصف الطريق من بركة الحاج بمصر إلى الوصول إلى مكة ، وآخر الرسالة : (هكذا ذكره بتمامه من أول ذكر المنازل المصرية هنا في منسكه قاضي القضاء شمس الدين أحمد بن الشيخ برهان الدين إبراهيم بن عبد الغني السروجي الحنفي) .

والسروجي بفتح السين - نسبة إلى سروج من نواحي حران ، وللسروجي هذا اعتراضات على شيخ الإسلام ابن تيمية في علم الكلام ، وقد رد عليه ابن تيمية في مجلدات .

٤ - منازل الحجاز (أو الحج) لابن العطار .

جاء في « كشف الظنون » (٢) : (منازل الحج لمحمد بن محمد بن العطار أوله : الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لسواء الطريق) ولم يزد :

وقال الخزيري في « درر الفوائد المنظمة » (٣) : - في كلامه على منازل طريق الحج المصري : (وما حررناه ينقص عن تحرير الشيخ محب الدين العطار سبعين ساعة وثلاثاً ، وتبين أن ما حررنا أضببط) وقال أيضاً : (وقد ضببط هذه المنازل والمناهل بعض المتقدمين وهو الشيخ محب الدين ابن العطار في سنة ٨٦٦ في بعض وريقات مختصرة إلى الغاية) انتهى .

وفي كتاب « هدية العارفين » (٤) : (محمد بن محمد بن أحمد البكري

(١) « الأعلام » ١ - ٨٤ .

(٢) ج ٢ ص ١٨٢٨ (٣) ص ٤٧٨ و ٤٧٦ (٤) ١٨٦ - ٢

الوفائي الشافعي المعروف بابن العطار ، فاضل من آثاره « كشف القناع
في الأربع » و « منازل الحج » وأرخ وفاته سنة ٨٣٠ وعنه نقل الأستاذ
عمر كحالة في « معجم المؤلفين » .

ولكن يلاحظ أن الجزيري ذكر أنه كان حياً سنة ٨٦٦ . وقال
السخاوي في « الضوء اللامع »^(١) : إنه مات قريب الثمانين فيما أظن عن
بضع وخمسين سنة . وهذا مما يوضح خطأ مؤلف « هدية العارفين » ومن
تابعه^(٢) .

وذكر السخاوي أن ابن العطار هذا شافعي المذهب ، قاهري الوطن ،
وأنه برع في الميقات والفرائض والحساب ، وأخذ عنه غير واحد .

أما مؤلف ابن العطار « كشف القناع » فنه نسخ مخطوطة في (الظاهرية)
وغيرها ، وهو في علم الهيئة ، وأما كتابه عن منازل الحج فلا شك أن
الكتاب الذي وصل إلينا باسم « منازل الحجاز » من جمعه ، ولا استبعد أن
يكون مسودة ذلك الكتاب ، إذ نجد في هامش الورقة الأخيرة منه نصاً
صريحاً بأن محمد بن محمد بن العطار هو الذي جمع نصوص ذلك الكتاب ،
وبين ثناياها من الحمل المتعلقة بعلم الهيئة الذي عرف ابن العطار بأنه ممن
أتقنه وألف فيه ما يؤيد ذلك وألف فيه كقوله :

(وقد ذكرت في كتاب آخر عروض منازل الحجاز والشام ، مع
عروض منازل الحجاز والشام ، مع عرض منازل الحجاز المصرية وانحراف
قبلتها)^(٣) .

وكقوله : بعد نقل كلام ابن فضل الله العمري في وصف منازل
طريق العراق : (اقتصر المؤلف في هذا على أماكن المياه ، وأرجو أن أحصل
انحراف قبلة هذه المنازل وعروضها في موضعه)^(٤) .

(١) ج ٩ ص ٣ .

(٢) كصاحب « معجم المؤلفين » ج ١١ ص ١١ ص ١٧٩ حيث أرخ وفاته في سنة
٨٣٠ و ١٤٢٧ م .

(٣) ص ٨ .

(٤) ص ٥ .

وكتاب « منازل الحجاز » توجد مخطوطته في مكتبة (لاله لي ، في
اصطنبول) ، وقد صورته (معهد المخطوطات) سنة ١٩٤٩ على الشريط
(الميكروفلم) رقم ٨٠٩-٢٠-٣٠ وفي مكتبة جامعة الرياض ، صورة عن
هذا الشريط ، ومنها نقلنا ما تقدم من النصوص عن كتاب العنري .

وأكثر ما في كتاب « منازل الحجاز » نصوص منقولة من كتب قديمة
ككتاب العنري ، « ومسالك الأبصار » لابن فضل الله العمري ، وكتاب
ابراهيم بن شجاع الحنفي الدمشقي الذي ألفه سنة ٦٢٣ أيام السلطان الملك
المعظم الأيوبي . فهو يبدأ — بعد البسملة هكذا : (الحمد لله رب العالمين .
في ذكر منازل الحجاز على الدرب الشامي نقلته من مجلد ابراهيم بن شجاع
الحنفي الدمشقي ، تاريخه سنة ثلاث وعشرين وست مئة . أيام السلطان المعظم
من ولد أيوب على سبيل الاختصار مع زيادة لا بد منها : من دمشق للمدينة
الشريفة وهي ثلاثون منزلة) وبعد سردها ووصف كل منزلة — في خمس
صفحات ، يتبعها بذكر منازل العراق ويختتمها بقوله : (هذا ما ذكره
صاحب « نظام المرجان في مسالك البلدان » ، أما ما ذكره ابن فضل الله
العمري في كتابه « مسالك الابصار في ممالك الأمصار » على سبيل الاختصار :
من بغداد لصرصر مرحلة) ثم يسرد المراحل — في ثلاث صفحات . يتبع
ذلك بقوله : (ذكر منازل الحجاز من اليمن : ابتداء صاحب « نظام المرجان
من مكة وقال : منها طريقان) ثم يصف الطريقين في أربع صفحات بذكر
بعدها الطريق من جدة إلى بحر القلزم ، وهو مما نقله عن كتاب « نظام
المرجان » في أكثر من صفحتين . وفي الهامش جملة (انتهى ما لخصته من
الكتب) وفي صلب الكتاب : (فصل أردنا أن نذكر الأبردة من
القاهرة المحروسة إلى القدس الشريف) في أكثر من ثلاث صفحات ثم (ذكر
أبردة الشام : من غزة إلى سدود بريدان) ويستمر حتى يبلغ الشام في أقل
من صفحة ، إذ آخر الصفحة خال من الكتابة .

وقد تقدم كلام الحزيري في « درر الفوائد المنظمة » عن ابن العطار
وأنه قد قلر السير في طريق الحج المصري ، وحدده بالساعات وفي كتاب

« منازل الحجاز » لا نجد لهذا الطريق ذكراً سوى جملة يفهم منها أنه تكلم عليه ، كما أن وصف الجزيري لعمل ابن العطار بأنه في وريقات لا ينطبق على ما نجده في هذا الكتاب الذي لاشك بأن صاحب « درر القوائد المنظمة » لم يطلع عليه ، إذ فيه من التفصيل عن طرق الحج ما يعوز صاحب « درر القوائد » وخاصة عن الطرق الآ لم يتحدث عنها لقلة المصادر لديه — فيما يظهر .

ولعل الجزيري — اطلع على القسم المتعلق بوصف الطريق المصري من كتاب ابن العطار ، وهو القسم المفقود من النسخة التي وصلت إلينا والتي نرى أنها المسودة الأولى للكتاب .

« البرق السامى فى تعداد منازل الحج الشامى » :

تأليف محمد بن على بن طولون الدمشقى (٨٨٠-٩٥٢ هـ) .

ومخطوطة هذا الكتاب بخط مؤلفه فى (التيمورية)^(١) المضافة إلى دار الكتب المصرية ، ويقع فى ١٤ ورقة بخط دقيق جداً ، وقد ألفه سنة ٩٢٠ هـ .

وقد هيأته للنشر فى مجلة « العرب »^(٢) .

منازل الحجاز :

تأليف محمد بن عبد القادر بن محمد الحنفى .

اطلعت على نسختين من هذا الكتاب احدهما فى الخزانة العامة فى مدينة (تطوان) فى المغرب ورقمها ٣٢٩ تقع فى ٢٦ ورقة بخط دقيق جداً . وعنوانها : (منازل الحجاز الشريف) .

والنسخة الثانية فى مكتبة الأوقاف فى (حلب) مخطوطة سنة ١١٤٣ وتقع فى ٦٩ صفحة صغيرة وعنوانها : (هذه منازل الحاج) .

(١) رقم ٧٩ مجاميع من ورقة ١٤ إلى الورقة ٢٢٨ .

(٢) جزء جادى سنة ١٣٩٦ .

وهذا الكتاب من أوفى ما اطلعت عليه في وصف طريق الحج المصرى
المار بساحل البحر ، من البركة بقرب القاهرة إلى مكة المكرمة .

منازل الحج :

في مكتبة عارف حكمة - في المدينة كتاب عنوانه « منازل الحج من
الشام إلى مكة رقمه ٢٨٦ ، ولما اطلعت عليه وجدته باللغة التركية ، وقد
كتب في طرته بعد اسمه (ترجمة كتاب منازل الحج سنة ٩٧١ لأمير
الأمراء ظهير الوزراء ، مصطفى باشا ، المترجم : حسين بن ملا شمس) .

ويقع الكتاب في ١٤٤ صفحة (مقاس ٢٣-١٥ سم) في الصفحة ١٥
سطر بالخط النسخي الجميل ، والصفحات محاطة بمجادول مذهبة ، ومع
حسن الخط وجمال الصفحات فإن أسماء المواضع فيه محرفة تحريفاً شنيعاً .

وليس خاصاً بمواضع طريق الحج الشامي ، بل ذكر طريق مصر
وطريق اليمن والطريق بين مكة والمدينة ^(١) .

طريق مكة (كتاب) :

ونشر المستشرق الأستاذ فلوجل في مجلة المستشرقين الألمان (Z.D.G) ^(٢)
رسالة لمحمد بن أحمد السهوري ، وأصلها في مكتبة جامعة (ليبزج) وأشار
فلوجل إلى أنها ألقت في أيام السلطان مراد (٩٨٢-١٠٠٣ هـ) وأولها
(هذه الأوراق في معرفة طريق مكة : الحمد لله الذي هدانا إلى سواء
الطريق ، ومن تفضل علينا بزيارة بيته العتيق) وجاء في آخرها : (فجملة
ساعات السير في حالي الذهاب والاياب - وهي الطلعة والاياب وهي
الرجعة - بالدورة وهي طريق مكة إلى المدينة المشرفة : تسع مئة وإحدى
وثمانون ساعة مستوية) .

(١) انظر وصفه في كتاب « شمال غرب الجزيرة » ص ١٨٤ وقد أوردت أسماء المنازل

مجردة عن الوصف .

(٢) المجلد ١٨ ص ٥٢٣-٥٣٧ .

والرسالة تتحدث عن طريق مصر . وهو يقيس المسافات بالدرج
كأن يقول : (من بطن مر إلى سنبل الحوخي ٩٠ درجة) . والساعة
١٥ درجة .

ويظهر أن خط الرسالة غير مستقيم : ولهذا وردت أسماء كثيرة - في
المطبوعة - محرفة . وقد يكون الناشر قرأ بعضها قراءة غير صحيحة ،
فكتبها كما قرأ ثم نشرها مثل (جبل العميان) ورد (جبل العمجان) وهكذا .

ومن الكتب المتعلقة بوصف منازل الحج كتب معروفة إلى زمن
غير بعيد ، ولكنها أصبحت الآن مجهولة وليس من المستبعد العثور على
بعضها ومنها :

١ - برهان الاعجاز في منازل الحجاز :

ينقل عنه السيد كبريت في رحلته ^(١)

٢ - بغية السالك إلى أشرف المسالك :

محمد بن أحمد الأندلسي المعروف بالساحلي المالكي (المتوفي
سنة ٨١٣ هـ) ذكره في « إيضاح المكنون » .

٣ - حقيقة الحجاز ، إلى الحجاز .

لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (٦٩٦ - ٧٦٤ هـ) العالم المعروف
صاحب كتاب « الوافي بالوفيات » وغيره من المؤلفات .

ذكر الجزيري في « درر القوائد المنظمة » ^(٢) أن الصفدي حج
سنة ٧٥٥ هـ وأنه خرج مع الركب الشامي من دمشق في تاسع شوال من تلك
السنة .

وقد تأتق الصفدي في كتابة رحلته فاستعمل السجع كثيراً ،

(١) ص ١٢-١٥-١٨ .

(٢) ص ٣٥٣ .

ووصف المنازل شعرا ، وقد كانت نسخة من هذه الرحلة بخط مؤلفها في
(خزانة الزاوية في درعة) في المغرب الأقصى على ما ذكر ابن عبد السلام
الدرعي في رحلته الكبرى .

وذكر لي الأستاذ خير الدين بن الزركلي - رحمه الله - أنه اطلع على
نسخة منها في إحدى مكتبات الحجاز - ولعلها مكتبة شيخ الاسلام في
المدينة - وأنه نقل عنها شعراً في الخرج - بضم الحاء وإسكان الراء .

كما ذكر لي الأستاذ ابراهيم الكتاني أن وراقا عرض على الخزانة
العامة في الرباط أوراقا يظن أنها منها ، وقد تلخص صاحب « درر الفوائد
المنظمة » ما يتعلق منها بوصف منازل طريق الحج الشامي .

ومما أورد منها : (ثم إنا أثرنا النياق بسحر ، وكوكب الصبح للشرق
قد نحر ، وعملنا على أن نصبح في تبوك ، وقلنا للدليل : اعمل على ذلك
ولو مانعك المتخمة (؟) أو حاربوك ، وخالف من صدك عن هذا القصد
ولو أنه أبوك ، وأخذ الركب في الاحتفال بحمل السلاح ، وسل السيوف
وهز الرماح ، ونشر الأعلام الملونة . وسوق الجياد التي هي من الرياح
مكونة .

أتينا بالسلاح إلى تبوك وذلك عادة صارت فسارت
دخلناها بإيمان صحيح دياجي الشرك منه قد استنارت
لو أن جماعة الكفار فيها استجاشت نحونا ، لبنا استجارت
ثم قصدنا عين تبوك والجمال من الهزال كالعنكبوت ، وأشباحها كالآل
الذي يلوح على بعد في المهامه والمروت ، ولما وقفنا على عينها ، ووفينا العين
منها حق ديتها ، استعبر من تشوق واستكثر من تأني وتأنق ولا أقول
تنوق :

أقول وفي الركائب من براه الـ

هوى وسواه حين يراه حاكى

إذا جاءت تبوك بنا المطايا

(تبين من بكى ممن تباكى)

ثم إنا فارقنا نخلها الطوال وسرنا عن شماريخها العوال ، بعد ما استعددتنا للمفازة العظمى التي ذكرها يهول ونخبرها يجوب الآفاق ويجول ، فلأنا القرب والروايا ، والحبايا التي في حنايا الروايا ، وسرنا على اسم الله والبركة .

٤ - كفاية المحتاج إلى معرفة منازل الحاج :

ذكره صاحب « إيضاح المكنون » وقال : من كتب (أيا صوفيا) ولم يزد .

٥ - منارة المنازل ، ومناهج المناهل .

تأليف عبد القادر الجزيري مؤلف « درر الفوائد المنظمة » ذكره في ذيل الكشف ^(١) وقال : كتاب كبير أوله : (إن أبهى حلل تحاك على منول النعم) . وتقدم ذكره .

٦ - منازل الحج :

للشيخ عبد الله الاشبيلي ، نقل عنه ابن فهد : وذكره الطبري في « الأرج المسكى » ^(٢)

٧ - منازل الحرمين :

تأليف ابراهيم حنيف بن مصطفى السروجي القاضي الحنفي (المتوفي سنة ١١٨٩) - وهو باللغة التركية ، ذكره صاحب « إيضاح المكنون » .

٨ - نهجة المنازل :

لمحمد أديب الموقع الروحي أوله : (الحمد لله الذي أمرنا بالحج) كذا جاء في « إيضاح المكنون » ^(٣) في حرف النون ولم يزد

(١) إيضاح المكنون ٢ - ٥٥٥ .

(٢) ص ١٩ مخطوطة الشيخ عبد الستار الدهلوي بمكتبة الحرم المكي .

(٣) ٢ - ٦٩٦ .

الشعر في منازل الحج :

ولم تكن العاطفة الدينية حافزا خاصا بأولئك العلماء الذين تصدوا للتأليف عن معالم الحج ومنازله : ووصف طريقه : بل كانت أيضا مثار قرائع كثير من الشعراء : ممن وصفوا منازل الحج وصفا وإن لم يكن على درجة من الإثارة تحفز المهتمين بالدراسات الشعرية إلا أن ذلك النوع من الشعر مما ينبغي أن يثير رغبة المعنيين بالدراسات الجغرافية . وقد نشرت مجلة « العرب » نماذج من ذلك الشعر في وصف المنازل ^(١) ، مما ورد في أبيات مفردة ، أو مقطوعات قصيرة .

أما القصائد والاراجيز الطويلة فنما :

(١) أرجوزة وهب بن جرير الجهمي البصري في وصف طريق البصرة إلى مكة ، وتقع في ٢٩٧ بيتا أوردها مولف كتاب « المناسك » ^(٢) . وهذه الأرجوزة في وصف طريق البصرة تضارع قصيدة الرداعي في وصف طريق صنعاء ، وإن كان الرداعي أكثر تفصيلا لمواضع الطريق . والجهمي دقيق الوصف بارعه ، وله أسلوب شعري رائع .

(٢) أرجوزة أبي جعفر أحمد بن محمد الضحاك الحماي الكوفي في وصف الطريق من الكوفة إلى مكة ، في ٢٦ بيتا أوردها في « المناسك » ^(٣) .
(٣) أرجوزة الحرابي إبراهيم بن اسحاق (١٩٨ - ٢٨٥) أو تلميذه

(١) السنة الثالثة من ص ٣٠٤ إلى ص ٣٤٤ .

(٢) ص ٦٢٢-٦٢٢ .

(٣) ص ٥٦٩ .

القاضي وكيع في وصف الطريق من مكة إلى المدينة ثم إلى الكوفة ، متممة لأرجوزة أحمد بن محمد بن الضحاك الحلي - تقع في ٤٧ بيتاً . ولكنها من رجز العلماء .

(٤) أرجوزة الحج :

لأحمد بن عيسى الرداي الخولاني - من أهل القرن الثالث الهجري في وصف الطريق من صنعاء إلى مكة ، ذهاباً وإياباً ، وهي أرجوزة فريدة في بابها من حيث دقة وصفها للأماكن قال فيها الهمداني ^(١) : لا نعلم أحداً وصف من جزيرة العرب مسافة أربعة وعشرين يوماً بشعر طبعي سوى أحمد الرداي (وتقع ٧٣٤ بيتاً ، وقد أوردنا الهمداني في آخر صفة جزيرة العرب كاملة وشرح عويص كلماتها

(٥) أرجوزة في وصف الطريق من بغداد إلى مكة فالمدينة في الذهاب والإياب تقع في ١٥١ بيتاً - أوردنا صاحب « المناسك » ^(٢) غير منسوبة . وهي في تحديد المواضع مفيدة .

(٦) أرجوزة أحمد بن عمرو :

في تنزيل زبيدة وهي أرجوزة من رقيق الشعر تقع في ٢٨٤ بيتاً تصف منازل زبيدة منذ خرجت من بغداد للحج حتى عادت إليه مرة بالمدينة ، لم يدع مرحلة إلا ذكرها وقد أوردنا صاحب « المناسك » ^(٣) .

(٧) منظومة أبي شامة : عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي الدمشقي (٥٩٩ - ٦٦٥ هـ) صاحب كتاب « الروضتين » وذيله وهما مطبوعان قال ابن طولون ^(٤) : وقال أبو شامة . في سنة ٦٢١ - ونظمت في طريقي هذه

(١) « صفة جزيرة العرب » ص ٤٠٠ إلى ٤٥٨ - (منشورات اليمامة)

(٢) ص ٥٦٢-٥٦٨ .

(٣) ٥٤٥-٥٦٨ .

(٤) « البرق السامي في منازل الحج الشامي » .

السنة قصيدة ميمية ، ذكرت فيها المنازل من دمشق إلى عرفات وصفت فيها ما يمكن من أماكن الزيارات أولها :
مازلت أشتاق حج البيت والحرم وأن أزور رسول الله ذي الكرم
وهي طويلة .

(٨) منظومة أبي شامة ، عبد الرحمن بن اسماعيل الدمشقي (٥٩٩-٦٦٥هـ)
وهي غير المتقدمة ، فقد نقل عنه ابن طولون - أيضاً - قوله : ثم حججت
في السنة بعدها - ٦٢٢ - ونظمت فيها قصيدة همزية ، وصفت فيها أمر
الحج والمنازل التبوكية ، أولها :

يا حبذا وطن الحبيب النائي

(٩) منظومة ابن جماعة : وهو محمد بن إبراهيم (٦٣٩ - ٧٣٣) أولها :

دعا النوق داعي الشوق حين دعاها

فلت وبلت بالدموع خطاها

في ذكر منازل الطريق من مصر إلى مكة . وتقع في ٤٣ بيتاً ، أوردتها
الجزيري في « درر القوائد »

(١٠) منظومة في مناهل طريق الحجاز :

لبدر الدين الزركشي ، تقع في ٢٩ بيتاً ، أولها :

عليك بجمد السير عشاً (بويه)

وغد : (روض الكباش) واستقبل الفقرا

ملحقة بكتاب منازل الحجاز لمحمد بن عبد القادر الحنفي ، في خزنة
تطوان برقم ٣٢٩ :

(١١) دليل المجتاز لأرض الحجاز - أرجوزة منشورة في هذا الجزء
من المجلة .

حمد الجاسر

العُلَيَّةُ وَالْعَلَاةُ

الأولى بضم الأول ، وفتح الثاني ، وتحريك الياء بالفتح مشددة . . هي
تصغير عُلَيَّة - بفتح العين ، مؤنث على الاسم المعروف .

والثانية : بفتح العين ، بعدها لام ألف ، فتاء مربوطة . . أكبر هضبة
في جبل النمامة وأمنعها وأكثرها أودية وأشدّها ارتفاعاً . . اتخذها للصوص
المنطقة منذ العهد الجاهلي معتصماً ، وعولوا عليها ملجأ ، ووجدوا في
مغاراتها وغاباتها مستراحاً ومعتقلاً ، درجوا على هذا وتواطأوا عليه حتى زمن
قريب قبل أن يضرب الأمن بجراحه ، وتُستأصل شأفة البغي على يد
الملك عبد العزيز رحمة الله ، وحتى في زمن الملك عبد العزيز كانت مأمّن
للصوص ، وهناك نماذج أدركناها كانت شغل السلطات الشاغل ، وما قصة
الدؤيبخ القحطاني عنا ببعيد . فلقد أعجز الأمن حتى جاء مستسلماً في
قصة يطول ذكرها . لقد كان (جحدر) لصاً النمامة الكبير (١) شغل
(الحجاج) الشاغل في عهد بني أمية ، وكانت (عُلَيَّة) تُجنّهُ وتؤمنه من سطوة
(الحجاج) رغم جبروته وفضاخته . وكأنما هذه الهضبة تسخر من جند
الحجاج وأعدائه وتباليهم حينما يهمون بالبحث عن جحدر وإخوته للصوص
في أكنافها ، ولما أعجزتهم القوة لجأوا إلى الحيلة فأغروا بعض الصوص
حينما قبضوا عليهم في غير عُلَيَّة إنهم أتوا بجحدر من عُلَيَّة لتأمنهم معيشتهم
مدى الحياة ، فجاسوا خلالها للصوص ، والتقوا بجحدر زملاء ، ولما وجدوا
منه غرة قيده وساقوه إلى الحجاج في قصة طويلة ، وهذا ما أشرت
إليه في قصيدة لي عن جبل النمامة :

إذ كنت لا تحبني لِحَيِّ قَمَّةٍ وتُصيرُ إلّا أن تُرى متطاولا
ويؤمك الباغون إخوة جحدر يحسدون في تلك الهضاب معاقلا

(١) انظر منه مجلة « العرب » ص ٧٣-٩٠ السنة الحادية عشرة .

هذه هي عليّة تكوين عظيم فارغ ممتنع ، وهي وإن كانت داخل سلسلة جبل طويق^(١) إلا أنها مفصولة عنه من جهاتها الأربع بفجاج تجعلها تربع وحدها وتشرف على ماحولها متعالية متأية ساخرة ، فهي تشرف على سهول الحسرج الغربية . وترى هذه الهضبة منها كأنها عارض مملأ الأفق ، وتشرف على وادي نساح من الجنوب . وتشرف على وادي نعام والحريق وأسفل الحوطة من الشمال . وتشرف على أودية الجفير ومرقان والمجهولة وحنيطرة من الناحية الغربية ، وعلى هذه الجهات الأربع يسيل منها أودية كبيرة معروفة ، فيسيل منها شرقاً على الخرج أودية هي : بلاجين ، والعين ، وماوان ، وتُمير ، وأثيلان ، وأبو صحرا ، وسويس .

ويسيل من شمالها على وادي نساح شعاب هي السمريات ، وسدحا والجزعي ، وكحلة ، والحشي ، وكحيل ، وقديرات ، والبدع ، ومقبور ، والبرود ، والعقدانية ، والعينة ، وكثف ، ومرقان والجفير ، والمظيل ، والتجبي . .

ويلاحظ أن وادي نساح يأخذ وادي الجفير منه غربي عليّة فيعتبر جزءاً مما سال من عليّة مغرباً يعتبر من وادي الجفير . وما عدا ذلك يسيل على أودية الحريق الغربية . . .

ويسيل من جنوبها على وادي نعام والحريق الشعاب الآتية : السكلبة ، والزيربة ، ولصاد ، والوجاة ، والشعيب ، ورميثان ، واللحمة ، وبرقة .

وأكثر سيولها وأكبر أوديتها تسيل مشرقة على ماعليه تكوين جبل الإمامة ، فته من الناحية الغربية ويأخذ في الانحدار التدريجي نحو الشرق حتى يلامس السهول الشرقية ، وهكذا الشأن في جبل عليّة .

وفي نهاية ارتفاع عليّة من الغرب قفّ منقاد من شمالها إلى جنوبها يدعى (الريش) ، هو متعلق أوديتها الشرقية فما سال منه شرقاً تتكون منه

(١) طويق هو عارض الإمامة قديماً « العرب » .

أودتها الشرقية ، وما سال غربا بنحدر على رَدِيفَة مستطيلة باستطالة هذا القف
المصائب لها لا يتجاوز عرضها في المتوسط أكثر من ثلاثة أكيال ، ويتوسط
هذه الرديفة جُجِيل سامق يشرف على عليّة كلها ، كما يشرف على هذه
المنحدرات العظيمة والشعاب والهضاب المتداخلة العجيبة التي يعتبر منظرها
نادرا في المناظر ، لا يتصورها ولا يتخيل حقيقتها إلا من شاهدها .

قف يا أيها السائح أو يا أيها المواطن الذي تجهل كثيرا من حقائق
وطنك وطبيعته العجيبة ، قف فوق هذا الجبل واتجه ببصرك غربا
وجنوبا ، وانظر وأنعم النظر وصَوِّبْ بصرك وصَعِّدْهُ وصف ماترى إن
استطعت الوصف وما إخالك مستطيعا ، وهذا ما حاولت أن أشير إليه في
وصني لبعض مناظر جبل الإمامة في قصيدة منها :

أحبُّ فيك طُوبى كُلَّ فارعة	شَمَاءَ في مستجار فرعها عساري
وأعشق الصفحة البيضاء معرضة	مثل السبيكة في تفويف زُنَّار
والقُمُورُ وأشجها الإبداع واتسقت	مثل العشار وقوفا بين أضار
الهمتي ياطوبق كل شاردة	تضيق عنها ثرائمي وأشعاري
وكنْتُ أبعث ألحاني مولَّهة	واليوم حَطَّمْتُ إلا فيك قيثاري

وإذا استقر بصرك بعد أن تجيله في هذه المناظر فدعه يقف عند هضبة
جرداء شماء فارغة ، لونها أحمر بجبل إلى الكنتة ، هذه تسمى الشُّطْطِيَّاء
قف متأملا ، وقل شعرا وإن لم تستطع فقله هاذيا على طريقة خوارج الشعر .

وهذا الجبل الذي تشاهد من قته هذه المناظر يدعى قَرَّاشَنَة ، أما القرا
فمعروف وهو ظهر الشيء وقته ، وأما شنة التي يضاف إليها هذا القرا
فلا أعلم ماهي . ولعلها من مبصرات الإمامة اللاتي يضرب المثل بحدة

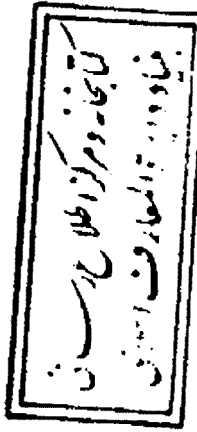
أبصارهن ، فهي سوف ترى من فوق هذا القرا ما يعجب ويغرب ، وسوف
سنداح أمامها المنظر حتى يرجع إليها طرفها خاسئا وهو حسير .

وفي شفاف جبال عالية ومساقط تلاعها ومنحدراتها الشاهقة قلاتٌ
عميقة واسعة ، تستوعب كميات كبيرة من المياه ، وتظل تحتزنها لمدد كثيرة ،
وقفت على بعضها ، ورأيت زرقة مائها بعد أشهر من مكثه في هذه القلات ،
ورأيت ممرات الجبال على حافات الصخرية قد سطت بها ومثلت القول :

اطلب ولا تضجر من مطلب فآفة الطالب أن يضجرا
ألم تَرَ الحبيل وتكراره في الصخرة الصماء قد أثرا ؟

هذه القلات تردّها البادية لسقيا نعمها وغنمها ودواها ، وتستعذب
ماءها لأنفسها . أعرف من هذه القلات في عالية الآتي : أم لصفة ، وأم شقم
والمسيل ، هذه الثلاث في شعب كحلة ، والأخيرة منها يفرغونها بوساطة
الدلاء مع منحدر عال جدا لتلقفه الماشية تحته وتشرب هنالك . . وهناك
العوجا ، وظلما ، وأم بطيحا ، وهذه الثلاث في شعب كحيل ، أما القعدانية
فقلاتها هي : نغية ، ومغبة ، والركية ، ومحقق ، وأم ثبة . . أما قلات
الزلق في ماوان فهما : ابنتا مظلة السفلى والعليا ، وقلات دندن وقلات
الصحاف .

قصدت هضبة عالية بالزيارة مع رفقة من الإخوة فصعدناها مع طريق
يفترعها من بين شعبيّ بلاجين ، وأخذنا فيها مع طريق يجعل وادي نساح
يمينه ووادي العين يساره حتى القف أو الريش كما يسمونه ، ومنه انحدرنا
مغربين على الرديفة من تلقاء القعدانية وكنف ، وهناك تنحدر تلعة
صغيرة من الريش متجهة إلى المنحدر الكبير منحدر القلات ، هذه التلعة في
رأسها كهف ، وجهه غرب وهو مستطيل من الشمال إلى الجنوب ، وفيه



كتابات ونقوش زرناها نحن لما حضرنا وقتها، هذا الغار هو غار الإمام تركي
ابن عبد الله آل سعود الذي التجأ إلى هضبة عليّة خوفاً من بطش القائد
التركي (عبوش أغا) حين نفوذهم المتسلط على نجد ، وفي هذه الهضبة
تزوج الإمام تركي من امرأة شامريّة ، ولدت له الرجل الكريم جلوي
ابن تركي جد السلالة الكريمة ، آل جَلَوِيّ ؛ وسمي جلويّاً لأن والده
قد جلا في هذه الهضبة يتحين فرصته المواتية .

ومن غار تركي اتجهنا مع الرديفة - القف يسارنا ، والمنحدر السحيق
يميننا حتى وقفنا تحت قرا شنة . وعلى ذكر المنحدر الغربي للجبل عليّة فقد
وقفنا هنا لك ، وشاهدنا هذا المنحدر ، وسمعنا صفيّر الرياح في هذه الصفحات
وهذه الأنفاق وهذه التجاويف .

وبعد نجوال في المنطقة أخذنا الطريق مما يلي أعلى وادي ماوان ، وعلى
قُرب نَفَرٍ يميننا ثلاثة ظيَاء ، وأخذت تستعرض عضلاتها في القفز والوثب ،
بين تلك الصخور الحثة والرتاج الوعرة ، مما يقول للسيارة : قفي مكانك
إذا خرجت عن طريقها شبراً . فقلت في نفسي : من أعلم الظباء أن عليّة
مستجار منيع لبني الإنسان فكيف بها؟ وسبحان الذي أعطى كل شيء خلقه
ثم هدى .

ويسكن مياه عليّة ومستقراتها الآن قوم من آل شامر يرجعون إلى قبيلة
يام ، وقوم من القُرَيْشِيَّة يرجعون على حسب تقسيماتهم إلى قبائل شتى ،
ولكن الخلف جعل منهم قبيلة واحدة كشأن عادات العرب واصطلاحاتهم .
وفي أودية عليّة داخل الجبل مياه أُمّاد وأوشال ، ومناهل معروفة
ومخصصة لدوابها .

وبحكم قرب عليّة من حوطة بني تميم فإن لهم عليها دالة ، فهم يقتلون

فلاتها ، ويعضدون شجرها . وينازعون باديها منافعهم منها . ولا يخلو الجو بينهما من مناشات كلامية جادة أو هازلة ، فيقولون : .

كُلَّ وَبَرٍّ مَرْبٍّ عَلَيْهِ بَسْتَوِي عِنْدَ رَوْحِهِ شَرِيفٌ

وذكر ياقوت في معجمه العلية والعلاة فقال : (هما جبلان بالهامة وبالعية أودية كثيرة ذكرت متفرقة في مواضعها من هذا الكتاب) . وأردف قائلا : (منها الدخول الذي ذكره امرؤ القيس : قال الخفصى وهما لبني هزان وبني جشم والحارث بن لؤى وأنشد :

أَتَكُ هَزَانِكَ مِنْ نَعَامِهَا وَمِنْ عِلَاتِهَا وَمِنْ آكَامِهَا

وفي مكان آخر قال : وعلاة : لبني هزان بالهامة على طريق الحاج . وبها المحالي وهي حجارة بيض يحك بعضها ببعض ويكتحل بتلك الحكاكة .

قلت : يبدو أنه التبس الأمر على ياقوت بين العلاة والعالية ، فجمع بين مدلولهما هنا . فالعالية هي عالية نجد وهي التي ذكر امرؤ القيس فيها بعض الأمكنة ومنها الدخول ، أما العلاة فهي في سافلة نجد من الهامة وهي التي ذكر فيها بقية ما ذكر في خبره هذا . وفرق بين العلية والعلاة مثل الفرق بين الثريا وسهيل !!

فهي شامية إذا ما استقلت وسهيل إذا استقل يماني

كما وهَمَّ بعض الباحثين حينما قال إن علية هي (عماية) ، وهو قول لا يؤيده الواقع ولا تقاربه الحقيقة .

وقد تعاقبت أقوام على علية فن بنى هزان الوائلين إلى بني قشير وجعدة العامريين ، إلى بني مزيد الحنفيين . .

هذه علية قلعة الهامة الحصينة وطودها الأشم وهامتها المتأبية .

الرياض : عبد الله بن محمد بن خيس

التفحُّ الفرَجِيُّ في التفحُّ (الِجَتَّةِ جِي)

تأليف السيد جعفر بن حسن البرزنجي المدني المتوفي سنة ١١٧٧ .

هذا الكتاب على غرابة اسمه طريف ، فهو يتعلق بتاريخ حوادث قوية الصلة ببلادنا ، ومؤلفه عالم من مشاهير علماء المدينة ، وأسلوبه أسلوب أدبي هو أسلوب العصر الذي وجد فيه المؤلف .

موضوع الكتاب :

كانت البادية في العصور الماضية قد عمَّتها الجهل ، فأصبح أبناؤها في حالة من القوضى والبعد عن تعاليم الدين الحنيف بحيث استشرى الشر بينهم ، وزاد من ذلك ما ابتلوا به من فقر وشظف في العيش ، وانسداد وسائل الرزق أمامهم ، فكثيراً ما أصابهم الجذب وعم بلادهم القحط ، فأهلك أنعامهم وهي وسيلة حياتهم ، فاضطرتهم الفاقة وحلهم الجوع إلى أن ينحرفوا عن سواء السبيل . بحثا عن الرزق من أية وسيلة كانت . وكثيراً ما كان الفقر سبباً لإهدار جميع القيم الخلقية .

منذ عصور قديمة ابتليت البادية بحكومات تجهل طبائعها وأحوالها كل الجهل . فكانت تسوسها سياسة العنف والشدة ولا تعالج أمراضها الخلقية معالجة من يريد استئصال الداء ليسلم الجسم ، بل بطريقة من يقطع أجزاء الجسم ليخمد حر كته .

وهكذا كانت سياسة ولادة الأتراك منذ القرن العاشر الهجري حتى أول قرننا الحالي وسياسة من قبلهم من الحكومات منذ العهد العباسي .

لقد كانت قبائل العرب التي يمر في بلادها الطريق إلى الحج ، بل الطرق كلها وخاصة فيما بين المدينتين الكريمتين : كانت هذه القبائل ألقت نمطاً من الحياة يقوم على أساس ما تدفعه لها حكومات ذلك العهد مقابل عدم التعدي على الحجاج وحماية ركب والي الحج بحيث أصبح كثير من تلك القبائل يعتبر ما يدفع له المورد الوحيد من موارد رزقه . فألفوا حياة الكسل ، وبسط اليد للاستجداء أو للنهب للعمل .

وكان بعض أمراء الحج وولائه يدفعهم الطمع إلى التصرف ببعض ما كان مخصصاً لبعض القبائل مما يسبب الخلاف بين الوالي وبين بعض العرب ، وهناك من الولاة من يرى أن الوسيلة الوحيدة لاستئصال الشر من النفوس استعمال القوة ، ويجهل قول الله عز وجل : (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانقضوا من حولك) وما درى أنه بعمله هذا يشعل نار الشر ويشير الفتن ، وهكذا كانت الحالة بين بعض قبائل العرب وبين أمراء الحجاج في كثير من العصور مما حفلت به المؤلفات التاريخية لكتب الرحلات إلى الحج وغيرها .

وهذا الكتاب يصف فيه مؤلفه جانباً من أحوال البادية في أحد تلك العصور .

وقد ألفه باسم أحد ولاة الأتراك في ذلك العهد الذي تولى إمارة الحج سنتي ١١٧١ و ١١٧٢ ، ويدعى (جتة جي عبد الله باشا) وكلمة (جتة جي) تركية عربيتها الفارس أو المغوار وقد تنطق (الشنجي) و (الجنجي) وسيمر بالقارئ طرف عن نشأته وقد تولى ولاية دمشق سنة ١١٧١ ثم عزل في شهر جمادى الآخرة سنة ١١٧٣ ^(١) ثم مات سنة ١١٧٤ ^(٢) بعد أن تولى ولاية ديار بكر فبلغها وهو مريض ، قال صاحب « سلك الدرر » ج ٣ ص ٨١ : (وفي أول سنة من إمرته - على دمشق - أذهب الله على يديه مرادة طائفة حرب ، وأفرد ذلك الواقعة بالتأليف السيد جعفر البرزنجي وسماه النفع الفرجي في الفتح الجنجي » ، أما صاحب كتاب « حوادث دمشق » فقال في ذكر حوادث سنة ١١٧٥ ^(٣) : (وبتلك السنة جاء خبر إلى الشام بقتل عبد الله بن باشا الشنجي وضبطت الدولة ماله ونواله ، وراح كأنه ما كان) ولعل رواية صاحب « سلك الدرر » أصح أما سبب عزله

(١) ولاية دمشق في العهد العثماني للمنجد ص ٨٢ .

(٢) سلك الدرر ٣ ص ٨١ .

(٣) حوادث دمشق اليومية . ص ٢٢١ و ٢٣٤ وتجد طرفاً من أخباره في هذا الكتاب صفحات ٢١٢ إلى ٢٣٤ .

عن ولاية دمشق فقد ذكر صاحب سلك الدرر أنه لما حج حجته الثانية سنة ١١٧٢ عزل شريف مكة مساعد بن سعيد وأقام أخاه جعفرأ مكانه ولكن مساعداً عاد فأزاح أخاه عن الشرافة ووليها وشكا الباشا إلى الدولة فكانت هذه الشكوى أقوى سبب لعزله^(١)

ويحسن الوقوف عند خبر عزل مساعد عن شرافة مكة وهل لذلك صلة بمحادثات البادية التي ستمر بنا في هذا الكتاب ؟

ليس بين يدينا من النصوص ما يدل على هذا ، ولكن من المعروف أن شرفاء مكة كثيراً ما كانوا يغرون البادية بإثارة الفتن ضد رجال الدولة التركية من ولاية وأمرأء حج . لأنهم يرون في هؤلاء منافسين لهم ولأنهم يتخذون من الضغط عليهم وسائل لتحقيق رغبتهم عند الدولة . ومثل هذا ماجاء في كتاب « حوادث دمشق اليومية » ص ٢١٩ أن والي الشام أسعد باشا العظم قتل سنة ١١٧١ وصودرت أمواله ، من قبل الدولة ، لأنه لما نقل عن ولاية دمشق أغرى العربان بنهب الحاج ، فلما تحققت الدولة صدق هذا الاتهام صدر الأمر بإعدامه خنقا في الحمام !

وسيمر بالقارئ أن عبدالله باشا وعد شيخ قبيلة حرب بإصلاح ما بينه وبين شريف مكة ، ولم يرد في الكتاب تفصيل لما بينهما وأخشى أن يكون ذلك من قبيل الإيهام لدى عبد الله باشا وأن شريف مكة أوعمه بذلك لسكي يظهر نفسه بمنأى عن حوادث البادية ولعل في تعيين الشريف المذكور شيخاً لقبيلة حرب مكان شيخها المقتول ما يدل على هذا فلو لم تكن متقادة له وخاضعة لأوامره لما قبلت منه أن يعين لها شيخا .

ومهما يكن فإن مما لاشك فيه أن ازدواج السلطة بين شريف مكة وبين والي أو أمير الحج ، ممن تعينه الدولة التركية وتمنحه من النفوذ والسلطة فوق ماللشريف نفسه - هذا الازدواج كثيراً ما سبب الفوضى وأثار الفتن واتخذ منه شرفاء مكة وسائل لإثارة البادية وتخريضها على إيذاء الحجاج

(١) « سلك الدرر » ج ٣ ص ٨١ و « حوادث دمشق اليومية » ص ٢٢٢

مما نجد أخباره في كثير من المصادر التي بين أيدينا منذ استيلاء الدولة التركية على هذه البلاد في أول القرن العاشر إلى زوالها وهذا مما ينبغي للمؤرخ المنصف أن يلاحظه عندما يريد أن يتعمق في فهم حوادث البادية .

ومن أقرب الأمثلة إلينا ما ذكره صاحب «مرآة الحرمين»^(١) «أن الدولة التركية لما أرادت إنشاء الخط السلكي (الهاتف) سنة ١٣١٩ عينت الفريق صادق باشا العظم للإشراف على ذلك ، وصادق هذا وصفه صاحب «مرآة الحرمين» بالعقل والعلم وأنه يقدر الأمور حق قدرها ويعمل للدولة كل ما فيه إصلاحها ، ولكن ذلك لا يعجب الشريف ، بل يريد عاملا إذا أمره أطاع ، وإذا أغرض ساعد ، فتصادم حقه بباطل شريف مكة عون الرفيق ، فوشى به إلى أولي الأمر فعزل ، وكان يحرض العربان على حرق الأعمدة وتقطيع الأسلاك وكتب إلى السلطان بأن العربان قطعوا الأسلاك انتقاماً منه (أي من الشريف) لإخلاصه لسدتكم ، وأنه أرسل إليهم عساكره فأدّبوهم وضربوا على أيديهم فأرسل له السلطان مكافأة على ذلك - وذكرها - وقال : فحرضهم على التخريب ليتوصل إلى هذه المكافأة ، هذا ملخص كلام صاحب «مرآة الحرمين» وأغرب من هذا ما ذكر العياشي في رحلته (١٩٢/١) أن حكام مكة يرخون العنان للصوص وقت الحج ، وقد قبل : إنهم يأخذون منهم جعلاً على ذلك أيام الموسم ، فإذا أتى إليهم بسارق أدخلوه الحبس على أعين الناس فإذا جنّ الليل أخرجوه . انتهى .

وهنا ملاحظة ينبغي ألا تغرب عن بال قارئ هذا الكتاب وهي أن الحوادث التي نسبت فيه إلى البادية ذكرت من مصدر واحد هو مصدر من ألف للتزلف به إليهم . ولهذا لم يذكر فيه سوى ما كان في مصلحتهم ، والمنصف لا يسعه قبول القول من جانب واحد ثم الحكم على أساس ذلك ، بل لابد من سماع قول الجانب الآخر ، حتى يتضح له وجه الحق .

ومهما يكن في هذا الكتاب جوانب أخرى جديرة بالدراسة ، فلن

عدم منه دارسو الأدب نصوصاً من الشعر والنثر لأناس عاشوا في حقبة من الزمن لم توف حقها بعد من الدراسة والبحث . وفيه وصف للطريق النجدية الواصلة بين المدينتين الكريميتين ، وهو وصف على إيجازه فيه تعريف ببعض مواضع ذلك الطريق لا نجد في غيره ، ثم إن هذا الكتاب أثر من آثار عالم من علماء بلادنا ، يلقي ضوءاً على حياة هذا العالم .

مؤلف الكتاب :

بيت البرزنجي من البيوت العلمية المعروفة في المدينة المنورة منذ أول القرن الحادي عشر إلى عصرنا الحاضر . ومن عرف من علماء هذا البيت (محمد بن عبد الرسول البرزنجي ^(١))

ومنهم جعفر بن حسن بن عبد الكريم بن محمد المدني الشافعي من مشاهير علماء المدينة وله مؤلفات بعضها مطبوع وبعضها لا يزال مخطوطاً
وسرد صاحب « هدية العارفين » ٢٥٥/١ من أسمائها :

- ١- البر العاجل ، بإجابة الشيخ محمد غافل .
- ٢- جالية السكدر بأسماء أصحاب سيد الملائك والبشر .
- ٣- جالية الكرب ، بأصحاب ^(٢) سيد العجم والعرب في أسماء البدرين والأحدين .
- ٤- الجنى الداني في مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني .
- ٥- الروض المعطار ، فيما لحدي السيد محمد من الأشعار .
- ٦- الشقائق الأترجية . في مناقب الأشراف البرزنجية .
- ٧- الطوالع الأسعدية من المطالع المشرقية .
- ٨- العرين ، لأسماء الصحابة البدرين .
- ٩- فتح الرحمن ، على أجوبة السيد رمضان .

(١) التنبه لخير الله لا يجوز ولهذا الشيخ ترجمة مطولة في كتاب « فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر » وفي غيره من مؤلفات عصره ، ولحقه جعفر مؤلف عنه جمع فيه شعره .

(٢) « في هدية العارفين » : (بأسماء) بدل بأصحاب . وما هنا من « سلك الدرر » ٩-٢

١٠ - الفيض اللطيف ، بإجابة نائب الشرع الشريف .

١١ - النفع الفرجي . في فتح جيته جي - في التاريخ .

١٢ - نهوض الليث ، لحواب أبي الغيث .

وله أيضا :

١٣ - قصة المولد النبوي - مطبوعة .

١٤ - قصة المعراج .

ومنها « النقاط الزهر مختصر فوائد الارتحال ونتائج السفر » وهو من مخطوطات التيمورية في دار الكتب المصرية .

ولجعفر هذا ترجمة في « سلك الدر » وفي الأعلام » وفي غيرها .

وقد توفي سنة ١١٧٧ في المدينة المنورة :

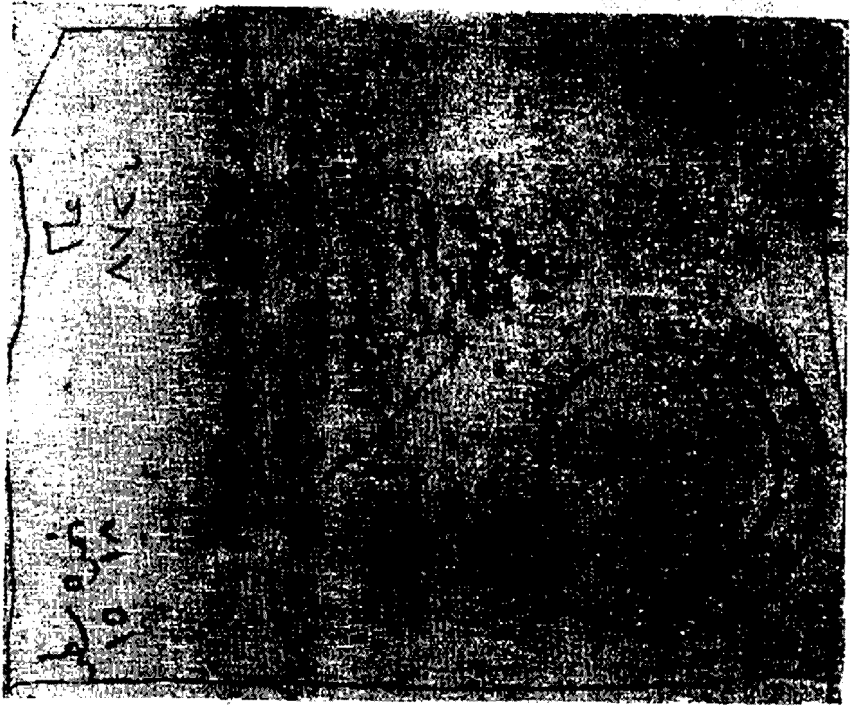
ومن علماء البرزنجيين أيضاً السيد جعفر بن إسماعيل المدني مؤلف كتاب « نزهة الناظرين في مسجد سيد الأولين والآخرين » وقد توفي سنة ١٣١٧ و ترجمته في كتاب حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (١) .

أصل الكتاب :

اطلعت على نسختين منه في دار الكتب الظاهرية في دمشق ، إحداهما رقمها ٥٢٤١ تقع في مجموع (تبدأ من الورقة : ٧١ إلى ٨٧) في ١٧ ورقة . وهذه النسخة خطها جيد ، بقلم النسخ الجميل . ولا أستبعد أن تكون النسخة التي قلدت لمن ألف فيه الكتاب ، وقد جاء في آخرها بخط غير خط كاتب النسخة مانصه : (هذه هدية الفاضل الأديب الشيخ محمد الدويكي في صفر الحير سنة ١٢٠١)

وعيب هذه النسخة وقوع خرم في وسطها يقرب من ست ورقات منها بين الورقتين (٧٨) و (٧٩) فالرقم متسلسل ، ولكن الكلام غير متصل . النسخة الأخرى : رقمها في دار الكتب الظاهرية (٨٧٢٤) وتقع في أول مجموع من الورقة الأولى إلى (٣٩) وملحق بها :

(١) ج ١ ص ٤٥٣ إلى ٤٥٢ .



(طرة النسخة الأولى)

١ - من (٣٩ ب) إلى (١/٤٠) قصيدة لخضر بن يحيى خضر ، في
عبد الله باشا جيته جي وحادثته قتل عيد شيخ حرب المذكورة في الكتاب
أول القصيدة

إلّقَ عبد الله باشا جته جي عيدَ نَحْرَ قائلًا : للنصر جي
وآخرها :

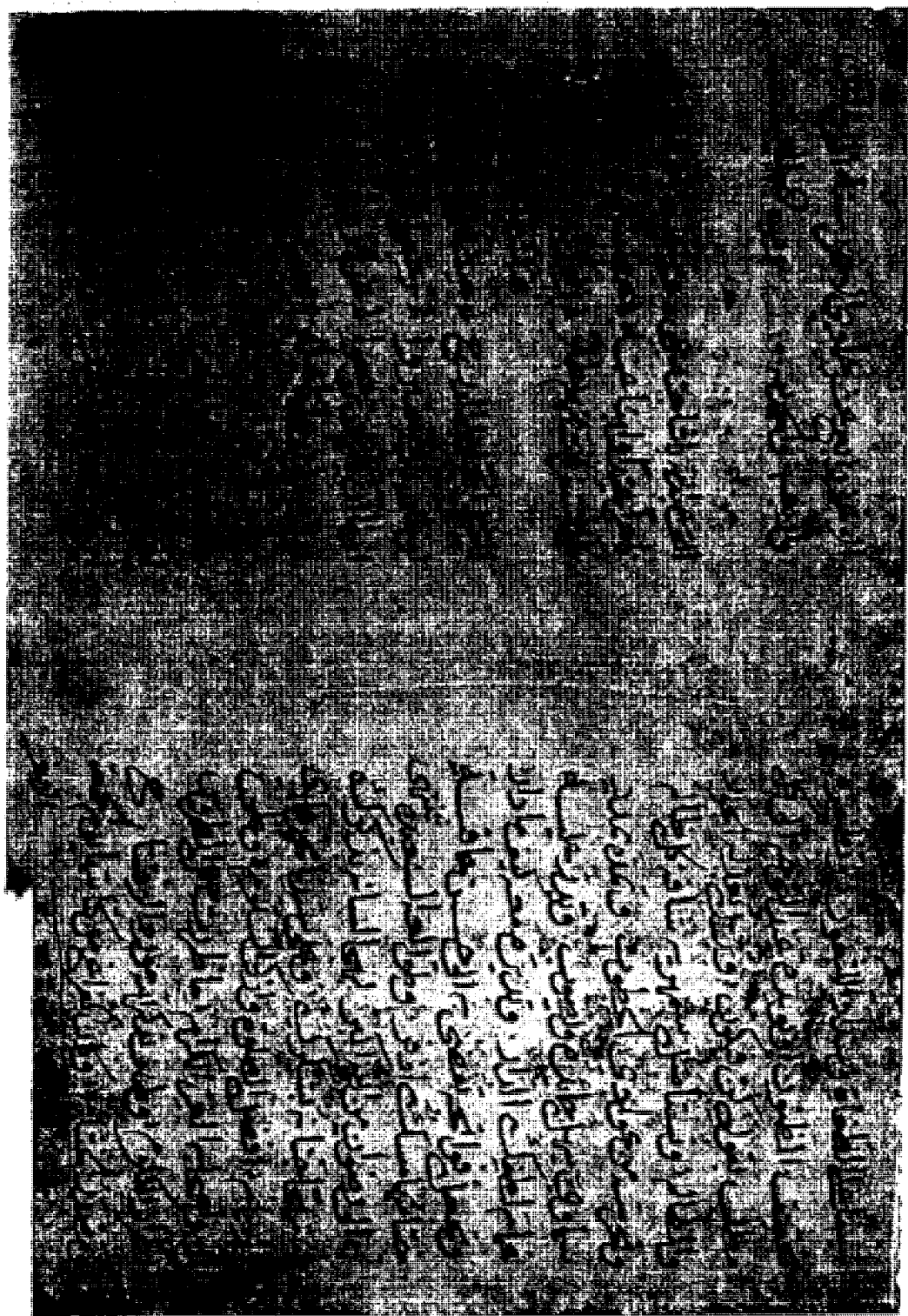
وارحم الله تراباً ضمّها (؟) لحد عبد الله باشا جته جي .

٢ - من (١/٤٠) إلى (٤١ ب) قصيدة للسيد يحيى بن حسين بن هاشم
الكتاب أولها :

نجم السعادة قد سمر في الأفق بالبشرى ظهر

بقدم عبد الله باشا الهاشمي الشهم الأغر

وهاتان القصيدتان وإن كانتا في موضوع الكتاب ، إلا أنهما ليستا
منه كما يدل على ذلك تاريخ كتابة النسخة وهاهو نصه (٣٩ ب) :
وكان الفراغ من كتابتها يوم الجمعة الأغر رابع عشر جادى الآخر ١٢٠٤
والحمد لله رب العالمين .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يقول المفتقر إلى فضل الكريم المنجي . جعفر بن حسن بن عبد الكريم
البرزنجي: المنَّةُ لمن دله ^(١) ذرات الكائنات بمظاهر الأسماء والصفات، والحمد
والشكر لكافي المهيات . وكاشف غياهب الكرب الملهيات والصلاة
والسلام على نبي وقفت الألسن دون منطقته العدناني حسرى . وسرَّ قلب
كل سريٍّ إذ سرى في الأغوار والأنجاد ذكره الإسرى ، حين جاء وقد
ألقى الباغي في مناخ الضلال بجرانه ، ورفع عقبرته على معالم الباطل وأفئانه .
فمقر بمخزم الحق سوارحه السائمة في مرتعه الهشيم المراد ، وأثار بأسهم
الصدق بوارحه الموقعة على أطلال الفساد ، نبي جعل الله له وصف العبودية
أشرف وصف وصفه به وسماه ، وناهيك بشرف تضمنه (لما قام عبد الله)
وعلى آله وأصحابه الذين فازوا بالقدح المعلي من اهتزاز الأعطاف بين العواسل
السمرو الحراز المحلى ، واستأصلوا شافة القطاع ، من كل حضيض ويقاع ،
شقاشقه ماجر البحر المطعان على جند الوبال وجيش الردى ، وشقت جيوب
بشقايق نعمان الهدى .

أما بعد : فإن مما جرى في سابق العلم المكنون ، أن هذه الدار ستعود من
الظهور إلى الكون ، وأخير البشير النذير ، الناطق عن القوي القدير ،
بأن لزوالها قضايا ومقدمات ، ولفنائها أشرافاً وعلامات ، منها أن الاسلام
يعود بعد الأهلية غريباً ، ويحلف غصن نضارته بعد كونه غصناً رطيباً ، وبصير
المعروف منكراً والمنكر معروفاً ، ويؤمن الخاين ويخون الأمين وإن كان
بالخير معروفاً ، ويغيض أى ينقص الكرام ، ويفيض أي يزيد اللثام ،
ويوسد الأمر إلى غير أهله ، ويكرم الرجل اتقاء شره وجهله ، ويوضع

(١) التذليل . إذهاب العقل من الهوى يقال : أدله الحب أى حيره وأدمته .

- صحاح - من هامش الأصل .

الرفيع ويرفع الوضع ، ويصير أسعد الناس بالدنيا لسكع بن لسكع أي
لثيم بن لثيم ، ويكون أرذل القوم هو المقدم الزعيم ، ويتكلم الرويضة أي
الحقير في مهمات الأمور ، وتظهر المعازف ويكثر شرب الخمر ، ويكذب
الصادق ويصدق الكاذب ، ويقضى بالظن ويتبع الهوى المجاذب ،
ويكثر الجهل ويقل العلم ، ولا يوقر الكبير ولا يرحم الصغير ولا يستحي
من ذوي الحلم ، وتقطع الأرحام وتسفك الدماء بغير حق ، ويظهر الحسد
والبغي والشحناء والشح بما جل ودق ، وتضاع الصلوات ويظهر الرشا
ويتعامل بالربا جهاراً ، ويستخفي الصالح بصلاحه كما كان المنافق يسر نفاه
إسراراً وتكون الأهواء حجة ، وبطبع الرجل زوجته ويعق أباه وأمه ، وتكون
همة الخلق بطونهم ودينهم الدرهم والدينار . ويصبح العلم في الأراذل
والمداهمة في الأخيار ، وتكثر الأقاويل بين الناس ويضيع العمل ، ويكون
المؤمن بينهم أهون من النقد وأذل ، ويلبس بعضهم لبعض جلود الضان
على قلوب الذئاب ، أي يتحابون بالأسنة ويتباغضون بالقلوب والألباب ،
ويقتلون على جمع الدنيا ويفغر كل لذلك فها ، ويختلون الدين بالدنيا .
ويقتلون العلماء ، ويوضع الدين وترفع الدنيا وتعطل الحدود ، وتمات
السنة ويفتخر بالآباء والحدود ، ويكثر الكذب ويعظم رب المال ، وتشق
المعيشة فلا تدرك بغير معصية ولا تنال ، وتقتل العثرة النبوية وتطرد عن
الأوطان . ويتناول الحفاة العراة رعاء الشاء في البنيان ، ويكون الأفضل فيما
بين الناس المداهن الذي لا يأمر ولا ينهى ، وتقع الأعراب على أذنان
الأودية فلا يصل إلى البيت الحرام أحد منها ، إلى غير ذلك مما أخبر به
السيد الصادق وأشاعه ، وأنذر به من أمارات القيامة وأشراط الساعة ، وقد
ظهر جل ذلك بل كله إلى الوجود ، وعم كل موجود في الأغوار
والنجود ، وتقلص من الإسلام برؤده الضافي ، وتكدر ورده الصافي ،
وذوت أزاهير رياضه ، وجفت ينابيع حياضه ، وعاد موجود بهجته عدماً
وصار الأحرار فيه خدماً ، بعد أن كان منبع الذرى ، يستبعد أن يجرى
عليه ماجرى ، ومن أقطع مآظهم من وهن الدين وانحطاطه ، ودل على
دنو يوم القيامة من أشراطه ، تغلب الأعراب في سائر النواحي ، واستيلاؤهم

على المسالك والضواحي ، بحيث استنسرت بغائهم ، وصحت لهم أضغاثهم
واستأسد كل منهم في كتاسه ، وقام كل أحد في أناسه ، وأمست عقاربهم
تدب ، وريحهم العاصفة تهب ، فعاثوا في الطرقات وفسقوا ، وانتظموا في
سلك الطغيان وانتسقوا ، وانتشروا في البلاد ، وانتهبوا الطرائف والتلاد ،
وفعدوا على أذنان الأودية ورعوس الفجاج ، وتعرضوا لأذى العمار والحجاج ،
يساورونهم مساورة الأراقم ، ويعتورون عليهم بدءا من المطالب قاقم ، ولا يرعون
لهم عهداً ولا حرمة ، ولا يرقبون فيهم إلاً ولاذمة ، ولا سيما القبائل الحربية ،
فلمنهم سقوا الحجاج من الأذى كؤوساً وبِئَّة ، وقعدوا لهم بين الحرمين
في كل مرصد ، واستتبعوا من بغى وطنى وصد ، واستسهلوا من المطالب
صعابها ، وتوغلوا مسالكها وشعابها ، ومنعوهم بذلك من الجواز على
الميقات ، وألحقوهم إلى اعتساف الطرقات ، وحاصروا المدينة وسدوا
مسالكها ، وصدوا عنها قاصدها وسالكها ، وروعوا طارقها ، وقطعوا
مرافقها ومُرافقها ، وتملكوا مزارعها وحدائقها ، ودمروا بساكنيها اليانعة
وبواسقها ، فأصبحت محاسنها وقد تلفعت في نقابها ، وتوارت كأراقم
في أنقابها ، وآذوا جيران سيد المرسلين ، وضايقوهم في معاشهم ففاسوا منهم
قسوة خطب لاتلين ، ومنعوا جفونهم السنوات ، وأرعبوا النساء والبنين والبنات ،
وشيوخهم (عيد) عاتٍ بيدر في فريقه ، عادل عن سنن العدل وطريقه ، يجتري
على الله غير مراقب . ويقتطع حب جراياتهم وتكايابهم لاملتفت للعواقب ، بحيث
لا يتعذر عليه من ذلك مطلب ، ولا تصل السفن بشيء منه إلى ينبع الأعلقه
منه ناب أو مخلب ، وذلك حين أصبحت يد الهمم في يد الامتهان ، وعطلت
ميادين النجدة من الرهان ، وصدئت بواثر أمراء الحاج في أعمادها . وقذيت
شعل مشاعلهم برمادها . وأسوا بنجرعون قطاع الطريق على مضضهم ،
ويتخافلون عن غرضهم ، ويطوونهم على بللهم ، وتغضون عن زللهم ،
إلى أن كانت سنة إحدى وسبعين فجاءت الطامة ، وصارت الحارصة آمة ،

ونجاسر في ذي الحجة شيخ بني صخر قعدان^(١) ، واستدعى من قبائل القاصي والدان ، وعداهم على الجردة فسام^(٢) رجالها قتلا وخسفاً ، وانتسف ما فيها من الأحوال والأموال نسفاً ، وأصفقت عليه الأعراب عند ذلك وسلكت سبيله ، واجتمع عليه منهم اثنان وعشرون قبيلة ، فترقى أنزله الله وحطه ، وقده بسيف الحق وقطه ، وساقهم فجمعوا كيدهم وأتواصفاً ، واندفعوا في عرم نحو تبوك يداً واحدة زحفاً ، ونازلوا الحجاج بها وهم قافلون إلى ديارهم ، وحصروهم بها تسعة عشر يوماً لتحصيل درهمهم ودينارهم ، وكان أمير الحجاج لما وصل إليها ، وأناخ بها وخيم عليها ، وصلت إليه بها كتب من دمشق الغراء بأن لا يرتحل من المكان الذي هو فيه حتى تأتية جردة أخرى ، ووافق ذلك منازل قعدان . بمن أطاع له من القبائل ودان ، فأقام الأمير بها منتظراً لوعدمهم ، ومصغياً لزجرجة رعدهم ، وشأماً للمحاث برقمهم ، ومستندراً لأخلاف ودقهم ، فلم يلح له من ذلك الأفق وبيض بارق ، ولم يطرقه من تلك الناحية طارق ، وذلك لاختلاف الأجناد . في الإغاثة وعدمها بذلك الناد ، لأن بعضهم أراد الصارخة نجدة وحية ، وامتنع آخرون إلا أن يأتي أمر من الدولة العلية ، إلى أن آل أمرهم ، إلى فتنة

(١) هو قعدان الفايز شيخ بني صخر . في تلك الحقبة في الشام ، ولا تزال المشيخة في بيت الفايز إلى عهدنا ، وانظر عن بني صخر هذا الجزء من المجلة .

(٢) قال صاحب كتاب « حوادث دمشق اليومية » في ذكر حوادث سنة ١١٧٠ مائمه : (في ٢٧ ذى الحجة وصل خبر إلى الشام بأن موسى باشا ، باشة الجردة - لما وصل إلى القطرانة خرجت عليه العرب شلحوه ، ونهبوا الجردة وكل ما فيها ، حتى شلحوه لباسه وخنائمه من أصبعه ، وأنزلوه من تحت ، وركبوا مكانه في التخت وأخذوا طبوله وأطواخه ومواقمه وكان كبيرهم يقال له قعدان الفايز . ثم تفرقت الجماعة الذين كانوا في الجردة ، فرجعت منهم أناس إلى الشام ومنهم ناس انقطعوا في حوران ، ومنهم ناس هربوا إلى غزة وناس إلى القدس وناس إلى معان مع بن موسى باشا لأنها قريبة من الموضع الذي نهبت فيه الجردة . وأما الباشا فإنه رجع إلى قرية داعل وأقام بها مدة أيام فأرسلوا له تحتاً ليحملوه به ، فوجدوه قد مات فحملوه وجاءوا به إلى الشام) .

والجردة هي قافلة تحمل المؤن إلى الحجاج وتلقاهم في طريق عودتهم إلى دمشق . وانظر مقدمة كتاب « حوادث دمشق اليومية » ص ٥٢ المقدمة .

تأجج بها جهرهم ، فاشتد لأجل ذلك على الحجاج البلا ، وعظم
بطول الإقامة الغلا ، ونحسروا كثيراً من ظهرهم ، ورأوا من الشدائد
ما لم يروه في دهرهم . وذاقوا لباس الجوع والخوف وبرد الحريف ،
والأعراب من نهب الجردة في خصب وريف ، ولما أخلفت عساكر
الشام أمير الحاج ما وعدوه به من نصرهم ، وقطع بأنهم شغلوا
بأنفسهم وتخلفوا بمصرهم ، استدعى قعدان ليصالحه على شيء من المال ،
فوصل إليه ولكنه أعظم المطالب وأبعد الآمال ، وطلب من النقود البن
ما قدره وقيمته أربعون ألف دينار ، فلم يوافقهم الأمر إلا على ثلث هذا
المقدار ، فاشتد حتى قعدان ومضى ، وشام سيف غروره ونضى ، وكان
نزول الحجاج بتبوك وإقامتهم بها ، مانعين للأعراب عن اقتحام الخيام
وانتهابها ، فاحتال بعض الأعراب على الأمير ، وأخبره بأنهم فارقوا
الإقامة ورافقوا المسير ، ليسهل نهب الحجيج وهو سائر ، على هاتيك
القبائل الباغية والعشائر ، فركن أمير الحجاج إلى قوله واعتقده ، وظن
صدقه في ذلك وما انتقده ، ورحل من تبوك في تاسع شهر صفر ، مؤملاً
السلامة والظفر ، وسار إلى قبيل العصر فأحاطت بهم الأعراب من كل جانب .
يرمونهم بالرصاص ويحملون عليهم مقابض إثر مقابض ، وأذاق كل من
الفريقين الآخر ما هو أشنع من العلقم وأمر ، إلى أن أهبّار الليل وغاب
القمر ، فأقن الأعراب من خلف القطر وجاسوا خلالها واقتطعوا ما وصلت
إليه أيديهم من أحمالها وساقوا جمالها ، وبلغ الأمير ذلك فأمر بالإناخة في تلك
العرصة ، ولو سار ثلاث ساعات لبلغ ذات حج وسلم من الغصّة ،
واشتد بعد الإناخة القتال ، واستطال الصخري الختل ، وصار
الحجاج حيارى ، تراهم سكارى وما هم سكارى ، أبدانهم راجفة . وقلوبهم
واجفة ، وأصواتهم خافتة ، وأبصارهم باهتة ، ووجوههم باسرة ، تظن
أن يفعل بها فاقرة ، وأميرهم مشمر في المدافعة عن ساعد اجتهاده ، نابذ
لألوف وساده ، ودامت قبائل الصخري على اختطافها واختلاسها ، إلى
أن برزت الشمس من كناسها ، فأمر الحاج بالرحيل ولسان الحال ينادي
أن السير مستحيل ، وازدحم الحجاج ، وثار القسطل والعجاج ، وحمل الوطيس

وأفاض الله عليهم صبرا ، وبقوا في موقفهم إلى الضحوة الكبرى ، ثم
نفر جواد الأمير لأصوات المدافع ، وألقاه على الأرض وولى عنه المناصر
والمدافع ، وفر العساكر إلى ما استسهلوه من الجهات . لظنهم أن صرخته الحقته
بالأموات ، ونهض الأمير سالماً وسار بسرعة ورج ، مع بعض ابتاعه إلى
قلعة ذات حج ، وهجم عند ذلك الأعراب على الحجاج أقطع المهجوم ،
وانقضوا عليهم انقضاض شعل النجوم للرجوم ، وحالوا بينهم وبين قلعة ذات
حج ومعان ، وقاتلوه إلى أن ضعف المعين منهم والمعان ، وخالطوهم من
أعنانهم وشمالهم وأمام وورا . وسلبوهم فصاروا عراة بالعر . وسقوهم
بسقيا الأسنة والظبا ، في هاتيك البسائط والرثا ، وأبرزوا المخدرات من
الحدور ، وكشفوا الحرائر وهتكوا الستور ، واستزلوا ذوات الحظوظ
والبهخوت من غرف المحفات والتخوت ، وانزعوا الأرواح من الأجساد ،
وفرقوا بين الأمهات والأولاد ، وأذهلوا الرجل عن أخيه وأمه وأبيه ،
وصاحبه وبنيه ، وصار لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ، كأنهم بين
أيدي الأعراب سوانم ترتع ، وأموالهم تهب وتوزع ، وأخذوا منها فوق
طاقهم ، وحملوا منها ما عجزت عنه قوى استطاعتهم ، بحيث صار يسقط منهم
في المراحل ، لكثرة الحمل وقلّة الحوامل ، وأمت الصحارى
من الأمتعة والأفئدة ، كأنها أسواق مدهشة . ثم تمزق من بقى من الحجاج
أيدي سبا ، هربا وموتا وسبا ، ولجأ من فرالى بعض القرى ، عادمي اللباس
والشراب والقرى ، وطارت بذلك الأخبار ، وعم البغي لأقطار ، فقامت
على الدين نواديه ، وبكى لذلك المصاب شاهده وغائبه ، ولما كان لله في
دهره نفحات ، ولبرق اليسر مع العسر وميض ولمحات ، تدارك من
الإسلام الذما الباقي ، وتلافى له نفسا بلغت التراقي ، يجلس سلطان العصر
وامامه ، وطلوع بدر حياه مزيلا للجور وقتامه ، حضرة السلطان الأعظم ،
والخاقان الأفخم ، واسطة عقد آل عثمان ، مولانا السلطان مصطفى خان خلد
الله ملكه ، وأجرى في بحار السعادة فلسكه ، ومد بسطته ، وثبت وطأته ،
فامتطى من أرائك الملك مكاناً عليّاً ، وهَمَى على الرغبة وسما ووليا ، وأقام
الحق على أركانه ، ووضع العدل في ميزانه ، وأعلى للإسلام اسمه وأحيا

أثاره ورسمه ، وأثار مطلعه وأفقّه ، وأعاد بهجته ورونته ، ووافق طلوع
بدره المنير ، وامتطاؤه صهوة ذلك السرير ، ورود الخبر بهذا المصاب
الذى جرح القلوب بصاب الأوصاب ، فأزعجه ذلك النبأ العظيم ، وأرقه
ذلك الخطب الجسيم ، وأجج منه الأضالع ، وحذر على خديه ديم المدامع
ثم سأل صاحب ختامه ووزيره المعتمد عليه في نقضه وإبرامه من اطلع
للفضل فجراً ، فنسخ ليل الجهل الاسم وقاض في التحقيق بحراً ، فاترع
بفرائده وطاب الدفاتر وأنعم ، وورد من مناهل البراعة عباها ، ورشف
من مباسم البداة رضابها ، الصدر الذى ولى الختام فاختال في بنانه ، وأصبح
ذكره هجيراً لكل مؤمن وملهج لسانه ، وغدت البلاد في أيامه عراقاً
وامتلاً الوجود بنور بحياه بهجة وإشراقاً ، ونفقت فيها أقدار الأعلام ،
وتدفقت فيها بحار المعارف والكلام ، حضرة سيدنا ومولانا راغب
محمد باشا صدر أعظم حالاً ، كساه الله من حلك السعد بُرداً مطالاً ، عن
رجل يطبُّ هذا الكلم ويسد هذا الثلم ، ثم نثل^(١) كنانة وزرائه
الكرام ، لينتقى منها سهم يسدده لطريق الحاج وإمارة الشام ، فخرج سهم
ملقح الحرب ، ومنتج الطعن والضرب ، الذى صاد الطير تحت أجنحة
العقبان ، وأخذ الفريسة من فم الثعبان ، وطار في الآفاق بالثناء الجميل صيته ،
وخضع له من الدهر الأبيّ ليتّه ، وأرهب صوت صولته الجحافل ، وأشاب
ذكره الأطفال في حجور الماطل ، وقاض مجال نواله على قطر الغمام
فأنصب ماهلك بالسنين والأيام ، عيبة الشرف الزاهر ، ومعدن الفضل
الباهى الباهر ، الملحوظ بالأنظار السلطانية ، والمقدم في صدور داووينها
الجهادية الوزير الأكرم ، والمشير الأفخم ، حضرة سيدنا السيد الشريف
جته جي عبد الله باشا زاد الله الوجود به بهجة وانتعاشاً ، فسدد إلى دمشق
سهمه وسنانه ، ورد إليها طرفه وعنانه ، ووجه إليها جيشه المتزاحم
الأفواج ، المتلاطم الأمواج ، وبادر إلى استلامها ، وشفاهها من آلامها ،
وأخصب لكل من أهلها مرعاه ، وبره على عادته في رعيته ورعاه .

(١) النثلة : الدرع الواصة ، يقال : قد نثل درعه أى ألقاها عنه ونثلت كنانتي .

إذا استخرجت ما فيها من النبل قاموس (من هاشم الأصل)

تم سافر إلى الحجاز ، وجعل على حقيقته الحجاز ، وقتل أشياخ
 حرب في ديارها ، وألجج صدور المؤمنين بهدم منازلهم وتمزيق شعارها ،
 وشق الإسلام عندما أشقى ، واقتص من أيام بغيم واستوفى . وكنت صحبة
 ركابه الشريف ، ومن الذين أفاض عليهم خلع التكريم والتشريف ، متفيا
 ظلال عنايته الوريقة ، من الرحاب النبوية إلى الأباطح الملكية المنيفة ،
 وقد كان من كمال لطفه الذي حقني بتحقيقه ، وتمام عطفه الذي خصني
 بحفيه . أن ضمنى إلى الأوحده الذي نفحت أزهار كماله ، وصدحت أطياف
 أفضاله ، مولانا السيد ابراهيم أفندي كاتب سره ، المقرب لديه والمعامل
 منه بلطف إحسانه وبره ، فغمرني بجزيل إحسانه ، وأهطل على من
 يحايب جوده ، وابل نيسانه ، فخط لي أن أذكر إيقاعه بهم بضرب من
 الإجمال ليكون تذكرة لولاة الحجيج فيجانبوا الإغفل والإهمال ، مبتدئا
 بذكر شيء من أحواله ومآثره ، ومشاهده الشاهدة بمفاخره .

إذا زان قوماً بالمناقب واصف ذكرنا له وصفا يزين المناقب
 له الشيم الثم التي لو تجسمت لكانت لوجه الدين عينا وحاجبا

وسميت هذا المسطور ، المزرى عرفه بالزهر الممطور « النفع الفرجي
 في الفتح الجته جي » (١) .

فأقول هو السيد عبد الله بن السيد إبراهيم بن محرم بصيغة اسم المفعول
 من التفعيل الشريف الحسيني الحرمكي نسبة إلى جرمك بجيم عجمية بين الحليم
 والشين المعجمة العربيتين مفتوحة فيم مكسورة آخره كاف — مدينة من مدن
 ديار بكر. أخبرني أدام الله مجده وسقى بصيب التوفيق غوره ونجده ، أنه
 ولد عام خمسة عشر بعد المائة والألف ، وربيع في رياض الاستفادة وقطعت

(١) ذكر الدكتور أحمد عزة عبد الكريم محقق كتاب « حوادث دمشق اليومية » ص ٢١٢
 أنه اطلع في المكتبة العامة في فينا على مخطوط (رقم ١١٩٦ . MXTI 95) عنوانه « ترويح
 القلب الشجي في مآثر عبد الله باشا الجته جي » تأليف رجل كان في خدمته ، واسمه عمر بن محمد
 بن إبراهيم الوكيل — ونقل عن هذا الكتاب بعض ما في كتاب البرزنجي الذي بين أيدينا .

من زهور العلوم أحسن قطف ، واعتني بتميق الرقابة بالقلم ، حتى صار
لعمري في الخط المفرد العلم ، فكم من طرس دبح عراضه وأنجم رباه ،
وعقد لآلي نظمه فخرت لتألفه الجباه ، إلى شجاعة سار ذكرها في الآفاق ،
ووفق الناس فيها جموعاً وآحاداً للوفاق .

ضيغم الكتب والكثائب واسأل

عنه تلق الورى جميعاً شهودا

وتواضع وبشاشة ووقارو أعمال برّ خلصت خلوص النصار ، ونفس
أبية مرتاضة ، وعزيمة قوية نهضة .

يسكاد من صحة العزيمة ما

يفعل قبل الفعال بفعل

وسجايّا تنجلي عن الظلما ، وندى ينادي أيها الرائد سلّ ما .

يستصغر الخطر الكبير لوفده

ويظن دجلة ليس تكفي شاربا

مع تحل عن معتاد الولاة من معاملة النفس بالإسعاف والإسعاد .
وتحل في ماكله وملبسه وشأن نفسه كله بالاقتصاد والاقتصاد لا يرفع
للامور الدنيوية رأساً ، ولا يولى أعلامها المنشورة إلا طيا ونكسا ، ولا يعبر
زخرفها البهرج التفاته وطرفا ، ولا يحيط عن مخدرات نفايس ذخائرها
سحفا ، إنما ينافس في المعالي ويسهر في طلابها الليالي ، قدوازن بين الضرتين
فرآي أن هجر الدنية منها أخرى ، ونظر إلى وصف الناشئين ، فركن إلى
أعظمها نشوة وأجلهما قدرا ، ولله در المرحوم الصدر الكبرلي الشهيد ،
حيث قال في منظوم عقده له فريد .

أهون بدار وأهون بالمتاع بها

وما المتاع بها إلا التآئيم

هل المفاخر إن دقت وإن عظمت

من ذي تعاجيب إلا العلم والحسب

من ظن دونهما فخرأ ففخره

مامتعت في مغانيها الأناعم

وأما تعظيمه للعلماء . وإكرامه لكل كمي حاز المجد وسما ، وشدته
على الفجرة اللثام ، ورقته للضعفاء والأيتام ، فأمرٌ تناطقت به ألسنة العموم
والخصوص وتطابقت عليه بينات الأقيسة والنصوص .

فقوى عتا عليه ضعيف وضعيف أتى إليه قوي
لا ينفك مجلسه المنيف عن مباحثات علمية . ومطارحات حسنة أدبية .
ومحاضرة نهش لها النفوس وتشرب من جربالها بكوس . وفكاهة تنجح
إليها الأفكار . جنوح الطير إلى الأوكار . ويكلف بها الخاطر . كلف المعاطس
بالنسيم العاطر

حافظ لكثير من الشواهد . عارف بالمصادر منها والموارد ، ماجرى
غالبها كلام بين يديه إلا وجد له شاهد من كلام المتنبي أو غيره لديه .

ولله ساعات قضيتها معه لم يغفلها من سمات عوارف ، ولم يصحها من
ظل إيناس وارف . دخلت عليه في سرادقه برايع مهني له بظفره برجال حرب .
ومايسر له فيهم من الطعن والضرب ، فأنهل هيدب بشره بجود صيب .
وأورد قول المتنبي أبي الطيب .

لكل امرئ من دهره مانعودا وعادات سيف الدولة الطعن في العدا
وفيه من اللطافة مالا يخفى ، ومن حسن التورية ماهو أرق من رقراق الظل
وأصنى ، لأن الممدوح للمتنبي سيف الدولة الحمدانية والمترجم صان
الله مجده سيف الدولة العلية العثمانية . والمشهور بين وزرائها الكرام بخصيصي
هذا الوصف الثاني المرام .

ودعاني أيضاً أدام الله رقيه، بمنزله بغدير سلحة^(١) بالطريق الشرقية .
وقد ضرب سرادقه على غدير نسج عليه زرد النسيم . وضحك ثغر روضه
الوسيم . ومن بالمطارحة على بساط المباسطة والإدلال . ونثر من ذلك عقد
درر ولآل . وهصرفن قول امرئ القيس الرطيب . والمورد في أول
« تلخيص الخطيب » :

غداثره مستشزرات إلى العلى تفضل العقاصُ في مثنى ومرسل^(٢)
وقرر أنه جمع غديرة وهي ذؤابة الإنسان وأما غدير الماء فجمعه غدران
وقال مشيراً إلى لوم غز مصر الذين اجتروا عظيم الحوب والأصر .
إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
وقال في بغاة حرب وطغيانهم ومعاملة أمراء الحاج شرارهم بإحسانهم
ووضع الندى في موضع السيف بالعلی

مضر كوضع السيف في موضع الندى
إلى غير ذلك من فوائد توضع بها مجالسه . ويقتطف أزاهيرها
مجالسه ، وله مصنفات عجيبة جلا عرائسها على منصات أوضاع غريبة .
أوقفني أسنى الله مراقبه ، وأسمى مراميه ، على كتاب منها وسمه « بآثار
الحنان في ينابيع آيات القرآن » فدلني تألف عقود الجوهريه وولهي نور
كواكبه الدرية ونشقت من أردان أبراد إبراد فيه عرفاً ينجس أزهار
الرياض ، وأرجا ينعش القلوب المراض قال : اعتنيت كثيراً بتصنيفه
واستعنت بجملة من المواد على ترتيبه وترصيفه ، منها « الاتقان » للإمام
الحافظ السيوطي عبد الرحمن . وذكر كتباً أخرى لا تحضرني أسماؤها الآن .

ومن تصانيفه رسالة في العروض ، تحصيلها لحسنها من القروض . وأخرى
في معراج الصفي الحبيب . سماها لرفعة شأنها « بالكثير » .

وخدم الدولة العلية فكان من أعز رجالها . وأندر كتابها وأبطالها .

(١) سائق تحديد موقعه وأنه شرق الضريبة (ذات عرق) .

(٢) المعروف (تظل المفاري) وهو من معلقة امرئ القيس المشهورة .

وأكرم بطوغين من الألوية السلطانية ، والبنود الشريفة الخاقانية .
وبعث لصيانة بعض جهات . كانت قضايا أهلها غير موجّهات ، فراع
العصاة في آجامها . وأبدلها عن سرعة إقدامها بإحجامها .

ولما ولي أمر الغزاة المرحوم علي باشا عابدي زاده . ونازل مدينة بلغراد
في سنة خمسين ونال من فتحها مراده . كان مولانا الوزير هو الذي أنزل
أهلها عن صياصيمهم . وتمكن من أوداجهم ونواصيمهم . وانقض على عسكر
النادر في بلاد القرص انقضاخ الجارح . وانصب عليهم انصباب الطير
على السّارح . وأصيّت من فعله هناك الروافض . بما هو أشد من وقع
المحرقات النوافض . وذلك مع الصدر الكبير المرحوم محمد باشا الوزير .
إلى غير ذلك من واقعات له مشهورة . ومقامات هي بين الناس مذكورة .

ولما بلغ المرحوم مولانا السلطان الغازي محمود خان . برّد الله مرقده
وثره . وكافاه بما قدمه من الخير وأجراه . أفعال المترجم في العدا . وكيف
سقامهم كأس الردى ، كافاه بالطوغ الثالث تكميلا للنظام . وصيره بذلك
الإنعام من وزرائه العظام . فرقت أوامره بطون المهارق . وتحكمت بواتره
في الطلا والمفارق . لم تتعطل كفه ولابنانه . آونة يراعه وآونة سنانه .
وطوقت مواهبه الأعناق . وأغضت الحفون والأحداق . وولى جملة من البلدان
التي عظم شأنها . والمدن التي رسخ على قواعد الأحكام بنيانها . منها ديار
بكر وأذنة وأرض روم ووان . وكناهية وسيواس وطرابلس وحلب
وداريزان . ووجهه فيما بين ذلك لقتال طائفة من الأكراد كان لهم بقرب
الناحية الخلية طراد . فاستدنى قاصيمهم . وسهل عاصيمهم .

ولما اختاره مولانا السلطان المتقدم اسمه الشريف لولاية الشام ،
والتفسيؤ بظلالها الوريث . حسبما أشرت إليه . ونهت فيما تقدم عليه . نفر
بجنوده خفافا وثقالا . وسار بهم إلى جلق الفيحاء خيلا ورجالا . وحصل
في قطب دارتها . ووصل إلى تدير رياستها وإدارتها . فألفاها وقد تناولتها بد
للغى خشنا . وأصابها فتن أرقت عينها الوسنا . من زُرْب شرهم قد تشمر ، وضرهم

قد تنمر . فدعاهم بعد ثلاث من وصوله إلى الطاعة . والدخول فيها دخل فيه الجماعة . فأبوا الإنقار . ولم يزد الدعاء . قلبهم إلا خلوا من الطاعة وإنقاروا . فقصدتهم بخيله في ميدان مراحهم . وأجال جواد عزمه في مضمار انشراحهم . فثبتوا في ذلك اليوم في ميدانهم . ولم يشمروا للهرب واسع اردانهم . وزأر عليهم في اليوم الثاني زئير الأسد على النقد . وحل من غزل بغيهم ما انبرم وانعقد . وحل عليهم حملة صيرتهم فرقا . وملأهم رعبا وفرقا . ورموا من الخور أسلحتهم وسوا للفرار أجنحتهم . فنهض من اختار فراره وجلاه . ومنهم من وقفت به لحينه رجلاه . ولما أطفأ جرحهم المتسعر وأزال أمرهم المتوعر . وعافى لدمشق رمد عيونها . وأقام لها أود متونها وأزال خلافها وأدر عليها من سماب بره أخلافها خرج متفقداً لأعمالها . وجايا الخراج من عمالها ، ومهد أطرافها . ووطأ أكنافها . وسهل منها صعب الأماكن . وأمن الطواعن والسواكن . وانتزع الكرك من أيدي المتغلبين عليه بسعده . وشحنها بطائفة عظيمة من جنده . وسلط عرب السردية . على القبائل الصخرية ^(١) وأصحابها رجالات من جنده وأميرهم خليل أغا طوبال . فظفروا بهم وسقوهم من البأس كاس وبال : وغنموا منهم خمسة آلاف بعير . ثم جاء بني صخر من قومهم مدد ونفير . واقتتلوا إلى أن حجز بينهم الظلام . وعاد خليل أغا غائماً تحق عليه من الظفر أعلام . ثم خرج مولانا الوزير إلى الحج الشريف . بعسكر حافل كثيف . أعدادا يضيق عنهم الفضاء . وأنجادا يزهو بهم النفوذ والمضا . ولما وصل إلى معان تعرض له الصخريون طالبين صرهم في ذلك الفج . فأعرض عنهم تالياً لسان حاله (ولا جدال في الحج) والتوى عن مساورتهم . وانثنى عن مراوحتهم ومباكرتهم .

ثم وافي البلدة الطيبة طابة . وشاهد أنوار معالمها المستطابة . في يوم الثلاثاء سادس عشري ذي القعدة الحرام . وتلقاه كبارها على عادة أسلافه وأسلافهم الكرام . ودخل في موكبه والناس ينظرون إليه . وهو يسلم عليهم وهم يدعون له ويردون عليه . وقد ملؤا الطريق وانتشروا في جوانبه وأكنافه .

(١) بنو صخر من قبيلة طيء ، وتجد في هذا الجزء من مجلة « العرب » نبذة من أخبارهم

ووقفوا سماطين على أمانفذه وأطرافه . وقابل الكل بالتبجيل والإجلال .
 وألبس أولى المناصب ملابس عز وجلال . ومنهم الأروع الفطريف . مولانا
 السيد جعفر بن سعيد مرسلإ إليه من حضرة الشريف . أفاض عليه سموراً
 وخصه بجمل التفاته . وجعل إليه كل خطابه وجميع مناجاته . وكذا مولانا
 السيد يحيى بن أحمد بن مساعد . ألبسه عباءة زركشية تسامى طرزها وتصادد .
 ولما توجه مولانا الوزير إلى زيارة جده صلى الله عليه وسلم . علق على
 الضريح النبوي المكرم . لوحاً محلىً بخالص النضار . ومكلاً بمثنى حبة من
 اللؤلؤ الفاخر والياقوت الكبار . قد كتب فيه بخطه السامي ^(١) من مديح سر
 المسميات الأسامي :

بلغ العلي بكماله كشف الدجا بجماله
 حسنت جميع خصاله صلوا عليه وآله
 وكتبه عبدالله الوزير الشهير بجته جي .

ووصل أيضاً بالليل متخفياً إلى المسجد النبوي المنبر . وتصدق على فقراه
 بقدر صالح من الدراهم والدنانير .

ولما تم لعيد ^(٢) شيخ حرب أمده . وأراد الله أن تخر عمده . وتنقض
 أيامه . وتنقوض عن عراض الوجود خيامه . انتزى على حضرة الشريف
 وهو موليه . واجترأ بتولييه . وبعث إلى حضرة الوزير بالمدينة ابن عمه
 المدعو فارس . وأصعبه رسالة مفادها أنه باذل جهده في عمارة طريق الحاج
 بالحفظ والحماية وحارس . ورغبه في السير إلى مكة على الطريق السلطاني .

(١) الكتابة على القبر الشريف وغيره من القبور وكذا التعليق عليه من الأمور المبتدعة
 في الدين الخفيف (وكل بدعة ضلالة) .

(٢) يظهر أن عيداً هذا من آل مضيان شيخ حرب الذين كثر تخرشهم في تلك السنوات ،
 ففي سنة ١١٥٤ كان والى الشام على باشا بن عدى باشا ، وهو أمير الحج هذا العام ، فلما أراد
 الخروج من المدينة إلى مكة أقبلت عليه قبيلة حرب فتصادم معها في العقيق ، وحدث بينه وبينها
 قتال فيه كثير من الفريقين ، ومنهم شيخ حرب ابن مضيان « حوادث دمشق اليومية » ص ٧

واستدني من معتاد صرتهم يانع الحنا الداني . وأعطاه في كتابه على صدق
الطاعة عهدوا وموثقاً مؤكداً مشهوداً . فقال له مولانا الوزير : إذا كان حال
ابن عمك في الطاعة ما ضمنه كتابه . فما باله عند قرب وصولنا يضرب طبله
ويحزب أحزابه . فأعلمه أن ذلك منابذة لحضرة الشريف حيث منهم أن
يتقيثوا ظل إحسانه الوريث . وكان سيدنا الشريف قد منعهم مقرر إحسانه .
وكف عنهم هائل سخايب نيسانه . لأنهم قابلوا الإحسان بالإساءة . وأشربوا
في قلوبهم حب البغى وأداموا احتشاءه . ولم يقوموا بما وجب عليهم من
خدمة الحجاج والعمار . التي هي سبب ذلك الإحسان المقرر لهم والإدراج .
غير أن عيدا كان يتظاهر بالطاعة والانقياد . وينسب إلى قومه ما يبدو من
قطع الطريق والعناد . حتى إنهم لما ثاروا قبيل ورود مولانا الوزير إلى
المدينة بأيام قلائل . يطلبون من سيدنا الشريف المقرر لهم الحال والحائل .
كتب إلى حضرة الشريف يتبرأ منهم . ويعلمه بأنهم عاصون لأمره وأنه
قد بعد في هذا الأمر عنهم . وأحسن سيدنا الشريف لحسن نيته الظن
بقوله هذا واعتقده . وأرسل للملاقة مولانا الوزير بالمدينة أخاه السابق
ذكره وعول عليه في ذلك واعتمده . وسار إلى أن بلغ أثناء الطريق .
فبلغه أن شيخ حرب ذبل غصن طاعته الوريث ، وأنه قاوم وانزى . وانتمى
للمخالفة واعتزى . ونضى عهد حضرة الشريف وخلعه . وبث من النكث
ما حتى عليه أضلعه . وبرأ في ذلك وراش . وغلى في القول وطاش .
وفار فورة ظن أنه بها بلغ السماك . وبذّ معها الأفلاك . واستخف قومه
فأطاعوه من ابن عم وحليف . وانتشروا في الطرقات مترصدين لرسل
حضرة الشريف . وقعد كل منهم بواديه . وبدت من شرهم بواديه وضاق
السيد جعفر بن سعيد بذلك ذرعاً . وسلك الطريق الفرعية وترك القوم
صرعى . وباين الطريق السلطاني ونوى غاية هجره ، إلا أن يطلع الله بالنصر
على عيد بارق فجره . فابّر الله البار الرحيم قسمه . وأبرز ما كتبه في
الأزل ورسمه . وما كان إلا ريثما أظهر عيد بغيه ودقّ زيره . وأوقد ناره
واستدعى نفيه . حتى ثار له الوزير ثورة الأسد الورد . وامتنع له امتناع
صاحب الأبلق الفرد . واقتص منه اقتصاص ابن ذى يزن من الحبشان .

وتركه أخسر صفقة من أبي غبشان . وأرداه وقومه بالذي أرادوه .
وكادهم بالكيد المتين كما كادوه كما سيأتي إن شاء الله تعالى بسطه . وكيف
كان نصيب عيد من الحين وقسطه .

ولما أجاب فارس المقام الوزيري بما تقدم ذكره خلا به السيد جعفر
ابن سعيد ونشر له من مطوي أمر حرب ما يجب نشره . وأعلمه بقصصهم
وأنه وقت الفرصة بغصتهم . وأشار عليه بأن يقبض على فارس ومن معه من
عصاة حرب ويودعهم قلعة المدينة . ويضم إليهم رجلاً من مطيعي حرب
ويكون الجميع بها رهينة . ويرجى أمر صرتهم إلى أن يحج ويعود إليها .
ثم إن نصحوها في الخدمة يدفعها لهم ويكرمهم بالزيادة عليها ، وإنما أشار عليه
بذلك تخوفاً من غدرهم . وحذراً من نكثهم الذي اعتادوه ومكرهم . فإنهم
طال ما أظهروا لأمرأ الحاج أن قدمهم في الطاعة عريق . ثم غدروا بهم إذا
ساروا وتوسطوا الطريق . فقال له مولانا الوزير — بعد أن تأمل بفكر صائب
ورأى غزير — : أما تأخير صرتهم فأفعله تحرزاً من معرفتهم ، وأما حبسهم
الآن فلا أراه . ومن تعرض لي منهم في الطريق فسيقصم الله عراه . فاستحسن
السيد المذكور قوله واتفقاً عليه ، وفوض الأمر في مستقبل أمرهم إليه ،
ودفع المترجم لفارس جواب كتاب عيد ، وسلك فيه طريق الوعد
لا الوعيد ، ومحصله : قد أوصل ابن عمك كتابك . وفهمنا خطابه وخطابك
فما ذكرته من التزام الطاعة . أنت ومن حولك من ذوي ظاهر وذوي جماعة ،
فكونوا على ذلك في جميع الأحوال . أكن لكم بالبر والإحسان خير وال .
وإن وفيت هذا المراد ولزمتموه بترك العناد وإعطاء القيادة . فما تعتادونه من
الصرة يصل إليك وبحلولنا بيدرجل بين يديك .

ثم سافر بعد أداء عصر يوم الأربعاء وهو اليوم الثاني من دخوله . وسار
على الطريق السلطاني متبرئاً من قوته وحوله ولما أناخ بالجديدة دفع إلى أهلها
صرتهم . وأبقاهم على قانونهم وأقرهم . وأخبروه بأن عيداً أبعد في آماله المرمي .
وتقدم بمجموعة من بدر إلى الحرما ، مرتدين بأردية العجب والاغترار :
قائلين : إنا ثقبنا النار ! حنا حاة الدار ! ونزلوا بذلك المعقل الذي لم يعقلوا أنه

لهم يعقل. وزعم عيد أنه يتيخ الحجاج بالحمر. ويأخذ منهم بغيته من البيضاء والصفراء. والقدر يضحك من ورائه ، ويصحك له بفتح أرائه .

ثم وصل كتاب من عيد أيضاً يطلب ماهو لحرب من الضر وما هو لهم عند سيدنا الشريف من المقرر . ودس النكت في مراسلاته. وظن في ذلك البغي طريق نجاته. فأراد مولانا الوزير إهماله بلا جواب. حيث رآه جانب صوب الصواب .

ولا كتب إلا المشرفة عندنا ولا رسل إلا بالخميس العرمم ولكن شفع لدى جنبه أناس من حرب سائرين تحت ركابه. ورجوه أن يجيئه (١) بما لعله يكون سبب السلامة ويصونه عن موجبات اللوم والندامة فرغب في هدايته إلى الطريق الأقوم التي خص خبرها وعم وعمل بإشارة جده صلى الله عليه وسلم في قوله لحدّه على رضي الله عنه « لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن تكون لك حر النعم » وكتب إليه مضمون الكتاب الأول وزاد فيه : (ونكرمك بالقى غرش فليكن منك على قولنا المعول. وإذا وصلنا إلى سوح البيت المنيف نصلح أمرك ونستعطف لك خاطر الشريف فإنه بلغنا أنه متغير الخاطر عليك لأمر وقبائح صدرت منك ونسبت إليك ونخاطبه في تدبيركم والقيام بالدقيق والخليل من أموركم) وأصحبه حامل كتابه وأعلمه أنه منتظر لجوابه ثم رحل في وقت عصر الجمعة ونزل بالهويجة عند ارتداء الشمس بثوب الاصفرار. وجنح إلى البيات ثم ، ليكون عبوره على الحرما ضحوة النهار . فلما مضى هزيع من الليل ومالت الجنوب واضطجعت وهومت العيون للنوم أو هجمت ، جاءه جواب عيد يُبدي في تعنته ويعيد ويطلب ستة آلاف غرش يفرق بها أحزابه ، وألف غرش زعم أن سألني الوزراء أكرموا بها جنبه فبان لحضرة الوزير مكروه وعمه في طغيانه وسكره وتلا لسان حاله (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) و (عما قليل ليصبحن نادمين) ثم أذن بالرحيل وسار بعد الفجر بقليل وظهر له وهو على

(١) من هنا يبتدىء خرم النسخة الثانية .

من جواده إن يكتبه إلى عيد. ويحذره نكت الموقف الأكيد ، وأمر فكتب له يحمل ما سبق ولكن بلين وتهديد . ومزج للوعد بالوعيد . وحفره شديد بطشه وقوي قهره إن لم يشب من خرماءه إلى بدره ، فلما وصل الكتاب عبس وبسر وأدير واستكبر . وعذل حامله وآلاه خباله وآزره جنده المخدول وجباله ونفخ إبليس في أنفه فكان باحثاً عن حنقه بظلفه .

والشرُّ مثل الليث إن تبرز له يبرز على عجل وإن تسكن سكن

وسار مولانا الوزير في أمة وجلالة والحجاج يسرون بسيره ويتفتشون ظلاله ، ويسألون الله تعالى أن يحسن مآله ويبلغه من الظفر بعدوه آماله وهو يتلمظ للطلا والمأم وقد تنكب القوس وجعبة السهام وجرد عن الحد لثامه . واطلع للانتقام غمامه . والموت يشع من ألحاظه ويتصور من ألفاظه وحساماً (؟) يعد بمضائه ويتوقد عند انتضائه .

ولما دنا من الحرمات تقدم بعساكره المنصورة وعباها فكانت خيلها ورجلها على سبعة كراديس مقصورة :

من كل أبلج واضح ذي سورة	يمشي إلى الهيجاء مشي غضنفر
يلقي الرماح بوجهه وينحصره	وتقيم هامته مقام المغفر
وملأت تلك السهول والهضاب ،	ترأر زئير أسد غضاب ،
وإذا نظرت إلى السهول رأيتهما	تحت الجبال فوارساً ونجائباً
وعجاجة ترك الحديد سوادها	زنجاً تبسم أوقدالاً شائباً
فكانما كسي النهار بها دُجاً	ليل واطلعت الرماح كواكباً
قد عسكرت فيها الرزايا عسكراً	وتكتبت فيها الرجال كتاباً
أسد فرايسها الأسود يقودها	أسد تصير له الأسود ثعالباً

وترأت الفئتان وعج الفريقان أهل الحق بالتكبير والتهليل وذو الزين بالعواء والعويل ، وقامت الحرب على ساق وبرز أولوا النجدات والسباق ولسان حالهم يتلو ويستبشرون (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)

وحمل مولا نا الوزير وكماته الأبطال وخالطوا الأعراب في هاتيك المتارس
والجبال . بكل أجرد مهزول عن الجراح مغزول

من فوقه بطل شاكي السلاح له	بقرنه شغف بالحرب مشغول
من معشر خشن قد قال سيدهم	لما تلاقوا مع الأعداء: أأصولوا
صالوا بسرقة بالدماء خضبت	كعوبها تنثني في قدّها طول
صالوا بقوس شديد النصل ثم شد	يد التنبل ثم حديد النصل بل قولوا
صالوا بأسهم شهم إن رمى فرما	ونصله بنياط القلب معقول
صالوا بمدفع منه حين يطلقه	راميه في الجو أصوات مهاويل
كأنه صوت رعد قاصف وله	كالبرق نار به الإبصار مسمول
كان حبه في النار صاعقة	بها رصين البناء هدم ومحلول
صالوا ببندقية بارودها حرق	بكف ذى الأيد منه الزند مفتول
حبّاتها لقلوب القوم خارقة	كان أجسامهم منها غراييل

ولما رأى الأعراب ما نزل بهم من الأمر الباهر حاصوا حيصة الوحش
النافر (كأنهم حمر مستفزة ، فرت من قسورة) وغلبوا هنالك وانقلبوا
صاغرين ومالوا إلى الهرب مسرعين وضاق عليهم الوجوه والمذاهب ولم
يكن إلا قدر فواق حتى صاروا كأمس الذاهب . وطوق عيد الحسام طوقاً
وذوق الحمام فما استعذبه ذوقاً ، بعد أن صار من الفضل كأنه في عقال ، قصره
عن الوخذ والإرقال أخذه الله تعالى بسوء أثره في شريف مكة ووالياها .
ومظالم كان يرتكبها من الحجاج وأهل المدينة ويواليها ، وهذه قدرة الله
تعالى تستنزل الأعصم من هضابه وتأخذ المغتر بأسبابه ، وحمل رأسه إلى الخيم
والعيون ترمقه كأنها سهام ترشقه وكان قد مرّ به قبل يومين والجحود تحفه
كأنه هدى وهي تزفه . فعجب قومه مما كان بين ورده وصدره ونعوذ بالله
من سوء قدره ، وقتل من أبنائه وإخوته وبنى عمه نحو ثمانية رجال كان لهم
في العدوان علو ومجال ، وقتل من أقاربه وذويه أضعاف ذلك ، وكذا جماعة
من زعماء حرب الذين يصدون الحجاج عن المسالك . وتركوا مضرجين في
تلك البقاع وفي لحومهم ولائم للسباع .

سبعون نفساً لعمرى منهم هلكوا
كانهم جيفا أصحاب أبرهة
كان مترسهم وادي محسّرهم
كان حبات رمي من بنادقنا
كان أوصالهم بالتشرب إذ طرحت
كانتهم قوم لوط حين صاح بهم
والرأس من ميتهم فوق الرماح مشى
كانوا يظنون أن الدست تم لهم
زادت مواعيد إبليس غرورهم
بغرهم ويمينهم فيهلكهم
والكيد منه ضعيف والولاء له
وإن كيدي متين قول ناصرنا
قد اصطفى الضيغم الباشا لقتلهم
ليث الكماة معن الدين حتف عدى
كانه خالد في بأسه وندأ
والعون والنصر من رب السماء له
فتح عظيم له بين الورى قصص
وإنه لأولي الأبواب تبصرة
وقوة لقلوب المؤمنين إذا

في ساعة من نهار ما لها طول
كان عيدهم العاتي هو الفيل
كان أبطالنا طير أبيابيل
حجارة قدقها اليوم بجيبل
ومتزقت في الرى عصف وما كول
وقلب الأرض فيهم صاح جريل
والجيد من حيهم في الحبل محمول
وإن طالبهم بالغرم مطول
(وما مواعيدها إلا الأباطيل)
وإن أعدى العدا عمرى عزازيل
عداوة وردى ماضيه تعويل
والضعف بالمتن مبتول ومتبول
من بعد بأس فعبد الله فاصول
سيف الإله على القطاع مسلول
قد صار يزري بمعن فهو مردول
والعز والعمر والإحسان مسؤول
وسعيه الجحد مشكور ومقبول
وحجة لرجال العلم إن سيلوا
يوماً غزوا لا يكن جبن وتفصيل

واستمر مولانا الوزير ثم ، على ذروة جبل ، يستقي الأعراب من صاب
بأسه عللا بعد نهيل ، إلى أن مر ساير الحجيج ولهم بذكر الله على هذا الظفر
زجل وعجيج ، ثم انصرف وأعلامه ترقص في أكف الرياح والفوارس
بين يديه تخال من الارتياح ، وسار إلى قرب العصر فأناخ بقريتين متصلتين
قريباً من بدر تعرفان بالبركة والفارعة ، والأعراب قد حلت بهم المثلات
ونزلت بهم الفارعة . ونهبت دور وأسواق بالخرما والواسطة ، وجدت بهما
نخيل للقبائل الحربية القاسطة ، وحل الجند الوزيري نحو خمسين رأساً من

رءوس الأعراب القتلى ونسخوا آيات مظلالم لهم كانت دهوراً تذكر وتلى
واستقر مولانا الوزير بالمنزل المذكور وسعيه الجد محمود ومشكور. وما كان
إلا ريثما اضطجع ليستريح بإحدى القباب الموطدة له بهاتيك الرحاب الفيح،
وإذا بطائفة من الأعراب المهزمين تسوروا قنّة جبل هناك وأخذوا يرمون
حجاج المسلمين فنهض الحناب الوزيرى بقوسه وسهامه ولحقه طوايف من
أجناده وخدامه وسقوا من دنا أجله من أولئك الرماة كأس حمامه وعاد
محفوظاً بالظفر إلى رحله وخيامه .

ثم صاح صائح قبل سكونه واستقراره بأن الأعراب سدوا عيون ذلك
المنزل وسكروا مجاري أنهاره ، فركب بنفسه الكريمة مصرخاً صرختهم
ثم رجع وقد كشف غمهم .

ولما مضى هزيع من الليل وجر نسيم الكرى على حدائق الأحداق
الذيل، وصلت كتب من أهل بدر وهم قبائل صبح يسألون فيها الأمان والصلح
فأجابهم مولانا الوزير إلى ما اقترحوا وأعرض عما اكتسبوه من السيئات
واجترحوا .

ثم سافر في وقت الفجر إلى القرية المعروفة بيدر التي أعز الله بها المهاجرين
والأنصار ومكث بها جانباً من نهار . ثم رحل وكان يوماً حراً شديداً كأن
الهواء فيه جمع في مجامع الحديد بحيث صار الناس فيه من كثرة العرق، كأنهم
في جوف حمام أو بحر من مرق ، وأصاب الحجاج بسبب ذلك غم كبير
ومات منهم خلق كثير ولم يقف بعد ذلك أحد من الأعراب أمامه ، واختاروا
لأنفسهم من بأسه العافية والسلامة ، لأنهم لما بلغهم فعله بشيوخهم مع
تمكنهم من العدو ورسوخهم دبّ الفشل في حواشي أحشائهم وسرى الخوف
في تضاعيف أعضائهم فجفلوا من قراهم ، وتركوا ربهم وقراهم .
وأخاف أهل البغي حتى إنه لتخافه النظف التي لم تخلق
آخر :

وقد وجلت قلوب منه حتى غدت أوجالها فيها وجالا

ودام صان الله مجده سائراً بحجابه . إلى أن نزل بفناء البيت الحرام
وفجابه . وركب إليه سيدنا الشريف في جلته وتلقاه في أعيانه وجلته
وقابله بمختلج الزاهر المنيف ، وفيأ كل منهما الآخر ظل لإجلاله الوريث
ثم ركب مولانا الوزير إلى نعيم الأبطح ونزل بمنزله الأزهر الأفيح . وقضى
وحجابه ما عليهم من المناسك ووقفت بينه وبين سيدنا الشريف ألفة أثلجت
كل قلب ناسك ، وأحسن إلى جيران بيت الله الحرام وأدرّ عليهم مدرار
نيسان إحسانه ووالى وعلق بيده الشريفة على مقام السيد إبراهيم الخليل لوحاً
كتب فيه بخطه الجليل .

إله " مالك " مولى الموالى له وصف التكبر والتعالى

وكتب عبدالله الوزير الشهير بمجته جي . ودفع صرة عيد المقتول وغيره
إلى أبي ثنيان هزاع بن مبارك بن مضيان بعد أن ولاه سيدنا الشريف
شيخاً على القبائل الحربية ، وألبسه كل منهما فروة بيضاء سنية .

وعند^(١) هذا شاعت بمكة أخبار . بأن بدوى بن عيد لم يقر له بعد قتل
أبيه قرار . وأنه استدعى قبائل حرب والحلفاء . وثورهم لئلا أشياخهم فثاروا
له واتخذوه خلفاً ، وأجابوا المناديه وانحشروا لناديه . وأقبلوا من كل حذب
ليقعدها على رعوس الجبال وأذئاب الأودية . ويستولون بزعمهم على الحجاج
أو أموالهم إذا مروا بهم قصاصاً أودية . وصار لسان حالهم يتنادي على قن
الشواهي والبوادي : إن أمير الحجاج وإن قتل رجالنا . وبدد كماننا وأبطالنا .
فلا بد لنا من الانتصار . وإثارة الأعوان والأنصار ، وأذى الحجاج شنشنة
عرفناها . وعادة فساد ألفناها . ومن أسلافنا اقترفناها . وكم نهينا من زينتهم
ولا قذفناها . وأعطي بعضهم بعضاً على ذلك عهداً وأيماناً وتوأمروا عليه
زورا ووهبتاناً وتواعدوا بالنصر وما يعدهم الشيطان إلا غرورا . وأملاك
السماء تقذفهم من كل جانب دحوراً .

وكتب إبراهيم أغا المعمار من المدينة إلى مولانا الوزير بذلك فلم يكثر ث

(١) هنا ينتهي الحرم في النسخة الثانية .

بمجموعهم المأخوذ بنواصبها إلى المهالك. واستخدم رجالا من المغاربة والأتراك زيادة على رجاله. وصمم على الرجوع من الطريق السلطاني مستدراً من نصر الله أخلاف بحاله. راكباً في ذلك متون الحد غير مكترث بخطر. راجياً من الله استيصال ذوى الأشر والبطر. ولسان حاله يقول قولاً تدله صهباؤه العقول.

ما همى إلا مقارعة العدا خلق الزمان وهمى لم تخلق

وبينا هو أدام الله سعوده. ولا أعدم المسلمين وجوده. على ذلك العزم والتصميم. إذا براكب أزعج الظاعن والمقيم. وفجأهم بخبر أنكى من وخز الإبر. وهو أن الأعراب عزموا على سدّ العيون وتغويرها. وطمس الآبار والأنهار وتدميرها إلا بعضاً منها يضعون فيه شيتاً من النباتات السمية ويقتلون بذلك واردة الحجاج بغياً وعدواناً وحمية. فأخذته حينئذ الشفقة على حجاج المسلمين وأشار عليه سيدنا الشريف بأن يأخذ على ذات يمين. إلى أن يمر عليهم في السنة الثانية. ويستعد لكيدهم الذي أسسوا مبانیه. مفوضاً الأمر إلى رأيه الراجح. وفكره الناجح. فأمعن في ذلك نظره السديد وأجال جواد رأيه في ميادين التسديد. فأشارت لوامعه البرقية. بأن الحزم في السير على الطريق الشرقية. إذ لا دواء للظلم العام. الذي يشمل الأناسى والأنعام. إلا مجابهة مسالكة ومباينة مهامه ومهالكة. سباً في وقت المصيف. بقطر الحجاز المنيف. حيث تنهج حرارة كرضف النيران. وتصير قفاره كسراب الظمان.

وأحزم الناس من لومات من ظلم لا يقرب الورد حتى يعرف الصدر
يهون بالرأي ما يجري القضاء به من أخطأ الرأي لا يستذنب القدر

وأرجأ أمر الأعراب إلى العام الآتي. لينظر في أمر الماء ويكيد بكيده المتين كيدهم العاني. راجياً ناصره ومولاه أن يبلغه أملة فيهم ومناه. وأن يعيد له على ديارهم البكرة ويظفره بهم ثانياً كما ظفره بهم أول مرة. فإما إنهم يفيثون إلى أمر الله ويرجعون أو يجري من نخورهم دماء كالعيون

ثم سافر على الشرق تهادى به الرواحل. وتهاداه المنازل والمراحل.

وزهور العنابة تضاحكه ثغورها البسامة. والديم تسقي يمينه وشماله وأمامه بحيث صار الحجاج ينزلون في كل يوم على ماء زلال ، بل يعمرون عليه في كثير من أوقات سيرهم ويتقيثون من عارض المزن وريف الظلال، وكان سفره من زاهر مكة بعد أداء صبح يوم السبت الحادى والعشرين من ذي الحجة الحرام سنة إحدى وأربعين ومائة وألف ومات في هذا اليوم دواب وأناسي ذوو عدد لشدة الحر وقوة الومد. وكان سيره أربع عشرة ساعة ونزل بوادي الليمون وتسميه الحجاج المضيق ومكث فيه بقية ليلة الأحد ويومه وليلة الاثنين .

وأذن بالرحيل في الساعة السابعة من يوم الاثنين وسار ست عشرة ساعة إلى غدير سَلْحَة بمهملتين مفتوحتين بينهما لام ساكنة عوضاً عن منزل الضريبة بفتح الضاد المعجمة وكسر الراء .

ثم أذن بالرحيل في الساعة السابعة من يوم الثلاثاء وسار قاصداً بركة زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر عبدالله المنصور بالله الخليفة العباسي باني بغداد ، واسمها أمة العزيز وزبيدة لقب لها وتلفتت الشمس في ذلك اليوم بمطارف الغمام فما ترى ، وبكى السحاب فنضح رذاذه وجه الثرى . ثم نزل قبيل المغرب على الحجاج ودق عظيم وبرَد صار على وجه الأرض كثير عقد نظيم. وبركت الإبل وغاصت في الزلق حوافر الدواب. فأمر حفظه الله تعالى بالمبيت هناك وكان ذلك عين الصواب لأنه لو دام على سيره لذهب كثير من الحمول والأموال لتكاثف الظلمات وكثرة المياه والأحوال. وصا يحوط الحجيج بنفسه الكريمة ويعطب بنظره السديد نفوسهم السقيمة. إلى أن ابتسم ثغر الصباح . وبرق بارق الفجر ولاح. فرحل وسار ووصل إلى البركة المذكورة في الساعة السابعة من يوم الأربعاء ، وهي بركة عظيمة البنيان . قد تهدمت منها لقدمها الأركان بحيث صارت ذات فرج وحفت بها من سائر حول جوانبها الدرج ليلبغ الورد من الورد والصدر منها المراد وحولها غدران عظيمة وآثار برك قديمة قد لاحت مبانيها ودلت على قوة بانها

فرحم الله من جدد بنيانها . ورفع معالمها وشاد أركانها . وكانت مدة السير في هذه المرحلة اثنتي عشرة ساعة .

ثم أذن بالرحيل في يومه ذلك وسار اثنتي عشرة ساعة إلى غدير مسّلع بميم ولام مفتوحين بينهما سين مهملة ساكنة آخره حاء مهملة نزل بها بدل منزل الفريغ بضم الفاء وفتح الراء مصغراً .

ثم أذن بالرحيل وسار عشرين ساعة إلى غدران قرب صفينة بالمهملة فالمعجمة والتصغير قرية شيخ مطير سلطان بن غبّس بفتح المعجمة وسكون الموحدة .

ثم رحل وسار اثنتي عشرة ساعة إلى السّوارقية قرية الأشراف بني حسين ونزل قريباً منها وامتار الحجاج شيئاً ما منها .

ثم رحل وسار عشر ساعات إلى غدير الزبائر بفتح الزاي والموحدة فألف فثناه تحية آخره راء بدل الحجرية بكسر المهملة وسكون الجيم . ثم رحل وسار أربع عشرة ساعة إلى غدران خراب ^(١) بفتح المعجمة والراء آخره موحدة قبلها ألف .

ثم رحل وسار اثنتي عشرة ساعة إلى سد زبيدة ٥

ثم رحل في الساعة الثامنة من يوم الثلاثاء وسار ونزل قبيل المغرب بعد انفصاله عن المضيق المسمى بالحنق بفتح المعجمة والنون وبات هناك .

ثم رحل بعد أداء فريضة الصبح وسار ووصل إلى المدينة المشرفة في وقت الظهر من يوم الأربعاء ثالث محرم الحرام سنة اثنين وسبعين ومائة وألف .

وكان وصوله إثر يوم جمع فيه الفيث وهما واردغت الطرقات بماء السماء وعم الوحل فقصر الدواب عن الوخد والإرقال أى قصر . ولذلك لم يتكامل دخول الحاج إلا في وقت العصر .

(١) كذا خراب وقد تكون (غراب) بالفتن المنجمة .

وكانت مدة سير هذه المرحلة التي أرتنا دار الحبيب وبقاعه. اثنتي عشرة ساعة فجملة ساعات سير الحجاج في الطريق الشرقية مئة وثمانية وثلاثون ساعة فلكية. وذلك بالإقامات لأداء الصلوات المعروفة الآن بينهم بالتعويقات. وساعات المراحل المذكورة بضبط رب المساعي المشكورة الباذل نفسه في خدمة حجاج المسلمين والفائز من القرب من حضرة والى الشام الشريف بالعقد الثمين السيد حسن شحادة كان الله ملجأه وملأه وأقام مولانا الوزير بالبلد النبوي الأزهر بقية يوم الأربعاء ويوم الخميس ويوم الجمعة الأغر. سافرا عن المكارم لثامها ومطلعا للمراحم غمامها. وقتل به من قطاع الطريق خمسة أشخاص وأكثر. وثمار إحسانه لأهل الحوار النبوي نجني وتثر.

ثم خرج إلى الجرف أوائل يوم السبت سادس محرم الحرام. ورحل منه بعد أداء ظهره ظافراً من الشفاعة الخاصة بالمرام مخدوماً بأيدي الأقدار. محروساً من عوادي الأكدار ممتطياً مطايا السلامة، ناشراً على مناكب العناية الربانية أعلامه.

ومما قيل من الشعر في إيقاعه بحرب وما قل الله لهم به من غرب. قول الفضال البارع والمقوال الساجع مولانا السيد جعفر بن محمد البيتي باعلوى^(١)

بعبد الله باشا زال حمي	وهم المسلمين وكل غم
سقى بيد الردى أشياخ حرب	كؤوساً شأها صاباً بسم
ولا جزع فنفس عدل نفس	أضيعت عندهم ودم بدم
فتسعة رهط منهم آل بدو	وباقهم لهم أبناء عم
شيوخ قط ما دانوا لحكم	ولا ابتدعوا سوى جور وظلم
وقد أكلوا الرشا تسعين عاماً	على الحجاج من عرب وعجم
تراها جزية وضعت عليهم	بغير جناية وبغير جرم
وكم أمراء قد غصبت عليها	وساقوها على ذل وهضم

(١) أشهر شعراء المدينة في ذلك العصر، وله ديوان مخطوط، وكتاب «مواسم الأدب»

مطبوع ولد سنة ١١١٠ وتوفي سنة ١١٨٢

وكم نهب وكم هتك وقتل
تقضت دولة السفهاء عنا
فهذا أول الفتكات فيهم
أبوا ما يسمعون الحق طوعاً
بأسيف له سيقت وبالا
وفرسان بخيل النصر تعدو
فبشرانا وبشرى كل أرض
وغوث للعباد وغيث خير
ألم تر كيف عاد الأرض عيد
وويل للعصاة ومن تعدى
وويل للضلال وما بناه
هنيئاً سيرة العمرين عادت
بدولة (مصطفى خان) المرجي
وشاع القتل في شيع المعاصي
فقل لهم الدجاجة تلك ماتت
أبى أن يراشي قوم عاد
أخا العزمات قدّمت الضحايا
شكايانا كثير غير هذي
رماهم ربهم بك فافترسهم
ولا تبق أصول البغي تنمو
ونرجو أن تدوم لنا نصيراً
بلغنا الجهد من جوع وعدم
وسكين النوائب مزقنا
وهذي الانتباهة بعد نوم
رأى الملك الخليفة فيك رأياً
تمهدها له من باب روم

وكم بغي لهم وعظم غشم
بأروع صادق العزمات شهم
وسيف صيغ من حزم وجزم
فجاءهم الذي يعمي ويصمي
وسمير من رماح الخط صم
تسد الجو من يلق ودّهم
يحل بها بإخصاب وغنم
ولى بين أيديه ووسّمي
بوطأنه ودام الغيث بهمي
حدود الله من هصر وكظم
ولاة الجور من هدم وردم
بأحسن سيرة وبعدل حكم
تسارعت الحياة لكل جسم
وعمّ الويل من نقص وخرم
ووارث ييضا مناع رسم
وأن يغضي على ضم لطم
قد استفردت فاذبحهم وسم
وأنت بدأت بالأمر الأهم
وعاجلهم بسهم الموت وارم
وقس هذا على سدر وكرم
وتقضي بيننا مع كل خصم
حماك الله من جوع وعدم
وبلغت الحزوز بكل عظم
طويل للزمان وطول حلم
مصييا في عظيم النجع جم
إلى الأحقاف تمنعها ونحي

جمعت الفضل من شرف وعلم فأتى الله دولتكم علينا
 وفزت من العلى بأجل قسم فتوحات لكم وسعود نجم
 تكون على كعب الرعية خير تداوى حالها من كل سقم

وقول الأوحى الذى سمعت في محارب الطروس بمدحه الأقلام واهتزت
 لوعظه المنابر وتولت الأحلام مولانا الخطيب محمد أفندي الخليلي^(١)

أتى الله إلا نصر آل محمد وخذلان حرب بالتكال المؤبد
 ووطأتهم تحت الحوافر كى ترى وتظهر عقبي كل عز عمرد
 وإيلامهم ظهراً لبطن وقهرهم وتنزيلهم من كل حصن ممرّد
 فسل طاشة عن حال طيش عقولهم وعن مالتوا من شؤم يوم ومرصد
 فلم تغن عنهم كثرة ومعافل ولم يحمهم شيء من الهلك في الغد
 وقد أصبحوا والكلب منهم نجرة كلاب من الرجلين والرأس واليد
 أذاقهم كأس الردى وأبادهم وعرفهم فتك الحسام المهند
 وصيرهم بالضرب والطنع عبرة لمن بعدهم من كل جان ومعتد
 وزير الورى رب القرى واسع الثرى منيع النرى راقى السليم المسهد
 عظيم السطا عبد الإله أخو الندى سهام العدا مروى الجراز المجرّد
 وزير ولا مثل لهذا فلا تقس به غيره فى العزم أو كفه الندى
 وزير أدام الله أيامه لنا وخلّدها فى خير عز مؤبد
 وزير عليه هيبة وجلالة وأنوار تشرىف ومجد موطد
 وزير يرى ترك السؤال جناية ويقبل بالبشرى على كل مجتد
 وزير حوى عزاً ومجداً وسودداً وماضى عزم فاق كل مجسّد
 بهمنه يستسهل الصهب ديمة ويقطع فيه فدفاً بعد فدفاً
 فكم قد روى الأبطال عنه وأسندوا فياحسن إسناد روّوه ومسند
 فما هو إلا الغيث يرجى أنجماله فكم قد همي شبه الحمان المنضد
 وما هو إلا كوكب السعد ساطعاً ينير الدجى من نوره المتوقد
 فيا أيها السامي العزيز ومن له صفات حسان قد سمعت عن تعدد

(١) مترجم في «سلك الدرر» ٣-٦٠ ولد سنة ١١٢٣٠ وتوفى سنة ١١٨٢

نهنيك بالنصر العزيز على العدا
تمادوا على ذاك الغرور وما دروا
وانك ذو بطش شديد وهمة
وانك منصور مهاب مظفر
وهذا هناء للبرية شامل
ودونك يارب الفخار قصيدة
تجرر أذيال الحياء وترنحي
فلا زلت في عيش هنيء ورفعة
وذكرك بالإقبال والفضل شائع
ولا زلت منصوب اللواء مملكاً
مدا الدهر ما صلى وسلم ناسك
كذا الآل والأصحاب ما ارتاح آمل
وما قال مسرور الفؤاد بنصره
وقول ذي الصفا والفتوة حسان أهل
أقبل النصر وجيش الفرج
واستنارت شمسنا بعد الدجى
مدحى الشام وزير أكرم
خير باشواتها أشجعهم
وهو عبدالله باشا من غدا
حجّ بالناس وزار المصطفى
كيف لا وهو شريف قد حوى
سار لما زار محروساً وقد
فاعتدت حرب على الحجاج في
فأباد الله خضرا رأيهم
كان شيخا فيهم رأساً لهم
صارت الصفراء حمراء دما
هكذا مصرع أهل البغي في

برغم أنوف من عداة وحسد
بأنك فيهم لست بالتردد
وعزم وتدبير ومجد مخلص
على كل من ناواك في كل معهد
وهذا سرور عم كل موحد
على عجل وافتك من غير موعد
قبولا وإقبالا وحسن تعهد
ولا زلت من بين الملا خير أوحد
بروح على مر الزمان وبغتدي
تحوطك آيات الكتاب المجد
على صاحب الحوض النير المبرد
وأيقن بالمطلوب في كل مقصد
أبى الله إلا نصر آل محمد
بيت النبوة مولانا الشيخ محمد سعيد سفر
واستقام الأمر بعد العوج
واهتدينا بنهار أبلج
أعظم القدر عليّ الدرج
في الوغا أصدقهم في اللهج
حجة في الحق أقوى الحجج
وارتوى من فيض تلك اللجج
نسبة للمصطفى ذي البهج
بلغ المأمول منه المرتجي
موضع بالجمع منهم حرج
وغدا عيدهم لم يعج
فتواري رأسه في الهج
ولسكم سالت بها من مهج
من مضى في بغيه أو من يحي

إن هذا ثار قوم قتلوا
ولقد حُزّت وزير الشام في
عام غيث جانا تاريخه
مع نصوح الخير يوم الهويج
حجة أجراً بأزكى الحجج
(طاب عبد الله باشا شنجي)

١١٧٢

وقول الأجد الذي أدرك بالهزلة عن الابتلا مطارفه . وأذعن له من
غريض القريض تالده وطارفه . مولانا السيد علي البرزنجي
سل الحسام على العدا من غمده
فوق الجهاد الصافنات عروشها
ياقتلة في آل حرب لم تكن
دهشت لشدة بطشه ألباسها
في معسرك الحرما رؤوس شيوخها
ذهب الزمان بسعدها وبعيدها
ياويلها من بعده ياويلها
كنا نحذرهما المليك وسيفه
حتى رأيت سيفاً أصاب ذبابه
إن لم تدع عنها الضلال وتعتبر
منها وآلافا لآله ينيلها
ليث الوزارة ضرغم الهيجاء من
جنتجي عبد الله والمنصور بالنصر
حامي حمى الحجاج فوق جواده
وكذي الفقار حسامه فادعوه
لم لا وفي الهيجاء كره على العدا
لم يأت وال مثله بإصاح بل
قزم إذا حمى الوطيس رأيت
حبر همام بارع ذو نخوة
شهم نعوت الفخر فيه تجمعت
لازال بالنصر المؤبد ظاهرا
وأذعن له من غمده
مولانا السيد علي البرزنجي
ورقى إلى شم الجبال بجنده
وأذاقهم كأس الردى بفرنده
أبدأ لعمرك أنبأت عن جده
ولخوف سطوات المنون وأدّه
ملأت بها الغبرا صوارم أسده
وأناهم خطب الزمان بصدّه
لا عيد تلقى ويلها من بعده
قدماً فقالت : سيفه في غمده
فرقت فأنتى لو أصاب بجده
بدوي مضيان البغاة وسعده
ضعف الذي قد نالها من عبده
شهد الأنام بجده وبمجده
الذي برقت بوارق رعبه
بالنبيل والغضب الذي في زنده
بالكرار كالمولى علي جده
لما إلى الحرما اتته لصدّه
ماقلدت صيد الولاة كعقده
كفضفر ألقى يديه لصيده
برجواد صادق في وعده
وحوى الذي عجز الورى عن عبده
من ربه ومظفر من عبده

تم الصلاة على المؤيد بالظبا والآل والصحب الليوث ووفده
مافى سماء النصر أشرق بدره وتبلجت فيها مطالع سمعه

وقول ذي الفكر الصائب والذهن الوقاد مولانا الشيخ محمد سعيد أفندي.
حفيد الملا حماد^(١) :

الدمر أقسم صادقاً	والحق بالتعمى أجابه
أن الزمان لعمره	يسران صاح فذع عتابه
واسكن بدار محمد	متأدبا والزم رحابه
لا تشك من ضيق المعاي	ش فرينا قد سد باباه
وكذا المسىء فلا تخفه	فسوءه فيها أذابه
لم لا وسلطان البسيطة	(مصطفى) سهم الإصا به
غوثُ النداء غيثُ النداء	حتف العدا رب المهابه
قد سار فينا سيرة العم	رين ما بين الصحابه
فحمى حمى الحرمين بالسيد	ف السذى جافى قرابه
أعنى جلا الملون عبد	الله من قذل الكآ به
تاج الوزارة ركنها	وحسامها الموري شهابه
ذا البطش في هول الوغا	والبسط في أهل الإنابه
والحزم في أرائه	والحزم إن أمر أرابه
ما صارخ يلوي به	إلا ويكفيه مصابه
ما معضل يثوي به	إلا أذل له صعا به
أو ماترى الأعراب في	أطوادها تخشى عقابه
أو مصادى مغناهم	بخيوله ودحى هضابه
أو ماسقى في معرك الحرم	دما حرب حرا به
فكفاه من ثمر الحوا	سد ربنا وحمى جنا به
وجزاه خيراً لا نطق	حياتنا نخصى حسابه

(١) ولد سنة ١١١٨ وتوفى سنة ١١٧٨ « سلك الدور » ٣ - ٦٤

وإليه من وشى البدا نـع بالمعاني المستطابه
تاريخ عام وفوده لينال بالمهادى ثوابه
وافى بترجم قائلنا ياذا الرجا فاسمع خطابه
نـم إن عبد الله باشا الختجى أمن لطابه

١١٧٣

وقول أوحـد الخطباء الذين صيغت لأخصهم هام المنابر وحليت بعقود
مناقبهم أجياد الدفاتر ، مولانا الخطيب عبد الله المنوفى

قد شرفت بقـدومك الأوطان
وتهللت فرحاً بك الأزمان
وتبسـم الدهر العـبوس وأشرقـت
بسنا محيّاكم لنا الأكوان
وترنمت طرباً حمامات الحمى
وحلت بنغمة لحنها الألحان
وبكى الغمام على الرياض فأزهرت
منه الغصون فيألفها أفنان
فرحاً بنور صباحكم هذا الذى
قد لاح منه البشر والبرهان
لله من يوم وافى لنا
صدر عظيم عزّ منه الشان
جتجّـبها المشهور والأسد الذى
أضحت تـساب لقاءه الشجعان
من خوف سطوته التى لو صادمت
جبالا هوت بجميعه القيعان

فالموت يرعد خيفة من بطشه
 والأسد في آجامها والجاذ
 فهو الذي إن جرّدت أسيفه
 خاضت له بدما العدا فرسان
 في الحرب إذ قامت على ساق لها
 وتأجّجت من حرّها النيران
 وأقيم من نفع القتام عجاجة
 وأضلّ جيش سعوده العقبان
 هذا هو البحر الذي وافى لنا
 من فيض فائض فضله طوفان
 والبرّ من مدت موائد بره
 تسعى إلى الوفاة منها كايوا
 لله من سامٍ تسامى قدره
 وله ملائكة السما أعوان
 يلقي العفاة بعفوه ونواله
 ولئن طغى فلسيفه طغيان

قد جاء في عيد وحرب نقمة
 ونحصنوا الخسما وظنوا أنها
 ورموا على الحجاج ظلما واعتدوا
 فرماهم من فوق أنعام له
 لم يشعروا إلا وقوق رؤوسهم
 وغدت رؤوسهم بقاع بطاحها
 ورحاء حرب قد أديرت فيهم
 لما بغوا ولعهدهم قد خانوا
 متحصن تحمي بها الأوطان
 فأصابهم من بغيم خسران
 بمدافع هدمت بها الأحصان
 حام الحمام وسيفه الغضبان
 منشورة يأوي لها السرحان
 قاست على ساق لها سيقان

ولسوف تخلو عن قريب دورهم
من عائد السلطان ليس يحيره
فلكيف لا وسهامه وحسامه
السيد السند الشريف الكهف من
وكبرهم وغتهم وفقيرهم
ذو المنهل العذب الذي يروي بما
حاز العلاء بجده وبجده
فهو الذي عشقته أذان لنا
حتى بدا كالليث فوق جواده
فرايت وصفاً بارعاً في نعته
وافى لطيفة زائراً خير الوري
فاهناً بها واشكر لمولاه الذي
وانظر بعين رضا لسكان بها
لازلت في حفظ الذي عم الوري
متأبداً متأبداً بالمصطفى
وبآله والصحب ما بدر بدا
صلى عليه الله مابرق سري

وبصيح فيها البوم والغربان
مما اجتراه أنسها والجان
هذا الوزير الفاتك والطمان
تأوى إليه السادة الأعيان
فيجمعهم من فضله الإحسان
قد صح عن خلقه القرآن
وبعدله فاخصه الرحمن
من قبل أن ترنو له الأعيان
حفت به الأبطال والشجعان
ونظرت صدراً باله إنسان
ولمن هم في جبه سكان
وافاك منه الفضل والغفران
فهم لجذك في الحمى جيران
من فضله الإنعام والإحسان
طه الذي أسرى به المنان
فتشعشت من نوره الأكوان
أوجال رعداً أو سرت ركبان

وقول الأوحى الذي طاب من منهل مكارمه المورده والمصدر ،

محمود جوريجي حيدر :

يا عصبه كفرت بنعمة ربها
قد أمهلوا دهرأ فزاد فجورهم
ما زاد من جعل الخديعة مذهبا
انظر لعبد كيف حل بمكره

وبغت على الحجاج والزوار
تباً لهم من عصبه فجار
المكر معقود بذيل العار
فانهار في الحرم ما بجرف هار

جمع الجروود على الحجيج وترسوا
قطعوا الطريق فكان قطع هباتهم
كم عفروا في الترب جهة محرم
وقتلهم لو كان راعي شاتهم
يعطي لهم دية القنيل وصره
وبخيمة الوزراء صولات لهم
حتى أتاها ضيفهم في حففل
ذو همة تزرى بكل متوج
أسد يقود الأسد وهي عوابس
خاض العجاج بهمة علوية
ثارت عزيمة منجديه بصولة
وتحصنوا بالطنن في نحر العدى
ورق لهم شم الجبال يياتر
من رعبه شكت الديار توحشا
يا تحجل الوزراء بالفتك الذي
فالغور غار إلى الجحيم بأهله
ما عيدهم ما فارس ومفسوز
نثر العدى بسهامه وحمامه
شكرت أياديه الأنام وعضبه
شيدت مجداً لا خسلاك مجددا
حزت الفتوة والمروة عن اب
ضن الزمان فليس يولد مثله
أنت الشريف بن الشريف الهاشمي

حتى تردوا في حضيض النار
منعوا من الأجواخ والدينار
فقدارهم مهامه الأخطار
يمسي سرياً نجمل عبد الدار
لوليه في كل عام والأمير بداري
فكأنهم أمنوا من الأقدار
آراؤه والعزم سهم ساري
ماهه إلا لأخذ الثار
لا ينثي عما قضاه الباري
والموت ماضي الشفرتين يباري
تركت دماء القوم كالأنهار
عاضت عزائمهم عن الأسوار
فتحصنوا من بأسه بفرار
والغور مقفر الجواب عار
صنت الحجيج به من الأشرار
والخيف خاف من الهزبر الضاري
فرت المنايا هامهم بشغار
كهباته بالسُّر والأجهار
والوحش حتى الطير في الأوكار
أما بوضع السيف في الفجار
والجود طبعاً والوفا بالجار
من بعد أو في سالف الأعصار
الطيب الأعراق من أطهار

آل النبي وروح أشباح العلي ونجوم أفلاك الهدى للساري
وتن في شرف وعز دائم مهاب ربح النصر في الأسمار

وحيث وقف بنا عن الطراد في مضمار ماتهمنا به جواد البيان ، وألقى
عصا التسيار في فدافده ظاعن البنان ، فأقول رافعا إلى الله تعالى اكف
الابتهاال والضراعة ، متوسلا بصاحب (١) المقام المحمود ومالك أزمة
الشفاعة : اللهم يا واجب الوجود ، يا من شعاره الفيض والحد أسألك بجاه (١)
مصطفاك من العالمين ، ونيك الذي منحتني في قبره إجابة المصلين عليه
والمسلمين ، أن تمد من أروقة المجد سرادقها ، وتشر من ألوية الحمد خوافقها ،
على مفارق هذا الهام الذي انطت به أمر الجمهور ، وجعلته سيفا على الطغاة
وسدادا للشعور ، ونظفـره بتحقيق الظنون ، وتؤيده عند التوجه إلى كل مطلب
بقول كن فيكون ، وتزيل بعدله الجور والمظالم ، وتستأصل بسمهريه
شأقة كل ظالم ، وتحرسه من عوادي الخطوب ، وتمده بمدد سماوي ينهل
جائده ويصوب ، وتدر عليه نعام لطفك الدار ، وتديره معه كيفما دار ،
وتجعل فوائحه تفضي به إلى حسن عاقبة ختامها مسك أذفر . وطواله السعيدة
تنهني به إلى رضوان من الله أكبر ، لهجا لسانه بذكرك مبهجا جناحه بشكرك ،
وعلى سيدنا محمد هادي الأنام أفضل وأزكى السلام ، وعلى آله وأصحابه
الغـر الكرام ، ما طرزت حلل الطروس بطرار السكلام ، وطاب بذكر الله
مورد الافتتاح ومصدر الختام .

وكان الفراغ من كتابتها يوم الجمعة الأغر رابع عشر جمادى الآخرة
سنة ألف ومثن وأربعة والحمد لله رب العالمين .

(١) التوسل بذوات الأموات لا يجوز شرعاً ، والتوسل المشروع يكون بالأعمال الصالحة
والسؤال بجاه الرسول صلى الله عليه وسلم بـدعة

بلاد قبيلة الحجر وفروعها

(كان ممن استجاب لدعوة هذه المجلة للمشاركة في وضع معجم جغرافي شامل لجميع أجزاء بلادنا الأخ الأستاذ عمر غرامة العمروي . فوضع مؤلفا عن بلاد قبيلته الحجر ، وذكر فروعها ومنازلهم في السراة وفي تهامة^(١) . وقدم مؤلفه هذا لصاحب المجلة ، فأبدى له ملاحظات سار على أساسها حتى أصبح الكتاب معداً للنشر ، وماهى ذي المقدمة التي وضعها صاحب مجلة « العرب » لذلك الكتاب) .

منذ مايقرب عشر سنوات وأنا ألقت نظر مثقفي بلادنا إلى شدة الحاجة إلى وجود مؤلف جغرافي يتضمن جميع أسماء المدن والقرى ومناهل البادية والمواضع التاريخية المشهورة من أودية وأمكنة مسكونة أو مواضع أثرية ، ولقد استجاب عدد من أبناء هذه البلاد فاتجهوا لتأليف كتب كل عن منطقته مما يبعث الأمل بأن الرجاء قد تحقق وأن القارئ سيجد بين يديه نواة صالحة لتكون أساساً لهذا المعجم الجغرافي الشامل .

فقد كتب الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي عن منطقة جيزان .

وكتب الأستاذ علي بن صالح الزهواوي عن بلاد غامد وزهران .

وقد قامت دار الجامعة بنشر كتابيهما .

وقام الأستاذ الشيخ محمد العبودي بكتابة مؤلف عن « بلاد القصيم » أكمله وهو الآن معد للطبع .

وكتب الأستاذ عبد الله بن محمد بن خيس عن « بلاد الجامعة » إمارة

(١) نشرت « العرب » فصلاته عن أشهر أودية الحجر وجبالها في الجزء العاشر من

السنة الحادية عشرة

الرياض التي تشمل وسط المنطقة الوسطى من المملكة وقد نشرت « العرب » بعض مباحثه . ومثله كتاب الأستاذ سعد بن عبد الله بن جنيدل عن « عالية نجد » وكتاب كاتب هذه المقدمة عن شمال المملكة .

وهاهو ذا الابن الكريم الأستاذ عمر العمروي يكتب عن قبيلة الحجر بلادها ونسبها مما يدخل ضمن المؤلف الجغرافي .

والحق أن معرفة البلاد وأحوال سكانها لن تكون تامة ما لم يتَّصداً لتدوينها أناس من أبنائها ممن تأهل للكتابة وقديماً قيل : (أهل مكة أدرى بشعابها) والذين كتبوا عن بلادنا قديماً وحديثاً كثيرون ، ومع ما للمتقدمين من فضل سبق وتدوين معلومات تعتبر الأسس القوية بكل ما يتعلق ببلادنا من النواحي التاريخية أو الجغرافية أو غيرها إلا أن جميع الكتابات بحاجة إلى إعادة النظر بالتصحيح والزيادة ومواصلة البحث ، فالعلم يتجدد بتجدد الزمن ، والحياة بحاجة إلى أن يتلاءم وصفها بحسب تغيرها ، ولا يتسع المقام لإيراد شواهد مما كتب عن بلادنا فجاء مخالفاً للحقيقة وليس معنى هذا أن كل ما يكتب أبنائها يكون قائماً على أساس الصحة من جميع الوجوه ، فقدرة الإنسان محدودة ، وصدق الله العظيم حيث يقول : (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) .

ولن نفوت المناسبة عند ذكر القدماء بأن نشير إلى عالم جليل ، سجل جانباً من المعلومات القيمة عن الجزيرة وعن سكانها ومنهم قبيلة الحجر التي كتب عنها الأستاذ العمروي مؤلفه هذا .

لقد أورد العالم النسابة أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني في كتابيه « الإكليل » و « صفة جزيرة العرب » أسماء كثير من فروع قبيلة الحجر — أوردتها استطراداً وهو يتحدث عن بلادهم ومن تلك الفروع على سبيل التمثيل لا الحصر — فهو قد ترك فروعاً كثيرة .

١ — بنو أثلة من بني نصر بن ربيعة بن شهر ، هم رءوس بني نصر ، وهم أصحاب مدينة الجهوة أكبر مدينة في السراة .

- ٢- بنو الأسمر من شهر .
- ٣- بنو الأصبح من الحجر أصحاب قرية نضة تلي بيشة بجانب السراة .
- ٤- بنو ثعلبة من بني مالك بن شهر .
- ٥- بنو ثور بن شهر - ذكرهم الهمداني في كتاب « الإكليل »^(١)
- ٦- الحارث بن ربيعة بن شهر بن الحجر وسماهم الهمداني أيضا (بالحارث بن شهر) وذكر أنهم في أعلى وادي تنومة .
- ٧- ربيعة بن الحجر .
- ٨- بنو عامر بن الحجر ، كذا سماهم الهمداني ولا أستبعد أن يكونوا المعروفين الآن باسم (بني عمرو) .
- ٩- بنو عبد من بني عامر من الحجر ، أهل قرية الأشجان .
- ١٠- بنو الغمدة^(٢) : ذكر الهمداني أن قريتي الباحة والخضراء لبني مالك ابن شهر وبني الغمدة ولكنه لم يذكر إلى من ينسب هؤلاء .
- ١١- بنو قاعد من الغمدة من بني شهر وورد في المطبوعة (العدين) ولا شك أنه تحريف .
- ١٢- بنو مالك بن شهر .
- ١٣- بنو مروان من بني مالك بن شهر .
- ١٤- بنو نازلة من بني مالك بن شهر .
- ١٥- بنو نصر بن ربيعة بن شهر .
- ١٦- بنو يسار - في أسفل تنومة كذا ذكر .

ولقد ذكر العلامة الهمداني في كتاب « صفة جزيرة العرب بلاد قبيلة الحجر ، وعدد كثيراً من مواضعها وذلك في أول القرن الرابع الهجري ، ومع مرور أكثر من ألف عام لا يزال كثير من المواضع التي ذكرها

(١) ج ١ ص ٥٦

(٢) لعل الصواب العمرة بالعين المهملة فهم لا يزالون معروفين .

معروفة ، وإن تغير سكانها بسبب اتساع فروع القبيلة وامتزاجها ومن المواضع التي ذكرها :

١ - الأشجان : قال الهمداني : الأشجان قرية كبيرة ، ليس في السراة أكبر منها بعد الجهوة ، وساكنها بنو عبد من بني عامر من الحجر .

٢ - أيد - أو أيد (١) - قال الهمداني بعد أن ذكر الجهوة وزنامة العرق : (ثم بعدها أيد ، فيه نبذ من قرى وزروع وأهل أيد جيرة الحجر ، من قريش وخليطي حضر ، من ورائه وادي فيه البحيرة القرشيون) .

٣ - باحان (٢) : فيه القرى والزروع ، ساكنه بنو مالك وبنو ثعلبة وبنو نازلة من بني مالك بن شهر .

٤ - الباحة : من قرى بني مالك بن شهر ، وبني الغمدة ؟ .

٥ - يهوان - وادي زرع وأعناب ساكنه بنو شهر .

٦ - تنومة - عدها الهمداني من قرى ربيعة بن الحجر وقال في موضع آخر بعد ذكر سدوان (ثم تنومة واد فيه ستون قرية ، أسفله لبني يسار ، وأعلىه لبلحارث بن شهر) .

٧ - الجهوة : قال الهمداني بعد ذكر نحيان والأشجان والحرا : (ووراء ذلك الجهوة مدينة السراة : أكبر من جرش وصاحبها الجابر بن الضحاك الربيعي من نصر بن ربيعة بن شهر بن الحجر ، من بني أثلة رعووس . بني نصر بن ربيعة بن شهر بن الحجر) .

وقد ذكر الأستاذ عبد الله بن علي بن حيد أن الجهوة درست ، وأن موضعها معروف في بلاد بني لام من بني شهر ، بقرب جبل منعا ، في أعلي تنومة ولكن الأستاذ عمر العمري مؤلف هذا الكتاب الذي أقدمه

(١) وتعرف الآن باسم قرية آل ابدى من جبهة من ينعازث (عمر العمري)

(٢) يعرف باسم بيحان .

للقرءاء يقول (١) : (الجهوة قرية تتمتع إلى الشرق من مدينة النماص على
بضعة أكيال وآثارها موجودة ، منها أخذود بطول ٣٠٠ متر ، بحيث عنه
رجل معروف عند أهل تلك الجهة) .

٨ - الحرا : عده الهمداني بعد ذكر نحيان والأشجان والحرا من بلاد
بني عبد بن عامر من الحجر .

٩ - حضر (٢) .

١٠ - حلبا : قال الهمداني : (وحلبا قرية لبني مروان من بني مالك
ابن شهر) .

١١ - خايط : وقال (خايط واد ساكنه بنو عامر الغورية من الحجر ،
وبخايط نخلات) .

١٢ - الخضراء : قال الهمداني بعد ذكر أيد : (ثم الباحة والخضراء
قرينتان للملك بن شهر وبني الغمرة) .

١٣ - ذبوب : لبني الأستر من شهر .

١٤ - رجب : قرية لبني مالك بن شهر في وادي سدوان .

١٥ - رنما (٣) : واد ذو عيون كثيرة هو من صدور شرّج .

١٦ - الرهوة : رهوة بني قاعد من العذمة (٤) ، بلاد بني شهر على
رأس من السراة .

١٧ - زنامة : قال الهمداني : (ووراء الجهوة زنامة العرق الجابر بن
الضحاك قرية فيها زروع) وجابر هذا هو صاحب مدينة الجهوة ، وهو
من بني ربيعة بن نصر بن شهر .

(١) مجلة العرب ص ١٠ ص ٧٤٦ .

(٢) وهو من أشهر الأودية ، وسيأتى في الكتاب تحديده .

(٣) في المطبوعة (ريما) الصحيح

(٤) في المطبوعة (المدين) ولعله تصحيف .

١٨- زيد^(١) : قال الهمداني : (زيد من الحجر به ساكنة إلى هامة) .

١٩- ساقين : قال الهمداني : (وادي ساقين إلى تهامة فيه محجة الحجر التهامية ، وساكنة من الحجر جبيهة ، جبيهة الحجر) .
٢٠- سدوان : وادي .

٢١- سراة الحجر : قال الهمداني (وبسراة الحجر البر والشعير والبلس والعتر واللوياء واللوز والتفاح والخوخ والكمثرى والإجاص ، والعسل في غريبها والبقر وأهل الصيد ، وشرقها من نجد أهل الغم والإبل ، وخيل للأصاغة^(٢) لا غير) .

٢٢- صبيع : وادي زرع ، وباطنه بهوان وادي زرع وأعناب ، كذا قال الهمداني .

٢٣- الصحن : مراعي لبني شهر ، نجدتها مايلى بيشة حيث تنبطح هي وخشم وغوريتها شامي ، ويمانيها (أعزي) .

٢٤- عاسرة : ورد الاسم في مطبوعة صفة جزيرة العرب : (وعاسرة العرق) ولكن الأستاذ عبد الله بن علي بن حميد أخبرني أن عاسرة - بالسين المهملة في بلاد بني عمرو وأن العرق قرية في بلاد بني شهر .

٢٥- عبسل : واد فيه الجبل ، ساكنه بنو مالك بن شهر .

٢٥- العديف^(٣) قال الهمداني (العديف عقبة تنصب مياهها إلى نخاط : واد ساكنه بنو عامر الغورية) .

٢٧- العيرق : قال الهمداني (وعاسرة والعرق وأيدوحاضر) وقال لي الأستاذ عبد الله بن علي بن حميد : العرق قرية كبيرة في بلاد بني شهر .

(١) هو وادي زيد الذي سيأتى ذكره في أشهر الأودية .

(٢) يقصد بنى الأصيغ من الحجر الذين يسكنون في أسافل السراة قرب بيشة .

(٣) الصواب العريف بالراء لا بالذال وسيأتى ذكرها في بنى عمرو تهامة (العمروى) .

٢٨ - فرشاط : قال الهمداني (ومن أوديتها الغورية فرشاط ، وأصادره حجرية وأسافله عبيدية من كنانة)

(٢٩) قرب : قال الهمداني : (وقرب واد أهله من الحجر) .

٣٠ - مدة : قال الهمداني : (والذي يلي تية من غوائر الحجر مرة ، واد ينصب إلى الكفيرة) .

٣١ - نحيان : قال الهمداني : (نحيان وادٍ مستقبل القبلة فيه التفاح واللوز والثمار ، وصاحبه على بن الحصين العبدى ، من بني عبد بن عامر ، وابن عمه الحصين بن دحيم وهم الحكام على نحيان ، والأشجان والحرا)

٣١ - نضة^(١) : قال الهمداني (وجوانب بيضة التي تلي السراة ، فيها قرية مما يلي بيضة يقال لها نضة لبني الأصمغ من الحجر) .

٣٣ - محج قال الهمداني : (أقصى حد الحجر ، وأهلها الحارث ابن ربيعة) .

والحقيقة أن كل ما كتبه الهمداني بحاجة إلى الدراسة العميقة وإنني لآمل من الأستاذ العمروي أو من غيره من أبناء قبيلة الحجر من يقوم بذلك .

وينبغي أن نلاحظ أن عالماً يفصل بيننا وبينه ما يزيد على عشرة قرون قد نجد في كتاباته من الاختلاف والتغير الشيء الكثير ومع ذلك فقد أمدنا بمعلومات ينبغي أن نقدرها حق قدرها .

إننا نعتبر النص القصير في وصف بقعة من بلادنا من عالم متقدم نعتبره مغنياً ، فالنصوص المتعلقة بتحديد مواضع بلادنا شحيحة ، والمؤلفات عنها نادرة إن لم تكن معدومة ، ولولا ما نجده مبعثراً في معجمات الأمكنة مثل « معجم البلدان » و« معجم ما استصحى » و« صفة جزيرة العرب » وأمثالها من المؤلفات ، لولا ذلك لما استطعنا أن نتبين من ملامح بلادنا في عهودها القديمة شيئاً ، فطيب ثرى أولئك العلماء وروح أرواحهم .

(١) تسمى الآن المقصة بالميم بدل النون (العمروي) .

ولقد شاركت قبيلة الحجر في الفتوحات الإسلامية في صدر الإسلام ،
فاستوطن بعض الحجرين خارج الجزيرة ، ومن مشاهير من عرف منهم
عن استوطن مصر .

الصحابي الخليل : علقمة بن جنادة بن عبد الله بن قيس الحجري ، من
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد شهد فتح مصر ، واختلط بها
خطة ، وخطته في الجزيرة وقد ولي البحر في عهد معاوية بن أبي سفيان .

الطحاوي : الإمام المحدث الفقيه أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي
(٢٣٩ / ٥٣٢١) الذي انتهت إليه رئاسة الحنفية في مصر ، وصاحب
المؤلفات المعروفة في الفقه والحديث وغيرهما .

الشيخ سعيد بن علي الحجري القرظي ، له في الفرائض مصنفات .

الشيخ عبد الغني بن سعيد بن علي الحجري الإمام الحافظ المحدث شيخ علماء
الحديث في مصر في عهده والنسابة المعروف ، ومن مؤلفاته مشتهرة النسبة «
و« المؤلف والمختلف » .

ومن شعراء الحجر الشنْفَرِي الشاعر الجاهلي المشهور ، صاحب لامية
العرب ، وهو من بني سلامان من بني شهر^(١) .

وبعد : فإن من حسن حظ مؤلف هذا الكتاب أن قبيلته التي تحدث
عنها هي من أعرق قبائل الجزيرة وأصرحها نسباً ، وأنها لا تزال في
بلادها التي جاء الإسلام وهي تحملها لم يطرأ عليها تغير إلا مانشأ عن اتساع
فروع القبيلة اتساعاً كان من أثره امتداد منازلها حتى انساحت في سهول
تهامة : كما نفهم من هذا الكتاب الذي بين أيدينا والذي يعتبر بحق أول كتاب
شامل عن هذه القبيلة الكريمة .

ولا يَخْفَى أن كل أمر في أوله قد يعتوره بعض النقص مما يمكن تداركه

(١) الأغاني ج ٢١ ص ٩٢ طبعة الساسي .

ولو لم يكن للمؤلف الكريم سوى أنه فتح الباب ومهد الطريق ووضع الأسس لمن جاء بعده .

إن قبيلة الحجر - كغيرها من قبائل الجزيرة - بحاجة إلى أن ندرس جميع أحوالها فندرس أنسابها وندرس لهجاتها وندرس تاريخها ومثل كل ذلك لا يتسع له مؤلف قصد منه أن يكون جزءاً من معجم جغرافي .

إننا نريد أن نعرف الكثير عن ماضي هذه القبيلة كما نعرف حاضرها ونخطي إذا تصورنا أن سكان بلادنا من مختلف القبائل وليس لهم في الماضي المحيد ما يستحق المعرفة والدراسة بل إذا لم نُعن بهذا الجانب من حياة أمتنا في ماضيها ، فإننا نقطع الصلة بين ماضيها ، إذ كل أمة لا ماضي لها لا يكتب لها البقاء لا سيما ونحن نعز بدينا وبمكارم أخلاقنا وبعاداتنا وتقاليدنا الكريمة .

لقد تصفحت هذا المؤلف . وأوضحت لمؤلفه الفاضل بعض الملاحظات التي تفضل مشكوراً بقبولها بل إنني قرأت الكتاب كاملاً واستفدت منه في مقدمتي لكتاب المعجم الجغرافي ولهذا فإنني أرى أن عمل الأستاذ العمروي جدير بالمؤازرة والتشجيع .

وأرجو أن أجد من أبناء بلادنا من يسير على هذا النحو في كتابة كل ما يتعلق بأجزاء بلادنا حول القبائل ومنازلها أو المناطق المختلفة وسكانها حتى تتكامل مواد المعجم الجغرافي وحتى يصبح كل قارئ يستطيع أن يفهم بلادنا فهماً صحيحاً ولن يتم ذلك إلا بأمريْن اثنين أحدهما : أن يقوم بالأمر ذوو المقدرة من أبناء البلاد أنفسهم وثانيهما أن يتم هذا بالتعاون بين المثقفين المختصين بمعرفة هذه الجوانب معرفة تامة .

والله سبحانه وتعالى هو الموفق .

١٣٩٧/٥/١٤

حمد الحاسر

الرياض

”دليل المجتاز بأرض الحجاز“

تحدثت في مقدمة «البرق السامي» [«العرب» ص ٨٦٩ س ١٠] عن بعض من وصفوا طريق الحج من الشام إلى المدينة المنورة ، ومن فاتي ذكره :

١- وصف طريق الحاج الشامي ، لمرتضي بن علوان ، مخطوط في مكتبة برلين - ضمن مجموع - برقم (1860 (11) WE 6137) ذكره الأستاذ عبد الكريم رافق في كتابه «بلاد الشام ومصر» .

٢- وصف طريق الحاج الشامي في سنة ١١٥٦ هـ مؤلفه يدعى عثمان مخطوط في مجموعة بمكتبة برلين برقم (105 (11) PM. 6147) .

٣- ورأيت في (دار الكتب الظاهرية) بدمشق أرجوزة تقع في ١٩٣ بيتاً عنوانها «دليل المجتاز بأرض الحجاز» منسوبة لبدر الدين أبي محمد الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب الحلبي الشافعي المتوفى سنة ٧٧٩ (١٣٧٧ م) على ما في فهرس^(١) تلك الدار . ورقم الأرجوزة فيها ٦٩٢٧ .

وقد رأيت نشرها ، لأن فيها ذكراً لمنازل طريق الحج من الشام ، وكثير من تلك المواضع مما لا نجد له تحديداً في المؤلفات التي بين أيدينا ، يضاف إلى هذا أن مؤلفها متقدم^٢ زمتاً .

وفي «أرجوزة» أيضاً وصف للمشاعر المقدسة ، على جانب من الرقة . ومناسبة صدور هذا الجزء أيام الحج تدعو إلى تحريك الشعور نحو تلك المشاعر الكريمة .

ومما تجدر ملاحظته أن كثيراً من أسماء المواضع الواردة في الأرجوزة لم أهتم إلى وجه الصواب فيها ، فاضطرت لإيرادها على علائها . ولعله

(١) «علم الجغرافيا وملتقاته» ص ٦٠ وضع الأستاذ إبراهيم خوري .

يتيسر لأحد القراء نسخة أجود من النسخة التي اتخذتها أصلاً فيتمكن
من تصحيح تلك الأسماء وما هو ذا نص الأرجوزة :

دليل المختار بأرض الحجاز من نظم شيخنا الإمام العالم بدر الدين

أبي محمد الحسن بن الشيخ الإمام المحدث أبي القاسم عمر بن الحسن بن
حبيب الشافعي رحمه الله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وأعن برحمتك إنك على كل شيء

قدير

الحمد لله الذي يجازي	بالحير من سار إلى الحجاز
ويدخل الحجاج يوم الآزفه	داراً ظلال السعد فيها وارفه
مولى كسى البيت الحرام هية	وأسكن المختار أرض طيبة
صلى عليه الله والملائكة	ما سار ركب في الدياجي الحالكه
ووعده القصاد نحو بابه	بسرّاً يحار الفكر في حسابه
وخص بالخيرات أهل الشام	والبركات والعطاء النامى
طوبى لو فسد الله والرسول	إذ يبلغون غاية المأمول
تالله لو عاينت ما من الفرح	يلقونه في الحرمين مطرح
لكنت فارقت جميع الصحب	وسرت مرتاحاً بغير لب
يوم خروج المحمل السلطاني	من جلق يوم عظيم الشأن
يا حسنه من محمل محمل	كأنه الشمس ببرج الحمل
يظهر من (?) من الورى	وكل شخص قد غدا مستبشرا
لا سيما من كان شوقاً قد عزم	على الرحيل معهم إلى الحرم
يا سعد من وافقهم في السفر	وسار يبغى قبر خير البشر
وواصل الكعبة ذات الحُسْن	وطاف منها حول كل ركن
وشاهد الأماكن المشرفه	ووقف الوقفة يوم عرفه
أول ما يستفتحون الكسوه	أرضاً بريها تزول القسوه
وبعدها يأتون خان خطاب	كم عيش سار في حماه قد طاب

منزلة فيها السرور يقبل
بليدة في ربعها الخير اجتمع
بابن خليق عنده توقفوا
وعاينسوا بركتها المشتهره
ونزلوا من بعدها في الحربه
وغير فعل الخير ليس يبقى
إذ عموا البشر صنع سيمان
وشكروا المهيمن العزيزا
بلغهم رب العلى ماشاءوا
والسعد قد مد لهم رواقه
والعز والإقبال منهم دان
أنالهم ربهم ما يرجون
طويلة شاعخة مستصعبه
لا خوف يلقون بها ولا درك
وماؤه العذب القرات السارح
والله معهم في الصباح والمسا
إذ قدموا وادي الحسام في السحر
عنزة وفي ذراها خيموا
مذ فار ماء العرب للجرداني
وطالب الخير من الله معان
وحمدوا الله على الافضال
حين دنا الركب من الحربه
بالأمن والتأييد والأمان
وبعدها جاءوا لذات حج
وهي إلى وهية تنسب
والتخل والظلال والأقياء

والصنمين بعد ذلك نزلوا
جدوا السرى فوصلوا إلى زرع
من بعدها دير قديم يعرف
جاءوا إلى بصرى وهم في تبصره
ثم أتوا في سيرهم للمستطبه
ساروا مجدين لأرض الزرقا
يا ملئات عنهم من أحزان
تقدموا ونزلوا في زيزا
وادي السور بعد ذلك جاءوا
يا حسن ما وافوا إلى السواقه
ثم استقلوا السير للقطراني
بعد قليل ينزلون للحجون
إن لها بين الجبال عقبه
منزلهم منه بعدها على الكرك
لله واديا الخصيب الفايح
صروا وساروا فأتوا إلى الحسا
زال الشقا عنهم مع الكدر
حثوا المطى للسرى قيموا
كم حل من بشر على إنسان
من بعدها كان المحط في معان
بها أقاموا لقضا الأشغال
زاد اشتياق الصب للأحبه
واستقبلوا عقبه الصوان
ونزلوا بضرع في رهج
حمادة إلى حماها انقلبوا
ثم إلى تبوك ذات الماء

وَأَيَقِنُوا هُنَاكَ بِالْمَقَازِهِ
وَانْكَلُوا عَلَى الْعَزِيزِ الْعَالِي
جَاؤَا الطَّلِيحَاتِ بِلَا تَأْخِيرٍ
مَنْزَلُهُمْ يَا مَنْ سَمَا بِخَيْرِهِ
ثُمَّ انْثَنُوا مِنْ بَعْدِهِ لِلصَّافِي
سَارُوا فَأَمُوا فِي الْمَسِيرِ الْأَسَدِ
كَمْ مَقْلَةٌ فِي بَرْكِ الْمُعْظَمِ
يَا مَا يَلْقَوْنَ بِأَرْضِ الْمُنْصَفِ
وَالسَّيْرِ سَوْقَ الْحَرِّ فِيهِ نَافِقُهُ
فِي ثَمَدِ الرُّومِ أَنَاخُوا الْإِبِلَا
هُنَاكَ يَلْقَوْنَ الْحَصَا الْغَزِيرَا
قَرَارِيبَ التَّيْنِ عَلَيْهَا نَزَلُوا
بِمَرْكِ النَّاقَةِ يَامَا نَظَرُوا
سَبْحَانَ مَنْ يَحْرَسُهُمْ مِنَ الْغَيْرِ
جَاءُوا سَحِيرًا نَحْوَ بَيْرِ الْحَجَرِ
وَشَكَرُوا رَبَّ الْبَرَايَا وَالْعَمَلَا
ذَاتِ النَّخِيلِ وَالْعَيُونِ الدَّافِقَةِ
بِهَا أَرَاخُوا الْإِبِلَ الْحَدَّةَ
ثُمَّ يَسِيرُونَ لِلْمَدَنِ صَالِحَ
وَنَظَرُوا آثَارَ قَوْمٍ بَادُوا
جَلَّ الَّذِي أَهْلَكَهُمْ إِذْ كَفَرُوا
وَافُوا إِلَى خُفَايِرِ الزَّمَرِ
وَتَعَمُّوا إِلَى حَمَا مَطَارِينِ
ثُمَّ أَتَوْا شَعْبَ النِّعَامِ فِي نَعَمِ
قَبْرِ ابْنِ جَنْدَحٍ عَلَيْهِ وَفَدُوا
مَنْزَلَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ هَدْيَةً

وَكُلِّ سَارٍ أَخَذَ احْتِرَازَهُ
فِي سَائِرِ الْأُمُورِ وَالْأَحْوَالِ
تِلْكَ الَّتِي تَعْزَى إِلَى سُرُورِ
وَادِي الْأَخْيَضِ نَجَاهُ بَيْرِهِ
وَسَلِمُوا الْأَمْرَ إِلَى الرَّحْمَنِ
فِي نَعَمٍ زَائِدَةٍ مَجْدِدَةٍ
سَابِلُهَا بَيْنَ الْوَرَى لَمْ يَرْحَمْ
مَنْ ظَلَمَ أَحْوَالَهُ لَا يَخْتَنِي
وَأَعْيَنَ الرَّمْلَ عَلَيْهَا دَافِقَهُ
وَسَأَلُوا اللَّهَ الْفَالَا (؟)
الْمَشْرِقِ الْمُسْتَمْلِحِ الْمُنِيرَا
وَاللَّهُ مَعَهُمْ حَيْثُ مَا تَقْلُوا
مِنْ الْعَجَائِبِ الَّتِي لَا تَحْصُرُ
وَعَنْهُمْ يَدْفَعُ وَعِثَاءَ السَّفَرِ
وَأُورِدُوا الْمَطْيَ عِنْدَ الْقَجَرِ
وَأَدْلَجُوا حَتَّى دَنَوْا مِنَ الْعَمَلَا
وَالثَّرَاتِ وَالْجِبَالِ الشَّاهِقَةِ
وَأُودِعُوا الزَّادَ لِأَجْلِ الرَّدِّ
وَكُلِّ قَلْبٍ لِلْمَسِيرِ جَانِحِ
وَخَلَفُوا وَرَاءَهُمْ مَا شَادُوا
بِرَسُولِهِ وَكَذَّبُوا وَفَجَرُوا
وَاللَّهُ خَيْرُ حَافِظٍ وَمُسَعِدِ
حَتَّى يَفُوحَ مِنْهُ مَسْكُ دَارِينِ
وَشَمَلَى سَعْدَهُمْ هُنَاكَ انْتَضَمَ
وَشَكَرُوا وَعَظَمُوا وَمَجَلُّوا
هَدَاهُمْ اللَّهُ نَائِلِي (؟) الْأَمْنِيَةِ

حَتَّى أَتُوا لَيْلًا إِلَى الْعَظَامِي
فِيهِ بَيْنَ الصَّاحِبِ الشَّقِيقِ
وَقَاهُمُ الرَّحْمَنُ كُلَّ كَيْدٍ
لَا حُدَّ الْحَادَى وَجَدُوا فِي السَّرَى
وَسَبَبَ حَتَّى أَتُوا سَدًّا عَلَى
وَنَزَلُوا عَلَى عَيُونِ حِمَزِهِ
وَبَعْدَهُ زَارُوا قُبُورَ الشُّهَدَا
عَلَى النَّبِيِّ نَاشِرَ الْعُلُومِ
ذِي الْحِمَاهِ وَالْحَرَمَةِ يَوْمَ السَّاعَةِ
وَتَكَثَّرَ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
بِسَيِّدِ النَّاسِ وَخَيْرِ الرُّسُلِ
وَيَنْزِلُونَ خَارِجَ الْمَدِينَةِ
الْمُنِيرِ الْمُرْتَفِعِ الْمُنِيفِ
وَيَحْلُونَ الْحَجَرَةَ الْعَظِيمَةَ
وَصَاحِبِ الْأَنْوَارِ وَالْجَلَالِ
مَغْفِرِ خُدَيْهِ فِي أَعْتَابِهَا
وَوَظَفَرَتِ يَدَاهُ بِالْمَطْلُوبِ
وَطِيبَ أَوْقَاتِ بَقَرِهَا انْقَضَتْ
إِلَى حِمَاها ذِي الْفَخَارِ الرَّاقِي
مِنَ الدَّمُوعِ مَا قَضَيْنَا الْوَاجِبَا
كَمْ قَدْ حَوَتْ مِنْ دَرَرِ نَفْسِهِ
هَمْ أَسْعَدَ النَّاسَ بِيَوْمِ الْعَرْضِ
وَقَدْ غَفَتِ عَنْهُمْ عَيُونُ الرِّقَابِ
عِنْدَ مَقَامِ الْمُصْطَفَى مُحَمَّدٍ
وَسَرَّحُوا الْأَبْصَارَ فِي فَنَائِهَا
وَالْمَسْكَ مِنْ أَرْجَاهَا يَفُوحُ

كَمْ مِنْ جِبَالٍ قَطَعُوا عِظَامَ
وَالْأَبْرَقِينَ مَنَزَلَ أُنَيْقَ
مِنْ بَعْدِهِ يَأْتُونَ وَادِي تَبَدٍ
تَقْدَمُوا فَنَزَلُوا وَادِي الْقُرَى
كَمْ سَلَكَوا مِنْ مَهْمَةٍ وَجِبَلٍ
هَنَالِكَ هَزُوا الْيَعْمَلَاتِ هَزَهُ
زَارُوا بِهَا ضَرْيَحَهُ وَالْمَسْجِدَا
تَبَاشَرُوا بِالْقَرَبِ وَالْقُدُومِ
مُحَمَّدَ الْمُخْصُوصِ بِالشَّفَاعَةِ
مِنْ ثَمَّ تَبَدُّوا لَهُمُ الْأَعْلَامُ
أَعْلَامُ وَادِي طَيْبَةِ الْمُفْضَلِ
ثُمَّ بَسِيرِ الرِّكْبِ فِي سَكِينِهِ
وَيَدْخُلُونَ الْحَرَمَ الشَّرِيفَا
وَيَقْصِدُونَ الرُّوضَةَ الْكَرِيمَةَ
حَجَرَةَ رَبِّ الْحَوْضِ فِي الْمَالِ
كَمْ وَاللهِ مَتِيمٌ فِي بَابِهَا
وَكَمْ عَجَبٌ فَازَ بِالْمَحْبُوبِ
لَهُ مَا أَحْلَى لَيَالِي مَضَتْ
وَاللهُ لَوْ سَرْنَا عَلَى الْأَحْدَاقِ
ثُمَّ سَقَيْنَا الْيَدَ وَالسَّابِغَا
زَارُوا الْبَقِيعَ الْبَقْعَةَ الْأَنْيَسَةَ
لَهُ أَقْصَامُ بَتَلَكِ الْأَرْضِ
وَطَلَعُوا مِنْ بَعْدِهِ إِلَى قَبَا
صَلُّوا بِهَا فِي الْمَسْجِدِ الْمُمَجَّدِ
بِيرْأَرِيسَ شَرَبُوا مِنْ مَائِهَا
أَمَا كُنْ أَنْوَارَهَا تَلُوحُ

إذا نفضى وقت الاجتماع
ويخرجون طالبين مكة
يفارقون بلدة المختار
هناك يسرعون في الإحرام
وادي العقيق موضع فيه يرى
نحو الفريشات اثبتوا وخطوا
وادي بني سالم بالسلامه
عنه سروا وفارقوا جباله
ثم بعده وافوا إلى صبار
ثم أتوا بالرحب وادي الصفرا
وأجرا الخير في فئانه
لله ما أحسنه من وادي
سروا وحثوا العيس نحو بدر
يا حسن ما يأتون قاع البزوه
ويخرجون منه باستبشار
خطوا الرحال عن ظهور الإبل
جدوا الرحيل نحو أرض رابع
يا جبذا الكلوتين منزله
ثم إلى عقبه السويق
إلى خليص مخلصين قدموا
لما ترأوا سبل المدرج
وبعده دنوا من المحاطب
واستقبلوا من بعد ذاك المنحنا
جاءوا أبو عروة بالكرامه
واستبشروا بالقرب والتداني
تقدموا ونزلوا بالأبطح
وافوا إلى مكة في خشوع

أتوا رسول الله للوداع
والسعد فيهم قد أدار سلكه
ويقطعون البر للأسيار
لأنه ميقات أهل الشام
نجم السعود والنجاح نبرا
وقلم البشر لهم يخط
جاءوه والتسديد والكرامه
ونزلوا بمنزل الغزاله
وفاز كل شاكر صبار
سبحان من فيه المياه أجرى
وأكثر النبات في أرجائه
يروى برياه فؤاد الصادي
وفي سراهم كل خير يسري
بجمعهم كأنهم في غزوه
لأنه يتعب قلب الساري
لما أتوا ودان خير منزل
في عزة ونعم سوانغ
آيات سعدهم عليها منزله
يأتون بالإقبال والتوفيق
منزلة خيراتها تزدحم
قالوا : أيا حادي الركاب عرج
وكل شخص في الوصول راغب
لله من واديه الرحيب ذى السنا
وشكروا الله على السلامه
من بيت رب العرش والإحسان
وأي صدر ثم لم ينشرح
بأعين ترفض بالدموع

وهم بحمد الله معلنين
 في وسطه ما بين تلك الخلل
 يقبلونه امثالاً للبر
 وابتهلوا في سائر الأركان
 وسألوا الله كثيراً بالباب
 ومك أفراحهم تبدى الشذا
 وكم لهم في بابه من وقفه
 وعيشهم من بعد تكدير صفا
 سعيًا وفيما بين ذلك أرملوا
 وفعلوا ذلك سعيًا كملا
 وشربوا من مائها المكرم
 داروا وزاروا وهم في تكرمه
 كم ساجد فيها وكم من راكم
 وذا تراه طائفاً وساعياً
 وذا تراه مستغفراً لذنبه
 وفي سعادات وفي انشراح
 قد حصلوا على علو الدرجة
 جيرانه أعظم به من جار
 وصعدوا بأسرهم إلى منى
 مشهورة مشكورة محموده
 ورحلوا فنزلوا بنمسه
 ما بين بشرٍ ظاهر وأنس
 وسمعوا الخطيب ثم ولوا
 مأوى السرور ومحل البركات
 ويتجلى عالم الغيوب
 والسر والرحمة والرضوان
 منتظرين فضله والأجرا
 والحمد والتهليل والثناء

ودخلوا المسجد أجمعين
 وشاهدوا الكعبة وهي تنجلي
 أول ما يبتدثون بالحجر
 واستلموا من بعده اليماني
 ووقفوا داعين تحت الميزاب
 طافوا ببیت الله أسبوعاً لذا
 مقام ابراهيم صلوا خلفه
 وبعد ذاك خرجوا إلى الصفا
 وصعدوا عليه ثم نزلوا
 حتى على المروة حطوا الأرجلا
 ودخلوا إلى فناء زمزم
 وسائر الأماكن المعظمة
 أجلل بها يا صاح من مواضع
 هذا تراه خائفاً وداعياً
 وذا تراه شاكراً لربه
 والناس في بشر وفي أفرح
 يشاهدون الكعبة المدبجة
 وكيف لا وهم ضيوف الباري
 في الأمن واليمن أقاموا والهناء
 باتوا بها في ليلة مشهودة
 وفارقوا ربوعها المعطرة
 بها أقاموا لزوال الشمس
 مسجد إبراهيم فيه صلوا
 من بعدها يأتون أرض عرفات
 أرضاً بها يعنى عن الذنوب
 للصفح والسماح والغفران
 وينظر العباد شعناً غبرا
 قد رفعوا الأصوات بالدعاء

ما بين راج واكد ملبة
 حينئذ يفسر جل وعلا
 جميع ما من الذنوب أسلفا
 سبحانه من ملك منان
 ووقفوا هناك للمغيب
 قد ظفروا بالعز والإسعاد
 يا حذا من موقف جليل
 لو عاينت عينك ذاك الموقف
 ثم أتوا من بعد أرض عرفه
 أحيوا هناك الليل بالأذكار
 الصبح صلوا في حماها السامى
 وذكروا الله به امثالاً
 وأقبلوا من بعده على منى
 لله عيد في حماها عيدوا
 أهلاً به ومرحباً من عيد
 حلوا الشفار والضحايا نحروا
 ودخلوا من بعد ذا في العقبة
 ولبسوا الخيط واستقلوا
 ثم أفاضوا أجمعين للحرم
 ورجعوا إلى منى أقاموا
 بالخيف ياما شاهدوا من ملح
 أيا ليالى الخيف ما أحلاك
 من بعدها جاوا بسعد وافر
 وبين مشغول الحشا واللب
 لمن بأرض عرفات نزلا
 وما جنا من الخطا واقترفا
 يقابل المسىء بالإحسان
 ونفروا في موكب عجيب
 وبلغوا القصد مع المراد
 موقف خير الرسل ذى التفضيل
 لم يك عنه أبداً خلفاً
 وضربوا الخيام بالمزدلفه
 وأخذوا منها حصى الجمار
 ووقفوا بالمشعر الحرام
 لأمره سبحانه تعالى
 بربعها نالوا المراد والمنا
 وطيب أوقات عليها وفدوا
 وأقامهم في طالع سعيد
 وحلقوا رؤوسهم وقصصروا
 وقد رموا بجرمتها المنتصبة
 لأنهم من الحرام حلوا
 طافوا وكل منهم الركن استلم
 للرمى لاعداهم ماراموا
 وقطعوا من لذة وفرح
 ترى تعود تجتلى حلاك
 ونزلوا تجاه بير الزاهر

والمساجد(?) أتوا وأحرموا
 وافوا إلى مكة محرمينا
 ثم سعوا يا صاح سعى العمره
 وللوداع بعده تطوفوا
 وخرجوا في حرق وفي ألم
 أدمعهم من العيون تقطر
 وفارقوا مكة في أحزان
 أراهم ربهـم الديارا
 وبعد حد كاتب السلامه
 مسير العباد في البلاد
 هو الذي بفضله أرانا
 ومن ضيوف بيته الحرام
 وفي مواقف الرجاء أوقفنا
 وزادنا بالسعى والطواف
 وجعل الشام لنا مقرا
 عليه فيما نبتغيه نعتمد
 نحمده حمداً كثيراً نشكره
 ثم نصلى ساير الأوقات
 محمد وآله الأطهار
 بعمره لأجلها قد قدموا
 طافوا بيت الله أجمعينا
 ممثلين أمر رب القـدرة
 وما عليهم لليـكهم وفوا
 لا يشتهون أن يفارقوا الحرم
 ومن على حكم البعاد يصبر
 وطلبوا الأهل مع الأوطان
 وبين أيديهم طوى القفار
 رازقنا في الظعن والإقامه
 وحامل العسافي بأدنى زاد
 مناسكاً لئيله هدانا
 صبرنا وزاد في الإنعام
 وقدرها وفضلها عرفنا
 مراتباً بحيلة الأوصاف
 وأعين الجود علينا أجرا
 إليه في كل الأمور نستند
 نتوب من زلاتنا نستغفره
 على الرسول صاحب الآيات
 وصحبه والعترة الأبرار

تمت بعون الله وحسن توفيقه
 والحمد لله رب العالمين وصلى الله
 على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
 وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين

بَنُوصَخِرٍ : مِنْ طَيِّ

.. إلى من يرجع بنو صخر في نسبهم ؟ فقد رأيت في بعض الكتب أنهم من جذام من قحطان .

الرياض - لافي بن حسين

المرب :

ينبغي ملاحظة أمور عديدة عند البحث في الأنساب . منها :

(أ) أن الاسم الواحد قد يطلق على عدد من القبائل والفروع مثل أسد فهو يطلق على قبيلة عظيمة ، أسد بن خزيمه بن مدركة بن إلياس بن مضر ، وكانت تحمل نجداً مجاورة لطىء من الجنوب ولغطفان من الشرق ، ويطلق اسم أسد على جذم كبير من ربيعة ، أسد بن ربيعة بن نزار كما يطلق على فروع قبائل كثيرة مختلفة النسب .

(ب) أن إطلاق الاسم على عدد من القبائل والفروع كثيراً ما يوقع في الخطأ في ذكر نسب بعضها ، بل قد يسبب التداخل في الأنساب وإلى هذا أشار الممداني في « صفة جزيرة العرب »^(١) حيث قال - في الكلام على بني جعدة من حمير : (وبنو جعدة هؤلاء فيما يقال إلى بعض بطون رُعَيْن . وهم اليوم يقولون إنهم من جعدة بن كعب ، ولا تعرف هذه البطون في بطون جعدة بن كعب) ثم ذكر فروع جعدة بن كعب وقال : (وكذلك سبيل كل قبيلة من البادية تضاهي باسمها اسم قبيلة أشهر منها فإنها تكاد أن تحصل نحوها ، وتنسب إليها ، رأينا ذلك كثيراً) انتهى .

(ج) أن المتبع لتنقل القبائل العربية في جزيرتهم ، ثم لانتقالهم منها

(١) صفحة ١٨٠ من (منشورات دار الإمامة للبحث والترجمة والنشر) .

قتل أن يجد أن قبيلة بأسرها أو فروعاً منها اتجهت من خارج الجزيرة من الشام - مثلاً - إلى داخل الجزيرة ، بل العكس ، بحيث أن القبائل تتبع في هجراتها وتثوجاتها في الجزيرة اتجاهاً يوشك أن يكون واحداً ، وهو السير من الجنوب الغربي نحو الشمال أو من الغرب نحو الشرق .

مما تقدم يمكن إدراك خطأ القول بأن بني حضر الذين تنسب إليهم أسر معروفة في نجد وفي شمال الحجاز - من قبيلة جذام التي كانت تسكن الشام .

ومنشأ هذا الخطأ هو ما نقل عن الحمداني من أن بني حضر بطن من جذام القحطانية ، مساكنهم بيلاد الكرك من الشام ، وهم الدعجيون ، والعطويون ، والصوتيون ، وهم أحلاف آل فضل من عرب الشام ، ومنهم جماعة بمصر .

وقول الحمداني هذا نقله ابن فضل الله العمري في « مسالك الأبصار » ثم نقله بعده القلقشندي في « نهاية الأرب » والسويدي في « سبائك الذهب » .

والواقع أن الحمداني لم يكن محققاً ولا خبيراً بأنساب سكان الجزيرة ، وإنما كان مدير ضيافة (مهتمداراً)^(١) لدى أحد سلاطين مصر في عهد المماليك ، وكان يدون أسماء من يفد على ذلك السلطان من أمراء العرب ويذكر أسماء قبائلهم ، ووقعت أخطاء كثيرة فيما نقل عنه . نجلدها في « نهاية الأرب » وفي « سبائك الذهب » .

ويظهر أن منشأ الخطأ في نسبة بني حضر إلى جذام أنهم في عهد الحمداني كانوا ينزلون منازل كانت قديماً من بلاد جذام ، في أطراف شمال الحجاز إلى بلاد الشام (الأردن الآن) .

ويضاف إلى هذا أن اسم حضر قد يكون يطلق قديماً على فرع من فروع

(١) ترجمه ابن حجر في « الدور السكامة » وله مؤلف مخطوط في (دار السكيب المصرية ، في أحد فروع اللغة العربية (البدع) .

جذام ، كما كان يطلق على غيره ، إذ بنو محضر أيضاً بطن من نهد من مذحج منازلهم قرب وادي تثلثيث^(١) ، جنوب الجزيرة . وهناك بنو محضر أو محضرة - بطن من الأوس من الأنصار ، على ما ذكر في « نهاية الأرب »

ولكن أشهر من عرف ببني محضر هم الطائيون الذين كانوا قبل ظهور الإسلام يعيشون مع قومهم بني طييء في بلاد الجبلين وما حولهما . ثم باتساع فروع القبيلة توسعت في البلاد وانساحت نحو الشمال فيما بين تيماء وخيبر والشام - كما في « نهاية الأرب » وتجد الهمداني في « صفة جزيرة العرب »^(٢) يذكر أن (من الحجر إلى تيماء في دهناء ثلاث مراحل بطنان ، يسكن ما بين ذلك من طييء بنو محضر ، وإخوتها بنو عمرو بطن من بختر) .

ويذكر المقرئ في كتاب « السلوك »^(٣) في حوادث سنة ٦٦٦ أن بني محضر وبني لأم وعنزة من عرب الحجاز التزموا لسلطان مصر بالزكاة ، فبعث معهم من يقبضها ، وذلك حين استقل الزكاة الواردة من المدينة .

وياقوت الحموي في « معجم البلدان » يقول - وهو في الغالب ينقل عن قائل نقله عصره : (العردة - بالضم - ماءٌ عذبٌ ، من مياه بني محضر من طييء وهو بين العُلا وتيماء وجفر عنزة ، في أرض ذات رمل وجبال مقطعة) .

والعردة هذه لا تزال معروفة شرق العُلا وغرب تيماء ، وهي الآن من مناهل عنزة ، وصلة بني محضر بقبيلة عنزة قديمة ، فقد تجاوزت القبيلتان ، ثم انزاحت بنو محضر نحو الشمال وبقيت فروع من قبيلة عنزة في أماكنها القديمة . وفي القرن الثامن الهجري نجد بني محضر مسيطرين على طريق الحج

(١) « صفة جزيرة العرب » ص ٢٥٢

(٢) ص ٢٧٤ .

(٣) ج ١ ص ٥٦٢

الشامي في نواحي العلا ، كما في قول ابن أبي حجلة ^(١) (٧٧٦/٧٢٥) :
 بأرض بها آثار ناقة صالح (بنو صخر) السراق شر قبيل
 لأن عوقب الماضون في عقر ناقة فكم عقروا من ناقة وفصيل
 وقد امتدت سيطرتهم على هذا الطريق إلى القرن الثاني عشر الهجري ،
 ففي سنة ١١٥٥ قاموا بنقل حجج الشام . ثم قاموا بحوادث مُخلّة بالأمن ،
 فنهبوا الحجج - كما أوضح ذلك صاحب كتاب « حوادث دمشق اليومية »
 وكما جاء في كتاب « النسخ الفرجي » - المنشور في هذا الجزء ، كان شيخهم
 في هذا العهد قعدان الفايز .

ويظهر أن الرئاسة بقيت في هذا البيت إلى عهدنا إذ شيخهم منذ عهد
 غير بعيد مثقال باشا الفايز .

نكتفي بما تقدم من نصوص المتقدمين المتعلقة ببني صخر وأنهم من قبيلة
 طيء وإخوتهم بنو عمرو الذين كان يضاف إليهم الجوف فيقال جوف
 بني عمرو .

وتحسن الإشارة إلى أن من بني صخر هؤلاء بيوت في نجد ، ومنهم في
 الرّس آل زهير ، ومن آل زهير هؤلاء : الضويّان - بالصاد المعجمة -
 والصويّان - بالصاد المهملة - والدغيم ، والجاسر - المعروف بالحربش ^(٢)
 والعُمير والروضان . وغيرهم .

وفي بلدة العلا أسرٌ تنسب إلى بني صخر أيضاً ^(٣) ولقد رأيت في أحد
 أحد المؤلفات الحديثة لعالم جليل في ترجمة الشيخ إبراهيم بن ضويان نسبة
 بني صخر إلى جذام ، اعتماداً على قول صاحب « نهاية الأرب » فيما نقل
 عن الحمداني . وقد تقدمت الإشارة إلى خطأ هذا القول .

(١) هو أحمد بن يحيى بن أبي حجلة التدماني . سكن دمشق ومات في القاهرة . ومن
 مؤلفاته كتاب « منطق الطير » ومنه هذا الشعر على ما ذكر صاحب « درر القوائد المنظمة »

(٢) اسم الحربش طارئٌ لمالفتهم فخذوا من بني عبد الله من طبرستان الحربش .

(٣) أنظر فائقة الجزء الثالث من السنة الثانية عشرة من العرب .

فِي رَحَابِ الْحَرَمَيْنِ مِنْ خِلَالِ كُتُبِ الرِّحَالِ إِلَى الْحَجِّ

(١٣)

الرحلة الناصرية :

تعتبر هذه الرحلة - بعد رحلة العياشي ورحلة ابن عبد السلام الدرعي المطولة - من أوفى الرحلات إلى الحج وأمتعتها . وقد اعتمد فيها مؤلفها ابن ناصر على رحلة شيخه أبي سالم العياشي الذي وصفه بأنه شيخ الرحالين وقد ضمنها رحلته الرابعة إلى الحج ، وجمع فيها بين الرحلتين قبلها (١) .

وتقع في جزين صفحاتهما ٢٤٢ + ٢٠٠ = ٤٤٢

طبعت طبعة حجرية في مدينة فاس في ١٣ ربيع الثاني سنة ١٣٢٠ هـ ويحوي القسم الأول منها :

- ١ - ترجمة المؤلف في ٣ صفحات من ١ إلى ..
- ٢ - وصف الطريق من المغرب إلى القاهرة ١١٨/٤
- ٣ - في القاهرة ١٤٧/١١٨
- ٤ - وصف الطريق من القاهرة إلى مكة ١٨٧/١٤٧
- ٥ - في مكة المكرمة ٢٤٥/١٨٨
- ٦ - فهرس هذا القسم ٢٤٨/٢٤٦
- ويحوي القسم الثاني من المرحلة
- ١ - وصف الطريق من مكة إلى المدينة ٨/٢
- ٢ - في المدينة الكريمة ١٠٤/٨
- ٣ - في الطريق إلى القاهرة ١١٠/١٠٤
- ٤ - في وصف القاهرة والإسكندرية ١٢١/١١٠
- ٥ - وصف الطريق من الإسكندرية إلى الزاوية ٢٠٠/١٢١

(١) « فهرس المخطوطات العربية في خزانة الرباط » القسم الثاني الجزء الثاني من ٢٢٢ .

زمن الرحلة ومراحلها :

خرج ابن ناصر من الزاوية الناصرية في درعة في المغرب الأقصى يوم الخميس ٢٤ جمادى الأولى سنة ١١٢١ . وسار حتى بلغ طرابلس الغرب

ورحل من طرابلس يوم الجمعة ٢٧ شعبان (٣ أكتوبر) فبلغ القاهرة يوم الثلاثاء ٢١ شوال (١٣ ديسمبر) وخرج منها يوم الثلاثاء ٢٨ شوال ^(١)

ووصل إلى مكة يوم الخميس سادس ذي الحجة (٢٧ يناير) وغادرها إلى المدينة يوم الأحد ٢٣ ذي الحجة ^(٢) وبلغ المدينة يوم الاثنين ثاني المحرم فاتح سنة ١١٢١ ^(٣)

وجاء في المطبوعة أنه خرج من المدينة يوم ١٦ المحرم ، ولكنه ورد فيها ^(٤) أنه ارتحل من ينبع يوم الخميس ثاني عشر المحرم (ثاني مارس) وسادس جباه ^(٥) (فقد تكون كلمة (١٦) صوابها بدون عشر ، كما سبق توجيه هذا .

وعاد إلى القاهرة يوم الاثنين سابع صفر (٢٧ مارس) وأقام بها إلى ١٤ ربيع الأول (٥) .

ووصل إلى الزاوية في خامس رمضان (٨ أكتوبر) ^(٦)

ترجمة المؤلف :

هو أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي ، والناصريون أسرة علمية مشهورة ، وهم أصحاب الزاوية المشهورة في بلدة درعة ، والتي كانت إلى عهد قريب من مراكز العلم في بلاد المغرب .

(١) ج ١ ص ١٤٧ .

(٢) ج ١ ص ١٨٨ وج ٢ ص ٢ .

(٣) ج ٢ ص ٨ .

(٤) ج ٢ ص ١٠٥ .

(٥) ج ٢ ص ١١٠ .

(٦) ج ٢ ص ١٩٩ .

وقد ولد الدرعي في ١٨ رمضان سنة ١٠٥٧ هـ (١٧ أكتوبر ١٦٤٧ م) وتوفي في ١٩ ربيع الأول سنة ١١٢٩ (٣ مارس سنة ١٧١٧ م) . وجاء في مقدمة الرحلة أنه توفي في ١٣ ربيع الأول سنة ١١٢٨ .

مؤلفاته :

أشهرها « الرحلة الناصرية »^(١) ويوجد في الخزانة العامة في الرباط نسخة مخطوطة سنة ١٣٠٦ بعنوان « رحلة إلى بيت الله الحرام » في ٢٤٠ ورقة^(٢) ، وأخرى أقدم منها خطأ مكتوبة سنة ١١٣٨ في ١٣٤ ورقة في المجموع رقم ٢٣٤٣ .

وفي الخزانة العامة في الرباط : « سلسلة من أخذ عنهم ابن ناصر » في ورقتين عن تلقى عنهم التَّصَوُّف^(٣) . ويلاحظ أن علماء الزاوية على وجه الإجمال متصوفون ، ولكن كثيراً منهم ينزع إلى السير على نهج المحدثين ، ويعني بكتب الحديث ، ويخطئ كثيراً من المنحرفين من المتصوفة . كما يلاحظ هذا في الرحلة العياشي وغيرها كهذه الرحلة ورحلة ابن عبد السلام الكبرى . بل يلاحظ فيها أيضاً محاولة التثبيت والتحقق في ذكر الآثار المعروفة في المدينتين الكريمتين مكة والمدينة . ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره العياشي عن المكان المعروف بالمولد في مكة ، وأن القول بأن الرسول صلى الله عليه وسلم وُلد فيه غير مقطوع بصحته ... وسيأتي كلامه في موضعه - وهذه الرحلة تعتبر متممة للرحلة العياشي التي اعتمدها المؤلف أصلاً له ، ونقل عنها كثيراً وهذا ما دعا إلى تلخيص ما يتعلق بالحجاز منها ، لا سيما وأن بعض ما ورد في رحلة العياشي موجود فيها ، ولم ينشر فيما نشر من تلك الرحلة^(٤) .

(١) له تراجم في مقدمة رحلته (الرحلة الناصرية المطبوعة) وفي كتاب « مذخري الشريعة » ص ٢٩١ - ١٩٢ وفي « فهرس الفهارس » ج ٢ ص ١٨٨ .

(٢) رقم ٢٣٤٢

(٣) في المجموع رقم ٢٢٩٥

(٤) أنظر ملخص الرحلة العياشي في الجزئين الماضيين من هذه السلسلة من « العرب »

أما القول بأن « الرحلة الناصرية » مطبوعة فإنه لا يقلل من الحاجة إلى نشر ملخصها ، فقد مضى زمن طويل على نشرها حتى أصبحت في حكم النادر ، ثم إنها طبعت بحروف مغربية جميلة ، ولكن قلّ من بين القراء في غير بلاد المغرب من يجيد قراءة الكتابة المغربية
وها هو ذا ملخصها :

من القاهرة إلى مكة

درب الحجاز :

ارتحلنا يوم الثلاثاء (٢٨ شوال سنة ١١٢١) ونزلنا المسبط (١) خارج باب النصر . . . والطريق كلها من مصر إلى البركة كأنها سوق واحد من كثرة الذهاب والجلأ ، وكثرة الباعة لأنواع الطعام على الطرقات (وبات الركب هناك في حر شديد ، يتملأون من رؤية النيل وشرب مائه ، ويتمتعون بشميم عراره وطيب غذائه وقد مزجوا حلاوة مابه يتمتعون بمرارة ماله من شدائد الدرب يتوقعون ، وباتوا يشترون الرواحل وينسخونها ، ويشئون عليها أقتابها ويرسخونها ، ويرتبون الأمتعة في الغرائر ، وقد شقت منهم خوف هجوم الرحيل المرائر ، وتلك الليلة عند الحجاج إحدى الليالي المشهورة ، وبالقصر وعدم انشراح الصدر مذكورة ، كأن الدرب أمامهم عدو لا يرحم أو بحر لا يفتح ، يترقبون مزاولته عند الصباح ، ومبادارته بالكفاح ، وإنه لكذلك لولا ألطاف الله الخفية فيما هنالك (١) فودع الناس أصحابهم ، وفارقوا أحبائهم ، ووطنوا أنفسهم على مقاساة درب الحجاز ، وما يبدية من إذلال وإعجاز ، إذ فيه تضيق الأخلاق ، وينحلّ وثاق الأنفاق ، ويتسلط الحمّال والمكّام على الحجاج ، ويدلون لهما كما ذل أهل الكوفة للحجاج ، والله در القائل وهو العلامة الصلاح الصفدي :

درب الحجاز مشقة لكن إذا ال

جمال هان تسهلت أهواله

(١) في الليثية : (يشلون) بدل (يشعون) : وما بين القوسين فيها .

أصبحت في تصريف جمالي على
 ما يشتهي ، فكأنني بجمّاله
 قد كان خفّ على فؤادي لو غدا
 من فوق ظهري بالسوايا أحماله
 ويكون طوعي في الذي اختاره
 لكن قسا ، وتضاعفت أفعاله.

وقال أيضاً في المعنى :

درب الحجاز مبارك لكنه
 يحتاج صبراً زائد الإجمالي ..
 وغبونه شتى ولا مثل الذي
 أصبحت ألقاه من الجمال

وقال أيضاً في المعنى :

غدا سفر الحجاز كما تراه لأخلاق الرجال يُرى محكّاً
 فكم من صاحب أمسى عدواً به وصحيح ود قد تشكى
 كما أن المقوم ، في اعوجاج
 وحين تقيمه بيدك دُكّاً^(١)

بركة الحاج :

وبركة الحاج بركة واسعة مدّ البصر، يتموج فيها ماء النيل العذب الفرات ،
 تنصب الأسواق الحافلة بشطّتها والقهاوي المزخرفات ، والفساطيط المونقة ،
 ويخرج غالب أهل مصر لوداع الحاج ، والتفرج هناك والتنزّه في بساتين
 ومقاهي على شاطئ النيل المنصب إلى تلك البركة ، وفي جانبها الغربي قرى
 متعددة في إحداها مسجد سيدي إبراهيم المتبولى حسباً ذكره الشيخ الشعراي
 في «الطبقات»^(٢) .

(١) الرحلة الناصرية ج ١ ص ١٤٧ و ١٤٨

(٢) الصياحية ١-١٥٧ والرحلة الناصرية ١-١٤٩

ظعنا يوم الخميس «أول القعدة» ونزلنا غربي عجرود ، ثم منه في يوم الجمعة (٢٢ دجنبر) عجلنا الرحلة ووجدنا مع طلوع الشمس رجلين من الركب المصري ميتين من البرد فواريناها ومررنا على واد به ماء طيب بآبار قرية القعر ؛ يحفر الإنسان بيده فينبع الماء قريباً بحيث تتناول الدابة منه بفها من غير معالجة ، واخبرني بعض من كثر ترداده في هذا الطريق أن هذا الموضع محدود (٢) به الماء ولو في الصيف هذه الأزمته وهذه السنة زاد الماء فيها كثيراً من كثرة الأمطار ونداوة الأرض ، ونزلنا هناك حتى أوردنا دوابنا واستقي من الماء من أراده وهو عن يمين الذاهب لعجرود ، فسرنا ومررنا كذلك على واد به قيعان (٣) من ماء يسيل سيلاً تاماً من المطر بإزاء عجرود فقلت لأعرابي حجازي : هذا الماء طيب ! فقال مجيباً : نعم زيّ الشهد . وبلغنا عجروداً ضحاء ، حتى أوردت الإبل وقضى الناس حاجتهم من مائه (وماؤه يضرب به المثل في القبح واشتهر بذلك مع ما يضاويه كثيراً في مياه الدرب ، إلا أنه لما كان أول ماء يرده الحاج قبل أن يألف مشاق الطريق مع اعتياد الناس قبل ذلك لمياه النيل ووجود فضلة منه لا يكادون يسيغون منه جرعة إلا وهمّت من بطونهم بالرجعة .

وفي هذا المورد حصنان متقاربان مبنيان بأوثق بناء يترك الناس فيهما ما استقلوه من الأزودة والأمتعة إلى الرجوع وكثيراً ما تعطب المئون من الإبل في هاتين المرحلتين لجد السير وثقل الأحمال إذا لم يخفف منها شيء .

والإبل قد ألفت الراحة بمصر ويغلب عليها السمن ، وكثير من الناس لا يشفقون عليها فيحملونها فوق طاقتها ، ولا يرخون عليها في المشي لما يتوقعون من خوف اللصوص على من تأخر فكل واحد (١) يريد أن يتقدم ، وقد لطف الله بنا فتأخر عن الركب ونكون في أخرياته ففسير على مهل بإبلنا وينضم إلينا من ضعف من الناس أو تأخر لغرض ، فكان لنا وللناس في ذلك خير كثير . فلم نر مارأى الناس من المشاق وموت الإبل .

(١) في العياشة : أحد

وفي آخر الحصنين اللذين هناك بئر كبيرة تسمى دائماً بالبقر ويخرج الماء من البندر إلى برك ثلاثة خارجات ، ثنتان صغيرتان والثالثة كبيرة ، وبهما عسكر لا يفارقهما أبداً وكذلك غيره من البنادر ، في كل سنة يأتي قوم فيذهب الذين كانوا فيه ، ولهم جراية من بيت المال على ذلك ، ولولا لطف الله بالعباد بوجود هذه البنادر في الطريق لما قدر أحد على سلوكها مع كثرة مخاوفها وقلة مرافقها^(١)

ومن هنا يعدل عن طريق الحاج ذات المصانع ذات اليمن التابعة (والمصانع سواري مبنية في سبخة لا يظهر فيها أثر الطريق ، وكذا في الرمل القريب منها ، فجعلوا تلك الأعلام المبنية ليستدل بها على الطريق ، وجعلوا في رؤوس الأبنية حجراً مستطيلاً خارجاً لناحية الطريق يستدل بها الماشية ليلاً ، وربما علقوا على بعض الأعلام مصابيح ليلاً لبعد ما بينها ، وبين كل علم وعلم نحو فرسخ أو أقل أو أكثر حتى انتهوا بها إلى رأس وادي الرمل ، إلا أنها الآن انهار منها بعض ، ولم يبق منها إلا النقص في محالها ، وعلى هذا الطريق يسلك الحاج المصري والمغربي دائماً إلا في أوان الحر وخوف العطش فيعدلون إلى التابعة عن طريق المصانع^(٢) وهو واد كبير ذو رمل ، به أحساء كثيرة تزيد على المائة ، بل أيها حفرت مقدار قامة أو أقل وجدت ماء حلواً بارداً في غاية الحلاوة كأنه ماء النيل ، وربما يتوهم أنه أحسن منه ثم في مدينة السويس^(٣) .

وادي الرمل — وادي الخروبة (٣) :

لما قضى الناس من هذا البندر — عجرود — الأوطار وعانقوا التسيار ، وجدوا السبخة لكثرة ماتوا إليها من الأمطار بركة واحدة فعدلوا ذات اليسار ونزلنا بعد ماتوغلنا في الرمل (مغربان) ، في أفصح بسيط وأوسع

(١) بين القومين في العياشة ١ - ١٥٩

(٢) « الرحلة الناصرية » ج ١ - ١٤٩ - ١٥٠

(٣) الناصرية ١٥٥

مكان^(١) في مكان أفصح بسيط ثم ارتحلنا منه يوم السبت وبلغنا وادي الرمل قبل الظهر ووجدنا به غدراناً من الماء ، وأدركنا التونسي هنالك وسرنا حتى خلفناه ، فأرحنا ركبتنا ونزلنا لصلاة الظهر .

ثم سرنا حتى نزلنا بغربي وادي السدرة والحروبة ، والسرقة في تلك الليلة من كل ناحية من الركب أعجوبة ... فأخذوا بغلة لسيدي أحمد بن أطاع الله (؟) وضايقوهم عليها ففروا عنها وأخذها حاجها . وسمي الوادي بشجرة كبيرة من الحروب ومن السدر في أصل الوادي .

في التيه :

ثم ارتحلنا رابع ذي القعدة (٢٥ دجنبر) وسرنا مع الوادي — وادي الحروبة — برهة ومررنا على العقبة المشرفة على التيه وقت الضحى وهي عقبة فيها بعض صعوبة إلا أنها سويت حتى صارت طريقاً لاجبا ، ومنها ينزل إلى أرض التيه وهي أرض مقفرة موحشة طويلة عريضة معطشة ، قد امتدت فيها الطرق امتداد السطور في الطروس وهذا المحل من المحال التي تعظم فيها المشقة أيام الحر وقد تتلف فيه أنفس كثيرة من العطش قال أبوسالم : وقد وقع لنا من ذلك في سنة تسع وخمسين ارتحل الناس من عجرود ظهراً ولم يعمروا على النابعة فبتنا ليلتين بلا ماء إلا ماء عجرود الذي لا يتجرعه الظمآن ولا يكاد يسيغه ، فلم نصل إلى أرض التيه حتى اشتد الحر وقل الماء في اليوم الثالث ومات بعض الإبل وجعل الناس يعصرون مافي بطون الإبل من الفرث ويشربونه وفي ذلك قلت :

ولم أنس بالتيه يوماً به تفاني الحجسيج صدى وولوها
وإن يستغيثوا بغاثوا بما عجرود كالمهل يشوى الوجوها^(٢)

قلت : وكذا يشتد أمره في الشتاء لأن أرضه عرا ، ولا حطب فيها ، فقد تتلف به النفوس من البرد ، وأما عامنا هذا فسلكتناه في أطيب هواء

(١) مابين المربعين من رحلة الوريثياني وصرح بأنه نقلها من كلام أبيه ناصر .

(٢) البياضية ٥ ج ١ - ١٦٣

لاحر ولا قرّ ولا مخافة ، ووجدنا به اصفرار غدران من الماء في أنحاديدها ،
كنى الله به شر العطش فتوسطنا التيه فنزلنا بعيد المغرب والتيه كما في
خطط المقرئزي (١)

وقال في وصف التيه حينما عاد :

ثم منه — النخيل — بعد صلاة الصبح ، ونزلنا كراع التيه مغربا .

ثم منه ونزلنا قرب السبخة كذلك .

ثم منه وقطعنا السبخة صُبْحاً ، وكنا توقعنا مكابدة مشقتها ، فسهلها الله ،
ولم نر فيها بأسا .

وبلغنا عجروداً قبل الظهر ، فسقينا واستقينا ، وبيع به القول نصفان
واربعة فلوس للربعى ، والشعر نصفان ، والبيض تسع بنصف .

ووجدنا هناك السيد الشريف (؟) كان يزعم أنه من أولاد مولانا وسيدنا
ابن مشيش ، يأوي إلى أصحابنا المغاربة وآتى لملاقاتهم وأطعمنا دجاجا—
تقبل الله منه .

وجمعنا بين الظهر والعصر فسرنا ونزلنا غربي نخلة أبي زيد ثم منه
ونزلنا غربي الأزيار .

ثم منه وتلقانا الناس أهل مصر والمغاربة وأمراء الأجناد والأتراك ،
خرجوا للملاقة الركب فنصبوا الأخبية ، وبنوا الخيام في سائر الطرقات ،
وملأوا المحال بالأسواق من البركة إلى مصر .

وكابد الناس مع المكّاسين بالعادة المشقة قطعها الله من عادة أضرت
بالمسلمين ، والله تعالى يجازى الشريبي (؟) خيراً كان يحول بينهم وبين
المكّاسين ، فالله يحول بينه وبين كل شر وضر (٢)

(١) « الناصرية » ج ١ - ١٥٥

(٢) « الناصرية » ج ٢ - ١١٠

التخييل :

ثم ظعننا منه يوم الاثنين وغلسنا الرحلة . وانفرد عن الركب رجل من أهل توات مع ولده وعبيده بعدما حملوا على جملهم ، ولقوا جماعة من المتلصصة فأخذوا الجمل وما عليه وهو كل ما علك ذلك مقدار ٨٠٠ مثقال تبرأ بعد ماشجؤه فخر صريعا.. وأتينا بندر التخييل قرب الزوال ونسابق الناس لسقى الجمال والبغال ، وصادفنا فيه بقية من السوق به بعض الفواكه الشامية أتى بها أهل غزة مثل الزبيب الفاخر الحلو ونحو ذلك ، وذلك عادتهم أبداً يتعرضون للركب هنا ذهاباً وإياباً بالكثير من الزبيب وأنواع الفواكه الشامية ، وهناك بندر حصين فيه بئر ماء عذبة كثيرة لاتنزع أبداً ، يسقى منها بالبقر إلى برك خارج الحصن وهي ثلاث مثل التي بعجروء إلا أن هذه أكبر وقد وجدنا الماء فيه فاضلاً عن الركب المصري وأخذ الناس منه حاجتهم ، وهو من المواضع الذي يصعب فيه الماء ، إذ ليس فيه إلا بئر واحدة ، فإذا شرب المصري مافي البرك وقعت الزحمة على البئر فلا يصل الناس إلى الري إلا بعد تعب شديد .

واتفقت الأركاب المغربية على عدم البيات فيه . فسرنا ونزلنا بعيد المغرب (وقل في ركبنا الفلاحون فضبط أمر الركب بعض ضبط) .

وقال في وصف التخييل لما عاد من الحج :

ثم منه - شرق بئر العلائي - ومررنا ببئر العلائي ضحى ، ونزلنا التخييل قبل الاصفرار ، ووجدنا به الملاقي . وبيع الفول بثلاثة أنصاف للربيعي ، والشعير - والله أعلم - بنصفين وكل شيء كثير ^(١) .

بئر الصعاليك - بئر البارود :

ثم قوضنا الأخبية من منزلنا الذي جاوزنا التخييل إليه في برء شديد تخال الأبدى منه رميت بالشلل ، والأرجل نظمت بالسلا والأسل قال الشاعر :

رحلنسا العيش نمشي في هواء له برد على الفسادي يشق
فما في الركب إلا من تراه له حنك بسورته ^(٢) يدق

(٢) لعل الصواب (بسترته)

(١) الناصرية ج ٢ - ١١٠

ولم يزل الهواء والبرد ... إلى أن حان وقت العصر ... فصلينا صلاته
 بئر الصعاليك ، وتسمى بئر البارود ، وهي بئر كبيرة طويلة مطوية بحجر
 وبناء متقن في أصل واد ، وبجانب البئر أثر بناء وبركتين ، إلا أنه لاعمارة
 عليه ، وماؤها بارد إلا أنه قبيح لا يكاد الشارب يسيغه فتقدمنا ونزلنا
 بعد المغرب .

سطح العقبة :

ثم طعننا من العقبة ضحاء يوم الاثنين (٣٠ المحرم ٢٠ مارس) وسار
 الركب وتأخرنا في انتظار بغلة لابن عمنّا حسين بن أحمد مع بغلة سيدي
 أحمد العقبي ، بعثاهما للسق وأخذهما بعض الأتراك الذي جاء مع الملاحية في
 حق له زعم أنه ألزمه له الفاسيون في هذا البندر ، أربعين مثقالا ذهباً ، حتى
 أتانا صغيراً (؟) قرب الاستواء وذكر أن أمير الركب نأثم ، وتعذر لقيه (؟)
 الآن إلى أن يقوم من نومه للصلاة لينزجر آخذ البغال ، وتخلف لذلك
 حامل رايته الحاج أحمد التواني وأعطى بغلته لابن عمنّا ، وتخلف معه العقبي
 وسرنا مجدين ، لتلحق بالركب ، وطلع الناس ومعهم نوع تفريط لم يأخذوا
 حذرهم ، ولا أنزلوا الرماة في الأماكن المخوفة كعادتهم ، ولما بلغوا المكان
 المسمى بدار الحفيان (؟) وهو المكان الذي قتل فيه ابن أخي العباس -
 رحمه الله - والناس في غرتهم لم يزالوا كل أين حل (؟) وتركوا المراحل
 مع سواقها وسوامها (؟) وتجاوز الركب التونسي وأوائل الفاسي وليس
 أمامه رماة . ولا تأهبوا لعدوهم إذ تعرض الحرامية المتلصصة لطائفة منهم
 وأخذوا إيلاً بأحاملها وتزاموا مع من وجد مع الإبل على غرتهم ، ومات من
 المتلصصة ثلاثة - فيما زعموا - وواحد من الحجاج ، وخرج ثلاثة ، وسلم
 الله الركب كله ، وللكبيطي (؟) والقشري من هذه الإبل المأخوذة خمسمائة
 مثقال ذهباً وحوائج ، وواحد لابن كيوان ، وواحد للغنبري شاش ونصف
 حمل صالح الفيلاي للعلوى ومثان مثقالا ذهب - ونصف حمل لآخر ،
 ونصف حمل للحجاج عبد القادر الأبار وأخويه عليه سلعة هند وحمل للسيد

صالح الفيلاالى التزكزوتي ، ونحو مائة شقة لابن أبي زيان أمانة عنده ،
وحملان للحاج مسعود الأبار أحدهما عليه الماء والآخر بلا شيء .

ونزلنا بعد العصر سطح العقبة

واستهل هلال صفر ليلة الثلاثاء (١)

وقال في ذكر سطح العقبة أيضاً .

العقبة :

وبتنا بسطح العقبة ، ثم ظعنا بكرة يوم الخميس (٨ ذي القعدة
٢٩ دجنير) وما تعالى النهار حتى وافينا عقبة أيلة وخبرها قد روع القلوب ،
ونوع المهابة لأمرها ، فما من الركب إلا من هو من لباس الصبر مسلوب
فحصل هناك من الزحمة ما تقطعت له القلوب رحمة وتصادمت المخاف وانكسرت
وبرزت أنياب النوق وتكشرت ، فما كان بأسرع من خمود أمرها .
وركود حرها وجرها ، وهي عقبة كژود ، صعبة الهبوط والصعود ، إلا
أن الطريق بها منحوتة ، قد سويت في أكثر الأماكن الصعبة ، وبنيت حافتها
ببناء متقن .

ولما كان المحل معروفاً بتلصص الأعراب وحرابتهم تهاً الناس وأخذوا
حذرهم ، وأبرزوا أسلحتهم ، وعبوا تعبثهم خوفاً من أعدائهم ، فإن
الغالب لا بد أن يتعرضوا للركب في هذا الموضع لصعوبته . وتقدمت طائفة
من الحجاج بمدافعهم أمام الركب ، وتأخرت طائفة ، وكفى الله المؤمنين
القتال ، فلم نر بها سارقاً ولا غائراً ، ولا عاتياً ولا غادراً ، فانفرجت
هذه الشدة ، وخلص الناس من تلك الضغطة ، وخرجوا من ضيق القبض
وجلسوا على بسط البسطة ، وتزل الناس بها سالمين قال الشاعر :

كم قد فككنا رقيةً لما اقتحمنا العقبة
وكم لنا من أمنية (٢) في حنا مرتقبه

(١) الناصرية ٢ - ١٠٩

وبعد أن نزلنا من المنحدر الصعب جعلت الطريق تلتقي في شعاب كأنها
أزقة تكثر فيها المخاوف والمتالف فيرى البحر من بعيد فيظن أنه قريب ،
ووصلنا البندر ظهراً ، ولم يبلغ الحاج إلى قرب العصر ، ووجدنا المصري
مخيماً وأرسل إلينا أمير الحاج إمامه وأبلغنا سلامه ، واسمه إبراهيم أبو شنب .

وأقنا بها الخميس والجمعة ،^(١) وفيه (؟) حصن حصين في قرية على
شاطئ البحر في سفح الجبل ، وبها آبار كثيرة ، وفيها نخيل وسوق كبير
يخضره أهل غزة وتأتيه الأعراب بالإبل والغنم والسمن والعسل والعلف
للدواب ، ووجدنا الفول فيها رخيصاً أرخص مما اكرى عليه من مصر ،
وأوقد المصري بالليل نيراناً كثيرة ، وضرب المدافع ورمى المحارق في الهواء ،
ولها منظر عجيب ، وأسلوب غريب ، كأنها شهب النجوم يرمى بها من
الأرض إلى السماء فتراها في الجو طالعة حتى ترى من أعالي هام شوامخ
الجبال دونها ثم تنعطف راجعة كأنها ثعبان أحمر ، ثم يسمع لها صوت ،
ثم تخرج منها شرارات من النار فإذا انقطعت تلك اتبعها بأخرى ، وخرجن
فيها ترى من نار زرقاء كأنها من نار الكبريت تشتعل اشتعالاً قوياً فتطلع
بها تلك الشهب. ولا نعلم صنعة ذلك وهي من الغرائب والراى بها وبالمدافع
عادة المصري في كل منزل أقام فيه إذا أراد الرحيل .

وقال شيخنا أبو سالم : وقد سألنا وبحثنا عن القرية التي كانت حاضرة
البحر هل بقي من رسومها شيء ؟ فذكر المفسرون أنها أيلة فلم نجد من يشي
لنا خبرها ، وقد ذكر لنا بعض الناس أن بأعلى الوادي أثر بناء كثير يشبه
أن يكون مدينة ولعلها هي ، وقد أخبرنا كثير من متسوقة الأعراب
أن هناك وراء الجبل الكبير المشرف على القرية بلدة فيها نخل وماء إلا أنها
خالية ويمكن أن تكون هي فإنها قريبة من البحر والعلم عند الله تبارك وتعالى^(٢) .

قلت : وفي «الخطط» للمقريزي^(٣) أن أيلة مدينة في شاطئ البحر الملح

(١) يقصد البندر - وما بين القوسين من المباشية ١ - ١٦٧

(٢) ما بين القوسين من « المباشية » ١ - ١٦٧ (٣) ج ١ ص ٢٩٨

سميت بأيلة بنت مدين بن إبراهيم (ع س) وقد كانت مدينة جليلة القدر
 وسها التجارة الكثيرة وأهلها أخلاط من الناس وكانت من مملكة الروم
 في الزمن الفائت ، وعلى ميل منها باب معقود لقيصر قد كانت مسلحته
 بأخذون المكس وبين أيلة والقدس ستة مراحل . والطور الذي كلم الله عليه
 موسى (ع م) على يوم وليلة من أيلة ، وكانت في الإسلام منزلاً لبني أمية ،
 وأكثرهم إلى عثمان بن عفان (ض) كانوا سقاة الحاج . وكان بها علم
 وأدب ومتاجر وأسواق عامرة وكانت كثيرة النخل والزرع . قال : وكان
 بأيلة مساجد عديدة ، وبها كثير من اليهود يزعمون أن عندهم بُرْدُ للنبي
 صلى الله عليه وسلم وأنه بعثه إليهم أماناً وكانوا يخرجونه ، رداءً عندياً
 ملفوفاً في الثياب قد أبرزوا منه قدر شبر فقط . ويقال إن أيلة هي القرية
 التي ذكرها الله في كتابه حيث قال : (واستلهم عن القرية التي كانت
 حاضرة البحر) واختلف في تمييزها فقال ابن عباس وعكرمة والسدي -
 رضي الله عنهم : هي أيلة . وعن ابن عباس أيضاً : مدينة بين أيلة والطور .
 وعن الزهري : أنها طبرية . وقال قتادة وزيد بن أسلم : هي ساحل من
 سواحل الشام بين مدين وعينونة^(١) . قال : وسئل الحسين بن الفضيل :
 هل تجد في كتاب الله الحلال لا يأتيك إلا قوتاً والحرام يأتيك جزافاً ؟
 قال : نعم في قصة أيلة إذ تأتيتهم حيثأنهم يوم سبهم شرعاً . ويوم لا يستبشرون
 لا تأتيتهم . انتهى المراد منه ببعض تصرف .

ولما التقينا بالمصري في العقبة أخبرونا عن حالهم مع البرد ، وأنه قتل
 منهم واحداً واثنتين ليلة العقبة ، وقرب عجرود ما ينيف على خمسين نفساً
 وذكروا أن الإنسان يكون في حمل الحشب فيوجد ميتاً بالبرد وعلى الدابة
 كذلك وحدثنا بعض حجاج القدس : التقوا مع المصري في سطح العقبة
 أنهم لاقوا من البرد والثلج والمطر ما يفضي منه العجب ، مكثوا يومين
 ما أقدوا ناراً ولا قدروا عليه ولا أكلوا من كثرة المطر ، وأخبرني واحد
 منهم أنه عليه عدة لباس من الأقبية والقميص وجوفة فوق ذلك وبات من
 أول الليل إلى آخره واقفاً ورجلاه داخلتان في الطين إلى ركبتيه . والمطر

(١) في « الخطط » (يقال لها معناه) كذا ولعلها (قنات) .

يصب عليه حتى أفضى إلى لحمه ، وعانينا من ذلك الموت الأهر ، ونحن والحمد لله سلمنا من ذلك كله (١) .

وزرنا بها - حجة تسع - قبر الشيخ إبراهيم اللقاني في مقبرة هنالك محوط عليه بأحجار ، على يسار الذهاب إلى منزل الركب : أوقفنا عليه مغربي ساكن بيندر العقبة نيفاً وعشرين سنة (٢) .

وقال عن العقبة أيضاً في عودته من الحج :

ثم ارتحلنا منه - حفائر النخيل - (يوم السبت ٢٨ المحرم ١٨ مارس) ونزلنا العقبة قبل الزوال ونزل الركب عند الزوال ، وتعرض للصوص لمرحول بعض التونسيين فيه نحو من عشرة من الإبل وضربوهم ببنادق وفر من كان مع المرحول ، وأخذوه ودخلوا به الشعبة ، وكان وراءهم ولد شيخ الركب الحواني الشيخ صغيراً (؟) في أول الركب لأن ركبتنا يتأخر عن ركب التونسيين ويتبعهم - مع بعض الرماة ، ورموهم ببنادق وفر الصوص آخذين ما على الإبل ودخلوا به الشعبة ، وردوا الإبل إلا واحداً ذهبوا به . وعلى بعض الإبل حمل من خشب زعم صاحبه أنهم أخذوا منه سبعة آلاف فضة ، وأخذوا في هودج ستمائة ريال ووجدنا ملاقية عظيمة من مصر وغزة بكثرة الفول والدقيق والشعير والزبيب والحن ، والأعراب بالغنم والسمن والعلف للدواب وسعر الفول به ثلاثة أنصاف للربعى إلى نصفين ، والشعير أربعة ، والدقيق الحيد ستة ، وأقنا به الأحد (٣) .

وقال عن حفائر النخيل - ويظهر أن المراد به ما يعرف باسم حقل :

(ثم ظعننا منه - شرف بني عطية - ونزلنا عصرأ بحفائر النخيل ، أحساء كثيرة في وسط حدائق النخل ، تحت ظهر الحمار ، على ساحل البحر وبتنا به في أرغد عيش وأمرأ شراب (٤))

(٢) « الناصرية » ج ١ - ١٦٢

(١) « الناصرية » ج ٢ ص ١٥٩ - ١٩٢

(٤) « الناصرية » ٢ - ١٠٨

(٣) « الناصرية » ٢ - ١٠٩

ظهر الحمار / شرف بني عطية :

ثم ارتحلنا من العقبة - صبح السبت - (وسرنا في مسلك ضيق بن البحر والجبل لا يمر به إلا جبل إثر جبل ، كأنه من الصراط إلا أنه غير مستقيم ، وقلما يخلو هذا المحل من لصوص يتعرضون للركب فتشتد إذايتهم ، ونعظم نكايتهم) لا سيما عند البرج قرب بندر العقبة ، ولكن ذلك في الرجوع أكثر .

ووصلنا ظهر الحمار بعد الظهر ، ووجدنا أخريات المصري ، ووقفنا حتى غاب عنا وسار ، وصلينا العصر (وهو بسيط من أرض أحرش مرتفع ، بطلع إليه من مسلكين لا يخلو من صعوبة ، وتحت على ساحل البحر أحساء كثيرة في وسط حدائق النخل ، وقلما يخلو من عمارة بعض ضعفة الأعراب ، لا سيما في وقت جذاذ النخل ، ويكون فيها ذلك الوقت رطب جيد وماء هذا المحل كله عذب طيب .

قال شيخنا أبو سالم في رحلته : ويسمى ذلك المحل في زماننا هذا حفائر النخل..^(١) وخلفنا البحر يمينا فسرنا ونزلنا بعيد المغرب في فسحة من الأرض بين جبلين .

أم العظام :

ثم ارتحلنا منه يوم الأحد الأول من يناير حادي عشر ذي القعدة وبلغنا عش الغراب قبل الظهر وجاوزنا دار المصري بشرف بني عطية بموضع يقال له أم العظام وهناك أرجام كالشعاب عن يمين الذهاب ذكر العبدري في رحلته أن ذلك قبر السفاف ، والسفاف رجل كان يقطع الطريق على الحاج هناك في غابر الزمان ، وقصته مشهورة في رحلة العبدري .

ومن وراء الجبل الذي عن يسار الذهاب بلد واسع فيه ماء جار وأرض خصبة . وربما عطش الركب في ذلك المحل فيأتى العرب بماء فيبيعونه .

ونزلنا قبيل مغيب الشفق .

(١) مابين قوسين في العياشي ١ - ١٦٨

وبنو عطية هم عرب هذه البلدة : وقال الإمام أبو سالم : (ويقال لهذا المكان - يعني الشرف - عش الغراب. غريبة : تزعم العرب أن الإبل تنفر في هذا المكان ، ويقولون : إنها تسمع صوت سقب ناقة صالح ، وأنه في ذلك المكان^(١) ، وأن هناك الصخرة التي دخل فيها لما عقرت أمه ، فالإبل إذا وصلت إلى ذلك المكان تسمع صوت العشار فتتفر . ولا أدري من أين لهم ذلك وهو بعيد ، إذ ليست هذه ديار ثمود الذين عقروا الناقة وهم قوم صالح عليه السلام)^(٢) .

وقال الناصري في عودته من الحج - وسمى الموضع أبا العظام : -

أبو العظام :

ثم منه - مغاير شعيب - ونزلنا شرف بني عطية غربي دار المصري مغرباً ، بموضع يسمى أباالعظام ، ووجدنا بدار المصري أعراباً ومعهم الحشيش والغنم واللبن والسمن^(٣) .

مغاير شعيب / عيون الاقصاب :

ثم منه - شرف بني عطية - يوم الاثنين وصلينا العصر بالمكان المسمى بمغاير سيدنا شعيب (ع.م) في حش (؟) ملتف ملنا إليه لأجل الحرم (؟) الذي معنا وهي أحشاء كثيرة في مضيق بين جباين فيها نخل ، وماؤها طيب حلو خفيف نايغ ، وعادة أعراب مَدَّين أن تسوق الأركاب هنالك بأحمال كثيرة من أنواع العنب وغيرها من الفواكه وتنخفض أسعار ذلك كله ، وبينها وبين مدين مسيرة نصف يوم وهي بلدة بساحل البحر كثيرة الفواكه والمياه الغزيرة ، وسكانها أعراب أهل بادية وكانت قبل ذلك مدينة ، ويذكر أن أثر البناء باقٍ فيها إلى الآن . قال شيخنا أبو سالم : (وعلى يسار منزل

(١) في « المباشية » : (الجبل)

(٢) المباشية ١ - ١٦٩ « والناصرية ١ - ١٦٣ »

(٣) الناصرية ٢ - ١٠٨

الركب خارج المضيق مغارة يقال : إن فيها كان شعيب عليه السلام يؤوي نغمه ويلزأها بر كبرة معطلة وبجانها بركة ، ويقال : إن هناك كانت البر التي سقى منها موسى (ع.م) غم شعيب (ع.م) وفي ذلك الوادي دوم طويل كأنه نخل ، صنوان وغير صنوان وعريش كثير في الوادي ، وهو محل مخافة قلما يخلو من لصوص الأعراب^(١) قلت : وللمدين أخبار وآثار ذكر المقریزی منها نبذة ولما صلينا العصر بالمغارة تجاوزنا (ونزلنا عيوب الأقصاب بعد العصر وهو ماء جار في مضيق بين جبلين في محل كثير القصب والديس ، وفي أعلى الوادي نخل وأرض صالحة للحرث ، قلما يخلو ذلك المحل من أعراب نزول به ، فيكثر الخوف ويعظم ضررهم ، لاسيما مع نزول الليل) فيأخذ الناس حذرهم ، فيطلعون الرماة إلى أعلى الوادي مراقبين حتى يأخذ الناس حاجتهم من الماء ، ويكتفوا فتأتي الرماة لمنازلهم (وعلى شفير الوادي عند منزل الركب مسجد مبني بالحجارة المنحوتة ، ومنبر بإزائه)^(٢) .

وقال الناصري في ذكر مغابر شعيب عند عودته من الحج :

ثم منه - عيون الأقصاب - بعد طلوع القمر الخامس والعشرين من المحرم (١٥ مارس) ، وسار الركب ، وتأخرنا لقرب الصلاة فلما صلينا سرنا بالركب (٣) ونزلنا مغابر شعيب قبل الاصفرار ، وأتانا رجل ومعه زيف (٤) فيه قليل عنب أسود ، وطرحه بإزائي ، نحو عرجونين - والله أعلم - وقلت له : أنت من مدّين ؟ قال : نعم . وذكر أن العنب يطعم بمدّين مرتين في العام وأكلت ذلك العنب ، ووجدته عنباً جديداً ، كأن فيه قليل ملوحة وهو طيب حلو ، وأكلت العنب الحديد في نصف مارس (وذكر أبو سالم أنهم لما نزلوا هنا أتاهم العرب بأحمال كثيرة من العنب الأسود وهو في غاية الخلاوة ، وبرمان كثير ، وبيع العنب أولاً بدرهمين للرطل ، ثم صار بعد ذلك بدرهم ونصف للرطل منه)^(٥) ..

(١) مابين القوسين من المباشية ١٦٩-١

(٢) : « الناصرية » ١٦٣ - ١٦٤ و « المباشية » ١ - ١٦٩

(٣) الناصرية ج ٢ - ١٠٨ ومابين الأقواس من المباشية ١ - ١٦٩

وقال الناصري في الكلام على عيون الأقصاب - وهي المعروفة بعيون القصب حين عاد من الحج :

ثم ظعننا يوع الثلاثاء (٢٤ من المحرم ١٤ مارس) - من المويلح - ونزلنا عين الأقصاب طفلاً وبتنا به . وأقى السارق ليلاً إلى خباء الحاج عبد الرحمن بن الحس الطرافي . وفتحوا حملاً من أحماله فيه الكتان ، وجعلوا يأخذون منه ، ورجلاه على الحمل نائماً ، فتحرك الحمل لأخذهم منه فهبّ من نومه وصاح ، وخرج السارق آخذاً بثوبه نحواً من عشرين شقة ، ومرّ ، وتبعوه وعثر وسقط وألّى الكتان وفرّ ناجياً بنفسه (١) .

المويلح :

ثم ارتحلنا منه - عيون القصب - يوم الأربعاء (١٤ ذي القعدة ، ٤ يناير) وخرجنا على البحر ولم نزل نسايره إلى بندر المويلح ونزلناه قبل الغروب . ونزل أول الركب عصراً . وبنينا الأبنية والأخبية بإزاء البحر بحيث تقرب الأمواج من الأستار . وماء هذا البندر كثير حلو (فيه آبار كثيرة . وبساتين حسنة ونخل . وهناك حصن كبير فيه عسكر وأمير . وتخزن فيه الميرة والفول كثيراً وعلى بابه سوق كبير يوجد فيها غالب المحتاج . وفيه مقاني كثيرة من دلاع وبطيخ وغير ذلك وبه مرسى حسنة تنزل بها السفن القادمة من سويس والقادمة من جدة ومن القصير) والحجاز عامناً هذا كثير فيه المطر جداً : وقال يوم بمضى ولا نجد فيه غدران المطر . وما شربت قط بعد فراغ ماء النيل إلا ماء المطر - أغنى فيما مضى ونرجو أن يكون فيما بقي كذلك وأقنا بالمويلح الخميس والجمعة ، ورحل المصري سحر ليلة الجمعة لأجل السبخة التي أمامه أراد أن يتعدها نهاراً .

وخزنا بالقلعة من الزاد ما يبلغنا إلى العقبة ، ومن العقبة كذلك إلى

(١) « الناصرية » ج ٢ - ١٠٨

(٢) « الناصرية » ١٦٢ ما بين القوسين من المباشية ١ - ١٧٠

مصر ، ووجدنا هناك رجلاً من سكان زاوية الفتح ، طلع معنا عام تسعة وانقطع هناك وتزوج وولد له ، بسمونه الحاج أحمد المغربي ، وله وجه ومعركة بالناس ، وعنده أودعت ما أودعت وأتانا بقربتين من ماء المطر - جزاه الله خيراً (١)

وقال في ذكر الموبلح عند عودته من الحج :

ثم منه - بعد صلاة الصبح (السبت ٢١ المحرم ١٦ مارس) ونزلنا بنشر الموبلح بعد الظهر ، ونزل آخر الركب قرب العصر وبننا به ليلة الأحد والسراق يطوفون بالركب ويتواثبون عليه من كل ناحية ، وحين الصباح أخبروا أن واحداً منهم مات ، وأنهم خرجوا بجماعة وتفرقوا في نواحي الركب ولما اجتمعوا فقدوا واحداً منهم ، وسألوا عنه فوجدوه ميتاً صادفته رصاصة وآخر بجروح .

وتوفي هنا صاحبنا الأخ سيدي إبراهيم بن عبد الرحمن الأستاذ لم (٢) لا يخفى (٢) في سيدي محمد التواتي بين ظهري الأحد - رحمه الله - ودفن به ، وأقمنا الأحد والاثنين (٣) .

دار السلطان :

ثم بعد صلاة صبح يوم الأحد (١٧ ذي القعدة ٧ يناير) شددنا للرحال الحامل والمراكب وأصبحنا بالسبخة ، ونزلنا الموضع المسمى بدار أم السلطان قبل الغروب ، وبه آبار عذبة المياه تستلذها الأفواه ، على أنه سخن ولكنه سريع الانفعال للهواء وهي محرقة ، وأحلى ما بالدرب من الماء ، ومثلها ماء النبط . أخبرني بعض كبراء أعراب هذه النواحي أن الأمير إبراهيم الفكاردي (٤) هو الذي تسبب فيها ، وأنه طلع للحج وبعث إلى أخيه بمصر وقال له : إن الماء الطيب بهذا المنزل إن مت فاحفره (٥) . وأكد عليه في ذلك

(١) « الناصرية » ج ١ - ١٦٦ - ١٦٧

(٢) الناصرية ٢ - ١٠٨

(٣) الناصرية ج ١ : ١٦٧

ومات بمكة لما حج ، وحفر أخوه آباراً ، ولها نحو من عشرين سنة
والحل قبل لا ماء به انتهى .

وقال عن دار السلطان في العودة - وسماها دارام السلطان .

ثم ظعنا - من الأزم - بعد صلاة الصبح يوم الجمعة - ٢٠ المحرم
١٠ مارس - وصلينا الظهر إزاء البحر قرب ضريح سيدي مرزوق الكفافي
وسرنا ونزلنا آبار دار أم السلطان عصرأ وماؤها طيب زلال ، وبتنا وسُرِقَ
للفقيه سيدي عمر العيني بهذه الدار ثلاثة عشر شقة من الكتان ، وذلك
ما على ملكه - والله يخلف له - نام ودخل السارق الحباء وأخذها وهذا
السيد من أجل أحببنا ^(١) .

الآزم :

ثم منه - دار أم السلطان - قبيل الفجر ذهبت الركاب ، وتربصنا
لجماعة حتى صلينا الصبح ، مررنا بالمضيق المعروف بشقّ العجوز ،
وسايرنا البحر المالح ، عن يسارنا جبال سَلَمَى وكفاقة ، ومررنا ضحى
بقبر سيدي مرزوق الكفافي على ساحل البحر عليه أعواد قد علم بها عليه
والناس يتبركون به ، وطلعت الشمس فارتفعت حارة ، ونزلنا بندر الأزم
قبيل الاصفرار ، ووجدنا به شرذمة من الأعراب يبيعون الحشيش والغنم ،
وبه ثلاثة آبار كبيرة محكمة البناء ، وماؤها غزير إلا أنه زعاق يصلح
للإبل ، ولضرورة الناس من غسل ونحوه ، ولا يسيغه إلا المضطرون
قال الشيخ أبو سالم ^(٢) : (وعلى يسار البندر بعيداً عن الآبار حسي محفور
في الأرض ليس بمطويّ ماؤه أحسن من ماء الآبار إلا أنه قليل ، ولا يعرفه
الكثير من الناس ، وهذا البندر قليل الجدوى لقبح مائه ، وبقره من
المويلع ومن الوجه ، وهما أتم منفعة منه ، فليس فيه كبير فائدة ، وقد انهد

(١) « الناصرية » ج ٢ - ١٠٧

(٢) « العياشي » ١٥ - ١٧٣

ما في داخله من البيوت ، وتثلج بعض سوره ، والخلاء أقرب إليه من
العمارة :

إذا لم يكن فيكن ظل ولا جنى
فأبعدكن الله من شجرات^(١)

اصطبل عنتر :

ثم ارتحلنا من الأزلم يوم الاثنين وشرنا بين جبلين في مضايق وعقاب
صغار إلى أن وصلنا اصطبل عنتر بعيد المغرب (وفيه ثلاثة آبار ، وماؤها
حلو ، ، إلا أنه ضيق^(٢) انزحته الدلاء بسرعة ، وبات الناس يتبرؤونه
تبرؤاً) فمنهم من رجع بما يكفيه لشربه ، ومنهم ذو قربة وقربتين ، ومنهم
من رجع منه بنحى^(٣) نحين ، وأما الإبل فلا تكاد تطمع فيه^(٤) .

الوجه :

ثم منه - اصطبل عنتر - يوم الثلاثاء سحراً ، ومررنا بوادي الأراك
وهو واد واسع يأتي من ناحية الشمال والبحر عن يمينه قريب منه . وفيه
كثير شجر الأراك الأخضر الناعم فتجاوزناه إلى مضايق بين فدادن من جبال
ذات حضور^(٥) وصعود إلى أن وصلنا البندر الوجه عصراً وبواديه
أدينا فريضته ، وتقدمنا قرب البندر في انتظار أصحابنا ، وفيه حصن حصين
في جرف واد كبير يخرج بين جبلين (والناس يتهيبون النزول في أصل
الوادي إذا كان الوقت وقت السيول فيرتفعون عن جنبي الوادي وكذلك
يفعلون^(٦)) وفي الوادي عدة آبار بعضها حسن - بمهملتين وبعضها بمعجمتين
والتي فوق البندر أحسن من التي تحته وداخل البندر برّ تسنى بالبقر وتصب
في ثلاث برك خارج البندر أظن حائط احداها من بناء الأمير رضوان في آخر
أيامه وهي أوسطها ، واثنان من بناء مملوكه الأمير غطاس^(٧) عام تولى
إمرة الحاج بعد مولاه ، والبرك الثلاثة ملاصقة لسور البندر .

(١) الناصرية .. ج ١٦٧ وما بين القوسين من « العياشي » ، ١ - ١٧٣ .

(٢) في « العياشي » ١٧٣ - ١ : (صنين) وما بين القوسين منها .

(٣) الناصرية ج ١٦٨ (٤) في العياشي : غيطاس

قال أبو سالم : وفي أعلى الوادي بين جبلين ماء يسمى الزعفران وماؤه طيب إلا أنه قليل ، فإذا كثر الزحام على الآبار . طلع إليه أهل النجدة والحرأة من الناس وربما هجمت عليهم العرب هنالك فيقع بينهم قتال إلا أن الموضع قريب من البندر فيغاثون واستقى الناس ما احتاجوا إليه وأرووا إبلهم وبالغوا في حل الماء (وتعاهدوا أسقيتهم وأوثقوا أوكيتها ولم يألوا ما ملؤوا من الأوعية . وباتوا ليلتهم في الآبار إذ نزلت وكابد الناس في ذلك مشقة فادحة لأنهم استقبلوا المياه القبيحة والمسافة العريضة التي ليس في الدرب أصعب منها لتوالى المياه القبيحة فيها . وبُعد العماراة ، ووخم هوائها وسوء أخلاق عربها قال أبو سالم : وهذا البندر أكد البنادر للخرن لأن الركب في الإياب قد يسبق الملاقى الذي من مصر إلى هذا المحل فيغلى فيه الفول والطعام غاية حتى تعجز عنه الأثمان في بعضها الأوقات (١) وفي حجتنا عام تسعة تجاوزناه لقلة مائه ونزلنا قرب العشاء بعد مجاوزته بأميال ، إذ لم نجد به شيئاً من المنال

وقال في ذكر الوجه حينما عاد :

(ثم بعد صلاة الصبح ظعنا - من بعد أكره - ونزلنا الوجه قبل العصر ، ووجدنا به أهل مصر أتوا للملاقة الركب بالفول والدقيق ، وغير ذلك مما يحتاج إليه من الطعام . وبعث لنا معهم الحاج محمد الشربيني حلين طعاماً ، وحمل ونصف من دقيق ، ونصف حمل من كسكسوا (?) تقبل الله منه . وهذه الملاقة التي وجدناها هنا من أعظم الملاقى وأولها ، زعموا أن بها زهاء ثلاثة آلاف بعير ، وبيع الفول بها خمس فضة للربيعي (?) إلى أربعة ، والشعير ستة ، والدقيق ثمان (٢) .

وبعث لنا مع أهل الملاقة الأخ الحاج العبد الله (?) ابن طلحة الدرعي اليوسني ثلاثة حقوق حلوا والحاج أحمد الأبار حَقاً والحاج أحمد المنجور حَقاً من كعك مختلط بسكر ، والحاج على التطواني آخر مملوءاً فانبداً

(١) مابين القوسين من « العياشي » ١ - ١٧٤

(٢) « الناصرية » ٧ : ٢ - ١٠٧

ويعدي يوسف أبو السعادات المصري 'حقاً مملوءاً طعاماً مختلطاً بسكر ،
وبطء مملوءة خليعاً' .

أكره / بين الدركين :

ثم ارتحلنا من الوجه إسفار يوم الأربعاء (٢١ ذي القعدة) ونزلنا
غربي الأكره بين العشائين ، وفي هذه المسافة لما توجهنا عام تسعة هبت
على الناس ريح السموم ، من نضيج اليعقوم ، واشتد الحر وتوالى الكرب
على الناس ، وضاعت الحيل وعدم الإيناس ، واشتد العطش على الرجال
والأجمال ، كل شرب ولا يغني شربه ، بل يزايد بمناولته الماء كربه ،
لا يبين القدح والسقاء عن فيه إلا تزايدت حرارة العطش له ، فبركت
الإبل وفرت لظلال الأشجار وتدخل رءوسها في أدنى ظل يبدو لها ، وإذا
بركت لا تكاد تقوم ولو قطعت إرباً لإرباً ، واشتدت الحال ، وبلغت
القلوب الحناجر ، وكلحت الوجوه واغبرت الغرر وتغيرت واسود بيضها
وتنكرت ، فرى الرجل لا بأس به فإذا به يُخشى عليه الفوت ، فإذا أوتى
بالماء سبقه إليه الموت . وهلك من الناس كثير ، ومن الإبل أكثر ، وترك
الناس بضائعهم وأحاطهم مشحونة بأزوادهم وما به قوامهم فتاهت في
القلوات ، وذهبوا بأنفسهم في طلب النجاة ، يوم يذكر الموقف والعرض ،
وضاقت الدنيا على سعتها في الطول والعرض ، يود الإنسان لو يجد السبيل
إلى باطن الأرض ، الناس فيه حيارى ، وتراهم سكارى وما هم بسكارى ،
مات من المغاربة زهاء الستين بالشرب والعطش من نساء وصبيان ، ورجال
وولدان هذا ما رأينا عياناً . على أن الناس تفرقوا لطلب الظلال شذر مذر ،
وللتبرد بالأفياء شجر بفر (?) ومررنا بامرأة مصرية فلاحية وقد بركت
أحمالها رافعة أكفها إلى السماء تتضرع وتقول : يا رسول الله اشتد الأمر .
وتكرره ، وتركناها ، مكره أخاك لا بطل ، ولم ندر ما فعل الله بها .

م منه وبلغنا الأكرة ضحى ، وهو واد كبير تأتيه السيول من بلاد
بعيدة ويذكر أن سيله من سيل المدينة المشرفة ، وماؤه قبيح جداً إلا أنه

يكون عقب سيل فيحسن ، وفيه أحساء كثيرة وأشجار ملتفة ووجدنا ماء
جل آباره جيداً لقرب عهده بسيل ، وسقى الناس منه وأخذوا من مائه ما ليس
لهم عنه بد ، وسقوا إبلهم وتجاوزوه قبل الظهر وباتوا غربى بين الدركين ^(١)

وقال في ذكر أكره وهو يتحدث عن أودية المدينة :

(ثم تفضي - سيول المدينة - إلى البحر عند جبل يقال له أراك ثم
تدفع في البحر من ثلاثة أمكنة . يقال لها العيوب والتجة وخفيف . انتهى
قال السيد السموهدي - وذكرنا في الأصل ما في كلام المطري من
المخالفة لما ذكر ، وأن مصبه في البحر من ناحية الكرى في طريق المصرى .
قلت : وهو الوادي المسمى اليوم بالأكره على ألسنة الحجاج شرقي الوجه
بينه وبين الوجه مرحلة) ^(٢) .

وقال حينما عاد من الحج :

(ثم ظعنا - من بين الدركين - وبلغنا الأكره بعد الزوال واستقى الماء
من أراده ، ووجدنا الوادي سال ، وأراد الناس سقى إبلهم ، ومنسِعُوا منهم
أمير الركب الحاج محمد صعبرا ^(٣) وقال : إنه لا يليق بنا الجلوس هنا ،
الأعراب المتلصصة كثيرون هنا . ولقد صدق وأحسن فيما رأى ، وقد رموا
أول الركب التونسي بينادق يطلبون إرهابهم فيفتكون بهم ، وصبروا لهم
وثبتوا ، وما نالوا منهم شيئاً ، فن أسرع سقى إبله ، ومن أبطل تركها بلا سقى ،
وتجاوز الناس بعد أخذ حاجتهم من الماء في قربهم من أحساء حفروها
وتجاوزوا ونزلوا قرب العشاء) ^(٤) .

وقال في العودة من الحجاز بعد ذكر الحوراء :

(١) « الناصرية » ١ - ١٧٠

(٢) « الناصرية » ج ٢ ص ٧٥

(٣) : « الناصرية » ٢ - ١٠٦

ثم منها - الحوراء قرب الفجر - يوم الأحد ٥ مارس - صلينا الظهر بين الدركين ، وكان من قدر الله أن ضلّ لنا عبدٌ لابن أخى محمد بن محمد الصغير اسمه سالم في هذه المرحلة لما مررنا ذاهبين ، فلما رجعنا وجدناه هنا ، وزعم أنه تام واستيقظ فإذا بالركب ذهب ، وفات وأتاه المشفرة من الأعراب المتلصصة وراء الركب فأخذوه وعزلوه عن عدته ولباسه وتنازعوا عليه حتى تجاروا ، وسألوه عن سيده فأخبرهم أنه لنا ، وضّمته إليه الغالب من المتنازعين وآواه إليه وله زوجتان ، وأرادت إحداهما بيعه ، ومنعته الأخرى من البيع وقالت : بل نمسكه حتى يرجع ربه ونسلمه له . وسأوموه له (٩) ، بخمسة من الإبل وامتنعت المذكورة من بيعه ، وفعلت معه خيراً كثيراً فلما وردنا عليهم بهذا الموضع أثبت به ، وأعطيت لها خمسة مثاقيل ذهباً ، ومثقالاً آخر لرجل زعم أنه أحسن إليه (١٠)

الحوراء :

ثم ارتحلنا منه وبلغنا بين الدركين مع طلوع الشمس ، وهو منزل الحاج المصرى وسمي بذلك لأنه بين دار أعراب مصر وأعراب الحجاز ، وما بعده من عمل الحجاز وفي درك عربيه ، وجدنا الأعراب هنالك تبيع ماء المطر واشترينا منهم أربع قرب بتسع عشرة فضة .

وسرنا ولما تعالى النهار رأينا نجماً من الأعراب بإزاء البحر ، راحلاً بالإبل والبقر والغنم .

ولما بلغنا العقبة السوداء وهي عقبة صغيرة في حرّة سوداء ذات أشجار وأحجار ، ويقال : إنها أول أرض الحجاز ولا يبعد ذلك فإن من هنالك تحالف الأرض ما قبلها ، وتباين الجبال ما سواها ، ويشند شبهها بجبال الحجاز السود ، ويتقوى الحرّ ، وتلقّت تلك الأعراب الركب بكثرة السمن واللبن والخرفان للبيع ، ولم نر من ذلك نحن شيئاً .

وهذه المرحلة والتي قبلها يشتد فيها الحرّ وهي أرض سهلة مطمئنة ،
 ليس فيها جبال إلا ما يترآى عن شمال الماربها والبحر يترآى عن يمينه ،
 وفيها غياض من شجر الطلح وهي من أنواع الكلا التي ترعى الإبل
 كثيراً ، إلا أنها لا تترك للرعي ، فإن المحل مخوف ، تغير فيه أعراب بلى
 وجهينة وغيرهما ، فسرنا محاذين للبحر إلى أن نزلنا الحوراء بعد المغرب
 وتفرق الناس في مياهها ، وهي حفاثر على ساحل البحر ، يحيط بها ديس
 كثير ، وفيه ملحوة قليلة ، والقريب العهد بالحفر أجود من غيره ، وكلما
 طال في القرب خبث ، والاكثر منه يورث إسهالاً مفرطاً كماء أكره (١)
 والأزلم وعجرو د .

وأخذوا أهبتهم راقين على تلال وادبها وآكامها وروابها ، لكون
 المحل محل الغارات ، فلما أخذ الناس حاجتهم من الماء ارتفعوا عن الحفاثر ،
 وباتوا ، ومن أمثال الحاج : لا رجال إلا رجال الحوراء ، ولا جمال إلا جمال
 الدّورا . ويعنون بالدورا الرجعة ، يعني لا يُعدّ صابراً من الرجال إلا من
 صبر في حال الرجوع من الحجاز إذ هو آخر السفر ومحل قلة العلف (٢) .

وقال عن الحوراء في عودته من الحج : -

وظعنا قبيل السحر بمنزلة (٣) - من النبط - وتبع الركب متلصصة
 الأعراب وراءه ، يطلبون الغرة ، وأخذ الناس حذرهم منهم فتأهبوا ،
 ولما وقف الركب لصلاة الصبح ركب الحاج أحمد بن محمد الأبار على بغلته
 فأتاه لص مستغفلاً فقطعنه من الركب فضربه وأسكره وأخذ مدفعه ، وفرّ
 للجبيل هارباً ، ونزلنا الحوراء قرب المغرب وأعراب هذه البلاد الحجازية
 من عسفان إلى ينبوع بلاد حرب ، ومن ينبوع إلى أكره بلاد جهينة ،
 ومن أكره إلى ظبة - بالظاء المشالة والباء الموحدة والماء واد دون المويلح
 بلاد بلسي ومنه إلى مصر بلاد الحويطات ومغازة (٤) والأعلوين وبني عقبة ،
 وماء الحوراء من أقبح مياه الحجاز (٥) .

(١) « الناصرية » : ١ - ١٧٠ - ١٧١

(٢) « الناصرية » ٢ - ١٠٦

العقيق / النبط / وادي النار / الخضيرة :

ولما صلينا الصبح ظعنا - من الحوراء - فطلعنا مع واديه الكثير الأشجار من أراك وغيره إلى أن ارتفعنا فعدلنا يمينا إلى الوادي المسمى على ألسنة الحجاج وادي العقيق . قال شيخنا أبو سالم ^(١) : ولا مناسبة بين الاسم والمسمى ، وتسميته بوادي الغي ^(٢) أنسب لشدة جراءة أعرابه على السرقة ، فإنهم من أجرأ الناس على ذلك ولم نبت تلك الليلة إلا بقرب النبط ، فنزلنا غريبه بعيد المغرب .

ثم ارتحلنا منه يوم الأحد (٢٥ ذي القعدة) وجئنا إلى وادي النبط بعيد طلوع الشمس وفيه آبار أربعة محكمة البناء بالحجر المنحوت وماؤها عذب حلو غزير في الغالب . قال أبو سالم : وغزارة مياه أودية الدرب إنما تكون بحسب كثرة المطر وقلته ، فإذا حمل الوادي ولو مرة في السنة غزر ماؤه سائر السنة ، وبهذه السنة توالى الأمطار بالحجاز خصوصاً من الأكره إلى هنا فقد صب في المطر الكثير ، وتبت فيه الربيع .

ونزل الناس بهذا الوادي إلى أنسقوا واستقوا ووجدوا به الماء الكثير . فساروا .

ووصلنا وادي النار ، ولما صلينا العصر وجدنا غديراً من ماء المطر في تلة ، بسفح جبل ، وأوردنا دوابنا ، وملأنا أدواتنا .

(وهذا الوادي قد وافى ^(٣) فيه الاسم المسمى ، قلتما تخلو سنة من شدة تقع للحجاج فيه ، بحر أو عطش أو تلصص ، وهو واد كبير ضيق ما بين جبلين لاسعة فيه بين النبط إلى الخضيرة ، فإذا منع النهار واشتد الحر حجبت الجبال عنه الهواء البحري فينعكس غرباً وشرقاً ،

(١) الناصرية ١٧١-١٧٢

(٢) « المباشية » ١ - ١٧٧ (العقوف) .

(٣) « المباشية » ١ - ١٧٧ : (وافق) وما بين القوسين منها

صاعداً مع الوادي أو منبطاً ، فيصير سموماً محرقاً ، ولا ماء هناك إلى ينبوع من النبط ، قربها أثلّف الناس فيه العطش المهلك ، وربما أهدر سميّة في الأبدان بقبح الهواء مع حرارته فتموت المئون من الإبل ، بل الآلاف من الخلق في أسرع مدة ، فيأخذ الرجل الماء فلا يضعه من يده حتى يموت) قال الشيخ أبو سالم : (ووقع ذلك في الإياب كثيراً ، وفي الركب المصري أكثر) .

ونزلنا مغيب الشفق قبيل الخضيرة — وهو محل نزول المصري (١) .

وقال عن النبط في العودة :

نزلنا منهل النبط (١٢/١/١١٢١ هـ ثاني مارس) في هواء لا حرّ ولا قرّ ، بين الظهريّن وآوينا فيه دون الآبار بموضع إيواننا بالتشريف (؟) في ظلّ جبل ، ووجدنا به رجلاً كبيراً لما أتينا بذلك المحلّ في ذهابنا زعم أن اسمه عودة ابن يكون (؟) الجهني ، واشترينا منه حشيشاً لدوابنا ولما رجعنا قافلين فرح بنا وهشّ وبشّ ، وأتانا بخروف وصحفة من سمن ، وأبيت قبوله إلا بالتمنّ ، وامتنع ، ودفعت له ريالين مكافأة له ، وأتانا بقربة جيدة من صنيع عرب الحجاز لتبريد الماء وسألت غيره عن مقدار ثمنها وأعطيته أضعافه (٢) وانخرنا لحميم الركب وبنّا به (٣) .

الوعرات السبع / ينبع / الدهنا :

وظعنّا قبل الفجر وجئنا الخضيرة وصلينا الصبح ، وقطعنا الوعرات السبع المسماة على ألسنة الحاج بسبع وعرات ، وخرجنا إلى متسع من الأرض .

وبلغنا ينبوع النخل غروب الشمس ، ولما قربنا مضيق ينبوع تأخر كثير الصعاليك فخرج عليهم المحاربون ، وجردوا صلحوكاً فصاحوا ورجع إليهم بعض الحاجاج فهربوا ، وجلسوا تحت أحجار ، ورموهم ببنادق ،

(١) • الناصرية ١٤ - ١٧٢

(٢، ٣) • الناصرية ج ٢ ص ١٠٥

ورما هم الحجاج وكفى الله شرهم : واستبشر الناس بقدوم النبيون لأنها أول بلاد الحجاز العامرة ، وفيها قرى كثيرة ومزارع ونخيل وعيون جارية ، وذكروا أن عمرانه متصل نحو ثلاثة أيام .

والقرية التي ينزل بها الركب هي آخر القرى التي من ناحية البحر وليس بعدها إلا ينبوع البحر الذي هو المرسى ، وغالب أهل القرى يأتون إلى هذه القرية التي ينزل الحاج للتسوق وتعمرها سوق كبيرة يوجد فيها غالب المحتاج وتجلب إليها البضائع والسلع ذوات الأثمان ، ويجلب إليها من الثمار والفواكه والحبوب والفول شيء كثير .

وهناك وجدنا خبر مكة والمدينة - زادهما الله تشريفاً وتعظيماً - ووجدنا أيضاً أخبار سائر الحجاز ، وتعرفنا رخصتها من غلاتها ونخصتها من جدبها .

ومن هناك تجلب الميرة للمدينة المشرفة ، لأن السفن الحالبة للطعام من مصر ما كان منها للمدينة يرسي بينبوع البحر ، وما كان منها لمكة يتجاوز إلى جدة ، فإذا وصل الطعام إلى ينبوع حمل منه إلى المدينة ، تحمله أعراب تلك الناحية من بني سالم وجهينة ، ويتداركون الطريق من هناك إلى المدينة .

قال شيخنا أبو سالم ^(١) (وأكبر جبال تلك البلاد جبل رَضْوَى ، وهو المشرف على بلاد النبيون ، وليس هو الجبل الصغير الذي هو بجانب النبيون بل هو الجبل الكبير المشرف عليه ، وإلى هذه البلاد كانت غزوة العُشَيْرَة من غزواته صلى الله عليه وسلم ومسجد القرية الآن هو مسجد العُشَيْرَة المعداد في المساجد التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم قال السيد السهمودي

(١) « العياشي » ١ - ١٧٨

ما نصه : ومسجد العشيرة معروف بطن ينبوع ، وهو مسجد القرية التي ينزلها الحاج المصرى . ولابن زبالة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد ينبوع بعين بولا .

قلت :وعنده عين جارية لكنها لا تعرف بهذا الاسم انتهى) وقد دخلت هذا المسجد، وقيلنا فيه حتى صلينا الظهر والعصر ، وتوضأنا من هذه العين وعليها نخيل ملتفة ناعمة ووجدنا بها العام (٤) ييس ماء العين ، وأنهدم بعض سقف المسجد ، وذبلت النخل .

(وفي ينبوع مزاراة على تل مرتفع لأبي الحسن النفاقي^(١) وقبر الحسن المثلث فوق القرية لم يوصل إليه لبعده وذعارة أعراب البلد ، يزار من بعيد بالنية .

وهذا البلد توطن^(٢) طائفة من الأشراف ، ومنهم شرفاء بلدنا ، القاطنون بـ(جلماسة) .

أقمنا بالينبوع يوم الثلاثاء ، (٢٧ ذي القعدة ١٦ ينبر) إلى قرب العصر قدر ما هيء المحتاج ونزلنا بعيد المغرب قرب الدهناء^(٣) .

وقال عن العشيرة في عودته من الحج (نزلنا بمسجد العشيرة فإذا بعينها يابسة — وذبلت النخيل التي عليها . وقيلنا بالمسجد حتى صلينا الظهر ، وسرنا إلى خيامنا بمحمل نزول الركب^(٤) .

الشقائق / دار الوقدة / بدر :

ثم منه — منزل الدهناء — يوم الأربعاء ، وجاوزنا الشقائق ودار الوقدة وحن وقت العصر وملنا ذات اليسار غربي الحبل من الرمل المشرف على

(١) كذا في « العياشي » ١٢٠ - ١٧٨ مابين القوسين .

(٢) في العياشي : موطن

(٣) « الناصرية » : ١ - ١٧٢ - ١٧٥

(٤) الناصرية ج ٢ ص ١٠٥

فيادوار الحاروف السلافي
البجاء ومرز اطلاق السلافي

بدر ، وصلينا ، وصلى محارمنا ، وتجاوزنا ونزلنا بدرأ بعيد المغرب ، ويسمى هذا در الوقدة يعنى المكان ، لأنهم يقدون (؟) فيه الشمع الكثير ، يستصحبه الناس معهم من مصر لذلك ويبيعونه في الركب . ويجعلونه على قناب الجمال بالليل ، فترى الركب كله كأنه من أعظم المساجد المسرجة مصابيحها في أحد المواسم .

قال الشيخ أبو سالم (١) : (وشاع عندهم أن الصحابة في غزوة بدر أوقدوا نيراناً كثيرة فحزن نتشبه بهم ، وتلك غفلة منهم وخطأ من وجهين أحدهما أن وقوع الأمر بإيقاد النيران الكثيرة إنما كان في غزوة الفتح بمر الظهران كما هو معروف في كتب السير ، وأما بدر فلم يقل فيها أحد ذلك . وثانيهما أنه لو سلم أن ذلك وقع فيها فقد كان ذلك لإرهاب العدو وإظهار قوة المسلمين وكثرة عددهم . وحيث لا عدو فلا معنى له . ولا شك أن الفرح بنصر الله أوليائه على أعدائه والاستبشار بالأماكن التي أعز الله فيها الإسلام أمر مطلوب مستحسن مالم يؤد ذلك إلى محذور مثل اعتقاد أن الوقود سنة متبعة ، بل ربما ظن بعضهم أنها من أفعال الحج ، فلتعظم بغير ذلك من فرح ومرور وصدقة وعبادة وإعلان بشكر . وقد جاءني كثير ممن لا شمع عنده يستفتون ويقولون : لا شمع عندنا فهل يلزمنا شراؤه ممن كان عنده ؟ ظانين أن ذلك من مناسك حجهم وشعائره . وكم مثلها من بدعة محرمة يرى الناس أنها من أعظم القربات ، نسأل الله تعالى أن يثبتنا على سنة النبي صلى الله عليه وسلم المستقيمة التي لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً) .

ثم لما صلينا وانعطفنا للطريق ، وتوسطنا بين الجبلين جبل الرمل الكثير المشرف على بدر يُسرى الطريق ، والجبل الأحمر الأخضر يُسمّاه ، فإذا بالناس يهرعون يتجشمون الصعود لجبل الرمل أفواجا ، رجاء أن يسمعوا ما يؤثر هناك من صوت الطبل ، وزعم كثيرون من الحجاج أنهم يسمعون هناك .

(١) « المياضية » ١٨١ - ١٨٠

تمة : (ذكر الإمام ابن مرزوق في شرحه على « البردة » ما نصه : ومن الآيات الباقية بيدر ما كنت أسمعه عن غير واحد من الحجاج أنهم إذا اجتازوا بذلك الموضع يسمعون كهيئة طبل مُلوك الوقت ، ويرون أن ذلك لنصر أهل الإيمان ، قال : وربما أنكرت ذلك ، وربما تأولته بأن الموضع لعله صلب فيستجيب (١) فيه جوافر الدواب ، وكان يقال لى : إنه دهس رمل غير صلب وغالب ما يسير هناك الإبل وأخفافها لا تصوت في الأرض الصلبة فكيف بالرمل ؟ قال : ولما من الله تعالى بالوصول إلى ذلك الموضع المشرف نزلت عن الراحلة أمشي ويدي عود طويل من شجر السعدان المسمى بأُم غيلان ، وقد نسيت ذلك الخبر الذي كنت أسمع ، فما راعني وأنا أسير في الهجرة إلا واحد من عبيد الأعراب الجمالين الذين كانوا معنا يقولون (١) (؟) : أسمعون الطبل ؟ فأخذتني لما سمعت كلامه قشعريرة بينة ، وتذكرت ما كنت أخبر به . وكان في الجو بعض ريح فسمعت صوت الطبل وأنا دهش مما أصابني من الفرح أو من الهبة أو ما الله أعلم به . فشككت وقلت : لعل الريح سكنت في هذا العود الذي في يدي فوجدت مثل هذا الصوت ، وأنا حريص على طلب التحقيق بهذه الآية العظيمة . فألقيت العود من يدي وجلست إلى الأرض أو وثبت قائماً وفعلت جميع ذلك فسمعت صوت البطل سماعاً محققاً ، وصوتاً لا أشك أنه صوت طبل وذلك من ناحية اليمن ونحن سائرون إلى مكة المشرفة . ثم نزلنا بيدر فظللت أسمع ذلك الصوت يومى أجمع ، المرة بعد المرة قال : ولقد أخبرت أن ذلك الصوت لا يسمعه جميع الناس ، وقال الإمام المرجاني : وضربت طبلخانة النصر بيدر ، فهي تضرب إلى يوم القيامة اهـ . نقله عنه السهودي في تاريخه الكبير والصغير .

قال شيخنا أبو سالم : وقد كثر كلام الناس في هذه المسألة وإذا ذكر من يوثق به كابن مرزوق وغيره أنهم سمعوه فالصحيح أن بعض الناس

(١) في العياشي : (يقول : تسمعون)

يسمعونه دون بعض ، وقد مررت ببدر سبع مرات وأنا في كلها ألقي البال
لذلك فلم أسمع شيئاً أتخفقه ، وفي هذه المرة سمعنا بعد ما قربنا من البندر
صوت طبل محقق ، فإذا هو طبل بعض أمراء الركب كان متأخراً وراءنا
وتحققنا ذلك بجلوسنا حتى قربنا ، وكثير من الناس ممن لم يحقق ذلك
زعم أنه الطبلخانة المذكورة ، وقد سألت عن هذه المسألة محقق زمانه
شيخنا أبا بكر السجستاني رضي الله عنه فقال لي : كنت حريصاً على تحقيق
ذلك وقد مررت بالبندر نحو من سبع وعشرين مرة فلم أسمع شيئاً أتخفقه
والعلم عند الله . قلت : وهذه المسألة مثل ما شاع على السنة الحجاج
أنهم يرون الأنوار مشرقة من يوم قربهم من ينبوع ويقولون : إن وادي
النار اسمه وادي النور لأجل رؤيتها منه ، فحرف الناس التسمية وقد
ألقيت البال لذلك فكلما قالوا إنهم رأوا الأنوار نظرنا فإذا هو بروق
تحقق في بلاد بعيدة . وتحققنا ذلك بظهورها مرآت كثيرة من غير ناحية
المدينة وتارة في ناحيتها ، ويتصل خفقاها حتى يقرب إلينا فيتحقق أنه
بروق ، أو تظهر إمارات أخر تحقق ذلك مثل رؤية غيم مرآكم وصوت
رعد ، وأرض الحجاز معروفة بكثرة الرعد والبرق وكثير من الحجاج
يصحمون على أنها أنوار ، ولو ظهرت الإمارات ولو كان من غير ناحية
المدينة ، وقد سألت أيضاً شيخنا أبا بكر السجستاني (ض) عن هذا فقال
لي : كنت أتأمل ذلك كثيراً فلم أر شيئاً مما يزعمه الحجاج إلا البرق . نعم
قال لنا (ض) : الذي لا يمتري فيه أن نور النبي صلى الله عليه وسلم وإن
كانت جميع الأنوار من نوره — ما عايناه مراراً ونحن مجاورون بالمدينة
المشرقة في الحرم الشريف ، فإذا نجلس أحياناً نهاراً حتى يستفيض من
ناحية الحجرة ما يخالف ضوء النهار فيغشى الحرم الشريف كله . فإراه
الناس . قلت : ولعل هذا الذي ذكره شيخنا (ض) خاص به أيضاً وبأمثاله
ممن تنورت بصائرهم فاستنارت بنورها أبصارهم فيشاهدون الأنوار المعنوية
محسوسة وإلا فكثير من الناس لا يشاهدون ذلك والله يختص برحمته
من يشاء .

وفي آخر المضيق الذي بين الجبل والرمل عريش إلى الآن يزعم الناس

أنه موضع العريش الذي بنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، وأن ذلك موضع الوقعة . وليس به (١) .

ونزلنا بدرآ بعيد المغرب ، وهي قرية حسنة ذات نخل وماء عذب ، فيه بركة كبيرة تكفي الأركاب كلها ، ومادتها من عين هناك ، وعلى ذلك البلد أنوار تلوح ، ورياح النصر تغدو وتروح ، يشرح فيها الصدر والقلب ، ويتجلى فيه بصفات الجمال لكل مسلم القرب . .

وقد ظهرت على أهل البلد بركة الرسول صلى الله عليه وسلم معلنين بذلك فأسعارها في الغالب أرخص من غيرها مع صغرها وانقطاعها عن البلاد ، وأهلها محفوظون آمنون ، مطمئنون ، مع سوء أخلاق عرب صبح المجاورين لهم .

وكان نزولنا خارج البلد غربيه ، وزرنا قبور الشهداء ، وعليهم جدار قصير محيط بقبورهم .

قال الإمام أبو سالم : (وبالقرب منهم قبور للسادة الأشراف الدينية من أهل اليمن ، نزل أسلافهم هذا البلد ، ولهم أتباع في طريق القوم ومجلس ذكر ، وكبيرهم اليوم السيد أبو الغيث) .

وزرنا أيضاً المسجد المسمى بمسجد الغمامة وهو موضع العريش يوم الوقعة ببدر كما نصّ عليه غير واحد ، وانشرحت صدورنا بذلك .

وجدنا به المصري ونزل علينا الشامي مهنراً ، وأخذ المصري ساعتد في الرحيل .

وظعننا نحن بعد صلاة العصر ، ومررنا على قبور الشهداء وموضع العريش مع الأخ سيدي محمد الأخصاصي وجدناه هنالك ينتظرنا إذ هو مجاور بطيبة المشرفة (٢) .

(١) ما بين القوسين من « العياشية » ١ - ١٨١

(٢) « الناصرية » ص ١٧٥ - ١٧٩

وقبور الشهداء أسفل الوادي من جهة البزوة ، وليس بالموضع الذي
تزعمه القوم ، تحت الكتيب على طريق القادم من مصر .

قاع البزوة / مستورة :

قاع البزوة : سرنا من بدر إلى أن نزلنا بقاع البزوة بعيد المغرب ،
وهو قاع صفصف ومهمه نفنف ، لا ترى فيه عوجاً ولا أمناً ولا تجد فيه
إلا السماء سمتاً والله در القائل :

قد سلكنا القساع المديد الذي
أضحى مضافاً بين البقاع لبزوة
فهو قاع لا نبت فيه تراه
عين سار وكم لنا فيه سرورة

فأعانا الله على قطع مسافته ، فسرنا وبلغنا أول سبيل وقلنا مستظلين
بظله الظليل حتى وصلنا وبتنا غربي مستورة حيث تراءت لنا بحلوة مشهورة ،
وهي قرية وبها بئر كبيرة مطوية بالحجر المنحوت ، إلا أن الرمل قد غلب
عليها ، وحولها عمارة قليلة ، وبها قبر يزار ، عليه بناء ، واسم صاحبه
الشيخ يحيى ، قالوا إنه شريف من أهل اليمن .

رابع / الجحفة / مهية / قديد :

ثم ارتحلنا من مستورة ، فجددنا السير حتى وصلنا وقت الظهر
رابع ، ووجدنا بها الأركاب المصري والشامي قد خيموا ، فإذا الشاميون على
الرحيل قد صمموا ، فارتحلوا ، ووجدنا واديه قريب العهد بالسيلان ،
وجلسنا للصلاة في خلل النخيل والفسلان ، وجاء ركبتنا ، فأخذ الناس منازلهم
فالتحقنا بأصحابنا .

(ورابع قرية فيها نخيل وآبار كثيرة في واد يأتي إليه السيل من بعيد .
وتزرع فيه مقاثي كثيرة ، ودخن وذرة ، وهو من أخصب أودية الحجاز ،

ثم اشتغل الناس بالإغتسال والتنظيف وشراء الثعال ، توجد هناك معدة للمحرمين ، إلا أنها غالباً غالية (١) ولما حان للشمس الأفول ، شمر الركب المصري الذبول ، وفي غد نهياً للإحرام ، وأخرنا الإحرام ، فارتحلنا ضحى الأحد إلى أن وازينا مَهْجَةً ، وتراءت أبنية الجحفة .

وسرنا وجاوزنا الرمال التي تليه فيها بعض الأحيان الأركاب ، وأخذنا بطن هرشا (٢) ونزلنا بعيد المغرب شرقي السيل وغربي قديد ، وهي قرية غالب أبنيتها حيشان ، وفيها قهاوي وفواكه تباع ولا ماء فيها إلا ما يسقى من بعيد (٣) .

المشلل / خليص / الكديد :

ثم ارتحلنا ، ومررنا وقد متع النهار بالمشلل ويسمى اليوم بعقبة السكر ، قال الإمام أبو سالم : (وأكثر الناس خصوصاً المصرية يجلبون السكر من مصر بالقصد ليشربوه هنا ويأثرون في ذلك أثراً لا أصل له ، يزعمون أن رمل ذلك المحل قد انقلب للصحابة سكرآ ، وهي عقبة في جبل صغير ، فيها رمل يتعب الإبل) (٤) مع كثرة التلاحي وشدة التلاحم وإفراط التزاحم ، وعدم التعاطف والأراحم وفيها قيل :

كم جمل منتصب للشقا ما جرّه الجمال إلا انكسر
وكان في الركب يرى مبتداً قاله من بعد هذا خبر ؟!

وقد سَوَى البناء في جانبيها ، والتقطت أحجارها ، وبني مسجد صغير بأحد جانبيها ، وبينها وبين خليص نحو من ثلاثة أميال ، وذكر السيد السهودي أن هناك بالمشلل مسجد للنبي صلى الله عليه وسلم على يسار الذهاب ، ولعله هو هذا المبنى هنالك اليوم .

فبلغنا الكديد قبيل الظهر ، ونزلنا في قبة عظيمة بإزاء بركة عظيمة

(١) ما بين القوسين في « العياشي » ١ - ١٨٥

(٢) هرشا : ليست هنا بل هي قبل رايغ وهي ثنية في طرف حرة ولا تزال معروفة قرب الأبواء الحربية ، ولا يمر بها طريق الساحل .

(٣) الناصرية ١ - ص ١٨٨ - ١٨٢ وما بين القوسين في « العياشي » ١ - ١٨٦

(٤) العياشي ١ - ١٨٦

تحت القرية وفي خليص هذا عين تجرى ، وأبنية وقهاوي ، وسوق حافلة ، وقد سيق الماء في قنوات محكمات ، في العين ، تنجر عنها وتبرز في مواضع للسقي وللوضوء ، إلى أن خرج الماء إلى البركة المذكورة ، وكانت عميقة ، يفرق فيها من لا يحسن العوم ، ويخرج الماء من البركة إلى مزارع قريبة من البلد ، وجل زرعهم الدخن ، ويكثرون من المقائي ، وماء هذه العين أحلى وأعذب ، إلا أنه سخن. ونمنا هنيئة ريثما يحين وقت الصلاة ، فتوضأنا وصلينا الظهر ، وتلاحق الركب ، وسقى الناس واستقوا ، وركعنا بمسجد هنالك فوق البركة ينسب لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقد تهدم وامتلأ أوساخاً وصار إصطبلًا للدواب ، فإننا لله وإنا إليه راجعون . لقد ضعف الدين ، وقلت الرغبة في الخير حتى يكون بهذه المثابة المكان الذي دخله سيد الأولين والآخرين ، وصلى فيه وكان من حقه أن يذهب ويفضض ، وقد أشرت بذلك لأمير الحاج المصري ووعد بإصلاحه ، والله يوفقنا وإياه .

وسرنا في غبضة كبيرة ذات أشجار ملتفة من أثل وغيره ، وفي خلالها مزارع للمقائي والدخن وغير ذلك ، ونزلنا بين العشائين في بسيط بين أشجار برية من السيال وغيرها ^(١).

عسفان / برقة / وادي العميان / مر الظهران :

ثم منه قبيل الفجر ومررنا بالثنية التي يهبط منها إلى عسفان إسفاراً ، والطريق منها مبنية ، ملتقطة أحجارها كعقبة السكر ، إلا أن هذه أطول منها وأسهل ، وبأحد جانبيها مسجد ، فلما خرجنا من العقبة ، وصلنا عسفان ضحى ، وفيها سوق وآبار من حملها البئر التي يذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم نفل فيها ، وماؤها حلو غاية ، شربنا منه تبركاً ، واستفاض ذلك على السنة العوام ولم أقف عليه في شيء من التواريخ التي بأيدينا والله أعلم بحقيقته ، وبه مسجد ، ولا أدري ما أصله ، فسرنا وقطعنا تلك المفاوز كلها ، من أرض تسمى برقة ، وهي أرض طيبة ذات مزارع ،

ووادى العميان إلى أن أنحنا بمر الظهران بين العشاءين ، ويسمى وادي فاطمة ، ووادى الشريف ، ووجدنا به الشامي والمصري خيما ، وبفور نزولنا رحل الشامي وتبعه المصري : (وهو واد كبير ، فيه قرى متعددة ذات نخيل وبساتين وعيون تجري ، وأعظمها القرية التي ينزل بها الحاج ، وفيها سوق وعين كبيرة ، وبساتين مروقة ، والقلوب بالنظر لنضارتها من الأحزان مجلوة مع ما غمرها من السرور بقرب الديار ومشاهدة الآثار) ففرح الناس ، وتزايد الإيتاس ، وأعقب عليهم بأرجه الأريج وعرفه المتكاثر البهيج ، شجر الكادي بإشراف استنشاق . الحاضر والبادي ، فغمر عبيقة كل نادى ، ولما بلغنا عام تسعة هذا الوادي ، قلنا بعريش هنالك ، وجرى ذكر الكادي بالنادي ، وسألنا عنه صاحب العريش ، وأخبر أن شجره كشجر النخل ، وبعث من أنانا بشيء من أوراقه ، وإذا فيها رائحة طيبة . جداً وأوراقه عريضة ، وأنواره وميضة ، فسبحان من ينخص من شاء بما شاء (١) .

سرف / التنعيم / الزاهر / طوى / كذا :

رحلنا - من الوادى - آخر الليل سحراً ، وبلغنا سرف ضحى ، وبه قبة أم المؤمنين ميمونة (ض) توفيت بهذا الوادي ... وعلى قبرها بناء ومسجد فزرنها . . . وركعنا في مصلى النبي صلى الله عليه وسلم وتجاوزنا ذي المسالك إلى أن جئنا التنعيم وقد متع النهار (حيث المسجد المنسوب لعائشة (ض) ببي في المكان الذي أحرمت منه بالعمرة مع أخيها عبد الرحمن (ض) بأمر النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ، ومن ذلك المكان يحرم الناس بالعمرة في المواسم وغيرها وهو أدنى الحل حتى صار يطلق على المكان اسم العمرة ، تسمية للشيء باسم ما يقع فيه) فمنا هنالك واسترحنا . . . وقتنا وتوضأنا ، وفي مصلاه صلى الله عليه وسلم ركعنا : فسرنا وتجاوزنا المكان المسمى بالزاهر (ويسمى جنان مكة ، وبه آبار ، وبه قبر يذكر أنه قبر الصحابي الشهير عبدالله ابن عمر (ض))

(١) « الناصرية » : ١ - ١٨٣ - ١٨٤

قال الإمام أبو سالم : (فقد صح أنه مات بمكة بعد الحج ، ثقيل إنه دفن خارجها بوصية منه كراهية أن يدفن في البلد الذي هاجر منه ، فمن قائل : إنه بهذا الوادي ، ومن قائل : إنه بالوادي الذي بطرف المحصب ، وهو الذي شهره كثير من الناس ، إلا إنه ليس هناك قبر ينسب إليه . قال : وقد زرناه بهذا المكان بحسن النية ، وأكثر الناس اغتسل بهذا المكان لدخول مكة ، اقتداء بمن قال : إن هذا هو ذو طوى الذي بات فيه النبي صلى الله عليه وسلم واغتسل فيه . واستحب أكثر العلماء الاغتسال فيه ، والتحقيق ما عليه كثير من المؤرخين أن ذا طوى أمام هذا ، وليس بينه وبين مكة واد آخر ، وهو الوادي الذي وراء قعيقعان وبأسفله الموضع المسمى بالشبيكة حيث الثنية السفلى التي يخرج منها الحاج ، فاعلى هذا الوادي هو ذو طوى وأسفله هو الشبيكة) (١) هـ .

ونزلنا ذا طوى ظهر الأربعاء خامس ذي الحجة الخامس والعشرين من يناير ، وبقنا به . . فلما صلينا الصبح اغتسلنا . . وارتحلنا ودخلنا من باب المعلى وهو الثنية العليا التي دخل منها النبي صلى الله عليه وسلم وهي المسماة بكدا - بالفتح - وقد بالغت الولاة في حفر هذه الثنية وتنقيتها من الأحجار حتى صارت كأحد الأزقة ، ومع ذلك ففيها صعوبة ، ومنها يشرف على مقبرة مكة المسماة بالحجون (٢)

إلى هنا انتهى ما أردنا تلخيصه من وصف الطريق من القاهرة إلى مكة من « الرحلة الناصرية » ومما جاء فيها مما يتعلق بذلك الطريق ذكر الأعراب الذين كانوا مسيطرين على منازلهم ومنازلهم ، وقد ذكرهم الناصري فقال :

وأعراب هذه البلاد الحجازية :

١ - من عسفان إلى ينبوع بلاد حرب .

٢ - ومن ينبوع إلى أكره بلاد جهينة .

(١) المباشية ١- ١٨٨

(٢) « الناصرية » : ١ - ١٨٦ - ١٨٧

٣- ومن أكرهه إلى ظبة - بالظاء المشالة والباء الموحدة والهاء واد.
دون المويلح - بلاد بلي .

٤- ومن ظبة إلى مصر بلاد الحويطات ومغازة (١) والأعلوين وبني.
عقبة (١) .

في مكة المكرمة وذكر آثارها

كان أول ما بدأ به أداء مناسك العمرة من طواف وسعي ثم قال :
(فلما قضينا الوطر من السعي نزلنا بدار الشيخ محمد بن سليمان ، اكتريناها
من ورثته بتسعين أحر ، وفيها ثلاثة مساكن ، نزلنا مع حرمي بالمنزل الأعلى
وجعلنا أثاثنا وحوائجنا في الوسط ، ونزل أولادنا وأصحابنا بالأسفل ، وكل
مسكن منها يشاهد منه البيت الشريف) (٢) .

من اجتمع به من العلماء في مكة :

وصلينا الجمعة بمكة - وخطب الخطيب خطبة السابيع وهو ولد الشيخ
محمد تاج الدين مفتي الحنفية ، ووالده هذا رأيته والتقيت به من باب منزلنا
بالمسجد الحرام ، وأخبرني أنه جارنا هو وولده الخطيب المذكور ، وآخر
أصغر منه ، وسألته عن بعض شراح الهمزية وقال إنه عنده ابن حجر ،
وقلت له : أردت أن أنظر فيه الشيخ مرزوق الكفافي ، وبعث ولده
وأنى به وأوقفني أيضاً على الثالث والأول من البرقاوى (٣) على البخاري ،
وأخبرني أن الثاني كان عند الشيخ عبدالله بن سالم البصري ، ورأيت ، وأكثر
نقله عن الكرمانى والزركشي وهو حاشية .

والشيخ عبدالله هذا التقيت معه بالمسجد الحرام يوم دخولنا ، هو
والشيخ محمد النخيلي (٤) وخرج بنا ووقف معنا في كراء المنزل . . وذهبنا
لداره أيضاً يوم الجمعة ، ووجدناه في بيت كتبه ، والكتب محدقة به

(١) الرحلة الناصرية ج ٢ ص ١٠٦

(٢) « الناصرية » ١٢ - ١٠٩

يميناً وشمالاً ووراء وقداماً ورأيت عنده مسند الإمام أحمد في ثلاث مجلدات كبار ، وأخبرني أنه كتب نسخة من اليونانية (٩) وشرع في شرح البخاري وبلغ فيه الحج . وزعم طلبة مكة أنه فاق أهل الحرمين في الحديث وغيره من سائر العلوم . وهو شافعي المذهب ، وأجازنا سائر مفرداته ومروياته ومسموعاته . وسألناه عن قول العباس (ض) : إلا الإذخر لقيننا ويوتنا . فزعم أن القين يسعر بعروقه ناره لإفراط حرارة ناره ، وذكر بعض أصحابنا أنه مخلط به الطين كالطين فيبني القين تنوره . والله أعلم بحقيقة ذلك (١١)

(واجتمعت هناك - أي بمنى يوم الصعود - بالشيخ محمد أكرم ابن الشيخ عبد الرحمن مفتي الهند ، وهو رجل عالم له تأليف على رجال البخاري ، واختصر البخاري في مجلد ، حذف الأساتيد والمكرر ، وهو ضريب ، كبير السن ، به مرض ، ملازم بيته . ويوم النحر قدمنا من منى للإفاضة ولما رجعنا إلى منى التقينا محفة وبها رجل كبير مستلقي ، ولما لحق بنا الأخ الشقيق الصالح سيدي محمد الأخصاصي أخبرني أنه هو ، وأخبرني ولده محمد أنه شرح نخبه ابن حجر في عشرين كراسة وله تأليف على الرد على الروافض ، وهو رجل صالح محقق فيما ذكر . وسألنا عن المسافة بيننا وبين الهند فقال : أربعون يوماً في البحر وأربعة أشهر أو ستة في البر ، وأن بلده هو السند ، وبينه وبين الهند ثلاثون يوماً (١٢) .

وها هي ذي أسماء أشهر من اجتمع بهم من العلماء بمكة ، وقد أطال الشاء على كثير منهم :

١ - أحمد النخسلي الشافعي .

٢ - عبدالله بن سالم البصري الشافعي وقد أجازته وأورد إجازته ص ٢٠٩

٤ - محمد تاج الدين مفتي الحنفية وابناه عبد المنعم وعبد المحسن .

• يقصد اليونانية نسخة الشيخ اليوناني من صحيح البخاري .

(١) « الناصرية » ١ : ١٨٩ - ١٩٠

(٢) « الناصرية » ١ - ١٩٢

٥ - عبد القادر بن أبي بكر الحنفي المقي .

٦ - محمد أكرم الهندي .

٧ - مصطفى بن فتح الله المكي الشافعي وله تأليف على التاريخ ذكر فيه علماء الحادي عشر وصلاحه وأدبائه وملوكه وشعراءه ^(١)

وقال عنه : (أطلعني على سفر منه فيه المحدثين فقط ، ولم يكمل إلى الآن وله رحلة إلى اليمن ولقي الوالد وأخذ عنه وجعل له ترجمة) .

٨ - محمد بن عبد الباقي الإسكندري المالكي .

٩ - إدريس بن أحمد الصعدي من صعدة اليمن .

١٠ - عبد الرحمن السندي والد محمد أكرم الهندي

١١ - عبد الكريم الهندي .

١٢ - الحسن العجيمي التقي به سنة ١١٩٦

١٣ - الحسين الحنفي المكي .

١٤ - علي اليمني
١٥ - عبدالله اليمني .
وهما من أصحاب والده

١٦ - محمد بن سليمان الرُداني (؟) أطل الثناء عليه وقال : (هذا من أصحاب الوالد ومن أخذ عنه وهو حكيم الإسلام ، وأطل الكلام عنه ^(٢)) .

مولد النبي صلى الله عليه وسلم :

ذكر المشاهد التي ينبغي للحاج أن يزورها .

منها الدار التي ولد فيها النبي صلى الله عليه وسلم وقد اتخذت الآن مسجداً ومزاراة عظيمة . . (هذا على ما أعلم مما وقع من الاختلاف في كتب السير في مولده صلى الله عليه وسلم هل هو بمكة أو بالأبواء ، وعلى القول أنه

(١) هو كتاب « فوائد الارتمال ونتائج السفر » وصفته في مجلة « العرب » ص ٨ من ٧٤٨ .

(٢) من ص ٢٢٢ إلى ٢٢٣ من الجزء الأول .

بمكة ففيل بالشعب وقيل بالمحصب ، إلى غير ذلك من الأقوال ، ولا أدري من أين أخذ الناس تعيين هذا المثل بالخصوص . اللهم إلا أن يثبت أن تلك دار ولده أوجده صلى الله عليه وسلم فيرجح القول بأنه في مكة بقضية عادية وهي أن ولادة الإنسان في الغالب في منزل والده ، وإن أريد بالشعب شعب أبي طالب الذي انحاز إليه مع بني هاشم وبني المطلب في قضية الصحيفة فلا يبعد ذلك لأن هذه الدار قريبة من الشعب من أسفله ، والعجيب أنهم عينوا محلا من الدار مقدار مضجع وقالوا : إنه موضع ولادته صلى الله عليه وسلم قال شيخنا أبو سالم : ويبعد عندي كل البعد تعيين ذلك من طريق صحيح أو ضعيف . لما تقدم من الخلاف في كونه بمكة أو غيرها ، وعلى القول بأنه فيها ففي أي شعبها ؟ وعلى القول بتعيين هذا الشعب في أي الدور ؟ وعلى القول بتعيين الدار فيبعد كل البعد تعيين الموضع من الدار بعد مرور الأزمان والأعصار ، وانقطاع الآثار ، والولادة وقعت في زمن الجاهلية ، وليس هناك من يعنى بحفظ الأمكنة ، لا سيما مع عدم تعلق غرض لهم بذلك . وبعد محيي الإسلام فقد علم من حال الصحابة ضعف اعتنائهم بتقيد الأماكن التي لم يتعلق بها عمل شرعي ، لصرفهم اعتنائهم (رض) إلى ما هو أعلى ، من حفظ الشريعة والذب عنها باللسان والسنان ، وكان ذلك هو السبب في خفاء كثير من الآثار الواقعة في الإسلام من مساجده صلى الله عليه وسلم وموضع غزواته ومدفن كثير من أصحابه مع وقوع ذلك في المشاهد الحفيلة فبالك بما وقع في الجاهلية ؟ لا سيما ما لا يكاد يحضره أحد كولد علي ومولد عمر ومولد فاطمة - رضي الله عنهم - فهذه أماكن مشهورة عند أهل مكة فيقولون : هذا مولد فلان وهذا مولد فلان وذلك في البعد أبعد من تعيين مولده صلى الله عليه وسلم لوقوع كثير من الآيات في ليلة مولده صلى الله عليه وسلم لوقوع كثير من الآيات ليلة مولده صلى الله عليه وسلم^(١) فقد يتنبه بعض الناس لذلك بسبب ما ظهر من الآيات ، وإن كانوا أهل جاهلية ، وأما مولد غيره ممن

ولد في ذلك العصر فتكاد العادة أن تقطع بعدم معرفته إلا أن يرد خبر عن صاحب الوقعة بتنبيهه أو أحد من أهل بيته ^(١) .

من الأماكن التي تزار بمكة المكرمة :

- ١ - دار الأرقم وهي مسجد قرب الصفا .
- ٢ - موضع بسوق مكة يسمى المودع (؟) يقال إن فيه ودع النبي صلى الله عليه وسلم أهل مكة في حجة الوداع لما أراد الخروج إلى المدينة وهو مكان مشرف تظهر منه بعض أستار الكعبة . وليس في أسواق مكة محل تظهر منه أستار الكعبة إلا هذا فيقف الناس فيه للدعاء وقريب من هذا المكان رباط ينسب للشيخ عبدالقادر الجبلاني ، يسكنه الفقراء وله أوقاف وبه قبور تزار لا أتحقق أصحابها .
- ٣ - مسجد الحن بأعلى مكة .
- ٤ - شعب أبي طالب .
- ٤ - جبل أبي قبيس يشرف منه على مكة كلها والمسجد والبيت ، وفيه مغارة يقال إن بها قبر آدم ، والحجاج يشترون رؤوس الغنم المشوية ويصعدون إليه ويأكلونها فيه ، ويزعمون أن من فعل ذلك أمن من وجع الأسنان والرأس .
- ٥ - قبة على الجبل الذي على يسار الذهاب إلى الشبيكة ، يقال إن فيه مولد عمر (ض) .
- ٦ - محل في الجبل المشرف على المحصب على يمين الذهاب إلى منى ، يزعم أهل مكة أن به قبر عبدالله بن عمر (ض) فيخرجون إليه في إحدى ليالي ذي القعدة - أظنها الثالثة عشرة - رجالا ونساء وكباراً وصغاراً ، فيبيتون هنالك عامة ليلتهم ^(٢) .

(١) « الناصرية » : ١ - ٢٠٣ وكل ما بين القوسين من « العياشي » ١ - ٢٢٥

(٢) « الناصرية » ١ - ٢٢٣

منى وآثاره :

وقال في وصف الخروج إلى منى : (ومررنا بمسجد العقبة ودخلناه وصلينا فيه) .

وكان نزولنا بمنى شرقي مسجد الخيف قريباً من بابه الشرقي ، وصلينا بمسجد الخيف الظهر وكذلك العصر خارج القبة التي تواتر أنها موضع خيمة مولانا علي كرم الله وجهه ونزل بإزائنا الشيخ عبد القادر بن أبي بكر مفتي الحنفية وأنا في مع ولدين صغيرين له وسألته عن البناء القائم في مسجد الخيف ، ونمرة وأخبر أنه بناء قايت باي (١) .

وكان نزولنا — بعد الإفاضة — إزاء ثبير ، قرب الغار الذي أنزلت فيه (والمراسلات) على النبي صلى الله عليه وسلم وخبره مذكور في الصحيح ، وقد بني على بابه محوطة شبه مسجد صغير ، والناس يقصدونه للصلاة والدعاء ، وهو في أصل جبل ثبير ، بينه وبين مسجد الخيف رمية حجر . وكان نزولنا بهذا المحل إثارةً للقرب من هذا المكان ، وقرب المسجد ، مع كونه أوسع وأنظف وأسر ، وأمكن للإنسان في حاجته ، والناس يتحامون من الله ب من الحبل تقيه من أذى السراق ، فيستجير بعضهم من بعض (٢) ويفرون إلى الدخول في غمار الناس ، ولا يبالون بما نالهم في ذلك من وطء الأقدام وتقطيع الحبال ، وتعقب الأرجاء (٣) واستنشاق الريح الكريهة ، ونحن استسهلنا أمر السرقة في جانب هذه المضار (٤) .

ولما كانت الليلة الثانية من ليالى منى بالغ أهل مصر وأهل الشام في إيقاد المصابيح ، واتخاذ المصانع منها ، وصور الأشجار والأخية ، وإكثار الرمي بالبنادق والمدافع والمخارق المرتفعة في الجو ، وفي ذلك نزهة للأبصار ونسلية للأفكار (٥) .

(١) « الناصرية » ١٥ - ١٩١ - ١٩٢

(٢) « الناصرية » : ١ - ١٩٨

(٣) الناصرية ١ - ٢٠٠

مسجد الخيف :

وهذا المسجد يسمى مسجد علي^(١) ، قيل إن علي بن أبي طالب (ض) أول من بناه ، وهو موضع منزل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه (ض) في حجة الوداع . قال الإمام أبو سالم^(٢) (وطول هذا المسجد من المحراب إلى الباب الذي يقابله ٤٠٠ قدم وعرضه ٣٤٠ وبوسط المسجد قبة مئمنة ، كل ثمن منها ٢٤ قدماً من خارجها ، ورأيت في بعض التواريخ أن في محل هذه القبة كان فسطاطه صلى الله عليه وسلم وصحن هذا المسجد كبير ، إذ المسقف من مقدمه نحو أربعة من الصفوف ومن سائر الجوانب غير مسقف^(٣) ..

مسجد العقبة :

وملنا إلى مسجد الكيش فزرناه ، ثم بعده (مسجد العقبة أتيناها ، وهو المكان الذي بايع فيه الأنصار (ض) بيعة العقبة ، فهو من المساجد المنسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم وهو في الشعب تحت جرة العقبة ييسر على يسارك وأنت ذاهب من مكة إلى منى^(٤) .

فسرنا فجننا المحصب ، فزرننا بازار مسجد عائشة^(٥) .

الحجاز سنة ١١١٩ :

قال الناصري في وصف الحجاز :

(والحجاز هذا العام أنعم الله عليه بالرخاء وكثرة المطر والربيع ، في كل مرحلة ترى الجمالين يحملون أحمالا من أم ركبة^(٦) لعلف دوابهم

(١) « الناصرية » ١ - ٢٠٠

(٢) العياشي : ١ - ٢٠٤

(٣) « العياشي » ١ - ١٩٧ و ١٩٨

(٤) « الناصرية » ٦ - ٢٠١

وكاد درب الحجاز يشبه برقة في كثرة الربيع من الصليان والنصي وغيرهما من أنواعه ، ترى بعض الأمكنة كأنها مستنبتة ، وكالبساتين ربيعاً .

وأخبرني بعض أحبتنا من أهل مصر: انه له عشر حجج ما رأى مثل هذا الرخاء في الحجاز .

وأما الحرمان الشريفان ففيهما من الرخاء ما يهر ، فالقول بطيبة المشرفة بيع اثنا عشر ربيعاً بدینار ، والشعير إحدى عشر والدقيق اثنا عشر .

وبمكة - أعزها الله - بيع ستة عشر وخمسة عشر إلى ثلاثة عشر بدینار ، والشعير اثنا عشر والدقيق تسعة ونصف ، وبعرفة عشرون ربيعاً شعيراً بدینار (١) .

الخروج من مكة :

ذكر أنه في يوم الأحد ٢٣ ذي الحجة أخذ المغاربة في الرحيل وهم أول الأركاب خروجاً من مكة . لا يخرج قبلهم إلا بعض قفول أهل المدينة قال : (فنزلنا منزل الحاج بباب الشيكة .. آثرنا الخروج من الثنية السفلى التي بأسفل مكة ، المسماة اليوم بالشيكة اقتداء به صلى الله عليه وسلم إذ منها خرج في حجته على أن ابن رشيد ذكر في رحلته عن بعض الأئمة أن الخروج إلى عرفات من الثنية السفلى أيضاً مروي عن الحافظ أبي محمد بن حزم ... ثم أورد كلامه ، وأعقبه بكلام طويل لأبي سالم يرد به على ابن حزم ، وهو كلام نفيس (٢) .

وادي فاطمة :

قال : (ثم ارتحلنا من مر الظهران المسمى بوادي الشريف الموسوم الآن على السنة العوام بوادي فاطمة) (٣) .

(١) الناصرية ٢ - ١٠٧

(٢) « الناصرية » : ٢ - ص ٢٤

(٣) « الناصرية » ٢ - ٤

الجديدة :

قال ابن ناصر : (ثم ارتحلنا منه - يعني بدرأ - يوم السبت - ٢٩ ذى الحجة ٨ فبراير ، وجئنا الجديدة بُعيد العصر وبات الناس بها لخزن أموالهم وأحبالهم وما يفضل من زاد وعلف إلى أن يرجعوا من المدينة ، وتلك عادة الركب المغربي والمصري ، بل غالب المصري يبعثون أموالهم من بدر إلى ينبوع مع الأعراب والفلاحين الذين لا غرض لهم في الزيارة بل لا قصد لهم إلا في الكراء ، وبها بركة عظيمة تعين الناس في سقى إبلهم ومَلء قَرَبَهم ، بناها أمير الركب الشامي ، لأن ماء القرية التي ينزل بها الحاج قد يغور في وقت القَيْظ فيرجع الناس إلى البركة ، على أنه ليس في بلاد الحجاز مكان أشد حرأ من هذه الخيوف - فيما علمنا - وبهذه القرية مسجد جامع ، ببناء متقن ، تجري العين من تحته ، من بناء الأمير رضوان - رحمه الله - وكم له في طريق الحج من مآثر ومعالم تدل على علو همته (١) .

وقال عن الجديدة - حينما عاد من المدينة - :

(وسرنا يوم الأحد من قرب الروحاء ومررنا بمسجد الغزالة ضحى . . . وسرنا حتى نزلنا الجديدة ظهرأ وأخذ الناس أمتعتهم التي اختزنوها بها ووقعت فتنة بين أهل تونس وحرب وتراموا بالأحجار والبنادق ، ومال الناس بينهم ووقى الله شرها (٢)) .

النازية / عرق الظبية / الروحاء :

ثم ظعنا - يعني من الجديدة - وقلنا في النازية ، ووجدنا بها سبيلا فيه ماء ، وجئنا مسجد الغزالة - وهو من الأمكنة التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم وهو المسمى عند المؤرخين بمسجد عرق الظبية ، ثم سرنا صاعدين

(١) « الناصرية » ٢ - ٤

(٢) الناصرية ج ٢ ص ١٠٤

مع الوادي حتى أتينا الروحاء وقت الظهيرة ، وتفرق الناس بأشجارها يستظلون ولوقت صلاة العصر ينتظرون ، ووجدنا بئرها يابساً ، لا ماء به وحوله بركة معطلة ، وبازائها مسجد وثيق البناء صحيح ، وصلينا به الظهر ، ولو قبض الله لذلك الموضع من يعمره لكانت فيه إغاثة للحجاج . . وقد ذكر السهودي قريباً من البئر مسجداً من مساجده صلى الله عليه وسلم ولا أدري هل هو المبني الآن أو غيره ؛ ثم سرنا وصلينا العصر بمثل بعد ما تجاوزنا السبالة ومررنا على شرف الروحاء ، وهو المكان المسمى الآن بقبور الشهداء ، وقد ذكر بعض الناس أن الشهداء الذين سمي بهم المكان قوم قتلوا هناك ظلماً ، وذكر السهودي مسجداً من مساجده صلى الله عليه وسلم بشرف الروحاء . قال أبو سالم : وهناك مكان محوط بحجارة شبه مسجد ، يزوره الناس ، وأظنه هو ، وفي شرف الروحاء ، آثار آبار معطلة ، وبنيان دائر ، وقد كانت هناك في القديم قرية ، ولم يبق الآن بها شيء من ذلك وأخبرنا أن وراء الجبل بلد خال فيه آبار وبعض نخيل ، وأظنه السقيا (١) .

في المدينة المنورة :

قال : (وكان دخولنا المدينة المشرفة بين ظهري الاثنين ثاني المحرم ، فاتح ١١٢١) ثم ذكر دخوله المسجد وزيارته القبور المطهرة وقال : (ثم ذهبنا إلى منزلنا بإزاء ديار العشرة ، أكثريناه بعشرين ريالاً ونصف ، وستة مثاقيل أبي طرة ، وهو لصهر بلدنا الحاج إبراهيم بن عبد الملك ، سيدي أحمد بن موسى المرعشي ، ووالده هو شيخ الفراشين بالحرم الشريف ، ولم يزل هو وإخوته إبراهيم و خليل ومصطفى وحسن ومحمد وأبو بكر ، وسيدى أحمد هذا كان لا يفارقنا أيام إقامتنا ويسعى في قضاء مشارينا ، وكذا بلدنا الحاج إبراهيم) (٢) .

(١) « الناصرية » ج ٢ - ٤ - ٥ . والقياليست هذا الموضع بل بعيدة عنه وتعرف الآن باسم أم البرك جمع بركة ، والطريق الذي جاء منه ابن ناصر لا يمر بها .

(٢) ج ٢ ص ٨-٩

ذكر المشاهد في طيبة :

قال : بأنه تنبع الأماكن المشهورة وأنه خرج معه الأخ أبو عبدالله محمد الأخصاصي وأنه استصحب معه رقعة كتب فيها المشاهد والمزارات إذ له بذلك جميل الاعتناء ثم تحدث عن :

١ - البقيع وما ذكر فيه من المقابر .

٢ - جبل أحد .

٣ - المساجد في المدينة .

٤ - الآبار في المدينة .

وقد أطل في كل ذلك (١) .

من العلماء الذين اجتمع بهم في المدينة :

١ - أحمد الأنصاري .

٢ - عبد الرحيم الأنصاري صنو أحمد .

٣ - عبد الكريم الخليفتي العباسي وأورد له قصيدة .

٤ - طاهر بن الشيخ إبراهيم الكردي .

٥ - إبراهيم البري الخطيب بالمسجد النبوي والإمام .

٦ - صالح بن أحمد المطري إمام مسجد قبا وأورد له أبياتاً ورسالة

ركبكتين .

٧ - أحمد بن عبد الرحمن الشريف السجلماسي وأثنى عليه كثيراً

وقال : (أكثرى لنا منزلاً قرب الحرم الشريف ليس بينهما إلا زقاق

عند المئذنة السلمانية) .

٨ - محمد الحميسي .

(١) من ص ١٠ إلى ٤٢ ج ٢

٩ - أحمد زاد في ابن عم قاضي صالح .

١٠ - أحمد الفلاني .

١١ - الملا إبراهيم بن حسن الكوراني الشهرزوري ثم الشمراني وأثنى عليه وذكر أن الشيخ أبا سالم ترجمه فأجاد في ترجمته .

١٢ - إسماعيل (٤) خطيب الحرم ، وقد أجازته .

من عادات أهل المدينة :

قال الناصري عن المساجد التي حول سلع (وأهل المدينة يخرجون إلى هذه المساجد لقصد التفرج في أيام كثيرة ، ولهم يوم معلوم في السنة يخرجون إليها بالأخبية والأطعمة ، فيبيتون بها في ليلتين وطرب ، وهو يوم النصف من شعبان .

قال شيخنا أبو سالم (١) : وقد خرجنا مرة لزيارة المساجد فوجدنا الأعلى منها مملوءاً نساء ، ولم نتمكن من الدخول إليه ، وهنّ يطبخن فيه أنواع الأطعمة ، ونساء المدينة هنّ عوائد مذمومة في الخروج إلى التنزه والتفرج في البساتين والأماكن المنفسحة ، ويسمون ذلك القائلة (٢) فيقولون نقييل اليوم في الموضع الفلاني . وخروج الرجال لذلك أكثر ، فتكلف المرأة زوجها من النفقة مالا قدرة له عليه (٣) .

ثم ذكر كثيراً من عادات أهل المدينة نقلها عن العياشي ، وتقدم ذكرها ومما لم يذكر هناك منها :

قال الناصري وقوله هذا في « العياشية » (٣) من عاداتهم في الشراء من

(١) « العياشية » : ١ - ٢٥١

(٢) الناصرية ج ٢ ص ٢٣

(٣) العياشية ١ - ٣

الأعراب الذين يجلبون اللبن والجبن والسمن والغنم أن يشتري منهم قوم من الأعراب والساكين بالمدينة وأطرافها ، ولهم اسم يختصون به كالبَرَغازين عندنا بالمغرب ، فيدخلونه الأسواق ، ويشترى منهم أهل المدينة ، وهذا من تلقى السلع المنهي عنه ولكنهم قد ألقوا ذلك واستمرت عليه عادتهم ، وألف ذلك القادمون أيضاً ، (وان امرأ من أهل المدينة أراد أن يشتري منهم لم يبيعه إلا بأضعاف ما يشتريه به البرغازون ، فإذا جاء البرغازون أخذوه منهم بأقل من ذلك ، ويركنون إليهم ، ويميلون لقولهم ، ويعرفون كيفية المساومة معهم ، ولا يعتاصون عليهم لقرب الشكل من الشكل ، وغيرهم ليس بتلك المثابة ، فلا يكاد أحد يشتري منهم لحفائهم وغلظ طباعهم ، فاستسهل الناس الشراء من البرغازين بربح قليل وزيادة على ما اشتروا به من الأعراب) (١) « واغتفروا التلقى لذلك اللهم إلا أن يكون الموضع الذي يحطون فيه ما يأتون به من اللبن وغيره معلوماً عندهم لذلك ولا يقصدون سواه ، ولا يتعدون لغيره لبيع ما يأتون به ، من سوق أو حانوت أو دكان ، فيكون ذلك كالسوق لسلعهم . فلا نهى إذاً إذ لا تلقى حينئذ لكون السلع بلغ بها سوقها ، ومحل بيعها وابتاعها (٢)

الناصرى فى المدينة :

كانت إقامتنا بقية يوم دخولنا الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة وذلك خمسة أيام . وتوجهت سادس عشر (٣) المحرم ، فصلينا العصر عند السبيل الذي بالحرة ونزلنا بذى الحليفة (٤)

(١) ما بين القوسين فى العياشة ١ - ٣٠٠

(٢) الناصرية ١ ص ٦٠ ج ٢

(٣) لعل الصواب : (سادس المحرم) فقد دخلها يوم الاثنين ثانى المحرم كما تقدم فأقام

خسة أيام .

(٤) الناصرية ج ٢ ص ١٠١ و ١٠٣

من المدينة إلى ينبوع :

ثم ذكر مسيره حتى بلغ الجديدة وتقدم كلامه عنها وقال بعد ذلك :

ثم سرنا - من الجديدة بعد صلاة الظهر - ونزلنا مغرباً وبتنا .

ثم ظعنا ومررنا صباحاً بمسجد بازائه سيل ماء . وقد ذكروا أن عند هذا المسجد قسم النبي صلى الله عليه وسلم غنائم بدر وسرنا ورجعنا ذات اليمين قبيل الصفراء حيث ينصرف الطريق يمينا إلى ينبوع ، فلنا إليه سالكين تلك الطريق وزرنا قبر عبيدة بن الحارث عند المنصرف سيد شهداء بدر ، وأحد المبارزين في ذلك اليوم . على قول من قال : إنه دفن هناك . وقيل دفن بالصفراء وسرنا مع شعاب متوعدة - وهذه الطريق هي التي سلك النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم لغزوة بدر ، وحين رجع سلك طريق الصفراء - إلى قريب من الظهر فوصلنا البئر التي بوسط الدهناء ، ووجدنا البركة المعمولة بإزائها فارغة ، ونزلنا هناك مستظلين ببناء على سفح الجبل إلى أن حان وقت الظهر .

وسقى الماء واستقى من أراده ، فصلينا الظهر ، فسرنا وتسوق الأعراب في الركب بالحشيش والدلاع وهذه البئر ماؤها عذب فرات بارد .

ولما خرجنا المضيق (؟) خرج الحراميون من الأعراب على أخريات الركب ورموهم فوق الجبل بينادق وكفى الله شرهم . . وجرحوا جليلين وسلمهما الله قبرا ونزلنا مغرباً .

ثم ظعنا يوم الثلاثاء فأتينا ينبوع قبيل الظهر ونزلنا بمسجد العشيرة (١) .

(١) « الناصرية » ج ٢ ص ١٠٥

مع القراء في أسنانهم وتعليقاتهم

شعر في الرس

.. من القائل :

على الرس من أهل القصيم سلامي فإن رُباهَا بغيتي ومرامي
فإن رُباهَا نصَّب عيني غدوة وإن نمت وافتي بطيف منامي
الرياض : محمد الحسين

ذكر فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الله البسام في كتابه « علماء نجد خلال ستة قرون » في ترجمة الشيخ قرناس بن عبد الرحمن بن قرناس أنها للأستاذ السيد محمود شكري الألوسي قالهما في أبيات قالها لما زار الرس ثم أقام في بريدة للسعي في الصلح بين الملك عبد العزيز وبين الأمير عبد العزيز بن رشيد . وذكر الشيخ ابن بسام أنه قال أيضاً :
هي الرس ما أحلى لديَّ من الرِّسِّ بها كل ما أبغى وما تشتهي نفسي
ولو أن مَيْتاً في (بُرَيْدة) جاءه من الرِّسِّ من يدعوه قام من الرس
— وفي البيت الأخير مبالغة .

أبو علي الهجري

أورد البغدادى في كتاب « شرح شواهد المغني » :

(١)

أمرتك الحبير فافعل ما أمرت به فقد تركتك ذا مال وذا نسب
(... وأنشد البيت سيويه لعمر بن معدى كرب . وذكر الهجري في نواتره أنه لأعشى طرود واسمه إياس بن عامر . وقيل : إنه لعباس ابن مرداس) . انتهى كلام ابن خلف (١) .

(٢)

للنمر بن تولب :

تأبى من أطلال عمرة مأسل فقد أقفرت منها شراء ويذبل

(١) « شرح شواهد المغني » نسخة مصورة الوح ٥٥٦

(... ومأسل : موضع في ديار بني ضبة وإليه تنسب دارة مأسل -
كذا في معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري . وقال الهجري : مأسل :
قرية ونخيل (١) .

ذات الحاج

كانت الدوائر الرسمية في الحدود الشمالية تتخذ ذات الحاج مركزاً لها إلى عهد قريب ، ثم انتقلت إلى حالة عمار . وقد جرى كلام حول ضبط كلمة (الحاج) هل الجيم مشددة أم لا . ونسب أحد الإخوان إليكم أنكم تقولون أن الاسم الصحيح ذات الحاج بتخفيف الجيم . وأن الحاج اسم نبات . كذا نسب إليكم مع أن المعروف عند أهل هذه الجهة أنها لوقوعها بطريق حجاج الشام سميت بهذا الاسم ، وبعضهم يسميها ذات الحج . أرجو إيضاح رأيكم . وشكراً .

تبوك : سعد المحمد الناصر

العرب : ما نسب إلى رئيس تحرير هذه المجلة صحيح ، فالاسم قديماً كان بتخفيف الجيم ، والحاج نبات وصفه علماء النبات في كتبهم ، ويظهر أنه كان ينبت في هذا الموضع . وكانت التسمية قبل أن يصبح طريق الحاج الشامي موجوداً . ثم لما وجد هذا الطريق غير الاسم ، فشددت الجيم ، وحذفت الألف فقليل : ذات الحاج ، وذات الحج ، وذات حج . وإليك ما جاء في « المعجم الجغرافي للبلاد العربية » (٢) السعودية « - قسم شمال المملكة - الذي صدر حديثاً - عن هذا الموضع .

ذات الحاج :

الحاج - بتخفيف الحاء نوع من النبات ولعل الموضع كان ينسبته وقال جميل - (٣) بعد أن ذكر الحجر والجنينة - :

(١) اللوح ٤٦٥

(٢) الحلقة التاسعة عشرة من (نصوص وأبحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب) دار البعثة للبحث والترجمة والنشر .

(٣) ديوانه : ٤٩ - ١٧٨ .

وليلة بتنا (ذات حاج) ذكرتكم هدوا وقد نام الخلي^١ المصحح
ويوم (معان) قال لي فعصيته أفق عن بشين - الكاشح المتنصح
وقال :

بدت بدوة لما استقلت حملها

ببشنة بين الجرف والحاج والنخل

وسماها في « درر الفوائد المنظمة »^(١) : ذات الحج قال في وصف
الطريق : ثم يرحل إلى ذات الحج وهي جفار عذب سائغ مستطاب فيرد
ماء . وللصلاح الصفدى :

سلسكن الفج نقصد ذات حج بطرق للهداية مستقلة
فأثار المطى بها بدور وآثار الجياد بها أهله
انتهى :

ولا شك أن هذه التسمية حدثت بعد أن أصبح طريق الحج من الشام
يمر بها . وأن الاسم الأول هو الصحيح .

ووصف الخياري^(٢) في رحلته الموضع ، وقد مر به عام ثمانين
وألف (١٠٨٠ م هـ) فقال : (وفي المنزل المذكور قلعة واهية البناء ، يشتمل
باطنها على (أوصات^(٣)) متعددة ، وعين ماء عذب ، ينزل إليه بدرج
يسير ، وخارج القلعة بركة كبيرة حولها نخيلات طويلة لا تثمر بسمونها
بالتركية (عاصى خرمه) وأمام باب القلعة عين ماء عذبة يقال إنها أعذب
من القديمة ، وأن حدودها قريب من الخمسة أعوام ، وبها آبار مورودة ،
والحاصل أنها بلدة قبيحاء) .

وقال النابلسي^(٤) - عن ذات حج - : (وهناك قلعة كبيرة واسعة
وبها بركة من الماء كبيرة . . . وقلنا في ذلك المنزل .

أتينا ذات حج	بنفس ذات حج
وذلك بعد حج	وعج ثم حج
فيا لك متزلا قد	نزلناه نرجى

(٢) تحفة الأدباء ٧٧

(١) ص ٤٥٦ .

(٤) الرحلة الكبرى ص ١٧٣ مخطوطة فينا .

(٣) أوصات . حجر والكلمة تركية

به الركب الملقى لنا فى كل فج
فلم نظفر بغير التأمل ، والترجى

واستقى الناس من ذلك الماء الكثير . وحلوا الماء لأن بعد ذلك ثلاث
منازل لا ماء فيها إلى قلعة معان . انتهى .

ووصفها السنوسى التونسى سنة ١٣٠٠ فقال : (وجدنا قلعة فيها عين
جارية بجرى ماؤها إلى بركة بناها السلطان سليمان ، وحول تلك القلعة نخيل
ذكر ، لا ثمر له ، وبذلك الأرض حجر المسن الأبيض) . انتهى .

وذاة الحاج : واد فيه منهل ، فأصبح قرية ، وكانت من منازل الحج
الشامى قديماً ، ثم صارت من محطات السكة الحديدية ، وكانت أول مكان
مأهول يصله المسافرون من الحدود الأردنية إلى تبوك ، ولهذا بدأت تنتعش
وأنشئ فيها منازل قليلة لموظفى الجوازات وغيرهم غير أن مراكز موظفى
الدولة نقلت إلى حالة عمار الواقعة شمالها ، فأصبحت ذات الحاج لا أهمية
لها وهى واقعة فى واد ينحدر من حسمى جهة الشرق : داخلة فى طرف
سلسلة جبال حسمى بقرب الدرجة ٢٩/١° طولاً و ٣٦/١٠° عرضاً .

ومما تقدم تنضح صحة ما أشار إليه السائل الكريم من أن الجيم فى
اسم (ذات الحاج) مخففة فى أول الأمر ، وبعد أن أصبح طريق حجّاج
الشام يمر بهذا الموضع اكتسب اسماً جديداً فشددت جيمه حيناً ، وحذفت
الألف حيناً آخر (ذات حج) مع أن الأصل هو الاسم الأول .

مكتبة العرب

* — الارتسامات اللطاف :

من أمتع كتب الرحلات وأجلها فائدة عن بلادنا في عصرنا الحاضر كتاب « الارتسامات اللطاف »، في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف « وهو الرحلة الحجازية لأمر البيان شكيب أرسلان في سنة ١٣٤٨ . وقد نشر الكتاب منذ نحو خمسة وأربعين عاماً بحيث أصبحت نسخه نادرة إن لم تكن مفقودة ، فقامت مكتبة المعارف في الطائف لصديقنا الأستاذ الجليل محمد سعيد حسن كمال بإعادة طبعه بعد أن تولى الأستاذ عبد الرزاق بن محمد سعيد كمال تصحيحه والتعليق عليه ، فأضاف إلى أبحاثه — ولا سيما ما يتعلق منها بالطائف — إضافات ممتعة ، اقتبسها من كتاب والده الأستاذ محمد سعيد « الطائف : جغرافيته تاريخه ، أنساب قبائله » وغيره من الكتب مما لم يطلع عليه المؤلف فازداد الكتاب بذلك إمتاعاً ، وازدادت مباحثه اتساعاً . وقدم المحقق الفاضل الكتاب بكلمة ضافية عن مؤلفه الأمير شكيب ، أتبعها بمقدمه الكتاب في طبعته الأولى التي كتبها الأستاذ الشيخ محمد رشيد رضا . فبلغت صفحاته ٣٥٧ و طباعته حسنة ^(١) .

(١) ومع ذلك فقد وقع في الكتاب تحريف في بعض أسماء المواضع والأعلام ، ونشأ هذا عن كون المؤلف — رحمه الله — ينقل عن بعض المصادر الأفرنجية ، وكنت نهيت إلى ذلك في كلمة لي نشرت بعد صدور طبعته الأولى بزمن قصير .

* — كتاب التمازي والمراثي :

المُبرّد محمد بن يزيد الثمالي (٢١٠ - ٢٨٥هـ) من أئمة الأدب القدامى ،
ذو مؤلفات معروفة ، أشهرها « الكامل » ومنها كتاب « التعازي والمراثي »
وعنوانه يدلّ على موضوعه . وقد قام بتحقيقه الأستاذ محمد الديباجي ،
المحاضر في (كلية الآداب في جامعة محمد الخامس) في الرباط .

وتولّى نشره (مجمع اللغة العربية بدمشق) فجاء في ٤٠ + ٤٣٥ =
٤٧٥ صفحة منها مقدمة ضافية عن المبرد وعن الكتاب في أربعين صفحة
وفهارس وافية في نحو عشرين صفحة . وحسبك بمطبوعات المجمع جودة
وصحة وحسن إخراج .

* — الأنوار ومحاسن الأشعار :

مؤلف هذا الكتاب علي بن محمد بن المطهر الشمشاطي ، من أهل
القرن الرابع الهجري ، والكتاب من المجاميع الأدبية الحاوية لكثير من
الأخبار والأشعار ، ويظهر أن ما وصل إلينا من الكتاب ماهو إلا قطعة
منه ، كما يفهم من أول النسخة المطبوعة : (باب في السيوف والرماح
وجميع السلاح) ثم : (باب في اختيار قطعة من أيام العرب) عدّ منها
ثلاثين يوما ، من ص ٨٥ إلى ٢٦٠ وبعده : (باب في الخيل وصفاتها ،
وأنسابها وشيائها) إلى ص ٣٥٢ ثم : (باب في البر ، والإبل والظعن ،
والبحر والمراكب والسفن) إلى ص ٤٠٢ حيث ينتهي هذا القسم المطبوع .
وهناك قسم آخر مُعَدّ للطبع (١)

(١) هذا عن المطبوعة الكويتية ، وقد طبع الكتاب أخيراً ، في بغداد كاملاً .

وقد قام بتحقيق هذا القسم الدكتور السيد محمد يوسف أستاذ اللغة العربية في جامعة كراتشي في (باكستان) ومن تلاميذ العلامة الحليل الشيخ عبد العزيز الميمني ، وراجعته الأستاذ عبد الستار أحمد فراج ، ونشرته (وزارة الإعلام ، في الكويت) فكان الحلقة التاسعة عشرة ، من حلقات سلسلة كتب التراث التي نشرتها الوزارة فجاء في ٤٠٦ من الصفحات ، وصدر هذا العام (١٣٩٧ - ١٩٧٧ م) وطباعة الكتاب من حيث الورق والحروف ممتازة ، والتحقيق حسن ، بذل في سبيله من الجهد ما برز أثره في كل صفحة من الصفحات .

* - كتاب الملمع :

وهذا من كتب التراث التي لم يسبق نشرها ، قام (مجمع اللغة العربية بدمشق) بطبعه بتحقيق الأستاذة الفاضلة وجيهة أحمد السطل ، وقالت في المقدمة : ('حَسْبَ إِلَيَّ أَنْ أَشَارَكَ فِي شَرَفِ الْعَمَلِ عَلَى تَحْقِيقِ تَرَاثِنَا الْأَدَبِيِّ اللَّغَوِيِّ ، فَاخْتَرْتُ مَخْطُوطاً فِي اللُّغَةِ وَمَفْرَدَاتِهَا وَهُوَ كِتَابُ « الْمَلْمَعِ فِي اللُّغَةِ » لِمُؤَلِّفِهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ النَّصْرِيِّ ^(١) (٥٣٨٥ هـ) وهو بمثابة معجم صغير لألفاظ الألوان في اللغة) .

وقد جاء هذا المصنف في ١٢٨ صفحة عدا المقدمة الواقعة في نحو ٢٤ صفحة ، وأثر المحققة الفاضلة بارزاً في كل صفحة، وجهدها لا ينكره إلا من يجهل العناء الذي يلاقيه محققو المخطوطات النادرة . وقد صدر سنة ١٣٩٦ (١٩٧٦) .

(١) أشارت مجلة العرب السنة التاسعة ص ٢٦٦ في ترجمة أبي محمد الأسود الفندجاني إلى النحوي هذا لأن الأسود ألف كتاباً دعاه « إصلاح ما غلط فيه أبو عبدالله الحسين بن علي النحوي بما فسر من أبيات - أي من حاشية أبي تمام » .

* — كتاب « أدب القضاء » :

بغنى (مجمع اللغة العربية بدمشق) ابنشر آثار علماء الشام ، ومن آخر
ماشر كتاب أدب القضاء واسمه « الدرر المنظومات ، في الأقضية ،
والحكومات » لإبراهيم بن عبد الله بن أبي الدم الشافعي ، الحموي المتوفي
سنة ٦٤٢ .

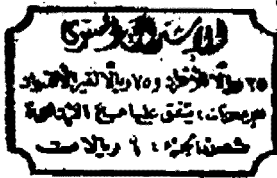
وقد حققه الدكتور محمد مصطفى الرخيلي في كلية الشريعة من جامعة
دمشق فجاء في مجلد ضخيم بلغت صفحاته ٧٥٧ صفحة ، وموضوع الكتاب
فقهي ، أكثر منه أدبياً . وصدر في سنة ١٣٩٥ (١٩٧٥ م) .

* — ديوان طرفة بن العبد بشرح الشنتمري :

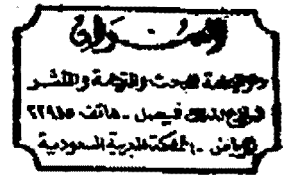
يقول المحققان اللذان قاما بنشر « ديوان طرفة بن العبد ، شرح الأعلام
الشنتمري » في المقدمة : (قد يعترض معترض فيقول : لِمَ الإقدام على
طبع ديوان طرفة وقد طبع مستقلاً ، وفي مجاميع ، مرآت ومسرآت ،
ونُشر له أكثر من شرح واحد ، للأعلام ولغيره ؟ !

نقول : إن كنا نقدم للقراء طبعة جديدة من ديوان طرفة فإنما نبتغي
نشر شرح الأعلام الشنتمري له ، ذلك الشرح الثمين الذي يعتبر كنزاً من
كنوز التراث العربي ، ولم يصدر من هذا الشرح سوى مطبوعتي برلين
وسلكسون .. وفضلاً عن ذلك فإن الطبعتين المذكورتين غير متيسرتين) .

والواقع أن جهد المحققين الفاضلين دريئة الخطيب ولطفي الصقّال في عمل
هذا الشرح جهد عظيم ، تجسّم في مجلد بلغت صفحاته ٣٨٦ شروحاً
وإضافات وفهارس ، بالإضافة إلى المقدمة التي وقعت في ٢٢ صفحة مطبوعاً
سنة ١٣٩٥ (١٩٧٥ م) ويضاف إلى هذا ما اتصفت به منشورات (مجمع اللغة
العربية بدمشق) من جودة وحسن إخراج .



١٤٠ - ١٣٩
العرب
مجلة شهرية تعنى بآراء العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها: محمد البعاز



ج ٧ و ٨ من ١٢ محرم وصفر ١٣٩٨ هـ - ك ٢ شباط (يناير/فبراير) ١٩٧٨ م

في المعجمات البلدانية

عنيي العرب القدامى عناية خاصة بالبلدان فكانوا من أوائل من كتب في (الجغرافية الوصفية) كما يُصطلح عليها الآن . لقد صنفوا مصنفات كبيرة مفيدة ، فقدموا للدارسين الباحثين في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي مادة ذات فائدة عظيمة . ولا أريد أن أعرض لتلك المعجمات بل دوائر المعارف التي اضطلع بكل منها عالم انصرف إلى العلم فقدم ما قدم . وكانت تلك المطولات بعضاً مما عني به فلان وفلان . لقد صنف ياقوت في موضوعات عدة كانت مادة البلدان إحداها ، ومثله الجُلَّة من العلماء الذين عرفنا مصنفاتهم البلدانية .

غير أنني رأيت كثيراً من هذه المصنفات مادة لغوية وأن أصحابها من المعنيين باللغة وإعادة المعجمية . ثم إنهم إلى جانب هذا الاختصاص اللغوي أدباء معنيون بتاريخ الأدب وطبقات الأدباء ، وما خلفوا من مصنفات شعراً أو نثراً .

أريد أن أقول : إن جمهرة من هؤلاء لم تكن الثقافة البلدانية بل قل الجغرافية إلا شيئاً من لوازم تلك الاختصاصات اللغوية والأدبية . ولا أريد أن يشمل رأيي هذا سائر أصحاب البلدان فلك أن طائفة منهم (جغرافيون)

على نحو ما يفهم من (الجغرافيا) في عصرنا هذا ، فقد جاسوا خلال الديار ،
وعاشروا أهلها ، وفطنوا إلى كثير من عاداتهم وأخلاقهم ونحليهم ،
ثم وصفوا البلاد وصفاً طبيعياً ، فسجلوا صفات الأرض ، وما يعترضها
من سهل وجبل وصحراء ورمال ، وما يضطرب فيها من حيوان وأناسي ،
وما ينبت فيها من نبت أو شجر . فأى جغرافية في عصرنا هذا تبتعد عن
هذه المواد ؟

غير أنني أشير إلى النفر الآخر الذي حُسمت عليه هذه المواد ، وهو
مشغول بمادة لغوية وأدبية .

ويستطيع الباحث أن يدرج معجمات اللغة في عداد مصادر البلدان ،
فأنت تجد أن مجد الدين الفيروزابادي صاحب « القاموس المحيط » قد جعل
من مواد معجمه طائفة ضخمة من المواضع والمدن والقرى والبلدان ،
ولا تعدم أن تجد فيه شيئاً يتصل بالجبال والأنهار والعيون .

وأنت تستطيع أن تجد مثل هذا في سائر المعجمات اللغوية كـ « الجهمرة »
و « اللسان » و « التاج » وغيرها .

ولا يفوت الباحث في تاريخ الجغرافيا عند العرب أن يطلع على مواد
« المخصص » لابن سيده الأندلسي ، فقد أدرج في معجمه أشياء كثيرة
تتصل بالجغرافيا الطبيعية . إنك واجد في « المخصص » فصلاً عرض فيها
ابن سيده للأرض وأصنافها وخصائص كل صنف . فإذا كانت الأرض
مما يتوفر أغلبها على الرمال كانت كبت وكيت وإن لها في العربية ألفاظاً
عدة هي كذا وكذا ، وإذا كانت صُلصَلًا خالصاً كانت كبت وكبت ،
وإذا كانت بين هذا وذاك كان لها مكان في اللغة .

ولم يكتف بهذا فكان يشير إلى أن هذا الصنف من الأرض يصلح
لأصناف معينة من الزرع والشجر . وأنت واجد في هذه الدائرة العلمية
مادة تتصل بالجبال وأصنافها ودرجاتها ، وبالصحارى وما يضطرب

فيها من وحش وطير وهوام ، وبالبهار وعالمها الواسع الفسيح ، وبالأشجار
والحيون والآبار وسائر ما اشتملت عليه الأرض .

هذه المواد الجغرافية التي تجاوزت مادة البلدان مما حفل به « المخصص »
وهو كتاب لغة . وقد يتجاوز هذا القدر من المعلومات إلى شيء آخر
من المعلومات التي هي شركة بين علم طبقات الأرض (الجيولوجيا) وعلم
(الجغرافيا) . إنه عني بالصخور والأحجار وأصنافها وما تحمله من معادن
نفيسة وخسيسة كما يقولون .

لقد أغفل الباحثون في الجغرافية وغيرها في عصرنا هذا السفر النفيس
 فلم يقربوه ، ولم يتخذوا منه مصدراً للمادة الجغرافية التاريخية ولا سيما
حين يعرضون لتاريخ الفكر الجغرافي وتطوره عند العرب .

ولكنني أرجع إلى الطائفة الأولى من البلدانين فأشير إلى أنهم افتقروا
إلى كثير من التدقيق والضبط . ألا ترى أنهم أدرجوا في تلك المطولات
مادة « غفلاً » من أية فائدة واكتفوا بأنها (موضع) كذا ؟ ! إن طائفة من
هذه المواضع مما التمسوه في الشعر كآتهم وجدوا أن (موضع كذا) قد ورد
في شعر ذي الرمة فقالوا : (موضع) واستشهدوا بالبيت الذي ورد فيه
ومثل هذا كثير .

ثم إن طائفة منهم قد كررت ما أثبتت من سبقهم من المتقدمين فلم
يعرفوا الموضع أو المدينة أو المكان . وهذا ربما جرّاً إلى أن الخطأ الذي
وقع المتقدمون فيه قد أثبتت من خلفهم من المصنفين . ولعلمهم أشاروا إلى
مكة وقرى عفى عليها الزمان ولم يثبت لها وجود ، ومثل هذا كثير .

وإذا عرفنا أن هذه الأعمال الجارية قد قام بكل منها مصنف واحد

فلم يشاركه أحد في العمل ، أدركنا أن السهو والخطأ والوهم لابد أن يعرّض ،
ويكون له مكان في هذه المطولات الكبيرة .

لقد حفزني إلى أن أكتب هذه النبذة الموجزة في (المعجمات البلدانية)
ما قرأته في الجزء (١) و (٢) من مجلة العرب لسنة ١٩٧٧ في إشارة لأحد
قراءها الأفاضل بعنوان (حول مقدمة المعجم الجغرافي) .

وصاحب هذه الإشارة محمد بن إبراهيم اليوسف صاحب (مؤسسة
المُسْتَوَي لبيع وصناعة الخيام) في الرياض . تكلم فيها عن (أبو عَشَر)
الذي جاء في المعجم في ص ٥٦٤ وهو وادٍ فيه هجرة لقبيلة مُطَيَّر
بالمُسْتَوَي ، في القصيم . وقد صحح الكاتب هذه المادة فقال : والصحيح
غير هذا وهو كيت وكيت ...

وتكلم على موضع أمَّ بَقَرٍ وأمَّ سُدَيْرَة ، وقد صحح فيها ما جاء
بحقهما في « المعجم » .

أقول : حدث هذا في هذا العصر ، عصر السرعة والتدوين والضبط
والإتقان وتوفر ما يعين على إحراز الصدق والأمانة . فكيف يتأتى لنا أن
نُحَرِّز الفوائد العلمية في مصادرنا القديمة ؟ ! إننا ندرك كيف صنفت
تلك المصادر وجمعت واعتمد فيها على رواة من هنا وهناك فكانت لنا هذه
النتائج التي نعتمد عليها ، ونحلمها شلاً كبيراً في دراساتنا مع إجلالنا
لأصحابها وأنهم الغُرُّ الميامين في تاريخ هذه الأمة الكريمة .

أقول أيضاً : أَلَمْ يَحُنْ الوقت إلى أن ينهض لإنجاز المعجمات في
عصرنا جماعة من أهل الاختصاص ولا يتفرد بذلك رجل ، وإن كان من
أهل الفضل ؟ ولست أريد أن أنال من صاحب المعجم — معاذ الله —
ولكني أقول إن منهج العلماء في الأمم التي سبقتنا في النهوض هو الذي
ألمحت إليه .

بغداد — كلية الآداب

الدكتور إبراهيم السامرائي

مرجبال القصيم

القنّان الموشم

بضم الميم الأولى فواو مفتوحة فشين مشددة مفتوحة أيضاً فيم ثانية في آخره . على صيغة اسم المفعول من وشمه يعني جعل فيه وشماً وهو العلامات الملونة على الجلد في الأصل .

وهو جبل بل سلسلة جبال سود ، وفيها هضاب حر ، وأخرى تميل إلى الحمرة مع غلبة السواد عليها ، وأخرى تتألف الواحدة منها من اللونين الأسود والأحمر ، واقع في الشمال الغربي من القصيم ، ولبعض جباله برقة مشهورة .

يمتد من (بُقَيْعَا اصْبِع) جنوباً حتى ينتهي شمالاً (بأم العراد) قرب جبل حبشي أما في جهة الغرب فإن آخره هو (مطبوي الموشم) وفي الشرق منه بقع وادي الفويلق ثم الجرثمي (جزْثم قديماً) والرديهة والغيمار وكل ذكرناه في موضعه من هذا المعجم .

ويمكن أن يقسم الموشم إلى ثلاثة أقسام من حيث اللون فوسطه هضاب تميل إلى الحمرة وشرقيه سلسلة جبال سوداء ، وشماليه جبال سوداء أيضاً وفي بعضها تلوين في حجارتها . وتلون حجارتها هو السبب في كونه سمي الموشم تشبيهاً له بجلد الإنسان الذي فيه وشوم . أخذته العامة لأن لون صفوره ليس واحداً .

وهو من أكبر الجبال في تلك المنطقة إذ يمتد من الشمال إلى الجنوب حوالي مسيرة يوم لليل . وفي مراتع جيدة كان أمير الفوارة ابن نعيم يحميمها لحيل المجاهدين من (الاخوان) في الزمن السابق ، وتقع بلدة الفوارة منه جهة الجنوب .

واسمه القديم هو (القنّان) ذلك الجبل الذي تردد فكره في نصوص

كثيرة تكلمت على مواضع هذه المنطقة ما بين نثر وشعر . وهذه هي الأدلة على ذلك ، ونظراً إلى أن القنان جبل عظيم ، وصفه الأقدمون بأنه مضب ، ووصفت أطرافه بالشاربخ وهو واقع في منطقة ذكر القدماء الأماكن الصغيرة بها وهي منطقة ديار بني أسد بل نصّ لغدة على أنه في اصطمة بلاد بني أسد أي في وسطها كما سيأتي فلا يعقل أنه يغفل المتأخرون اسمه إغفالاً ، وإذن لابد من أن يكونوا قد أسموه باسم آخر . فإهو ذلك الاسم ؟ .

لا يمكننا أن نعرفه إلا إذا نقلنا كلام المتقدمين عن القنان ثم طبقنا أوصافه على الجبل الذي تنطبق عليه . وهذا ما فعلته حتى وصلت إلى رأي جزمته به وأنه هو الجبل الذي يسمى الآن : (الموشم) . . .

قال الإمام لغدة الأصبهاني بعد أن عدد جبالاتاً يمكنك أن تراها إذا أشرفت رامة — أي علوت عليها — (وتنظر من رامة (القنان) وهو أبعداها وهو جبل في اصطمة بلاد بني أسد . وفيه يقول نهشل بن حرّى :

ضمن (القنان) لفقعس سوءاتها إن (القنان) لفقعس لمعمر^(١)
والجبال التي ذكر أنها ترى من رامة وأن القنان هو أبعداها هي : خزاز ، والأنعمان ومتالع . وأبانان وقطن . وساق . وهي جبال كلها باقية بأسمائها القديمة ما عدا الأنعمين ومتالع فقد تغير اسم الأنعمين — بالثنية — إلى اسم . . .
للقشيعين — بالثنية أيضاً . وتغير اسم (متالع) فأصبح يسمى (أم سنون) . . .
كما شرحت ذلك في موضعه .

وكل هذه الجبال تقع في المنطقة التي يمكن أن يراها من يعلو رأس (رامة) التي هي معروفة مشهورة باقية باسمها القديم .

والواقع أن (الموشم) هو أبعداها عن رامة ، وهو واقع في وسط

(١) ه بلاد العرب ، سن ٢٢٨٨ هـ مصر : حلبا .

بلاد بني أسد القديمة ، وكان لبني فقفس منهم . ويستطيع الرجل العادي البصر أن يرى الموشم من ظهراة إذا كان الجو صافياً .

وقال الإمام المهجري : (حبشي : جبل أسود إلى جنبه القنان ، أسود أيضاً ^(١)) أقول : حبشي لا يزال معروفاً باسمه القديم ، والذي بجانبه إلى جهة الجنوب والجنوب الشرقي هو الجبل الذي يسمى الآن (الموشم) . فذلك ذلك على أن (الموشم) هو القنان في القديم .

وقال ياقوت : (القنان ، بالفتح وآخره نون ، : علم مرتجل ، قال أبو عبيدة السكوني : إذا خرجت من حبشي : جبل يمنة عن سمراء سرت عقبة ، ثم وقعت في (القنان) وهو جبل فيه ماء يدعى العسيلة ، وهو لبني أسد) .

أقول وهذا هو الواقع بالنسبة للموشم فإنك إذا جزت جبل حبشي الذي لم يتغير اسمه وهو بالفعل جهة اليمن من عن قرية سميراء التي لم يتغير اسمها ، ذلك بالنسبة لمن يكون قادماً من الحجاز أو يسير على طريق الحاج عائداً إلى الكوفة فإنك تصل إلى عقبة على هيئة مكان مرتفع ثم بعد المرتفع تجد منخفضاً بعده جبل الموشم الذي هو القنان قديماً تماماً كما وصف أبو عبيد الله السكوني رحمه الله جبل القنان به .

وقال ياقوت : (جرثم : ماء لبني أسد ببني القنان وترمس) . أقول جرثم يسمى الآن (الجرثمي) كما تقدم في حرف الميم وهو واقع فعلاً بين الترمس الذي لم يتغير اسمه وبين الموشم . فذلك هذا على أن الموشم هو القنان قديماً . ويؤكد ذلك ما ذكر أبو سعيد السيرافي من أن جرثم من مياه بني أسد ثم بين فقفس ^(٢) ، أي أنه والقنان القريب منه كلاهما لبني فقفس من بني أسد .

(١) «أبو على الهجري وإيجانه في تحديد المواضع» ص ٢٢٠ .

(٢) البكري : رسم جرثم .

وقال البكري : بلاد بني أسد : المجلس والقنان ، وأبان الأبيض .
وأبان الأسود إلى الرمة (١) .

فقرن ذكر القنان بذكر أبانين ، وهما ما هما في الشهرة والكبر مما بذلك
على عظمه وقربه منهما وهذا هو الواقع بالنسبة إلى (الموشم) . إلا أن
كلمة (المجلس) . فيه محرفة عن - (الحبس) - وهو أحد جبال بني أسد
المشهورة التي تغيرت أسماؤها فأصبح يسمى الآن (سمار بقيعا) وموقعه
قريب من موقع الموشم .

والدليل على أن الكلمة محرفة هو أن المجلس : اسم من أسماء نجد ،
وليس اسم جبل في بلاد بني أسد فلم يرد ذكره في الجبال وإضافة إلى أن
الحبس جبل مشهور عند القدماء في تلك المنطقة ورد ذكره في نصوص
كثيرة ، ما بين شعرية ونثرية . وبدليل أن العبارة نفسها أوردتها ياقوت نقلا
عن الأصمعي صحيحة أي بلفظ (الحبس) لا المجلس (٢) .

ثم قال البكري : إلى الرمة : ويريد وادي الرمة المشهور الذي يقع
مجره بين جبلي أبان إلى جهة الجنوب من الموشم .

وقد ورد في شعر زهير بن أبي سلمى ما يدل دلالة قطعية على أن
القنان هو الموشم . حيث ذكر ظعائن - وهي النساء ، في الموادج تحملن
من أعلى جرثم (الجرثمي الآن) وهو معروف الموقع فبكرت بسحرة
عامدات للرّس الذي يقع إلى الجنوب الغربي من جرثم ومن يذهب
إلى الرّس منه فإنه يجعل الموشم عن يمينه كما يعرفه كل من عرف الجرثمي
والرّس اللذين لا يزالان معروفين قال زهير (٣) .

فبهر خليلي هل ترى من ظعائن
تَحْمَلْنَ بالعِلياء من فوق جرثم
تَكْرُنْ بُكُوراً واستحرن بسحرة
فهن ووادي الرّس كاليد القم

(١) معجم ما استعجم ج ١ ص ١٢ (المقدمة)

(٢) معجم البلدة : رسم .. الحبس ..

(٣) ديوان ص ٩ - ١١

جعلن (القنان) عن يمين وحزنه وكم بالقنان من محل و محرم

قال أبو أحمد العسكري في تفسير البيت الأخير : يظنه من لا يعلم من الإحلال في الحج والإحرام ، وإنما أراد من له عهد أو ذمة ، أو جوار له حرمة من أن يعاب عليه ، فهذا محرم ، أي لم يُحِلَّ من نفسه شيئاً يوقع لديه . يقول : كل من يحل غزوه ولا يحل^(١)

أقول : على أية حالة فُسر البيت فإنه يدل على أن في القنان سكاناً كثيرين في زمن زهير .

وهذا بعض ما جاء من الشعر في القنان :

قال ليبد^(٢) :

كأن قتودي فوق جأب مطرد يُفِزُ نَحْوصاً بالبراعم حائلاً^(٣)
رعاها مصاب المزن حتى تصيفاً نَعَافُ القنان ساكناً فألاجا ولا^(٤)

فقرن ذكره بذكر البراعم التي قال عنها لغدة : إنها أعلام صغيرة قريبة من أبان الأسود^(٥) ومعروف أن أبان الأسود هو الشامي من (أبانين) ولا تبعد البراعم عن الموشم إلا بمسافة تقارب ٤٥ كيلا .
وقال الشماخ^(٦) :

تربيع أكفاف (القنان) فصارة فأبيل فالماوان فهو زهوم
فقرن ذكره بذكر (صارة) التي هي ليست بعيدة من الموشم والتي كانت مشهورة في القديم ولا تزال مشهورة باسمها القديم

(١) شرح ما يقع فيه التصحيف ص ٢٦٧ .

(٢) ديوانه ص ١١٣ - ١١٤ وللشرح منه

(٣) الجأب : حار الوحش الفليظ ، ومطرد : متتابع السير . يفزأى يثير والشعوص : الأتقان الحائلة . والبراعم : أعلام صفار قرب أبان والحائل : التي لم تحصل .

(٤) مصاب المزن : مسقط الفيث والتفاف ما انحدر من السفوح .

(٥) بلاد العرب ص ٦٧ .

(٦) البكري ، أبيل ، ونظر تخريج البيت وروايته في ديوان الشماخ ص ٢٩٩ .

وقرن زهير ذكره بذكر عدة أماكن في تلك المنطقة هي **ثادق (ثادج)**.
ورقد للذي ينطبق وصفه على الرحا .. وذكر القنان بواديه وهضبه ومداخله
مما يدل على سعته كما هو « الحال » بالنسبة للموشم قال :

فهضب فرقد فالطوي ثنادف فوادي القنان هضبه فمداخله ^(١)

وقال نعيم بن أبي بن مقليل ^(٢) :

سلكن القنان بأيمانها وساقاً وعرفة ساق شمالاً

فقرن ذكره بذكر ساق الذي يسمى الآن (ساق الجواء) وهو يقع
إلى الشرق من الموشم وبعرفة ساق التي تسمى الآن (شرفة ساق) ومن
يسير عائداً إلى بلاد بني العجلان من بني عامر وهم رهط الشاعر ، ويكوف
متجهاً إلى جهة الجنوب الغربي أو الجنوب فإنه يجعل الموشم الذي هو القنان
بيمينه ، وساقاً وعرفة ساق بشماله تماماً كما قال الشاعر .

وقال أوس بن حجر من أبيات تقدم ذكرها في رسم (أبان) :

تشوبُ عليهم من أبانٍ وُشْمةٍ وتركب من أهل القنان وتفزع
فقرن ذكره بأن المشهور وبُشْمة وهو جيل لا يزال محتفظاً بأسمه القديم
ويقع إلى الشرق من قرية (سميراء) في الجهة الشمالية من القنان (الموشم
حالياً) .

وقال زيد السخيل الطائي رضي الله عنه ^(٣) :

وأحللتكم من لبن داراً وخيمة وكستم بأطراف القنان بمرتج
فخرتم بأشباخ أصيبوا بخنعة وتنسون شباباً (أتيمُوا) بضلفع
فذكر أطراف القنان مما يدل على عظمه ، وقرن ذكره بذكر ضلفع
(الضلفعة) الآن وتقع إلى الشرق الجنوبي من الموشم .

(١) شرح ديوان زهير .

(٢) داجع رسم : ساق : والبكرى : السوبا .

(٣) داجع رسم المنطقة .

كما ذكر زهير بن أبي سلمى القنان وقرن ذكره بذكر صارة التي تقع
إلى للشرق منه كما سبق في حرف الصاد (١)

تربّع صارة حتى إذا ما
فَنَى الدُّحْلانُ عنه والإضاءُ
ترَفَعَ لِقْنانُ (٢) وكلُّ فنجٍ
طباهُ الرعي منه والخلاءُ

ويروى : تَقْبِظُ بالقنان .

ومعلوم أن الموشم أعلى من صارة وإذن نرى أن الصواب تَرَفَعَ للقنان .

وقال أيضاً (٣) :

فهَضِبُ فرقد فالطَّوِيُّ فثادقُ

فوادي (القنان) حَزَنُهُ فمداخِلُهُ

فقرن ذكره هَضِبُ الذي يسمى الآن المَضُوب إلى الشمال من الترمس (٤)
ورَقْدُ الذي هو جيل الرَّحَا الآن. وثادق ، الذي هو (ثادج) الآن . وهذه
كلها يمكن قرنها بجبل الموشم لأنها في المنطقة نفسها .

وقال زهير أيضاً (٥) :

دَعَاها وسلُّ الهَمِّ عَنكَ بِجَسْرَةٍ

تَنجُو نَجَاءَ الْأَخْدَرِيِّ الْمَفْرَدِ (٦)

(١) ديوانه ص ٦٥ - ٦٦ وتقدم شرحها في رسم (صارة) .

(٢) هذه رواية الأعلام الشتمري كما في حاشية الديوان أما في الأصل فهو (تربيع

بالقنان) .

(٣) ديوانه ص ١٢٧ .

(٤) لم نفرد به رسم خاص ك لأنه تابع للمنطقة التابعة لحائل وانظر (هَضِبُ الْوَادِي) في قسم

« شمال المملكة » من « المعجم الجغرافي لبلاد العربية السورية » .

(٥) ديوانه ص ٢٧٠ .

(٦) الجسرة : الناقّة السبطة الطويلة . والأخدر : حمار برحش ، نسبة إلى أخضر وهو

فرس - فيما يقارن - من الحمر ، فسله معروف ، والمفرد : الفرد . أي : أنه واحد .

كَمُصْلَصِلٍ يَعْدُو عَلَى بَيْدَانَةٍ
حَقْبَاءٌ مِنْ حُمْرِ (القنّان) مُشَرَّد

قال شارحه الإمام ثعلب رحمه الله : يعني كبير مصوّت وهو المصلصلي ،
وبيدانة يعني أناثاً وحشية . وحقباء في موضع الحقيبة منها بياض ^(١)
والقنّان : جبل لبني أسد ، ومُشَرَّد : مُطَرَّد .
وقال ^(٢) :

لَسَلَّمَى بِشَرْقِ (القنّان) منازل ورسم بصحراء التُّلُبَيْنِ حائلٍ
وكما ذكر زهير بن أبي سلمى القنّان (الموشم) ذكره ابنه كعب بن زهير
في أكثر من قصيدة من شعره ولا غرو إذا عرفت أن منازلها كانت في
بلاد غطفان في مبهل الذي هو المحلاني الآن كما تقدم وفي الحاجر الذي
لا يزال معروفاً وكلاهما لا يبعدان عن الموشم بأكثر من ٧٠ كيلاً .
إلى جهة الغرب .

قال كعب بن زهير : ^(٣) :

جعلن القنّان بياضَ الشمال
وساق العُنَابِ ^(٤) جعلنَ اليمينَا
وبَصْبَصَيْنَ بين أداني الغضا
وبين عُنَيْزَةٍ شَأَوًا بطينَا

فذكر حمراً وحشية يقودها حمار لم يكن من ثادق (ثادج) يحنسين
الماء وأنهن جعلن القنّان (الموشم) إلى الشمال منهن ، وساق العناب الذي
هو (الأصبة) كما سبق في هذا الرسم إلى اليمين ، ثم انصرفن بين أداني

(١) الحقباء : هذه الكلمة لا تزال مستعملة لهذا المعنى في العامية النجدية .

(٢) ص ٢٩٢ وشرحناه في رسم « اللبيد » من مجمعنا هذا .

(٣) ديوانه ص ١٠٢ وقدم شرحها في رسم (ثادج) .

(٤) في الأصل في الديوان (وماء العناب) وقد أثبتنا رواية البكري لأننا نجتهد أنها هي

الصحيحة .

الغضا وبين حذيرة شأواً أي شوطاً بعيداً في ذلك في منطقة خبوب
بريدة الغربية إذ ذلك كان منابت الغضا في القديم .

وقال أيضا : في حمار وحشي (١) :

يرتعي بالقنان يقر وأريضا

فانتحى آتناً جدائد نورا (٢)

ثم قال أبياتاً في وصفه ، ثم بين كيف وصل إلى القنان :

جعل السعد والقنان يميننا

والمرورات شامة وحفيراً (٣)

وهذه الأماكن التي هي السعد والمرورة وحفير في أعلى عالية نجد .

ثم بين أنه فعل ذلك (٤) :

عامداً للقنان ينضو رياضاً

وطراداً من الذئاب ودورا (٥)

ونعتقد أن كلمة القنان في البيت الذي قبله والذي قرن فيه بالسعد

محرفة إذ كيف يجعل السعد والقنان يمينه ثم ينضو رياضاً أي
يجوزها عامداً للقنان .

ويهمنا أنه ذكر موضعاً معروفاً لنا الآن باسمه وهو المرورة وبينه وبين
القنان حوالي ثلاثة أيام للإبل وأن حمار الوحش القوي الذي ذكره أخذ
يجوز رياضاً ومياهاً ودوراً من دارات الرمل وهو عامد للقنان : أي قاصد
له ، حتى وصله .

(١) ديوانه ص ١٧١ .

(٢) يقر : يتبع . والآتن : جمع أتان . والجدائد اللواتي لا لبن لهن ، والنور : النواقر .

(٣) السعد : ماء على طريق المدينة ، ومرورة : جبل لا يزال معروفاً باسمه بمنطقة
إمارة المدينة في أقصى الحدود الشرقية لها . وشامة أي عن شماله .

(٤) ديوانه ص ١٨١ .

(٥) ينضو رياضاً يجوزها . والطراد : مياه لم يدر ما واحد لها . وروي الأصمى :
حصاداً وواحد الصباد : صمد وهو المكان الغليظ لا يبلغ أن يكون جبلاً .

وقال كعب أيضاً^(١) :

ألمأ على ربيع بذات المذاهير
مقيم كأخلاف العبادة دائر^(٢)
تراوحه الأرواح قد سار أهله

وما هو عن حي القنان بسائر

وذكر طفيل الغنوي (القنان) وقرن ذكره بذكر صارة التي
لا تزال معروفة بل ذكر عبارة تكاد تقطع بأن المراد بالقنان هو الجبل الذي
يسمى الآن الموشم قال^(٣) :

فلما بدا حزم القنان وصارة
ووازن من شرقي سلمى بمنكب
أنحنا فسيمناها النطاف فشارب
قليل ، وآب صدً عن كل مشرب

فذكر إلى جانب قرن القنان بصارة (سلمى) التي لا تبعد كثيراً عن
الافنين إلى جهة الشمال والتي هي أحد جبلي طبعه :

ويدل على ذلك أن الأصهباني ذكر أن طفيلاً أوقع بطيئاً في
معركة حدثت بين شرقي سلمى والقنان^(٤) .

وأورد له أبو أحمد العسكري بيتاً ذكر فيه القنان ، وذكر فيه اعتذاره
عن فراره ، ولعل لذلك علاقة بالموقعة التي ذكرها الأصهباني .

(١) ديوانه ص ١٨٥ .

(٢) ذات المزاير هي موضع غير معروف لنا شب الرسم بأخلاق العبادة أي قديمها .

(٣) ديوانه ص ٢٨ .

(٤) كذا الأصل حزم « وفي رواية الأخفش » هضب « ولعله الصحيح لأن الهضب هو
الذي يبدو على الجبل وليس الحزم ، وهكذا أشده الممداني « هضب » وصفة جزيرة العرب »
ص ٢٢٥ طبع (دار لليلة) .

کائنات طبعی : ۱۹ :

وَلَا يَكُ عَارًا بِالْقَنَاقِ أَتَيْتَهُ

فراوى فإن الجيش قد فرّ أجمع

وهذا شاعر أسدي مشهور بولايته على بني أسد في آخر القرن الثاني الهجري قرن القنان بصارة أيضا مما يدل على أنه الموشم .. بل ذكر خراطيم القنان والموشم جبل ذو خراطيم كما هو معروف وهذا الشاعر هو محمد بن عبد الملك الأسدي (١٧) :

وهل تبدو لي بين عرفة صارة

وبين خراطيم القنار حُدُوجٌ

شعر عامی :

وقال شاعر عامي بلوي ملغزاً في اسم محبوبته (نورة) وذكر الموشم .
من اسمه اليا بان قنديلله

نلزم به الصوم ونصلي (٣)

صوب (الموشم) مداھیلہ

مشکور وهذا وطن خلی (۴)

وقال الشاعر ابن غازي الشجري^(٥) :

أمس الضحى عدّيت رأس المنيف

وأصبحت من رقي الرجوم تعباني

أَخْبِيلَ مَظْهُورَ الْحَبِيبِ يَهْيَفُ

بأيسر قطن بين الموشم وابان

(۱) الأغاني ح ۱۵ ص ۳۵۲ (دار الكتب).

(٢) « شرح مايقم فيه التصريف » ص ٣٠ .

(۲) یاقوت عرفة صلیة .

(٤) خروقة صارة تسمى الآن شوفة صارة وتقدم ذكرها .

(١٠) **لَا : إِي . أَيْ :** إِذَا بَلَغَ قَدْرَهُ ، لَزِمْنَا أَنْ نَصْرُمَ وَنَعْمَلَ الْفَجْرَ أَيْ الْفُجُورَ .

(٦) مداهيله : الحكام الذي يتردد إليه ويقيم فيه .

(۷) مقدم شرحہ اربعی و رسم قلمی .

وهم :

قال الشيخ محمد بن بليهد رحمه الله وهو يتكلم على أما كن في الجوا : الموشم
باق بهذا الاسم إلى اليوم واتته في الجاهلية (موشوم) قال عبد الله بن الصمة :
أسقى الأجارح من نجد فخص به
سعد فبطن بليات فموشوم

وقال جرير :

وابني شريك شريك اللؤم إذ نزلا
بالجزع أسفل من أطواء موشوم
ياقبح الله عبداً من بني لجج

ياأوى إلى نسوة رضع مداريم^{١١}

أقول : الموشم واقع في بلاد بني أسد ولم نجد نصاً على أنه كان لهم موضع
باسم موشوم أما النضان الشرعان فاولهما لعبد الله بن الصمة وهو في
موضع آخر اسمه موشوم ليس له علاقة بالقصيم نقله ياقوت عن الحفصي
فقال : قال الحفصي : موشوم : جبل وعنده قرية وهو لبني سحيم
قال عبد الله بن الصمة - ثم ذكر البيت - وبني سحيم من بني
حنيفة . ومساكن بني حنيفة كانت في العارض ، إلى جانب أن الذي أورده
هو الحفصي وهو ألف كتابه في مواضع اليمامة وأين اليمامة من الموشم في
غرب القصيم الشامي ؟ !

وأما النص الشعري الثاني فهو في موضع آخر ذكر ذلك ياقوت عن
السكوني قال ياقوت : موشوم : اسم المفعول من الوشم ، وهي العلامة :
والشيء موشوم وهو اسم ماء لبني العنبر بالفقي قاله السكوني في قول
جرير ثم أورد البيتين .

أقول : بنو العنبر من بني تميم وبلادهم في سدير والفقي في سدير
كما هو معروف قديماً وحديثاً فأين ذلك من الموشم في غرب القصيم ؟

الوياض

محمد بن ناصر العبودي

الخَيْلُ فِي حَيَاةِ زَيْدِ الْخَيْلِ

يَا بَنِي الصَّيْدَاءِ رُدُّوْا فَرَسِي
 إِنَّمَا يَفْعَلُ هَذَا بِالذَّلِيلِ
 عَوَّدُوا مُهْرِي الذِّي عَوَّدَنِي
 دَنَجَ اللَّيْلِ ، وَإِطَاءَ الْقَتِيلِ
 وَاسْتَبَاءَ الزَّقَى مِنْ حَانَاتِهِ
 شَائِلِ الرَّجُلَيْنِ مَعْصُوبًا يَتَمِيلِ ..

أورد الأصفهاني ، هذه الأبيات السلسلة الحميلة ، ، المنسوبة ، صوتا من أصواته ، أو أغنية من أغانيه السائرة ، في كتابه الفريد « الأغاني » ثم قال كمادته : (الشعر لزيد الخليل الطائي وانتهاء لخرز ..)^(١) إلخ .. ثم انطلق بعد ذلك يتحدث عن زيد الخليل ، ويعرفه .. ويذكر طرفا من أخباره وأشعاره ..

وإذا أخذنا نتأمل هذه الأبيات الحميلة التي أخذت طريقها إلى مجالس الغناء ، ودارت على لهوات الفنانين من مغنيات ومغنين ، وانسابت مع الألحان والمعازف — لم نجد لها كالعادة تتحدث عن جمال امرأ ، أو تنزله في مفاتها .. ولكننا وجدنا محورها فرسا .. 'مَجَرَّدَ مُهْرٍ' .. ولكن يبدو أن هذا المهر عزيز جدا على صاحبه . رفيع المكانة لديه . لم لا ؟ وهو من خيل زيد الخليل بل زيد الخير . وزيد الخيل شديد العناية بالخييل ، كبير الشغف بها ، لا يفتأ يلهج بذكرها ، ويدللها ويعني بها أيما عناية ، . ولا أدل على ذلك من أبياته هذه .. فهو يقول لنا فيها : إن مهره هذا ليس مهرا عاديا .. فقد رباه تربية خاصة . ودرَّبه تدريبا معينا .. فهو يركض في الليل ، ويدلج ساريا في الليالي المعتمة . لا يبالي بما يصادفه في سبيل ذلك من وعورة درب .. أو عوائق طريق . يصعد الجبال ، ويهبط الوهاد ..

(١) وغريب من البكري أن ينسبها لعمرو بن معدى كرب « معجم ما استعجم » (رسم) (الحرلى) .

بل لقد اعتاد على شيء أكثر دلالة على الجرأة والإقدام ، لقد تلرب
على أن يطأ القتل ليقضي فيهم على الأنفاس الأخيرة ، إنه حصان
محارب جبار ..

ومع كل ذلك فهو أيضا مهر طروب ، أو أنه يشارك صاحبه أيضا
ساعات لهو هو وضيوفه .

وواضح أن هذه الأبيات لزيد الخير إنما قالها في جاهليته ، ماضيا فيها
على ما ألفت الجاهلية من حياة فيها من حرب ، وفيها من لهو وقصف ..

إذن وما دام زيد بن مهلهل ، شديد الروع بالخييل ، يُدربُها تدريبا
خاصا ، ويستكثر منها ، ويدللها ، ويعني بها هذه العناية التي ذكر طرفا منها
في أبياته السالفة ، فلا غرو أن يطلق عليه لقب زيد الخيل ، ذلك اللقب الذي
ظل يحمله حتى اختار الرسول صلى الله عليه وسلم حين وفادته عليه ، ضمن
وفد طيء أن يلتقبه بزيد الخير ، بدلا من زيد الخيل .. لأن الخير أكثر
شمولا ، ولأن في صفات زيد رضي الله عنه ما يجعله زيدا في أشياء كثيرة ،
ازداد منها وتزود ، جماعها الخير ..

حدثنا صاحب « الأغاني » أنه « إنما سمي زيد الخيل لكثرة خيله ، وأنه
لم يكن لأحد من قومه ولا لكثير من العرب إلا الفرس والفرسان ، وأنه
كانت له خيل كثيرة (١) .

على أننا يجب أن لا نأخذ ما حدثنا به الأصفهاني عن علة إطلاق هذا
اللقب على شاعرنا قضية مسلمة ، ذلك لأنه كان هناك من العرب أيضا من
كان يملك العديد من الخيل ، فلم تقترن أسماءهم بالخييل ..

إنني أعتقد أن كثرة عدد الخيل ليست وحدها السبب في إطلاق هذا
اللقب عليه ، وقد تكون أحد الأسباب ، ولكني أعزو اللقب إلى هذا الشغف
بالخييل عند زيد ، وهذه العناية الكبيرة بتربيتها وتدريبها وتدليلها ، والتغني
بها ، هذه الأسباب مجتمعة هي التي أهلت زيد الخيل لهذا اللقب ..

(١) الأغاني : ترجمة زيد الخيل .

وما لنا نذهب بعيداً ، وهذا زيد الخيل نفسه يحدثنا أن حصانه الأثير
لدبه لا يقل منزلة عنده عن ولده ، ابنه البكر (مكنف) ، إنه يصرح بذلك
تصريحاً حينما يذكر « المطال » أحد خيله الحبيبة :

أَقْرَبُ مَرْبُطَ (التَهْطَالِ) إِنِّي أَرَى حَرْبًا سَتَلْفَحُ عَنْ حَبَالِ
أَسْوِيهِ بِمَكْنَفٍ إِذْ شَتُونَا وَأَوْثَرُهُ عَلَى جُلِّ الْعِيَالِ (١)

وهو عندما يحدثنا عن مساواته بين حصانه وبين مكنف لا يقتصر على
المساواة في الأيام العادية ، بل هي مساواة في الليالي العصبية ، ليالي الشتاء
القارسة ، حينما يكون الأهل والولد في حاجة إلى رعاية خاصة ، فيها الدفء .
وفيها الغذاء الجيد . . وفيها العناية الخاصة . .

ومن هذين البيتين نعرف أن (المطال) هو أحد أفراس زيد الخير .
فهل كانت له أفراس أخرى مسماة ؟

يقول لنا أبو الفرج الأصفهاني (٢) : (وكانت له خيل كثيرة منها
المسماة المعروفة التي ذكرها في شعره وهي ستة وهي : المطال ، والكُميت ،
والتورد ، وكامل ، ودوول ولاحق) . .

وفي التورد يقول :

أَبَتْ عَادَةَ لِلتَّوْرَدِ أَنْ يَكْثَرَ الْفَنَاءُ

وَحَاجَةً نَفْسِي فِي نُمَيْرٍ وَعَامِرٍ (٣)

وفي دوول يقول :

فَأَقْسَمُ لَا يُفَارِقُنِي دَوُولٌ

أَجُولُ بِهِ إِذَا كَثُرَ الضَّرَابُ (٤)

(١) ص ٧٩ ديوان زيد الخيل . ومكنف على وزن محسن .

(٢) « الأغاني » ترجمة زيد الخيل .

(٣) و (٤) « الأغاني » ترجمة زيد الخيل . وبعد أن أورد أبو الفرج شواهد على
ذكر المطال والتورد ، ودوول ، قال : هذا ما حضرن من تسمية خيله في شعره ، وقت
ذكرها . « ومعنى هذا النص أنه قد سمى خيله المسماة أى الستة كلها في شعره . . ولكن للنصوص
بين أيدينا ، والتي جمعها ديوانه حشمة الله كنود نوري حمودي القيسي ليس فيها أكثر من ذلك .

وفما عدا ما ذكره أبو الفرج نجد أيضاً ذكر فرسه (كامل) في قوله :

وما زلت أرميهم يشغرة كامل .

وهو شطر ذكره صاحب (لسان العرب) (١) .

ويفخر زيد الخيل ، بأفراسه ، وبأصالتها وبأنها معروفة الأنساب ،
كان يقول مخاطباً أيضاً بني الصيِّداء ، وهم بطن من بني أسد :

بِئْسَ نُزَجِّي نَحْوَهُمْ ضُرّاً
مَعْرُوفَةً الْأَنْسَابِ مِنْ مَنَسِيرِ

وما دما قد عدنا إلى بني الصيِّداء ، الذين ورد ذكرهم في هذا الحديث
فلنعرج على قصة مهره الذي حازته بنو الصيِّداء ، فقال زيد أبياته تلك
يوصيهم به خيراً ..

القصة كما يروها أبو الفرج الأصفهاني في كتاب « الأغاني » أن فرسا
من خيل زيد ظلع (عرج) في بعض غزواته لبني أسد ، فلم يستطيع اللحاق
بالخيل ، فأخذته بنو الصيِّداء فوصلح عندهم ؛ وقيل أنه خلفه في بعض
أحياء العرب ظالماً يستقل ، فأغاروا عليهم بنو أسد فأخذوا الفرس فيما
اتفاقوه لهم ..

على أنه لا ينبغي أن أهمل هنا تعليقاً ساخراً قاله أحد بني أسد على بيت
زيد الخيل :

عَوْدُوهُ كَالَّذِي عَوْدَتْهُ دَلَجَ اللَّيْلِ وَإِطَاءَ الْقَتِيلِ

(١) مادة (كل) وقد جاء في ديوانه صنعة الدكتور القيسي هذا الشطر مرويها هكذا :

فا زلت أرميهم بفره وجهه

وباسيف حتى كل تحق ويلسدا

وقد أشار إلى شطر « اللسان » .

فقد أنشد أنصبت بن الملوّح هذا الشعر ، حبيب بن خالد بن فضلة
القمقي - وهو أسدي - فضحك ثم قال : قولوا له : إننا عودناه ما عودته ،
دفعناه إلى أول من يلقانا ثم هربنا ! !

ولا غرو أن يصدر هذا التعليق الساخر من أحد بني أسد ، الذين كانت
لزيد فيهم وقائع . .



وبعد ، فيحسب بنا أن نقف وقفة قصيرة عند أسماء خيل زيد الخير . .
أعني عند هذه الأسماء التي عرفنا ، لعلنا نستشف دلالات معينة ، نفيدنا
ولو بعض الفائدة . .

إننا نرى بين هذه الأسماء ما هو متداول يكثر إطلاقه على الخيل فهنا -
مثلا - فرسان من أفراس زيد يحملان اسمين من هذه الأسماء فهذا (الكبيت)
من الأسماء الشائعة ، وهو يطلق للصفة ، فإن الكُمَيْتة لون بين السواد
والحمرة . . ويستوي في للصفة المذكر والمؤنث ، وقالوا : إن الفرق بين
الكبيت والأشقر في الخيل هو في العرف والذنب ، فإن كانا أحمرين
فالفرس أشقر ، وإن كانا أسودين فهو كُمَيْت ، وتعتقد العرب أن
الكبيت من الخيل هو أقواها ، وأشدّها حوافر ^(١) .

وأغلب الظن أن زيد الخير إنما أطلق اسم الكبيت على مرسه هذا لأنه
كان بين السواد والحمرة ، وبالتالي فهو فرس شديد قوي ، جدير بأن
يقفيه زيد الخيل . .

(١) لسان العرب ، مادة كمت ، وفيه : أن الكبيت فرس المعجب بن شعبان .

أما (الورد) ، فهو أيضاً ، من الأسماء الشائعة التي تطلق للصفة أيضاً ،
ويزاد بها اللون فهو ليس كثيراً وليس أشقر ، ولكنه لون بين ذلك (١) .

أما (لاحق) فإن هذا الاسم يحمل دلالة بوضوح ، فقد يراد به السابق
الذي يلحق غيره ، فيدركه ، وقد يراد به لاحق الأيطل ، أي الضامر فإن
تحليل اللاحقة هي الضامرة ، ولا شك أن زيد الخير كان معتباً كل العناية
بتضمير خيله ، ويحسن تدريبها .

(و لاحق) ، أيضاً اسم فرس معروف من خيل العرب ، يعتبر جَدّاً ،
تماماً كما يقال عن الأعوجي ، نسبة إلى أعوج . هذا النابغة يصف أفراساً
يمتدحها :

فِيهِمْ بَنَاتُ الْأَعْوَجِيِّ وَلاحقٍ وَرُقًا مَرَاكِلُهَا مِنَ الْمِصْنَمَارِ (٢)
ومن هذا نعلم أن هذا الفرس ، كان ضامراً سباقاً ، له من المؤهلات
ما يلحقه بخيل زيد الخيل .

ومن أفراس زيد الخير : ذوول . . والواو الأولى هنا مسهلة عن الهزة ،
فهو ذوول . والدالان : مَشْنِيَّةٌ شبيهة بالتحمل ، ومشي المتقل ، أي إن
الخطو في هذه المشية متقارب ، كأن الفرس فيها مثقل بحمل (٣) .

(١) « لسان العرب » مادة كـ ت وورد . وجاء فيه أن الورد فرس حمزة بن عبد المطلب .

(٢) « لسان العرب » مادة لـ حـ ق ، وفيه أن لاحقاً اسم فرس كان لمعاوية بن أبي سفيان .

(٣) « لسان العرب » مادة دال . وفي بعض المصادر يأتي اسم ذوول بالدال المعجمة كذا في
(حلية الفرسان) ص ١٥٩ طبعة دار المعارف وهو فيما أعقده تصحيحاً . وكذلك ورد في محط
اللال طبعة لجنة التأليف . ولكن محقق الكتاب الأستاذ عبد العزيز الميمني ، أشار إلى الأصل
الوارد في « الأغاني » وهو بالدال لا بالدال . إلا أنه قال : إنه لم ير أحداً ضبط الاسم
ولا ذكره أصحاب كتب الخيل في الخيل ، ولم ير في المعاجم شيئاً يفيد ذلك ولو رجع إلى مادة
ذلك في اللسان لوجد ما ذكرته .

ويبدو أن هذا للفرس من أفراس زيد الخيل كان فارهاً ، شديد الاحتمال ، جلدأ ، ولهذا يقسم أن لا يفارقه إذا كثر الضراب :
 فَأَقْسِمُ لَا يُفَارِقُنِي دَوُولُ أَجُولُ بِهِ إِذَا كَثُرَ الضَّرَابُ
 أما المطال ، فيطلق هذا الاسم على الفرس إذا أخرج عرقه شيئاً بعد شيء ، والفرس يهطلها الركض أي يخرج عرقها (١) . .
 ولعل زيد الخيل قد أطلق هذا الاسم على فرسه لكثرة تهطل عرقه من الركض .

أما كامل وهذا اسم سادس أفراسه المسماة بالدلالة هنا واضحة أيضاً ، إذ يبدو أن هذا الفرس اجتمعت فيه الخصال الجيدة جميعها ، وزيد الخيل كان شديد الاعتزاز به فهو يقول :

وما زلت أرميهم بغرة كامل (٢)

* * *

وفي شعر زيد الخيل ، تَمَدُّحٌ وفخر بأصالة خيله ، ونسبتها إلى جلود أصيلة ، مثله أعوج ، الذي تنسب إليه الخيل الحياذ ، وذلك مثل قوله :

جَلَبَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ أَجْلِ وَسَلَمَى تَخَبُّ نَزَائِعاً خَبَبَ الذَّقَابِ
 جَلَبَبْنَا كُلَّ طَرْفٍ أَعْوَجَى وَسَلَهَبَةٍ كَخَافَةِ الْعُقَابِ (٣)

الطائف : ٦ - ١٠ - ١٣٩٧

عبد العزيز الرفاعي

(١) « لسان العرب » مادة هطل ، وفيه أن المطال : فرس زيد الخيل واستشهد بقوله

أقرب مربط المطال إن أرى حرباً تلقح عن حيال

(٢) « لسان العرب » مادة كمل ، وفيه أن كاملاً اسم فرس سابق لقبى أمرئ القيس

أو لأمرئ القيس وكامل أيضاً فرس زيد الخيل ، وفرس زيد القوار من الضبي ، وفرس لورناد ابن الكثر الضبي .

(٣) ص ٨١٤ « الكامل » الجرد ص ٣ من « الديوان » : وفي رواية الديوان عرابسا

بدلاً عن نزائعا . وأعوج حصاة تدمج أو فرس كانت لقبى . وسلهبة بمعنى طويلة .

رمال اليمامة

تنبت في أرض اليمامة رمال متفرقة تُطرز أرضها ، وتتخلل وهادها ونجادهها ، وتلون نباتاتها وتشكل مرعاها ، وتخزن ثراها ما يتساقط عليه من الأمطار ؛ فيبقى جوفه تدياً ، ونباته رويّاً . . وهو مظهر من مظاهر الخصب وديمومة المراعى . .

فأما شرق اليمامة فتمتد (الدهناء) بمحاذاته من الجنوب حيث تنطلق من الربع الخالى وحيث أقصى اليمامة من ركنها الجنوبي الشرقي ، وتأخذ مشملة حتى نهاية اليمامة في زاويتها الشمالية الشرقية ، فتقف اليمامة هنالك وتذهب الدهناء إلى حيث وصفناها في باب الدال من هذا المعجم ، وبمحاذاي الدهناء من اليمامة (الأفلاج) ومستقرات أوديته : الجدل ، والبياض ، وهريسان ، ثم (الحرج) ومنخرقات أوديته ورياضه ، ثم (العرمة) ومدافع أوديتها ورياضها ، ثم جمجمة (أم الحمام) إلى (السياريات) وهي جبل يأخذ من الدهناء مغرباً حتى يلتقي برمال (الثويرات) التي أيضاً تشكل حداً طبيعياً فاصلاً لشمال اليمامة حتى شرق القصيم وصحراء (المستوي) وينطلق من رمال الثويرات ذراعان من الرمال آخذتان في الجنوب نحو قلب اليمامة ، أما إحداهما فذراع جذماء وهو ما يسمى برمال (الضويحي) شرق (الزلفي) جاعلة روضة (السبلة) يمينها آخذة مع ظهر جبل (مجزل) حتى مشارف (سمار وديعان) وهناك تقف . .

أما الذراع الثانية فذراع رجة بسيطة ، تنطلق من رمال (الثويرات) مجنبه ، وهي (جبل الرغام) قديماً ، و (عريق البلدان) الآن ، وتذهب إلى قلب اليمامة حيث تقف عند نهاية إقليم (الوشم) جنوباً أمام طرف جبل

(عَرِيض) الشمالي ، وهناك يسمى : (طَرِيف الحَبَل) ، وهي تشق منطقة الوشم من الشمال إلى الجنوب ، وبها أعلام ومسميات سوف نتعرض لها في مكانها من هذا المعجم إن شاء الله . .

وحول طرف (عَرِيق البُلدان) من الجنوب شرقيه تقوم رمال تمتد من الشمال إلى الجنوب ، هي ما يسمى بـ (نفود رَغَبَة) . . (نفود) صغيرة لايتجاوز طولها عشرة أكيال في عرض خمسة ، شرقها روضة (أم الشقوق) ، وغربها (الفقر) و (روضة آل كثير) ، وشمالها قُفْ (أَعْيُوج) ، وجنوبها (سَحَقُ رَغَبَة) . .

أما (كُتَيْب الثَغِيْنَة) ، أو ما يسمى بـ (عَرِيق بَنان) ، أو ما يسمى بـ (نفود المعيزلة) . . فهذا أيضاً يمتد من الشمال إلى الجنوب بما تبلغ مسافته قريباً من ثمانين كيلا في عرض يتراوح بين الكيل الواحد وخمسة الأكيال ، حيث يستدق جنوباً وينبسط شمالاً ، وطرفه الشمالي ينفرش ويرق عند غربي (رياض الخسف) الخفس الآن ، وتنبسط وعساؤه حتى تصل إلى منحرف وادي (دقلة) أمام (الخفس) ، وطرفه هذا يسمى : (خشم الرشمة) . .

أما طرفه الجنوبي فيقف أمام طريق تُخْرِص حينما يعبر منطقة (السُّلَيْ) ، ويسمى : (المعيزلة) ، وسمي بهذا الاسم لأن هذا الطرف ينفصل عن الكتيب بفاصل يجعله كأنه منزل عنه ، ولذا سمي بالمعيزلة ، وطرف هذا الكتيب الآن من الجنوب زحف عليه عمران مدينة الرياض . .
فأدري أيهما سوف يطغى على الآخر ، ولكل نيلٍ مستقر . .

وهناك رُمَيْلة متداخلة تستند على أبارق جنوبها ، يقال لها : (الزُّوْبِلِيَّات) جنوب الرياض ، بينها وبين الحرج ، لاسمها نصيب من واقعها فكانها من بُعدٍ بُسِطَ ذهبية تجلج رؤوس هذه الآكام (زوبليات) (تصغير زوالي) ، وهي البسط العجمية ، هذه يراها سالك طريق الحرج على عِبه حينما يحاذي مغارة (هيت) . .

ويقابلها جنوباً بين أسفل (وادي نساح) و عَفْجَة (وادي حنيقة)
تحت (الحائر) رمل يحل تلك الجبال والوهاد حتى مشارف (الخرج) ،
وفي هذا الرمل (دائرة الحُجيرة) بين (نساح) و وادي حنيقة .

رملة المغسل : وتسمى الآن (الضوَيْحي) (غير ضويحي مُجزّل) ،
وهو رمل ممتد من الشمال إلى الجنوب في طول ما يقرب من ثلاثين كيلاً
وعرض خمسة أكيال في المتوسط ، وهو يَلْبُ بِجبل (الدّام) من
الغرب ، مواجهاً لصفحته وواقعاً بين خضراء الخرج (الدلم) و (زُمَيْقَة)
و (المَحْمَدي) و (نِجان) ، واقع بينها وبين (الدّام) وطرفه الشمالي
يتلاشى أمام (نِجان) تقريباً ، وطرفه الجنوبي يقف أمام (خفس دِغْرَة) .

ويقول عنه الهمداني في « صفة جزيرة العرب » : (ثم أسفل من ذلك
القرى من اليمامة الضَّبَيْعَة والملح والخرج ، وهو في قنع الرمل ، والقنع
مفضى القاع ، والرملة ، فالرملة في أصل الدّام وهي تسمى رملة المَغْسَل ،
وبين الدّام وبين الرملة اللّوى وهي سكة بين القف والرمل ، وفي اللّوى ماء
يقال له : السويدية في مدفع وادي المغسل ، وهو وادي يجري من قطمان
ومن جوجان ومن الشعنة بسفل الحياة جبانة الخرج) انتهى .

قلت : وقد طغت هذه الرمال ، وأخفت بعض هذه المعالم ، لأن
هذه الرملة ماثرة متطاوسة لوقوعها بين صفحة جبل الدّام وبين القرى
والمزارع ، فهي منخرق رياح الشمال والجنوب . .

كثيب الدّحي : هذا الرمل يقع جنوب اليمامة غربها مواجهاً لصفحة
جبل طُريق من الغرب منطقة ما بين قَفْج (وادي برك) إلى قَفْج (الكواكب) ،
وبين صفحة الجبل وبين الرمل مستقرات وسيول الجبل الغربية وتسمى :
(الساقية) ، أما هذا الرمل فطرفه الشمالي يقف أمام فوهة (وادي برك) ،
ويمتد له أجارع ودكادك تحول بين السيول التي كانت تنحدر مع برك
قديمًا وهي سيول (الرّيب) و (الركا) و (العَمَن) ، وغيرها من السيول

في تلك المنطقة وجعلت تستقر في سبخة هنالك منداحة فسيحة ، حاولت مع رفقة لي قطعها بالسيارة في الصيف حيث لا ماء ، ولما أمعنّا بها قليلا ساخت بها عجلات السيارة وبعد لآنيُ عدنا أدراجنا ..

ياخذنا هذا الرمل في الامتداد جنوباً حتى يقبل على فجّ (الكواكب) أسفل (وادي الدواسر) قبل دخوله الفج ، وهناك يقف .. وفيه فواصل واسعة قبل طرفه الجنوبي بقليل .. ويبلغ طوله نحواً من مائة كيل في عرض عشرة أكيال في المتوسط ..

حبل وادي الدواسر : عندما يقف جبل (الدّحي) حيث وصفنا يقوم غربه جبل آخر ، يمتد من الشرق إلى الغرب ، تنبسط نخيل ومزارع وقرى وادي الدواسر تحته من الجنوب ، وتظل ملازمة له وملازماً لها حيث ينهي وتنتهي بما أقدر مساحته بخمسين كيلا طولاً في عرض لا يتجاوز كيلين في المتوسط للرمل فقط ، ويحاذي طرفه الغربي من الجنوب وعساء يقوم بها بعض الأنقية ، وألوية الرمل كانت عقدة الطريق المؤدي إلى منطقة الجنوب الغربي ومصدر مضايقة السفر حيث هي بالمرصاد لكل سيارة تجتازها حتى عبرها الطريق المعبد وقال لها قرّبي فقرت .. وأنا ممن شكا منها وذاق حرارتها ومرارتها ..

قُنَيْفَذَة : ويسمى (نفود الغُزَيْر) .. رمل ممتد من الشمال إلى الجنوب بما أقدر طوله بمئة وعشرين كيلا في عرض عشرين كيلا في المتوسط ، طرفه الشمالي متعلق بصفراء (الوشم) غرب شمال (مراة) ، ويأخذ نحو الجنوب حتى يتجاوز فوهة (وادي نَسَاح) ، وهناك ينشعب منه لسان يلبح فوهة (وادي نَسَاح) ، ويُعْمَن حتى يقبل على هضاب (العِطَاش) ، ويسمى هذا : (اللّسِين) تصغير اللسان ، كما ينشعب منه أجارع وأبارق تتجلل القُفّ الواقع جنوب (المزاحميّة) من بطن (قَرقرى) ، لم تلبث حتى تكون جبالا من الرمل المتراكم المتداخل تشكل شبه نصف دائرة على (روضة المُحيطيّة) ، وتمعن داخلية (وادي الأوسط) (ملك)

قديمًا) حتى تفعمه وتسد منافذه إلا القليل ، وتطغى على جباله الشبالية وما حوله لتكون أبارق يشاهدها سالك الطريق بعد (أديراب) يساره . . . وقد اقتحمه طريق الحجاز الحديد مما يلي (الثَغُطُفُط) شرقاً ليخرج على منهل (تَبْرَاك) غرباً حيث منطقة (الجله) . . .

الملحاء : قلنا إن طرف رمل (قُنَيْفَذَة) الشمالي يقف متجللاً صفراء الوشم ، ومع كونه يقف إلا أن هناك أبارق وجُرْعاً تمتد منه مشملة ، ولكنها لا تلبث حتى تكون رمالا منقاداً متراكمة هي ما يسمى بـ (نفوذ الملحا) تَلَبُّ بِصَفْرَاء (الوشم) من الغرب ، وبصحراء (المُسْتَوِي) من الشرق ، وتذهب مستطيلة مشملة حتى تقف بجذاء (الخُويْشَات) من شمال المُسْتَوِي . . .

السر : جبل مستطيل من الشمال إلى الجنوب ، يبدأ من مشارف (القصيم) الجنوبية ، ويذهب مجنبا حتى جانب (الجله) الجنوبي بما أقدر مسافته بمئتي كيل طولاً في خمسة وعشرين كبلاً عرضاً ، ويعتبر هذا الرمل الحد الغربي ، لِمَا سوف أدرسه من (اليمامة) لأن أخي الأستاذ (سعد بن جُنَيْدِل) معني بدراسة عالية نجد وهضبة الوسطى ، وله فيه دراسات وله به خبرة لأنه نشأ وعاش هنالك ، فأحب أن أقاسمه دراسة منطقة نجد وإن كنت قد بذلت جهوداً وأوقاناً وبحوثاً وتحقيقات في المنطقة التي عُنِي بها ، ولكن هكذا كان ، فعسى كل واحد منا يوفق لأداء مهمته التي اضطلع بها من منطقته وإنها لكثيرة وكبيرة . . .

نعود إلى بقية الحديث عن رمال السر ، فحينما يقف في جنوب الجله يعود - بعد فاصل واسع - فيقوم مرة أخرى وبعضهم يقول : إنه امتداد له ، وبعضهم يقول : إنه قطعة من الرمل . . . هكذا وجدت بمفردها تذهب هذه القطعة بمحاذاة نفوذ (قُنَيْفَذَة) بينهما منطقة (الجله) حتى تقفان متناوحيان أمام فوهة (نَسَاح) من الشرق ، وأمام (سَيْحِ الدُّبُول)

من الغرب ، وبعضهم يسمى هذه القطعة (نفوذ الخبراء) ماء هنالك يسمى به هذا الرمل ..

نفيدُ السليم : رمل يشقه طريق الجنوب قبيل بلدة (حوطة بني تميم) بعد المنسف ، يشرف على السَّوط من الناحية الشرقية ، وبذهب جنباً تاركاً قُفَّ (الحوطة) و (بني شعاراً) يساره ، حتى يوشك أن يلامس شعاب (بني نُعيم) التي تسيل في وادي (العقيمي) ..

لا أجد بعد ما ذكرنا رملا في (الإمامة) ، معتبراً ما عدا قطعاً صغيرة لا يؤبه لها مثل قطعة تقع في فوهة (برك) بين (البكرة) وبين (الهيرة) ، وما عدا قطعاً متفرقة في أسفل (العتك) الأعلى ، وبينه وبين مدفع سيل (البير) وما حول ذلك من جُرْع وأبارق حول (حسي دقلّة) وبرق (الخاتلة) ، وكذلك رُميلة صغيرة في أسفل (وادي دَعَكْنَة) عند التقائه (بوادي حنيفة) أمام (عريض) و (البواقر) ..

بقي أن نشير إلى أن (الرُّبْع الحالي) حينما تنطلق منه (الدهناء) شرق الأفلاج جنوبها يأخذ مغرباً محتوياً جنوب الإمامة بما مسافته نحو من ثلاثمائة كيل حتى يلتقي بجبل الإمامة فيغمره هنالك .. وإذن فالإمامة مربعة بالرمال من جميع جهاتها حسبنا وصفنا ، فمن الجهات الجنوبية والشرقية والشمالية مغلقة بالرمال ، وأما الجهة الغربية فرمالها ذات فواصل و (خلول) ..

وسوف تأتي على هذه المسميات في أبوابها من هذا المعجم إن شاء الله .

عبد بن حميس

قصيدة البحار النعماني : في الشهور الحميرية

أستاذنا العلامة البحاث صاحب مجلة العرب الغراء الشيخ حمد الجاسر
حياكم الله .

السلام عليكم ورخمة الله وبركاته .

إليكم هذه الدرة الثمينة والجوهرة اليتيمة من تراثنا القديم الخالد الذي
يمثل جانباً كبيراً من حضارتنا العريقة نتحف بها قراء مجلتكم السيرة
ذائعة الصيت .

ألا وهي قصيدة العلامة النعماني المتضمنة للأشهر الحميرية التي كانت
مستعملة في سالف الأيام أيام سبأ وحير ، مقارناً لها ما يقابلها من الأشهر
الرومية ، وإن وضع هذه الأشهر الإثني عشر شهراً بهذا الإبداع دلالة
واضحة على عراقة تمدن اليمن وأصالته وأنه ضرب بسهم وافر في الحضارة
الإنسانية البحتة كما سن قوانين حضارية مثلى لم تكن معروفة من ذي قبل
لا سيما بعد ما أميط اللثام عن محددات تلك الحضارة بما كشفه المستشرقون
ولا يزال الكثير رابضاً تحت الأنقاض ينتظر اليوم الذي ليس ببعيد إن
شاء الله للتنقيب عن ذلك لتسفر النتائج المرجوة عن أشياء جديدة .

ويلاحظ أن ذكاء العقل اليمني ودقة نظرته توخى أن تكون الشهور
موسمية أى شمسية لتتلاءم وطبيعة اليمن وأجوائه الزراعية .

ويبدو أن استعمال هذه الشهور كان شائعاً إلى عصر النعماني على أن
الهمداني لسان اليمن لم يذكر من هذه الشهور في كتبه التي بين أيدينا غير
ذي الديار : كانون الآخر ، في الجزء الثامن ، وذو الخراف : آب في
الجزء الثاني ، وذكرها الملك الأفضل العباس بن الملك المجاهد الرسولي

في ضمن مؤلفه المجموع بخط يده الذي لا يزال مخطوطاً . كما أن بعض
الشهور لا تزال متداولة بين الناس إلى هذه الغاية إلا أنهم لا يفهمون أنها
من الأشهر الحميرية كما أنهم يحذفون لفظ (ذي) فينطقون (ذي علان)
علان وذي الصراب الصراب وذي القياض — القياض وذي المبكر — المبكر .
والبحر النعامي صاحب القصيدة من أولئك الأفئدة الذين أكلهم التاريخ
أوعقته أهله وذووه ونسجت عليه عناكب النسيان ولم يظهر على مسرح
التاريخ إلا في هذه اللحظة الذي قدر له أن يظهر في القرن العشرين وعلى يد
أحد أبناء اليمن البررة فلم أطلع له على ترجمة مما قد اطلعت عليه من تراثنا
المتناثر الذي هو الآخر أصيب بالعقم ولم يحفل به أبناؤه ولكن اسم البحر
النعامي ، أو بالحري لقبه يشير إشارة جلية إنما لقب بهذا اللقب إلا لتبحره
بالعلوم والآداب والفنون حتى غلب على اسمه العلم ، وقصيدته هذه ترمز إلى
سعة اطلاعه لغة وأدباً وحكمة فهو يذكر فيها الكروم : الأعتاب يذكر
معها ما يتناسب لكل شهر من الأغذية والأشربة والملابس فهو قد أضاف
إلى بحره آية لامعة في الطب والحكمة كما أن في ديباجة القصيدة ما يشير
إلى أن النعامي أصيب بالجذام وأنه داوى نفسه إلى أن قطع شأفته وبرأ منه
وقام سوياً . والمعروف أن الجذام من الأدوية المستعصية علاجها غاية
ما وصلوا إليه توقيفه عند حده وعدم انتشاره ، ونسب النعامي ينتهي إلى
القبيل ذي نعامة من آل ذي يزن الذين لهم بقية في قريتهم التي تنسب إليهم
قرية (بيت نعامة) في ظاهر جبل عيبان جبل صنعاء الغربي وقد نزل صنعاء
وسكنها .

أما تحديد عصره فيغلب عليه الظن أنه من أعيان القرن السادس الهجري
والخامس كما تدل عليه تلك المخطوطة القديمة التي عثرنا عليها وهما مخطوطتا
شرح الدامعة . وقد أضيفت القصيدة هذه وقصيدة نشوان ابن سعيد
الحميري .

الأمر جدّ ، وهو غير مُزّاح فاهل لنفسك صالحاً يا صالح
وقصيدة الكيث بن زيد الأسدي النونية التي رد عليها الممداني بالدامعة .

وجاء في آخر أقدم النسختين بعد شرح قصيدة الكميت : وقصيدة
 رائية لمحمد بن الحسن الكلاعي تقع في ٣١٢ بيتاً بحسب ما فضل بن تارذح (١)
 الروي أضيفت تلك القصائد إلى كتاب شرح الدامغة الذي نشرناه هذه
 الأيام . ما نصه : (تمت القصيدة وهي ثلاث مئة واثنان عشر بيتاً ، وذلك
 في يوم النصف من شهر جماد الأول (٢) من شهور سنة ثلاث وعشرين
 وست مئة ، بقرية مسلت من ظاهر بلد همدان بحمد الله ومنه . . .
 والقصيدة في هذه النسخة ناقصة .

وجاء في آخر النسخة الثانية بعد قول الكميت — من قصيدته وهي
 مشروحة أيضاً : —

كَبَيْتِ العنكبوت وجدت بيتاً يمد على قضاة أجمعينا
 نسب قضاة إلى قلة العدد ، كما قال الطرمّاح بن حكيم الطائي في
 هجو بني تميم :
 ولو أن أمّ العنكبوت بنت لهم مظلتها يوم اللقاء أظلت
 تمت القصيدة الكميتية بحمد الله ومنه .

قال في نسخة الأصل : وكتبها الحسن بن يعقوب (١) — : قرأتها
 على أبي رياش أحمد بن أبي هاشم القيسي (٢) .
 والحمد لله وحده وصلاته على محمد وآله وسلامه .

وكان الفراغ من نساخته يوم الجمعة الثاني من شهر المحرم ، أول شهور
 سنة ست وعشرين وست مئة سنة ، بخط الفقير إلى رحمة ربه علي بن بريد
 بن أحمد بن علي أحمد بن عبد السلام بن أبي يحيى . . لخزاة الفقيه الأجل الأوحد
 العالم العامل الورع الزاهد تقي الدين أحمد بن موسى بن سعيد النجاري أدام الله سعاده .
 وها هي القصيدة ، مع بعض إيضاحات استلزم الحال ذلك ،

القاهرة : في ١٤-١٢-١٣٩٧ (٢٥-١١-١٩٧٧)

محمد بن علي الأكواع

(١) هو الهمداني المشهور لسان اليمن وصاحب المؤلفات المعروفة .

(٢) ابن أبي رياش ولد في الحضرة في البصرة ، وهو لغوي أديب مترجم في إنباء
 الرواة ، وسبغ الأدباء ، وغيرهما .

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وحده وقال البحر النعماني من آل ذي نعام ، وهو حميري
من سكن صنعاء يذكر الشهور ويذكر فيها الكروم وما يصلح لفصول السنة
من الأغذية ويروي أنه داوى نفسه من الجذام ثلاث مرات لحسن معرفته
بالطب .

أقامت كرومك في شهر آب من الماء يفهق مثل الحواري
فيا حبذا طيبها في الخريف إذا قهقهت في أعالي المضاب
يعاقب تحسب أوجالها مع الصبح فيه تيوس ثيابي
يعاقب جمع يعقوب ، وأوجالها ذكورها ، من بابا التيس .

ويا حبذا هي في ذي معون إذا الصيف ساعدها بانسكاب
بنضح الدواجن بعد السيول فأبصرت فيها كوشي الزراني
وفي غيرها من كروم السواد إلى حد حرقة تحت الذباب (١)
موضع في بلاد همدان ويريد بالسواد : سواد الخشب .

من اللوز والورد والأقحوان ومن كل زوج من التبت راني
فلا طيب أطيب من ريح ورد إذا بات يعلوه ظل الضباب
وأصبح يأرج بين الكروم كريح القرنفل بين السخاب (٢)
فلا شيء أبهج منه إذا ما تداعت له الطير بين الشعاب
تداعت بوارع صفر البطون وغنت أياطف حمر الرقاب

البورع : معروف ، وهو الطائر الذي يقال إن ترجمة صوته : لارضى
في الدنيا بقوت ، وعلى الدنيا للدمار (٣)

وصاحت جوالب جوف فتاحت بطول الترم بعد اكتساب (٤)
الجوالب من ذوات الطوق وهي معنى قول أبي نواس :

وغنت الطير بعد عجمتها .

بأصواتها الباهيات العجائب	ومنها أيارد تحكي الصنوج
تراطن فيها كريح غصاب	ونخضر العذارج بين الغصون
نفخن الحواصل مثل الكياب	إذا ما ترنّمتن من فوقهن
وطول المناقر والانتصاب	وخوفهن بلحظ العيون
طربت لأصواتهن الطراب	إذا ما أتيت تزور البلاد
فكلب الشتاء أضر الكلاب	فلا تبرزن لكلب الشتاء
حسان ليسلبنها باغنصاب	تراهن ينظرن أطواق حمر
فصار بهنّ أشدّ الضراب	حسدن الأباطف حسن الغناء
كل غصن من الطلح نالي	فلما تخوفن منهن طرن إلى
وأفراخهن فهيجن ما بي	بغردن فيه لألّا فهنّ
وأنا أدّكارك بعد الخصاب	وذكرني ما مضى من شباني
حكين المزامير في ذي الخشاب	كأن تجاوب أصواتهن

١ - تشرين الأول : وهو ذو الصراب .

لا لحمير والروم أهل الكتاب	فدع ذا وقل في شهور بداه
وقابلت تشرين في ذي الصّراب	إذا استقبل الناس وجه الربيع
للمس نساك لا للقحاب	ففي ذي الصّراب فكن طالباً
حراماً فتسجزي بسوء العقاب	لما تستحل ولا تطلبين
وكل من كرائك أكل الغراب	وأكثر من التيم بعد الجماع
وما كان من صالح في تباب	بخلّ الدنان ودع ما حلا
كأءِ الحميم ولا للقحاب	وفيه زكام وما للزكام

٢ - تشرين الآخر : وهو ذو المهلة

كصاحبه لا تكن ذا ارتياب	وتشرين ذو المهلة الحميري
سوى ليلة نقصت في الحساب	تيمّان حدهما واحد
لداهما فالتمّ بالنفساب	وليس العمائم فيه شفاء

٣ - كانون الأول : وهو ذو الآل

وكانون ذو الآل ينلوهما ببرد يقْدَ خوافي العقاب
إذا الليل أودى بطول النهار وأبت النهار سريع الذهاب

٤ - كانون الآخر : وهو ذو الدباو

وكانون من بعده ذو الدباو فدارهما بالكسا والجباب
وبالدهن والفضهما بالجماع وقو الجماع بنهش الكباب
وأكثر من الثوم في السيكباج^(٥) وضع فيهما من فروع الشذاب
ومن كل ما يصلح الحر فيه فكله هنيئاً بضرس وناب
فذلك شهر ثير القنبر نهيج سُما كسم الجباب^(٦)
إذا حاج بالمرء شلت يداه وأزبد مما به كالمصاب

٥ - شباط : ذو الحلة^(٧)

وقو الحلة الفحل منها شباط وفيه إذا جاء نبذ المخابي
وبنتار ذو الزرع فيه الطعام إذا المحل أودى بما في العباب
وفيه لعمرك تسقي الكروم وترفع من بعد طول الخراب
هنالك تضرى ذئاب البلاد فتلهو الكلاب بسور الذئاب
وتنحل فيه المواشي كما يُحِلُّ القلائص طول الهباب
ورفع الأحشة أعناقها إذا لبدت في صدور العقاب
وتهجيرها بعد إدلاجها إلى كعبة جعلت للمتساب
لكل امرئٍ محبتٍ لم يزل إليها له قدم في الركاب
حباط كذلك يزرى بها إلى أن تؤوب ، وقبل الإياب
ودر في شباط وكل ما حلا مع الأطلاء وكن ذا ارتغاب
تخل السمان وتبري العظام وتطوى البطون كطي الكتاب
فلا تمتنع فيه من مأكل ولا تترك الطيب تشتت^(٨)
ولا تترك الطيب تشتت

٦ - أذار : ذو معون

للسدع المشارط في ذي معون وقطع العروق لحصد الشباب
إذا وازن الليل وزن النهار فميزان ساعته لا يحابي
فكل فيه من سمكات الصيود من البحر أو من عيون عذاب
وشرب العقاقير فاصبر لها فلن لأذار تحبب الحواري

٧ - نيسان : ذو الثاية

ونيسان ذو الثاية المرتجيا فنعم المرجأ لما في الروابي
إذا أنزل الله رب العباد على العرق في الترب ماء الرباب
وأصبحت ترمق فوق الكروم عوالي أسرع^(٨) كمثل القباب
فأكرم بنيسان^(٩) من زائر إذا ما تكفنا بانصباب
وإن اعتنته ليالي العجوز تدلت عناقيد كالمرابي

الميزبأ : الأديم الذي يعلق فيه الطفل^(١٠)

فمنها نفاذ جرين الزبيب ويجمعها كالجمال الحواري

٨ - أيار : ذو المبكر

وأيار ذو المبكر الفحل فيه ودبأوا وأشباهه كالضباب
فدع كل مخ وأكل الرؤوس فلانها مثل سم ، وصاب^(١١)
وفيه هواجر فيها سموم ووهج من القبط جاري السراب

٩ - حزيران : ذو القياظ

وأقصر إذا ما أتى ذو القياظ وهمت هواجرها بالتهاب
عن الشمس فيه وشرب الحليب ونهش اللحوم وأكل الشراب^(١٢)
حزيران فيه ثور المزار كما نار قدز بسم مذاب
فاطف المزار بماء قراح على الربق فيه وكن ذا اجتناب

(٨) السرج : ماتما من النصوص .

للمس النساء وشرب الدواء إلى متى الشمس عند الإياب
إذا ما انتهى فيه طول النهار فمت الليالي كنوم الذئاب

١٠ - تموز : ذو مذران

وأعدد لتموز ذي مذران من الطعام أبرده والشراب
وألقي الجباب ولا تلبس بنفساً^(١) ودع عنك دهن الملاب^(٢)
ودع فوق رأسك من حره وفي تركها أس علم عجب
ومثل الغوالي فدعها تدم ورطب الثمار كذي الانتهاب
كل القرع والمالح العق فيه سميناً وكن منهما ذا اهتباب
ولا تأكل السمن فيه ولا إذا جئن في زينة الاعتباب
ودافع نساءك في وقته

الاعتراب : المباشرة ، يقال تعاربت المعز وتعارب التيس : طلب ذلك

كما يدفع المرء عنه الغريم بلين الكلام وحسن الجواب
وجالس حكماً تزد حكمة ويلهك عن كل خلود كعاب
فإنك إن لم تصبهن فيه وماطلتن بطمول الغياب
تجنب سقماً طويل العلاج وأثبت علماً بترك التصابي
فعلم الطبيب اللبيب الأريب كعلم الحكيم الذي لا يحساب
وتموز ذو اللب فيه حزين وذو الجهل من نفسه في عذاب

١١ - آب : ذو الخراف

وفي ذي الخراف فلا تعد ما فعلت بتموز في كل باب
فآب كتموز في حره فكن فيهما صابراً ذا احتساب
وغساد العناقيد في بردها مع الصبح فيه غدو الغراب
ففيه لعمرى تطيب الكروم ويجلو السما ثم صوت السحاب
كل الثوم باللحم والسمن فيه وباللين الخفض غير المراب

(١) كذا وله يقصد (امن رأسك بالنفسج) .

ندأوي سوادا من المرتين إذا آبَ آبَ فكله بآبِ
ففيه تهييج بأصحابها وتعلق ببوستها في الرضابِ
وتبدو بهم عندها غيرةٌ ولون قبيح كلون التراب (١)
فلا خير فيه لذى مرة توقد في الخوف مثل الشهاب
من الحرّ صفراء فاعرفهما بلى ثمن من حجاب (٢)

١٢ - أيلول : ذو علان

وبأتيك أيلول من بعده بأيام علان من بعد آب
إذا اعتدل الليل مثل النهار رأى فيه فضلا كفضل الخضاب
جديدان يقتسمان الشهور مطاعان فيه لرب مجاب
وفيه علاج من المرتين وما يتقّى من دم أو لعاب
دع البقل فيه وخذ بالذي مضى قبله من قواف صعب
صعب القوافي وإنشادها يليق بأفواه أهل الصواب
نعتُ الشهور لأني سبقت إلين سبق جياذ عراب
سبقتهم إذا كبا جرهم ومثلي إذا ماجرى غير كاب
ألم أرم في نصل لم يكن رمى مثله أحد من صحاب
أصاب المقرطس نزعى بسبع واتبعته بثلاث صباب
فأحمد ربي إله السماء على ما جاني به للصواب
جاني بحب وصي النبي وما لامري مثل باريه جاني (٣)
بطيب الولادة أحبته وباب السعادة والاحتساب
وخبث الولادة تبدى العيوب كما يظهر الخرق ماني الحراب

(١) إل هنا ينتهي ماني للنسبة الأولى .

(٢) كذا ولله (بلا ثمن من نصيح محاي) .

(٣) القول بأن عليا وصي النبي لم يثبت لدى علماء السنة بنسب صحيح . العرب .

أحب علياً كحب النبي
وأبغض أعداءه الناكثين
لأنّ علياً له جوهر
يزيّنه حسب فاخر
كمود النضار إذا قسته
إلى الناس كانوا كلب الغراب
الغراب : شجرة (٣) (...) يعمل منه خلايا النحل

فإن علياً أقام الصلاة وآتى
وفرق فيه بين جد وهزل
فأصبحت عند عداة الوصي
لأنني أوّليه ما غرّدت
وما عقل العصم في سامك
ولعنة ربي على المبغضين
الزكاة بصدق المشاب
يبعد له منها واقتراب
بحبي له غرضاً للسباب (٣)
مطوقة في فروع السوابي
من السرّ أو في اعالي ذباب (١)
علياً ولتقوا شديداً العقاب

(١) لو قال (لبي النبي) لأصاب إذ حب النبي صل الله عليه وسلم يجب أن يكون قول حب كل أحد من الخلق كما في الحديث « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده ووالده والناس أجمعين » ولولا أن أمانة العلم توجب إيراد القصيدة كاملة لتركنا الأبيات الأخيرة ، وأيضاً فهي تلقى ضوءاً على حياة الشاعر ، فتوضح أنه شيعي فلمه مترجم في أحد مؤلفات علماء الشيعة الزيدية « العرب » .

(٢) كلمة غيروا اخصة .

(٣) تقدمت الإشارة إلى عدم صحة الوصية « العرب » .

(٤) سامك موضعان أحدهما جنوب صنعاء بمسافة نصف مرحلة وهو جبل صغير فيه قرية حل طريق صنعاء وذمار وسامك أيضاً جبل كبير شرق شمال صنعاء في بلاد خولان العالية وهو المراد هنا والسر هو سر ابن الروية المشهور بمحتفظ باسمه إلى يوم الناس هذا وهو شمال صنعاء وذباب بالفتح : جبل كبير يمتد أعلا السر المذكور وذباب : بضم أوله موضع في باب المنتب . على البحر الآخر من بلاد بني حميد الحميميين .

وهذه بعض معاني كلمات هذه القصيدة :

(١) حرقه : بالحاء والراء المهملتين ثم فاء وهاء بلدة من أرحب وجرقه : بالميم وباقي الحروف كالأول بلدة أيضاً هنالك والحشب بالحاء والشين المعجمتين آخره ياء موحدة كلها تحمل هذا الاسم لهذه الغاية وكلها في بلاد همدان شمال صنعاء .

(٢) السخاب : قلادة من سلك وقرنفل ومجلب بلا جوهر .

(٣) البوارع والبورع جمع بورعة : بفتح الباء الموحدة : عصافير كحجم الكف الصغير وفي أعلا رأسه مجموعة شعر ويقال له قنبرة وقنبرة وجماعه قنابر قال طرفه بن العبد

يسالك من قنبرة بمعمر خلا لك الجو فبيضي واصفري

كما يقال لها قُرَيْشِع . ويقال أنها تنادي كل صباح : شماك ياربي شماك لو ما قرينع للسماء ! ويضرب للرجل كثير الدعوى وليس عليه طائل فيقال لولا قرينع للسماء كما توصف البوارع بضعف العقل وخفته ويضرب بذلك المثل للرجل خفيف العقل فيقال : عقل بورعي .

(٤) الجوالب والجولب : جمع جولبة : طائر معروف في اليمن أغبر اللون وأصغر من الحمام، وله زجل وترنم عند منبج الصباح وفي عشه الذي يتخذ في الأشجار ويسقط من عشه يلسقط الحب وغيره ويوجد في مصر والعراق وغيرهما في الشوارع صباحاً لوجود الأشجار .

(٥) السكباج : هو طبخ اللحم بالثوم والخل .

(٦) الحباب بالضم : الحبيّة .

(٧) الحيلة : بكسر الحاء المهملة ومن الأمثال اليمنية قولهم : حيث ما حلة الصيف حليب أي أنه يبتدي فصل الصيف فإذا جاء فيه مطر في محل من الحلات ذهبت إلى ذلك المحل مع مواشيك وأغنامك فحل فيها .

(٨) السرع هو ما نما وامتد من الأغصان لغة دارجة إلى هذا اليوم .

(٩) المزابي : جمع مزبأ ويقال مزبوء وهو المهذ للأطفال وله صنعة خاصة ولا تزال الكلمة عندنا مستعملة في اليمن وفي بادية نجد .

(١٠) الصاب : نوع من السموم أو الشجر المرّ .

(١١) الثراب جمع ثرب اسم جنس وهو الدمم والشحم لغة جارية إلى يوم الناس هذا .

(١٢) الملاّب : نوع من الطيب .

بَلَدَةُ مُزْعَلٍ

(وهذا بحث مكمل للكلام على العرض - المنشور في « المرب »
من ١٢ ص ٣ و ٣٦ من كتاب « عالية نجد » أحد أجزاء « المعجم الجغرافي
لبلاد العربية السعودية ») .

مِزْعَلٌ : بيم مكسورة وزاي معجمة ساكنة ثم عين مهملة مكسورة
وآخره لام ، من قولهم زعل يزعل إذا غضب : وهو اسم بلدة تقع في
عرض شَمَام غرب بلدة القويعة تبعد عنها مسافة تسعة اكيال ، واقعة في
بَرَّاح من الأرض يمر من جانبها الشمالي مجري وادي القويعة ، الذي ينحدر
من المرتفعات الواقعة غرباً منها ثم ينحدر شرقاً ، ماراً بقرية القويعة ثم
قرية الجفارة ثم بلدة مزعل ثم بلدة القويعة .

وقد تأسست هذه البلدة في أوائل القرن الرابع عشر الهجري ، أسسها
أسرة العُرفاء - واحدهم عَرِينِي - من الجبور من قبيلة بني خالد ، كان جد
هذه الأسرة من أهل الجشة في الأحساء^(١) ، انتقل منها وسكن في روضة
سُدَيْر ، وكان اسمه حمد بن حمدان الخفيف الجبري - كما حدثني بذلك
عبد العزيز ابن محمد العريني - وهو ذو عناية بتاريخ هذه الأسرة واطلاع
عليه .

أنه بعد أن سكن روضة سُدَيْر - وكان ذلك في أيام إمارة رُمَيْزان
ابن غُشَّام التميمي عليها في منتصف القرن الحادي عشر الهجري زوَّجَ أختاً
له أميرها رُمَيْزان ، ثم انتقل إلى بلدة شقراء في الوشم وتزوَّجَ فيها امرأة من
آل جَمَّاز من بني زيد ، فولدت له ولداً سماه جَمَّازاً ، وتوفي حمد في شقراء وبقي
ابنه في شقراء وخلف له عقاراً ، وشبَّ ابنه جَمَّاز بين أخواله ، وكان له
أخ من أمه كان يلقب الضعَّيف - تصغير ضعيف - عرف بهذا اللقب

(١) وقد حدثنا أحدهم أن لهم أقارب الآن في تلك القرية يدعون (آل دعيج) بضم الدال ،
وهم غير آل دعيج أهل امرأة « العرب » .

وأشهر به ، وهو من قبيلة بني زيد ، فكان يذهب هو وأخوه إلى الشعراء
 ويزرعان فيها ، ثم يعودان إلى شقراء ، ومن شقراء انتقلا إلى القويعة
 واستقرا فيها ، وكانت القويعة وماحولها لقبيلة السهول ، وبعد تكاثر
 بني زيد ونموهم فيها استخلصوها بالشراء من قبيلة السهول ، بقي جاز بن حمد
 الجبيري في القويعة ونمت فيها ذريته وقويت روابط المصاهرة بينهم وبين
 بني زيد ، حتى أصبح ابنه ناصر من أعيان البلدة وذوى الرئاسة فيها ، وقد
 رأس وفد القويعية إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب — رحمه الله — قال ابن
 بشر في « عنوان المجد » في حوادث سنة ١١٦٩ هـ وفيها وفد أهل القويعية
 على الشيخ محمد وبايعوه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة ، ورؤساء
 هذا الوفد ناصر بن جاز العريني وسعود بن حمد وناصر
 وذكر ابن غنام مثلما ذكره بن بشر في تاريخه (١) .

وكان ناصر بن جاز يلقب بالعريني ومن ثم أصبح هذا اللقب عاماً
 لهذه الأسرة .

بقيت هذه الأسرة في القويعية تشارك سكانها من بني زيد في نوائبها
 وإصلاح أمورها ، وكان الأكثرون منهم أهل ثراء وملكوا أملاكاً في
 أعلى وادي القويعية وعمروها بالنخيل والمزارع ، فملك منهم محمد الأحيسر
 (أم أريطي^(٢)) في أعلى القويعية وملك عبد الله بن خلف (الخرع الشمالي
 من الخرنق) وملك إخوته أملاك مزعل ، وأرادوا الانتقال إلى أملاكهم
 والاستقرار فيها ، وإقامة بلدة خاصة لهم في أملاكهم في مزعل ، وكان رئيسهم
 يومئذ عبد الله بن صقر العريني فلم يرض أهل القويعية من بني زيد ذلك
 الانتقال ، وحاولوا أن يحولوا بينهم وبين إقامة بلدة خاصة بهم ، غير أنهم
 صمموا على عملهم وبنوا بلدة مزعل وسكنوها ، وسموها بهذا الاسم لأنهم
 عمروها رغم معارضة بني زيد لهم في ذلك ، ولكنهم من ناحية أخرى قد

(١) روضة الأفكار ٥٥٢ .

(٢) تصنيف أريطي ، والمائة يقبلون الهمة فإذا كانت مضمومة واءاً فيقولون

(أم أريطي) .

احتفظوا بعلاقاتهم ببني زيد سكان القويعة بأن يحملوا عنهم خمس ضريبة
الجهاد وغيرها من النواثب التي تعري البلد .

وفي عام ١٣٣٣ هـ مرَّ الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ببلدة
مزعل فعرضوا عليه شأنهم فأقرهم عليه وعين فيهم أميراً منهم وهو ناصر
بن زريب العريبي ، وقد صاهر الملك عبد العزيز رحمه الله في هذه الأسرة
ثلاث مرات ، المرة الأولى أثناء مروره ببلدة مزعل عام ١٣٣٣ هـ تزوج
وَجَّوْا ابنة سيف بن ناصر العريبي ، والمرة الثانية أثناء مروره ببلدة مزعل
سنة ١٣٣٧ هـ تزوج فيها ابنة سعد بن إبراهيم العريبي ، أما المرة الثالثة فلأنه
تزوج فيها نورة ابنة خلف بن برهم العريبي ، في بلدة الشعراء — كما مرَّ ذلك
في ذكر الشعراء .

وما زالت هذه البلدة معمورة نامية ، حتى مرَّ بها المغفور له الملك
عبد العزيز عام ١٣٣٣ هـ ، ومنذ ذلك العهد وهي مستقلة في شؤونها الخاصة ،
مرتبطة بقضاء وإدارة القويعة ، وفي هذا العهد أخذت بنصيب من النهضة
العمرائية والاجتماعية التي شملت مدن المملكة وقرائها فها عمرائها ، وافتتحت
فيها مدرسة ابتدائية للبنين ومدرسة ابتدائية للبنات ومدرسة متوسطة للبنين ،
وفيها مكتبة عامة ، وفيه يقول الشاعر الشعبيُّ عبد الله اللّوح :

نَهَمَّتْ بِأَدْبَارِ الْعَرَضِ جَاكَ الْوَابِلُ الْمُدْرَارُ
وَطَا (دَاوِرْد) وَالشَّعْرَا وَمَزْعَلُ وَالْقَوَيْعِيَّةُ

ويقول الشاعر الشعبي هويشل بن عبد الله :

يَا اللَّهُ طَلَبْتُكَ عَلَى الشُّقْرَا بِهَمَّالٍ
نَصَبَةً بِبُؤْجِ الظَّلَامِ وَيَشْنَعْلُ لِشَعَالِهِ
إِلَى نَهَشَمٍ وَمِنْهُ شَعْيَبْنَا مَالٍ
يُؤْمَرُ عَلَى مَزْعَلٍ بِأَنْوَبِلٍ وَجِبَالِهِ

ومن أهل بلدة مزعل : ناصر بن جهاز العريبي الذي وفد على الدرعية
رئيساً لوفد القويعة كما تقدم ذلك .

ومهم محمد بن سعود بن صقر بن ناصر العريني ، ولد في بلدة مزعل عام ١٢٩٠ هـ ، قرأ القرآن وحفظه في بلدته في سن مبكرة ، ودرس على قاضي القويعة عبد الله بن سليمان السيارى ، ودرس في الرياض على الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف والشيخ حمد بن فارس ، وفي عام ١٣٣٢ هـ انتقل إلى هجرة الغطط مرشداً دينياً ، ثم تنقل في عدد من المهجر غيرها ، وكان يرافق بعض الحيوش التي يبعثها المغفور له الملك عبد العزيز مرشداً وإماماً للصلاة ، وفي آخر حياته عاد إلى بلدته مزعل وأقام بها أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر واعظاً ومرشداً حتى توفي فيها عام ١٣٥٩ هـ رحمه الله .

ومن أهل هذه البلدة الشاعر الشعبي هُوَيْشَل بن عبد الله بن هويشل ، وهو حربي من بني علي بالولاء ، كان أبوه شاعراً مقلداً ، سكن هذه البلاد وكان أسود اللون ، وكان يعمل حائكاً ، ولد ابنه هويشل في بلدة مزعل عام ١٣٢٣ هـ وقال الشعر وهو شاب حديث السن ، وأجاد في شعره في فنون مختلفة ، فقال شعراً جيداً في انتصارات الملك عبد العزيز . في فتح الأحساء وفتح الحجاز ، ووقعة تربة وغيرها ، وله قصائد في الملك عبد العزيز في مناسبات مختلفة ، وله في الغزل باع طويلة ، وقد اشتهر بشعره الساخر الهزلي لأنه مزده من بين سائر الشعراء ، وله خيال واسع في شعره وتشبيهات دقيقة جيدة .

كان الشاعر هويشل معروفاً بعقافه وقناعته وكثرة صلاته ، وكان قارئاً للقرآن ، عاش فقيراً متعففاً يعمل أجيراً في حفر الآبار وفي الزراعة وغيرها ، وملامح حياته تبدو واضحة في شعره وتوفي في شهر ذي الحجة عام ١٣٧٦ هـ وقد جمعت ما تيسر لي جمعه من شعره ، وشرحت ما يحتاج إلى شرح من أبياته ، وهيئاته للطبع ، ومن شعره هذه القصيدة بعث بها إلى صديق له رداً على قصيدة بعث بها إليه من مدينة الرياض :

يارا كِبَ اللَّيْ كُنْ شَوْحَةً إِلَى غَارِ

شَوْحَ الْفَهْدِ فِي وَسْطِ رِيْمٍ يَلُوفُهُ

أَشْقَرُ مَرْفَعِ كُنْ خَفَهُ قِفَا الطَّارِ

ومقدار بَوَّعَ بَرَكْتَهُ عَنْ دَهْوَفِهِ

اسبق من اللي دار من داخن نار
 صيد جفل واستتبع له خشوفه
 لا هوب لا جودي ولا هوب خوآر
 من نسل مجن كآملات وصوفه
 يسبق هبوب الريح عجل إلى غار
 خطر عضاده تمصع من كتوفه
 أذنيه أحليها كوافير جبار
 نابي السنمانيات قحوفه
 يمسي إلى قفط من العرض نشار
 في دار أبو تركي محني سيرة
 يلقي سعد بردود وعلوم وأخبار
 وعقب السلام الذرب واكله خروفه
 قل له ترى (مبهل) زى فيه نوآر
 والخلف في مبهل تزبر خلوفه
 وقل له من العارض إلى العرض وينار
 عشب زهى يزداد زوفه ونوفه
 وقبلك محمد والصحابه والأنصار
 كل حزم قاسي الحجر فوق جوفه
 ومه أهل بلدة مزعل الشاعر الشعبي إبراهيم بن سعد العريبي ، ولد في
 بلدته مزعل عام ١٣٣٧ هـ نشأ في بلدته وزاول قول الشعر مبكراً والتحق
 بخدمة الحكومة في إمارة المدينة المنورة ، ورافق جون فلي في رحلته في
 شمال الحجاز ، وارتحل إلى كثير من البلدان ، وله ديوان شعر مخطوط ،
 وقد أذيع بعض شعره من إذاعة المملكة العربية السعودية . وهو من الشعراء
 المكثرين وله نفس طويل في شعره ، وقد عاد إلى بلده واستقر فيها ، ويعمل
 في عهده هذا مسؤولاً في بريد بلده .

سعد بن جليل

فِي رَحَابِ الْحَرَمَيْنِ

مِنْ خِلَالِ كُتُبِ الرُّحَلَاءِ إِلَى الْحَجِّ

— ١٥ —

رحلة المتألى الزبَادى (١) :

ومن علماء المغرب الذين دونوا رحلاتهم إلى الحج الشيخ عبد الحميد ابن على المنالي (٢) الزبَادى الحسنى الإدريسي المتوفى سنة ١١٦٣ هـ (١٦٥٠ م) وهو من علماء المالكية من أهل فاس .

له أخ دعاه الفقيه العلامة الشريف أحمد بن على المنالي الحسنى ، جاور بالحرَمين ، ونقل عنه كلاماً عن الحرم المكي ، وعن آداب الدخول في الروضة المشرفة .

والمنالي عالم له مؤلفات منها :

١ — « بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت الله الحرام » قال مترجموه عنه :
ضمنه فوائد كثيرة .

٢ — كتاب في العروض .

٣ — « إفادة المرتاد ، في التعريف بالشيخ ابن عباد » وهو محمد (فتحاً) ابن ابراهيم بن عباد النفري ، يقع في كراستين في مكتبة الأستاذ عبد السلام ابن سودة مؤلف كتاب « دليل المغرب » .

٤ — ترجمة محمد بن على مرزوق العياشي الرحمانى المتوفى سنة ١١٤٩

(١) مترجم في « دليل مؤرخى المغرب » وكتاب « الأعلام » ١ - ٣٩٣ .

(٢) نسبة إلى منالة من قرى السوس .

(٣) ص ١٤٢ - رحلته مخطوطة خزانة الرياط في المغرب .

٥ - فهرست نحو الكراسة في مكتبة الأستاذ محمد إبراهيم الكفافي.

٦ - « شراب الصفا ، بالتوسل إلى أهل الاصطفاء » .

والمنايا شعر منه قصيدة دعاها « إتحاف المسكين الناسك » ، لبيان المراحل
والمنايا ، ضمنها رحلته ^(١) وله قصيدة يتشوق فيها إلى مغاني الحجاز ،
مطلعها ^(٢) :

سلامٌ على نجمد ومن حلَّ في نجمد
سلامٌ يُحبُّ زائدِ الشوق والوجد

والمنايا صوفي تطفئ عليه العاطفة في بعض المواقف ، ولكن يجب
أن لا يكون هذا حائلا دون الاستفادة من علمه :

ولست بمستيقن أخيراً لاتكمه على شعبي ، أي الرجال المهذب؟
وقد حج سنة ١١٤٨ ^(٣)

توجه من القاهرة في ٢٦ شوال (١٢ نونبر)

ووصل مكة ٦ ذي الحجة (١٦ دجنبر) من المدينة وعاد إلى المدينة
في ٢٦ ذي الحجة فدخلها خامس المحرم سنة ١١٤٩ . وسافر منها في ثامن
المحرم .

وقد عول - في وصف مشاهداته - وفي كثير مما دونه على رحلة
العباشي ^(٤) .

وسألتني من رحلته ما يتعلق بوصف الطريق من القاهرة . إلى مكة ، من
وصف آثار المدينتين السكريميتين ، ومشاعر الحج . محافظاً على كلامه

(١) ص ٢٠٣ مخطوطة الرباط .

(٢) ص ٢٠٠-١٩٧ كما أوردتها محمد بن عبد السلام الدرعي في رحلته الكبرى -
وهي مخطوطة .

(٣) ذكر بعض مترجميه أنه حج سنة ١١٥٨-١١٥٩ ولكنه ذكر أنه دخل المدينة
سنة (١١٤٩) .

(٤) نشر ملخصها في « العرب » ص ١٢ ص ١٠١

بنصه ، مع حلف مالا فائدة من ذكره . ورحلته لا تزال مخطوطة ، مع أنها من أوسع الرحلات إلى الحج ، وأوقافها ، وتعتبر متممة لرحلتي العياشي والدرعي ، وابن ناصر .

الطريق من بركة القاهرة إلى مكة

قال في وصف

سير الركب الفاسي والمغربي والمصري ما نصه

سير ركب الحج :

والركب الفاسي في هذه السنين مع الركب المصري يسير ، وإلى نظره يصير ، فينزل بنزوله ، ويرحل برحيله . . وأما الركب المغربي الذي يأتي من الجزائر ونواحيها ، فبعد رحيلنا من البركة نزولها ، وهكذا شأنه كلما فارقنا داراً وصلها ، يرحل عند الفجر ، وينزل في الثلث الأول من الليل ، وربما زاد أو نقص ، وكل ذلك مع السير المديد ، والعناء الشديد ،

وأما الركب المصري لم يزل من البركة يرحل قبل الفجر بساعة أو ساعتين ، وينزل بعد العشاء بساعة أو ساعتين حتى نزلنا بندر العقبة فصرنا نرحل عند الزوال ، وننزل عند الفجر أو الشروق على حسب ما اقتضاه الحال .

البنادر في الطريق وقال :

(وفي الحصن ... في عجرود - عسكر لا يفارقهما أبداً وكذلك غيره من البنادر ، وفي كل سنة يأتي قوم فيذهب الذين كانوا فيه ، ولهم جناية من بيت المال على ذلك .

وشأن هذه البنادر أن يخزن فيها الطعام على الدوام ليجده الراكب في الذهاب والإياب ، ويترك الناس فيها ما استقلوه من الأزودة والأطعمة

إلى الرجوع ، ولولا لطف الله بالعباد بوجود هذه البنادر لما قدر أحد على سلوك هذه الطريق لكثرة مخاوفها ، وقلة مرافقها . ولكن الله ييسر لعباده ، للسلوك إلى أعز بلاد .

عجروود :

وبتنا بالدار الحمراء ، في أرض صحراء قفراء ، ثم ارتحلنا ونزلنا عجروود ، طيب مائه مفقود ، وطعم الملح فيه موجود ، وهو حصنان متقاربان ، مبنيان بأوثق بناء ، وفي أحدهما بئر كبيرة ، تسني دائما بالبقر ، ويخرج الماء من البندر إلى ثلاث برك خارجة ، وفي الحصنين المذكورين عسكر لا يفارقهما أبدا ، وكذلك غيره من البنادر في كل سنة يأتي قوم فيذهب الذين كانوا فيه .

طريق المصانع :

(فتبتنا بهذا المورد - عجروود - وقلنا ومن الليلة الثانية ارتحلنا فسلكتنا طريق المصانع والمصانع سوارى مبنية في سبخة ، لا يظهر فيها أثر الطريق ، فجعلوا تلك الأعلام دليلا عليها ، وجعلوا في رعوس الأبنية حجرا طويلا خارجا إلى ناحية الطريق ، ليستدل به الماشي ليلا ، وربما علقوا على بعض الأعلام مصابيح بليل ، وبين كل علم وعلم نحو فرسخ أو أقل ، حتى انتهوا بها إلى رأس وادي الرمل وتسمى هذه الأعلام اليوم النواطير^(١) ، وهي جمع ناطور^(١) ، والناطور^(١) في اللغة هو الحارس ، فكأنها تحرس الماشي من التلف ؟) عن الطريق ، فكأنها تقول بلسان حالها : الطريق أمام ، فلا تمل يمينا ولا شمالا عن الأعلام ، وعلى هذا الطريق يسلك الحاج المصري دائما وكذا المغربي ، إلا في أوان الحر وخوف العطش فيعدلون عنها إلى النابعة ، التي هي للماء العذب والهواء الركب جامعة . فلما قطعنا مسافة النواطير ، ودخلنا وادي الرمل بخير المقادير ، بتنا . . . وتسمى هذه الدار على السنة الناس اليوم رعوس النواطير وفيها أهل هلال ذي القعدة .

(١) كذا و فرق اللاء نقطة .

وادی التیه :

ثم ارتحلنا - من رموس النواظير - قرب الفجر ، وسرنا في الوادي
جلّ يوماً ، ومررنا آخر النهار بالعقبة المشرفة على التيه ، وقد كانت فيها
صهوة فسوّيت ، وبُنيت بناءً متقناً ، حتى صارت طريقاً لاجباً . ودخلنا
أرض التيه ، وسرنا إلى العشاء ، ونزلنا بوادي التيه ، الذي ماله في
الوحشة من شبيه ، كثرت فيه الطرق وامتدّت ، وتشابهت مسالكه
وماحدثت ، نهاء هيماء (؟) بعيدة عن الماء ، يعطب فيها الظاء من الظاء ،
(وإن يستغيثوا يغاثوا بماء) وقد قال في ذلك شيخ شيوخنا أبو سالم :

ولم أنسَ بالتيه يوماً به تفاني الحجيح صدّي وولوها
وإن يستغيثوا يغاثوا بماء عجروا كالمهل يشوى الوجوها
فبتنا به إلى السحر) .

بندر النخيل :

(سرنا يوماً في أرض التيه إلى الأصيل ، فنزلنا ببندر النخيل ، سالمين
مما أصاب بني إسرائيل ، وهو قلعة حصينة ، فيها بئر نفيسة ثمينة ، ماؤها
عذب بارد ... لا تزح أبداً ، يسنى منها بالبقر إلى برك خارج الحصن ،
وهي ثلاث مثل التي في عجروا ، إلا أن هذه أعظم منها ، وتقام إلى
جانب الحصن سوق كبيرة خيراؤها نامية ، وفيها من الفواكه الشامية مثل
الزبيب واللوز ، والتفاح والموز ، والسفرجل والرمان ، وغير ذلك من
الألوان ، فبتنا ليلتين) .

بئر الصعاليك :

(ومن آخر الليلة الثانية ارتحلنا حتى إذا كنّا ببئر الصعاليك نزلنا ونسمي
أيضاً بئر البارود ، وهي بئر كبيرة طويلة ، مطوية بحجر ، وبناء متقن ،
في أصل واد ، وبجانب البئر أثر بناء وبركتين ، إلا أنه لا عمارة عليه ،
وماؤه بارد إلا أنه قبيح ، لا يكاد الشارب يسيغه) .

عرقوب البغلة :

ثم ارتحلنا - من بئر الصعاليك - ومررنا آخر يومنا بموضع يقال له عرقوب البغلة ، وهي عقبة فيها بعض صعوبة إلا أنها قد سُويَتْ وبُنيت ، واتخذَ على جانب الطريق مسجد صغير غير مسقف . قال أبو سالم : وذلك من عمل الأمير رضوان المتولي لإمارة الحاج أزماناً طويلة قريبة من الثلاثين ، وتوفي سنة ست وستين ، أو قريباً منه ، وكانت له آثار حسنة في طريق الحجاز ، من قطع الأشجار ، وإزالة الأحجار من الطرقات . وحفر بعض الآبار ، وتجديد بعض البرك فجراه الله خيراً ، فلقد كانت له همة عالية في تخليد المآثر ، فكم بالغ في الثناء عليه كل لسان ، وأطلق بالدعاء له كل إنسان .

وإنما المرءُ حَدِيثٌ بَعْدَهُ فَكُنْ حَدِيثًا حَسَنًا لِمَنْ وَعَى
وفي زقت العشاء نزلنا سطح العقبة وبتنا)

العقبة :

(ثم ارتحلنا - من سطح العقبة - قرب الفجر ، فلما بين الصبح أنيخت الركاب حين وصول أولها إلى أول العقاب ، فصلى الناس الصبح ، وجعلت الإبل تسلك فيها شيئاً فشيئاً على مهل وكثرة وجل ، ومنذ صليت الصبح ترجلت ، وأتيت عند طلوع الشمس إلى المرقبة ، وشرعت نزول العقبة ، فاصليت الظهر ، حتى وصلت إلى البحر ، بعدما جلست في الطريق مرتين ، جلستين طويلتين ، وأتيت الدار قبل العصر فصليت هنالك العصر والمغرب والعشاء ، وحينئذ وصلت جمالنا ، فانظر ما أصعب هذه العقبة ، وكيف لا وهي عقبة أيلة التي قديماً قيل فيها :

بطريق أيلة أجبلٌ وعقابٌ

لا يرتجي فيها النجاة عقاب

فكأنما الماشي عليها مُذنبٌ

وكأنما تلك العقاب عقاب

وقد قيل فيها أوفي مثلها :

سلكتنا عقاباً في طريق كأنها
صياصي دُبُوك أو أكفَّ عقاب
وماذا لك إلا أن ذنبي أحاط بي
فكان عقابي في سلوك عقاب

على أنها اليوم قد نُتَحَتَّ وسُوِّتْ ، وحافتها المحفوفة ببناء متقن قد
بُنِيَتْ ، ومع ذلك لاتسلك إلا برهبة ، ومع صعوبتها فيها الخوف الشديد
من الأعراب (أن يقعدوا على المضيق فما يقدر أحد على الذهاب أو الإياب
فلذلك ترى الجند والعسكر يبكرون فيتقدمون إلى مضايقتها فيعسكرون
وقد سلمنا والله الحمد من أعرابها . . . وبتنا ليلتنا عند بندر العقبة ، وهو
حصن حصين في قرية على شاطئ البحر في فصح جبل ، وبها آبار كثيرة ،
مياهاها عذبة غزيرة ، وفيها أيضا نخيل كثيرة ، وتقام فيها سوق كبيرة ،
يحضرها أهل غزة بأنواع الفواكه والنعم ، والأعراب بالسمن والعسل
والنعم ، أقنا هنالك الغدَ وليته جمعاء ، وبعد الغد إلى أنزوال) .

ظهر الحمار — حفائر النخل :

(وعند الزوال يكون الارتحال فارتحلنا من هنالك — بندر العقبة — في
أضيق المسالك ، بين البحر والجبل ، لا يمر فيه إلا جملٌ لائر جمل ،
فررنا آخر النهار ، بموضع يقال له ظهر الحمار ، وهي (؟) بسيط من
الأرض أحرش مرتفع ، يطلع إليه من مسلكين لا يتخلوآن من صعوبة ،
وتحتة على ساحل البحر أحساء كثيرة في وسط حدائق نخل ، وماء ذلك
المحل كله طيب ، ويقال لها حفائر النخل ، ولم نزل بهذا المحل بل تعدّيناه
حتى زاحم وقت المغرب ، فأنأخوا الركب كله من غير جعط ، فصلى الناس
المغرب وتعمشوا وأثاروه إلى أن تمكن وقت العشاء غاية التمكن ، فأوقفوا
الركب حتى صلى الناس العشاء ، وساروا حتى قريب الفجر ، فوصلنا إلى
موضع يقال له عبش الغراب ، ويقال له أيضا شرفات بني عطية وبني عطية

هم عرب هذه البلاد كلها في هذا الوقت ، فانحدرنا منه إلى فسيح
يقال له أبو العظام ، ونزلنا هالك ، وأقننا به إلى الزوال ، وما زال هكذا
شأننا في سير الليل .

مغابر شعيب — مدين :

ثم ارتحلنا من هنالك ، أبي العظام — منحدرين مع الوادي لا تفارقه إلى
أن نزلنا مع طلوع الشمس المكان المسمى مغابر شعيب عليه السلام وهي
أحساء كثيرة في مضيق بين جبلين فيها نخيل وماؤها طيب عذب خفيف
نافع ، وبين هذا الموضع وبين مدين مسيرة نصف يوم ، وهي بلدة على
ساحل البحر ، كثيرة الفواكه والمياه الغزيرة ، وسكانها الآن أعراب أهل
بادية ، وكانت قبل ذلك مدينة فخربت ، ويذكر أن أثر البناء باقٍ بها
إلى الآن ، ومدّين الذي سميت به أحد بني وابل (?) بن جذام ، ويروى
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لوفد جذام : « مَرَحَبًا بَقَوْمِ شَعِيبِ
وَأَصْهَارِ مُوسَى ، وَلَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزُوجَ فِيكُمْ الْمَسِيحُ وَيُولَدَ لَهُ » .

وعلى يسار منزلنا خارج المضيق مغارة يقال : إن فيها كان شعيب عليه
السلام يأوى بغنمه ، ويلبّزها بئر كبيرة معطلة ، وبجانها بركة ، ويقال :
إنَّ هنالك كانت البئر التي سقى منها موسى عليه السلام غنم شعيب عليه السلام .
وفي ذلك الوادي دوم طويل كأنه نخل ، وعريش كثير ، وفيه جداول
الماء الغزير ، وفي هذا المحل يقول الشاعر :

قد وصلنا إلى مغار شعيب

فرأينا المياه كالأنهار

فاستقينا من مائه واشتفينا

وظفرنا بغاية الأوطار

وذكرنا بغاره غار ثور

مذ حوى للصديق والمختار

خير من أنزل الإله عليه
(ثاني اثنين إذ هما في الغار)
فأقنا هنالك إلى الزوال .

عيون القصب :

ثم ارتحلنا^(١) - من مغاير شعيب - وبعيون القصب من آخر الليل نزلنا ،
وهو ماء جارٍ في مضيق بين جبلين في محل كثير القصب والديس ، وفيه
يقول القائل :

قد وصلنا لعيون القصب واستراح القلب بعد النصب
فجلسنا في صفاء حولها وظفرنا عندها بالأرب
وتشوقنا لشادٍ مطرب يتغنّى بعيون القصب

المويلح :

(ثم ارتحلنا - من عيون القصب - مسافرين البحر إلى بندر المويلح ، وفي
الثلاث الأخير من الليل وصلناه ، وهو حصن كبير ، فيه عسكرٌ وأمير ،
يخزن فيه الميرة ، وعلى باب سوق كبيرة ، فيها غالب المحتاج والقواكه الكثيرة ،
وهناك بساكن حنة ، ومقايئ مستحسنة ، وتخل كثير ، وآبار كثيرة
ماؤها عذب غزير ، ومرسىٌ عجيب تنزل بها السفن القادمة من سويس
وجدة ومن القصير ، فأصبحنا هنالك مقيمين ، ومن كل مكروه بحمد
الله آمنين ، فظللنا وبتنا ، ومن الغد أقنا إلى الزوال ، وآن الارتحال) .

دار أم السلطان - شق المجوز :

فارتحلنا - من المويلح - ومررنا بالموضع المسمى بدار أم السلطان ،
وبعضهم يقول : دار السلطان ، والعامّة تقول اليوم : بيار السلطان ،
وتجاوزناه سالكين في المضيق المسمى بشق المجوز حتى أتينا موضعاً بين
البحر وجبال سلمى وكفافة ، ونزلنا) .

(١) أي من بعد الزوال - كما يفهم من الكلام على ظهر الحمار .

وقال في وصف طريق مردته :

(ثم الأزم ثم الكفاة ، ويقال للدار اليوم بيار السلطان ثم المويلح
ويسمى ما بين ينبع والمويلح بالعشارية لأنها عشرة مراحل لإقامة فيها
دون المعتادة ، وهي نصف يوم بلا زيادة ، لأنها في هذه الأعوام لا يندر
فيها) .

قبر الكفافي - الأزم :

(ثم ارتحلنا من هناك مارّين بقبر سيدى مرزوق الكفافي على ساحل
البحر ، معلّم عليه بأعواد ، والناس يشبركون به ، وفي ذلك قبل :
إنّ وادى سلمتى بسمي بهج
حيث فيه قبر الولي المسمّى

(... ثم أورد بيتين بعده وأبياتا أخرى من نظمه ^(١) فلم نزل سائرين
حتى نزلنا نصف الليل بندر الأزم وقد ثرم بعضُ سوره وتلّسم ، واهدّ
ما في داخله من البيوت وهدّمْ ، وهناك ثلاث آبار محكمة البناء ، غزيرة
الماء ، إلاّ أنه بين زعاق وأجاج ، لا ينجّره إلا المضطر المحتاج ، فيفتقر
منه إلى العلاج ، وعن يسار البندر على بُعد من الآبار حنيّ محفور في
الأرض غير مطويّ ليس بمائه بأس ، إلاّ أنه قليل ، ولا يعرفه الكثير
من الناس)

اصطبل عنتر :

ثم ارتحلنا - من الأزم - وبين جبلين تمرّنا ، وفي مضايق وعقاب
صغار سرّنا ، إلى أن أتينا المكان المسمى اصطبل عنتر فنزلنا ، وعند
السحر وصلنا ، وفيه ثلاث آبار محكمة البناء ، عذبة الماء ، غير أنه ضيّن
ليس له إلى الوارد حنين ، وفي شأن هذا المنزل يقول الشاعر :

(١) حفظناهما لتضمنهما معنى لا يزوج شرعا . وما ذكر من التبرك ووضع الأعواد من
الأموات التي لا تجوز للسلم .

إِنَّ جِئْتَ لِلْإِصْطَبْلِ لَا تَغْفُلْ بِهِ عِنْدَ الزُّوْلِ
 وَاحْذَرِ مِنَ الْعَرَبِ الَّتِي بِحَيْالِهِ أَبْدَا تَصُولُ
 وَأَعْلَمُ فِدَيْتُكَ أَنْ (١) صَعِبَ وَلَكِنِّي أَقُولُ
 قَدْ سُمِّيَ الْإِصْطَبْلُ مِنْ عَرَبٍ بِهِ شَبَهَ الْحَبُولُ

الوجه :

ثم ارتحلنا — من الإصطبل — مارئين بوادي الاراك ، متجاوزينه إلى مضائق ذات اشتباك واشتراك ، بين هضاب وجبال ، وفدافد وتلال ، حتى أتينا بندر الوجه عند الفجر ، فزلناه .. وفيه حصن حصين في جرف واد كبير ، يخرج من بين جبلين ، والناس يهابون النزول في أصل الوادي إذا كان وقت السيول ، فيرتفعون إلى أعاليه ، وفي الوادي عدة آبار بعضها حسن ، وبعضها ذو أسن ، والتي فوق البندر أحسن من التي تحته ، وداخل البندر بر تسنى بالقر ، وتصب في ثلاث برك خارج البندر ، لصق حائطه ، والناس يحملون من هذا المحل ماء كثيراً ، لما استقبلهم من المسافات العويصة ذات المياه البشعة والبعد عن العمارة ، وفي هذا البندر — كغيره — عسكر وأمير ، وهو آخر البنادر التي في طريق الدرب ، وليس بعده عمارة إلى ينبع الذي هو أول عمارة ببلاد الحجاز على طريق الحاج ، ويخزن في هذا البندر ما يحتاجون في الإياب من طعام وعلف دواب — وهو آكد موضع للخبز ، لأن الركب في الرجوع قد يصل إلى هذا المحل قبل وصول המתارين للطعام من مصر إليه ، فيغلو القول والطعام غاية تعجز عنه الأثمان في بعض الأوقات .. هذا ما كان عليه الحال قبل هذا الزمان بأعوام ، أما اليوم فنذ سنين صار عمدة الحاج على بندر العقبة ، والمويلح وعلى ينبع ، وأماما بين المويلح وينبع فلا عمدة لهم عليه في طعام ولا علف ، سوى الماء عند الحاجة إليه ، وجله قبيح ، فلا يزلون في هذه المفاز كلها إلا النزول

(١) كذا ولعله (أن ذا) ليستقيم الوزن .

المعتاد ، الذي لا يحصل بدونه المراد ، ويسمونها اليوم العشارية لأنها عشرة مراحل متوالية لا إقامة فيها) .

أكره :

(ثم ارتحلنا — من الوجه — آمنين مما نكره ، فازلنا سائرين حتى نزلنا أكره ، وهي أرض لا ترتاح لها النفوس ، ولا يثك طارقتها عن العبوس ، ماؤها شين زعاق ، مراً المذاق ، يفضي إلى الإطلاق ، ووجع المراق ، وإن كان عقب سبيل حسن ، والمحفور منه في يومه أحسن من القديم . وفي « القاموس » : الأكره — بالضم — لغة في الكثرة ، والخفصة يجتمع فيها الماء فيغرف صافياً . فلعلّ الموضع سمي بذلك لأن فيه حفراً ماء ، ويحتمل أن يكون منقولاً من مضارع كره) .

بين الدركين :

(فما لبثنا أن رحلنا — من أكره — وبين الدركين نزلنا ، وإنما سمي بذلك لأنه بين درك أعراب مصر ، وأعراب الحجاز ، فإن ما بعده من عمل الحجاز وفي درك أعراجه ، ولأما بهذا المكان أصلاً وبه أعراب تشهر على المتأخر نصلاً ، فارتحلنا منه سالمين من كل داء ، ونزلنا على العقبة السوداء ، ويقال إنها أول أرض الحجاز . ولا يبعد ذلك لشواهد حسنة هنالك) .

الخوراء :

(فمازلنا — من العقبة السوداء — محاذين للبحر إلى أن نزلنا الخوراء ... وهي ذات حفائر على ساحل البحر ، يحيط بها ديس كثير كالقلائد للنحر ، وفي مياهها ملوحة ثقل وتكثر ، وحفرها يسهل ولا يعسر ، وأجودها القريب العهد بالحفر ، وكل ما طال منه ولو في القرب فهو أبو دقر ، والإكثار منه يورث إسهالاً مفرطاً ، كماء (أكره) و (الأزلم) و (عجروود) فهو ماء مورود غير مودود...^(١) قال الشاعر :

(١) هنا فصل طويل من المياه من الناحية الطبية .

جئنا إلى الحوراء وهي تحطّة فيها الاراك^(١) نَزَاهَةٌ للرافى
ناديتُ خلا: قف بها متاملاً وانظر لرملٍ مُخَمَّرٍ بالماءِ
واغنم زماناً مُقبلاً بسعوده فيه اجتماعُ الشملِ بالحوراءِ

ومن أمثال الحجاج : لارجال الارجال الحوراء ، ولاجال إلاجال
الدوراء المعنى : أن الرجال الحقيقيين هم الذين يأخذون بالحزم في هذه
الأرض فلا يغترون ، فيقطعونها وهم من نهب أعرابها سالمون ، لأنهم من
أجرم الأعراب على السرقة ، وهذا بالنسبة إلى الحجاز ، فإن المثل فيه
ضرب ، وأما في غيره فما رأينا أجراً على النهب ، ولا أضرَّ على الركب من
عرب بالمغرب في طريق الحاج ، في أرض يقال لها وادي سيدنا خالد .

ويعنون بالدوراء : الدورة — أي الرجعة — أي لا يُعَدُّ من الجمال إلاَّ
الذي صَبَرَ في حال الرجوع من الحجاز إذ هو آخر السفر ، ومحلّ قلة العلف .

العقيق — وادى النبط :

(ثم ارتحلنا من الحوراء عند الزوال ، مارينَ في واديهما الكثير الأراك
والظلال ، حتى إذا ارتفعنا فيه عدلنا يميناً إلى الوادي المسمى على السنة
الحجاج بوادي (العقيق) .

قال في « القاموس » : العَقِيقُ — كَأَمِرٌ — خَرَزٌ ، — إلى أن عطف عليه
قوله — : والوادي ، الجمعُ أعقَّةٌ ، وكلُّ مسيلٍ شقَّةٌ ماء السيل ، وموضع
بالمدينة ، وباليمامة ، وبالطائف ، وبتهامة ، وبنجد ، وستة مواضع آخر — انتهى
المراد منه — فسرنا معه حتى أتينا وادي النبط ، فحلَّ فيه الخطُّ ، وفيه
آبارٌ أربع محكمة البناء بالحجر المنحوت ، وماؤها عذبٌ غزير في الغالب ،
وغزارة مياه أودية الدرب إنما تكون بحسب كثرة المطر وقلته ، فإذا حمل
الوادي ولو مرةً في السنة غَزَرَ الماءُ سائر السنة ، وبالحملة في هذا الوادي

(١) في الأصل (الارك) .

من الأثل ظلّ ظليل ، ومن الماء ما يشي العليل ، ويُطني الغليل ، وفيه يقول
الشاعر :

وفي أكّرة والتي بَعْدَها مَرَّارَةٌ ماء تَزِيدُ القساوةَ
فجئنا إلى نَبْطٍ نشكو الظما فأنعشنا ماؤها والطلاوة
ولما صَبَرنا على غيرها فأعقَبنا صَبْرنا بالحلاوة

وصرف أكّره للضرورة ، سواء كان بالهاء أو بالتاء ، فالأول مانعه
وزن الفعل ، والثاني مانعه العَلَمِيَّةُ والتأنيث ، وصرف غير المصروف سائغ في
الشعر اتفاقاً ، ومنع (نَبْطاً) من الصرف للضرورة ، وذلك أيضاً سائغ في
الشعر ، على خلاف فيه ، ولعله أوله بالبقعة ، فأوجب ذلك منعه ، وفي
« القاموس » : نَبْطُ الماءُ يَنْبُطُ وَيَنْبُطُ نَبْطاً وَنَبْوطاً تَبَسَّعَ ، والبئر استخرج
ماءها . وَنَبْطٌ وادٍ بناحية المدينة قرب الحوراء التي بها معدن البرام . وفيه
أيضاً : والبُرْمَةُ بالضم قَدْرٌ من حجارة ج : بُرْمٌ بالضم وكَصْرَدٍ
وجبال ، وكثير : صانعها أو من يقتلع حجارتها من الجبال) .

الطراير – الخضرا :

(ثم ارتحلنا – من الحوراء – سائرين في الأباطح بين الطراير ،
والطراير جبالٌ سودٌ فوق الجبال ، ثم في وادٍ بين التلال ، حتى نزلنا
الخضرا – بالكثير – ويقال : الخضيرا بالتصغير) .

السبع وعرات – وادي النار :

(ثم ارتحلنا – من الخضرا – في صعودات وحدورات ، تسمى السبع
وعرات وهي قور معترضة في الطريق ، نصعد إلى أعلاها ثم ننحدر إلى
أسفلها فنمشي في طريق مستوية ، ثم تعرض قارة أخرى كذلك إلى سبع ،
والقارة الجبل الصغير ، وجمعه قور – بالضم – فهي وعرات كبيرة ،
أصعبها الأولى والأخيرة . ومن نبط إلى ينبع مفازة كبيرة كثيرة الحر والرمال
والأوعار ، عديمة الماء ، فسميت بذلك وادي النار ، فهو كثير الأخطار ،
لا يخلو في الغالب عن الأكداو ، ثم بعد الوعرات خرجنا إلى الفضاء) .

يذبح :

فلما كادت الشمس تطلع ، وصلنا أرض ينبع ، وهو أول بلاد الحجاز في الذهب ، وآخرها في الإياب ، فأتحنا بيندرة الركاب ، وضربنا بفنائنه القباب. وفي «القاموس» وينبع - كينصر - حصن له عيون ونخيل وزروع بطريق حاج مصر ، وهو عن يمين رَضْوَى لمن كان منحلداً من المدينة إلى البحر . وقد ذكر أهل السير أن النبي صلى الله عليه وسلم وصل إليها في إحدى غزواته وذكر السيد السهودي أن مسجد القرية التي ينزلها الحاج من المساجد التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم ونزل هذه القرية من العمر (؟) في طريق الحاج إذ يوجد فيها جميع المحتاج ، ويخزن فيها في الذهب ، ما يحتاج إليه في الإياب ، ولم أدخل هذه القرية لما صار فيها اليوم من الخطر ، مع جهلي إذ ذاك بأن بها شيئاً من الأثر ، فأقمنا هنالك يومنا وليلتنا حتى قضينا فيها الوطر .

السقائف - الدهنا - بدر :

(وحين صلينا العصر أخذنا في السفر -- من ينبع - ولما مضى وهن من الليل أتحنا للراحة في السقائف الفسيحة الساحة ، فلما تهور الليل أثرتا الرحال ، ومررنا بالدهنا ذات الرمال ، والآكام والتلال فلما بين الصباح لذي عينين أثينا الأبرقين فصلينا الصباح ومررنا بينهما ، وهما جبلان شامخان ، أحدهما عن اليمين من صحور سود وجملامد ، والآخر عن اليسار من رمل رطب متراكم متزايد ، راق في الجو صاعد ، وما بينهما قريب كأوسط السكك غير متباعد ، فتجاوزناهما حتى أثينا بدراً فزلنا ، بعد طلوع الشمس وصلنا ، وهنالك قرية حسنة ، ذات نخيل مستحسنة ، وماؤها عذب زلال نعيم ، وفيها بركة كبيرة ، تكفي الأركاب كلها ولو جازوا الجحيم الغفير ، ومادتها من عين هنالك ماؤها غزير ، وكان نزولنا في فسيح خارج البلد ، بحيث صار الجبل النصيرين (؟) بمراى منا ، وقبور الشهداء قريبة غير بعيدة عنا ، وعلى ذلك البلد حلاوة ، وسر وطلاوة ، وانشرحنا فيها الصدور ، وحلها والحمد لله أي نور (؟) وكيف لا وهي

البقعة التي نصر الله فيها الدين ، ونخلد المعتدين ، وأعزَّ الإسلام ، وأهان عبدة الأصنام — ثم أطال الكلام وأورد أشعاراً له وقال : وهذا أول موضع تمتيت أن يكون فيه معي جميع الأحباب ، عسى أن نفوز بالرضا من رب الأرباب ، فقلتُ في ذلك :

نزانا بيلكر والسرور مُصاحبٌ وأذكرني أهلي وناسي وصاحبي
تمتيت أن لو شاركوني بمنزل به نصر الرحمن خير الموابك

— ثم أورد أشعاراً^(١) وذكر أنه نظم قصيدة ثمانينية سنة ١١٤٢ أورد بعض أبياتها وقال — فأقنا يومنا في سرور وفرح ، وحبور لا يبقى معه ترح ، وبعد صلاة العصر جلست مع الإخوان فقرأنا بعض القصائد في المديح النبوي ، منها المذكورة في « رحلة البلوي » التي مطلعها :

الله أكبر جبَّذا الإكبار للاح الهدى ، وبدت لنا أنوار

... وكان من ذلك آخر « الحمزية » للبوصيري (ض) المشتمل على ذكر مراحل الحجاز ، ... ثم بعدها شربنا طيبخ السكر ، وهو كما يذكر عادة الحاج في ذلك المحضر ، وبتنا بلبلة بالشموع والمصابيح كثيرة الأنوار ، هائلة بالمخارق والمدافع الكبار ، تسمى ليلة الوقدة ، لها بين الخاص والعام أيُّ اشتهار ، فإذا لحقهم^(٢) هنالك الركب الشامي كان ذلك غاية الأمور الحسنة ، والعجائب المستحسنة ، ولم يدركهم في هذه السنة ، وانقضى ذلك كأنه سنة .

قاع البزوا — سبيل محسن :

ثم ارتحلنا من الغد — من بئر — مارئين بالبزوا . . . فركنا السبيل الأول وراءنا ، وأتيننا السبيل الثاني فكان ماءنا ، وهو المشهور بسبيل محسن والعامه تسمى هذه الدار قاع البزوا ، وربما أفردوا البزوا عن القاع ، والقاع البزوا ،

(١) لم أر ما يدعو لإيرادها لما فيها من المبالغة .

(٢) لعل في الكلام نقمًا . ويلاحظ أن ما ذكر من إلقاء الشموع وشرب طيبخ السكر ونحو ذلك من الأمور التي حدثت (وكل محقة بدعة) .

ووجهه أن هذه الأرض في هذه المرحلة كلها تسمى بزوا ، لما فيها من الضيق والإحديداب وعدم الاستواء ، وهذا الطرف منها لمّا اطمأنّ واتسع وسهل وما ارتفع سمي بالقاع ، لأجل الاتساع ، وأضيف إلى البزوى (؟) لأنه بعضها أو مجاورها بلا نزاع ، وفي « القاموس » : والقاع أرض سهلة مطمئنة ، قد انفرجت عنها الجبال والآكام ، وغالب الأرض من هذا المحل إلى قديد كذلك ، وأفسحه وأسهله رابع ، فإنك لا تكاد ترى فيه جبلا .

رابع :

(ثم ارتحلنا - من قاع البزوا - فسرنا إلى السحر ونزلنا رابع ... وميقات أهل مصر والشام كما كان قبل هذا الزمن بكثير من الأعوام هو الجحفة - بجيم مضمومة فحاء مهملة ساكنة فهاء تأنيث - قرية جامعة على اثنين وثمانين ميلا من مكة ، وكانت تسمى مهتجة ، فنزلها بنو عييل ، وهم إخوة عاد ، وكان أخرجهم العماليق من يثرب ، فجاءهم السيل الجحاف فاجتحفهم فسميت الجحفة ، ولما هاجر الصحابة إلى المدينة ، وجدوها كثيرة الحمى فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « اللهم انقل حمّاها إلى الجحفة » فكان إذا مرّ الطائر بها سقط ، وما زالت من زمانه صلى الله عليه وسلم ميقاتا لأهل الشام ومصر إلى أن تعذر ذلك ولست أدري الآن ما سبب تعذره ، فصار الناس يحرمون اليوم من رابع ، والفقهاء منهم يحافظ على استحضر النية ومتابعة التلبية حتى يقابل الجحفة .

ورابع واد متسع بين الحرمين الشريفين ، قرب البحر ، يأتي إليه السيل من بعيد وتزرع فيه مغل (؟) كثيرة ودخن وذرة ، وهو من أخصب أودية الحجاز ، ولذلك سمي رابعا من قولهم : ربيع القوم في النعم ، إذا أقاموا ، أو من قولهم : عيش رابع ، أي ناعم ، أو من قولهم : ربيع رابع ، أي غصب ، وفيه قرية فيها نخيل وآبار ، وهناك بركة كبيرة مبنية هناك مملوءة يستعين الناس بها على السقي وغيره من مقتضياتهم ، وقد أغنانا الله عن جميع ذلك ، فجداول ماء وجدنا هنالك تجرى من بقايا سيل قريب

الهمد ، فاستعملنا خصال الفطرة واغتسلنا ولبسنا الإزار والرداء والنعلين ،
وهناك تباع النعال للإحرام .

فلما زالت الشمس صلبنا الظهر . . . ثم ركبت ناقتي فلما انبعثت
بي أهملت بالحج مفردا . . . وجعلت أجدد التلبية . . . وقد قال الشاعر :

تَجَرَّدَت لما أن وصلت لرابغ ولبَّيتُ للمولى ، كما حصَّل النداء
وقلتُ : إلهي عندك الفوز بالغنى وإني فقير قد أتيتُ 'مَجْرَدًا

وقلت في المعنى :

وفي (رابغ) ركب الحجيج تجردا لَيْسَ أَل مولاہ الأمان ، من للردي
خضوعاً أذِلّاً ، سائلين لإلههم بقبض عليهم أبحرَّ الجودِ والسَّدى

قديد — هرشا (١)

فسرنا — من رابغ — حتى صلبنا العشاء ، في بطن هرشاً ، ونمادينا في
السير طوراً وَحِيّاً (٢) وطوراً رُوَيْدًا ، حتى نزلنا الفجر قُديداً ، وهي
قرية غالب أبنيتها حيشان ، وفيها فواكه ، ولا ماء بها إلا ما يستقى من بعيد ،
وأرضها ذات مزارع كثيرة ومقايي ، إلا أن زراعتها إنما هي إذا جاء السيل ،
وأكثر المقايي في بلاد الحجاز إنما تزرع على ماء المطر ، في الأماكن التي
يستقمع بها الماء .

عقبة السكر — خليص :

(ثم ارتحلنا — من قديد — فررنا في الطريق بعقبة السويق ، وتسمى
اليوم عقبة السكر (٣) ، ووجه كل من التشبيهين ظاهر لا ينكر ، وهي رمال
تتعب فيها الجمال وتعي الرجال ، شاقة في جبل صغير من سود الحلامد
والصخور ، ويؤزل منها إلى أرض مخصبة صلبة حرشا . . . فبلغنا قرب

(١) المعروف أن هرشا لا تقع بين رابغ وبين قديد ، فهي طرف من الحرة يقع بين رابغ
وبين الأيواء (الحرية الآن) ومثل هذا الخطأ ورد في رحلات كثير من المسافرين .

(٢) كما جاسم قنين خطا .

الغروب إلى خليص ، فبركت الإبل ونزل الناس ، وهناك حصن يحصل به
الإناس ، وأبنية وقهاوي ، ودلاع يصلح للتداوي ، ويسمونه المحجب ،
وهو أحل دلاع يوجد وأطيب ، ولا ينقطع الدلاع من الحجاز صيفاً
ولا شتاء إلا سنة الجذب والعام الأشهب ، وماء هذه الأرض عذب زلال
غزير سلسال ، يأتي من عين هناك ، في قنوات محكمة تفجر في مواضع
للسقي والوضوء إلى أن يخرج الماء إلى بركة عظيمة تحت القرية مديرة
الأقطار (٩) بعيدة القرار ، ويخرج منها إلى مزارع وأوطار .

مدرج عثمان — عسفان :

(وتناول الناس العشاء . . وللسير على النزول آثروا ، حتى أنوا على ثنية
سهلة مسواة مبنية ، ولعلها مدرج عثمان ، فلما تجاوزناها نزلنا صباحاً قرية
عسفان ، وفيها سوق وآبار متعددة ، من جلتها البئر التي يذكر أن النبي
صلى الله عليه وسلم تفل فيها ، وفي « القاموس » . . وعسفان كعثمان
موضع على مرحلتين من مكة ، والحجاج تارة يجعلونه في مرحلتين ، وتارة
في مرحلة ، ونحن جعلناه في مرحلة) .

وادي الشريف (وادي فاطمة) :

(ثم ارتحلنا من عسفان ، ثم مررنا بوادي العميان ، سمي بذلك لأن الفقراء
يتعرضون فيه للركبان ، بقصد الصدقة والإحسان ثم جئنا الوادي معولين
على الجدة في السير والتماذي ، وهو يسمى وادي الشريف ، ويعرف الآن
بوادي فاطمة ، وقديماً بطن ممر وممر الظهران ، وهو وادي كبير على مرحلة
من مكة ، فيه قرى متعددة ، وعيون متدفقة ، وبساتين موفقة ، ومزارع
بهيجة ، وأزاهر أريجة ، وفيه يقول الشاعر :

يا حبذا وادٍ فسيح الفضأ	أريجه قد عطر النسادي
كم فيه من فاعية قد زكت	وفيه زهر الفل والكادي
وكم ثمار وزروع به	والماء فيه ينعش الصادي
قلت لخلي حين شاهده	ولاح لي نور السنا البادي
هل دار ليلى قد تدانت لنا ؟	فقال لي : إنك بالسوادي

سرف - التنعيم - طوى :

(وسرنا عامة ليلنا .. وآخر السحر مررنا بِسَرَفٍ - على وزن كَتَفَ - موضع به قبر أم المؤمنين ميمونة توفيت بهذا الوادي سنة ٥١ وقيل ٦٣ وقيل ٦٦ وصلى عليها ابن عباس ودخل قبرها هو ويزيد بن الأصم وعبدالله بن شداد وهم بنو اخواتها ، وعبدالله الخولاني ، وكان يتيماً ، في حجرها ، وذلك بالموضع الذي ابنتى بها النبي صلى الله عليه وسلم وكان تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بمكة وهو مُحْرِمٌ ، في عمرة القضيّة ، وبني بها بِسرف في رجوعه ، سكان من غريب الاتفاق أن توفيت (رضي الله عنها) بهذا الموضع ودفنت فيه ، وعلى قبرها بناء ومسجد قد تهدمت جوانبه . . .

وعند الإسفار مررنا بالتنعيم ، حيث الإحرام بالعمرة في هذا الزمان لا في القديم .

ثم مررنا جنان مكة^(١) (?) وبه آبار وأشجار ، وهو المسمى بالزاهر ، وهل هو ذو طوى ، أو موضع أمام هذا ، خلاف ظاهر وفي « القاموس » : وذو طُوى مثلث الطاء وينون - موضع قرب مكة ، والطوى - كغنى - بئر بها . فتجاوزناه إلى أسفل الثنية العليا التي يدخل منها الحاج ، فنزلت عن ناقتي ، وأفرغت الماء في الصطل من قُرْبِي ، وتنحّيت عن يمين الطريق ، واستترت عن أعين الفريق ، فاستندبرت الجبل واستقبلت السكة واغتسلت غسلاً خفيفاً كما هو سنة المحرم لدخول مكة . وهذا الموضع هو ذو طوى أو قريب منه جداً عند من قال : إن أعلى هذا الوادي هو ذو طوى ، وأسفله الشبيكة) .

ثنية كداء :

(ثم صعدت الثنية على رجلى . وهذه هي الثنية العليا التي دخل منها رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تسمى كدّاء بوزن سماء ، وقد بالغ الولاة في حفر هذه الثنية وتنقيتها من الأحجار حتى صارت كأحد

(١) كلمة (جنان) غير واضحة .

لأزقة ، ومع فلك فيها صعوبة ، ومما يشرف على مقبرة مكة المسماة بالحجون - بفتح الحاء المهملة وضم الجيم وآخره نون - وهي إحدى المقابر التي تضيء لأهل السماء كما تضيء الكواكب لأهل الأرض ، كما ورد في الأحاديث (

في مكة المكرمة :

ثم ذكر وصوله إلى مكة وقيامه بأداء مناسك العمرة مما لا داعي للإبراده .

منزل الزبائدي في مكة :

(لقيت الرفقة قد عينوا داراً للكرء فحططنا بها الأثقال ، وكانت متصلة بحومة الشاميين ^(١) الموالية لباب زيادة أحد أبواب الحرم) .

وتحدث عن الآثار بمكة المكرمة حديثاً لا يتجاوز ما ذكره من سبقه من الرحالين كالعياشي ، ومما ذكر منها : -
١- دار أبي بكر ^(٢) :

خرجت يوماً مع بعض الإخوان بقصد المشاهد فدخلت دار أبي بكر الصديق رضي الله عنه فصليت في محرابها .

٢- الحجر - ثم خرجت فررت بأثر في حجر في جدار يذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتمد عليه بمرفقه فأثر فيه فتمسحت به لأجل هذه النسبة ، وإن كنت لم أقف له في الأخبار على أثر .

٣- ثم مررت بحجر آخر مبني في جدار ، مكتوب عليه أنه كان يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وهذا شيء لم يختص به هذا الحجر فمن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم : « لما استقبلني جبريل (عليه السلام) بالرسالة ، جعلتُ لأمرُ بحجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله » إلى أن قال : وفي حديث جابر بن سمرة

(١) هي ما عرفت فيما يسمه بمحلة (الشامية) وقد أدخل أكثرها في الحرم للشرية .

(٢) جل هذه الآثار إذ لم يكن كلها لا تقوم على أساس تاريخي صحيح .

عنه عليه الصلاة والسلام : « إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم على »
 خفيه تختصيص للحجر مخصوص ، غير أنه لم يرد تعيينه في خبر منصوص . .
 ووقفت على كلام الرازي في تفسيره قال فيه : وفي « صحيح مسلم » : « إني
 لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أُبعث » فينبغي النظر في تعيين
 الحجر ، فنقول : لم يرد بتعيينه خبر ، لكن لا يبعد أن يكون النبي صلى الله عليه
 وسلم عينه لبعض الناس في بعض قدماته لمكة ، ولم ينقل ذلك لأنه كان
 في آخر أمره صلى الله عليه وسلم بعد ما صار هذا الأمر عندهم لا غرابة
 فيه وزهدوا في نقل مثله اشتغالا في نقل ما ينفعهم وينفع الأمة من فروع
 الشريعة . . . ثم قيّض الله للناس من عرفهم بهذا الحجر ممن كانت له به
 معرفة حين رأى الناس يسألون عن هذه الآثار ، فكان له من ذلك الوقت
 اشتهار (١) .

٤ - (ثم جئنا دار خديجة رضي الله عنها وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم
 يسكن معها فيها ، وفيها مولد فاطمة رضي الله عنها وفيها البيت الذي كان
 يجلس فيه النبي صلى الله عليه وسلم مع الصحابة) .

٥ - شعب بني هاشم :

(ثم أتينا شعب بني هاشم الذي فيه دورهم ، وفيه حوصروا لما
 عادت قريش النبي صلى الله عليه وسلم فأتينا دار عبدالله بن عبدالمطلب ،
 وصارت اليوم مزاراً كأحد المساجد ، وفيها موضع عليه قبة صغيرة مكلفة
 بالكسّي الرفيعة ، يقال إنها مولد النبي صلى الله عليه وسلم ووسطه موضع
 منخفض شيئاً ما ، كأنه صنع كذلك ، بياناً للمحل نفسه ، والناس يقصدون
 وسط الموضع للتبرك ، فيكثرون من لمسه ومسحه ، حتى أثرت فيه
 الأيدي ، وهناك بإزاء هذه القبة منبر كبير ينصب يوم مولده صلى الله
 عليه وسلم وتذكر فيه معجزاته وما ظهر في زمن ولادته من العجائب وغير
 ذلك مما يتعلق بمدحه والثناء عليه ، وعملهم ذلك يكون صبيحة اليوم الثاني

(١) هذا تعليل غريب ، فلو كان في ذلك فضل ، وكان من الأمور الدينية لكان
 لما يقفون الأولون أسبق الناس وأحرصهم على معرفته .

عشر من ربيع الأول ، وهو مما يؤيد قول ابن إسحاق وغيره أنه صلى الله عليه وسلم ولد ثاني عشر من ربيع الأول واختار أكثر أهل الحديث أنه ولد لثمان خلون من ربيع الأول . . .

٦ - (وخرجت إلى دار مولانا علي ابن أبي طالب فزرتها) .

٧ - الحجون :

ثم ذهبت إلى الحجون وهو اسم لجبل من جبال مكة ، بالمعلاة في سفحه مقبرتها ، ويطلق الحجون اليوم على المقبرة - بالمعلاة أيضاً - فزرتنا أهلها عموماً إذ لا يعرف منهم على التعيين إلا النادر الذي لا حكم له ، ولم أذكر الآن من المعينين إلا أم المؤمنين ، خديجة في قبة بهيجة ، معها ولدها القاسم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعض إخوته ، يزورها الناس من باب القبة ولا يدخل القبة إلا من كان هاشمياً هكذا عادتهم ، ولست أدرى ما سبب ذلك ، فدخلنا القبة لحصول هذه النسبة - والله الحمد - وأدخلت معي بعض الهاشميين المحبين ، قائلًا في نفسي : « سلمانُ منّا أهل البيت »^(١) .

٨ - المدعى :

(ثم أتينا المدعى وهو موضع يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقف فيه ويدعو لأهل الحجون فوقفنا هنالك ودعونا لهم) .

٩ - رسم المسجد الحرام :

قد رسم أخي وشقيقي الشريف العالم سيدي أحمد بن علي في كناشة حين كان مجاوراً هنالك سنة مثلاً للبيت صورته وهي هذه^(٢) .

غير أنني لم أحسن وضع ذلك كما أحسنه ، ولم أُنقن تسطيره كما أُنقنه ، فالشكله إلى التريب ، وملتُ به إلى التطويل وما تبيّنت لذلك حتى فرغت من رسمه ، فمن شاء نقلها فليجعلها متسعة إلى نحو أحد الكتاب التي فوقها لتميل بذلك إلى التريب ، والأمر في هذا سهل ، فإن المراد منه إعانة من لم يره على تكيفه بذهنه) .

صفة البيت العتيق : ثم نقل صفة الكعبة المشرفة عن الرحلة العياشية .

(١) أزيلت وقع الحمد القباب ، كما الت الخرافات والبدع ، وطهر الله منها هذه البلدة

(٢) الصورة في الصفحة بعد هذه .



من اجتمع بهم في مكة من العلماء :

- ١ - الفقيه الزاهد أبو زيد عبدالرحمن الشنقيطي السوسي المستوطن بمكة .
- ٢ - الفقيه بلقاسم بن أحمد المغربي بن الجزائري . . . المجاور .
- ٣ - نظير بن العريف بن محمد بن علي بن العريف العباسي السوداني .
- ٤ - أبو العباس أحمد بن . . المراكشي المغربي العيساوي الطريقة .
- ٥ - محمد بن الطيب الصميلي نزيب الحرمين - اجتمع به في منى .
- ٦ - عبدالله مُدْهَر الباعلوي الحضرمي ثم المسكي . « « « «

منى ومشاعر الحج المقدسة :

وذكر أداءه مناسك الحج ، ووصف مشاعره المقدسة ، فما قال :

في منى :

فزلنا في منى وكان نزولنا عند مسجد الخيف فصلينا المغرب وتعشنا
وارتحلنا إلى عرفات بارتحال الركاب كلها ، إلا الشريف والجزيري -
فيما قالوا والله أعلم - وبهذا جرت العادة منذ سنين ، فأتينا عرفات وصلينا
العشاء هنالك) .

وإلى مخنر :

ومررنا مرملين ببطن مُحَسَّر ، وأوله من القرن المشرف من الجبل
الذي على يسار الذهاب إلى منى ، ثم يخرج منه سائراً إلى منى ، سالكاً
للطريق الوسطى التي تخرج إلى العقبة ، ولبس من المزدلفة زلاً من منى ،
وهو مسيل ماء بينهما .

إحدى ليالى التشريق بمنى :

ووصف إحدى ليالى التشريق في منى ، فقال ما نصه : فبتنا وكانت
ليلة من أعاجيب الدنيا أولها من صنع الخالق على يد الخلاق من كثرة المدافع
والحارق ، التي تعلو الشوامخ الشواهِق ، وكثرة المصابيح البديعة الصنع ،
المختلفة الوضع ، من أشكال الأشجار ، والسباع والأطيار ، وأنواع الشبايك

والخواتم والدوائر والأوراق ، وقد شغل ذلك أذهان الركاب والرفاق ، فلما مضى من الليل نحو الثلث على تلك الحال ، انقلب الأمر واستحال ، إذ حضر رعدٌ هائل وبرق على الأبصار حائل ، كاد الناس يصعقون من هوله ، فبقي ذلك مدة يعجز عن وصفها الواصف ، وأتى الله بريح عاصف ، أكفأت الكثير من البيوت والمنازل فيينا الناس في شغل شاغل ، وتعب هائل ، أتت السماء بمطر وابل ، شديد الوقع متصل سائل ، فبنفس ما انقطع ، بدا الفجر وسطح ، وانكشف ما بالجو وانفتح ، وذهب ما حلّ بالنامى وارتفع ، وجلسنا حتى أضحى النهار ، فتحسنا الأخبار فإذا هو قد وقع في الخلق موت كثير من الآدميين والجمال والخيول والبغال والحمير ، وضاع للناس ما ضاع ، وفسد ما فسد ، . . وشرع الناس في الارتحال وارتحلنا لارتحال الركاب كلها متعجلة .

التحصيب (النزول في المحصب) :

وارتحلنا لارتحال الركاب كلها متعجلة فلما كنا عند مسجد البيعة صلينا الظهر وانصرفنا إلى مكة ، ولم يتبأ لنا التحصيب ، وهو النوم بالمحصب - وهو الشعب الذي مخرجه إلى الأبطح - ساعة من الليل ، وقيل : المحصب موضع رمي الجمار بمنى ، وليلة الحصبة - بالفتح - التي بعد أيام التشريق .

وأدى نعمان : وقال عن هذا الوادى الواقع بقرب عرفات :

قال الجوهري في « صحاحه » : نعمان وادٍ في طريق الطائف يخرج إلى عرفات ثم أنشد :

تَصَوَّعَ مَسْكًا بطن نعمان أن مشتُ به زينب في نسوةٍ عِطْرَاتِ

قال : والنون من نعمان مفتوحة . قلت : وهو بين جبلين يقال لهما جبلا نعمان ، أحدهما عرفات والآخر غيره ، أضيفا إليه لكونه بينهما وليس يقال لواحد منهما نعمان فيما علمنا من أصول كلام العرب ، وإنما يقال : جبل نعمان وجبلا نعمان أو جبال نعمان بالإضافة في جميع

ذلك . ومن كلام العرب في هذا المعنى قول امرأة نجيدة تزوجها رجل نهامي وخلصها إلى تهامة ، فأصابها حرُّها . فقالت له : ما فعلت ريحٌ كانت تأتينا بنجد - تعني الصبا - فقال : حال بيننا وبينها هذان الجبلان فقالت :

أَيَا جَبَلَتَي نَعْمَانِ بِاللَّهِ خَلَّيَا نَسِيمَ الصَّبَا يَخْلُصُ إِلَى نَسِيمِهَا
أَجْدَ بَرْدَهَا أَوْ تَشْفِي مِنِّي حَرَارَةَ عَلَى كَبِيدٍ لَمْ يَبْقَ إِلَّا صَمِيمُهَا
فَإِنَّ الصَّبَا رِيحٌ مَنِي تَنْفَسْتُ عَلَى كَبِيدٍ مَحْزُونٍ تَسَلَّتْ (١) مَمُومِهَا

ويسمى أيضاً نعمان الأراك لكثرة الأراك فيه (٢) ولذلك قال شاعرهم

تخبرت من نعمان عود أراكه لهند ولكن من يبلغُهُ هندا

وفي ذلك يقول أبو بكر بن الصائغ المعروف بابن باجة التعجبي النسب السرقسطي الدار يتغزل :

أُسْكَا نَعْمَانِ الْأَرَاكَ تَبَيَّنُوا بِأَنْكُمُ فِي رَبْعِ قَلْبِي سُكَا ن
وَدُومُوا عَلَى حَفْظِ الْوِدَادِ فَطَالَمَا بُلِينَا بِأَقْوَامٍ إِذَا شَحَطُوا خَانُوا
سَلُوا النَّجْمَ عَنِّي إِذْ تَنَاءَتْ دِيَارُهُمْ هَلْ اكْتَحَلْتُ لِي فِيهِ بِالنُّومِ أَجْفَانُ ؟
وَهَلْ جَرَّدَتْ أَسْيَافُ بَرْقٍ سَمَائِكُمْ فَكَانَ لَهَا إِلَّا جَفُونِي أَجْفَانُ ؟ ؟

كذا وجدت (النجم) وصوابه عندي (الليل) ، كما لا يخفى ، ولعله من تصحيف الكتاب ، وللعرب أماكن تسمى نعمان أشار لها في « القاموس » . . .

المزدلفة :

المزدلفة . . . وتسمى جمعاً قال الله تعالى (فَوَسَّطُنَا بِهِ جَمْعًا) وفي « القاموس » عطفاً على معاني الجمع - : وبلا لام المزدلفة . ويوم جمع يوم عرفة ، وأيام جمع أيام منى ، والمشعر الحرام وتكسر ميمه - بالمزدلفة - وعليه بناء اليوم ، ووهم من ظنه جُبَيْلًا ، وفي « الرحلة العياشية » نقله عن « رحلة ابن رشيد » ما نصه : ومنها : قال أبو عمر بن الصلاح : ويرقى

(١) لعل الصواب (تجلت) .

(٢) كان هذا قديماً أما الآن فقد مرت به في ٢٨ رمضان ١٣٩٧ فلم أر فيه سوى

شجر الحرمل .

على قُرح وهو جليل صغير إن أمكنه ، وإلا وقف عنده ونحته قال : وقد استبدل الناس بالوقوف على الموضع الذي ذكرناه الوقوف على بناء مستحدث في وسط المزدلفة ولا تتأني بذلك هذه السنة والله المستعان ولم يتعقبه ابن رشيد ولا أبو سالم ، وإنما لغفلة من أبي سالم ، إذ « القاموس » - فيما أظن - من أهم كتبه .

من مكة إلى المدينة :

وذكر ارتحاله من مكة المكرمة إلى المدينة - ووصف المراحل وصفا موجزا ، لم أر فيه أكثر مما ذكر من تقدمه من الرحالين . ومما قال :

قبر عبد الرحيم البرعي :

(ثم ارتحلنا من بدر مارين بالصفراء بعد العشاء فزرنا سيدي عبدالرحيم البرعي من غير أن نقف على قبره لأن السير والليل مانعان من ذلك وهو . . صاحب الديوان المشهور في مديح المصطفى صلى الله عليه وسلم ولم أقف على تاريخ وفاته ، وقد ذكر الشيخ أبوسالم في رحلته أنه اجتمع ببعض تلامذته) .

الجديدة :

(واستمر بنا السير -- من بدر - حتى طلع النهار فنزلنا الجديدة ، وهي قرية في مضيق بين جبلين ، فيها مسجد جامع وخزن الناس فيها أموالهم وأحاطهم وما يفضل من زادٍ وعلف إلى أن يرجعوا من المدينة) .

مضمن الغزالة :

(ثم ارتحلنا - من الجديدة - ومررنا بموضع يقال له مضمن الغزالة ، وعنده مسجد يقال له مسجد الغزالة ، وهو من المساجد التي صلى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

شرف الروحاء (قبور الشهداء) :

(واستمر بنا المسير - من الجديدة - إلى أن نزلنا شرف الروحاء ، المعروف الآن بقبور الشهداء ، وفي « القاموس » : والروحاء موضع بين الحرمين على ٣٠ أو ٤٠ ميلا من المدينة . وقال : شرف الروحاء من المدينة

على ٣٦ ميلا كما في مسلم ، أو ٣٤ ، ولا مخالفة بين النصين كما لا يخفى ،
إذا الشرف مكان مخصوص من الروحاء .

المعرس :

(ثم ارتحلنا - من شرف الروحاء - وشرنا إلى آخر الليل ، وأنحنا
للراحة والجذر^(١) حتى بدا الفجر وظهر ، فصلينا وأثرنا ولعل المكان الذي
منه انجبرنا هو المعرّس الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتعريس فيه ،
وهي البطحة المباركة المشتملة على ذي الخليفة الذي هو ميقات أهل
المدينة ، وهو ماء لبني جشم^(٢) على ستة أميال من المدينة . فسرنا نحت
الركاب حتى طلع النهار ونحن صاعدون في إحدى الحرار وهي الحرة الغربية ،
فأشرفنا منها على مناظر بهية) . . .

في المدينة الكريمة :

تحدث الرحالة الزبادي عن آثار المدينة حديثا اعتمد في سجله على ما جاء
في « رحلة العياشي » التي نشرت « العرب » ملخصها وملخص « الرحلة
الناصرية » التي تعتبر متممة لها . ولهذا تركنا كثيرا مما تحدث به عن تلك الآثار .

المسجد النبوي - قال عنه :

طول المسجد النبوي ١٩٠ خطوة ، وسعته ١٢٦ خطوة ، وعدد
سواريه ١٩٠ وعلى رأس محرابه حجر مربع أصفر قدر شبر في شبر ،
صافي البريق ، يقال : إنه كان مرآة كسرى . وفي أعلى داخله مسبار فيه
شبه حُجّ صغير ، لا يعرف من أي شيء هو ، ويزعمون أنه كأس كسرى .
والمؤذن الراتب في المسجد أحد أولاد بلال ، كذا وجدت بخط بعضهم
منقولاً عن ابن جبير .

الحجرة الشرفة - ومما تحدث به عنها :

(في كتاب « الكراسة » للشيخ محمد بن عبد الرحمن الوزروالي
المعروف ببلاده بابن الفقير رحمه الله ما نصّه : الحجرة المنيفة الحاوية للقبور
الشريفة ليست كما ذكرها عروة ولا غيره بعده ، لأنها احترقت ثم

(١) كذا ولعله (الجذر) . (٢) هذا غير صحيح فتنازل بنو جشم بميدة من هذا .

أُنشِئَتْ ، ثم احترقت ثم أُنشِئَتْ ثم جددت في عام واحد وثمانمائة ، وقد حمل الحريق عنها سيدي محمد الخطاب مع رجلين آخرين ، اختاره أهل دولة وقهم ، وقد أخبرني بهذا ولده سيدي محمد بركات مفتي المسلمين ببلد الله الأمين الآن ، وأخبره والده بأن القبور الشريفة ليس عليها علامة سوى ارتفاع الأرض ، ثم بنيت عليها قبة صغيرة ، كقباب صلحائنا في هذا الزمان ، ليست بمثلثة ولا مربعة ولا مخمسة ، مطموسة البنيان من أسفل ومن فوق ، ولم يبق بها عدا طاقة بأعلامها ، يخرج منها النور كهذه^(١) ثم على القبة المذكورة قبة أخرى أعظم منها لكنها إلى التخميس أقرب وهي ثلاث طبقات ، الطبقة الأولى تلي الأساس ، والأساس منشأً بحجارة سود ، ملبس بالرخام الأبيض ، غير الرخامة التي فيها المسار الفضّي ، فإنها حمراء جداً ، والطبقة الثانية من الآجر ، والطبقة الثالثة من العود ، وفيها تربط الكسوة ، وليست بمطموسة كما هي الأولى ، ثم على القبتين قبة شامخة تعلو الصومعة أو تقرب منها ، وهي مربعة على أركان أربعة ، وسوارٍ عَشْرٍ ، غير الروضة الصغيرة ، أرضها مفروشة بالرخام ، غير الموضع الذي يذكر أنه يدفن فيه عيسى عليه السلام في في السّهوة ، وهو معروف عند الحدّام ، ومن شاهد ذلك ، ولها أربعة أبواب : باب التوبة ، وهو في قبلة المسجد في شباك النحاس ، تفتح عند نزول الشدائد لينسّ إلاّ . وباب الوقود تفتح ليلة لوقود المصابيح ، وباب فاطمة كذلك يدخل منها بالشمع ، وبالمبخرات كل ليلة ، وفي ليلة الجمعة لكشف الصندوق المواجه لرأسه عليه الصلاة والسلام ، ورشّه بماء الورد ، وغيره من الطيب ، وفي صبيحتها لكنس الحجرة . وباب التهجد : تارة بتارة ، وفي يوم الجمعة تتحلّل الأبواب كلها بحلّل الحرير .

من عادات أهل المدينة — ومما ذكر من عاداتهم :

(وفي ليلة الإثنين [الثامن من المحرم] يتنا في المسجد وبات الناس به حلقاً حلقاً بمدحون النبي صلى الله عليه وسلم ويصلون عليه كل على حسب عرف بلادهم ، ويسمون ذلك مولد النبي صلى الله عليه وسلم ويسمون

(١) هنا صورة تجدها آخر الكلام .

تلك الليلة ليلة الوداع ، وكانت حلقة المغاربة من أصحابنا هي التي تلى رأس
الحجرة النبوية ، وتلك عاداتهم ، كما أن عادة رؤساء مصر أن يحلقوا بالصحن ،
ويكثروا هنالك من إيقاد الشموع والندّ والتجمير بالعود ورش ماء الورد
والزهر وغير ذلك من أنواع الطيب ، وغيرهم من الطوائف يحلقون
مع حيطان المسجد وزواياه ، ولم يفهم لطائفة منهم كلاماً ، وأما أصحابنا
فإنهم يقرأون البردة والهمزية ونحوهما من القصائد المديحية النبوية بنغم
عذبة تسمع مبانيها ، وتفهم معانيها ، ومع ذلك لم أجلس لهم ولا لغيرهم
لما في ذلك من رفع الصوت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فخشيت أن يكون ذلك سوء أدب فجلست بين الحجرة والحداد الشمالى .

من علماء المدينة الذين اجتمع بهم :

الشيخ محمد حياة السندي - وذكر أنه أجازته في الكتب الستة وغيرها
من مروياته وفي كتب شيخه أبي الحسن السندى . . وشيخه أبو الحسن
أخذ على الشيخ عبد الله بن سالم البصري المكي .

من المدينة إلى القاهرة : ثم وصف طريق عودته من الحج إلى بلاده
ماراً بالقاهرة ، ومما اقتطفته من ذلك الوصف :

الدهناء - قال :

(ثم ارتحلنا من الحديدية تاركين طريق الصفراء سالكين طريق الدهناء ^(١) ،
فسرنا يمينا . . حتى كانت بالدهناء الدار ، ثم نزلنا بعدها ينبع) .

الكفافة (بيار السلطان) :

(ثم الأزم ثم الكفافة ، ويقال للدار اليوم بيار السلطان) .

المويلح :

(ولما وصلنا المويلح وجدنا القوافل جاءت من مصر بالمبرة للحجاج ،
ومعهم هدايا للحجاج الذين لهم معارف بمصر وأقارب وأهل مشتملة على
أنواع الحلوات . . . وقد بتنا هنالك ليلتين في أرغد عيش وأنعم بال) .

(١) الدهناء هذه كانت قرية بين ينبع وبدر قرب واسط والمذبة وقد خربت بعد حرب جرت
على أطرافها ذكرها الجزيري في «درر الفوائد المنظمة» وابن إياس في «يلائع الزهور» وغيرهما .

ويحسن - وقد لخصنا رحلة الشيخ المتالي الفاسي الزبادي أن نورد ما جاء في قصيدته التي أشرنا إليها في المقدمة والتي دعاها « إنحاف المسكين الناسك ، بيان المراحل والمناسك » ونعتم بها رحلته وقال عنها :

رأيت أن أذكر هنا قصيدة لي جامعة لمراحل الحجاز ، من البركة إلى مكة ، ومن مكة إلى المدينة ، وبيان حال كل منزلة من الماء وعلمه ، وقبحه وطيبه ، وغير ذلك ، مشتملة على مناسك الحج والعمرة على الترتيب ، وعلى المشاهد والآثار والأعلام على التقريب ، مختومة بزيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر فضل مكة وطيبة وغير ذلك من المواطن .

وتقع القصيدة في ١٣٠ بيتاً ، وقد أوردناها كاملة ابن عبد السلام الدرعي في رحلته المطولة . ومنها نقلنا ما نقص منها مما صورناه من رحلة صاحبها الزبادي من نسخة (خزانة الرباط) .

البركة :

في (بركة) بركت بنا الأكوارُ لما رمتنا للفلا الأمصار
الحمرء - عجرود :

وتدانت (الحمرء) قفراً بعدها (عجرود) فيه الماء لا يُخفّر

النواطر - وادي الرمل :

إن (النواطر) إن قَطَقْتَ جميعها فأنزل (بوادي الرمل) لا ينهار

وادي التيه :

وانزل بـ (وادي التيه) واحذر سُبُلَهُ وأواره فيه الدليل يحار

النخيل - بئر الصعاليك :

وابرد غليلاً في (النُخَيْلِ) يبتدر (بئر الصعاليك) بعد ذاك وجار

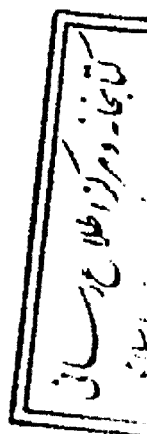
سطح العقبة :

وانزل بسطح واستعدّ لبرده فالصرّ يدينه لنا الإجار

أيلة :

وإذا سلكت عقاب (أيلة) سالماً وأتيت بندرها قشَمَ فزار (١)

(١) كذا دليل الصواب (مزار) إذ هناك قبر يزار ، ورد ذكره في بعض الرحلات .



ظهر الحمار — الشرفة :

(ظهر الحمار) اقطعه لا تنزل به

مدن — مغار شعيب :

ويواد مدينتين في مغار شعيبهم

عيون القصب :

وإذا العيون رأيها لا تعدوها

المويلح :

إن (المويلح) بندر فانزل به

الكفافة :

ثم الكفافة ، بعده وولئها

الأزلم — الاصطبل :

ولتأت (أزلم) مرءاء ولتجيء

الوجه :

و (الوجه) لولا الماء زال بهاؤه

أكره :

وانزل به (أكره) لاترد من مائه

الدركين :

ثم انزل (الدركين) للعرابين في

الحوراء :

وارشف من (الحوراء) تغرأ أشنباً

النبط — الخضيرا :

(و النبط) فيه الماء عذب سائغ

ينبع النخل :

وب (ينبع النخل) انزلن تلتق المنا

إن ابتداء عماوة لحجازنا

حيث اللوى حيث النقا حيث الحمى

وشرافة لبني عطية دار

حط الرحال فاقوها خرخر

ما للعيون من العيون نفار

تجبتى إليه فواكه وثمار

(مرزوق) اللذ حوله التيار

(اصطبل عنترة) خانة الإدرار

فانزل وحمك عنده الآبار

إلا إذا حلت به الأمطار

ققر وكن حذيراً فشم يغار

غضا فما قد طال فهو مرار

إن الخضيرا ، حسها اخضرار

من كل ما تحتاجه الأسفار

من (ينبع) حيث الرقي والغار

والمنحى حيث المياه غزار

السقيفة - بدر :

أما (السقيفة) ما حططنا رحلنا فيها إلى (بدر) بحقٍ بدار
دارَ بها انتصر الرسول على العدا وجنود أملاك السما أنصارُ

البزوا - رابع :

جيء قاع (بزوا) انزله قفراً وانزلن

من بعد (رابع) ماؤه مهذار
فيه تجرّد واغتسل واركع به
فلذا ركب قلب يا عمّار

قديد - خليس :

وانزل (قديداً) وارحلن من اقفره ورددن (خليصاً) ليس فيها دار
عسفان :

(عسفان) فانزله ورد من بئر فبهى الشفاء لمن به أضرار^(١)

بطن مر (وادي فاطمة) :

و (بطن مر) وهو (وادي فاطم) فامرر فنه تشهد الأنوار

قبر ميمونة - التنعيم - الزاهر :

زرر أمنا ميمونة ثم التجيء^(٢) لمساجد (التنعيم) فهي تزار
ثم لتجيء^(٢) لحنان مكة (زاهر) بدعوى ، وفيه بدت لنا الأزهار

وذكر المشاعر ومناسك الحج ، والسفر من مكة إلى المدينة وقال
بعد ذلك :

مفرح :

هذا (مفرح) للقلوب مفرح

وأمامه (البيدا) لها أشعار

(١) هذا على القول بأن (بئر الضلة) من آثار النبي صل الله عليه وسلم ، وهذا لا يرويه
نص صحيح .

(٢) فعل أمر من جاء ، لا من التجأ . العرب .

من أبطال العرب المعاصرين عبد الكريم الخطابي

مفاجأة في بور سعيد :

(عبد الكريم) بطل عربي ظل اسمه وشجاعته وقيادته أبناء قومه ومحاربه لأسبانيا ثم لها وفرنسا مجتمعين من عام ١٩٢٠ حتى ١٩٢٦ الشغل الشاغل لوكالات الأنباء والصحافة العالمية واستمر الأمر كذلك زمناً طويلاً ، حتى وجد نفسه مضطراً بحكم نفاد السلاح والذخيرة ونفشي الأمراض بين أهل (الريف) موطنه شمالي المغرب إلى الاستسلام لفرنسا لإنقاذ من تبقى من قومه ، خاصة النساء والأطفال ، من برائن موت محقق أو قل إبادة تامة .

وعبد الكريم أو بالأحرى محمد بن عبد الكريم ينتمي إلى أسرة عربية هاجرت قبل قرون من بلدة (يدع) في الحجاز ويمتد نسبها إلى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولهذا فإنه أصبح يعرف أيضاً باسم عبد الكريم الخطابي .

حصل عبد الكريم الأب على مكانة مرموقة بين أفراد قبيلته (بني ورياغل) أكبر قبائل منطقة (الريف) وأشدها بأساً باعتباره (قاضياً) أو (فقيهاً) في أمور الدين الإسلامي الحنيف الذي يشكل الأساس في حياة أبناء الريف ، وهم جميعاً من المسلمين ، وسرعان ما تحولت مكانة عبد الكريم إلى زعامة سياسية للمنطقة التي تقطنها القبيلة .

في مليلة :

عام ١٨٨٢ رزق عبد الكريم بابن أطلق عليه اسم محمد وذلك في بلدة (أجدير) المطلة على خليج (الحسيمة) في البحر الأبيض المتوسط ، وبعد أن نال تعليمه في بلدة مليلة توجه إلى جامعة القيروان الشهيرة في فاس حيث درس القرآن الكريم. وتعلم الرمي بالبندقية والفروسية . عاد محمد إلى مليلة حيث عمل معلماً في إحدى المدارس الوطنية الخاصة بالأهالي حيث كانت منطقة مليلة خاضعة للسيطرة الأسبانية ، وفي غضون ذلك شارك والده في قمع تمرد (بوحارة) في خريف عام ١٩٠٨ مما زاد من هيبة العائلة . وبعد ثلاث سنوات عين محمد رئيساً للقضاة في المنطقة كلها واستقر في مليلة .

وفي عام ١٨٩٢ كان عبد الكريم قد رزق بمولود آخر سماه محمداً أيضاً . ولغرض التمييز بينه وبين شقيقه الكبير صار يعرف باسم (سي محمد) أي (سيد محمد) وقد تلقى الأخير تعليمه في مليلة ثم توجه إلى العاصمة الأسبانية مدريد حيث درس علم التعدين . ولم تلبث الأمور أن تطورت بشكل سريع ومباغت ، ذلك أن أسبانيا توصلت إلى اتفاق مع فرنسا يسمح لها بأن تبسط سيطرتها على (الريف) بأسره ، مقابل إطلاق يد فرنسا في (مراكش) أو باقي أرجاء المغرب ، وبالفعل شرع الأسبان في إعداد أنفسهم للزحف من مليلة باتجاه الغرب إلى قلب الريف الذي لم يرضخ أبناؤه الجبليون الأباة ، وهم الذين لا تخلو بيت أحدهم من سلاح— لأحد من الغزاة مما جعل الاصطدام مع أسبانيا أمراً لا مفر منه .

الحرب :

وعلى الرغم من التحذيرات التي وجهها عبد الكريم للأسبان ، إلا أن هؤلاء بما لديهم من قوة هائلة وتفوق في كل شيء ، تصوروا أن الغزو المرتقب سيكون مجرد نزعة، وهكذا بدأت المناوشات في أوائل عام ١٩٢٠ ، فقرر عبد الكريم دعوة ولديه من مليلة ومدريد لقيادة المعارك إلى جانبه ، ولم يلبث الأب أن توفي بعد أسابيع ، ويقال: إن ذلك تم نتيجة دس السم له . ومن الطبيعي أن تنتقل القيادة إلى محمد الكبير فعهد إلى شقيقه (سي محمد) بأن يكون مساعداً له ثم انصرف إلى دعوة كل قبائل الريف للانضمام إلى

قواته للوقوف في وجه الأسبان الذين زحفوا من مليلة بجيش لا يقل عن عشرين ألف رجل ، يقودهم الجنرال (سلفستر) ، فاستجابت معظم القبائل لنداء محمد بن عبد الكريم ، الذي أصبح يعرف على مر الأيام باسم « عبدالكريم » أو (كريم) أي أنه أخذ اسم أبيه .

وفي يوليو ١٩٢٠ انقض رجال عبد الكريم على الجيش الأسباني الزاحف في موقع (أنوال) فتمكنوا من إلحاق هزيمة مروعة به ، أسفرت عن إبادة معظم أفراداه وجميع قادتهم وفي مقدمتهم (سلفستر) الذي لم يعثر على جثته على الإطلاق واستولى الريفيون على عشرين ألف بندقية ومائتي مدفع سريع وبضعة ملايين من الطلقات ، وآلات طبية ومؤن تزيد على حاجتهم ، وبعد هذه المعركة ظل العالم يركز اهتمامه البالغ على ما يجري في الريف ، ويتابع التطورات يوماً بيوم .

تنظيم داخلي :

وبعد أن رد الريفيون هذا الخطر ، انصرفوا إلى تنظيم أمورهم الداخلية ، ولما كان الريف معزولاً عن باقي أرجاء المغرب الخاضعة للحماية الفرنسية وأن السلطان في (الرباط) قد فقد حريته ، فقد ارتأى عبد الكريم أنه لا بد من إقامة حكومة اختير نفسه لرئاستها وعين (سي محمد) وأبرز أعوانه في مناصب مختلفة . وتأسست (جمعية وطنية) من رجال القبائل وأهل القرى والقادة ، وجرى الاهتمام بتقوية الجيش وتنظيمه على أسس عصرية ، ووضع ميثاق قومي .

وقد جرت محاولات عديدة للتوصل إلى تفاهم مع الأسبان على أساس عدم التدخل في شؤون الريف الداخلية ولكن دون جدوى ، لذا استمرت المعارك والوقعات الضارية من منطقة مليلة شرقاً حتى (الجبال) المتصلة بالحيط الأطلسي غرباً ، مع أن (الريفيين) لم يخسروا معركة واحدة بل انتقلوا من نصر إلى آخر ولم تغلح أسبانيا مطلقاً في دخول الريف إلا بعد أن تحالفت مع فرنسا التي دخلت الحرب عام ١٩٢٦ يقود جيوشها (المرشال بيتان) بطل الحرب العالمية الأولى الذي استطاع الوقوف في وجه الألمان في موقعة (فردان) الشهيرة .

وبدت النهاية واضحة ، إذ تحولت المسألة إلى إبادته ، فكيف يمكن للريف الفقير المعزول أن يقف في وجه دولتين من أقوى الدول الأوروبية ؟ ومع ذلك واصل عبد الكريم الحرب وخاض عدة معارك ضد جيوش فرنسا وأسبانيا إلى أن أخذت الأمراض بالتفشى بين الناس ، ونفدت الذخائر والأقوات ولم يعد أمامه سوى الاستسلام لإحدى الدولتين ، فاختر فرنسا التي وعدت باعتباره أسير حرب عكس أسبانيا المصممة على التآمر والانتقام خاصة لما حصل في (أنوال) .

وفي أواخر مايو ١٩٢٦ ألقى عبد الكريم سلاحه أمام قوات فرنسا فنُقِلَ مع شقيقه (سي محمد) وعدد من أعوانهما مع نسائهم وأطفالهم إلى سفينة فرنسية في ميناء (الدار البيضاء) ومنها إلى جزيرة (ريونيون) على بعد ١٢ ألف كيل عن المغرب في المحيط الهندي !

حياة فلاح :

في « ريونيون » ، وُضِعَ المنفيون في بيت كبير تحيط به مزرعة فصار « عبد الكريم » ومن معه يمحسون وقتهم في العمل فيها ، وبمرور الأيام أخذوا يشعرون في ذلك المكان البعيد بالغربة والوحشة والحنين إلى الوطن والأصدقاء والأمن ، ولم تترك الحركة الوطنية في المغرب طريقاً إلا سلكته للإفراج عن الأسد الأسير وأعوانه .

وفي سنة ١٩٣٦ كتب أمير البيان شكيب أرسلان عدة مقالات في صحف الشرق والغرب ، وفي العام التالي بذل (الحزب الوطني) جهوداً لهذا الغرض منها حملة واسعة في سائر صحف المغرب وكادت هذه أن تؤدي إلى النتيجة المرجوة إذ قرر بعض الشيوخ الفرنسيين عرض الموضوع على لجنة الشؤون الخارجية في مجلسهم ، لكن وزارة الخارجية رأت أن الأوان لم يحن ، بسبب استمرار بعض قبائل المغرب في الانتفاض ضد الاحتلال .

أما « عبد الكريم » فقد طالب حاكم الجزيرة مراراً وتكراراً بإطلاقه .

وفي ١٤ يونيو ١٩٣٤ كتب إلى « دوميرغ » رئيس الوزارة الفرنسية طالباً منه أن يبحث موضوع نقله إلى فرنسا أو الجزائر أو المغرب بيد أن الطلب قوبل بالرفض . وفي ٦ نوفمبر ١٩٣٨ وجه عبد الكريم رسالة أخرى إلى حاكم الجزيرة قال فيها : (منذ اثنتي عشرة سنة ونحن مبعدون عن وطننا محترمون الوعد الذي قطعناه على أنفسنا .. واليوم وقد أثقل المنفى صدورنا ، وقد أقبل فيما يخصني هذا المصير ، ولكن منذ اثنتي عشرة سنة كبر أبنائي فأصبح سنهم ست عشرة وسبع عشرة سنة ، أما البنات فقد أصبح سنهن ما بين خمس عشرة وثمانى عشرة سنة .

إن جزيرة (ريونيون) لا مستقبل فيها لهؤلاء الشباب ، فيجب البحث عن عمل للأولاد كما يجب الاهتمام بزواج البنات . أما الأولاد فأريد أن أوجههم إلى المهنة العسكرية وأن أجعل منهم ضباطاً . أما البنات فلا يمكن أن يفكرن في إنشاء بيت إلا إذا رجعن إلى المغرب ، ولا يمكن لهن في هذه الجزيرة أن يتزوجن ، وذلك بسبب المنى وبسبب تقاليدنا وديننا) . وكادت هذه الرسالة أن تنهي عذاب نبي عبد الكريم لولا اقتراب نذر اندلاع الحرب العالمية الثانية ، وبعد أن حدثت اندفع كل شيء لا علاقة له بها إلى الظل ومن ذلك قضية نزلاء (ريونيون) .

إلى فرنسا :

وبعد تحرر فرنسا من الاحتلال الألماني عام ١٩٤٤ وقيام جامعة الدول العربية عام ١٩٤٥ ، ازداد نشاط المعننين بقضية تحرير أقطار المغرب العربي ، وكذلك الزعماء المغاربة والتونسيين والجزائريين المقيمين في القاهرة ، بشأن إطلاق عبد الكريم وارتفعت الأصوات من كل صوب بهذا الصدد ، مما كان له أثر في تغيير موقف فرنسا من هذه القضية كما أن اشتداد ساعد الحركة الوطنية في مختلف أقطار المغرب قد لعب دوراً في هذا الاتجاه .

وفي شهر مارس ١٩٤٧ ، أعلنت الحكومة الفرنسية أنها ستقوم بنقل عبد الكريم ومن معه من جزيرة (ريونيون) للإقامة في فرنسا في بيت مناسب على

مقربة من إحدى الكليات ليستطيع أبنائه متابعة دروسهم تحقيقاً لرغبته ، على أن يكون البيت المذكور بعيداً عن الحدود مع أسبانيا التي أبدت معارضتها لهذه الخطوة . وفي مايو ١٩٤٧ كانت الباخرة البنامية (كاتومبا) تعبر قناة السويس حاملة البطل الأسير وأسرته ، وكان قائدها يونانياً مثل سائر ضباطها وكان عدد الفرنسيين تسعة عشر شخصاً بينهم طبيب . سبق لعبد الكريم أن نزل في عدن واحتفى به إخوانه العرب هناك أبجل احتفال وبعثوا بناءً على طلبه ببرقيات إلى قادة أحزاب استقلال أقطار المغرب العربية وسائر المعنيين بهذه القضية ، ومنها برقية موجهة إلى (علال الفاسي) رئيس حزب الاستقلال الذي خرج تَوْأماً من السجن في مستعمرة (الجابون) بعد عشر سنوات من حياة العذاب ، فاجتمع الفاسي بأعضاء الحزب وأعضاء حزب الاستقلال الموجودين في القاهرة وأخبرهم بما ورد في البرقية عن نزول عبد الكريم في عدن وموعد مغادرته لها والموانيء التي سيمر بها وموعد وصول الباخرة إلى السويس وبورسعيد .

مفاجأة :

وبينما كانت الباخرة تقرب من (بور سعيد) توجه إليها كل من علال الفاسي والحبيب بورقيبة وعبد الحالق الطريسي ووفد من مكتب المغرب العربي للسلام على البطل القادم وقد صعد معهم إلى ظهر الباخرة ممثلو السلطات المصرية والأحزاب السياسية وكثير من الصحفيين ووجهاء المدينة . وهنا حدثت مفاجأة ، فقد تنحى (سي محمد) مع علال الفاسي جانباً وأخبره برغبة أخيه في البقاء بمصر ، وكان عبد الكريم بعد ذلك قد نزل إلى البر فتوجه في الحال إلى مكتب محافظ الميناء حيث تلقى رسالة من الملك فاروق بمناسبة مروره بالمياه المصرية ، وعندئذ أعرب لممثل الملك المصري في المدينة عن التوجه إلى مصر ، تخلصاً من استمرار الأسر الفرنسي ، وليمكن من تعليم أولاده باللغة العربية ، فوعده المحافظ بتبليغ طلبه للملك وللحكومة ، وبعد أن تجول هو وأفراد أسرته في بورسعيد عادوا جميعاً للباخرة حيث أمضوا ليلتهم بانتظار الصباح .

وفي الساعة العاشرة من ٢ يونيو ١٩٤٧ نزل عبد الكريم إلى اليابسة وتوجه

إلى المحافظة فأبلغته المحافظ باسم الملك فاروق قبول لجوئه إلى مصر وإن يعتبر نفسه وأفراد أسرته ضيوفاً على الملك ، ولم يكذب يحمل مساء ذلك اليوم حتى كانت سيارات ملكية تنهب الأرض نحو القاهرة وهي تقل الأسد الطليق مع أسرته ، وبذلك اختتم فصل من أشد الفصول إيلاماً في المغرب بل العرب كلهم .

متابعة الجهاد :

كان وصول عبد الكريم في فترة اقتنع خلالها بعض زعماء أقطار المغرب العربي أن الحوار مع المستعمرين لم يعد يجدي نفعا بعد أن أغلق هؤلاء الباب ، وقبل إطلاق الزعيم المغربي كان مؤتمر المغرب العربي الذي انعقد في القاهرة قد اتخذ جملة مقررات منها : (تكوين لجنة دائمة من رجال الحركات الوطنية مهمتها توحيد الخطط وتنسيق العمل لكفاح مشترك) ، فلما حل عبد الكريم في مصر اتجهت إليه الأنظار لتحقيق هذه التوصية ، وبالفعل فإنه لم يألُ جهداً ، في العمل على توحيد الصفوف وتنسيق الخطط في الداخل والخارج ، وبعد مداولات ومناقشات برزت (لجنة تحرير المغرب العربي) إلى الوجود وتكون مكتب موقت لها برئاسة عبد الكريم ، على أن يكون (سي محمد) وكيلاً له والحبيب بورقيبة أميناً عاماً .

وفي ٥ يناير وزع البطل العربي وثيقة التحرير على رجال الصحافة العربية والأجنبية وهي طويلة جداً نقتطف منها ما يلي : (وقد كانت الفترة التي قطعناها في الدعوة للائتلاف خيراً وبركة على البلاد فاتفقت مع الرؤساء ومنتدوي الأحزاب الذين خابرتهم على تكوين - لجنة تحرير المغرب العربي - من سائر الأحزاب الاستقلالية في كل من تونس والجزائر ومراكش على أساس مبادئ الميثاق التالي :

(أ) المغرب العربي بالإسلام كان ، وللإسلام عاش ، وعلى الإسلام
يسير في حياته المستقبلية .

(ب) المغرب جزء لا يتجزأ من بلاد العروبة ، وتعاونه في دائرة
الجامعة العربية على قدم المساواة مع بقية الأقطار العربية أمر طبيعي ولازم .

(ج) الاستقلال المأمول للمغرب العربي هو الاستقلال التام لكافة
أقطاره الثلاثة (تونس والجزائر ومراكش) .

(د) لا غاية يسعى إليها قبل الاستقلال .

(هـ) لا مفاوضات مع المستعمر في الجزئيات ضمن النظام الحاضر .

(و) لا مفاوضات إلا بعد إعلان الاستقلال .

(ز) للأحزاب الأعضاء في (لجنة تحرير المغرب العربي) أن تدخل في
مخابرات مع ممثلي الحكومة الفرنسية والأسبانية على شرط أن تطلع اللجنة على
سير مراحل هذه المخابرات أولاً بأول .

(ح) حصول قطر من الأقطار الثلاثة على استقلاله التام لا يسقط عن
اللجنة واجبها في مواصلة الكفاح لتحرير البقية ...) .

وهكذا تسلم عبد الكريم الراية إلى أن نام ، قرير العين ، في مثواه
الأخير بالقاهرة في فبراير ١٩٦٣ بعد أن نالت أقطار المغرب العربي استقلالها
وانضمت إلى ركب العرب قوة جديدة وسنداً وفاقاً .

أما أبنائه وبناته وسائر أبناء الأسرة فقد عادوا إلى المغرب المستقل حيث
وضعوا أنفسهم في خدمته في الميادين التي اختارها لهم ^(١) .

محمود شبيب

(١) ملخص من كتاب « عبد الكريم الخطابي ... محارب حبر دولتين أوروبيتين » تأليف
السكاتب ويؤمل صدوره في بيروت قريباً .

ابن السيد البطليوسي الأندلسي

- ١ -

إن الأدب العربي الأندلسي لباب ذهني من تاريخ الآداب العربية ، كما أن دور المسلمين الأندلسيين في نهضة الحضارة الأوروبية لصفحة خالدة ناصعة على جبين التاريخ البشري . وكذلك فإن آثار العلماء الأندلسيين الفطاحل لتضاهي آثار العلماء المسلمين في الشرق العربي الإسلامي ، وهي جديرة بكل عناية واهتمام ، كما أنها تستحق كل إعجاب وتقدير .

وقد كان من بين هؤلاء العلماء الفطاحل الأندلسيين الإمام أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي ، الذي نشأ وترعرع في عصر ملوك الطوائف الذي يبدأ بموت المنصور بن أبي عامر في سنة ٣٩٣ هـ وينتهي بالقبض على المعتمد ابن عباد الإشبيلي في سنة ٤٨٤ هـ حيث يتقل الحكم في الأندلس إلى المرابطين .

مولده :

وُلد الفقيه الأجل الحافظ ، النحوي ، الأديب ، اللغوي ، أبو محمد عبد الله بن محمد بن الحسن ابن السيد البطليوسي ^(١) في سنة ٤٤٤ هـ . وعاش سبعة وسبعين عاما أو يزيد قليلا من حياته ، واختلف بين بَطْلَبُوس ، وُطْلَبُظَّة ، والسهلة ، وسَرْقُسْطَة ، وبلَنْسِيَة ، وبها كانت وفاته سنة ٥٢١ هـ ^(٢) . وعاصر ملوك الطوائف ، واتصل ببعضهم ، وشاهد

(١) ضبطه السيوطي ٥٥٢ هـ وعنه في « هدية العارفين » ٤٥٤-١ بكر السين المهمة وسكون الياء المثناة والدال من أسماء الذئب ، والبطليوسي نسبة مدينة بطليوس ، عاصمة بني الأفطس من ملوك الطوائف ، وضبطه ياقوت في « معجم البلدان » بفتحين وسكون اللام وياء مضمومة وسين مهملة ومثله السيوطي ٥٥٢ هـ وضبطه في « أزهار الرياض » ١٠٢-٣ بفتح الياء وسكون الواو .
(٢) « الصلة » ص ٢٨٧ هـ وأزهار الرياض ١٠٢-٣ والسيوطي ٥٥٢ هـ وابن خلكان ٢٨٧-١ هـ « الثدرات » ٦٥-٣ والياقني ٢٢٧-٣ والقسي ٣١٣-١ هـ « معجم البلدان » هـ هدية العارفين ١-٤٥٤ هـ « الكشف » ص ١٤١١ هـ « غاية النهاية في طبقات القراء » ١٨٧٣ هـ « الأعلام » ٢٦٨٠ هـ « تكملة بروكلمان » ٧٠٨-١ هـ .

عصر المرابطين إلا أنه شغل عنهم بالتأليف والتدريس ، قانعا بهما ، غير راعب
خدمة القصور ، زاهدا في مجالسها واجتماعاتها .

حياته :

وحياته تنقسم إلى أربعة أطوار متميزة وهي :

الطور الأول :

من أطوار حياته ، ونعني به عهد الطفولة ، والحداثة والنشأة ، والتربية
في حجر أبويه ، وبين أعضاء أسرته . وهذا الدور من حياته لا يزال سرا
غامضا ، لم تتناوله كتب التراجم والتاريخ ، ولم يحله الباحثون ، لأننا لانعرف
شيئا عن أسرته وطفولته ، أكثر من أن له أخا هو أبو الحسن علي بن محمد
ابن السيد ، شقيقه الأكبر ، وشيخه في الأدب والفن ، وأخ أصله من
شلب ، التي كان منها ذو الوزارتين الكاتب الشاعر ابن عمار ، وابن بدرون^(١)
شارح قصيدة ابن عبدون ، التي بكى بها بني الأفتس ، ملوك بطلبوس ، كما
صرح به في « المغرب » ، و « نفع الطيب » : فقد قال المقرئ نقلا عن « الذخيرة »
لابن بسم - : ومنها (من شلب) نحوي زمانه ، وعلامته ، أبو محمد عبد الله
بن السيد البطلوسي ، فإن شلبا بيضته ، ومنها كانت حركته ونهضته^(٢) .

وقد جاء في « المغرب » مانعه : أبو محمد عبد الله بن السيد البطلوسي ،
أحد من تفخر به جريزة الأندلس من علماء العربية ، وهو من شلب ،
ولازم مدينة بطلبوس ، فعرف بالبطلوسي ، وقال الفتح : « وشلب بيضته ،
ومنها كانت حركة أبيه ونهضته ، وفيها كان قرارهم ومنها تم آمهم وعرارهم ،
ونصب إلى بطلبوس لمولده بها^(٣) .

(١) هو عبد الملك بن عبد الله بن بدرون الحضرمي وقد سمي شرحه لقصيدة ابن عبدون
« قامة الزهر وصدة الدرر » التكلة ص ٦٢٠ و « نفع الطيب » ١١٣، ١ .

(٢) « نفع الطيب » ١١٣، ١ ولفظه في « أزهار الرياض » ١٠٥، ٣ (حركة أبيه أو نهضته) .

(٣) « المغرب » حل المغرب ٣٨٥، ١ و « أزهار الرياض » ١٠٥، ٣ .

الطور الثاني :

وهو عهد الطلب ، والدراسة ، والتحصيل في معاهد الأندلس ، ومراكزها العلمية والأدبية ، وهذا الطور أيضا غير واضح ، وليس لدينا معلومات مفصلة عن هذه المرحلة الهامة من مراحل حياته ، وإنما نجد في الكتب بعض الإشارات الخفية المهمة ، التي لا تعطينا صورة واضحة جلية عن هذا الدور من حياة ابن السيد . وكذلك فإن مؤلفاته التي وصلت إلينا - مطبوعها ومخطوطها - لا تشير إلى ذلك إلا قليلا نادرا .

وأغلب الظن أنه بدأ حياة الطلب ، والدراسة والتحصيل في مدينة بطليوس ، التي كانت في ذلك الوقت ، مركزا هاما من المراكز الثقافية في الأندلس ، وكانت تضاهي عواصم ملوك الطوائف الأخرى ، من قرطبة ، وطليطلة ، وأشبيلية ، وسرقسطة ، من ناحية الحضارة ، والتمدن ، والنشاط الثقافي ، والعلمي ، والأدبي ، ولم لا ؟ ! فقد كان ملكها في ذلك الوقت هو أبو بكر محمد بن عبد الله المظفر (من ٤٣٧ إلى ٤٦٠ هـ) الذي كان أديب ملوك عصره غير مدافع ، ولا منازع ، والذي ألف موسوعة كبيرة سماها « المظفرى » . وهو الملك الذي كان قد بلغ إعجابه بالمعري والمتنبي إلى أن قال : من لم يكن شعره مثل شعر المتنبي أو المعري فليسكت ^(١)

ففي هذه البيئة الأدبية ، بدأ ابن السيد دراساته ، كطالب ناشئ ذكي فكان يختلف إلى علماء بطليوس ، ويتردد إلى مدارسهم ، ويحضر حلقاتهم ، ويستفيد من معارفهم ، وفضلهم ، منهم أخوه أبو الحسن علي بن السيد ، وعاصم

(١) « أعمال الأعلام » ص ١٨٤ وكان ابنه المتوكل أيضا من الملوك العلماء والأدباء الفرساني وكان له قدم رائحة في صناعة النظم والنثر ، مع شجاعة مفرطة وفروسية تامة (المعجب ص ١٢٨) وكان يستدعى الشعراء والأدباء إلى دار ملكه ويحنو وينفق عليهم وهو الذي يقول لأب طالب بن غانم الوزير الأديب :

أنهض أبا غانم إلينا واسقط سقوط الندى علينا
فنحن عقد من غير وسطى مالم تكن حاضرا لدينا
(المغرب ١ - ٣٦٥) .

بن ايوب ، وعلي بن احمد بن حمدون البطايوسيون وغيرهم ، من أعلام العلم والأدب ، فأخذ عنهم اللغة ، والأدب ، وشعر القدماء . ولعله أخذ عن أخيه « سقط الزند » وغيره من دواوين شعر المعري ، لأن أخاه أبا الحسن ، كان قد أخذ « سقط الزند » عن عبدالدائم القيرواني وكان يرويه عنه في بطلبوس^(١)

على كل حال ، فإن ابن السيد كان قد عُذِّي بشعر المعري ، وهو صغير ، وسمعه من شيوخ بطلبوس ، وأعجب به ، ورغب فيه وحفظه ، لأننا نراه يسرع إلى طليطلة ، وهو حديث السن ، ولم يتجاوز الثانية عشر من عمره ، ليزور شيخا من شيوخ المشرق ، وعلمنا من أعلامها ، كان رأى أبا العلاء المعري ، وأخذ عنه شعره ، واستجازه روايته ، فأجازله ، وذلك الشيخ العلم هو أبو الفضل البغدادي ، رسول الخليفة العباسي ، إلى المعز ابن باديس ، ورسول المعري الأديبي ، إلى أهل المغرب كافة ، الذي دخل الأندلس ، واستقر أخيرا بطليطلة ، وملكها إذ ذاك هو المأمون يحيى ابن ذي النون ، ذلك الملك الذي عرفه التاريخ كأوى للعلماء ، والأدباء ، وملاذهم ، وقبلة للشعراء والكتاب ، وولي نعمتهم ومعطيهم^(٢) .

ثم إن ابن السيد لم يزل ينتقل في عواصم الأندلس ، ومراكزها ، فتارة في قرطبة ، وأشبيلية ، وأخرى بلنسية وسرقسطة ، وأخذ عن أبي سعيد الوراق ، وعبدالدائم القيرواني ، وأبي علي الغساني ، رئيس المحدثين بقرطبة في زمانه ، وكبار العلماء المستندين بها ، وسند كرمهم في فصل مستقل ، إن شاء الله في شيوخ ابن السيد وأساتيده .

الطور الثالث :

وهو عهد الرجولة ، والاتصال بالملوك ، والأمراء ، والأعيان ، والوجهاء ، في عصره ، فإن ابن السيد في هذا الطور من أطوار حياته لم يزل ينتقل من بلاط إلى آخر ، ومن عاصمة إلى أخرى ، ويحضر مجالس

(١) ابن خير ص ٤١٢ .

(٢) « معالم الإيمان » لابن الدباغ ٢٤١-٣ و « نفع العليب » ٧٧-٢ .

الملوك ومادبهم ، طوال هذه المدة « فحلب الدهر أشطره وتلا حروفه ، وأسطره ، وخدمت الرياضات ، وعلم طرق السياسات ، ونفق وكسد ، ووقف ، وتوسد^(١) .

فمن اتصل به من الملوك ، القادر بالله يحيى بن إسماعيل بن يحيى ابن ذي النون ، صاحب طليطلة ، وأبو مروان عبد الملك ابن رزّين ، صاحب السهلة ، والمستعين بالله أحمد بن سليمان ابن هود ، ملك سرقسطة ، وأمراء بني عبدالعزيز ، أصحاب بلنسية . وكذلك فإنه كان قد عرف كثيرا من الأعيان ، والوجهاء ، والوزراء والكتاب ، وأصحاب الرتب من أمثال ذي الوزارتين أبي عيسى ابن لبون^(٢) ، وذو الوزارتين أبي محمد بن الفرج^(٣) . والوزير الكاتب ، أبي محمد بن سفيان^(٤) ، والوزير أبي بكر بن عبدالعزيز^(٥) ، والأستاذ أبي الحسن بن الأخضر^(٦) ، والأستاذ أبي محمد ابن جوشن^(٧) ، وأبي الحسن راشد بن عريب^(٨) ، وابن أبي الخصال^(٩) . وله في بعضهم المدائح والمراثي ، كما أن له بعض الرسائل ، والمكاتبات ، والأشعار ، التي كان يبعث بها في شتى المناسبات ، وفي الأغراض المختلفة المتنوعة^(١٠) .

والظاهر من الأسباب التي جعلته يميل إلى حيساة القصور ، وخدمة الملوك ، ما شاهده بطليطلة ، عند المأمون يحيى ابن ذي النون ، من تقدير

(١) أزهار الرياض ١٠٦-٣ .

(٢) أزهار الرياض ١٢٠-٣ وترجمة ابن لبون في القلائد ص ١٠٢ و ٢٠٨ والمغرب ٢-٣٧٦ .

(٣) القلائد ص ٢٠٧ وأزهار الرياض ١٤٥-٣ .

(٤) أزهار الرياض ١٤٢-٣ والقلائد ص ٢٠٦ .

(٥) أزهار الرياض ١٢٥-٣ وترجمة الوزير في القلائد ص ١٧٠ .

(٦) أزهار الرياض ١٤١-٣ والقلائد ص ٢٠٥ .

(٧) أزهار الرياض ١٣٩-٣ .

(٨) أزهار الرياض ١٣٢-٣ .

(٩) أزهار الرياض ١٣٣-٣ وترجمته في القلائد ص ١٨٢ .

(١٠) وللفصائل في القلائد ص ٢٠٢ وأزهار الرياض ١٠٢-٣ وضع الطيب ٤٢٥-١ .

العلماء ، والأدباء ، وحفاوتهم ، وإكرامهم ، وإجزال العطايا والصلوات لهم ، وإجراء الأموال عليهم ، وعزّهم ، ومكانتهم في نفوس الخاصة والعامة .

وليس لدينا ما يؤكد لنا عن صلته بالمأمون ، وحظه من حاشيته ، وهل كانت له شركة في مجالس الطرب والأنس التي كان يقيمها في قصره ، الذي كان شاده بطليطلة ، والذي بالغ الشعراء والخطباء ، والمؤرخون في وصفه أم لا ؟ لأن المصدر المفصل عن حياة ابن السيد هو الفتح بن خاقان ، وبيانه مختلف فيما ألفه ، وقوله يناقض بعضه بعضا ، فإنه يقول في « القلائد » إن ابن السيد حضر مع المأمون بن ذي النون في مجلس الناعورة بالمنية ، وبه أخذ المقرئ في « نفح الطيب »^(١) وقال في رسالته ، التي خصصها لابن السيد^(٢) : إنه حضر مع القادر بالله بن ذي النون في مجلس الناعورة بطليطلة ، فقال قصيدته الدالية ، يصف بها حال المجلس ومطلعها (من المنسرح) :

يَا مَنْظُرًا إِنَّ رَمَقْتُ بِهَنْجَتَهُ أَذْكَرَنِي حُسْنَ جَنَّةِ الْخُلْدِ

فالرجل يختلف بيانه ، وكلامه يناقض بعضه بعضا ، كما ترى :

ونرجح أن هذا لم يكن مع المأمون ، وإنما كان مع حفيده القادر ، لأن ابن السيد لم يقل بيتا واحدا في مدح المأمون فيما بلغنا من شعره ، مع أنه قد مدح القادر^(٣) ، والملوك الآخرين ، الذين اتصل بهم ، وحضر مجالسهم ، ومآدبهم ، كابن رزين ، وابن هود ، وبني عبد العزيز ، فلو كانت له صلة بالمأمون ، وشركة في مجالسه ، وحظٌّ من حاشيته وعطاياه ، لقال فيه شعرا ، ونخلد ذكره ، ثم إن ابن السيد ، لم يكن قد بلغ درجة من العمر ، والشهرة ، التي تؤهل الإنسان أن يكون سمير الملك ، وأكيله وشريبه ، وخاصة إذا كان في بلاطه عدد ضخيم من الأعلام ، والفحول ، فإن من الصعب أن

(١) « القلائد » ص ٢٠٢ . « ونفح الطيب » ١-٤ و « أزهار الرياض » ٣-١٣٨ .

(٢) « أزهار الرياض » ٣-١٠٧ .

(٣) « أزهار الرياض » ٣-١٣٥ .

يحظى شاب ناشئ من حاشية الملك بثيء ، وعنده فطاحل الأدب والشعر .
 إلا أنه اتصل بالأميرين يحيى بن إسماعيل بن يحيى المأمون ، وعبد الرحمن بن
 عبيد الله ابن ذي النون ، فمدحهما ، وحضر مجالس الأنس والطرب لهما (١) .
 وكانت لابن السيد صلة ببني عبد العزيز ، أصحاب بلنسية ، فإنه قد
 رثى (٢) الوزير الأجل ، أبا عبد الملك ابن عبد العزيز ، وأشاد بذكر الوزير ،
 أبي بكر ابن عبد العزيز الذي كان المأمون قد استخلفه ، على بلنسية بعد أن
 أسقط ملكها ، وأدمجها إلى مملكته طليطلة ، وذلك سنة ٤٥٧هـ (٣) . وأغلب الظن
 أن صلته ببني عبد العزيز في حياة المأمون ، هي التي أخرته عن مجالسه ومدحه
 له . وقال ابن السيد في قصيدته التي رثى بها أبا عبد الملك وأشاد بذكر الوزير
 أبي بكر والتي مطلعها (٤) (الطويل) :

فؤادي قريح قد جفاه اصطباره
 ودمني أبت إلا انسكاباً غزاره

ويعزي بني عبد العزيز قائلا :
 عزاء بني عبد العزيز وإن خلا
 من المجد مغناه وهد مناره
 ففيكم لهذا الصّدع آس وجابر
 وإن كان صعباً أسوه وانجباره
 لكم شرف أرسى قواعد بيته
 أبو بكر الساري إليكم نجاره
 آجل وزير عطر الأرض ذكره
 وأنجّل زهر الثيرات فخاره
 فلو كان للعلياء جيد ومقصم
 لأصبح منكم عقده وسواره

(١) أزهار الرياض ٣-١٠٧ و ١١٧ .

(٢) أزهار الرياض ٣-١٢٥ .

(٣) ابن عذاري ٢-٢٦٦ .

(٤) أزهار الرياض ٣-١٢٥ - ١٢٧ .

ولما مات المأمون سنة ٤٦٧ هـ ، وخلفه حفيده يحيى القادر بالله ، كان لابن السيد فيه أمل ورجاء ، وكان يتوقع منه خيراً ، وكان يطمع في إحسانه إليه ، فمدحه وقال فيه قصيدة مطلعها ^(١) : (الطويل) :

ضَمَانٌ عَلَى عَيْنَيْكَ أَنِّي هَائِمٌ
تَصُدُّ ، وَقَلْبِي حَوْلَ وَصْلِكَ حَائِمٌ
وفيها يقول :

وما أنتَ إلا آية الله في الورى
وحكمته إن قال بالعلم عالم
لقد بَخَسُوكَ الحقَّ جهلاً وأخطأت
بما رجَمَتَ فيكَ الظنونُ الرواجمُ
كما نجسوا يحيى بنَ ذي النون حقَّه
فقالوا : ابنُ سَعْدَى في النَّوَالِ وحائِمٌ

وفيها يقول :

لنا بَارِقٌ من بَشَرِهِ لَيْسَ خُلُقِيًّا
إذا شَامَهُ يوماً من النَّاسِ شَائِمٌ
عليه من المأمون يَحْيَى مَشَابَهُ
تُرَى ، ولَا يَمُاعِيلُ فِيهِ مَيَّاسُمٌ
إلى أن يقول له :

وأورثك المأمونُ صَارِمَهُ الذي
به لم تَزَلْ تُفَرِّى الطُّلَى ، والْجَمَّاجِمُ
فَصَّمْ وَلَا تُحْجِمْ فَإِنَّكَ صَارِمٌ
حُسَامٌ ، ومنه في يد الله قائم
إلا أن هذا الملك الحديد الشاب ، قد ساءت سيرته وفسدت أخلاقه ، فأساء إلى النبهاء والزعماء ، من أمثال ابن الحديدى ، عونهم ، ومدبر ملكهم ،

(١) أزهار الرياض .

حتى قتله طائفة مفسدة من أهل طليطلة في القصر الملكي ، وأفسد حال طليطلة وأهلها ، فثاروا عليه ^(١) . فزهد فيه الفقيه الأجل ، وتركه ، وسار متوجها إلى السهلة ، وعليها أبو مروان عبد الملك بن هذيل بن رزين ، الملقب بحسام الدولة ، وكان عند وصوله إليه قد رفعه أرفع محل ، وأنزله منزلة أهل العقد والحل ، وأطلعه في شيمائه ، وأقطعه ماشاء من نعمائه ، وأورده أصنى مناهل مائه ، وأحضره مع خواصه وندمائه ، وكانت دولته موقف البيان ، ومقذف الأعيان ، ومُخصَّب جمار الآمال ، وأعذب موارد الإجمال ، لولا سطواته الباطشة ، ونكباته البارية لسهام الرزء الرائشة ، فقلما سلم منها مفاد الأموال ، ولا أحمد عقبا معه صاحب ولا وال ، فأحمد هو أول أمره معه ، واستحسن مذهبه في جانبه ومنزعه ، ولم يدر أن بعد ذلك الشهد شرب علقم ، وأن السم تحت لسان ذلك الأرقم ، فقال رحمه الله بمدحه ^(٢) (الطويل) :

عَسَى عَطْفُهُ مَن جَفَانِي يُعِيدُهَا

فَتَقْضَى لِبَانَاتِي وَيَدْنُو بَعِيدُهَا
وقصيدته هذه من عيون الشعر الأندلسي ، وفيها يقول :

إِذَا أَنْكَحُوا مِنْ فِضَّةِ الْمَاءِ تَبَرَّهَا

أَتَى اللُّؤْلُؤُ الْمَكْنُونُ وَهُوَ وَلِيدُهَا
كَمَا أَنْكَحُوا الْبَدْرَ اسْتَقَامَتْ سَعُودُهَا
هُدًى بِلَا مِنَ الشَّمْسِ اسْتَقَامَتْ سَعُودُهَا
فجاءا بعبد المملوك للملك كوكبا

ليحمي سماء المجد من يكيدها
رعى جنة الأعداء لما سموا لها
بشهب القنا حتى استشاط مريدُها



فَتَى أَحْرَزَ الْعُلْيَا وَحَازَ مَدَى النَّدَى

فما إن له من رتبة يستزيدها

(١) ابن عذار ٣-١٠٤-٣٠٦ ، وأعمال الأعلام ص ١٧٩ .

(٢) أزهار الرياض ٣-١٢٣ .

سرى بارق من بشره غير خدب
 إلى أرض آمالي فأورق عودها
 وبوّاني من مجده في مكانة
 سعود النجوم الزاهرات صعيدُها
 فبأيها المولى السدي أنا عبده
 وقدمًا رجا طول الموالى عبيدها
 أصبح نحو حرّ الشعر من عبد أنعم
 بدائع مازال منك يفيدها
 قواف تروق السامعين كأنما
 نُحليّ سجايك الحسان قصيدُها

إلا أن هذه السعادة لم تدم، ولم يلبث أن فسد ما بينهما وكادت سهام الرّزمِ
 الرائشة لابن رزين نصيب عبد أنعمه ابن السيد، وكاد أن يعتقل في (شدت
 مرية) كما اعتقل أخوه أبو الحسن قبله في (قلعة رباح) إلا أن الأقدار ساعدته
 واستطاع أن يتخلص من ابن رزين، ويفر منه فرار السرور من الحزين^(١).
 وكان ذلك عام سبعين وأربعمائة كما صرح به ابن السيد نفسه في مقدمة
 « المثلث » حيث قال : (وذهب عني في نكبة للسلطان جرت علي ، وانتهب
 معظم ما كان بيدي) .

ولا نعرف شيئاً عن حياة ابن السيد التي قضاها بين فراره من ابن رزين
 ودخوله سرقسطة في أيام المستعين ابن هود^(٢) . فإذا عرفنا أن نكبة السلطان
 التي جرت عليه ، كانت في السبعين وأربعمائة ، وعرفنا كذلك أن المستعين
 تبوأ عرش سرقسطة في سنة ٤٧٨^(٣) ، فمعنى ذلك أن بين فراره من السهلة
 ودخوله سرقسطة ثمانية أعوام ، وهو فراغ كبير لا تملأه كتب التراجم
 والتاريخ ، كما أنه لم يشر إلى ذلك في مؤلفاته التي وصلت إلينا .

(١) أذهار الرياض ٣ - ١٢١ .

(٢) نفس المراجع .

(٣) « أعمال الأعلام » ص ١٧٢ .

وقد كانت سرقسطة عندما دخلها ابن السيد : (هي جنة الدنيا ،
 وفضة الحيا ، ومنتهى الوصف ، وموقف السرور والتقصيف ، ملك نعيم
 البهاشة ، كثير المشاشة ، وملك بهج الفناء ، أرج الأرجاء ، يروق المجلي ،
 ويفوق النجم المعتلي ، وخضرة مناسبة الماء ، منجاة السماء ، ييسم زهرها
 وينساب نهرها ، وتفتح خائلها ، وتتضوع صباها وشمالها ، والحوادث
 لا تعترضها ، والكوارث لا تقترضها ، ونازلها من عرس إلى موسم ، وآملها
 متصل بالأمانى ومتهم ، فزل منها في مثل الخورتنق ، والسدير ،
 وتصرف فيها بين روضة وغدير ، فلم يخف على المستعين احتلاله ، ولم
 تخف لديه خلالة ، فذكره معلما به ومعرفا ، وأحضره منوها له ،
 ومشرفا (١) . وقد مدح المستعين وأشاد بذكره ، فمن ذلك قصيدته التي
 مطلعها (٢) : (الطويل) :

هُمْ سَلَبُونِي حُسْنُ صَبْرِي إِذْ بَانُوا
 بِأَقْمَارِ أَطْوَقِ مَطَالِعُهَا بَانَ

ولعله كان على شيء من سوء الحال عندما وصل إليه ، كما يبدو ذلك
 من قوله في القصيدة نفسها :

تَنَكَّرَتِ الدُّنْيَا لَنَا (٣) بَعْدَ بُعْدِكُمْ
 وَحَقَّتْ بِنَا مِنْ مُعْضِلِ الْخَطْبِ الْوَانُ
 أَنَاخَتْ بِنَا فِي أَرْضِ (شَتَّتْ مَرِيَّةً)
 هَوَاجِسُ ظَنِّ خَانَ وَالظَّنِّ خَوَانُ
 وَشَمْنَا بُرُوقًا لِلْمَوَاعِيدِ أَتَعَبَتْ
 نَوَاطِرُنَا دَهْرًا ، وَلَمْ يَهْمِ مَتَانُ
 فَسَرْنَا ، وَمَا نَلَوِي عَلَى مُتَعَدِّرٍ
 إِذَا وَطَنُ أَفْصَاكَ ، آوَتْكَ أَوْطَانُ

(١) « أزهار الرياض » ١٢١-٣ .

(٢) نفس المرجع .

(٣) ليست (لنا) في الأصل ، ولا يستقيم الوزن بدونها أو بعلها . « العرب

الطور الرابع :

من حياته ، وهو عهد الكهولة ، والشيخوخة ، وعهد التأليف ،
والتدريس . فكان ابن السيد قد قطع صلته بملوك الطوائف ، - أو قل قطع
الله دابرهم وجمع الأمة تحت راية يوسف بن تاشفين - وأعيان الحكومة ،
وأصحاب الرياسة ، وعكف على المطالعة ، والقراءة ، والتأليف ، وجلس
للتدريس ، ولاقرأ اللغة والنحو ببلنسية ، فأقبل إليه الطلاب من كل ناحية
وصوب ، يأخذون عنه النحو واللغة ويقتبسون من فضله ، ومعارفه ، ثم
ينصرفون عنه ، وينتشرون في نواحي البلاد ، فيعلمون ويدرسون ، ليثبوا
معارفه ، وينقلوها إلى الأجيال القادمة .

ونراه لا يذهب إلى شلب بيضته ، ومسقط رأسه ، ولا إلى بظلبوس ،
مدرسته الأولى ، التي بدأ بها حياة الدراسة ، والتحصيل ، وإنما
يختار له مدينة بلنسية فينزل بها . ولعل إعراضه وانصرافه عن هاتين
المدينتين كان لما قد أصابهما من التخلف ، وسوء الحال والحرب ،
بسبب الحروب والفتن ، التي قامت في وجه مملكة بلطوبوس ، وإماراتها ،
تارة على أيدي ملوك أشبيلية من بني عَبَّاد ، وأخرى على أيدي قواد
المرابطين ، وحكامهم ، مما كان قد عطل موكب الحضارة ، وأفسد
النشاط العلمي والأدبي ، بتلك البقاع من الأندلس في ذلك الوقت .

ولاتحدثنا التراجم -بالصرحة- متى تحول ابن السيد عن خدمة الملوك،
وقطع صلته بحياة القصور ، وأغلب الظن أن ذلك كان بعد وفاة المستعين
سنة ٥٠١ هـ^(١) .

فإذا صح أنه فارق سرقسطة بعد وفاة المستعين ، وولى وجهه شطر
بلنسية ، فنزلها ، واستقر بها مكانه ، فعنى ذلك أن هذه المدة كانت
طويلة جداً ، تمتد إلى عشرين سنة كما أنها كانت هامة جداً ، وذلك

(١) أعمال الأعلام ص ١٧٤ .

لأن تلك الحقبة هي أوقات حياته ، وأكثرها فائدة ، وأكبرها نفعا .
لأنها تمثل لنا طوراً خصباً من حياته الأدبية والعلمية ، التي نصب نفسه في
خلالها لإقراء النحو وفيها ألف تواليقه الكثيرة ^(١) .

أما الأسباب التي جعلته ينصرف عن حياة القصور ، وينحول عن
خدمة الملوك والأمراء ، ويقطع صلته بالأعيان والرؤساء ، فأظهرها
وأكبرها أربعة : أولها : أنه جرب ملوك الطوائف واختبرهم ، فلم ير
فيهم خيراً ولا صلاحاً . وشاهد أخلاقهم السيئة ، وطغيانهم على الرعية ،
وجورهم على الضعفاء الأبرياء ، فأبغضهم ونفر عنهم . وثانيها : ماواجهه
من نكبة خطيرة على يد ابن رزين التي ذهبت بمعظم مافي يديه ، وفر منه
فرار الموت أو القتل . وثالثها : الهزات العنيفة التي أصيبت بها الأندلس ،
تركت أثراً بعيداً في قلوب أهلها ، من إشاعة القلق والخوف ، والتوجس
من المستقبل : واتي تزعزع بها بنيان الحضارة ، وأصيب المسلمون بالمكاره
والآلام ، التي تقشعر الجلود عند ذكرها ، وتضطرب الأوصال عند سماعها ،
وتتبادر الدموع عند بيانها . ورابعها : نهاية ملوك الطوائف المشجعين للأدب
والشعر ، وحلول المرابطين محلهم ، الذين لم تكن لهم أية عناية بالأدب
والأدباء ، والشعر والشعراء ، ولقد قال الفتح ابن خاقان وأجاد حيث قال :
(إن ابن السيد لما رأى الأحوال واختلاها ، والأقوال واعتلاها ، وتلك الشمس
قد هوت ، ونجوم الآمال قد خوت ، أضرب عن سواء ، ونكب عن
نجواه ، واغترب بلوعة ابن رزين وجواه ، ونصب نفسه ، لإقراء علوم
النحو وتفنن بتغيم جوه بعد الصحو ^(٢)) .

وفاته :

وقد أجمعت المصادر التاريخية ^(٣) على أن أبا محمد ابن السيد البطلبوسي

(١) مقدمة الانتصار . (٢) القلائد ص ٢٠٢ .

(٣) الصلة ص ٢٨٧ ، وابن خلكان ١-٢٨٧ ، وأزهار الرياض ٣-١٠٢ ، والسيوطي
٢-٥٦ ، ومعجم البلدان ١-٤٤٧ ، والقصص ١-١٣ ، ٣ والشذرات ٣-٦٠ ، واليانبي ٣-٢٢٨ ،
وغاية النهاية ٣-١٨٧٣ ، والكشف ص ١٤١١ ، وهدية العارفين ١-٣٥٤ ، وبروكلمان في
تكملة ١-٧٥٨ ، والأعلام ٤-٢٦٨ .

توفي في منتصف رجب الفرد ، من سنة أحد وعشرين وخمسة من هجرة النبوة ببلنسية ، رحمه الله رحمة واسعة .

ملامح من شخصية الرجل

١ - لوعات الحب والغرام :

إنك قد رأيت فيما سبق من صورة مجملة عن حياة ابن السيد التي إن لم تكن شاقة ، فقد كانت مضطربة ، وخاصة في أطوارها الثلاثة الأولى ، التي لم يزل يتنقل في خلالها من عاصمة إلى أخرى ، ويتصل بملوك الطوائف ، مرة بهذا ، وأخرى بذلك . أما حياته الخاصة فلا نعرف عنها إلا بعض الإشارات الخفية . ويبدو لنا أن الرجل كان قد ابتلى بالحب ، وذاق طعمه ، وأحس حرارته ، وعالج آلامه ، فعبر عن ذلك في شعره .. وهذا الشعر لا يصدر إلا من قلب مُذاب حُبّاً وعطفاً وحناناً^(١) (الطويل) :

خَلِيلِيَّ هَلْ تُقْضَى لُبَانَةُ هَائِمٌ ؟
أَمِ الْوَجْدُ وَالتَّبَرُّعُ ضَرْبَةُ لَازِمٍ .
فَإِنِّي بِمَا أَلْقَى مِنَ الْوَجْدِ مُغْرَمٌ
كَسَالٌ ، وَقَلْبِي بَاتِحٌ مِثْلُ كَانِسِمٍ .
وَلِي عِبْرَاتٌ يَسْتَهْلُ غَمَامُهَا
بِخَدِّي ، إِذَا لَحَتْ بُرُوقُ الْمَبَاسِمِ .
كَفَى حَزَنًا أَنِّي أَذُوبُ صَبَابَةً
وَأَشْكُو النَّدَى أَلْقَى إِلَى غَيْرِ رَاحِمٍ .
وَأَرْتَعُ مِنْ خَدَّيْهِ فِي جَنَّةِ الْمُنَى
وَيُصْلِي قَوَادِي مِنْ هَوَاهُ يَجَاحِمِ .
تَقْضَى الصَّبَا ، وَاللَّهْوُ ، إِلَّا حَشَاشَةً
تَجَدُّدٌ لِي عَهْدَ الصَّبَا الْمُتَقَادِمِ .

(١) أزهار الرياض ٣-١٣٠ .

وهو القائل (١) : (الطويل) :

أَمَا إِنَّهُ كَوَلَا الدُّمُوعُ الْهَوَامِعُ
لَمَّا بَانَ مِنِّي مَا تُجِنُّ الْأَضَالِعُ
وَكَمْ هَتَكَتْ سِنْرَ الْهَوَىٰ أَعْيُنُ الْمَهَا
وَهَاجَتْ لِي الشُّوقُ الدِّيَارُ الْبَلَاغُ
خَلِيلِي مَالِي كُلِّ مَا لَاحَ بَارِقُ
تَلَطَّى الْحَشَا ، وَارْتَفَضَ مِنِّي الْمَدَامِعُ
كَلِّ الْأَقْفَى فِي جَنْبِي بِالْبَرْقِ لَامِعُ ١٢
أَمِ الْمُرْنُ فِي جَفْنِي بِالْوَدْقِ هَامِعُ ١٣
قَضَى الْقَلْبُ مِنْ نَارِ الشُّجُونِ مَصَائِفُ
وَفِي الْخَدِّ مِنْ مَاءِ الشُّوْنِ مَرَايِعُ
وَمَا هَاجَ هَذَا الشُّوقَ إِلَّا مُتَهَفِّفُ
هُوَ السِّدْرُ أَوْ بَدْرُ الدُّجَى مِنْهُ طَالِعُ
إِذَا غَابَ يَوْمًا فَالْقُلُوبُ مَغَارِبُ
وَإِنْ لَاحَ يَوْمًا فَالْحَيُوبُ مَطَالِعُ
يَضْرَجُ خَدِيدُهُ الْحَيَاءُ كَانَمَا
بِخَدِيدِهِ مِنْ قَتْلِكَ النُّجُفُونِ وَقَائِعُ

إلا أننا لا نعرف أيُّ الحاذِر (٢) أخذت بلبه ، وبمن كان قد ابتلي حباً ،
وفي أي مكان وزمان كان ذلك ؟ ونخشى أن يكون هذا الحب هو (الحب
الأفلاطوني) (٣) .

(١) نفس المرجع ١ ص ١١١

(٢) التي يقول لها ابن السيد .

نفسى الفداء بلؤذر حلو القى
في فيه سطا جوهر يروى الظنا
مستحسن بصلوه ، أضنان
لو على ببروده ، أحيان

نفع الطيب ٢-٣٨٤ .

(٣) اضطررنا لاعتبارات لا تخفى إلى حذف ما يتصل بهذا الموضوع ومن أحب التوسع فليرجع
إلى السيوطي ٢-٥٥-٥٦ ونفع الطيب ٢-١٩٥ و ٣١٦-٣١٠ وأزهار الرياض ٢-١٠٢ و ١٢٩
فتنه نقل للكاتب الكريم منها نصوصاً تلقى أضواء على حياة ابن السيد العاطفية « العرب » .

٢ - النحوى اللغوى :

كثيراً ما تذكره المصادر بلقب النحوى^(١) ، وهذا مما لا شك فيه ، فقد كان ابن السيد البطلبوسى رحمه الله إماماً من أئمة النحو واللغة ، وعلماً من أعلام الأدب ، لا في المغرب فحسب ، بل في المشرق أيضاً . وقد تناول بعض أمهات النحو شرحاً . ونقداً ، فمن ذلك كتاب « الجمل » للزجاجى . وشرح أبياته ، وحل لغاته ، ونسبها إلى قائلها ، ووصل بكل بيت منها ما يتصل به ، وأخرج شرحه هذا باسم « كتاب الحلل في شرح أبيات الجمل » وكان قبل ذلك قد نبه على أغلاطه وأخطائه ، وأصلح من خلطه ، وفساده ، وسماه « إصلاح الحلل الواقع في الجمل » .

وله كتاب في « المثلث » قد أتى فيه بالعجائب ، ودلّ على اطلاع عظيم له في هذا الموضوع ، وقد فاق فيه قطرباً من ناحية الصواب وكثرة المواد . .

وحقاً سماه المقرئ^(٢) : (إمام نحاة الأندلس نحوي زمانه وعلامته) . وقد ادعى أبو الوليد الشقندي في رسالته ، التي خاطب بها ابن المعلم الطنجى أن ابن السيد البطلبوسى لا مثال له في الشرق ونص كلامه : (وهل لكم في النحو مثل أبي محمد ابن السيد وتصانيفه ؟ ومثل ابن الطراوة ومثل أبي على الشلوبينى^(٣) . وقد يكون في هذا القول شيء من المبالغة والغلو ، إلا أنه لا يخلو من الحقيقة الواقعية ، فإن الخدمات التي قام بها ابن السيد في ميدان النحو واللغة ، لا يمكن إنكارها أو تجاهلها ، وتصانيفه شاهدة على ذلك مؤيدة له .

٣ - الكاتب الأديب :

وكان ابن السيد كاتباً بليغاً أديباً بارعاً ، وقد وصل إلينا كثير من

(١) نفع الطيب ١١٢-١ وابن خلكان ٢٨٧-١ والشرحات ٦٥-٣ والهاضي ٢٢٨-٢ وهدية المارفين ٤٥٤-١ وكذلك في بداية الخطبة لأكثر مؤلفاته .

(٢) نفع الطيب ١١٢-١ و ٤٦٩-٢ .

(٣) نفس المرجع ١٣٠-٢ .

رسائله ، وكتبه ، مما يعطينا صورة كاملة عن نثره ، مما كتبه في شتى
المناسبات والموضوعات .

ونثره ينقسم إلى قسمين : قسم علمي ، وهو ما نجده في تأليفه العلمية .
والأدبية والدينية . وهذا النوع من النثر ليس فيه تسجيع ولا تقفية ،
إلا ما جاء عفواً ، وفي سهولة ويسر ، كما نرى في « الاقتضاب » و « شرح
سقط الزند » و « الانتصار » وكتاب « الحقائق » في المطالب العالية الفلسفية العويصة ،
و « الطرر على الكامل » وغيرها من مؤلفاته . وقسم أدبي فني ، ونعني به لغة
الرسائل والتوقيعات والرقعات ، التي بعث بها إلى إخوانه وأصدقائه من
الوزراء ، والكتاب والأدباء والشعراء ، واحتفظ ببعضها كتب التراجم
والتاريخ كـ « قلائد العقيان » للفتح ابن خاقان ، و « أزهار الرياض » للمقري ،
و « نفح الطيب » له . وهذا النوع من النثر يلتزم ابن السيد فيه السجع والقافية ،
وينحو فيه نحو ابن العميد وغيره من الكتاب المترسلين من هذا القبيل في
المشرق والمغرب . إلا أنه لا يتكلف السجع ، ولا يكلف نفسه بالصنعة ،
وإنما نراه يميل دائماً إلى القصد في الغلو والتنسيق . ويأتي بجمل مسجعة
متناسقة في أغراض مختلفة متساوقة ، يجد فيها القاري لذة ، وحلاوة ،
وروعة ، وجمالاً ، من اختيار الألفاظ ، وحسن التأليف ، والتركيب .
وهذا النوع من نثره لا يختلف كثيراً عن شعره من ناحية المحاسن اللفظية
والمعنوية ، كالاستعارة والتشبيه والتضمن والتلميح ، وغير ذلك من أنواع الصناعات
والبدائع ، فكأن ابن السيد يقول شعراً في قالب نثري . وكذلك فإن له
قدرة عجيبة في الاستشهاد ببيت الشعر ، وإنشاده في المناسبات : فهو يستعمله
في أكثر الأحيان في كلامه ، ويطبقه ، وينصبه فيه كأنه صنع لهذا الغرض ،
وكان الشاعر قاله على طلب من ابن السيد لغرضه هذا أو ذاك .

نماذج من نثره :

١ - كتب رقعة ، يصف بها « قلائد العقيان في محاسن الأعيان » من
تصانيف الفتح ابن خاقان ، وهذا نصه : - تأملت ، فسخ الله لسيدي ، ووالى
في أمد بقائه ، كتابه الذي شرع في إنشائه ، فرأيت كتاباً سينجد وبغور ،

ويبلغ حيث لا تبلغ البدور ، وتبين به الذرى والمناسم ، وتغتنى له غرر
في أوجه ومواسم ، فقد أجد الله الكلام لكلامك ، وجعل النيرات طوع
أقلامك ، فأنت تهدي بنجومها ، وترمي برجومها ، فالثرة من ترك ،
والشعري من شعرك ، والبلغاء لك معترفون ، وبين يديك متصرفون ، وليس
بباريك مبار ، ولا بجاريك إلى الغاية شجار ، إلا وقف حسيرا ، وسيقت
ودُعي أخيرا ، وتقدمت - لا عدمت - شفوفاً ، ولا برح مكانك بالآمال
محفوفاً ، بعزة الله (١) .

٢ - وكتب إلى الأستاذ أبي الحسن بن الأخضر رحمه الله :

(يا سيدي الأعلى ، وعمادي الأسنى ، وحسنة الزمان الحسنى ، الذي
جل قدره ، وسار مسير الشمس ذكره ، ومن أطال الله بقاءه ، بفضل يعلي
مناره ، وعلم يحيي آثاره ، نحن - أعزك الله - نتداني إخلاصا ، وإن
كنا نقتضى أشخاصا ، ويجمعنا الأدب ، وإن فرقنا النسب ، فالأشكال أقارب ،
والآداب مناسب ، وليس يضر تنائي الأشباح ، إذا تقاربت الأرواح ،
وما مثلنا في هذا الانتظام ، إلا كما قال أبو تمام - رحمه الله : (الطويل)

فيسبي في رأيي وعلمي ومذهببي
وإن باعدتنا في الأصول المناسب

ولو لم يكن لما ترك ذاكر ، ولا لمفاخره ناشر ، إلا ذو الوزارتين
أبو فلان أبقاه الله لقام لك مقام سحبان وائل ، وأغناك عن قول كل قائل ، فإنه
يعد في مضمار ذكره باعاً رحيبا ، ويقوم بفخرك في كل ناد خطيبا ، حتى
تنثني إليه الأحداق ، وتلوى نحوه الأعناق ، فكيف وما يقول إلا بالذي
علمت سعد (٢) ، وما تقرر في النفوس من قبل ومن بعد ، فذكره قد أنجد
وأغار ، ولم يسر فلك حيث سار ، وإن ليل جهل أطلعت فيه فجر تبصيرك ،

(١) أزهار الرياض ١٣٩٠-١٣٩١ والقلائد ص ٢٠٣ .

(٢) من شعر الخطبة : وما قلت إلا بالذي علمت سعد من قصيدته التي مطلعها .

ألا طرقتنا بعدما هجمت هند وقد سرن خسا واتلاب لنا نجد

لجدير بأن يصير نهارا ، وإن نبع فكر قدحته بتذكيرك لجدير أن يعود مرخا وعفارا ، فهنيئا لك الفضل الذي أنت فيه راسخ القدم ، شامخ العلم ، منشور اللواء ، مشهور الذكاء ، ملئت الآداب عمرك ، ولا عدمت الألباب ذكرك ، ورقيت من المراتب أعلاها ، ولقيت من المآرب أقصاها ، بفضل الله ^(١) .

٤ - الشاعر الملق :

كان أبو محمد ابن السيد البطلبوسى ، من الشعراء المعدودين ، المذكورين وهو من شعراء « الذخيرة » و « الخريدة » و « معجم السلفي » ^(٢) . وله شعر يجمع بين سلامة التفكير ، وسلاسة التعبير ، ومعالجة كثير من مسائل الحياة ، ومشاكل البيئة ، والاجتماع وخوارج النفس ، وعواطفها ، ووصف الطبيعة ، ومظاهرها . وقد احتفظت ببعضه كتب التراجم والتاريخ ، كـ « نفع الطيب » للمقرئى ، و « أزهار الرياض » له ، و « قلائد العقيان في محاسن الأعيان » للفتح ابن خاقان ، « والمغرب في حلى المغرب » وغيرها من المصادر التاريخية .

ويمتاز شعره بسلاسة اللفظ واختياره ، وسهولة المعانى وابتكارها . وقد ضمنه من الحكم والأمثال ، والافكار الفلسفية العميقة ، والخيالات الحميلة البديعة ، مع نواذر التشبيه ، وروائع الاستعارة .

وعلى شعره طابع واضح من أثر المعري والمتنبي وأبي تمام وغيرهم من شعراء العصر العباسي ، من هذا الجليل ، الذين تأثر بهم شعراء الأندلس أكثر ما تأثروا به من شعراء العرب في الشرق .

وتراه في بعض الأحيان ، يكلف نفسه بلزوم ما لا يلزم كصاحبه أبي العلاء المعري ^(٣) . وليس ذلك بدعائه ، فإنه قد تصدى لشرح « سقط الزند » ، وديوان المتنبي ، كما أنه عني بدراسة شعرهما وشعر أبي تمام ،

(١) أزهار الرياض ٣-١٤١- ١٤٢ والقلائد ٢٠٥ .

(٢) المغرب في حل المغرب ١-٣٨٥ .

(٣) القلائد ص ٢٠٤ .

وغيرهم من فحول القدماء . إلا أنه لا يحاكيهم ، ولا يحتذيهم إلى حد بعيد ، ليصبح (معرّي الغرب) ، أو غير ذلك ، كما حاول ابن هاني الأندلسي في محاكاة المشاركة ، واحتذائهم وتقليدهم ، وخاصة المتنبي منهم ، حتى حاز لنفسه لقب (متنبّي الغرب) وإنما كان ابن السيد يشعر لنفسه ، ويعبر عن نزوات حسه ، ولم يكن يكلف نفسه في ذلك أكثر من اللازم والضرورة .

وإننا نجد في شعر ابن السيد أجود ما خصت به الطبيعة أهل الأندلس من وصف المناظر ، وشرح العواطف ، وسمو الخيال ، وصفاء الديباجة ، ونراه أحياناً تأتلق نفسه الفياضة ، وينشرح صدره الرحيب ، فتفتح مشاعره الذكية لجمال الطبيعة ، ورونقها ، ولذات الحياة ومتعتها ، وعجائب الكون وغرائبه ، فيصف الخيل والليل ، وقصور الترف ومجالس الطرب والأنس لملوك الطوائف . التي كان يدعى إليها ويحضرها ، ويتمتع بها .

وأما الأغراض الشعرية عند ابن السيد ، فإنها لا تختلف عن شعر شعراء الأندلس في وقته . فقد تناول في شعره من المدح والثناء والوصف ، والحكم ، والأمثال ، والغزل والنسيب ، والإخوانيات ، ونوع آخر من شعره ، يمكن لنا أن نسمّيه (الشعر انديني) وهو ما قاله في التوحيد ، والزهد ، ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومكة المكرمة شرفها الله .

وقد مدح ابن السيد من ملوك الطوائف القادر بالله ابن ذي النون ^(١) ، والأمير الظاهر عبد الرحمن بن عبيد الله بن ذي النون ^(٢) ، والمستعين بالله ابن هود ^(٣) ، وابن رزين صاحب السهلة ^(٤) ، كما أنه مدح من الأعيان ، ذا الوزارتين أبا عيسى ابن لبون ^(٥) ، وذا الوزارتين أبا محمد ابن الفرج ^(٦) .

(١) أزهار الرياض ٣-١٣٥ .

(٢) أزهار الرياض ٣-١٣٥ .

(٣) نفس المرجع ٣-١١٧ والقلائد من ٢٠٨ وابن خلكان ١-٢٨٧ .

(٤) أزهار الرياض ٣-١٢٣ .

(٥) أزهار الرياض ٣-١٢٠ .

(٦) أزهار الرياض ٣-١٤٥ والقلائد من ٢٠٧ .

وقد رى الوزير الأجل أبا عبد الملك عبد العزيز البهنسي ^(١) ، وله شعر في المكاتبات والرسائل ، بعث بها إلى إخوانه وأصدقائه ، في شتى المناسبات ، منهم أبو الحسن راشد بن عريب ^(٢) ، وذو الوزارتين أبو عبد الله محمد بن مسعود بن أبي الحصال ^(٣) ، والأستاذ أبو محمد بن جوشن ^(٤) .

نماذج من شعره :

قال بصف مجلس القادر بالله ابن ذي النون من مجالس أنسه وطربه ^(٥)
(المنسرح) :

يَا مَنْظَرًا إِنْ رَمَقْتُ بَنَهِجَتَهُ
أَذْكَرَنِي حُسْنَ جَنَّةِ الْخُلْدِ
تُرْبَةٌ مِسْكٍ وَجَوْ عُنْبَرَةٍ
وَعَيْمٌ نَدَى وَطُشٍ مَاورِدِ
وَالْمَاءُ كَاللَّازُورْدِ قَدْ نَظَّمَتْ
فِيهِ اللَّالِيُ فَوَاغِرَ الْأَسَدِ
كَأَنَّمَا جَائِلُ الْحُبَابِ بِهِ
يَلْعَبُ فِي حَافِيَّتِهِ بِالنَّرْدِ
تَرَاهُ يُزْهَوُ إِذَا يَحُلُّ بِهِ
الْقَادِرُ زَهْوَ الْكَعَابِ بِالعَقْدِ

وقال بصف فرسا للظافر عبد الرحمن بن ذي النون ^(٦) : (الطويل) :

(١) أزهار الرياض ١٢٥-٣

(٢) نفس المرجع ص ١١٣

(٣) نفس المرجع ص ١٣٣ وتريف القدياء بالمعري ص ٤٤٥ وهو وزير يوسف ابن تاشفين توفي سنة ٥٤٠ هـ .

(٤) نفس المرجع ص ١٣٩ والفلاحة ص : ٢٠٣ .

(٥) أزهار الرياض ١٠٧-٣

(٦) أزهار الرياض ١٠٨-٣

وَأَذْهَمَ مِنْ آلِ الْوَجِيهِ وَلَا حَقَّ
لَهُ اللَّيْلُ لَوْنٌ، وَالصَّبَاحُ حُجُولُ
تَحْيِيرِ مَاءِ الْحُسْنِ فَوْقَ أَدِيمِهِ
فَلَوْلَا التَّهَابُ الْخَضِرُ ظِلٌّ يَسِيلُ
كَأَنَّ هَلَالَ الْفِطْرِ لَاحَ بَوَجهِهِ
فَأَعْيُنُنَا شَوْقًا إِلَيْهِ تَمِيلُ
كَأَنَّ الرِّيحَ الْعَاصِفَاتِ تُقْلَهُ
إِذَا ابْتَلَّ مِنْهُ مُحْزَمٌ وَتَلِيلُ

وله في وصف طول الليل (١) : (الطويل) :

تَرَى لَيْلُنَا شَابَتْ نَوَاصِيهِ كِبَرَةً
كَمَا شَبَتْ ، أُمٌّ فِي الْجَوِّ رَوْضُ بَهَارٍ ؟
كَأَنَّ اللَّيَالِيَّ السَّبْعَ فِي الْأَفْقِ جُمُعَتِ
وَلَا فَضْلَ فِيمَا بَيْنَهَا وَبَنَهَارِ

وقال يرثى الوزير الأجل أبا عبد الملك بن عبد العزيز (٢) : (الطويل) :

فَوَادِي قَرِيحٍ قَدْ جَفَاهُ اضْطِبَارُهُ
وَدَمَعِي أَبَتْ إِلَّا انْسِكَابًا غِزَارُهُ
يُسْرُ الْفَتَى بِالْعَيْشِ وَهُوَ مُبِيدُهُ
وَيَغْتَرُّ بِالدُّنْيَا وَمَا هِيَ دَارُهُ
وَفِي عِبَرِ الْأَيَّامِ لِلْمَرَّةِ وَاعْظُ
إِذَا صَحَّ فِيهَا فِكْرُهُ وَاعْتِبَارُهُ
فَلَا تَحْسَبَنَّ غَافِلَ الدَّهْرِ صَامِتًا
فَافْصَحْ شَيْءَ لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ

(١) أزهار الرياض ١٢٧-٣ .

(٢) أزهار الرياض ١٢٥-٣ .

أَصِيخٌ لِمُنَاجَاةِ الزَّمَانِ فَلِإِنِّهِ
سَبَّغْنِيكَ عَنْ جَهْرِ الْمَقَالِ سِرَارِهِ
أَدَارَ عَلَيَّ الْمَاضِينَ كَأَمَّا فَكُلُّهُمْ
أَبِيحَتْ مَقَانِيهِ وَأَقْسُوتَ دِيَارُهُ
وَوَالَّتْ : أَبَا عَبِيدَ الْمَلِكِ صُرُوفُهُ
وَقَدْ كَانَ دَهْرًا لَا يُبْسَحُ ذِمَارُهُ
فَأَصْبَحَ مَجْفُورًا وَقَدْ كَانَ وَاصِلًا
وَأَمْسَى قَصِيًّا وَهُوَ دَانٍ مَزَارُهُ
وَلَمْ أَنْسَ إِذْ أَوْدَى الْحُمَامُ بِنَفْسِهِ
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا فِعْلُهُ وَأَدَّكَارُهُ
خَوَى الْمَجْدُ مِنْ مِرْوَانَ وَانْهَدَّ طَوْدُهُ
وَجَدَّ بِجَدِّ الْمَكْرَمَاتِ عِثَارُهُ
وَمَا خَلْتُ أَنَّ الصُّبْحَ يُشْرِقُ بَعْدَهُ
لَعِينٍ وَأَنَّ الرُّوضَ يَبْقَى اخْضِرَارُهُ
فَيَا طَوْدَ عِزِّ زَلْزَلِ الْأَرْضِ هَدُّهُ
وَيَذُرُّ عَلَاءَ رَاعِ الْأَنَامِ انْكَدَارُهُ
هَنِيئًا لِلتَّحْدِ ضَمَّ شُلُوكَ أَنْ غَدَا
عَمِيدَ النَّدَى وَالْمَجْدِ فِيهِ قَرَارُهُ
وَلَمْ أَرَ دُرًّا قَطُّ أَصْدَافُهُ الشَّرَى
وَلَا بَدْرَ تَمَّ فِي التُّرَابِ مَغَارُهُ

وله في الغزل (١) : (الطويل) :

أَيَا قَمَرًا فِي وَجْهِهِ نَعِيمٍ
وَبَيْنَ ضُلُوعِي مِنْ هَوَاهُ جَحِيمٍ
إِلَى كَمِّ أَقَاسِي مِنْكَ رَوْعًا وَقَسْوَةً
وَضَرْبًا وَسُقْمًا إِنَّ ذَا لِعَظِيمٍ

(١) نفس المراجع ص ١٢٥

بن صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

بن صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

وَفِيكَ بَعِينُ اللَّهِ يَلْتُمُهَا الْوَرَى
 كَمَا يَلْتُمُ الْيُمْنَى مِنَ الْمَلِكِ لَا ثُمَّ
 وَفِيكَ لِإِبْرَاهِيمَ إِذْ وَطِئَ الشَّرَى
 ضُحَى (٢) قَدِمَ بُرْهَانُهَا مُتَقَادِمُ

وله رحمه الله في الزهد من لزوم مالا يلزم (١) : (الطويل) :

أَمَرْتُ إِلَهِي بِالنِّكَاحِ كُلِّهَا
 وَلَمْ تَرْضَهَا إِلَّا وَأَنْتَ لَهَا أَهْلُ
 فَقُلْتَ : اصْفَحُوا عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْكُمْ
 وَعُودُوا بِحُلْمٍ مِنْكُمْ إِنْ بَدَأَ جَهْلُ
 فَهَلْ لِجَهْلٍ خَافَ صَعْبَ (٣) دُنُوبِهِ
 لَدَيْكَ أَمَانٌ مِنْكَ ، أَوْ جَانِبٌ سَهْلُ ؟

ومن قوله في الزهد والتوحيد والثناء على الله سبحانه وتعالى (٣) : (الطويل) :

إِلَهِي إِنِّي شَاكِرٌ لَكَ حَامِدُ
 وَإِنِّي لَسَاعٍ فِي رِضَاكَ وَجَاهِدُ
 وَأَنْتَ مَهْمَا زَلَّتِ السَّنْعُ بِالْفَتَى
 عَلَى الْعَائِدِ التَّوَابِ بِالْعَفْوِ عَائِدُ
 تَبَاعُدْتَ مَجْدًا وَأَدَّيْتُ نَعْفًا
 وَحُلْمًا فَأَنْتَ الْمَدْنَى الْمُبَاعِدُ
 وَمَالِي عَلَى شَيْءٍ سِوَاكَ مَعُولُ
 إِذَا دَهَمَتْنِي الْمُعْضِلَاتُ الشَّدَائِدُ

(١) أزهار الرياض ٣-١٤٠ والقلائد ص ٢٠٤ .

(٢) لعل صبي تصحيف (حوب) : « العرب » .

(٣) أزهار الرياض ٣-١١٦ والقلائد ص

أَغْيَرَكَ أَذْعَوْ لِي إِلَهًا وَخَالِقَ
 وَقَدْ أَوْضَحَ الْبُرْهَانُ أَنَّكَ وَاحِدٌ ۱؟
 وَكَيْفَ يَضِلُّ الْقَصْدُ ذُو الْعِلْمِ وَالنَّهْيِ
 وَتَهْجَعُ الْهُدَى مَنْ كَانَ نَحْوَكَ قَاصِدُ
 وَهَلْ يُوجَدُ الْمَعْلُولُ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ
 إِذَا صَحَّ فِكْرُ أَوْ رَأَى الرُّشْدَ رَاشِدٌ ۲؟
 وَفِي كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَاكَ دَلَائِلُ
 مِنَ الصُّنْعِ تُنَبِّي أَنَّهُ لَكَ عَابِدُ
 وَكُلُّ وَجُودٍ عَنْ وَجُودِكَ كَائِنُ
 فَوَاجِدُ أَصْنَافِ الْوَرَى لَكَ وَاجِدُ
 وَكَمْ لَكَ فِي خَلْقِ الْوَرَى مِنْ دَلَائِلُ
 يَرَاهَا الْفَتَى فِي نَفْسِهِ وَيُشَاهِدُ

وهو القائل (١) ؛ (الطويل) :

أَخُو الْعِلْمِ حَيٌّ خَالِدٌ بَعْدَ مَوْتِهِ
 وَأَوْصَالُهُ تَحْتَ الثَّرَابِ رَمِيمُ
 وَذُو الْجَهْلِ مَيِّتٌ وَهُوَ مَا شَرَّ عَلَى الثَّرَى
 يُظَنُّ مِنَ الْأَحْيَاءِ وَهُوَ عَدِيمُ

(للبحث صلة)

الدكتور طه حسين

رئيس قسم اللغة العربية بجامعة القاهرة

(١) الصلة من ٢٨٧ وابن خلكان ٢٨٧-١ والسيوطي ٥٥-٢ - ٥٦ ونفع الطيب ١٥٢-٢ وأزهار الرياض ١٠٣-٢ والمكشي والألقاب لقبي ٣١٢-١ .

التهديد البرتغالي لسواحل جزيرة العرب ومصادره وأسسه

الفترة الممتدة من عام ١٤١٥ إلى عام ١٥١٧ من أهم الفترات في تاريخ شبه جزيرة العرب فقد أحاطت بها عواصف هوجاء وتعرضت لتهديدات خطيرة كان من الممكن أن تغير وجه التاريخ الإسلامي في مطلع العصر الحديث .

فقد ضعفت دولة المماليك الجراكسة ، وتمركزت مظاهر هذا الضعف في عهد السلطان الغوري . وكانت دولة المماليك تبسط سيطرتها على البحر الأحمر وتحمي الحرمين وتدافع عن دمار المسلمين ، وتمركز في جدة وتتخذها قاعدة بحرية وبرية ، وكان ضعفها معناه اقتحام البحر الأحمر من بابة الجنوبي .

وكانت القوة الناشئة — قوة الأتراك العثمانيين — توجه جهدها كله إلى الأناضول وشبه جزيرة البلقان ، ثم بدأت تتجه إلى الشرق الإسلامي متحدية النفوذ الصفوي في إيران ، ومناوشة النظام المملوكي عند أطراف الشام ، توطئة للاندفاع نحو مصر ، وتقويض هذا النظام من أساسه ، وترك باب البحر الأحمر مفتوحاً على مصراعيه ، يتدفق منه أي تيار غريب ، قبل أن تتمكن هذه الدولة العثمانية من وراثة نفوذ مصر في هذا الجانب الحيوي من عالم الإسلام ، وكانت جزيرة العرب تمر بفترة انقسام خطيرة وتفتيت للقوى السياسية فيها ، تلك القوى التي كانت من الممكن أن تسهم في حماية البلاد ودفع الخطر عنها .

فقد كان الطاهريون في اليمن أشد مايكونون إنشغالا بالتصدي للطامعين

(*) من أبحاث الندوة العالمية الأولى لدراسة تاريخ الجزيرة .

في العرش خصوصاً في عهد الظافر عامر آخر سلاطين بني طاهر ، كما ازدادت ثورات القبائل ، وتزايدت مطامع القوى الزيدية . حتى أن حب البقاء دفع بعض سلاطين هذه الدولة المتهاوية إلى محالفة أعداء العرب المسلمين استمساكاً لما بقي من رمقهم . وقد اتسم موقف هؤلاء الطاهريين الأواخر بالعداء السافر للبحرية المصرية التي كانت تخوض معركة البقاء مع الخطر البرتغالي .

خلال هذه الفترة التي أشرت إليها ظهر البرتغاليون ، وأفلحوا في الدوران حول رأس الرجاء الصالح ، ودخلوا مياه المحيط الهندي ، وهددوا مراكز تجارة التوابل ، وامتدت أطماعهم إلى الخليج العربي وسواحل بلاد العرب الجنوبية ، وتطاولوا إلى اقتحام البحر الأحمر وتهديد ثغر عدن ، والتشوف إلى الشمال بتهديد ميناء جدة ، حتى إذا أزاحوا النفوذ الإسلامي من هذا البحر أمكنهم أن يعبثوا بمقدسات الإسلام وتراثه الغالي في مهبط الوحي .

وهذه فترة إذن حافلة بالأحداث الجسام التي وقعت فيها ، وهي أشد ماتكون غموضاً رغم أهميتها القصوى . وهي في حاجة إلى مزيد من البحث ، اعتماداً على الدفين من مصادر تاريخ اليمن في هذه الفترة التي لازالت مخطوطة لم تنشر .

لهذا آثرت أن اختار جانباً واحداً من هذه الأحداث العاصفة وهو التهديد البرتغالي لبلاد العرب فأعرض له عرضاً سريعاً ، منبهاً الأذهان إلى ضرورة دراسته من جديد ، دراسة واعية متأنية في ضوء المصادر العربية المخطوطة ، ومشيراً إلى مصادر الدراسة هذه وأهميتها ، والمعلومات الجديدة التي يمكن أن تستنبط منها رغم أن تلميذي الدكتور محمد عبد العال أحمد علي والدكتور عبد العظيم حامد خطاب قد مَسَّ الموضوع مساً رقيقاً ، لأن الأول في الرسالة التي حصل بها على درجة الدكتوراه في الآداب عام ١٩٧٦ تعرض لتاريخ اليمن في المهددين الرسولي والطاهري ، في حين حصل الثاني

على الدكتوراه عام ١٩٧٥ ، وفصل القول من عصر قانصوه الغوري ونهاية الدولة المملوكية في مصر والشام .

عرض سريع لمراحل التهديد البرتغالي اعتماداً على أوثق المصادر العربية :

استتار البندقية بتجارة البحر الأبيض ومصر والشرق الأدنى بالاتفاق مع النظام المملوكي في مصر دفع جنوة إلى أن تلتبس طريقاً آخر مهما كلفها من ثمن ، خصوصاً بعد أن ثارت الحرب بينهما وطردت جنوة من ساحل سوريا واستمر الصراع بينهما في القرن الرابع عشر حتى عقد صلح تورينو عام ١٣٨١ .

فكانت جنوة أولى من حاول الطواف حول ساحل إفريقية في سنة ١٢٩١ ، إذ أبحر أوجولينودي فيفالدو Ugalino di Vivaldo من أهل جنوة بسفينتين ، غير أنهما غرقتا قبالة الساحل الإفريقي ، وقد واصل أهل جنوة جهدهم في اكتشاف بعض أجزاء الساحل الغربي لإفريقية في مواجهة جزر كناريا .

لكنه في نهاية القرن الخامس عشر فقدت جنوة سيادتها بعد أن استولى عليها شارل الثامن ملك فرنسا في سنة ١٤٩٤ .

وقد تبنت البرتغال نفس الفكرة التي راودت أحلام الصليبيين طوال العصور الوسطى ، وأحلام أهل جنوة وهي إعداد أسطول مسيحي في المحيط الهندي لوقف التجارة مع مصر عن طريق عدن .

وقد حدث ذلك في عهد هنري الملاح (١٣٩٩ - ١٤٦٠ م) وقد بارك البابوات هذا الاتجاه ، فجعل البابا مارتن الثاني (١٤١٧ - ١٤٣١) البلاد المكتشفة منحة دائمة للتاج البرتغالي ، كما أرسل البابا نيقولا الخامس ١٤٤٧ - ١٤٥٥ رسالة إلى هنري الملاح يحثه فيها على الاتصال بالممالك المسيحية في الشرق لمحاربة المسلمين .

ثم تمكنت البرتغال في عهد ملكها خوان الأول من الاستيلاء على ميناء
سبته في سنة ٨١٨ هـ / ١٤١٥ وأقطعها لابنه الأمير هنري الملاح .

وقد استخدم البرتغاليون كل ميراث العرب من العلم من معرفة
بالمرشدات الملاحية والخرائط البحرية بفضل ما كان لهم من نشاط ملاحى
في المحيط الهندي وجزر الملايو وبحار الصين ، فضلا عن البوصلة والاسطرلاب ،
وأفادوا من كتابات الإدريسي وابن بطوطة وغيرهم .

وسعى وراء الحصول على الخبرة العربية بأي ثمن استخدموا التجار
اليهود الذين لجأوا إلى البرتغال وكانوا على معرفة باللغة العربية ، وتظاهروا
بالإسلام وتوافدوا على مصر وكان على رأسهم الفونسودى بايفا : Al Fonso Paiva
وبرودى كوفيلهام Perode Covilham وقد أبحروا من السويس إلى
عدن ثم الهند ، ثم اتجهوا مرة أخرى إلى هرمز وزيلع ، وقد حصلوا على
خرائط عربية عن المحيط الهندي والتيارات البحرية والرياح الموسمية ،
ثم وضعوا ذلك كله في يد البرتغاليين المتشوقين إلى الشرق .

وقد سلك البرتغاليون مراحل عدة تحقيقاً لأهدافهم نوجزها فيما يلي :
تمكن بارثليميودياز من اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح في
سنة ٨٩٢ هـ / ١٤٨٧ ، لكنه قطع الرحلة بسبب تمرد البحارة . وفي هذه
الفترة استفاد البرتغاليون من الملاحين العرب ومالديهم من معرفة بالمحيط
الهندي ، خصوصاً الملاح العربي أحمد بن ماجد (الشبلي)^(١) : السناء الباهر
٨٧ ،) ويصف النهروالي في كتابه «البرق اليماني» الدوران حول إفريقيا
بقوله : (إن وصولهم إليها بعد عدة محاولات كان الفشل فيها من نصيبهم ،
غير أنهم استعانوا ببهار عربي يقال له أحمد بن ماجد أرشدهم إلى الطريق
الصحيح للهند ، بأن أمير البحر البرتغالي أسكره ثم سألته عن طريق البحر
فقال لهم : لا تقربوا الساحل وأوغلوا في البحر فإن الأمواج لا تأتي لكم) .
ثم تمكن فاسكودا جاما في سنة ٩٠٣ هـ / ١٤٩٧ في عهد ملك البرتغال
دوم مانويل (٩٠١-٩٢٨ / ١٥٢١) من الوصول إلى موزمبيق ثم أبحر

(١) كذا والصواب : الشبلي ، وكتابه « السناء الباهر » لا يزال مخطوطاً « العرب » .

إلى ممباسا والندي، ثم اتجه شرقاً مع الرياح الموسمية فوصل بعد ثلاثة وعشرين يوماً إلى قاليقوت^(١). ثم كانت حملة بدور الفاريز كابرال الذي أفلح في إقامة مركز برتغالي في قاليقوت^(١) ٩٠٧ / ١٥٠١ .

التهديد البرتغالي لبلاد العرب :

وضح هذا التهديد سافراً عندما جاء كابرال إلى أمير قاليقوت^(١) برسالة يحرم فيها على العرب الإقامة داخل حدود مملكته ، ويعرض عليه شراء ما يبيعه للعرب بثمان أفضل (زين الدين : « تحفة المجاهدين في بعض أحوال البرتغاليين » - لشبونة ١٨٩٨ ص ٣٧)

ثم أسفر البرتغاليون عن وجههم تماماً في عام ٩٠٧ هـ / ١٥٠١ حين أغرق الأسطول البرتغالي في ميناء قاليقوت سفن التجار المصريين ، ومنها سفينة تابعة للسلطان الغوري كانت على وشك الإبحار إلى جدة ، وكانت حملة بالتوابل ، وترتب على ذلك قلة البضائع الهندية الواصلة إلى مصر والشام ، حتى أن سفن البندقية لم تستطع أن تحمل في العام التالي ٩٠٨ / ١٥٠٢ من موافق مصر والشام سوى نصف القدر الذي تعودت أن تحمله من قبل .

ثم غدت الأطماع البرتغالية أشدّ ضراوة عندما ولي فاسكودا جاما نائباً للملك وحاكماً لكلوه في شرق إفريقيا ، فقد بدأت المواجهة الصريحة بين البرتغاليين على سواحل الهند . وكان عليه امتثالاً لأمر حكومته أن يغلق البحر الأحمر والخليج العربي لمنع وصول تجارة الشرق إلى مصر ، وضمان ألاّ تصل السفن المصرية إلى الهند حتى تتمكن البحرية البرتغالية من إحكام قبضتها على تجارة الهند .

وفي سنة ٩١٠ / ١٥٠٤ تعرض أسطول المماليك لهزيمة قاسية ، وأعقب ذلك مهاجمة جاما هرمز واستيلائه على سبع سفن عربية وقتل من بها ، وترك بعض سفنه بالقرب من باب المندب لإغلاق البحر الأحمر ، ومنع وصول السفن إليه أو خروجها منه ، كما ترك بعض السفن أيضاً عند جزر

(١) كذا بصورتين وبعضهم يكتبها بالكاف (كاليكوت) .

كوريا موريا للقيام بأعمال القرصنة ثم مضى التخطيط البرتغالي خطوات أبعد عندما تولى فرانسيسكو دا الميدا منصب نائب الملك في الهند سنة ١٥١١/ ١٥٠٥ وصدرت له الأوامر بأن يتم استكشاف الساحل الهندي وأن يوطد الإدارة البرتغالية في كلوة ، وأن يحكم السيطرة على المحيط الهندي ، وأن يحول دون تسرب تجارة التوابل إلى البحر الأحمر . وقد أبحر من البرتغال في ٢٣ مارس ١٥٠٥ على رأس أسطول عظيم واصطحب معه عدداً من الجنوئين والبنادقة والألمان ، وكان ماجلان بين ضباطه .

وفي طريقه إلى الهند عمل على تدعيم القواعد البرتغالية في شرق إفريقيا فأنشأ في أغسطس ١٥٠٥ قلعتين في ممباسا وحرص ملك البرتغال على شد أزر دالميدا فعززه بحملة بحرية أخرى أبحرت من البرتغال في إبريل ١٥٠٦ ومن ثم أخذ دالميدا يقطع الطريق على السفن العربية ، وأجبر السفن التي تعبر المحيط الهندي على ضرورة الحصول على تصريح بالمرور في هذه المياه ، وفرضوا الرسوم العالية وصادروا كل سفينة لا تحمل هذا التصريح ، وبذلك تمت السيادة البرتغالية في المحيط الهندي وأضحت التجارة الهندية مورداً رئيسياً للدولة .

ولم يقتصر على احتكار التجارة إنما عملوا على غزو المسلمين في أعالي البحار ودخلت سفنهم إلى البحر الأحمر والخليج العربي دون انتظار للرياح الموسمية لأن السفن البرتغالية كانت أكثر استعداداً لعبور المحيط والتوغل في المياه البعيدة .

بل اضطرت تجار عدن إلى شراء مايلزمهم من متاجر شرقية منهم ، وباتت الأمور وكأنما قد استقرت لهم في شواطئ الهند وعلى المداخل العربية (زين الدين : « تحفة المجاهدين » ص ٤٠) .

وقد استولى داكونها سنة ١٥٠٦ على جزيرة سقطرة الواقعة إلى الجنوب للشرقي من عدن والتي تتحكم في الطريق البحري المؤدي إلى البحر الأحمر ، واتخذت الجزيرة قاعدة لشن الغارات البحرية على سواحل حضرموت وعمان وهرمز .

محاولة البوكمرك الاستيلاء على عدن والسيطرة على البحر الأحمر :

ثم وقع النزاع بين السلطان عامر بن عبد الوهاب الطاهري وبين القوى البحرية المصرية التي أرست في جزيرة كمران ، ومأعقب ذلك من تدخل الحملة المصرية في شؤون اليمن وانصرافها عن المضى في تحقيق مآذله مصر من جهود لحماية الهند والبحار العربية من التدخل البرتغالي ، وما انتهى إليه الأمر من مهاجمة مدينة زبيد والاستيلاء عليها ونهبها واستيلائها على المدن الساحلية ، وامتلأت بلاد اليمن بالفتن والمذابح (الدَيْبِيع : « بغية المستفيد » ورقة ٥٥ أ - ٥٥ ب) .

وكان البرتغاليون يرقبون باهتمام هذا الصراع بين القوى الإسلامية ، فلما رفع الحصار المصري عن عدن وعاد الأسطول المصري إلى جدة قام البرتغاليون في سنة ٩٢٣ / ١٥٠٧ بمظاهرة بحرية فحشدوا ستة وثلاثين مركباً بقيادة الأدميرال لوبو سواريز دي البرجاريا Lopo Soares de albergoria وبعثوا بها إلى عدن فلما وصلت عدن أعلن البرتغاليون مساعدتهم لشعب عدن ضد المصريين ، بل أقدم الأمير مرجان الظافري على الاحتفاء بمقدم العدو وأجابههم إلى ماطلبوه من رباينة عرب للمشاركة في غزو جدة . واقترب الأسطول من جدة لكنهم وجدوا الأسطول المصري في الميناء ، فعادوا من حيث أتوا على أن البرتغاليين خشية رد الفعل المصري لم يحققوا أهدافهم العدوانية وأخلت حملة سواريز جزيرة كمران بعد أن خربت ميناء زبيد .

رد الفعل المصري في مواجهة الخطر البرتغالي :

أدرك جميع الذين تعرضوا لهذا العدوان مكانة مصر التي صدت العدوان الصليبي وسيطر أسطولها على البحر الأحمر كله شرقه وغربه من ميناء جدة إلى عدن ، بل حتي باضع وزيلع ومواكن ، فقد كان العثمانيون في مرحلة

الاتجاه إلى الشرق وكانت الدولة الصفوية مشغولة بنزاعها العقيدى ، ولم تكن تملك أسطولا في الخليج يدفع القوى الأجنبية .

ومنذ أن فطن أمير قاليقوت إلى أطماع كابرال اتجه إلى السلطان الغوري طلباً للمساعدة ، وقد أشار ابن إياس والنهروالى إلى مقام به ملوك الهند من إرسال الرسل إلى السلطان الغوري لإغاثة المسلمين من عبث البرتغاليين ، ونهبهم أموال الناس (ابن إياس ٤ / ١٩٨) ، إذ بالغوا في إيذاء المسلمين والاستهزاء بهم ، ويشير زين الدين في « تحفة المجاهدين » إلى أن البرتغاليين امتنوا المصاحف وداسوها بأقدامهم وأحرقوها وحاولوا تنصير بعض المسلمين ، وإغرائهم بالمال والنساء وقتلوا الحجاج ، أو باعوهم عبيداً نساء وأطفالاً ، ولم يأنفوا من قتل العلماء .

وتوالى كتب ملوك الهند في ربيع الأول ٩١٦هـ / ١٥١٠ ، كما وصلت كتب من السلطان عامر بن عبد الوهاب صاحب اليمن بطلب إمداده بالآلات والمدافع للوقوف في وجه البرتغاليين ، وقد أرسل الغوري الطواشي بشير (ابن إياس ج ٤ - ١٨٢) إلى سلاطين الهند وملوكها في كحجرات وقاليقوت لتجميع القوى .

ولم يكن اهتمام الممالك بهذا العدوان الخطير تحذوه نزعة إسلامية فحسب أو مجرد رغبة في الجهاد دفاعاً عن تجارة الهند الداوقة إلى البحر الأحمر ، وما كانت تحصل عليه الدولة المملوكية من أرباح طائلة من تجارة التوابل ، وقد فرض السلاطين في الدولة المملوكية الضرائب على التجارة الآسيوية المارة في أراضي الدولة ، بل فرضوا نظاماً احتكاريّاً قاسياً حتى أصبحت للتوابل تباع للتجار الأوربيين في الإسكندرية ودمياط بسعر يفوق أربعين مرة ثمنها المستورد .

ووضح الخطر في عام ٩٠٧ / ١٥٠١ ، حين أغرق الأسطول البرتغالي بعض سفن التجار المصريين ومن بينها سفينة تابعة للسلطان الغوري ، كانت على وشك الإبحار لجلدة وكانت محملة بالبهار ، ثم تهادى العدوان البرتغالي

إلى أن بلغ ماذكرناه من إغلاق البحر الأحمر في وجه تجار الهند بل تهديد بلاد العرب نفسها (زين الدين : « تحفة المجاهدين » ص ٤) .

مظاهر الاستعداد المملوكي لخوض المعركة :

حرص المماليك على صد أي عدوان قد يتعرض له ميناء جدة ، فقرروا بناء استحكامات عسكرية في المدينة لحمايتها من الهجوم ، ووضعت قوات مملوكية في ميناء ينبع حتى لا تدمر قوات معادية .

وقد اجتهد الأمير المملوكي في تحصين المدينة ، فهدم كثيراً من بيوت الناس ، مما يقارب موضع السور لوضع الأساس ، واستخدام عامة الناس في البناء ليتم إنجازها بسرعة ، وضيق على البنائين ، والحجارين ، وتم بناء السور والأبراج في أقل من عام . وكان لهذا السور الحصين بوابتان في الجهة الشرقية وله ستة أبراج ، وتم ذلك في ذي الحجة سنة ٩١٢ / ١٥٠٧ (انظر الوصف في مجلة B.S.O.A.S مجلد ٢١ ج ٢ صفحات ٢٥٥-٢٧٦ - مخطوط « حسن القرى في أودية أم القرى » الورقة ٩٩ أ ، ٩٩ ب) .

وبذل السلطان الغوري جهداً كبيراً في الحصول على الأخشاب اللازمة والخبرة الفنية الكافية في شؤون الملاحة ، وحصل من البندقية على كميات من الأخشاب ، وقامت (ترسانة) السويس والروضة وبولاق والجزيرة الوسطى بإعداد السفن .

ولما تم إعداد الأسطول وعين السلطان الغوري الأمير حسين الكردي قائداً للحملة وخرجت تلك الحملة في سنة ٩١١ / ١٥٠٥ واشترك فيها عدد كبير من المماليك السلطانية وعدد من أولاد الناس (أبناء المماليك) الذين يجيدون استخدام الأسلحة النارية كما انضم إلى هذه الحملة عدد من المغاربة الذين لهم خبرة في القتال البحري واستخدام المدافع .

وانتهت هذه الحملة المكونة من خمسين سفينة إلى ميناء جدة (ابن إياس : « بدائع الزهور » ج ٤ ص ٩٦ - النهروالي : « البرق الجاني » ص ١٠ -

بحي بن الحسين : « غاية الأمان في أخبار القطر الباني » ج ٢ ص ٦٣١ ،
مرعي حماد : « نزهة الناظرين » ص ١٦١ ، ولم يبحر الأمير حسن الكردي
من جدة إلا بعد استعداداته العسكرية وقد استعان بالأموال التي تم تحصيلها
من جدة من رسوم تجارية لتقوية الحملة وإمدادها بالأموال اللازمة .

وفي شهر ذي الحجة سنة ٩١٢ / ١٥٠٧ ، أفلح الأسطول المملوكي
متجهاً إلى عدن فوصلها في ٩١٣ / ١٥٠٧ (يحيى بن الحسين : « أنباء
الزمن » ص ١٣ ، « الديبع : بغية المستفيد » ٤٣ ب ، « تاريخ ثغر عدن »
ج ١ ص ٨٥) .

ثم خرجت الحملة في يناير سنة ١٥٠٨ إلى الهند وأرسى الأسطول عند
ساحل كجرات واتحدت أساطيل المسلمين بزعامة الأمير حسين الكردي ،
وباغت الأسطول البرتغالي قرب شول : وقد أفاض مؤرخو اليمن في تفاصيل
الحملة المصرية ، ودارت معركة شول في ربيع الثاني ٩١٤ / يوليو ١٥٠٩
ودمر الأسطول البرتغالي وكان يقوده لورنزودا الميدا ، وانتصر الأسطول
المتحالف نصراً بيباً ، ويفيض ابن إلياس في وصف الغنائم الكبيرة التي
حصل عليها في معركة ديو ٩١٤ / ١٥٠٩ ، ويفيض زين الدين في
« تحفة المجاهدين » ص ٤١ في تفاصيل هذه المعركة ويذكر أن الأسطول
البرتغالي قام بمفاجأة الأسطول المصري من الخلف وحدثت معركة بحرية
انتصر فيها البرتغاليون وقتلوا الكثيرين من بحارة حسن الكردي .

ويشتم زين الدين « تحفة المجاهدين » ص ٤١ ، رائحة الخيانة التي أدت
إلى هذا المصير إذ تم اتصال سري بين البرتغاليين وبين مالك إلياس نائب
ديو ، بدليل أن البرتغاليين لم يعرضوا لسفنه بسوء ، بل ركزوا الهجوم على
السفن المصرية ، وبما يؤكد خيانة مالك إلياس حاكم ديو أنه سلم للبرتغاليين ،
كل الذين كان الأمير حسن الكردي قد قبض عليهم وحبسهم من البرتغاليين
كما أرسل للأسطول البرتغالي المؤن والذخائر حتى لقد هرب أمير البحر
المصري من ديو لاجئاً لدى سلطان كجرات خشية أن يسلمه أمير ديو
للبرتغاليين . وقد أصابت هذه المذبحة المقاومة المملوكية والإسلامية في

الصميم واستشرى الخطر البرتغالي بعد نصرهم في ديو على النحو الذي بيناه .

لكن هذه الهزيمة لم تكن عزيمة الغوري عن إعادة الكرة مرة أخرى ، وشرع في إنشاء أسطول جديد ، مزود بالوسائل التي تمكنه من الإبحار لمسافات بعيدة .

وأشار ابن إياس « بدائع الزهور » ج ٤ - ٢١٢ إلى ما قام به السلطان الغوري من استعراض ما تم تجهيزه من سفن في صفر ٩١٧ / إبريل ١٥١١ ، كما بالغ الممالك في تحصين جدة أكثر من ذي قبل فتم بناء البرج السابع من أبراج تحصينات السور الواقع في جهة البحر ، بل رحل الأمير حسن إلى الهند يستنصر ملوكها للقيام بجهد مشترك لإيقاف العدو عند حده .

بل استنجد الغوري بالسلطان بايزيد العثماني وناشده المعاونة في إعداد ما يحتاجه مصر من سفن ، وفي شوال سنة ٩١٦ / ١٥١١ وصلت عدة سفن عثمانية تحمل الأخشاب والحديد والبارود والبنادق والمكاحل والمجاذيف والسهام والحبال والمراسي (ابن إياس ج ٤ - ٢٠١) .

وخرجت الحملة متتابعة إلى قاعدة جدة في سنة ٩٢١ / ١٥١٥ ، وتجمعت القوة البحرية كلها في جدة ، وظلت بها طوال شهر رمضان ، ثم أبحرت بعد عيد الفطر في ١١ شوال ٩٢١ / ١٨ نوفمبر ١٥١٥ بقيادة الأمير حسن الكردي يساعده الأمير سليمان العثماني إلى عدن وبلغت جزيرة كمران في ١٧ ذي القعدة من نفس السنة .

وكانت الظروف كلها مهيأة لأن تجدد الحملة كافة التسهيلات في كل الموانئ الإسلامية التي تمر بها .

لكن الحملة انصرفت عن غرضها الأساسي ، وانتهى الأمر إلى صراع مرير بين الجراكسة وبين السلطان اليمني عامر بن عبد الوهاب ، وكان ذلك وصمة عار في تاريخ ذلك الصراع التاريخي العنيف ، والتساؤل الذي يحتاج

إلى إجابة مقنعة بل إلى إعادة بحث واستتضاء هو : هل كانت هذه الكارثة بسبب سوء تصرف قامت به القوات البحرية المصرية في جزيرة كمران وكان الغوري قد أوصى بضرورة ملاطفة أهل اليمن والتودد لهم أم بسبب سوء ظن أو سوء تصرف من جانب المسؤولين في اليمن ؟ هل سُمِّت خيانة أو تآمر ؟ ويبدو مما كتبه يحيى بن الحسين : « أنباء أبناء الزمن » ص ١١٢ ، والدَّبَّيع : « بغية المستفيد » ٤٣ ب ، و « قرّة العيون » ص ١٤٨ . وبأخبره : « تاريخ ثغر عدن » ج ١ / ١١٧ ، أن تعليمات السلطان الغوري إلى قواد البحرية كانت تقضي بالمحافظة على مشاعر الناس والاستئذان عند الدخول إلى الموانئ وشراء ما يلزم من الطعام والمؤن .

على كل حال استناداً إلى أوثق المصادر يمكن أن نبرز الاتجاهات الآتية :

١ - أن خلافاً قد وقع بين الأمير حسن الكردي والريس سلمان العثماني ، وقد أدّى هذا إلى انقسام في الأسطول فتوجه سلمان إلى زيلع ، ومنها إلى جدة في حين عاد الكردي إلى جدة ماراً بالموانيّ اليمنية الواقعة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر (بأخبره : « قلادة النحر » ج ٣ / ١٢٠٢) وعلى هذا النحو لم يمكن الأسطول المصري مواصلة التقدم إلى الهند . لتنفيذ المهمة الأساسية التي خصص لها .

ووضح هذا الموقف الحياتي للريس سلمان العثماني عندما استولى العثمانيون على مصر ، وقضوا على دولة الجراكسة ، فانفرد سلمان بقيادة الأسطول المرابط في جدة ، بعد أن نفذ أوامر السلطان سليم بالقبض على الأمير حسن الكردي ، وإغراقه في البحر الأحمر أمام جدة (النهروالي « الأعلام » ص ١٢٨ - « البرق اليمني » ص ٢٦ - ٢٧ - الطبري « إتحاف فضلاء الزمن » ص ٥٨ ب ، ٥٩ أ) .

٢ - الموقف الحياتي للسلطان اليمني في عدن وزيد ، فقد امتنع السلطان عامر الثاني عن الوفاء بعهده للغوري بتقديم المساعدات إلى الأسطول ورفض

أن يتخذ الأسطول المصري قواعد له في اليمن ، واحتجازه السفن الواردة بالمؤن ومنعها من الوصول إلى الأسطول المصري في كمران .

وهذا الموقف دفع قادة الأسطول إلى تحقيق ما يريدون عن طريق القوة . وأدى ذلك إلى توجيه جزء من القوات المعدة أساساً لمحاربة البرتغاليين للقيام بالسيطرة على بعض الموانئ اليمنية ، ثم تطورت الأمور إلى غزو لليمن لضرب الظاهريين الذين تسببوا في عرقلة الأسطول المصري عن مواصلة القيام بمهمته الأولى .

ولا يخفى أن عدن بموقعها الاستراتيجي نقطة ارتكاز لتأمين الأسطول المصري في المحيط الهندي ، ولم يكن في إمكان قادة الأسطول التوجه إلى الهند دون السيطرة عليها .

٣ - الاتصال بالبرتغاليين والتواطؤ معهم ، إما خوفاً أو خيانة ، خصوصاً تلك الاتصالات المشبوهة بين الأمير مرجان حاكم عدن ، وسواريز قائد الأسطول البرتغالي الأمر الذي دفع الأسطول إلى الوصول إلى سقطرة عام ١٥١٧م وبدأت المحادثات مع الأمير مرجان الذي رحب بالبرتغاليين ، وقدم لهم الضيافة العظيمة ، وطلبوا ربانته يسرون بهم إلى جدة فأجابهم إلى طلبهم ، بل لم يتردد في تلبية جميع مطالبهم حتي لقد عرض عليهم مفتاح المدينة .

وقد غادر سواريز عدن وعبر بأسطوله في ١٧ مارس سنة ١٥١٧م ، ووصل إلى مشارف جدة مع حلول فصل الربيع ، حين تهب الرياح الشمالية ، ولم يستطع الوصول بسبب شدة الرياح وفشل البرتغاليون للمرة الثانية من دخول جدة .

ومن الجدير بالذكر أن هذه الحملة البرتغالية أفلحت إلى جدة في وقت يدعو للريبة . بل وفقاً لتخطيط قد يكون مدبراً لاستغلال ظروف موالية ، فقد كان العثمانيون قد استولوا على مصر ، وقضوا على دولة الجراكسة لولا

أن الأسطول المصري كان رابضاً في جدة بقيادة الرئيس سلمان العثماني ، وكان الجراكسة قد أتموا استحكامات المدينة لتحقيق للعلماء ما أراد .

انظر : يحيى بن الحسين : « غاية الأمان » ص ٦٥٨

زبارة : « أئمة اليمن » ج ١ ص ٣٩١

النهر والي : « الأعلام » ص ١٢٨

الطبري : « إتحاف فضلاء الزمن » ص ٥٨ ب ٩١ . أ

باخرمه : « قلادة النحر » ج ٣ ص ١٢٠

هكذا أسدل الستار على الحقبة التي أشرت إليها باختفاء الجراكسة واستيلاء العثمانيين على مصر ، ثم اليمن ، وتفتت القوى المسيطرة على اليمن وتناحرها ، وإخفاق مشروعات البرتغاليين في البحر الأحمر وتغير موازين القوى في أوروبا بعد فتوحات العثمانيين وانتصارهم على الصفويين ، وإعادة فتح الطريق الدولي المقضي إلى الشرق الأقصى ، واتجاه الأسبان إلى العالم الجديد ، واستهلال العصر الحديث في أوروبا .

مصادر دراسة هذه الحقبة :

المصادر التي يعتمد عليها في دراسة هذه الحقبة الهامة من تاريخ شبه جزيرة العرب قسماً :

١ - ما كتبه المؤرخون في الحجاز واليمن .

٢ - ما كتبه المؤرخون في مصر والشام .

١ - ما كتبه المؤرخون في الحجاز واليمن :

أغلب هذه المصادر لم تزل مخطوطة لم تطبع بعد ، وهي تتحدث عن أحوال اليمن في هذه الفترة ، وانقسام السلطة في البلاد بين الإمام الزيدي في صنعاء ومخالفها ، وبين السلطان الطاهري في زبيد وعدن ولحج وأبين ورداع ، فضلاً عن سلطات أخرى في كوكبان والشرف والطواهر ، وصعدة .

وقد فصلت هذه المصادر موضوع العلاقات بين السلطة في اليمن وبين الجراكسة في مصر ، وعلى الخصوص في فترة العدوان البرتغالي ، وقد تعاونت هذه القوى أول الأمر مع البحرية المملوكية ، وبذلك تمكنت مصر من إنفاذ الحملة البحرية التي انتصرت في شول عند شواطئ مليبار في الهند .

ثم عرضت هذه المصادر بالتفصيل أيضاً للحملة الأخيرة التي اصطدمت بالسلطان الطاهري ، وفصلت القول فيما تم من معارك على أرض اليمن ، وما كان لذلك كله من أثر في إشعال الحرب بين القوات المملوكية وقوات السلطان الطاهري ، وعينت بوجه خاص بأخبار عساكر الجراكسة عندما سقطت مصر والشام في أيدي العثمانيين . ثم هي تعطينا تفاصيل هامة عن أسباب التورط الجركسي في حرب اليمن التي شغلت الدولة المملوكية عن مدافعة الخطر البرتغالي ، الذي ظل جاثماً على المداخل البحرية العربية . كما أن هذه الحملة أفقدت اليمن الثقة في حلفائه المسلمين ، وتصور أهلها أن خطرهم لا يقل عن خطر البرتغاليين ، واندفعوا في فترة هذا الصراع إلى تأييد القوى البرتغالية في حربها ضد المسلمين .

وبينت هذه المصادر كيف أن الفتح العثماني لمصر كان له أسوأ الأثر على جهود مصر لصد العدوان البرتغالي ، وماترتب على ذلك كله من عزل الحملة المملوكية عن مصر فضاعت مكاسبها وتعرض قادتها وجنودها للفناء .

وقد دفعت مصر ثمن هذا الإخلاص في الجهاد ، فقد حرم الغوري في (مرج دابق) من الجند ، الأمر الذي كان كفيلاً بأن يحقق التوازن في هذه المعركة الفاصلة ، وكيف أن الجراكسة احتضروا وهم يشهرون بسيف الجهاد .

من هذه المصادر :

١ - إدريس عماد الدين بن الحسن القرشي (ت . ٨٨٧٢ / ١٤٦٧)

« نزهة الأفكار وروضة الأخبار في ذكر من قام باليمن الميمون من الملوك الكبار والدعاة الأخيار » - جزآن - مخطوط بمكتبة أحد علماء حراز باليمن .

٢ - الأهدل - أبو عبد الرحمن الحسين بن عبد الرحمن بن محمد الحسيني (ت . ٨٨٥ / ١٦٤٠) « تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن » .
مصور بالميكرو فيلم - معهد المخطوطات العربية رقم ٣٠٨٢٠ .

٣ - الجزيري زين الدين عبد القادر بن محمد الحنبلي (

ت ٩٩١ / ١٥٥٤) « دور الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة » (١) . مخطوط بدار الكتب رقم ١٣٧ م

٤ - الجنداري : صفي الدين أحمد بن عبد الله (ت ١٣٣٧ / ١٩١٨)
« الجامع الوجيز في وفيات العلماء أولى التبريز » . مخطوط بمكتبة الجامع الكبير في صنعاء .

٥ - ابن حاتم - بدر الدين محمد « السمط » المغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن » - مخطوط بالمتحف البريطاني (٢) رقم ٢٧٥٤١ - إضافات .

٦ - الخزرجي - أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٨١٢ / ١٤٠٩)
« العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك » مخطوط ببلدية الإسكندرية رقم ٢٦٥ . أ . ب .

٧ - « العقد الفاخر الحسن في طبقات علماء اليمن » مصور بالميكرو فيلم بالجامعة العربية رقم ٣٣٦ .

٨ - ابن داعر ، عبد الله بن صلاح الدين بن داود بن علي - سنة ١٠١٠
« الفتوحات المرادية في الجهات اليمنية » .

(١) قد طبع ، وانظر عنه مجلة « العرب » ص ١٢ صفحة ٢٣١ وما بعدها .

(٢) طبع أيضاً .

مكتبة راغب باشا استانبول - نسخة مصورة بمكتبة جامعة القاهرة
رقم ٢٦٤٢١ ، وأخرى ميكروفيلم بالجامعة العربية رقم ٩٢٣ تاريخ .

٩ - ابن الديبع ، أبو عبد الله عبد الرحمن بن علي الشيباني الشافعي
(ت ٩٤٤ / ١٥٣٧) « بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد » مخطوط بدار
الكتب المصرية رقم ٦٠٧ تاريخ .

١٠ - « الفضل المزيدي على بغية المستفيد » مخطوط بدار الكتب رقم ١٧٠
تاريخ .

١١ - « قرة العيون في أخبار اليمن الميمون » مخطوط بدار الكتب رقم
١٣٥٥ تاريخ^(١) .

١٢ - الرسولي ، السلطان الملك الأشرف إسماعيل ابن الأفضل عباس
(ت ٨٠٣٠ / ١٤٠٠) « فاكهة الزمن ، ومفاكهة أولي الآداب والفن
في أخبار مَنْ مَلَكَ اليمن » مخطوط بدار الكتب رقم ١٤٠٩ تاريخ تيمور

١٣ - الرسولي ، السلطان الملك الأفضل عباس ابن المجاهد علي بن داود
(ت ٧٧٨ / ١٣٧٦) : « العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب
اليمنية » مخطوط دار الكتب رقم ٣٥١ تاريخ .

١٤ - « نزهة العيون في تاريخ طوائف القرون » مخطوط دار الكتب
رقم ٣٥١ تاريخ .

١٥ - الرشيد أحمد : « حُسن الصفا والابتهاج بذكر من وُلِّيَ إمارة
الحاج » مخطوط بدار الكتب رقم ٥٨٧ تاريخ .

١٦ - الشبلي^(٢) اليمني - جمال الدين محمد بن أبي بكر الحسيني
(ت ١٠٩٣ / ١٦٨٢) « السناء الباهر بتكميل النور السافر في أخبار
القرن العاشر » مخطوط دار الكتب رقم ٢٠٣٣ تاريخ .

١٧ - الشرفي ، أحمد بن محمد بن صلاح (ت ١٠٥٥ / ١٦٤٥)

(١) طبع بمصر سنة ١٣٩٧ - ١٩٧٧ م بتحقيق الأستاذ الشيخ محمد بن علي الأكرح .

(٢) هو الشبلي .

اللاّلى المعنية (٩) في أخبار أئمة الزيدية ، ٣ أجزاء مخطوطة بمكتبة الجامع
الكبير بصنعاء برقم ١٠٧ / ٩

١٨ - الطبري محمد بن علي بن فضل (ت ق . ١٢ هـ) ، إتحاف فضلاء
الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن ، ميكرو فيلم بالجامعة العربية ٣٤٤٣ .

١٩ - الطبري علي بن محي الدين - عبد القادر (ت . ١٠٧٠ / ١٦٦٠)
كتاب « الأرج المسكي في التاريخ المكي » مخطوط بدار الكتب رقم ٢٢٠٥
وتاريخ تيمور .

٢٠ - العامري ، أبو زكريا يحيى بن أبي بكر الحرصي (ت . ٨٩٣ /
١٤٨٨) ، « غربال الزمان في وفيات الأعيان » مخطوط بمكتبة الجامع الكبير
بصنعاء .

٢١ - ابن عبد المجيد ، تاج الدين عبد الباقي القرشي (ت . ٧٤٣ /
١٣٤٢) ، « بهجة الزمن في تاريخ اليمن » - (١) مخطوط بالمكتبة الأهلية
بباريس رقم ٥٩٧٧ عربي .

٢٢ - العصامي ، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك (ت . ١١١١ /
١٦٩٩) ، « سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي » - ٥ أجزاء -
مخطوط (٢) بدار الكتب رقم ٥٦٦٤ تاريخ .

٢٣ - عيسى بن لطف الله بن المطهر (١٠٤٨ / ١٦٣٨) « روح الروح
فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح » مخطوط بدار الكتب رقم ١١
تاريخ . م .

٢٤ - القاسمي : تقي الدين أبي الطيب محمد بن أحمد بن علي الحسني
(ت . ٨٣٢ / ١٤٢٩) « تحفة الكرام بأخبار البلد الحرام » مخطوط دار
الكتب المصرية رقم ٣٨١٣ . ج .

(١) طبع في مصر قبل بضع سنوات .

(٢) طبع في مصر قبل بضع سنوات .

٢٥ - ابن فهد ، عمر بن محمد نجم الدين (ت . ٨٨٥) « إتحاف الوری
بأخبار أم القرى » المكتبة التيمورية رقم ٢٢٥٤ تاريخ .

٢٦ - ابن فهد ، عبد العزيز بن عمر بن محمد أبو الخير (ت . ٩٢٠ هـ)
« بلوغ القرى لذیل إتحاف الوری » .

٢٧ - ابن القاسم صارم الدين إبراهيم بن القاسم ابن المؤيد (النصف
الأول من القرن ١٢ هـ) « طبقات العلماء الزيدية » مخطوط بمكتبة الجامع
الكبير بصنعاء .

٢٨ - الكبسي ، محمد بدر إسماعيل بن محمد بن يحيى (ت . ١٣٠٨ /
١٨٩٠) « اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية » مخطوط دار الكتب
المصرية ٤١٦٣ تاريخ .

٢٩ - باخرمة ، أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد
(ت . ٩٤٧ / ١٥٤٠) « قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر » ٣ أجزاء -
مخطوط بني جامع بالإستانة رقم ٨٨ مصور بدار الكتب برقم ١٦٧ تاريخ .
٣٠ - « تاريخ ثغر عدن » - المكتبة التيمورية ٢٢٦٠ . تاريخ .

٣١ - ابن مظفر محمد بن أحمد بن يحيى (ت . ٩٢٥ / ١٥١٩)
« كتاب الترجمان المفتوح لثمرات كرائم البستان » مخطوط بمكتبة القاضي
حسين بن أحمد السياغي من علماء صنعاء .

٣٢ - ابن المطهر عيسى بن لطف الله شرف الدين (ت . ١٠٤٨ هـ)
« روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح » المكتبة التيمورية
٧٣٢ تاريخ (١) .

٣٣ - يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد (ت . ١١٠٥ / ١٦٩٣)
« أنباء الزمن في تاريخ اليمن » مخطوط بدار الكتب رقم ١٧٤٧ تاريخ .

(١) نقدم برقم (٢٣) ولكن هذه مخطوطة ثانية .

٣٤ - محمد عبد العال أحمد علي « اليمن فيما بين نهاية الدولة الأيوبية والفتح العثماني » رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامى ١٩٧٦ (لم تنشر) .

٢ - ما كتبه المؤرخون في مصر :

سوف نعى بالمصادر التي ماتزال مخطوطة ولم تنشر بعد ، والتي أوضحت مابذله السلطان الغوري في سبيل استقرار الحكم في عهده بعد فترة من القلق والتي أبرزت الأحداث التي أدت إلى المواجهة البرتغالية من ناحية والمواجهة مع الدولة العثمانية .

ولابد من أن ننوه بالمؤرخ المصرى ابن إياس الذي عني بتدوين أحداث مصر وسرد أخبارها في عصر قايتباي والغوري وطومان باي ، وصور في صدق وإخلاص مابذله الغوري في الدفاع عن البلاد ، وأبرز الاستعدادات الهائلة التي قام بها ذلك السلطان في مواجهة الخطر البرتغالي ، والدفاع عن الحرمين الشريفين ، والحفاظ على السيادة المصرية في البحر الأحمر .

لكن هناك كتب أخرى مخطوطة نذكر منها مايلي :

١ - ابن حجر : أحمد العسقلاني (ت . ٨٥٢) « إنباء الغمر بأنباء العمر » دار الكتب المصرية ٢٤٧٦ تاريخ .

٢ - الخالدي ، محمد بن لطف الله بن عبد الله العمري بهاء الدين (ت . ٩٢٧) « المقصد الرفيع المنشأ الهادي لديوان الإنشاء » جامعة القاهرة ٢٤٠٤٥

٣ - أبو السرور البكري ، محمد بن محمد الصديقي (ت . ٢١٠٦٠) « الروضة الزهية في أخبار مصر والقاهرة المعزية » المكتبة التيمورية ٢٤٠٧ تاريخ .

٤ - الكواكب السائرة في أخبار مصر والقاهرة ، المكتبة التيمورية رقم ٢١١٢ تاريخ .

٥ - محمد بن محمد بن أبي السرور (ت . ١٠٨٧) « المنح الرحمانية في الدولة العثمانية » دار الكتب المصرية ١٩٢٦ تاريخ .

٦ - « الروضة المأنوسة في أخبار مصر المحروسة » دار الكتب رقم ٥٢٧٧ تاريخ .

٧ - الشماع ، عمر بن أحمد بن علي الحلبي الشافعي زين الدين أبو جعفر (ت . ٩٣٦) « عيون الأخبار فيما حدث لجامعه من الأسفار » دار الكتب ١٦٣٦ تاريخ .

٨ - السعدي ، محمد البرلسي (من علماء القرن ١١) « بلوغ الأرب برفع الطلب » مكتبة عارف حكمت رقم ٨١ تاريخ .

٩ - ابن طولون ، محمد بن علي الصالحى الدمشقي (ت . ٩٥٣) « ذخائر العصر بتراجم نبلاء العصر » المكتبة التيمورية ١٤٢٢ تاريخ .

١٠ - ابن الطولوني : حسن بن حسين بن أحمد الحنفي (ت . ٩٠٩) « الزهرة السنية في أخبار الخلفاء والملوك المصرية » دار الكتب رقم ١٢٨ تاريخ .

١١ - العصامي ، عبد الملك بن حسين بن عبد الله الشافعي المكي (ت . ١١١١) « سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي » دار الكتب رقم ٥٣ تاريخ^(١) .

١٢ - الغزي - نجم الدين محمد بن رضي الدين (ت . ١٠٦١) « الكواكب السائرة بمناب أعين المائة العاشرة »^(٢) المكتبة التيمورية ١٤١٩ تاريخ .

١٣ - مرعي بن يوسف ، ابن أبي بكر بن أحمد المقدسي الحنبلي زين الدين (ت . ١٠٣٣) « زهرة الناظرين في تاريخ من ولي مصر من الخلفاء والسلاطين » دار الكتب المصرية ٢٠٧٦ تاريخ .

١٤ - عبد العظيم حامد خطاب : « قانصوه الغوري ونهاية الدولة المملوكية » دكتوراه في التاريخ الإسلامي ١٩٧٥ (لم تنشر)

دكتور حسن أحمد محمود

(١) تقدم ذكره (٢) مطبوع في بيروت منذ أكثر من عشر سنوات .

مع القراء في أساليبهم وتعليقاتهم

صاحبة وعملية

في عدد رمضان وشوال ١٣٩٦ هـ قرأنا بحثاً شيقاً للأستاذ سعد الجندل عن عماية ، وصاحبة . وقد انتهى الأستاذ إلى أن عماية أو عماتين هما جبلا الحصة (حصاة العليان ، وحصاة آل حويل) .

أما « صاحبة » فقال في تعليقه على أبيات القتال الكلابي :
« ذكر القتال في شعره عماية مقرونة بصاحبة ، وصاحبة هضبة قريبة منها ، لاتزال معروفة بهذا الاسم ، كثيراً ما تذكر في الشعر مع عماية ، وذكر قول امرئ القيس :

من الديار غشينها بسحام فعماتين فهضب ذي أقدام
مصفا الأطيط فصاحتين فغاضر تمشي النعاج بها مع الآرام
ويلاحظ في هذين البيتين أن الشاعر أورد صاحبة بلفظ التثنية وقد أشار الباحث الكريم إلى صاحبة واحدة : فأين الأخرى ؟ ١٩

يبدو أن صاحبة الثانية هي ما يُسمي اليوم : « صُوحَة » و « صُوحَة » هضبة حمراء مناخمة له « صاحبة » من الجنوب ويُطلق على الاثنين عند أهل تلك المنطقة « صاحبة وصُوحَة » أبدلوا ألف الثانية واواً للتمييز بينها على ما يظهر .

وقد جزم بذلك الشيخ محمد بن بليهد - رحمه الله - في كتابه « صحيح الأخبار » - الجزء الأول ص ٩٧ قال :

(أمّا صاحتان فهما هضبتان حمراوان ، يقال لأحدهما صاحبة وللثانية « صُوحَة » وهما بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، وهما اللتان عنهما امرئ القيس) .

وقال : (وبحفّ بصاحبة وادى الرّكاء من صفته الثمانية فلماذا انقطع جبل

السَّوَادَة فهي في طرفه الجنوبي ، وأما صوَحَة فهي متاخمة لها من جنوب .
هذا وقد أشار البكري إلى أنهما هضبتان ، وذلك فيما رواه عن يعقوب
قال أبو زياد الكلّابي :

صاحَة : هضبتان عظيمتان لهما زيادات وأطراف كثيرة ، وهي من
عمامة تلي مغرب الشمس بينهما فرسخ وأنشد للبعيث :

سلافة إسْفَنْطٍ بِمَاءِ عِمَامَةٍ تَضُمُّهَا مِنْ صَاحَتَيْنِ وَفَيْعٍ
في ١٣٩٧/٦/١٢ محمد بن عبد العزيز الحسين

العرب : شكراً للأخ الكريم . وهاهو نصّ ما كتبه الأستاذ الشيخ
سعد بن جنيدل عن صاحتين في كتابه « عالية نجد » أحد أجزاء « المعجم
الجغرافي للبلاد العربية السعودية » :

صاحَة : أوله صاد مهملة مفتوحة ثم ألف ، بعدها حاء مهملة مفتوحة
ثم هاء ، وكثيراً ما تذكر مثناة فيقال : صاحتان ، تثنية صاحَة ، وهما
هضبتان حمراوان ، كبيرتان متقاربتان ، تقعان في جبال السَّوَادَة ، في
ضفّة وادي الركا الجنوبية ، وهما : جنوبية وشمالية ، ويميزون بينهما ،
فيقولون للجنوبية منهما : صاحَة العبر ، والبعض يقولون : صاحَة الجنوبية
وصاحَة الشمالية ، والجنوبية منهما أكبر من الشمالية ، وفيها ماء ، وهما واقعتان
في بلاد قحطان حيث تلتقي ببلاد الدواسر في هذا العهد . أما قديماً فلإنهما
واقعتان في بلاد قشير أو عُقَيْل .

وصاحتان لهما شهرة في الشعر العربي وفي المعاجم القديمة .

قال أبو علي المجري : وسألت الحفاجي عن صاحَة ، وهو جبل عظيم
أحمر ، فقال : هو بين القمرى - مقصور - وبين ديل العارض ولاديل
غبره ، بلد .

وحدثني شيخ من خفاجة قال : صاحبة جبل أحمر ، علم من الأعلام ،
بن القمرى ودبيل العارض (١) .

قلت : تحديده لصاحبة صائب ، فهي واقعة بين وادي القمرى وبين
نفود دبيل - الدحى في هذا العهد - ووادي القمرى لا يزال معروفا باسمه ،
وصاحبة كذلك . .

وقال البكري : صاحبة بالحاء المهملة ، جبل أحمر بين الركاء والدخول
قال عبيد :

لمن الديار بصاحبة فحروس ؟ كدرت من الإقواء أي دروس
وقال سلامة :

لأسماء إذ تهوى وصالك إنها كذي جعدة من وحش صاحبة مرشقي

وقال يعقوب عن أبي زياد الكلابي : صاحبة هضبتان عظيمتان لهما
زيادات وأطراف ، كثيرة ، وهي من عمارة نلي مغرب الشمس : بينهما
فرسخ ، وأنشد للبعيث :

سلافة إسفنت بماء تنحمة تضمها من صاحبتين وقيع
يعني الهضبتين . وقال ليبد :

وحط وحوش صاحبة من ذراها كأن وعولها رُمك الجمال

قلت : فيما ذكره البكري قال : صاحبة بين الركاء والدخول ، والواقع
أنها ليست بين الركاء والدخول ، فالدخول ، واقعة غرباً منها ، بعيدة منها .

وفما ذكره عن يعقوب عن أبي زياد ، قال : وهي من عمارة نلي مغرب
الشمس ، والواقع خلاف ذلك ، فهي من عمارة نلي مطلع الشمس .

وقال ياقوت : صاحبة اسم جبل أحمر بالركاء والدخول .

(١) ه أبو عل المجري وأبحاثه في تحديد المواضع « ص ٣٣١ .

وقال نصر : صاحبة هضاب حمر لباهلة بقرب عقيق المدينة ، وهي أحد أوديتها الثلاثة ، قال بشر ابن أبي خازم :

ليالى تستيك بنذى غروب كان رصابه وهنأ مدام
وأبلج مشرق الخدين فخم يسن على مراغمه القسام
تعرض جابة المدرى خنول بصاحه في أسرتها السلام
وصاحبها غصيفض الطرف أحوى يצוע فؤادها منه بغام

قلت : ذكر ياقوت أن صاحبة جبل بالركاء والدخول . فقوله في الركاء صحيح ، أما ذكر الدخول فإنه غير صائب .

وقال عن نصر : صاحبة هضاب حمر لباهلة بقرب عقيق المدينة ، وهذا التحديد بعيد عن الواقع ، إذ صاحتان لاتزالان معروفتين في عالية نجد ، وليستا في ناحية المدينة . ونقل السيوطي عن ابن السكيت : صاحتان جبلان والأرمضان واديان^(١) .

والواقع أن صاحتين قريبتان من الأرمضين ، والأرمضان لا يزالان معروفين ، (انظر رسم الأرمض) .

وقال محمد بن بليهد : أما صاحتان فهما هضبتان حمرأوان ، يقال لإحدهما صاحبة ، وللثانية صوحة ، وهما بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، وبحف بصاحه وادي الركاء من ضفته اليمانية فإذا انقطع جبل السوادة فهي في طرفه الجنوبي ، مما يلي مطلع الشمس ، وتقع من ماء الأرمض المعروف في بطن الركاء في جهته الجنوبية الشرقية بينها أقل من مسافة ثلث يوم ، وهي من طرف السوادة كذلك ، وأما صوحة فهي متاخمة لها من جنوب^(٢)

قلت : ذكر أن إحدى صاحتين تسمى صوحة ، بقلب الألف واوا ، ولم أسمع من يقول ذلك من أهل تلك الناحية ، وقال : إن ماء الأرمض

(١) « المزهر » ٢-١٧٨ .

(٢) صحيح الأخبار ١-٩٧ .

في بطن الركا ، والواقع أنه لا يقع في بطن الركا ، بل هو في وادٍ يسمى
الأمضى ، ينحدر من جبال موزر ، في ناحية السوادة ، وينتهي سيله
في الركا .

ويقول ابن مقبل في صاحبة :

مَشْبُوبٌ كَانَ قَرَا ظَهْرَهُ مِنْ الزَّيْتِ بَعْدَ دِهَانِ دُهْنِ
مَرَابِعُهُ الْحُمْرُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَمُصْطَفَاهُ فِي الْوُعُولِ الْحَزْنِ

وقال لبيد بن ربيعة :

فَأَيُّ أَوَانٍ لَانْجَشِي مَنِيَّتِي بِقَصْدٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ لَا تُتَعَجَّبْ
قَلَسْتُ بِرَكْنٍ مِنْ أَبَانٍ وَصَاحِبَةٍ وَلَا الْخَالِدَاتِ مِنْ سُجَاجٍ وَغَرَبِ

وقال أيضاً :

فَحَادَ رَهْوَاً إِلَى مَدَاخِلِ قَالِصُودٍ رَءَا أَمْسَتْ رِنَاجُهُ عُصَبَا
فَحَدَّرَ الْعُصْمَ مِنْ عَمَايَةِ لَسَةٍ هَلَلٍ وَقَصَّى بِصَاحِبَةِ الْأَرْبَا
فَالْمَاءُ يَجْلُو مَتُونَهُنَّ كَمَا يَجْلُو التَّلَامِيذُ لَوْلُؤًا قَشْبَا
لَاقَى الْبَدِيَّ الْكَلَابُ فَاغْتَلَجَا مَوْجَ أَتْبِيهِمَا لَمَنْ غَلَبَا
فَدَعَدَا سُرَّةَ الرِّكَامِ كَمَا دَعَدَعَ سَاقِي الْأَعَاجِمِ الْغَرَبَا

وقال امرؤ القيس :

لَمَنْ الدَّيَارِ غَشِيَتْهَا بِسُحَامٍ قَعَمَاتَيْنِ فَهَضْبِ ذِي الْقُدَامِ
قَفَصًا الْأَطْيَاطِ فَصَاحَتَيْنِ قَفَاضِرٍ تَمْشِي التَّعَاجُ بِهَا مَعَ الْآرَامِ

هذه المواضع التي ذكرها امرؤ القيس في هذين البيتين كلها في بلاد
بني حامر ، وبعضها غير بعيد عن بعض .

وقال منيخيس أحد بني المشنَج الليثي :

وَأَنْ تَوْنِسِي بَطْنَ الدَّبِيلِ وَحَائِلٍ وَيَبْدُو لَنَا مِنْ رُكْنٍ صَاحَةِ حَتَارِكِ

الدبيل : بين العارض والريب (١)

وقال الهجرى : أنشدني شيخ بضرية غنوي ، لعبادة بن مجيب
ابن المضرحي بن المصّار بن كعب بن عبد بن أبي بكر بن كلاب ،
وهو القتال المتمزّز بعماية - أي المختبئ .

وَأرسل مروانُ إلى رسالةٍ لآتيهُ ، إني إذَنْ لَمْ تُضَلِّ
وما بيّ عصيانٌ ولا بعدَ مزْحَلٍ ولكنني عن سجنِ مروانِ أَزْحَلُ
وفي صَاحَةِ العنقاءِ أو في عَمَايَةِ أو الأَدَمَى من رهبة الموتِ موثِلُ
ولي صاحبٌ في الفارِ حَدَدُكَ صاحبُ أبو الحوزِ ، إلّا أنه لم يُعَلِّلِ
إذا ما التقينا كان أنسُ حديثنا صماتٌ وطرقُ كالمعابِلِ أَطْحَلُ
كلانا عدوّ لو يرى في عدوه مَهْزَأٌ وكلُّ بالعداوةِ مجملُ
تَضَمَّنْتَ الأروى كُنّا بشوائنا كلانالهُ منها سَدِيفٌ مرعبلُ
ومشربنا قَلْتُ بأَرْضِ مَضَلَّةٍ شريعتهَا لآتيْنَا جاءَ أوْلُ
فأَغْلِبَهُ في صنعةِ الزادِ إِنِّي أُمِيطُ الأذى عنه وما إن يَهْلُلُ

أراد إنني أسمى على الذبيحة ، وهو لا يسمي (٢) .

الأبتر والسبتاء

دفعني إلى الكتابة إليكم تقديم الشكر لكم على ماتقومون به من جهود
عظيمة في سبيل خدمة الحركة العلمية والأدبية في بلادنا وذلك يتمثل في
مؤلفاتكم وفي مجلة « العرب » ، فجزاكم الله خير الجزاء .

وقد قرأت في مجلة « العرب » عن اعتزامكم إصدار معجم جغرافي
يضم قرى البلاد وهجرها ومنازلها وطلبتم من القراء موافاتكم بملاحظاتهم حول
ما ينشر في المجلة من مفردات هذا المعجم وأعلامه .

(٢) نفس المصدر ص ٢٤٢-٢٤٤ .

(١) أبو عل ، الهجرى ٢٢٩

آمل أن أوافيكم بما عندي حول هذا الموضوع . وقرأت في الجزء الخامس والسادس من السنة الحادية عشرة - ١٣٩٦هـ أن المستشرق (موزل) يرى أن عرق الأبيتر الواقع شمال الأجفر هو الأباتر الذي قال عنه البكري : الأباتر موضع من ديار بني أسد قبيل فُلج قال أبو محمد الفقعسي^(١)

رَعَتْ بِذِي السَّبْتَاءِ وَالْأَبَاتِرِ حَيْثُ عَلَا صَوْبُ السَّحَابِ الْمَاطِرِ والصواب أن الأباتر المذكورة في هذا البيت هي كلبان الرمل المعروفة غربي صفراء الوشم ، شرقي نفود السر ، شمالها غراب ، وطرفها الجنوبي يقف قبيل تقاطعه مع طريق شقراء إلى الدَّوادمي المعبَّد .

والدليل على ذلك ذكر « السَّبْتَاءِ » معها في البيت المذكور .

والسبتاء من أرض المروء لاتزال معروفة بهذا الاسم إلى اليوم عند أهل تلك الناحية .

والسبتاء المذكورة محيطة بالأباتر من الغرب مباشرة تفصل بينها وبين نفود السر وفي جنوبي السبتاء عند الطرف الجنوبي الغربي للأباتر تقع آبار السَّلِيم .

وهذا ويلاحظ أن الطريق القديم المتجه من قرى الوشم الشرقية والشمالية إلى بلاد السر ينحدر من صفراء الوشم مغرباً تاركاً أبرق الوعري على يمينه والوعري وادي أشيقر الجنوبي .

وبعد أن يجتاز الطريق أرض الفرغ يلج البراء مع خل فيها يدعي خل للعشر ثم يقطع السبتاء فنفود السر حيث يفضي الطريق إلى قصور ابن سكران وبلدة ساجر .

ومما يدل على أن البراء المذكورة هي الأباتر قديماً قول الراعي :

تركنا رجال العُشْطُوانَ تَنْوِيهِمُ
ضَبَاعُ خُفَافٍ مِنْ وَرَاءِ الْأَبَاتِرِ

(١) : « معجم ما استعجم » رسم أباتر .

بن صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

بن صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

١ - سنة ٧١٣ قال صاحب « المختصر في أحوال البشر » في حوادث سنة ٧١٣ : (فيها اجتمع جماعة من بني لام من عرب الحجاز ، وقصدوا قطع الطريق على سوقة الركب الذين يلاقونهم من البلاد ، إلى تبوك ، عند عود الحاج وساروا إلى ذات حج ، واليتقوا مع السوقة ، فقتل من السوقية تقدير عشرين نفساً وأكثر ، ثم انتصروا على بني لام وهزمهم ، وأخذوا منهم تقدير ثمانين هجيناً ، وعادت بنو لام بخفي حنين) . انتهى .

٢ - سنة ٨٣٨ - ذكر ابن إياس في « بدائع الزهور »^(١) في حوادث ذي الحجة منها أن مبشر الحاج حضر مسلوب الثياب وقد عراه بنو لام في الوجه ، وأخذوا ما معه من الكتب وغيرها .

٣ - وفي سنة ٨٩٧ - لما صعد الركب الأول إلى سطح العقبة خرج عليهم بنو لام ونهبهم^(٢)

٤ - وفي سنة ٩٠٠^(٣) لما رجع ركب الحج الشامي خرج عليه بنو لام فاحتاطوا عليه عن آخره وسبوا الحريم ونهبوا الأموال وأسروا أمير الركب فانزعج السلطان لهذا الخبر .

٥ - وفي سنة ٩٠٧ لما وصل ركب الحج المويلح عائداً خرج عليهم عربان من بني لام وبني عطية وبني عقبة ، ووقفوا للمحجاج ، وأرادوا أن ينهبهم ، فوقع الصلح بينهم على أن يأخذوا على كل جمل ديناراً^(٤)

٦ - وذكر ابن إياس في « بدائع الزهور » في حوادث سنة ٩١٢ - مانعه : (وفي ذي القعدة وردت الأخبار أن العسكر المتوجه إلى يحيى بن سبع قد انتصر عليه نصرة ثانية ، وكان من ملخص أخبار هذه النصرة أن العسكر لما نواقع مع يحيى بن سبع وانكسر أولاً توجه إلى طائفة من

(١) ج ٢ ص ١٦٣

(٢) « درر الفوائد المنظمة » ص ٣٤٤

(٣) « بدائع الزهور » ٣٠٦-٣٠٧

(٤) « درر الفوائد » ٣٥٢

العربان يقال لهم عَشْرَة ، وهم من بني لام فالتجأ إليهم ، واستمر مقبياً في مكان بالقرب من ينبع^(١) - ثم ذكر بقية الخبر .

٧- ذكر الجزيري أن العسكر المعين لحفارة الحجاج وحراستهم استجد سنة ٩٢٧ بعد واقعة سلامة بن فواز المعروف بجغبان ، من عرب بني لام المفارجة .

٨- وذكر في حوادث سنة ٩٢٦^(٢) أن سلامة هذا تعرض للحجاج في نحو عشرة آلاف نفس في وادي سماوة بالقرب من الأزلم ، فأصيب ابن عمه برصاصة فانهزم ، فن تلك السنة عينت البلكات من العسكر الركبان .

ومن تلك السنة عينت السلطنة لسلامة بن فواز كل سنة ألف دينار راتباً له ولأولاده من بعده ليكف عن الركب المصري ودربه ، وليكون من حراسه وحزبه ، وضمنه فيما يأتي منه صهره الشيخ عمرو بن عامر بن داود أمير بني عقبة ، وجعله وكيلاً عنه في ذلك ، ثم صارت لأولاده من بعده خلفاً عنه ، وعمرو بن عامر على ضمانته وتناوله المعلوم .

٩- وقال الجزيري : (وبالقرب من العقيق أول المضيق من الطلعة من يسار الركب محرم إلى حسمى وخرج منه بنو لام على الركب في سنة ٩٣٠ في ولاية الأمير جاثم الحمزاوي ، ولم تظهر منه بطائل^(٣) .

١٠- وذكر الجزيري في «درر القوائد المنظمة»^(٤) في حوادث سنة ٩٥٢ أن الركب حين نزل الأزلم في الذهاب ، انقطع منه بحدة دامة بعض جمال من الربيع التي تتأخر عادة عن الركب ، فصادفهم مرور خيل بني

(١) «بلاد ينبع» ص ٦١ وعزة ليسوا من بني لام .

(٢) «درر القوائد المنظمة» ص ١٣٩ (٢) منه ص ٣٦٦ .

(٣) «درر القوائد المنظمة» ص ٥٢٧

(٤) ص ٣٨٥ .

لام صبة شيخ من شيوخ بدنانهم ، يسمى دوبر في نحو السبعين فرساً على ما قيل ، فاستاق الجمال بأحمالها وكانت نحو العشرين أو دونها ، فلما علم أمير الحاج حصل عنده رعب شديد ، وكنت حاضراً عنده ، فثبته ، وكان في المجلس عامر بن عمرو بن داود شيخ بني عقبة ، وهو ملتزم بما يأتي من بني لام ، فأشرت عليه بالقبض على المذكور وولده ، وفعلنا ذلك ، ثم أطلقنا عمراً لإحضار الجمال والأحمال ، فتوجه وأحضر غالبها ، وما ادعوا ضياعه غرمه الأمير آيدين^(١) لجماعة التجار بالقاهرة بعد شكاوي إلى داود باشا بلخاش ، إلى الغاية .

١١ - وقال أيضاً في « درر القوائد المنظمة »^(٢) في ذكر المحارس التي تكون طريقاً للمفسدين وقطاع الطريق ، وأن على أمير الحاج حراسة ركب الحجاج فيها بالتهيء بما يلزم من فرسان وأسلحة . قال : (واعلم أن محارس بني لام بالدرب المصري متعددة :
فنها في دوار حقل ، واد يطلع إلى حسما .

وعند عش الغراب محرس إلى حسما . وبوادي عقال عند قبر السفاف بالشرفة إلى حسما وبالقرب منها أيضاً يرنب وسدر بمعشى الشربة محرس وبالنبك المسمى بالمويلح محرس .

وبالقرب من دار السلطان محرس يدعى الخريطة يرد إلى حسما .

وبالقرب من حدرة دامة محرس .

وبالقرب من سماوة والدخانين محرس .

وبالصفحة من وراء اصطبل عنتر محرس .

وبالوجه محرس .

وبالقرب من أكرام محل يدعى الوفدية محرس .

(١) هو أمير الحاج آيدين بن عبادة الرومي تكلم عنه الجزيري وذكر أنه أمير الحج

سنة ٩٥٢ وهجلاً بضمير .

(٢) ص ١٠٤

وبأكرا محرس .

وبأول مضيق العقيق محرس .

١٢ - وقال الجزيري^(١) في الكلام على (المويلح) : (والمراتب على هذا المحل أكبر معلوم من سائر الأدراك فإن عمرو بن عامر بن داود خالص مقبوضه في كل سنة لنفسه وأولاد عمه من الفضة السليمانية تسعة عشر ألف نصف فضة وأربعمائة وخمسة وثمانون نصفاً .

وما يقبضه عادة بطريق الوكالة لصهورته أولاد سلامة بن فواز عرف بجغبان - شيخ عربان بني لام المفارجة إنعاماً عليهم من غير درك في كل سنة ألف دينار - إلى أن قال : - ذكر عربان بني لام :

المفارجة : وهم طوائف عديدة منهم آل سليم - وهم آل بيت العمر - وآل محمود ، وآل سالم .

آل قني : منهم آل فواز وآل حسن وآل عياض القاطنين بحسما .

آل صقر : منهم آل دغمان وآل شهبان وآل طليحة آل فييين (٢) : منهم آل سهيل وآل زيان وآل حماد وآل مسعود وآل واصل وآل واجد .

العراقاء

أشار الأخ الأستاذ سعد بن جنيدل في حديثه عن (مزعل) في هذا الجزء - إلى سكانه الأكرمين العراقاء - واحداهم عريني ، وقد كنت دونت في مذكراتي كلمة عنهم ، رأيت المناسبة تدعو إلى نشرها .

في منتصف شهر شعبان سنة ١٣٩٧ قابلت في مدينة برشلونة ، في

(١) و درر الفوائد المظلة ، ص ١٤٠

فندق مور مار (Murmar) أخوين كريمين من العرافا هما ناصر
ابن محمد بن بشر العريفي ، وسعد بن عبد الله بن راجح العريفي ، فجرى
الحديث عن أسرتهما فكان مما حدثني به ناصر وسعد يسمعون : أن جد الأسرة
كان من أهل قرية الجشة في الأحساء ، وأقرب من لهم آل دعيج في تلك
القرية الآن ، وبينهم وبين أسرة العرافا مواصلة .

وكان جدهم يُدعى حمد الجفيف ، وفي شقراء مكان يدعى الجفيفية
نسبة إليه ، وهو الذي قدم من الجشة .

وذكر الشيخ محمد بن عبد القادر في « تاريخ الأحساء »^(١) : أن من
سكان قرية الجشة آل دعيج وآل مسلم ، ينتمون إلى الجبور المعروفين من
بني خالد .

والأسرة العريفية أفخاذ ، جلهم في بلدة مزعل وهم - على ما حدثني
الأخ ناصر بن محمد العريفي :

١ - آل ناصر .

٢ - آل خلف ، وفي الشعراء بعضهم .

٣ - آل محمد .

٤ - آل سعد .

ومن العرافاء - أيضاً - آل جماز في حريملاء كلهم .

وفي مدينة حائل أناس ينتسبون إليهم ، غير أنهم لتساهلهم في المصاهرة
إلى من لا يمت بنسبه إلى قبيلة معروفة ، أصبحت الأسرة لا تقبل انتسابهم إليها .

(١) ج ١ ص ٤٠ - طبع مطابع الرياض .

وجاء في مجلة « العرب » س ٥ ص ٥٧٨ : (العرافا - واحد هم عريقي -
يسكنون قصر مزعل قرب القويعة وهم من الساييرة من آل جناح) .
وقد عقب على هذا الأخ سعد بن عبد العزيز العريقي في « العرب » ص
٧٩٣ من السنة التاسعة ، فذكر :

١ - أن من العرافاء من يسكن جزالاء والقويعة .

٢ - أن آل خلف الذين في الشعراء من العرافاء .

٣ - وقال : (القول بأن العرافا من الساييرة من آل جناح غير صحيح ،
فإنهم ينتسبون إلى الدعوم من الجبور . ولا يربط بين العرافا والساييرة
وآل جناح سوى أنهم من الجبور .

بنو خالد

كتب الأخ ماجد أحمد صبيح ، صاحب (مؤسسة صبيح للتجارة)
في جدة يستوضح عن قبيلة بني خالد ، ويقول بأن ماورد في كتاب
« قلب جزيرة العرب » لفؤاد حمزة كان موجزاً ، وأن سبب اهتمامه بهذه
القبيلة لأن نسه يرجع إليها .

المصوب :

لقد نشرنا بحثاً مطولاً عن هذه القبيلة في الجزء السادس من السنة الخامسة
(جزء ذي الحجة سنة ١٣٩٠ هـ) من صفحة ٥٧٨ إلى ٥٨٥ .

ويمكن للسائل الكريم الاطلاع على ذلك البحث .

المعجم الجغرافي للبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ

[سيصدر قريباً القسم الثاني من (شمال المملكة) من « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » ونقدم للقراء بعض موادّه ، لكي نتلقى من ملاحظاتهم ما نأمل ، ولكي نستدرك ما يحتاج إلى استدراك] .

خَبِتُ : الخبت لغة : المتسع من بطون الأرض ، وهو علم لمواضع منها خبت كلب ، الذي قال فيه الأحنس بن شهاب التغلبي :
وكلبٌ لها خَبِتٌ فرملةٌ عالِجٍ إلى النحرَةِ الرَّجُلَاءِ حَبِثٌ تُحَارِبُ
وأورد الهجريُّ لعبد العزيز بن زُرارة يذكر سفره من نجد إلى الشام ، ويظهر أنه سلك الطريق الشرقي المارَّ ببلاد الخوف :

وإنَّ الذي يرجو إيابي وقد أُمْتُ رَكابِي على خَبِتٍ لَفَيْرٍ حَلِيمٍ
وقرن الأخطل خَبْتاً بَعْرَعَرٍ فقال يصف صحاباً :
فأزال يسقى بَطْنٌ خَبِتٍ وَعَرَعَرٍ وَأَرْضُهُمَا حَتَّى اطْمَأَنَّ جَسِيمُهُمَا
- جسيمها ما ارتفع من ضواحيها وبدواتها : -

وَعَمِيمُهُمَا بِالماءِ حَتَّى تَوَاضَعَتْ رُؤُوسُ الدِّثَانِ سَهْلُهَا وَحَزُومُهَا
بِمَرْتَجَزِ دَانِي الرَّبَابِ كَأَنَّهُ عَلَيَّ ذَاتِ مَلْحٍ مُقْسَمٌ لَا يَرُومُهَا
وفي شعر امرئ القيس :

سَمَا لَكَ شَوْقٌ بَعْدَ مَا كَانَ أَقْصَرَا
وَحَلَّتْ سُلَيْمَى بَطْنِ خَبِتٍ فَمَرَعَرَا

وفي « معجم البلدان » : (خبت : ماءٌ لكلب) . وزاد صاحب « تاج العروس » : بالشام .

وقال البكري - فيما نقل عن ابن الكلبي - : ونزلت كلب ومن حالقهم بخببت دومة إلى ناحية بلاد طيء ، إلى طريق نيماء .

وقال : قال الطوسي : تعشأ أرض لـكـلب وأنشد للناطقة :
وبنو جذيمة حبي صديق سادة غلبوا على خببت إلى تعشأ
قيل : إن بني جذيمة من بني أسد ، وقيل : من كلب وأورد
للطرماسح :

إلى وادي القري فرمال خببت فأمواه الدثنا فلتوى جفاف

وقال : وبدلك أنها في ديار كلب قول بُرج بن مُسهر :
ونعم الحي كلب غير أنا لقينا في جوارهم كهنات
فإن الغدر قد أمسى وأضحى مقيماً بين خببت إلى مساة
فهذه ديار كلب ، المساة موضع هناك . وخببت دومة : مكان آخر .

يظهر مما تقدم :

١ - أن اسم خببت يطلق على منخفض الجوف ، أي غوطة الجوف ،
فوادي عرعر يقع مجاوراً له من الشرق ، كما أن قريبات الملح (ذات
ملح) متصلة به من الشمال ورملة عالج (النفود الكبير) من الجنوب .

٢ - تفريق أبي حاتم - فيما نقل البكري - بين خببت الذي من بلاد
كلب وخببت دومة غير واضح ، فخببت دومة من منازل كلب ، وهذا
مما لا شك فيه فلماذا لا يكون الموضع واحداً ؟ أما قول ياقوت بأنه ماء
لكلب ، فالاسم يطلق على الموضع وعلى ما فيه من ماء أو جبل أو وادٍ
أو غيره ، وهذا كثير في كلام المتقدمين .

٣ - قول الأنباري في « شرح المفضليات » : خببت من منازل كلب
من نحو هبنت . فيه توسع ، فهبت هذه في العراق بقرب الفرات ، وهي

بعيدة عن خبت دومة ، إلا إذا قصد طريق الاتجاه إليها ، إذ هيت في طرف
البادية مما يلي العراق ، ومنها يكون الاتجاه إلى مختلف نواحي البادية .

٤ - والقول بأنه في الشام فيه تجوز ، لأن كثيراً من بلاد كلب
تقع في الشام وحوله . وكان المتقدمون يعدون الجوف وما هو شمال النفود
من الشام ، وقد أشرنا إلى هذا في مقدمة الكتاب .

المُخْبِرُ - بفتح أوله وتسكين ثانيه وآخره راء - : قال في « معجم
البلدان » : الخبر موضع على ستة أميال من مسجد سعد بن أبي وقاص ،
فيها بركة للخلفاء وبركة لأم جعفر ، وبئر ان رشاؤها خمسون ذراعاً ، وهما
قليلتا الماء عذبتان ، وفيهما قصور على طريق الحجاج . وقال : وبين المغيبة
والقرعاء : الزُبَيْدِيَّةُ ومسجدُ سعد والخبراء . انتهى . وأرى الخبراء هنا
الخبر ، إذ لم يورد اسم الخبراء في هذه الجهة . والخبر على ما يفهم من كلام
ياقوت ينطبق على موضع بركة الطلحات الآن . (انظر هذا الاسم) .

المُخْبِرَاءُ : في « المناسك » - بعد ذكر اليسوعة :

ثُمَّ مَضَتْ فَجَازَتْ الْمُخْبِرَاءَ :

تَخَالَفَا نِعَامَةً رَبِّسَدَاءَ تَهْوِي إِلَى أَدْحِيهَا عِشَاءَ
ثُمَّ مَضَتْ تَهْوِي إِلَى مِيلِ الْأَمْلِ عَلَى طَرِيقِ ذِي مَنَارٍ مُتَّصِلٍ
لَمَّا رَأَتْ كَثِيبَهُ قَدْ أَشْرَفَا كَالنِّيقِ كَادَتْ نَأَقَتِي أَنْ تُصَدِّفَا

- ثُمَّ ذَكَرَ السُّمَيْيَّةَ -

وحدد الأستاذ العبودي الخبراء هذه - اعتماداً على ما حدث به الأمير
متعب بن شلّاح بن حمّاد الحربي أمير ضييدة - فقال : هي روضة كبيرة
يحدها جنوباً نفود (رمال) وشمالاً جال - مرتفع من الأرض الصلبة .
وينبت فيها السدر ، وتسمى الآن (أم عَشَرَ) وهي في وادي الأجردي ،
ه بفيض فيها شعيب السهّل من الشمال .

الْمُخَيَّرَ - بفتح الخاء وإسكان الموحدة وآخره واو - : موضع يقع في الجنوب الغربي من بلدة تيماء على بعد عشرين كيلاً ، فيه نقوش وكتابات قديمة .

'خَبَّة' - بضم الخاء وفتح الموحدة مشددة - في « معجم ما استعجم » وقال آخرون : 'خَبَّة' من أرض طيء وأنشدوا قول النَّمِيرِ بن تَوَلْبٍ :
زَبَنْتَكَ أَرْكَانُ الْعَدُوِّ فَأَصْبَحْتُ أَجْمًا وَخَبَّةً مِنْ قَرَارٍ دِيَارِهَا
وانظر ('خَبَّة') .

والخَبَّةُ بكسر الخاء وتشديد الباء الموحدة - ويقال : - خَبَّةٌ مُتَالَعٌ :
والخبة المكان المنخفض في وسط الرمل ، ويطلق هذا الاسم على قرية تقع بقرب جبل مُتَالَعٍ شرقه في غرب حائل ، على مسافة ٩٤ كيلاً وهي من قرى شَمَرٍ (وانظر موق) .

والخَبَّةُ الجديدة : اسم ماء في تلك الجهة أيضاً .

الْمُخَبِّيزَاتُ : نقل صاحب « لسان العرب » عن ابن الأعرابي قوله :
الخبيزات : خير آوات بصلعاء مَأْوِيَّةً ، وهو ماء لبني العنبر ، قال : وإنما سمين خبيزات لأنهن انخبزن في الأرض ، أي انخفضن واطمأنن فيها .
انتهى .

وصلعاء مَأْوِيَّةٌ غرب الْمُحَفَّرِ بميل نحو الشمال غير بعيدة عنه .

مُخَشَّالٌ : (انظر اخشال) حرف الألف .

الْمُخَدُّ - بفتح الخاء بعدها دال مهملة مشددة - : وادٍ يقع جنوب لَوْقَةِ وَيُقَضَى إليها ، يمر بين قارة أم القتبان ، وماء الروض .

الْمُخَرُّ : - بضم الخاء وتشديد الراء - : يظهر أن المخرَّ اسم يطلق على المجرى ، ولهذا كثر إطلاقه على كثير من مجارى السيول عند أهل الشمال ،

ثم استعبر لمجرى فضلات الطعام من الحيوان وقال ياقوت : وأصل الخُر الموصل الذي تَلْقَى فيه الحنطة بيدك في الرَّحَى - يقصد فيها - وفي «القاموس» والخُر ما تَخْدُهُ السَّيْل من الأرض أى شقه وحفره .

وقال نصر : الخُر - بضم الخاء المعجمة وتشديد الراء - ماء بالشام لكلب . يقرب من عاظم ، ماء آخر لهم . ومثل هذا في «معجم البلدان» وزاد : قال ابن العلاء الأجدارى ثم الكلبي :

وقد يكون لنا بالخُر مُرتَبَعٌ والرَّوْضِ حَيْثُ تَنْتَاهِي مَرْتَعُ الْبَقَرِ وفيه أيضاً : روضة الخُر : بضم الخاء وتشديد الراء - : في ديار كلب قال - ابن العلاء الأجدارى ثم الكلبي :

روضة الخُر لَنَا مُرْتَبَعٌ تَرْتَمِي فِيهَا وَتُرْوَى النَّعَمَاتُ وأورد البكري للناطقة الجعدي :

لَيْتَ قَيْسًا كُلُّهَا قَدْ قَطَعَتْ مُسْحَلَاتًا فَحَصِيدًا قُتِبَلْ
فَالْأَشَافِي فَأَعْلَى حَامِيرِ قَلَوَى الْخُرِ فَأَطْرَافَ الرَّجَلِ
جَاعِلِنِ الشَّامِ حَمِيمًا لِهَيْسَمِ وَلَكِنْ هَمُّوا لِنَعْمِ السُّنْتَقِلِ
مَوْنُهُ أَجْرٌ وَمَحْيَاهُ غِنَى وَإِلَيْهِ عَنْ أَذَاةٍ مُعْتَزِلِ

وخلاصة ما تقدم في تحديد الخُر :

١ - أن أصل الكلمة يقصد بها مجرى السَّيْل - كالوادي والتلعة والشعيب .

٢ - أنه يقع في بلاد كلب ، وبلاد هؤلاء شمال الجزيرة متصلة بالشام .

٣ - والقول بأنه ماء لا يتنافى مع كونه وادياً ، فالأودية تكثر فيها المياه غالباً .

٤ - أنه بقرب حصيد وتُبَل وحامر . كما في شعر الناطقة الجعدي ، وتلك المواضع معروفة . والأوصاف المتقدمة كلها تنطبق على وادي الخُر الكبير الذي لا يزال معروفاً .

وهو وادٍ يقع على الطريق بين الجوف وبين الدَّوْبَد ، وهو من

فحول الأودية ، تنحدر فروعه من آكام تقع شمال اللَّبَّة ونوازي الدغم شمال النفود ، من الرمثيات ، جنوب السادة ، ثم من المرتفعات التي تقع شمال السادة وغرب الهبكة والهبيكة ، وتنجه صوب الشمال حيث تلتقي بها سيول غرب الحزول ، وسيول الهبكة والهبيكة ، ثم تلتقي هذه السيول بالفروع المنحدرة من جهة الغرب ، من جبال تقع شمال اللَّبَّة الأرض الواقعة شمال النفود ، تدعى الرَّعْن ، ومن اللَّبَّة أيضاً ، فن فروعه وادي 'خُر' سُخَيْر ، يأتي من غرب اللَّبَّة حتى يلتقي بوادي أبا الرواث الذي هو من أقوى روافد الخُر ، ويفصل هذا بين اللبة وبين جبال الرَّعْن ، ووادي الثَّحْلَمَة من شرق اللبة فإذا اجتمعت هذه الفروع دُعي الوادي وادي العبد ، وهو وادي الخُر .

وينتجه وادي الخُر نحو الشمال الشرقي ماراً بالدَّوَيْد (القلبان) بين الحزول والصحير ، ثم يمر بالدويد البلدة ، فأنايب النفط حتى يبلغ صحراء الصَّحْن ، على مقربة من منهل المعانية بقرب الحدود ، (يقع الخُر من أعلى فروعه إلى المعانبة بين خطي الطول ٤١-٠٠ و ٤٣-٠٠ وخطي العرض ٢٩-٠٥ و ٣١-٠٠ تقريباً) .

ويستمر وادي الخُر في اتجاهاه فيجتاز صحراء الصَّحْن متوجهاً صوب الشمال الشرقي حتى يبلغ منخفضات وادي الفرات (والقسم الواقع منه في الحدود العراقية بين خطي الطول ٤٣-٠٠ و ٤٤-٠٠ وخطي العرض ٢٠-٢٩ و ١٠-٣٢ تقريباً) .

ومن أشهر مناهل وادي الخُر من الشمال إلى الجنوب : الصَّف والحميمة والعاشورية في القسم العراقي ، والمعانية على الحدود .

'خُر' مَسْعُود : وادي ينحدر من اللَّبَّة متجهاً شمالاً حتى يفيض في إنبط ، جنوب صَنَار .

'خُر' سُخَيْر : وادي ينحدر من اللَّبَّة الأرض المرتفعة الواقعة شرق النفود شماله ، في الجنوب الشرقي من واحة الجوف - ويفيض في وادي أبا الرواث .

الْخَرَّارُ : قال البكري : قيل : موضع بخيبر وقال عيسى بن دينار :
لأنه عين بخيبر ، ويؤيد ذلك ما رواه ابن وهب — وساق السند إلى أبي أمامة
ابن سهل : أن سهلاً قام يغتسل يوم خيبر حين هزم الله العدو وساق الخبر .

الخرائق : قال في « معجم البلدان » كأنه جمع خرنق وهو الأنثى
من الثعالب —: الخرائق بين الثملاء وأجا ، جلد من الأرض انتهى .
والمعروف أن الخرنق الأنثى من الأرانب ما دامت صغيرة . والملا سبائي
تحميده — وهو شرق أجا ، ويفيض فيه وادي السبعان ، فكأن اسم
الخرائق يطلق على الأرض الصلبة الواقعة غرب الملا .

الْخَرْبُ : قال في « المناسك » : ومن قصة الرقم إلى الحرب وسمى ،
فالحرب موضع فيه بئر كبيرة غليظة الماء في بطن الوادي على ظهر الطريق .
ثم ذكر بعده الرقم مما يدل على أنه شرق الرقم بمسافة قصيرة .

وفي « معجم البلدان » خرب موضع بين قيد وجبل السعد على طريق
يسلك إلى المدينة . انتهى وليس فيه زيادة فائدة .

الْخَرْبَةُ : عدها صاحب « بلاد العرب » من مياه بني الكندآب من
بني غنم بن دودان من أسد ، وقال : لأنها فوق الغرقة .

ويفهم من كلامه أنها بجهة وادي ارمام (الخلة حديثاً) وفي « المناسك »
(وارمام وادي . مجمع أودية في الطريق ، تقطعت (؟) في موضعين في
الأول منها عن يمين الطريق بئر عادية يقال لها الطلوب ، وقباب خربة ،
وفي الموضع الآخر على أقل من ميل من البريد بيوت للأعراب قليلة عن
يسار الطريق ، وبئر على نحو من دعوة ماؤها غليظ ، يقال لها الحرية .
انتهى . قال هذا في وصف الطريق من قيد إلى المدينة مع الطريق القديم
المار بالأخرجة وغمر مرزوق والعنابة وحسي بطن الرمة .

الْخَرْبَةُ — ينطقونها بضم الحاء — بئر تقع شرق بئر جندة ، من
موارد بادية الوجه ، تقع شرقه .

مكتبة العرب

* - شرح القصيدة الدامغة :

وعما نشر حديثاً من كتب التراث كتاب «الدامغة» قصيدة الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني المتوفي سنة ٣٥٠ تقريباً ، التي أجاب بها الكسيت بن زيد الأسدي ، بتفسيرها ومعانيها ، وهي قصيدة نونية في مفاخر قحطان ، وفي شرحها مباحث أدبية وتاريخية ولغوية لاتوجد في غيرها من الكتب ، وقد قام بتحقيقها مؤرخ اليمن العالم الجليل القاضي محمد بن علي الأكوع الحوالي وجاء الكتاب في ٦١٣ من الصفحات .

* - الجزء الأول من كتاب الإكليل :

وصدرت الطبعة الثانية للجزء الأول من كتاب «الإكليل» الذي صدرت طبعته الأولى منذ بضع عشرة عاماً فتحدثت مجلة «العرب» عن تلك الطبعة^(١) وأشارت إلى بعض هفوات يسيرة وقعت فيها فإما كان من محققه العالم الجليل القاضي محمد بن علي الأكوع إلا أن سارع في الأخذ بتلك الاستدراكات وتدارك تلك الهفوات وأعاد نشر الكتاب .

وقد قامت الجمهورية العراقية بطبعه على نفقتها في سلسلة كتب التراث التي تقوم بنشرها ، وقد جاءت هذه الطبعة في نحو ٥٤٠ صفحة طباعة جيدة . والحق أن جهد الأستاذ الجليل القاضي الأكوع في نشر التراث اليمني عظيم ، وأن عمله في تحقيق ما نشر عمل العالم الواسع الاطلاع .

* - ذكريات :

الأستاذ أحمد علي أسد الله ذو أسلوب في الكتابة يستهوي القاري فيدفعه إلى الاسترسال في القراءة بلذة وارتياح ، وهذا ماوجدت في كتابه «ذكريات» وهو من منشورات (النادي الأدبي في الطائف) في العام الماضي ، طباعة (مطابع الزايدي) هناك . ومع أنه يقع في ١٩٤ من الصفحات فإنني لم أضعه

(١) س ١ ص ١٧٩ و ٢٦٠ و ٢٧٥ و ٤٦٣ .

من يدي حتى أملت بكل ما جواه ، وأكملت قراءة كثير من موضوعاته ، وأكثرها يدور حول ذكريات المؤلف ومشاهداته منذ عام ١٣٣٤ هـ (١٩١٥ م) حتى عام ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م) حيث نشأ في مكة المكرمة ، وفيها أكمل دراسته في (المعهد السعودي) سنة ١٣٤٩ ثم اشتغل في التعليم في مدارس مكة ثم في مدرسة الأمراء في الرياض وقام برحلات إلى المدينة وإلى المنطقة الشرقية . وإلى العراق وإلى القاهرة وإلى أمكنة خارج الرياض في البرمع الملك عبد العزيز رحمه الله - بحكم عمله في مدرسة الأمراء .

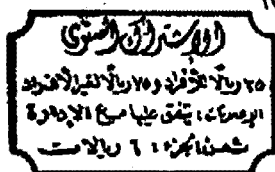
✽ - كتاب التقفية :

كنت تحدثت عن كتاب « التقفية » لليان بن أبي اليان البندنجي المتوفى سنة ٢٨٤ هـ ووصفت نسخته المخطوطة (١) ، وأشرت إلى أنه سبق الجوهري إلى طريقة ترتيب الكلمات على القوافي ، فكتب إلى أستاذ جليل من العراق يطلب مني إعارته نسختي المصورة ليتولى تحقيق الكتاب ونشره ، فبعثها إليه ، وما أشد سروري حين وقع نظري في هذه الأيام - شهر شوال سنة ١٣٩٧ - على الكتاب مطبوعاً في مجلد بلغت صفحاته ٨٠٠ محققاً تحقيقاً في غاية الجودة من حيث إرجاع كل مادة إلى أصل من أصول كتب اللغة مع الدقة في الضبط ، ووضع الفهارس الوافية . والمحقق الجليل هو الدكتور خليل إبراهيم العطية من جامعة البصرة . والكتاب مطبوع سنة ١٩٧٦ في سلسلة (إحياء التراث) من منشورات وزارة الأوقاف العراقية .

✽ - مع ابن جبير في رحلته :

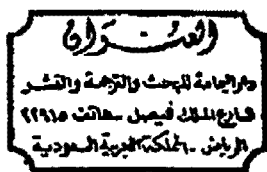
وهذا مؤلف حديث للأستاذ عبد القدوس الأنصاري ، تناول فيه بالدراسة الشاملة « رحلة ابن جبير » مترجماً مؤلفها ، ومطيلاً الوقوف عند مواضع منها تتصل بالمدينتين الكريميتين مكة والمدينة ، ومواضع أخرى ورد ذكرها في الرحلة ، في أربعة وعشرين فصلاً ، وقد رجع إلى ٤٤ مصدراً - على ما جاء في آخر هذا الكتاب الواقع في ٣٨٠ صفحة بفهارس مفصلة ، وطباعة حسنة ، في (المطبعة العربية الحديثة) في القاهرة ، وتاريخ الطباعة ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .

(١) مجلة « العرب » ، السنة الأولى ص ٥٧٧ و ١١٥٦ .



العرب

مجله شهرتیه تعنی تراش العرب الفکری
صاحبها و مؤلفها: محمد الجاسر



ج ۹ و ۱۰ ص ۱۲ - الربيعان ۱۳۹۸ - آذار/نيسان (مارس/أبريل ۱۹۷۸)

السحب الوابلة على ضراخ الكناينة

يتلهف الباحث في التاريخ إلى أن يعرف شيئاً عن حالة بلاد نجد العلمية قبل قيام الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، بدعوته إلى تصحيح العقيدة الإسلامية ونبذ الخرافات والبدع ، وإلى إحياء الشريعة والرجوع بها إلى منابعها الصافية كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم - يتلهف الباحث إلى معرفة شيء من الحياة العلمية قبل ذلك ولكنه لا يجد ما يشق غليله .

ولعل الكتاب الوحيد الذي خصص لتراجم علماء الحنابلة : وأهل
فجد كلهم حنابلة قبل ظهور الشيخ إلا ما ندر - هو كتاب « السحب الوابلة
على ضرائح الحنابلة » تأليف محمد بن عبد الله بن حميد الحنبلي النجدي .

وكان المظنون أن هذا الكتاب يحوي معلومات ذات قيمة من الناحية العلمية ولهذا طالما تشوق الباحثون إلى الاطلاع عليه .

وقد اقتنيت نسخة منه فطالعتها واستخلصت منها تراجم علماء نجد ،
فظهر لي :

أولاً - أن تراجم النجدين الذين سبقوا عهد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله - فيه قليلة . وأنه لم يكن شاملاً ، بل فاته عدد من العلماء .

ثانياً - أن المؤلف أهمل تراجم كثير من مشاهير علماء نجد من آل الشيخ ومن غيرهم من عصر الشيخ وبعده ، بدافع الهوى والتعصب .
ثالثاً - أنه أشاد بأناس ينتمون إلى العلم وحاول الرفع من أقدارهم لكونهم ممن عادى الدعوة السلفية .

ليس غريباً أن يخالفك المرء في الرأي، ولكن الغريب حقاً أن يتعصب لرأيه المخالف تعصباً يدفعه إلى العناد والمجادلة بالباطل ، بل إلى أن ينسب إليك من الآراء ما أنت بريء زوراً وبهتاناً ، وهذا ما ظهر لي أثناء تصفحي لكتاب « السحب الوابلة » .

وكما أشرت سابقاً فالكتاب يعتبر وحيداً في موضوعه ، ومن لم يطالعه قد يتوهم أن فيه أشياء ذات قيمة علمية جديرة بأن يعيرها الباحث اهتماماً .

ولقد علمت بأن بعض علمائنا حاولوا نشر هذا الكتاب والتعليق على ما فيه ، فتهيبوا ذلك ، لما فيه من النيل من الدعوة الإصلاحية ، ووصف دعائها بما هم منه براء ، ولهذا رأيت أن أنشر جميع التراجم النجدية الموجودة فيه بعد أن أقدم لمؤلفه بترجمة وجيزة .

والغاية من ذلك :

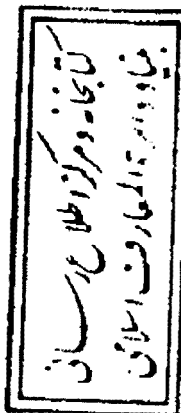
أولاً - أن يكون المرء على بصيرة من أمر هذا الكتاب ومؤلفه .

ثانياً - أن تكون هذه التراجم على قلبها مصدراً لمن يريد أن يعرف شيئاً عن حالة من ترجم فيها من العلماء .

ترجمة المؤلف :

هو الشيخ محمد بن عبدالله بن علي بن عثمان بن حميد الحنبلي النجدي^(١) ترجمه تلميذه الشيخ صالح بن عبدالله بن إبراهيم آل بسام ، في ذيل إحدى

(١) أورد الشيخ عبد الله بن بسام في كتابه « علماء نجد في خلال ستة قرون » بعد ابن حميد : (ابن غانم من آل أبو غنم من ذرية مسرور بن زهرى بن جراح الثوري) .



مخطوطات كتابه « السحب الوايلة » فقال ما ملخصه : إنه ولد في بلدة 'عَنْبِزَة' أمّ قرى (١) القصيم سنة ١٢٣٦ كما يؤخذ من ترجمته لشيخه الشيخ عبدالله أبا بطين . ولكن الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن بن بسام ذكر في كتابه « علماء نجد في خلال ستة قرون » أنه ولد سنة ١٢٣٢ ، وأضاف الشيخ عبدالله : كان عمه عثمان بن حميد وجده لأمه عبدالله بن منصور آل تركي (٢) من أهل العلم والعبادة ، فنشأ في بيئة علمية فقرأ على العلماء حتى أدرك طرفاً من العلم ، ثم تعاطى الفلاحة في بستانى يدعى (الأربع) قرب 'عَنْبِزَة' إلا أنه لم يوفق في الفلاحة .

وقد نسبته الشيخ ابراهيم بن ضويان (١٢٧٥/١٣٥٣ هـ) في طرة كتابه « رفع النقاب عن تراجم الأصحاب » نسبته إلى العُريْمَضُ فقال : في سرد أسماء من ألفوا في تراجم الخنايلة : (ومحمد بن حميد العريمضي) فعلى الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن آل بسام على هذه الكلمة في نسخة دار الكتب (٣) المصرية ما نصه : (نسبة إلى خَبِّ العُريْمَضُ إحدى قرى القصيم ، وكان كثير من عشيرة محمد بن حميد في هذه القرية) . انتهى .

ويذكر الشيخ صالح بن عبدالله آل بسام أن ممن قرأ عليهم ابن حميد الشيخ عبدالله أبا بطين قرأ عليه في الفقه وفي التوحيد ، وأنه سافر إلى مكة فطلب بها العلم على علمائها وعلى الشيخ محمد المهدي الزبيري .

ومن أشهر مشائخه عبدالحبار البصري قرأ عليه في مكة سنة ١٢٦٠ وفي

(١) كذا قال ابن بسام وفي « السحب الوايلة » : (أم قرى القصيم بل جميع نجد) ص ٢١ من المخطوطة الآتية وصفها . وذكر ابن حميد أن مسجده ومسجد آل في هذه البلدة يدعى مسجد الجوز .

(٢) قال في « السحب » ص ٢٤٢ : (بنو خالد منهم أمراء الأحساء آل حميد . وأهل القرية المسماة بالجنح شمال عنيزة ، وآل جنح في الأصل اسم لفخذ من بني خالد سميت البلدة باسمهم ، وأحوال الفقير كاتب هذه الأحرف منهم) ، وذكر جده ابن تركي هذا في كتاب « السحب » ص ٨٤ .

(٣) رقم ٧٣٦٩ ح .

المدينة سنة ١٢٦٣ . وأخذ عن الشيخ أحمد بن عثمان بن جامع حين حج
سنة ١٢٥٧^(١) .

وقام برحلات إلى اليمن والشام ومصر والعراق و نابلس ، واجتمع
بالعلماء وأخذ عنهم وخاصة علماء الحنابلة .

وقال الشَّطِّي في مختصر « طبقات الحنابلة »^(٢) نقلاً عن عمه
الشيخ مراد مؤلف « طبقات الحنابلة » قال عن ابن حميد : دخل دمشق^(٣)
ونزل في دارنا أياماً واجتمع بجملة من أعيان دمشق وعلمائها ، وصار بينه
وبين سيدي^(٤) الوالد الشيخ محمد والعم مفتي الحنابلة الشيخ أحمد^(٥) ألفه أكيدة
ومحبة شديدة ، وأثني عليه ، وذكر له هماً عالية . وقال الشيخ الشطبي
أيضاً : كان ذا علم وسيع ، وفهم رفيع ، بالغاً أعلى مراتب التقوى ،
مرجعاً لأرباب العلم والفتوى ، كثير المحبة والاعتناء بشيخ الإسلام ابن تيمية
وتلامذته ، له القدم الراسخ في العلوم العقلية والنقلية ، دار البلاد ودخل
دمشق — إلى آخر ما أثنى به عليه — وذكر أنه أخذ عن السيد محمد السنوسي
وروى عنه حديث الأولي ، ولازمه سنين عديدة ، وأنه أخذ علوم الآلات
عن العلامة محمود الألوسي ، مفتي بغداد والشيخ إبراهيم السقّا الأزهري .

وذكر الشيخ صالح بن عبدالله آل بسام أنه تولى منصب الإفتاء وإمامة
المقام الحنبلي في مكة في حدود سنة ١٢٨٠ ولكن الشيخ عبدالله البسام
يحدد ذلك بسنة ١٢٦٤^(٦) ونقل عن الشيخ عبد الستار الدهلوي أنه كان
نديمًا لأمرء مكة لاسمها الشريف عبدالله بن عون .

(١) وقد ترجم كل مشائخه الذين تقدم ذكرهم وبمن نقل عنه في كتابه الشيخ على كمال الطائي —
ذكره عرضاً ص ٣١ (٢) ص ١٦١ (٣) ذكر في « السحب » ص ١١٤ : أنه رحل
إلى دمشق سنة ١٢٨١ فرأى في مدرسة شيخ الإسلام أبي عمر الكثير من كتب ابن عروة التي
وقفها منها شرحه للمسد في ١٢٠ مجلداً .

(٤) وللسنة ١٢٤٨ وتوفي سنة ١٣٠٧ وله مؤلفات منها « مختصر طبقات الحنابلة » .

(٥) ولد سنة ١٢٥١ وتوفي سنة ١٣١٦ وترجمه الشطبي ص ١٧٥ .

(٦) ولكن ابن حميد نفسه ذكر أنه تولى الإفتاء بعد محمد بن يحيى بن ظهيرة المتوفى سنة

١٢٧١ — ذكر هذا في ترجمة سيف العتيق ص ١٩ .

وفي كتاب « السحب الوايلة » إشارة إلى أنه كانت له صلة بالشريف عون . فقد قال في ترجمة عبدالله بن زيد الجراحي ما نصه : - كان قاضي القضاة^(١) صدر الدين المناوي الشافعي - كانت بضاعته في العربية مزجاة فجاءه يوماً قاضي القضاة الكراكي فتذاكرا وكان الكراكي^(٢) كثير الدهاء ، وبينهما في الباطن شيء ، فكان مما قاله ابن المناوي : ما زلت أسمع أن الباء لا تدخل على الفعل المضارع حتى وجدت لدخولها شاهداً من كلام العرب وهو قول الخنساء في أخيها صخر :

وما يَبْكُونُ مثل أخي ولكن أُعْزِي النَّفْسَ عنه بالتأسي

وأنشده بتقديم الباء على الياء . فقال له الكراكي : والله حسن ياسيدي كثر الله فوائدهم ! ودخل عليه جماعة من القضاة وطلبة العلم فقال الكراكي : يا سيدي قاضي القضاة ! لا بأس بذكر تلك الفائدة للسادة المحاذين ، وقصد بذلك افتضاحه ، فذكر المناوي المسألة وأنشد البيت فأطرق القوم . فقال الكراكي : يا سيدي قاضي القضاة : لعله وما يبكون من البكاء فتصحف عليكم ، فخرج من ذلك خبجلاً شديداً وحفظت عنه .

أقول : حكيت هذه الحكاية يوماً للشريف عون أمير مكة بن المرحوم الشريف محمد بن عون ، وكان له تعلقٌ بعلم النحو ، فلما أتممت الحكاية دخل عليه شيخ يدعى معرفة النحو ، فغمزني الشريف ، وسأل الشخص هذا السؤال فقال : لعله قول مثل : والله ما كَلَيْلِي بِنَامِ صَاحِبِهِ .

فضحكنا منه وخبجل . انتهى .

وقال الشيخ عبدالله البسام - في ترجمته^(٣) : (إن المترجم تبع النولة

(١) لا يجوز التعبير بكلمة (قاضي القضاة) ، كما ذكر ذلك الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتاب التوحيد ، ولكننا اضطررنا إلى ذكرها محافظة على الأمانة العلمية من هدم تغيير النص الوارد .

(٢) كتاب « علماء نجد خلال ستة قرون من ٤٤ - ٤٥ هـ »

العثمانية التي حاربت العقيدة السلفية ، وبحكم وجود المترجم بعد النكبة التي أصابت الدعوة السلفية في بلادها ، وبحكم قراءته خارج نجد على علماء نذروا أنفسهم لمحاربة هذه الدعوة ، فإن هذه المؤثرات طبعته بطابعها ، وجعلت منه خصماً لها ، وحليفاً لأعدائها ، فإنه في مؤلفه « السحب الوابلة » قد ضرب صفحا عن الترجمة لأنصار الدعوة ، بل لم يكتف بهذا القدر ، حتى تناولهم بالتجهيل والتضليل ، وقد رد على شيخه الشيخ عبدالله أبا بطين في تأويل أبيات الغلو الموجودة في قصيدة « البردة » وأيد داود بن جرجيس إلا أن العلامة الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله انتصر للشيخ عبدالله ودحض شبه ابن حميد برسالة مطبوعة سماها « المحجة » ، في الرد على اللجة . انتهى .

ويضاف إلى ما تقدم أن ابن حميد كان على صلة قوية بأمرأى مكة كما تقدمت الإشارة إلى ذلك ، وبأناس آخرين من أعداء الدعوة كآل الشطي بدمشق وبعض أصحاب الطرق الصوفية كالسنوسي وغيره ، ولهذا نراه وهو يرثي شيخه عبد الجبار البصري يرى من تعداد مفاخره قوله :

ويبيكه عند النقشبندي طريقة يقوم بها في الناس يهدي ويستهدي

ولو كان ما ذكر الشطي عن ابن حميد من أنه كان كثير المحبة لشيخ الإسلام ابن تيمية لو كان صحيحاً لما تنكب طريقته في توحيد العبادة ، وفي محاربة الطرق الصوفية .

والطريقة النقشبندية يظهر أنها تسربت إلى داخل الجزيرة ، إلى بلاد نجد ، فالشيخ ابن بسام يذكر في مقدمة كتابه « علماء نجد خلال ستة قرون » أن عثمان ابن مزيد من علماء عتيبة ينسب نفسه إلى هذه الطريقة فيقول : النقشبندي . وقد انتشرت تلك الطريقة أول ما انتشرت في منطقة الأحساء ، وكان من أكبر معتققيها حسين بن أحمد الدوسري الشافعي البصري ثم المهدي ، المتوفى سنة ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م) ومن مروجي تلك الطريقة عثمان بن سند

البصري صاحب كتاب «أصنى الموارد في سلسال الإمام خالد ، وهو النقشبندی» وقد ألفه سنة ١٢٤٣ واختصر الكتاب أبو بكر المثلث الاحسائي (١١٩٨ - ١٢٧٠ هـ) وسمى مختصره « النشر الوردی » ، بأخبار مولانا الشيخ خالد النقشبندی الكردي .

وبالإجمال فإن ابن حید بعدائه للدعوة السلفية لا يصح التعويل على كلامه في كل ما يتعلق بتلك الدعوة وأهلها . والرجل قديم على ما قدّم ، ولا يستطيع أحد الحكم عليه لأن الأعمال بالخواتيم ، ولأن رحمة الله وسعت كل شيء ، ولا تعرف خاتمته . والمقصود التنبيه على كلامه لئلا يغتر به جاهل أو مغتر .

مؤلفاته :

- ١ - « السحب الوابلة » ويأتي الكلام عنه ، وهو خير كتبه .
- ٢ - تحرير حاشية ابن فيروز على كتاب « المنتهى » في الفقه ذكره في كتاب « السحب الوابلة » .
- ٣ - وجمع ابن حميد حواشي الخلوئي على كتاب « الإقناع » وشرحه . وجاء في مجلة العرب ^(١) ما نصه : ولاين حميد مؤلف آخر هو « النعت الأكل » ، في تراجم أصحاب الإمام أحمد بن حنبل ، وهذا خطأ منشأ الاعتماد على بعض المؤلفين المتأخرين ^(٢) . فهذا الاسم يطلق على كتابين أحدهما ألفه الغزالي الدمشقي وهو من مصادر ابن حميد في « السحب » وسيأتي الكلام عليه ، والثاني ألفه الشيخ عبد الله بن علي بن محمد بن حميد المتوفي سنة ١٣٤٦ ، وعبد الله هذا هو حفيد صاحب « السحب » وقد جعل كتاب « النعت الأكل » ذيلًا لكتاب جده « السحب الوابلة » ، والشيخ عبد الله تولى الإفتاء في مكة وهو من العلماء ، وله منسك دعاه « تحفة الناسك لأداء المناسك » مطبوع

(١) س ٥ ص ٨٨٥

(٢) فقد عد في « الأعلام » (ج ٧ ص ١٢١) من مؤلفاته وقال (ذكره في السحب الوابلة) وذكر من مؤلفاته : « ملخص بنية الوعاة » ولعله لحفبه .

بمطبعة الترقى الماجدية بمكة المكرمة لصاحبها الشيخ محمد ماجد الكردى
مع مجموع من رسائل بعض علماء مكة .

وفاة ابن حميد :

وذكر الشيخ صالح بن عبد الله البسام أن شيخه ابن حميد توفي في
الطائف يوم الأحد ١٢ شعبان سنة ١٢٩٠ ، ودفن بجوار مسجد عبد الله
بن عباس رضى الله عنه ، وقد رثاه تلميذه المذكور بقصيدة مطلعها :
الناس تبكي على الأطلال والدُّمْن وكلُّ حبٍّ على الأحباب ذو شجن

كتاب السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة :

ذكر المؤلف في المقدمة أنه ابتداءً من حيث وقف ابن رجب في طبقاته
سنة ٧٥١ لأن طبقات العلّيمي وهي ذيل على طبقات ابن رجب من سنة ٧٥٠
إلى سنة ٩٢٠ هذه الطبقات قليلة الوجود وغير مستقصية للتراجع إلى عصره ،
وذكر من مصادره : « الدرر الكامنة » لابن حجر ، و « الضوء اللامع »
للسخاوي ، « وذيل الضوء » لجار الله بن فهد المكي ، « وإنباء الغمر »
لابن حجر ، و « سلك الدرر للمراي » ، و « المورد الأنسي » في مناقب النابلسي ،
للغزي ، و « قليل من » الربحانة » للنفاجي ، و « تذكرة الشيخ ابراهيم بن يوسف
المهتار » المكي عشر مجلدات بخطه ، « وعنوان النصر في أبناء العصر »
للمصفي قليل من مجلدين منه ، و « حسن المحاضرة » للسيوطي ، و « طبقات
العلّيمي » ، و « الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل » للعلّيمي ، و « سكر دان
الأخبار » لابن طولون بخطه ، « ومعجم نجم الدين عمر بن فهد » المكي
بخطه — « وشذرات الذهب » لابن عماد الحنبلي ، و « خلاصة الأثر » لمحمد
أمين الدمشقي الحنبلي — كذا قال —

وذكر من مصادره أيضاً « النعت الأكل » قال في ترجمة محمد بن عبد الله
بن فيروز : (وكتب إليه علامة الشام الغزي قصيدة يطلب منه أن يرسل
إليه تراجم مشايخه ومشايخهم وأقرانه وتلاميذه ليثبتهم في كتابه « النعت
الأكل » فأرسل إليه جزءاً ضمنه ما طلب ، ورأيت في شيبثي ، ثم لما

احتجت إلى نقل منه في هذا جحده مالكة ، فتوسلت إليه بكل طريق فلم ينجح فيه ، وأصر على الجحود والانكار) وقال في السحب أيضاً (١) (قال كمال الدين محمد بن محمد الغزي في كتابه « المورد الأنسي » : وقد ترجمته في كتاب « النعت الأكل » تراجم أصحاب الإمام أحمد بن حنبل انتهى - أقول : لم أظفر مع شدة التفحص خصوصاً في بلدة دمشق وعسى الله أن يوجدني إياه بممه وكرمه) وقد أشار في « السحب الوابلة » إلى أنه نقل عن كتاب النعت الأكل » في تراجم سيف بن أحمد العتيقي ، وصالح بن سيف العتيقي ، وسيف بن عراز ، وعبدالله بن محمد بن فيروز .

أما كتاب « النعت الأكل » هذا فقد اطلع عليه الشطي ونقل عنه في كتاب « مختصر طبقات الحنابلة » وقال في وصفه : (الطبقات التي سماها « النعت الأكل » لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل » ورتبها على ثلاثة عشر طبقة. خمس وعشرين سنة من أول القرن العاشر ، وقد رأيت الطبقات والتذكرة في مكاتب آل المترجم بخط يده ، فإذا في الطبقات نقص لم يقدر له إكماله) وقال الشطي أيضاً : (كنا اطلعنا على نسخة المؤلف بخط يده وتمتعنا بها زمناً فوجدناها مخرومة بنقص طبقتين من سنة ١١٠٠ إلى سنة ١١٥٠ فاستدركناه بما وجدناه في تاريخ المرادي مختصراً ، وأعظم من هذا ترك المؤلف خلال التراجم بياضاً لم يكتب فيه شيئاً ما بين سطر وصحيفة ، يريد الرجوع إليه ، كما وصل في كتابه إلى (أبي شعر وشعير) فأدركته المنية قبل بلوغ الأمانة ، ثم إن المؤلف كان مشربه في كتابه الإطناب في كثير من المواضع ، والتمدح في بعض الرجال وغير ذلك ، ولذلك فقد عتينا بهذيب هذه الزوائد كي يشاكل الكتاب نوعاً ما كتاب العليمي الكاتب المجيد ويكون له روح عصرية) (٢) انتهى .

والغريب أن الشطي وقد اطلع على كتاب الغزي الذي ذكر ابن حميد أن فيه تراجم لعلماء نجديين لا نجد الشطي ذكر منهم سوى نفر قليل .

(١) ص ٤٩

(٢) مختصر طبقات الحنابلة ص ١٤٣

مخطوطة السحب الوابلة :

يوجد من كتاب السحب الوابلة مخطوطات اطلعت على نسخة واحدة منها مصورة في معهد المخطوطات جاء في آخرها ما ملخصه : (أنها نقلت في المسودة التالية (٢) جامعه محمد بن عبدالله بن حميد مفتي الحنابلة في مكة ، بعد صلاة العصر ١٢ جمادى الآخرة من شهور سنة ١٢٨٨ بخلوتي بمدرسة الوزير المرحوم محمد باشا^(١) في جانب باب الزيادة) وبعد هذا : (تم نسخ هذا الكتاب عن نسخة المؤلف بخطه على يد كاتبها محمد بن اسماعيل الميمني المعروف بالشيناوي ، برسم الشيخ محمد عارف خوير المكي الحنبلي الكتي ، وافق الفراغ يوم الاثنين ١٥ رجب ١٣٠٩) .

ونخط النسخة رديء وفيها بياض في بعض المواضع تركها المؤلف^(٣) .

عملي في كتاب السحب الوابلة :

بعد أن رأيت موقف المؤلف من الدعوة الإصلاحية التي عادت على الأمة بأنفع الثمار ، وقفت متردداً : هل أهمل هذا الكتاب مع اتساع شهرته ، لكيلا يكون في الحديث عنه ما يدعو إلى تروجه ؟ أم أعمل حياله ما أراه كاشفاً لحقيقة ما فيه ، فأوفر للباحثين ذلك ، وأنبئ من يجهل أمره لئلا يقع في مزالق أوهامه ؟! فرأيت هذا خير الأمرين ، لأن إهمال شأن هذا الكتاب لا يجدي نفعاً ، فقد عرف ، وأصبح مصدراً من مصادر تاريخ هذه البلاد .. رجع إليه الأستاذ الزركلي رحمه الله في «الاعلام» وهو أوسع كتاب في التراجم ورجع إليه غيره ، ثم إن الدعوة الإصلاحية قد ظهرت حقيقتها

(١) كانت هذه المدرسة تعرف برباط الحنابلة ، وليس رباطاً خاصاً بهم ولكن يظهر أنها اكتسبت هذا الاسم لكون مفتي الحنابلة ينزل في أحد حجرتها ، وقد شاهدت في أحد حجرتها - وكان يسكنها الشيخ سليمان الشبل - مجموعة من الكتب بين مخطوط ومطبوع زمن بنائها شرح الاقتاع بخط الشيخ عبد الله بن عضيف . وكانت تلك الكتب لابن حميد مفتي الحنابلة . وقد همت المدرسة أخيراً ، وأدخل مكانها في الحرم الشريف .

(٢) ينظر عن ترجمة ابن حميد : «الاعلام» ٧ - ١٢١ - وبيروكلمان ٢ - ٨١٢ وفهرس «الفهارس» ١ - ٣٩٢ .

حتى أصبحت كالشمس في رابعة النهار، فحق على أعدائها قول الله عز وجل
 ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ، وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾، ولهذا لا ضير في
 نشر هذا الكتاب ، وإبداء آراء مؤلفه لمعرفة منزلته من العلم ، ولإبطال
 الباطل منها . بل إن هذا من الأمور المتعينة على العلماء ، وكما قال الإمام
 أبو عبد الرحمن السلمي : أهل السنة يكتبون ما لهم وما عليهم ، وأهل البدعة
 لا يكتبون إلا ما لهم - أو ما هذا معناه - أي أنهم لضعف حججهم
 لا يذكرون أدلة خصومهم لكيلا ينضح بطلان آرائهم ، بخلاف أهل
 الحق فإنه لا يضيرهم إيراد أدلة خصومهم ، لأن تلك الأدلة تنادي على
 نفسها بالبطلان .

لهذا رأيت نشر جميع التراجم التي أوردتها للحنابلة النجديين ، مما اطلعت
 عليه في النسخة التي وقعت في يدي ، بل أضفت إلى تلك التراجم ^(١) ما أوردته
 ابن حميد عن بعض مشائخه من غير أهل نجد ، من أهل الزبير - وسكان
 تلك البلدة انتقل أكثرهم من نجد - وما أضفته من هذا القبيل قليل ،
 وأردت أن أقدم للقارئ كل ما أتى به ابن حميد في كتابه مما لم ينقله في
 تراجم غير النجديين ، من كتب أكثرها معروف ، فكل ما يتعلق بتراجم
 علماء نجد في هذا الكتاب قدمته للقارئ .

و كنت أردت أن أضرب صفحاً عن تراجم العلماء المعاصرين لقيام
 الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - بنشر الدعوة السلفية ، وتراجم
 من جاء بعده ، تَوْقِيّاً لما أشرت إليه ، ولأن ابن حميد أهمل العلماء الذين
 آزرُوا الدعوة وقاموا بنشرها ، ومن ذكر منهم كالشيخ (أبا بطين)

(١) وعدد التراجم كلها ٥٠ ترجمة .

نسب إليه ما هو منه بريء - ولكنني رأيت أن أقدم للقارىء كل التراجع ،
لتنضج له حقيقة هذا الكتاب ومؤلفه . .

وقد اطلعت على مؤلف حديث للأستاذ الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن
البسام - رئيس محكمة التمييز بمكة المكرمة - دعاه « علماء نجد خلال ستة
قرون » وقد نقل فيه بعض تراجم الحنابلة عن « السحب الوابلة » كما ترجم
مؤلف هذا الكتاب ، ورأيت في كتاب الشيخ عبدالله تراجم كثيرة قبل
عهد الإمام المجدد الشيخ محمد ، في تلك العصور التي كان يكتنفها الظلام ،
لم ترد في كتاب « السحب الوابلة » فقد اطلع الشيخ عبدالله على مصادر
كثيرة لم يطلع عليها ابن حميد ^(١) ، فأحببت أن أضع أمام القارىء جميع
ما أمكن معرفته من حالة بلاد نجد العلمية قبل عهد الإمام الشيخ محمد ،
مثلة تلك الحالة في تراجم من عرف من علمائها في عهدنا ، فأضفت إلى
ما ذكر ابن حميد ملخصاً عن تراجم من لم يترجمهم ، من كتاب الشيخ
عبد الله البسام .

كما ذيلت بعض التراجم بإضافات من كتاب الشيخ عبدالله ، ومن
كتاب « مختصر طبقات الحنابلة » للشطي ، بحيث نقلت ما فيه مما يتعلق
بعلماء نجد .

وبالاجمال ، فقد أوردت جميع تراجم النجديين الواردة في « السحب
الوابلة » وهي لب هذا الكتاب بالنسبة للمعنيين بدراسة تاريخ هذه البلاد .

حمد الجابر

(١) جاء في مقدمة كتاب الشيخ عبدالله البسام : (الفضل الأول لله تعالى على تيسيره ،
ثم لمسى الشيخ سليمان بن صالح البسام ، الذي أطلعني على مجاميع وأوراق تعب في جمعها وكتابتها
المؤرخ الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى ، الذي أوقف عمره على جمع هذه الفوائد في التاريخ
والأنساب ، كما يعود الفضل لأسلاف وأهل الأقدمين ، الذين حرصوا على تدوين هذه المعلومات
حتى وصلت إلينا) . انتهى .

العلماء النجديون في «السحب الوابلة»

١ - إبراهيم بن أحمد بن يوسف النجدي (١)

كان من تلامذة الشيخ محمد بن فيروز ، وأظن والده ، ثم ارتحل إلى بلد الزبير وغيره ، [..] (٢) ثم الدمشقي الفقيه النبيه الفاضل المحقق قطب دمشق مدة سنتين إلى أن توفي بها قبل سنة ١١٧٩ ولم ينقطع عن التدريس والاستفادة إلى قرب وفاته وأخذ عنه جمع من الفضلاء ، وكتب على مسائل عديدة وأجاب بأجوبة مفيدة رحمه الله ٥

(١) ترجمه الشطبي في « مختصر طبقات الحنابلة » - ص ١٣٦ - ترجمة أوفى من هذه هذا نصها : (الشيخ إبراهيم النجدي : إبراهيم بن أحمد بن سليمان بن أبي يوسف النجدي الأصل والشهرة ، الأشيقرى - نسبة إلى بلدة من بلاد نجد ، نزحل دمشق ، الشيخ الفاضل الفقيه الفرضي المحصل ، الليب الناسك المتقشف ، بقية السلف الصالح . برهان الدين .

ولد في منتصف جمادى الآخرة سنة ست وأربعين ومائة وألف ، وقرأ القرآن على محمد بن أحمد بن سيف وأحمد بن سليمان النجديين وأخذ بعد ذلك في طلب العلم فقرأ في مبادئ الفقه على شاله الشيخ عثمان بن عبد الله ، وحج من بلادهم ثلاث مرات ، وفي المرة الأخيرة قدم دمشق صحبة الركب الشامي فدخلها في صفر سنة ١١٨١ واستقام بها لطلب العلم ، فأخذ الفقه وأصوله عن شيخنا الشهاب أحمد بن عبد الله البجلي ، والشيخ محمد بن مصطفى البجلي ، وأخذ العربية عن شيخنا القطب عمر بن عبد الجليل البغدادي ، وحضر في الصحيحين على شيخنا الشهاب أحمد بن عبد الله العطار في الجامع الأموي بين الشاميين ، وأخذ الفرائض عن الشيخ الكردي ، وحضر دروس شيخنا المحقق على أفندي الطاغستاني .

ونيل قدره وعلى ذكره ، ودرس في الجامع المصور العمري بعد وفاة شيوخنا ، وأقبلت عليه الحنابلة ، وانتظموا به ، وصار مرجعاً في مسائل المذهب ودقائقه .

وكان فقيراً صابراً ، عليه سبيل العلم والعمل والتقوى ، وكان متقللاً من الدنيا ، معرضاً عن زخارفها ، لا يتردد إلى أحد من أبنائها ، مثابراً على صلاة الجماعة في الجامع الأموي ، مصون اللسان عن القفر .

وبالجملة فهو آخر فقهاء الحنابلة موتاً بدمشق . ولم يزل على هذه الحالة حتى توفي في مطعونا شهيداً ، طعن ليلة الأربعاء ١٦ شوال سنة خمس أو ست ومئتين ، وتوفي بعمره عصر اليوم المذكور وهو في غاية من اليقظة ، وصل عليه في مسجد الشيخ عبد الله المكلاني بمحلة القيمرية ، ودفن قبيل الغروب في الجبانة الرسالية ، تجاه السورالدمشق . وكثر الأسف عليه ، رحمه الله تعالى إنتهى .

فابن حبيب أرخ وفاته قبل سنة ١١٧٩ والشطبي سنة ١٢٠٦ ولكن الشيخ عبد الله البسام في كتابه « علماء نجد خلال ستة قرون » جعلها سنة ١٢٠٦ .

(٢) هنا نقص ولله : (النجدي) .

٢ - ابراهيم بن سليمان بن علي بن مشرف التميمي النجدى^(١)

الفقيه النبيه التقي الصالح ، ولد في بلدة العيينة تصغير عَيْنٍ ، وقرأ على والده^(٢) علامة الديار النجدية مؤلف المنسك المشهور^(٣) وقرأ على خيرة من علماء نجد وتوجهت مِمَّنْهُ إلى الفقه ، وانصرف إليه بالكلية فحصل واستفاد وأفاد ، وكتب من كتب الفقه شيئاً كثيراً بيده وخطه حسن مضبوط .

٣ - ابراهيم بن عبد الله بن ابراهيم بن سيف

الواثلي^(١) نسباً النجدى أصلاً المدني مولداً ومنشأً ووفاء ، العلامة الفهامة ، المحقق المدقق ولد في المدينة المنورة ونشأ بها وقرأ على علمائها والواردين إليها من علماء الأقاليم ، فبرع في الفقه والفرائض والحساب ، وشارك في جميع الفنون ، انتهت إليه رئاسة المذهب في الحجاز سيما علم الفرائض ، فإنه لا يجارى ولا يبارى إليه لأن فيه الغاية وعنده في النهاية ، فكان يرحل إليه لأجله ويرسل إليه كل عويص فيُشْنَم بِحِلَّةٍ ، وصنف كتابه «العذب الفائق»^(٥) بشرح ألفيه الفرائض جمع فيه جمعاً بديعاً ، وحوى المذاهب الأربعة تأصيلاً وتفريعاً وأحصى علوم الحساب جميعاً فاشتهر في الآفاق وتعجب منه جملة الخذاق ، وحصل على استحسانه الاجماع والوفاق من

(١) هو عم الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله .

(٢) نقل الشيخ عبد الله البسام عن المنقور : (ولد سنة ١٠٧٠ ، وعلق على هذا قائلا :) وهذا تعرف وهم ابن حميد في « السحب الوابلة » وابن بشر في « عنوان المجد » حين قال إنه أخذ عن والده فإن عمره يكون حين وفاة والده تسع سنين وليست هذه السن من طالب العلم المستفيد) ثم ذكر أنه ولد في المدينة . وقد ولي القضاء في أشيقر ونقل عن تاريخ الشيخ محمد بن عباد أنه توفي سنة ١١٤١ وأنه خلف ابنه الشيخ عبد الرحمن المتوفى سنة ١٢٠٦ .

(٣) قد طبع هذا المنسك .

(٤) ليس واللياً بل من شعر من طوى من فخذ يدعى آل ميار من عبدة ثم من شعر ، كما أوضح ذلك ابن لعبون في تاريخه .

(٥) طبع هذا الكتاب مرتين .

أهل المذاهب على الاطلاق ، فقرأ عليه جمع جم وتناسخته الأفاضل وصارت به الركبان وصار مرجع أهل هذا الشأن ، إلى هذا الأوان ^(١) وتوفي المرحوم في طيبة الطيبة سنة تسع وثمانين ومائة وألف ودفن في البقيع .

وخلف أولاداً نجباء وذريته إلى الآن في المدينة المنورة ومنهم طلبة علم ولهم وظيفة أذان بالمسجد النبوي ويعرفون ببني الفرضي نسبة إليه رحمه الله تعالى .

ووالده من أفاضل الفقهاء قرأ علمائها ، ثم ارتحل إلى الشام فقرأ على علامتها وشيخ الحنابلة بها أبي المواهب ، وسكن في المدينة المنورة إلى أن مات وأخذ عنه جمع منهم الشيخ صالح بن عبدالله الصانع العنيزي كما ذكره في إجازته لأحمد ابن شبابة انتهى .

٤ - إبراهيم بن ناصر بن جديد الزيري

ولد سنة [٢٢٠] ونشأ نشأة حسنة فقرأ القرآن وحفظه ، وحفظ « مختصر المقنع » وألفية الآداب وغيرهما ، وقرأ على مشايخ بلده ، ثم ارتحل إلى الشام للتقى عن علمائها ، فسكن في المدرسة المرادية أربع عشرة سنة ، وأكسب على الطلب والاشتغال ، وأكثر حضوره على شيخ المذهب العلامة الورع الزاهد ، الفقيه الأصولي الشيخ أحمد البعلي مؤلف « الروض الندي » وشارح « مختصر التحرير » الأصولي ، فأخذ عنه التفسير والقراءات والحديث والفقه والنحو والأصول وغيرها ثم أجازته هو وغالب علماء دمشق المحروسة من أهل المذاهب منهم الشيخ مصطفى بن الشيخ محمد النابلسي الحنبلي ،

(١) قال صاحب « تحفة الأصحاب فيما للدينين من الأنساب » : (إبراهيم فاق والده في هذا العلم وصار لا نظير له في المدينة ، بل في الدنيا كلها . وكانت ترد إليه الأسئلة بكثرة من الأقاليم ، فيجيب عليها بلا كلفة) .

(٢) بياض في الأصل .

والعلامة الحافظ أحمد بن عبيد الشهر بالعطار الشافعي كما رايت إجازاتهم له بخط رفيقه في الطلب العلامة فرضي زمانه الشيخ محمد بن سلوم وبعد أن قضى وطره من الشام قدم الأحساء للأخذ عن علامتها العلم المفرد الشيخ محمد بن فيروز فقرأ عليه في فنون عديدة واستجازه فأجازته سنة ١١٩٥ ثم رجع إلى بلده الزبير فتلقيه أهلها خاصتهم وعامتهم بالإكرام التام ، والتبجيل والاحترام ، وصار إليه المرجع ، في أمور الدين ، وطلبوا منه أن يتولى القضاء فأبى ، فلم يزالوا به حتى ولي بغير معلوم ولا خلد ، وصار خطيب الجامع ، وواعظه الذي تدرّف منه المدامع ، ومدرس الفقه ومفتيه ، ومسدي المعروف ومؤتبه ، وكان في الفقه ماهراً ، وفي الزهد والتقى باهراً متواضعاً جدّاً سخياً طلق الكف ولو بالدين ، لا يدّخر شيئاً قلّ أو جلّ وعلى كثرة ما يأتيه كان يحتاج لكثرة ما عوّد الفقراء والطلبة والواردين من الإحسان وكان يباشر خدمة بيته وأضيافه بنفسه .

أخبرني شيخنا التقي النقيّ الشيخ محمد الهديّنيّ وكان من أنخص تلامذته — أنه إذا أتاه زائر قام بنفسه وأخرج له تمر من قوَصرة كانت عنده بيده .

قال ولما عزمت على الرحلة إلى الحرمين قال لي : تسافر عن أحبابك وتشتاق إليهم ويشتاقون إليك ؟ ! فأقمت . فأبيت ، فلما رأيته مُصمّماً بكى وقال : يا ليتني شعرة في جسدك ! ! فوادعته ودعا لي بدعوات أرجو بركتها .

وأخبرني من لا يعتمد أنه دخل عليه شخص في هيئة بدوي فتلطف به الشيخ واحتفل به إلى الغاية ، فلما خرج ذاكرنا الشيخ في حقه كالمسكرين لفعله هذا مع بدوي فقال : هذا من رفقاتنا في الطلب على شيخنا الشيخ محمد بن فيروز ، وكان هذا يحفظ « صحيح البخاري » وهو من أمراء الأحساء آل حميد ، فلما هربوا من سعود ، هرب معهم ، وسكن معهم البادية كذا أخبر والله أعلم .

وكان لا يخالط الناس إلا لضرورة أو كالضرورة ، قل أن يرى

إلا تالياً أو مدرساً أو مذاكراً أو يحكي حكايات الصالحين ، أو أحوال
رحلته في الطلب لتنشيط هم الطلبة .

ومما شاع من حلمه أن بعض أهل نجد هجاه وكفروه ، وأطلق لسانه
بالقول الشنيع فيه ، لكونه أنكر على ابن عبد الوهاب والهاجبي موافق
له ، فاتفق أن الهاجبي تصعلك وافتقر ونسى ماجرى ، فسافر إلى بلد الزبير ،
والشيخ المترجم إذ ذاك عينها الباصرة ، وكلمته مقبولة عند البادية والحاضرة
فعندما سمع بوصول الهاجبي أرسل إليه بكسوة ودراهم ، وقال : هذه بمقابلة
هديتك التي أهديت إلينا تلك السنة . وأرسل إلى الأمير أن لا يتعرض له
أحد بسوء .

وكان رحمه الله كثير التدريس خصوصاً في الفقه لا يفسجر ولا يمل ،
حسن الوعظ والتذكير ، كلامه (له) وقع في القلوب لحسن قصده ،
وصدق نيته وورعه وزهده وتقاه ، يعلوه هبة ونور ، نفع الله به أهل
بلده بل جميع تلك البلدان ، ورغبهم ، وحثهم على العلم فسارعوا للأخذ عنه
ونجى منهم خلقاً كبيراً ^(١) خصوصاً في الفقه وتنافسوا في تحصيل كتب
المذهب ، وتغالوا في أثمنائها وفي استنساخها ، وصار للعلم سوق قائم ،
وزهت البلد ، وصار يرحل إليها لأخذ مذهب الإمام أحمد ، وبني بعض
الموفقين مدرسة للطلبة الوافدين ، وأنفق عليها جميع ما يملكه ، فصارت
مأوى المستفيدين ، وكان السبب في ذلك كله الشيخ المترجم ، وكان
يقوم للطلبة بكفاتهم كأنهم عائلته ، وكان له جاه عظيم عند الحكام
والأمراء ، مع عدم محبته لهم ومبالاته بهم ، وكانت العلماء من أهل المذاهب
تعظمه وتثنى عليه ، منهم لسان الزمان ، وناطقة الأوان امام البلاغة
والبراعة ، وختام ذوي الفصاحة الذي لا يراع له يراعة ، الشيخ عثمان
بن سند البصري المالكي فقد نقل للشيخ المترجم نسخة من منظومته في أصول
الفقه بخطه البديع ، وكتب في آخرها ما صورته : (الحمد لله رسمت هذه

(١) كذا والصواب (خلق كثير) .

المنظومة في خدمة مولانا الفاضل النبيل ، والجهد الكامل الجليل الشيخ
ابراهيم بن ناصر بن جديد ، أدام الله بقاءه ، ، ووالى عليه نعماءه ، ونشر
في الملا الأعلى ثناءه ونظم به لآلىء الفوائد ، وقيد به من الفضل الأوابد ،
وجعله واسطة عقد الكرام الأماجد ، وصلى الله على محمد وآله الكرام
وصحبه العظام) . انتهى ومن خطه نقلت .

توفي المترجم ثالث عشر شعبان سنة اثنتين وميتين وألف ، ودفن
قريباً من ضريح سيدنا الزبير بن العوام رضى الله عنه .

٥ - أحمد بن حسن بن رشيد الاحسائي الشهير بالحنبلي

ولد في الاحساء سنة ^(١) ورباه الشيخ محمد بن فيروز تربية بدنية
وعلمية ، فأقرأه في أنواع العلوم العقلية والعقلية فبرع في الكل ، لما له
من وفور الذكاء والفهم ، وشدة الحرص والاجتهاد ، ففاق رفقائه ، حتى
أن منهم من تتلمذ له بإشارة شيخهم .

ولما قويت حركة سعود وخاف أهل الاحساء أن يذهبهم ، وعزم
شيخه المذكور على الانتقال إلى البصرة استأذنه هو في المجاورة في الحرمين
الشريفين فأذن له ، وأجازه بإجازة منظومة ، وأوصاه بوصايا منها قوله :

إحذرْ تُصَبِّ بعارض من محق أهل العارض

فكانت هذه مكاشفة من الشيخ ، فإن المذكور لما حل ساحة طيبة
وأكرمه أهلها غاية الإكرام ، وتلمذ له جمع منهم في المنقول والمعقول ،
وتزوج بنت علامتها الشيخ مصطفى الرحمتي الانصاري الأيوبي الحنفي ،
مُحَشِّي « الدرر » وصار للمترجم صيت بالغ ، وشهرة تامة ، وصار يكاتب
السلطان عبد الحميد ووزراءه ، ويستنجدهم في ذب سعود عن الحرمين

(١) بياض في الأصل وقال الشيخ عبد الله بن بسام (عام ١١٥٥ تقريباً) وزاد في نسب
الشيخ بمدر رشيد (بن عفاق المغالقي القطاني) .

الشرفين ، وكاتب علماء الروم والشام في ذلك الأمر المهم ، وقام فيه وقعد ، فلم ينجدوا ، ولا ظهر فيهم مبالاة في هذا الأمر المهم ، والخطب الملهم ، وصاروا كما قيل : **الطفل يلعب ، والعصفور في الالم**

وآخر الأمر أن علماء الشام لما رأوا عدم الإغاثة من الدولة أرسلوا للمذكور دراهم (٢) وقالوا : أيسنا من إيجاد الدولة ، فتجهز بهذه إلينا ، فلم يمكنه ذلك ، واستسلم - كغيره - لتيار الأقدار ، فهجم سعود على المدينة المنورة ، وأرعب الخاص والعام ، فما أمكن الشيخ إلا المصانعة معهم والمدارة لهم ، والمداينة خوفاً منهم ، ورجاء نفع الناس عندهم بحاجه ، فأقرأ كتبهم ، وقام معهم ، فبجّلوه ، ورأسوه ، لاحتياجهم الشديد إلى مثله ، لتقدمه في العلوم ، ومعرفته بمذهب السلف ، وأقوال الأئمة ، وإتقانه فقه مذهب الإمام أحمد ، الذي هم ينتسبون إليه ، في ظاهر دعواهم ، تستراً ، وإلاّ فهم يدعون الاجتهاد ، ولا يقلدون إماماً ، ولسمعه عقل المشار إليه ، وسداد تدبيره ، وكفايته بمناظرة مخالفينهم ، وفقدان مثله في جميع من تبعهم . فصار له جاه عند سعود كبير ، وأمر أمير المدينة من جهته أن لا يصدر ولا يُورد إلا عن رأيه وبإشارته ، يعزل ويؤلي ، فصال بذلك ولكنه كان يذب عن الناس خصوصاً أهل المدينة بقاية جهده ، ونفع بذلك خلقاً .

وكان يقول : الله يعلم أن هذا جل مقصدي من مداخلتهم . فلما انقضت مدتهم وهربوا هرب معهم ، وتُرَدَّد بينهم وبين الوزير ابراهيم باشا ابن محمد على باشا في الصلح فاتم . ولامه ابراهيم في الخروج معهم عن المدينة المنورة ، فاعتذر بأعذار واهية ، فعرض عليه أن يرده إلى المدينة ، كالخبر في الظاهر وهو طيب النفس في الباطن ، وإن نسب إلى الغدر

يأمره الرسول فأبى وقال : لا أفارقهم إلا أن غلبوا ، فأغضب الباشا ذلك ، ولما أخذ بلادهم أمسكه وعذب به أنواع العذاب ، فيقال : إن الباشا رأى رؤيا من جهته أزعجته ، فكفَّ عنه العذاب ، وكان أبوه سمع بذلك فما استحسنه لكونه منسوباً من مجاوري المدينة ، وصهرأ لهم ، ولما تحقق عنده في السابق من إنكاره أمرهم ، واستنجد الدولة عليهم ، ولشهرته في العلم والعقل . فأرسل يطلبه ، فوصل إليه في مصر ، وأكرمه ، ورتب له رواتب جزيلة ، وأعطاه جوارى حسناً . وجمع بينه وبين علماء مصر ، فتناظروا فثبت ثباتاً عظيماً ، وعزَّ في عين الباشا ، وعرف العلماء فضله وأثنوا عليه ، فجعله الباشا شيخ المذهب الحنبلي ، وهو عبارة عن المفتي . وأمره أن يقريء بعض أولاده ومماليكه في القلعة وفي بيته ، ويدرس في الأزهر ، ويحضر عنده جمعٌ ، وانفرد بمذهب الإمام أحمد ، فصار يُرَّحل إليه للأخذ عنه ويرسل إليه من الأماكن للفتوى ولطلب الإجازة . وكان نقش خاتمه هذا البيت : (٢)

أنا حنبليٌّ ما حييت وإن أمت فوصيِّي للناس أن يتحنلوا
توفى وقد ناهز الثمانين أو جاوزها ، وهو متمتع بحواسه ما عدا ثقلاً قليلاً في سمعه سنة ١٢٥٧ في مصر ودفن بها .

(١) قال ابن بشر في « عنوان المجد » : (أمر الباشا فعزَّر بالضرب والمذاب وقلعوا جميعاً أسنانه .

(٢) هنا رسم دائرة في وسطها (أحمد) ويحيط به البيت المذكور .

أحمد بن ذهلان

لم يترجمه ابن حمدي في «السحب» ولكن الشطي ترجمه في «مختصر طبقات الحنابلة»
ص ١٢٥ - نقلاً عن كتاب الغزي ، وهو من مصادر ابن حميد - انظر
المقدمة - قال الشطي : (الشيخ أحمد بن ذهلان النجدي : أحمد بن ذهلان
بن عبد الله بن محمد بن ذهلان النجدي المقرني ، المتصل النسب بسيدنا
خالد بن الوليد - رضي الله عنه - الشيخ الفاضل العالم الفقيه النخبة العمدة ،
مفتي البلاد النجدية ، والديار الإحسانية ، أبو العباس شهاب الدين .

ولد في بلدة مَقْرِن^(١) ونشأ في حجر والده ، وتلا عليه القرآن
العظيم ، وأخذ عنه الفقه وغيره ، وأخذ أيضاً عن عالم البلاد النجدية^(٢)
ابن سَحِيم النجدي ، وبرع وفضل وصارت فيه البركة التامة في الفقه ،
وولي قضاء نجد وإفتاءها ، وسار في ذلك سيراً حسناً ، ولم يزل على طريقته
المثلى حتى توفي وكانت وفاته سنة تسع وستين ومائة وألف ودفن هناك .

قال المؤلف الغزي : كذا أملاه علينا ولده صاحبنا الشيخ عبد العزيز
من لفظه بدمشق رحمه الله تعالى) . انتهى .

وأضاف الشيخ ابن بسام أن آل ذهلان من آل سحوب من زعب من بني
سليم :

وقال : (نشأ في بيت علم فجده الشيخ عبد الله علامة نجد ، وعم أبيه
عبد الرحمن بن ذهلان من العلماء ، وأبوه ذهلان منهم ، وكلهم من علماء
بلده) . انتهى .

(١) مقرون : مثلها اسم الرياض .

(٢) في كتاب « علماء نجد في خلال ستة قرون » : (أخذ عن عبد الله بن أحمد بن سحيم)
إنهى . ولا أدري كيف وصف بأنه عالم البلاد النجدية .

٦ - أحمد بن عثمان بن جامع^(١)

قاضي البحرين م بلد سيدنا الزبير قرأ على أبيه وغيره ، وأظنه أدرك شيخ أبيه الشيخ محمد بن فيروز لما نزل البصرة وحضر درسه ، وتولى قضاء البحرين بعد أبيه فباشرها مدة طويلة بالعبقة والديانة والصيانة ، فوَقعت بين أمرائها فتن ، فرحل عنها إلى بلده الزبير ، وتولى قضاءها إلى أن مات سنة ٢٨٥ وتولى القضاء بعده أكبر أولاده وأسدُّهم الشيخ محمد ، فلم يتم سنة وتوفاه الله تعالى وكان المذكور قد حج سنة ٢٥٧ فاجتمعت به في مكة المشرفة وسألته واستفدت منه ، وأجازني ومعه ولده الشيخ محمدهذا وعبدالله وكان رجلا صالحاً ساكناً وقوراً وأظنه قارب التسعين .

٧ - أحمد بن محمد بن حسن الشهير بالقصير

- بضم القاف ، وفتح الصاد المهملة . وكسر الباء المشددة ، بصيغة التصغير - النجدي . الأشيقي - نسبة إلى أشيقر بضم الهمزة من قرى الوشم^(٢) .

(١) أورد الشيخ عبد الله بن بسام نسبة : (أحمد بن عثمان بن عبد الله بن جمعة بن جامع بن عبيد بن عبد ربه الأنصاري الخزرجي ، قدم جدهم جامع من المدينة وسكن القصب ثم انتقل إلى جلاجل فولد فيها ابنه جمعة ثم ارتحل جمعة إلى الشام لطلب العلم فصار عالماً) وذكر أن آل جامع أبناء عم آل شريدة في بريدة . وذكر أن المترجم ولد سنة ١١٩٤ في بلدة الزبارة وإنه قرأ على أبيه الشيخ عثمان . وقال الشيخ ابن بسام إنه توفي في العشرين من ربيع الثاني سنة ١٢٨٥ هـ .

(٢) هذا ما أورد ابن حميد ، في النسخة التي نقلت عنها وفي نسخة بتة ولكن الشيخ عبد الله بن بسام نقل عن ابن حميد أنه قال في طبقاته (وكتب بخطه الحسن النير المضبوط كثيراً من كتب الفقه وغيره وأفتى وكتب على المسائل كتابة حسنة ، ودرس في بلده وانتفع به خلق) إنتهى . وذكر الشيخ ابن بسام أنه ولد في أشيقر مقر عشيرته الوهبة ونقل عن ابن بشر : (في سنة ١١٠٧ ظهر سعد بن زيد الشريف إلى نجد ونزل بلدة أشيقر وحاصر أهلها وطلب أن يخرج إليه الشيخ حسن بن عبد الله أبا حسين ومحمد بن أحمد القصير فخرجوا إليه فحبسهما وكان ذلك في رمضان فأفتى الشيخ الفقيه أحمد القصير بالفطر في رمضان ، ويحصدون زروعهم) . وسرد أسماء مشايخه وتلاميذه . وذكر أنه توفي في بلدة سنة ١١٢٤ هـ .

٨ - أحمد بن محمد التميمي النجدي الشهير بالمنقور^(١)

قرأ على العلامة الشيخ عبدالله بن ذهلان وغيره من علماء نجد ، واجتهد مع الورع والديانة والقناعة ، والصبر على الفقر والعيال ، وكان يتعيش من الزراعة ويقاسي فيها مع حرصه على الدروس في غير قرينته شذائد ، ومهر في الفقه فقط مهارة تامة ، وصنف تصانيف حسنة منها بل أعظمها مجموعته الفقهي المشهور بالقيد (٢) الجامع لغرائب الفوائد ، والنقولات الجلية من الكتب العربية (٣) ، ومنها مناسك الحج وغيرها وله جوابات عن مسائل فقهية مسددة وكتب (كتباً) كثيرة وخطه ردىء توفي سنة ١١٢٥

٩ - أحمد بن يحيى بن عطوة بن زيد التميمي النجدي^(٢)

مولداً ومسكناً

ولد في بلدة العُبيّنة - تصغير عين - ونشأ بها ، فقرأ على قضائتها ، ثم رحل إلى دمشق لطلب العلم ، فأقام فيها مدة وقرأ على أجلاء مشايخها منهم العلامة الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبدالله العسكري شيخ الشيخ موسى الحجاجاوى وتخرج به وانتفع ، وقرأ على غيره كالحمال يوسف بن عبد الهادي العليمي المرداوي وتفقه ومهر في الفقه ، فأجازه مشايخه وأثنوا عليه ، فرجع

(١) ساق الشيخ عبدالله البسام - نسبة عن خط يده : (محمد بن محمد بن أحمد بن حمد بن محمد المنقور) .

وعد من أشهر مشايخه عبدالله بن ذهلان الذي رحل إليه في الرياض (مقرون) خمس رحلات على ما ذكرها في تاريخه وأنه ولي قضاء بلدته الحوطة حتى مات .

ومن مؤلفاته : المجموع - المعروف باسم مجموع المنقور - طبع . ونبذة تاريخية طبعت . ومنسك لطيف على ما ذكر الشيخ ابن بسام .

(٢) وزاد الشيخ عبدالله البسام : (من آل رحمة فخذ كبير من النواصر الذين هم من بني الحارث المسمى الحبط - من بني عمرو من تميم) .

وذكر أنه في دمشق نزل في مدرسة الشيخ أبي عمر في الصالحية وكانت حافلة بالعلماء والكتب النادرة ، وأنه وقف بعض كتبه فيها ولا تزال بقية كتبها في (دار الكتب الظاهرية) .

وعد من مؤلفاته : التحفة في الفقه ، والروضة في الفقه ، ودرر البيان ومنسك في الحج ، وله فتاوى وتحريرات نقل كثير منها المنقور في مجموعه .

إلى بلده موفور النصيب من العلم والدين والورع ، فصار الرجوع إليه في قَطَرٍ نَجْدٍ والمشار إليه في مذهب الإمام أحمد ، وانتفع به خلق كثير من أهل نجد ، تفقهوا عليه ، وألف مؤلفات عديدة منها « الروض » ومنها « التحفة » ومنها « درر الفوائد وعقيان القلائد » وله تحقيقات نفيسة وتدقيقات لطيفة ، وتوفي ليلة الثلاثاء ثالث رمضان المبارك سنة ٩٤٨ ودفن بمقبرة الشهداء من الصحابة في الحبيلة - بضم الجيم - من قرى العيينة من أرض الإمامة ضجيعاً للشهيد الحليل زيد بن الخطاب رضي الله عنه (١) .

وقال الشيخ عثمان بن قائد في إجازته للشيخ محمد الحبي (٢) بعد ذكر إسناده إليه : عن العارف بالله تعالى ذي الكرامات الظاهرة والآيات الباهرة الذي فتح الله به مقفلات القلوب وكشف به معضلات الكروب (٣) .

(١) كان كثير من العامة قد فتنوا بهذا القبر ، يفعلون عنده من المنكرات التي من أعظمها الشرك بالله كدعاء صاحبه ، وكان الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله - إذا رأى ما يفعلون يقول : بصوت مسموع : (الله خير من زيد) . ثم لما بدأ رحمه الله بنشر الدعوة وآزره أمير العيينة وملك الجهات الأمير عثمان بن معمر كان أول ما بدأ به هدم ما بنى فوق القبر من قبة ، وتسميته وما حوله بالأرض . وكانت تلك القبور تقع في الجنوب من قرية الحبيلة . وأذكر أنني مررت بتلك الجهة متوجهاً إلى الرياض مع رفقة على إبل ، فنزلنا على مقربة من المقبرة ، فشاهدت السيل قد جرف فيها منها بحيث كان بعض ما في اليهود بارزاً . ولا أستبعد أن يكون أتى عليها كلها ، فقد كانت الجهة الشمالية من الوادي معمورة ، ذات حبوس ، فعندما يقوى سيل الوادي يشتد جرفه بجانب الجنوب .

(٢) وعن لم يترجمهم ابن حميد في النسخة التي اطلعت عليها من « السحب الوابلة » وقد ترجمهم الشيخ عبد الله بن بسام في كتابه « علماء نجد » ومنه تلخصت تراجمهم :

١ - إبراهيم بن الشيخ محمد بن عبد الله بن الشيخ محمد بن أحمد بن إسماعيل .. ولد في أشيقر وتعلم على علمائها ومنهم والده تلميذ الشيخ سليمان بن علي وولي قضاء القرابين فأخذ عنه الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الحصين وتوفي سنة ١١٨٥ .

٢ - إبراهيم بن الشيخ محمد بن أحمد بن إسماعيل . ولد في أشيقر وفيها نشأ وتعلم ، وتولى قضاها ، ونسخ كثيراً من الكتب . وتوفي سنة ١١٠٨ هـ .

٣ - أبو نعي بن عبد الله بن راجح بن أبي نسي . ولد في المودة وفيها نشأ ، وتلقى العلم على سليمان بن علي بن مشرف ومحمد بن أحمد بن إسماعيل .

• • • • •
= ورحل إلى مصر، فأخذ عن علمائها ومنهم مرعي بن يوسف العالم الحنبلي مؤلف « الغاية »
و « دليل الطالب » وغيرهما وهو من علماء القرن الحادى عشر .

٤ - أحمد بن إبراهيم بن محمد بن أبى حميدان .
٥ - ولد فى أول القرن العاشر وأخذ عن علماء نجد ومنهم حسن بن على بن بسلام والعلامة أحمد بن
زيد بن عطوة .

سافر إلى دمشق وتلقى عن علمائها ومنهم موسى الجباوى مؤلف « الاقتاع » .
وقد أوقف كتاب الفروع والإنصاف والزركشى (؟) على المناظرة فى الصالحية بدمشق .
ثم عاد إلى نجد . وهو من علماء القرن العاشر .

٥ - أحمد بن حسن بن أحمد بن سلطان القصير الهمداني .
ولد فى أشيقر وتلقى العلم على الشيخ سليمان بن على وعبد الله بن محمد بن ذهلان وغيرهما .
وله تلاميذ كثيرون .
توفى فى أشيقر سنة ١١٢٤ .

٦ - أحمد بن عثمان بن عثمان بن محمد بن علي بن عثمان بن عبد الله بن بسلام بن منيف بن
عساكر - الوهبي - الملقب بالحصيني . بالحصيني .

ولد فى أشيقر وبها نشأ وتعلم على علمائها كالشيخ أحمد بن محمد القصير والفقير حسن بن
عبد الله أبى حسين والشيخ محمد بن عبد الله بن إسماعيل وجد واجتهد حتى صار عالم ببلده فى زمانه .
وتوفى سنة ١١٣٩

٧ - أحمد بن محمد بن ربيع - بكسر الحاء المعجمة بعدها مثناة تحنية فحاء معجمة أيضا .
ولد فى مفرن - وتعلم على مشايخ نجد ، وصار من فقهاء العارض .
وانتقل إلى المدينة ، ودرس فى الحرم النبوى ، وهو من أهل القرن الحادى عشر .

٨ - أحمد بن محمد بن عبد الله بن بسلام بن عساكر الوهبي .
ولد فى أشيقر ودرس على علمائها كالشيخ محمد بن أحمد بن إسماعيل وتولى قضاء القصب
ثم ملهم ثم المينة ، وله فتاوى فقهية ونبذة فى تاريخ نجد . ، توفى سنة ١٠٤٠
٩ - أحمد بن محمد بن مشرف الوهبي . ، ولد فى أشيقر وقرأ على علمائها .

ثم رحل إلى دمشق وأخذ عن الشيخ موسى الجباوى مصنف « الاقتاع » وغيره .
ثم رجع وأخذ عن الشيخ أحمد بن يحيى بن عطوة الناصري ، وتلقى العلم منه شافير علماء
نجد كالشيخ محمد بن أحمد بن إسماعيل وسليمان بن على بن مشرف وغيرهما . ، وتوفى سنة ١٠١٢
١٠ - أحمد بن ناصر بن محمد بن عبد القادر بن مشرف .

تولى قضاء الرياض ، وتوفى سنة ١٠٤٩ .

وبجاء فى ترجمة جده (محمد بن عبد القادر بن راشد بن بريد ابن مشرف)
١١ - أحمد بن محمد بن ناصر بن محمد بن عبد القادر بن راشد بن مشرف (كأنه هو أحمد

بن ناصر) . =

- بكسر الحاء المهملة فجيم مشدودة كالنسبة إلى الحج - ابن مزيد -
بفتح المثناة - ابن حميدان - بضم الحاء المهملة وفتح الميم وإسكان
التحبة - قال الشيخ محمد بن فيروز : قدم علينا من فارس فقرأ على الوالد
كثيراً ثم اشتغل على الفقير ، فكان فقيهاً فرضياً ، ولما سكن أهل الزيارة
من قطر فيها ، طلبوا منه أن يكون لهم إماماً وخطيباً ومعلماً ، فأذنت له
في ذلك وكان لهم كذلك إلى أن توفاه الله فيها سنة ١١٩٢ .

١١ - حسن بن عبد الله النجدي الأشيقرى

- بضم الهزرة وفتح الشين المعجمة وكسر القاف - نسبة إلى أشيقر
تصغير أشقر قرية بالوشم من نجد ، ويعرف بـ (باحسين) ^(٢) قرأ على
مشايخ نجد ، ومن ورد إليها وحج ، وأخذ عن علماء مكة والواردين إليها .

= ولد في أشيقر في بيت علم ، تولى قضاء مقرن .

من تلاميذه الشيخ عبد الله بن ذهلان ، توفى في مقرن سنة ١٠٤٩

١٢ - إسماعيل بن ربيع الصريبي ، ولد في العارض .

ومن مشايخه محمد بن مانع بن شبرمة الوهبي ، وأخذ عنه عبد الله أبا بطين وغيره .

توفى في حدود سنة ٩٧٠

١٣ - بدر بن محمد بن بدر الوهبي ، ولد في أشيقر ، وفيها نشأ وتعلم .

ومن مشايخه عبد القادر بن بريد بن مشرف وأحمد بن فيروز وسلطان بن إدريس بن عباس

توفى سنة ٩٩٨

(١) قال ابن بسام : (الظاهر أنه نجدى الأصل ، وأنه من هذه القبائل النجدية التي سكنت

أطراف بلاد إيران إلى العراق) ولم يزد على ما ذكر هنا .

(٢) أورد الشيخ عبد الله بن بسام نسبه : (حسن بن عبد الله بن حسن بن علي بن أحمد

أبا حسين الوهبي وآل أبا حسين بيت علم وهم من آل محمد أحد فخذى الوهبة فهم ذرية محمد

بن محمد بن علوى بن وهيب والوهبة من بنى حنظلة من تميم .

وذكر أنه ولد في أشيقر - وأورد خبر حبسه من قبل الشريف سعد بن زيد وقد تقدم في

ترجمة الشيخ القصير ونقل عن ابن بشر الشاه عليه وعن إبراهيم بن صالح بن عيسى أنه توفى

في عشرين رمضان سنة ١١٢٣ ، وأنه خلفه عثمان ولعثمان ابنان عبد المحسن وحسن .

واجاز له جمع وكان ماهراً في الفقه والفرائض ، مشاركاً في غيرها ،
وكتب كثيراً من الكتب الجليلة بخطه الحسن المتقن المضبوط ، وحصل
كتباً كثيرة نفيسة في كل فن على كل كتاب منها بخطه تهبش وتصحيح
والحاق فوائد ، وتنبيهات ، مما يدل على أنه طالعها جميعها مطالعة تأمل
وتفهم ، ودرس في بلده سنين عديدة وصار مرجعاً في الفقه بتلك
الجهات توفي سنة . . . (١) في بلده أشيقر .

١٢ - حميدان بن تركي

- بضم أولها - ابن حميدان بن تركي الخالدي نسباً ، قال في «سبائك الذهب»
لأنهم ينتسبون إلى خالد بن الوليد وقد انقطع نسله ولكنهم من بني مخزوم
ويكفيهم ذلك شرفاً . ولد المذكور في عنيزة سنة ١١٣٠ - ظناً - ولزم
الشيخ عبدالله بن أحمد بن عَصَبٍ فقرأ عليه شيئاً كثيراً ، ومهر في الفقه
حتى كان عَيْن تلامذة شيخه ، وحصل كتباً نفيسة أكثرها شراء من
تركة شيخه المذكور ، ومن تركة أخيه منصور بن تركي ، فقد كان
حسن الخط كتب كتباً جليلة مع ما اشتراه ، ثم تصدى المترجم للتدريس
والإفتاء فصادف هيجان سعود وصولته فأذوه وكفروه ، وبغوا له الغوايل ،

(١) يباصر في الأصل .

(٢) أصل قول صاحب «سبائك الذهب» ورد في كتب النسب القديمة في الكلام على بني
خالد الموجودين بجهات حمص من بلاد الشام ، حيث توفي خالد بن الوليد رضي الله عنه ،
لا في بني خالد الذين منهم المترجم المنتشرين في بلاد نجد والأحساء فهؤلاء لا صلة لهم بمن
ذكر صاحب «السبائك» ومن تقدمه . بل هم من قبائل مختلفة أكثرهم من بني عقيل بن عامر
من هوازن ، كما قال الشيخ أحمد بن مشرف الأحصاني :

ولا تنس جمع (الخالدي) فإنهم قبائل شتى من عقيل بن عامر
وقد انطلق ما جاء في «سبائك الذهب» حتى على بعض العلماء كالشيخ عبد العزيز العليجي
من العلجان من بني خالد - فانتمسبه في إحدى أراجيزه إلى قریش .

وانظر عن قبيلة بني خالد مجلة «العرب» س ٥ ص ٥٧٨/٥٨٥

وقد أورد الشيخ عبد الله البسام نسبة هكذا (حميدان بن تركي بن حميدان بن تركي بن
بن مائع بن نعامش .

فهاجر بأهله وعياله إلى المدينة المنورة ، فأجبه أهلها خاصهم وعامهم ، واعتقدوه وعظموه لما هو عليه من الديانة والصيانة والورع والصلاح ، حتى أتى رأيت في مكتوب من الشيخ عبد السلام الهوى (٢) إلى حفيده الشيخ عبد الوهاب قال فيه عبد الوهاب (٣) الشيخ الصالح محمد بن شيخ الإسلام الشيخ حميدان ، وقرأ عليه كتاباتها وانتفعوا به وله أجوبة في الفقه عديدة ، ومباحث فيه سديدة ، ووقف كتبه جميعها وهي كثيرة مشتملة على غرائب وسمعت بعض أهل المدينة يحكي عن أسلافه : له كرامات منها أنه لما مرض قال ذات يوم لولده محمد ادع لي الغسالين أو صيهم . فقال : يا والدي أنت طيب ، ولا عندك بأس إن شاء الله تعالى ، وكان طيباً ليس فيه مرض يمنع من حركة ، فلم يمكن إلا امتثال أمره ، فدعاهم وأتوا عنده فأوصاهم بالسر والتنظيف وكذا وكذا وأمرهم بتمسك فأكلوه ، وقال : الأمر قُرب ، فقال ولده محمد ولم أر فيه شيئاً مما يقرب من الخطر ، فأشرت إلى الغسالين وأخرجتهم ، فرجعت إلى والدي فإذا هو قد استقبل القبلة وتمدد وتشهد ، وخرجت روحه فدعوت الغسالين وجهازناه ودفناه في البقيع سنة ١٢٠٣

وولده محمد المذكور رجل صالح متعبد متورع إلا أنه في الفهم قاصر ، ولكنه أنجب ابنه العجيب الشأن ، الباهر في هذا الزمان ، الشيخ عبد الوهاب ، فإن فيه من الذكاء والفطنة والفهم والسداد والبحث والحرص ، ما يتعجب منه حتى فاق وانفرد في عصره في شبيبته وصار مدرساً عزيزة ومفتياً ، والمرجع إليه في الفقه فيها ، وضم إلى كتب جده غيرها ونفع الله به نفعاً عظيماً لما أعطاه الله من حسن التقرير والفهم ، ولما هو عليه من العبادة والصلاح والورع ، ولما غلبه من النور والهيبة .

وجده لأمه عالم عصره الشيخ عبد الله بن أحمد بن إسماعيل من أقران جده وشريكه في القراءة ، فأتى محبوبك الطريقين ، كريم الجدين ، سافر إلى بغداد لما نجم تركي بن سعود في نجد ، وأراد إعادة دعوتهم فتوفي

فها سنة ١٢٣٧ ورثت له منامات حسنة مبشرة رحمه الله وهذه أغنت
عن ترجمة له مفردة (١).

١٣ - سليمان بن علي بن مشرف (٢)

بفتح الشين المشددة ، علامة الديار النجدية ولد في بلد العبيّنة (٣)
تصغير عين - ونشأ بها ، وقرأ على علمائها ولازم منهم أجلهم الشيخ
محمد بن أحمد بن إسماعيل ، فقرأ عليه التفسير والحديث ، وأصول الدين ،
والفقه والفرائض ، وغير ذلك فمهر في ذلك كله ، سيما الفقه ، فإنه كان فيه
آية ، وبرع ودرس وأفتى ، وقصّد بالأسئلة من البلدان ، فكتب عليها

(١) ومن لم يترجمهم ابن حيد ، وترجمهم الشيخ عبد الله البسام .

١ - حسن بن علي بن عبد الله بن بسام بن منيف بن صاكر الوهبي ولد في أشيقر ونشأ فيها
وتلقى العلم عن علمائها ومن بعض الوافدين عليها كالشيخ معين الدين محمد بن صفى الدين عبد الرحمن
الحسيني مؤلف « جامع البيان » في التفسير .

وكتب كتابا كثيرة بخطه الفائق المضبوط .

توفي سنة ٩٤٥ .

٢ - خيس بن سليمان الوهبي .

ولد في أشيقر وتلقى العلم على علمائها وكانت له صلة بالشيخ مرعي بن يوسف .

توفي في أشيقر في القرن الحادي عشر .

٣ - زامل بن سلطان بن زامل الخطيب اليزيدي الحنفي .

ولد في بلدة مقرن ونشأ بها .

ثم رحل إلى الشام وتلقى العلم على الشيخ موسى الحجاوي شيخ المذهب الحنبلي ومؤلف كتاب
« الإقناع » .

ثم إلى مصر فأخذ عن ابن النجار الفتوحى وبرع في الفقه .

وعاد إلى نجد فكان مقصدا للطلاب .

توفي في القرن العاشر .

(١) هو جد الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان وهو سليمان بن علي بن محمد بن أحمد

بن راشد بن هريد بن محمد بن هريد بن مشرف - وباقى النسب معروف .

(٢) ذكر الشيخ عبد الله بن بسام أنه ولد في بلدته وبلدة عشيرته أشيقر وخطا ما ذكر ابن

حمد هنا وما ذكر الشيخ عبد الرحمن بن عبد الطيف في تعليقه على « عنوان المجد » أنه ولد في دروسة
سدير .

كتابات سديدة ، وتأهل للتصنيف حتى قبل : إنه هم بشرح « المنهى »^(١) فقدم عليه بعض الطلبة بشرح الشيخ منصور عليه فأعرض عما عزم عليه وقال : كفانا الشيخ هذا المهم . ويقال : إنه طالعه بتأمل فقال : وجدته موافقاً لما أردت أن أكتب ما عدا ثلاثة مواضع أو نحوها وصنف « المنسك » المشهور به وعليه اعتماد الحنابلة في المناسك ، ولا أعلم له غيره ، وكان سديد الفتاوي والتحريرات ، له فتاوي لو جمعت لجاءت في مجلد ضخيم ، لكنها لا توجد مجموعة وباليها جمعت فإنها عظيمة النفع ، عزيزة الجمع ، وتتلذذ له خلق كثير تخرجوا به ، وانتفعوا عليه ، من أجلهم الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن أحمد المتقدم بن إسماعيل وقد ينسب كلاهما إلى جده الأعلى فيقال : محمد بن إسماعيل فيشتهب الجدة بالحفيد ، وكلاهما أفنى بفتاوي مشهورة مسددة ، لكنها قليلة وهي تدل على مهارتهما في الفقه ، وسعة إطلاعهما وتحقيقهما ، ولكوني لم أقف على حقائق أحوالهما لم أفردهما بترجمة ككثير من علماء نجد وبغداد والشام ومصر وبلد سيدنا الزبير رضي الله عنه ، ومهما وقفت عليه إن شاء الله (٢) لنتم فائدته .

توفي المترجم يوم (...)^(٣) سنة ١٠٧٩ وخلف أولادا فضلاء منهم عبد الوهاب الآتي والد محمد صاحب الدعوة المشهورة ومنهم إبراهيم القاضي وغيرها^(٤) .

(١) قال ابن بسام : (وقد شرح الإقناع فلما حج سنة ١٠٤٩ وجد الشيخ منصور الهوني حاجاً فأظلمه على شرحه فتأمله الشيخ سليمان ثم قال : وجدته مطابقاً لما عندي إلا في مواضع يسيرة وأتلف شرحه .

(٢) كذا يابض في الأصل ، ونقل الشيخ ابن بسام تاريخ وفاته عن « عنوان الجدة » وأنها سنة تسع وسبعين وألف ، وعقب ذلك قائلا : ووفاته في بلدة الميمنة .

قال الشيخ عبد الله البسام (خلف ثلاثة أبناء علماء الشيخ عبد الوهاب والشيخ إبراهيم ، والشيخ أحمد ، وخلف بنات إحداهن تزوجها الشيخ عبد الله بن فيروز فهي والددة العالم المشهور محمد بن فيروز فيكون الشيخ محمد بن عبد الوهاب حفيد الشيخ سليمان بن علي ، والشيخ محمد بن فيروز سبطه ، كما أن الشيخ سليمان بن علي تزوج ابنة عبد الوهاب بن فيروز جد والد الشيخ محمد بن فيروز المشهور ، وجاءت منه بياته أحد بن سليمان الذي صار تلميذ خاله الشيخ عبد الله بن فيروز فصار بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وبين الشيخ محمد بن فيروز أسرة القرابة في النسب وآصرة القرابة بالصهر ، ولكن فرقت بينهما العقيدة التي وفق للسلامة أحدهما دون الآخر نسأل الله الرحمة الواسعة للمحسن والعفو للمسيء) انتهى .

١٤ - سيف بن محمد بن عزاز

بفتح المهملة والزاي المشددة وآخره زاي- النجدي ، عالم فاضل شهير الذكر ، أخذ عن علماء نجد منهم الشيخ عبد الوهاب بن عبد الله ، فهر في الفقه وأخذ عنه جماعة منهم الشيخ محمد بن فيروز ، جد الشيخ محمد المشهور قال في اجازته لكمال الدين الغزّي :

وعن أبيه ووالدي قد أخذنا ومن كل باطل قد نبذنا ^(١)
أى عبيد وهاب الجزيل خاله فأكبه عن جد في إجلاله
سيف بن عزّاز التّي الزاهد وذاك جدّ أب أمّ والذي

١٥ - سيف بن أحمد العتيقي

بفتح العين المهملة وكسر المثناة النحتية فتاف فباء نسبة .
قال الشيخ محمد بن فيروز فيما كتبه للكمال الغزّي مفّي دمشق بطلبه :
إنه فقيه صالح ، حافظ لكتاب الله تعالى لا يفتّر عن تلاوته ، معرض عن الدنيا ، باذلاً لها ، سخيّ النفس وقد جمع مارداً به على غيه العارض قبله سفر اضحما ^(٢) توفي سنة ١١٨٩ ^(٣) وهو ابن ثلاث وثمانين سنة رحمه الله تعالى ، وصلى عليه الفقير ، وتولى تلقيه ، ودفن عند والدي ، رحمه الله تعالى .

(١) كذا في الأصل والبيت غير مستقيم وكذا الذي بعده .

(٢) قال الشيخ عبد الله البسام : (المترجم من اعداء الدعوة السلفية ، وهذا المجموع لا يعرف له وجود إلا بالذكر وعند التصارع فإن البقاء للصالح من الأعمال ، فقد ذهب هو ومجموعه ، ويبقى صاحب الدعوة حياً في ذكره الحسن وخلفه الصالح .
والمترجم اثنان عالمان صالح ومحمد ولهما ترجمتان في هذا الكتاب الذي خصص لعلماء الحنابلة النجديين) .

ثم نقل عن ابراهيم بن صالح بن عيسى (وقد انقطع عقبه بعد احفادهم إلا أن عشيرتهم لاتزال في بلدة حرمة وآخر من علمنا من علمائهم الشيخ محمد بن ابراهيم العتيق المتوفى في حرمة حرمة في ٧٠٧-١٣١٥) .

(٣) في الأحساء .

لعله من ذرية المذكور قبله أو أقاربه فقد كان قريباً من زمننا وله شهرة بالفضل والخير والصلاح ، وقف كتباً نفائس منها على شيخنا المرحوم الشيخ عبد الجبار جملة ، فيها « الفروع » بخط المنقّي (١) ، وتصحيحه وتهميشه ، وقد تفضل بها على شيخنا في حياته ، كما هي عادته رحمه الله تعالى وقد سمعت الثناء على المترجم من جملة مشايخ منهم شيخنا المذكور ، ومنهم سلفي في إفتاء الحنابلة الشيخ محمد بن يحيى بن فائز بن ظهيرة القرشي الحزومي المتوفي سنة ١٢٧١ وقد ناف على المائة وهو رجل مبارك متعبد ، قليل العلم به ، وكان تولى الإفتاء في شببته بعد وفاة والده ، فصار يكتب له الفقاهي الشيخ يوشع الحنبلي من بيت سنبل ، ثم شيخنا الشيخ محمد الهديبي ثم الحقيّر ، واستمر في وظيفته نحو ثمانين سنة ، ولم أعلم صاحب منصب ديني ولا دنيوي مكث هذه المدة ... أن في سدير مدرسة من أوقاف سيف المذكور أو الذي قبله ووقف عليها كتباً "جمّة" ونحلاً تصرف غلته للطلبة ولا أدري متى توفي رحمه الله تعالى (٢) .

(١) بياض في الأصل .

(٢) لعله (المنقح) .

(٣) ومن كتاب « علماء نجد » للشيخ ابن إسحاق ، من لم يترحوا هنا - بطنخيس -

١ - سليمان بن عبد الله بن محمّد بن إبراهيم بن محمد بن زامل من آل هراجه من بني ثور .

وله في حنيفة وتلقى العلم على الشيخ عبد الله بن عقيب .

قول الإفتاء والقضاء في حنيفة .

توفي عام (١١١٦) .

٢ - سليمان بن محمد بن شمس العريفي .

وله في المارفس ، وتلقى العلم عن علماء ، منهم الشيخ حسين بن عثمان بن زيد الحنبلي ثم الشافعي . من علماء القرن العاشر .

١٧ - صالح بن سيف بن أحمد العتيقي أبو أحمد^(١)

قال الشيخ محمد بن فيروز فيما كتب إلى الكمال الغزي: بعثه معي والده حين مررت بهم قافلاً من الحج ، فكان معدوداً كأحد أولادي واشتغل في العلوم حتى بلغ مرامه ، وكان له نصيب وافر من العلوم ، فقهياً ، وفرائض وعربية وغير ذلك من دقائق العلوم وله شعر حسن ، وهو متولي قراءة الحديث في مدرستي ، والمدرس في المدرسة الأخرى مولده ١٩ ب^(٢) سنة ١١٦٣ انتهى .

قلت : ولا أدري متى توفي رحمه الله تعالى وإنما رثي شيخه [الذي] توفي سنة ١٢١٦^(٣)

١٨ - صالح بن محمد بن عبد الله الصايغ النجدي^(١)

ولد في عنيزة ، ونشأ بها ، وقرأ على علامتها الشيخ عبد الله بن أحمد بن عَضَيْب ، ومهر في الفقه ، وأفتى ودرّس ، وأجاب عن مسائل عديدة بأجوبة سديدة ، ورأيت له جواباً على قصيدة العلامة السيد محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني في مدح محمد بن عبد الوهاب رد عليه فيها أوله :

مُرَّيْتُ بِمَدِينَةِ نَجْدٍ

(١) قال الشيخ عبد الله البسام في ترجمته : (ولد في بلدة حرمة وأخذ عن علماء سدير ومنهم والده الشيخ سيف ثم انتقل إلى بلدة الزبارة عند التاجر أحمد بن حسن بن رزق ، وحين انتقل أحمد إلى قردلان انتقل معه ثم انتقل إلى الأحساء وأخذ من علمائه وأشهرهم محمد بن فيروز ، ثم انتقل معه إلى البصرة قرب استيلاء الجيوش السعودية على الأحساء ، وكان المترجم زميلاً في الدراسة للشيخ محمد بن سلوم وصديقاً له وهو أحد الذين قرأوا شرحه الكبير على « البرهانية » في الفرائض بقصيدة .. وله محاجة والغاز على المسائل الفقهية تقع بينه وبين الشيخ عبد الوهاب بن فيروز .

(٢) أي رجب .

(٣) ذكر الشيخ ابن بسام أنه توفي في الزبير ليلة الثلاثاء آخر صفر سنة ١٢٢٣ ودفن في مقبرة الزبير بن العوام رضي الله عنه .

(٤) ذكر الشيخ عبد الله البسام أنه تولّى قضاء عنيزة وأن من مشائخه عبد الله بن إبراهيم بن سيف والد مؤلف « العذب الفائض » . وذكر أنه من مراضى الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته السلفية . وأشار إلى رده على الأمير الصنعاني .

سلام من الرحمن أحلى من الشهد وأطيب عرفاً من شذى المسك والورد
إلى معشر الإخوان أهل محبتي وأهل ودادي نعم ذلك من ود
إلى آخرها .

وأخبرني من رآه أنه أدركه مكفوف البصر قال : فلا أدري هل هو من
صغره أم عرض له في كبره .

توفي في بلدة عنيزة أم قرى القصيم بل جميع نجد سنة ١١٨٤ وهي بلد
جامع هذه التراجم ، ونقلت من خط بعض أصحابنا أنه كان قاضياً فيها ^(١) .

١٩ - عبد الجبار بن علي البصري ^(٢)

الشيخ الصالح العالم العامل ، والمرشد الكامل ، القانت العابد ، الورع
الزاهد ، الناسك الراكع الساجد ، شيخ الطريقة ، وأستاذ الحقيقة ، ولد
في جنوبي البصرة في حدود سنة ١٢٠٥ ونشأ عامياً فقيراً كان هو وأبوه
يعملان في بستان للشيخ العالم التقي إبراهيم بن جديد السابق ، فصار المترجم
يأتي للشيخ ببعض ثمار البستان ، وقد بلغ أو كاد ، فرغبه الشيخ إبراهيم في
قراءة القرآن ، وطلب العلم ، وأن يكون عنده ، ويقوم بكفافته ، فأرسل
إلى والده بذلك ففرح ، وجلس المترجم عند الشيخ المذكور ، في بلد
سيدنا الزبير ، وشرع يقرأ القرآن ، ففتح عليه في أسرع وقت حتى ختم ،
وقراه بالتجويد ، ثم شرع في طلب العلم ، فقرأ على الشيخ المذكور في
الفقه والفرائض ، والعربية ، مع حضور دروسه العامة في التفسير والحديث
والوعظ ، وعكف على التعلم ليلاً ونهاراً لا يشتغل بغيره ، ولا يجتمع بأحد
إلا في حال الدرس أو المطالعة ، وكان شيخه ملتفتاً إليه التفاتاً تاماً مراعيّاً له
في جميع أموره ، حتى كأنه ولده لصلبه ، لافرق ، فحصل خيراً كثيراً مع

(١) وترجم الشيخ عبد الله البسام : (طلحة بن حسن بن علي بن عبد الله بن بسام الوهبي ،
ولد في أثيق في بيت علم ، وولي قضاء بلدة ، وتوفي سنة ٩٧٠ هـ)

(٢) كتب في هامش الترجمة مائنه : (وبلغنا عن عبد الجبار المذكور أنه ولد في الدراسة
(لعله الديوانية) وكان أبوه شيخاً رحمه الله ، فانظر كيف قدرة الله تعالى ، يخرج الحى من الميت
ويخرج الميت من الحى .

الاستقامة والاجتهاد في أنواع العبادة وكرم للنفس ، وحسن الخلق ، والإعراض عن الدنيا ، ولازم شيوخه إلى أن قربت وفاته ، فأجازه ودعاه له ، وأوصى له بشي من ماله وكتبه ، وأوصاه أنه هو الذي يغسله ، وأنه بعد وفاته يرحل إلى الشام لتكميل طلب العلم .

فلما توفي شيخه سنة ١٢٣٢ . ارتحل إلى الشام وسكن بالمدرسة المرادية سنين مديماً للاشتغال بالعلم متفرغاً له التفرغ التام ، وقرأ على مشايخ دمشق وأجلهم خاتمة المحققين الشيخ مصطفى الرحيباني شارح « الغاية » وابن الشيخ سعدي^(١) والشيخ غنام بن محمد وغيرهم ، مع الاستقامة التامة وحسن السلوك ، ودوام المراقبة ، والذكر لله تعالى ، والاقتصار عن الناس إلا لما لا بد منه لما أدرك في الفقه والفرائض ، وشارك في غيرهما ، ثم استجاز مشائخه واستمد دعاءهم ، فأجازه ودعوا له وأثنوا عليه .

وكان رفقة في الطلب يطنبون في مدحه بكل جميل ، ويصفون كرم نفسه بما يجحد(?) فرجع إلى بلده بلد سيدنا الزبير ، فعكف عليه الطلبة لقراءة الفقه ، وصغارهم في النحو والصرف ، وشاهدوا الفتوح والبركة في أنفاسه الطيبة الطاهرة ، لحرصه على التعلم ، وحسن قصده ، وصبره على الطلبة ، وإرشادهم ، ورقدهم بما يقدر عليه وتأديبهم بالآداب الشرعية ، وانتفاعهم بحاله قبل مقاله ، ثم طلبه أهل البصرة ليكون خطيباً وواعظاً في جامع عزيز أغا فانتقل إليها ودرس ووعظ ، وسلك المريدين وصار مرشد البلدة ، فسلك على يده خلق كثير من أهلها وأحبوه غاية المحبة ، واعتقدوه إلى الغاية ، وهو أهل لذلك ، وصار الغرباء الواردون إلى البصرة على كثرتهم واختلاف أجناسهم يحيطون رحالهم لديه ، ويتضيفون عنده مدة إقامتهم قلت أو كثرت ومن أراد السفر منهم زوده من ماله ، وأرسله إلى التجار فجمعوا له شيئاً ، ووصى عليه أهل المراكب أو أمراء القوافل ، وكان الأمراء والتجار يفرحون بأدنى إشارة منه . وأخبرني بعض أصحابي قال : كنا بالبصرة جماعة

(١) كذا في الأصل .

من العامة ونكتب بالبيع والشراء قليلاً فإذا قرب المغرب ذهبنا إلى مسجد الشيخ المذكور ، وصلينا معه المغرب فتمد السُفرة وبأكل الحاضرون ونحن من جملتهم ، مضى لنا على ذلك أشهر ولا نشترى عشاء وغيرنا مثلنا قال : وكان يعظ العامة ويحثهم على صلاة النافلة في كل وقت ، ولكلامه وقع في القلوب ، وكان حسن النعمة بالقرآن شجياً الصوت ، يقصده أهل البصرة من أقاصيها للصلاة خلفه واستماع قراءته ، ولم يزل على ذلك مدة مديدة إلى أن أراد أهل الدولة إدخال أوقاف المسجد التي تحت يده في بيت المال ، ويرتب له راتب من بيت المال ، فأبى عن ذلك تورعاً وفارق البصرة سنة ١٢٦٠ وقدم مكة في رجب تلك السنة ، وأقام بها يدرس في الفقه والفرائض إلى أن حج ، ثم توجه إلى المدينة المنورة فأقام بها مدة ، ثم رجع إلى البصرة لبيع عقاره فباعه ، ورجع وحج ، ثم أقام بالمدينة يحج في أكثر السنين مواظباً على الدرس ، ونفع الطلبة ، وتسليك المريدين ، وصار له في المدينة اعتقاد عظيم ، وكان لا يذهب إلى الحكام ، حتى أتى كنت أقرأ عليه سنة ١٢٦٣ في المدينة المنورة فجئت يوماً إلى شيخ الحرم النبوي ، الوزير داود باشا والي بغداد سابقاً وكان يشتهي الاجتماع بالشيخ والشيخ يأبى ذلك ، فسألني عنه ، فأخبرته فظهر لي منه محبة اجتماعه به فأثبت إلى الشيخ ، وأخبرته ، وحسنت له أن يذهب إلى الباشا المذكور ، لأنه من أهل العلم والفضل محباً للعلماء ، وعسى أن تستخرج منه كتاباً إلى والي البصرة بتخفيف المظلمة عن بستانكم ، ومراعاة من يلوذ بكم . فأبى أشدَّ الإباء وقال : نحن صابرون على ظلمهم ، ولا نعدم فيه أجراً ، ولا أصل إلى أحد منهم ، بل تَوَجَّهْ إلى الله سبحانه . وكان رحمه الله عزوفاً عن الدنيا وأهلها ، لا يرى شيئاً من أمورها ولا يتطلع ، ولا يقبل من الحكام أعطية ولا مرتباً ولا يحب أن يذكره أحد عندهم ، ولا عند التجار ، وقد كنت أقرأ عليه سنة (بحيته) إلى مكة المشرفة فجاء شخص من أهل الخبر من الهنود ، ودار على المدرسين ، وسأل عن أسمائهم ، ثم ذهب إلى الهند وتسبَّب لهم بصدقة جلييلة ، فلما جاءت بأسمائهم ومن جملتهم الشيخ المترجم وكان في تلك الأيام في المدينة المنورة ، سألني الوكيل عنه ، فأخبرته

فأعطاني نصيبه ، وكنت في تلك الأيام متوجهاً إلى المدينة المنورة فذهبت به معي وحين واجهته أخبرته فلم يعجبه ذلك مني وقال : لم تعرض باسمي ؟ فحلفت له بالله العظيم أنني لم أعرض بكم وإنما هو من تلقاء أنفسهم وكان جالساً عنده بعض العلماء الغرباء فقال : أعطها الشيخ فأعطيتها إياه ولم يبدّر كرم عددها ، ولا التفت إليها . وهكذا كان احتقاره للعالم ، مع أنه يحتاج في بعض الأوقات حتى لا يوجد في بيته إلا التمر فيهن أهل بيته ويقول : كان النبي صلى الله عليه وسلم تمضي عليه الشهران لا يوقد في بيته نار ، وما لهم طعام إلا الأسودان التمر والماء ونحن نجزع إذا مضى لنا يوم واحد ! ! وإذا فتح عليه بشيء بعد ذلك لا يدخره ، بل ينفق منه ويتصدق إلى أن ينفد ، وهكذا حتى أن زوجته لما عرفت عادته هذه صارت تلبس ثيابها وتقف عند باب المسجد بعد صلاة العشاء إلى أن يخرج ، فتسأله كأنها من الفقراء ، فيعطيا ، وهو لا يعرفها ثم تسبقه إلى طرف السوق ، فتسأله فيعطيا ، وهكذا إلى أن يصل إلى البيت . وتجمع ذلك إلى أن ينفد ما عنده ويقول : كلوا اليوم تمرأ . فيقولون : ليس عندنا ولا تمر . فيقول : نصبر وسيأتي الله برزق . فيقولون : عندنا دراهم أمانة لامرأة أذنت لنا في اقتراضها فيقول : هاتوها فيأخذها وينفق منها ، ويتصدق فتقف له امرأته عند باب المسجد على العادة وهكذا .

وأصيب بولده علي ثم بولده الشيخ أحمد وكان قد قرأ وحصل ، وظهرت نجابته فصبر واحتسب .

وبالحملة فكانت أحواله عجيبة وما أظن أنه وجد في هذا الزمان مثله في مجموع خصاله ، وما كان يقطعه عن حضور الجماعة في المسجد إلا المرض الشديد ، وإذا خفّ عنه قليلاً تكلف وخرج ، ولقد مرض سنة وفاته في رجب بمرض خطر ، فجاء إليه الطبيب وعالجه ، فسكن الألم قليلاً ، قصدت عيادته أنا لا أظنه يخرج أسبوعاً أو يزيد وإذا به قد قابطني في الطريق ، راجعاً من صلاة الظهر ، وقلت له : لم تخرجون مع ذلك الأثر الذي معكم وتوصية الطبيب بعدم الحركة ؟ ! فقال : لا أصبر ما دمت أقدر . فقدر الله تعالى أن المرض عاوده في أواخر رمضان وجهلوا به أن

يفطر قاني وتوفي خامس شوال سنة ١٢٨٥ وصار له مشهد عظيم وعزى فيه بعض رؤساء طيبة الطيبة وصلينا عليه صلاة الغائب في المسجد الحرام يوم الجمعة سابع عشر شوال ورثته بقصيدة مطلعها :

لقد كسفت شمس الهداية والرشد وكُور بدر الدين والعلم والزهد
وقد فُقتت عين التورع فاغتدى لما قد دهاه اليوم يلطم للأخذ
طريقة أهل الله أضحت مصابة على فقد مولاهما تنوح بلا أحد
يموت إمام الدين والحق والهدى وزاهد هذا العصر في الجاه والنقد
مطيع هذا الخلق خلقا مكرما يفوق غير المسك والعنبر الهندي
وأجلدهم في طاعة الله منذ نشأ تقمص من نسج العبادة في برد
وأوفرهم من خشية الله قسمة وأقومهم لله بالشكر والحمد
وأنصحهم للطالبين بعلمه وأنفاسه الزهراء والبذل للرفد
وأبعدهم من منصب ووظيفة ومن راتب عند الملوك لمستجدي
وما كان في غير العبادة همُّه أو العلم حتى أن حواه ثرى اللحد
وقد هجر الأوطان في الله والملا وجاور خير الرسل واسطة العقد
فوالله ما ظنني على الأرض مثله لكثرة تقواه على صحة القصد
ستبكيه من خير المساجد بقعة مُصَلَّاهُ في جنح من الليل مسود
ويبكيه فقه للإمام ابن حنبل يقرره بالضبط والصدق والنقد
ويبكيه عند النقشبندي طريقة يقوم بها في الناس تهدي ويستهدي
ويبكيه بيت الله والحرم الذي به قبله الإسلام في القرب والبعد
لقد نعمت في حضرة القدس روحه وقال لها رضوان : أهلا إلى عندي
... تذكرنا به السلف الألى سمعنا بهم ما بين هاد إلى مهدي
مضى عابد الجبار بالزهد والنتى وبالفضل والأفضال والقبض والمد
فيا ناصر الإسلام فاجبر مصابه على فقد من في رُزْئه أعظم فقد

يغير انتهاء للبكاء مسؤرخ

أقام بدار الفوز في جنة الخلد

١٤١ ٢٠٧ ١٢٤ ٩٠ ٥٨ ٦٦٥

= ١١٨٦ هـ

٢٠ - عبدالرحمن بن عبدالله بن سلطان بن خميس العائلي نسباً^(١)

الملقب أبا بطين ، الفقيه الفاضل ، له مجموع في الفقه^(٢) توفي سنة ١١٢١ قلت : وهو جد والد شيخنا الشيخ عبد الله أبا بطين الآتي

٢١ - عبدالرازق بن محمد بن علي بن سلوم التميمي^(٣)

الذكي الأريب ، ولد في بلد سيدنا الزبير سنة (. . .)^(٤) وقرأ على مشايخها ، منهم والده ، ثم رحل إلى بغداد ، فقرأ بها الفقه على الشيخ الورع موسى بن سميكة - تصغير سمكة - وعلى أجلاء بغداد ، في النحو والصرف والمعاني والبيان ، والمنطق والأصول ، وحصل ومهر ، ثم رجع إلى بلده ، وقرأ الفرائض والحساب والجبر والمقابلة والخطأين والهيئة والهندسة على ولده وغيره ، ومهر في ذلك المنهارة التامة ، بحيث اشتهر بذلك في عصره وأقر له أهله فيها ، وكان يتوقد ذكاء قلّ علم إلا وله فيه يد حتى الأوفاق والزائرجة والروحانيات ، ولكنه مائل إلى معاشرة الأمراء والأحداث ، وله معهم مماجنات لا تليق ، ولو تصون لكان نادرة عصره لما حازه من الفنون المتداولة وغيرها ، وقد سمعت رفقاءه في الطلب من فضلاء بغداد ومنهم مفتيها العلامة البارع السيد محمد الألوسي يصفونه بشدة الذكاء البالغ ، وكرم النفس ، وحسن العشرة .

وحج سنة من طريق البر فوصل إلى مكة في شوال ، وحضر دروس

(١) قال الشيخ عبد الله البسام : (ولد في بلدة الروضة وقرأ على علماء سدير وغيرهم وهو من ادرك الشيخ محمد بن اسماعيل الأشعري والشيخ عبد الله بن ذهلان وغيرهما) .

(٢) وقال : (وألف كتابه المشهور المسمى « المجموع فيما هو كثير الوقوع » وقد اختصره من « الاقتاع » الشيخ الحجاوي وزاد عليه أشياء هامة وفرغ من تأليفه سنة ١١١٣ .
وذكر أنه توفي في الروضة عام ١١٢١ هـ .

(٣) زاد الشيخ عبد الله البسام بعد سلوم : (بن عيسى بن سليمان بن محمد بن خميس بن سليمان الوهبي التميمي) .

(٤) يباشر في الأصل .

علامتها الشيخ عبدالله سراج في التفسير والحديث ، فأورد عليه أول ما حضر
سؤالا فلم يستحضر الشيخ الجواب ، فأخذ الكراس من المحفظة وطالع
فيه وأجابه ، وكان قد سمع بوصوله ووصف له بقصر القامة ، والتوسط
في الملبوس ، فلما رأى سؤاله متيناً تفرس فيه أنه هو فقال : أنت فلان؟
فقال : نعم : فلما ختم الشيخ الدرس قام إليه وحيّاه ، وذهب به إلى بيته ،
وأضافه ذلك اليوم ، فجرت بينهما مباحثات دلت الشيخ على صدق
ما وُصف به من شدة الدكاء والاستحضار ، وعزّ في عينه وأعين أقرانه ،
ومن الغد جاء تلامذة الشيخ إلى المذكور في بيته للسلام عليه ، وسألوه
واستفادوا منه ، وعجزوا عن مجاراته في المباحثة . فسلموا له ثم قال لهم :
إن الشيخ ترك البارحة في تقريره في التقييد وجهاً من علم الهندسة مما في
الآية وهي قوله تعالى : (انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب) فقالوا وما هو ؟
قال : إن الشاخص ذا الثلاث شعب لا ظل له . فقالوا : لم يذكر هذا أحد من
المفسرين . فقال : بلى ذكره الجلال السيوطي في « الاتقان » فذهب التلامذة
إلى الشيخ عبدالله وأخبروه بما دار بينهم وبين المذكور ، فتناول « الإقتان »
وتصفحه فلم يجد هذا فيه ، فقال لأحدهم : إرجع إليه وقل له : في أي
موضع من « الإقتان » ؟ فذهب فقال له : في (النوع الخامس والستين) .
هكذا أخبرني بهذه الحكاية أحد التلامذة وهو الشيخ علي كمال الطائفي
وبالحيلة فقد كان المذكور من أشد أهل زمانه ذكاء وفطنة ، لو لم يُخلد
إلى البطالة .

وشرح «سلم العروج في المنازل والبروج» لشيخ شيخه الشيخ محمد
بن عبد الرحمن بن عفاقي الأحسائي سماه « مرقاة السلم » وكان ينظم الشعر ،
وسودّ مسودات شتى لم يبيض منها غير شرح السلم المذكور ، وحاز كتباً
نفيسة كثيرة من جميع الفنون ، بحيث كان يشتري بعض التركات جملة ،

وتولى قضاء سوق الشيوخ وخطبتها بعد أخيه المرحوم الشيخ عبداللطيف ،
فصار له جاه تام عند الحكام وكلمة نافذة ، وانفرد في تلك الجهة بالحل
والعقد إلى أن توفي فيها سنة ١٢٥٤ (١) .

٢٢ - عبد العزيز عبد الرحمن بن عدوان بن رزين الرزيني الحنظلي (١)

قال الشيخ محمد بن فيروز : هو من أهل أثيفية ويقال أثيبية بالثناء المثلثة
قربة من قرى الوشم - قدم علينا في حياة والدي ، واسمه عدوان ، فحوله
إلى عبد العزيز فكان هو اسمه وقرأ على الوالد في « مختصر المقنع » من أوله
إلى كتاب الصلاة وحين رأيت توقد قريحته وجودة فهمه أشرت إلى والدي
أن ينقله إلى « المنهى » فنقله ، وقرأ منه باب الشروط في البيع ، ثم توفي
الله الوالد فكماله على الفقير ، وقرأ النحو والصرف وعلوم البلاغة والعروض
والقوافي والفرائض والحساب ، وأصول الفقه ، ومصطلح الحديث والمنطق ،

(١) نقل الشيخ عبد الله البسام عن الأستاذ عباس المزوى في كتابه « تاريخ علم الفلك : (كان
المترجم شريكاً في الدرس مع الأستاذ محمود الألوسى عند الشيخ علاء الدين الموصل ، وتولى
منصب القضاء في سوق الشيوخ ، وأخبرني الأستاذ الحاج محمد المسافى أنه كان يخبر عن المطر قبل
وقوعه بثماني عشرة ساعة ، وعن تبدل الرياح قبل أربع وعشرين ساعة ولا يخطئ) .

وذكر من مؤلفاته :

- ١ - رسالة في علم الحيات .
- ٢ - رسالة في الجبر والمقابلة .
- ٣ - رسالة في الخطأين عند محمد المسافى في بغداد .
- ٤ - الطراز الملم في إنباح السلم - شرح كتاب « سلم العروج إلى علم المنازل والبروج »
للشيخ محمد بن عفاق .
- ٥ - الطريق الأقوم إلى صعود السلم . شرح مختصر لكتاب ابن عفاق - يوجد عند محمد
المسافى في بغداد .

على الفقير ، وبرع في ذلك كله وله تأليف ، منها رسالة في الوقف^(١) رد
بها على مبتدع العارض وله نظم في التوحيد على نهج السلف وأوله .

رب البرايا أستعين وأبتدي

وله شعر حسن منه قصيدة رثى بها الوالد مطلعها .
دع ذكر مَيَّة مع جارتها العُربُ كذا البكاء على حَيٍّ من العرب
وسافر صهبي إلى مكة المشرفة ، ثم إلى المدينة المنورة ، وبعد ما خرجنا
منها ابتدأ به المرض فتوفي في الطريق ، عند واد يقال له العُظِيم^(٢) في ٢٥ صفر
سنة ١١٧٩ وصلى عليه الفقير ، ولقننه ، رحمه الله تعالى انتهى .

٢٣ — عبد اللطيف بن محمد بن سلوم التميمي

ولد في بلد سيدنا الزبير ، على رأس القرن^(٣) ظناً ، فنشأ بها فقراً
القرآن والعلم وحفظ مختصرات ، ودأب في الطلب ، وأكثر اشتغاله في الفقه
حتى مهر فيه ، وقرأ على والده في الفقه والفرائض ، وعلى شيخ ذلك العصر
الشيخ إبراهيم بن جديد وغيرهما ثم تحول مع والده إلى سوق الشيوخ ، وهي
على شاطئ الفرات ، وحكامها مع تلك الجهات بنو المنتفق المشهورون
فطلبوا من والده أن يعينهم على المذكور يتولى قضاءها وخطابها ، وامتنع ،
ولم يزالوا بهما حتى حلف شيخ المنتفق : إن لم يتول عبد اللطيف لأوكليْن^(٤)
فلاناً ، لرجل غير صالح للقضاء ولا للإمامة فرأى أن الأمر متعين عليه
لثلاث تضييع الأحكام بتولية أهل الجهل والظلم ، فرضي وباشره بعفة وديانة
وصيانة وثبت ، وتأن في الأحكام ، ومراجعة والده فيما أشكل عليه ،

(١) نقل الشيخ عبد الله بن بسام ما ذكر المصنف هنا سوى قوله : إنها رسالة في الوقف
إلخ فلعل هذا لم يثبت لدى الشيخ عبد الله ، لأنه لم يشر في ترجمته إلى ذلك ، والله يتنعم الجميع
بغفوه ورضوانه .

وما كان الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب مبتدعاً ، بل هو سيف مسلول على المبتدعة ،
وأساس الدعوة التي قام بها يقوم على محاربة البدع ، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع .

(٢) بضم الميم وفتح الظاء تصغير عظم وهو واد يقع شمال القصيم شرق بلدة سبيراء وفيه
قرية تعرف بهذا الاسم ، وطريق الحج المراق كان يمر بقرية
(٣) أي الثالث عشر .

وباشر الإمامة والخطابة ، والتدريس والوعظ ، على الوجه الأحسن ، وكان محبباً إلى الناس الخاص والعام ، مقرباً عند الحكام ، لا تُردُّ له شفاعة ، ولا يلثم له جأه ، لحسن أخلاقه ، وورعه وعفافه وعبادته ، وجريه على نهج السلف الصالح في اتباع السنن النبوية ، وحجج مراراً آخرها سنة ١٢٤٦ ووقع في مكة ذلك الوباء العظيم وخرج من مكة على طريق الشرق ، والوباء مع الحجاج لم يكف عنهم ، فلما وصلوا إلى البرود خارج مكة جمعهم الشيخ وصلى بهم ركعتين ، ووعظهم وبكى وأبكى ، ودعا الله برفعه فرفعه الله من ساعته ، ثم وصل إلى بلده سالماً فوقع فيها الوباء ومات شهيداً بالطاعون سنة ١٢٤٧ ودفن خارج سوق الشيوخ^(١) عند والده .

٢٤ - عبد الله بن أحمد بن محمد بن عضيف الناصري التميمي نسباً النجدي مولداً وموطناً

ولد سنة ... (٢) في قرية ... (٣) من قرى وادي سدير من بلدان نجد ونشأ بها وقرأ على علامة نجد ، والمشار إليه في ذلك الوقت أحمد بن محمد القصير ، وعلى غيره فهر في الفقه والقرائض مهارة كلية وشارك في بقية الفنون ، لعدم من يحققها في تلك الجهات ، فصار يتبع الغرباء من سائر الأجناس ، ويقرأ على من وجد أي فن عنده حتى يستفيد منه حتى أني رأته كتب « شرح التهذيب » في المنطق ، وكتب عليه هوامش تدل على أنه قرأ فيه . ولكن كان جل اهتمامه وقراءته وإقراءته للفقه ، لقلة رغبة أهل تلك البنايا ... في غيره ، ثم ارتحل إلى قرية من قرى القصيم تسمى المذنب - بوزن منبر - فبنى فيها مسجداً ، وحفر فيها بئراً أوقفها فصادف أن ماءها أعذب ماء في بلده ببركة نيته ، فصارت مورد أهل البلد للشرب إلى الآن^(٣) ، وكان يحفرها بنفسه ، لقلة ذات يده ويشارط الصبيان يرفعون

(١) سوق الشيوخ بلدة في العراق .

(٢) كذا بياض في الموضعين وفي كتاب « علماء حجة خلال ستة قرون » : (ولد في حدود

عام ١٠٧٠ في إحدى بلدات الروضة أو الداخلة من بلدان سدير) .

(٣) قال الشيخ عبد الله البسام : (وتسمى القفيفة الآن) .

التراب ، كل زنبيل بتمرة فكان يضع التمر عنده في أسفل البر ، وكلما ملأ زنبيلاً تراباً وضع عليه تمرة ، فجذبه الصبيان وأخذوا التمرة وهكذا فاتفق أن التمرة سقطت من الزنبيل ولم يدر ، فحين رأى الصبيان لا تمرة فيه كبوه عليه في البر ، والحاصل أنه قاسى فقراً وشدة إلى هذا الحد ولم يمنعه ذلك عن التعلم والتعليم والنسخ ، وفعل الخير . ثم إن أمير عُنيزة وكبار أهلها رغبوا في استجلابه إلى بلادهم ، فركبوا إليه وأتوا به ، فأوقف بعض الناس الراغبين في الخير بينه ليدرس فيه الشيخ فنشر العلم في عُنيزة وحثَّ الناس على التعلم ورغبهم فيه وأعان الطلبة بماله ويكبه ، وبما يقدر عليه من ورق ، وصار يشير على كل منهم بكتابة كتاب في الفقه غالباً ويبتدئه له ، ويساعده عليه وكما رأيت جملة من الكتب كذلك ، واشتغل عليه خلق من عُنيزة منهم الشيخ صالح بن عبد الله الصائغ ، ومنهم الشيخ عبد الله بن أحمد بن إسماعيل ، والشيخ حميدان بن تركي ، وأخوه الشيخ منصور ، والشيخ محمد بن إبراهيم أبا الخليل ، والشيخ سليمان بن عبد الله بن زامل قاضي عُنيزة وخطيبها ، والشيخ محمد بن علي بن زامل المسمى أبو شامة ، وخلق سواهم وانتفعوا به ، وراج للفقه سوق نافقة ، وكثرت كتبه ، وتواجد منها غريبها ، ونفع الله به نفعاً ظاهراً كما اتفق عقيب وصوله إلى عُنيزة ^(١) أن حدثت فتنة بين الأمير وبين بعض عشرته فغضب الشيخ من ذلك ، وأراد الخروج منها ، وقال للأمير : أجتبني للفتن ؟ ! فترضاه الأمير وأكابر بلده بكل ما يمكن ، وقالوا : كنا أمواتاً فأحيانا الله بك ، ونحن محتاجون لعلمك وتعليمك فكيف تفارقنا ؟ ! فرأى أن الأمر متعين عليه ، فانتقل إلى قرية متصلة بها ، تسمى الضبَّط — بالتحريك — فبنى له فيها مسجداً وداراً ، وأعاناه عليها أهل القرية واشترى بها أرضاً ، وصار يتعبد من زراعتها ، مواظباً على التدريس من بكرة النهار إلى ضحوه وبعد الظهر إلى قرب العصر ، وبعد العصر وبين العشاءين يقرأ غالباً

(١) ذكر الشيخ عبد الله البسام أنه روى قضاء عُنيزة عام ١١١٠ واستمر فيه حتى حصلت فتنة بين الأمير وبين بعض عشرته .. إلخ .

إما « تفسير البغوي » أو « ابن كثير » أو حديثاً أو وعظاً ، وبعد العشاء في ليالي الشتاء يقرأ درس الفرائض أو السيرة النبوية . وأخبرني بعض الطلبة الذين أدركتهم عن بعض تلامذته قال : كنت إذا خرجت من بيتي للدرس أشرع في قراءة بعض محفوظاتي فكنت أقرأ الرحبية والجزرية في طريقي إلى أن أصل إلى قرية الشيخ ، وكان ذاهمة في العلم عالية وقوة عليه قوية يزداد رغبة في العلم كلما طعن في السن ، ولا يضحرك من كثرة الدروس والمباحث ، والذاكرة والمراجعة ، كثير الإدمان على النسخ ، فكتب بخطه المتوسط في الحسن ، الفائق في الضبط ، مالا يحصى كثرة من كتب التفسير والحديث وكتب الفقه الكبار وغيرها ، بحيث أني لم أر ولم أسمع منذ أعصار بمن يضاهيه أو يقاربه في كثرة ما كتب فما رأيت بخطه بعد تفوق كتبه وتشنتها في البلدان القريبة والبعيدة « تفسير البغوي » والإتقان « والقاموس » وقواعد ابن رجب « والغاية » وشرح الأتقان و « منته » و « شرح المنتهى » للشيخ منصور ومنته عدة نسخ « وحاشية الأتقان » وحاشية المنتهى « وغير ذلك سوى المراسيل والمجاميع ، والتأليف الصغار ، هذا الذي رأيت وهو قليل من كثير ، وأول ما رأيت بخطه سنة ١٠٩٣ ولعل له شيئاً قبله ، فأظن ولادته في حدود ١٠٧٥ وتوفي سنة ١١٦١^(١) في القرية المذكورة وقبره يزار إلى الآن في مقبرتها لشهرته هناك ، وبركته وآثاره وعلومه وكان قد أوصى اثنين من أخصاء تلامذته بأبيات منها في حفظي قوله :

أقيما بقبري إذا ما دفتتما ورشيتما بالما ترابا مسنما
ونادا على رأسي بتلقين حجتي ولا تنسبا ذكرى إذا ما ختمتما^(٢)

(١) زاد الشيخ ابن البسام : (في شعبان) .

(٢) في كتاب « علماء نجد » : (إذا مادعوتما) .

وعند قراق الروح للجسم لقنا شهادة أن لا ، لا تلحاً فأسماء
وفي اللبلة الغرا اقرأ لي فإنني أفاخر جيرانني بما قد قرأتما
وأوصيكما بالقبر خوف انطماسه ويا لحد عن ضيق وان يتهدما
إلى آخرها وتفرقت كتبه شذر منذر على كثرتها وضبطها ، فإنه كان
شديد الحرص على الكتب ، كثير الشراء والنسخ لها ، والإرسال في طلبها
من البلدان ، وإن كان الطريق مخوفاً أرسل فارساً من فرسان الأمير ، يأتي
بها له فينسخ الكتاب ويرسله إلى صاحبه ، هكذا همته ورغبته لا يصرفه
عن ذلك صارف ، ويبدل فيها الأثمان الجلييلة ، مع فقره ، وصار المسافرون
من أهل البلد إلى الشام وبغداد وغيرهما يتقصدون شراء الكتب له ،
ويهدونها إليه ، فلا يكون عنده تحفة أعظم منها ، ، حتى جمع من الكتب
الجلييلة العزيزة شيئاً عظيماً ، وكان له كتابات على كل كتبه ، وأجاب
على مسائل عديدة بأجوبة سديدة ، وألف رسالة في تحريم الدخان ، ووقع
بينه وبين الشيخ عبد الوهاب بن الشيخ سليمان بن علي منازعة في حديث
« البركة في ثلاث خلط البر بالشعير » فقال أحدهما : للبيت لا للبيع وقال
آخر : بل للبيت وللبيع وطال بينهما النزاع ، وزاد الشيخ عبد الوهاب
على المترجم في الكلام ، فأرسلوا سؤالا إلى مفتي الحنابلة بدمشق وعلامتهم
الشيخ محمد أبي المواهب وارتضيا ما يقول ، فأجاب بتصويب المترجم
له ، فعند ذلك أنشأ أبياتاً يذكر فيها ما سبق للشيخ عبد الوهاب
من الحدة في الكلام ، لا نخضر في الآن قلت : ويؤيد قول القائل بالتقييد
حديث قبيصة عند ابن ماجه وإن كان اسناده ضعيفاً كما في « بلوغ المرام »
فلأن فيه التقييد بكونه للبيع .

(١) ذكر الشيخ عبد الله الينام من آثاره .

١ - رسالة في تحريم الدخان سماها « الأفي » .

٢ - اختصر « القاموس » في اللغة .

٢٥ - عبد الله بن داود الزبيرى (١)

ولد في بلد سيدنا الزبير بقرب البصرة ، وبها نشأ فقرأ القرآن والعلم ، ثم ارتحل للاحصاء للأخذ عن علامتها الشيخ محمد بن فيروز فلازمه وأخذ عنه وعن ولده الشيخ عبد الوهاب وغيرهما ، فهر في الفقه والأصول والفرائض والعربية ، ثم رجع إلى بلده ، فدرس فيها فأفتى وصنف تصانيف منها « الصواعق والرمود في الرد على ابن سعود » في مجلد حافل ، أجاد فيه ومناسك الحج ، مجلد لطيف ، ورسالة ، في الربا والصرف ، وغير ذلك توفي سنة ١٢٢٥ في بلد الزبير . انتهى .

٢٦ - عبدالله بن عبد الرحمن الملقب كأسلانه أبا بطين

- بضم الباء بصيغة التصغير (٢) - فقيه الديار النجدية في القرن الثالث عشر بلا منازع ، ولوالده أوجده مجموع في الفقه .

شيخنا العلامة الفهامة ، ولد في الروضة من قرى سُدير سنة ١١٩٤ وبها نشأ ، وقرأ على عالمها الشيخ محمد بن طراد الدوسري ، وكان قد ارتحل إلى الشام فقرأ فيه ، وأظنه على السقاري وطبقته ، فلازمه شيخنا المترجم ملازمة تامة ، مع ما جعل الله فيه من الفهم والذكاء وبُطْء النسيان ، فهر في الفقه ، وفاق أهل عصره في إبان شببته ، ثم ارتحل إلى شقراء من بلدان الوشم ، وقرأ على قاضيهما الشيخ عبد العزيز الحصين - بالضم تصغير حصان - وهو أعلم منه بكثير ، فصار القاضي يحيل عليه

(١) علق الشيخ عبد الله البسام على هذا : (إلا أن الله تعالى أبى هذه الدعوة الطيبة في نمو وتقدم - وتوسع في المشرق والمغرب ، وذهبت رعوده وبروقه غلبا ، فالحمد لله على المعتقد الحسن) .

(٢) نبه الشيخ عبد الله البسام فقال : (عبد الله بن الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الله بن سلطان بن خيس الملقب كأسلانه) أبا بطين (وعشيرته) آل أبا بطين (من آل مغيرة) وليسوا المضرمين من قبيلة بني لام ، بل هم من (عائذ) التي هي بطن كبير من عبدة إحدى قبائل قحطان)

بن صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

بن صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

ما كانت أكثر حروفاً من القراءات السبع ، حسن الخط مضبوطة كتب
كتباً كثيرة ، واختصر « بدائع الفوائد »^(١) في نحو نصفه ، وتوفى رحمه الله
تعالى في ٣ جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ وبموته فقد التحق في مذهب الإمام
أحمد فقد كان فيه آية وإلى تحقيقه النهاية فقد وصل فيها إلى الغاية .

٢٧ - عبد الله بن عثمان بن جامع الزبيدي ثم البصري^(٢)

ترجمة الشرواني في كتابه « نزهة الأفراح » فقال : جليل القدر والمحل ،
سارت بدائع في سائر الأقطار مسير المثل ، فضله الجلي اللامع أنور من
البلر الساطع ، لسانه ينبوع البلاغة ، وبنانه يقطف من نخالته نور البراعة
نظمه الغزير الفائق أرق من فؤاد العاشق ، ونثره الباهر للنهى ، أقر من
نواظر السما .

أوصافنا لم تزده معرفة وإنما لذّة ذكرناها

شرفت بلبقياه عام ألف ومائتين وخمس وعشرين في بندر (كلكتا)
المحروس ، بعد أن فاز بالنجاح في فوادح أليم العبوس فاطلعي على قصيدة
كلامه الحر ، عبر فيها عما ناب من الدهر الخؤون وشوائب الضر وهي :

(١) ذكر الشيخ عبد الله بسام من مؤلفاته :

- ١ - « مختصر بدائع الفوائد بخط المؤلف في مكتبة آل مانع في عنيزة .
- ٢ - حاشية نفيسة على شرح المنهى جردها من نسخته تلميذه وسبطه الشيخ عبد الرحمن المانع .
- ٣ - تأسيس التقديس في الرد على ابن جرجيس مطبوع .
- ٤ - الانتصار - في الرد على ابن جرجيس أيضا .
- ٥ - مختصر اغاثة اللفهان - لم يذكره الشيخ ابن بسام وهو مطبوع .
- ٦ - فتاوى وتحريرات تبلغ مجلداً لوجيحت .
- ٧ - رسالة في التجويد .

(٢) نسب الشيخ عبد الله البسام فقال : (عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن جمعة بن جامع بن
عبد بن عبد ربه الأنصاري الخزرجي نسباً ، قدم جددهم جامع من المدينة وسكن بلدة القصب ثم
انتقل منها وسكن بلدة جلال فولد ابنه جمعة في جلال ، ثم ارتحل إلى الشام لطلب العلم فمضاه
علماً .

هو الرزق لا يأتي بجدٍ لطالب
ولكن بالمقسوم يأتي ومن غدى
ترى المرء يسعى والبوار بسعيه
ويبدو له الرأي الذي في بدوّه
تيممت أرض الهند أبغى تجارة
وخلقت أصحاباً وأهلاً ببلدة
هي البصرة الفيحاء لا زال ربعها
فلما علوت اليم في الفلك وارتمت
أحاطت بنا الأمواج من كل جهة
وأقبل ريح صرصر ثم قاصف
ومزن ثخان كالجدول ماؤها
فلما رأينا ما رأينا تطايرت
نعج إلى المولى بإنجا نفوسنا
فلم يك إلا كالقواق إذا بنا
فأسكت لوحاً طافياً فركبته
أقت ثلاثاً مع ثلاث بلجة
فأنجاني الرحمن من كل شدة
فأنشدت بيتاً قاله بعض من مضى
(نجوت وقد بَلَّ المرادي سيفه
فله حدّاً دائماً ما ترنحت

ولا باحتيال أو بطول التجارب
بتدبيره مغرى فأول خائب
منوط ، ويأتيه القضا بالعجائب
صلاح ، وفي عقباه شر المصائب
وأرتاد إنجاح الأمانى الخوالب
سقاها من الوسمى صوب السواكب
خصيباً وأهلوها بأعلا المراتب
تسير بنا في لجة كالغياهب
وكشرون عن أنياب أسود سالب
ترى البرق في أرجائه كالقواضب
ورعد مهيب ضارب أى ضارب
قلوب لنا نحو الملك المراقب
ونسأله كشف الملم الموائب
ومركبنا مثل النجوم الغوارب
وصحبي صرعى بين طاف وراسب
تسير في الأمواج في كل جانب
تجرعها والله مولى الرغائب
أصيب كئلي والأسى خير صاحب
من ابن أبي شيخ الأباطح طالب)
ثغور الأفاحي عند لقيا الحباب

وكتب إليّ هذه الأبيات طالباً ما فيها فعين الله على موشيا :

أنعم صباحاً وقيت الشرّ قاطبة
فاضلاً قد سما شأو المكارم من
أبعث لنا كرمًا « شرح الرضي » كذا الشرح المطول ياخلى وياستدى
وأمّن بتلخيصك الحاوى لطلبنا يحلو صدى القلب من هم ومن كد

فانت عين لأعيان بها طلعت شمس الهدى وأضاء النور في البلد
لازلت في الرتبة العليا ما نطقت بالحمد لسن الوري للواحد الصمد
أقول : وهو من أخذ عن العلامة الشيخ محمد بن فيروز ، هو ووالده
الشيخ عثمان الآتي قاضي البحرين وشارح « أخضر المختصرات » .

٢٨ - عبد الله بن عيسى المشهور بالمويس

بضم الميم وإسكان التحنة تصغير (موس) ولد في بلد حريملا - صوابه^(١)
حرمة على وزن نمرة بضم الحاء المهملة من قرى وادي سدير - وقرأ على
مشايخ نجد ، ثم ارتحل إلى الشام فقرأ على علمائها وأظن أنه أخذ عن خاتمة
المحققين السِّقاري ، ومهر في الفقه ، ثم رجع إلى بلده ، فكث يدرس
ويفتي إلى أن توفي سنة ١١٧٥ .

وكان ممن أنكروا على ابن عبد الوهاب ورد عليه وعلى أتباعه في ابتداء
دعوتهم ، وكانوا يقتنون في صلاتهم على من لم يتبعهم^(٢) فبين لهم أن هذا مبطل

(١) حاشية أدخلت في الأصل ، وهي الصواب فالمويس من حرمة من قرى سدير .
جاء في كتاب « علماء نجد » : (الوهبي الحميري نسباً الحريملي (؟) النجدي ولد في بلدة حرمة
أحدى بلدان سدير .

(٢) علق الشيخ عبد الله البسام على هذا : (والشيخ محمد - رحمه الله - وأتباعه براء من أنهم
يقتنون في الصلاة أو غيرها على من يرون أنه أتى من الأعمال ما يمتنع خروجاً من الملة المهدية ،
بعد أن يوضحوا له ، ويدعوه بالتي هي أحسن فإن قبل فهو أخوهم ، وإن أبي وأصر بعد إبلاغه
والإعذار إليه فإنهم يستعينون بالله تعالى عليه بالدعاء وبالجهاد المشروع .

ولذا فإن الشيخ محمداً قابل المثل بالمثل مع المويس ، فإنه أخذ يحذر الناس عنه ويبين لهم
أصالة ، وأن كل فائده التي حصلها من ذهابه إلى الشام هو إتيانه بحمل كتب منها بطريق غير
مشروعة ، وقد أيد كلام الشيخ محمد ما قاله العلامة الشيخ محمد بدران في كتابه « مناداة الأطلال »
حينما ذكر مقر الحنابلة بصالحية دمشق مدرسة ابن أبي عمر فقال : (وقد كان بها خزانة كتب
لا نظير لها فلعبت بها أيدي المفتلين إل أن أتى بعض الطلبة التجديدين فسرق منها خمسة أحمال من
الكتب وفر بها) انتهى كلام بدران .

أما الصلاة فقد اطلعت على رسالة جلييلة لأحد تلاميذ الشيخ محمد وهو الشيخ أحمد بن جامع ،
يذكر أن المترجم المويس يشيط عن الصلاة جماعة ، ويخفف من شأنها . وقد رد عليه الشيخ أحمد
المانع رداً جميلاً وقد أوضحنا جملة منه في ترجمته (انتهى) .

وذكر الشيخ عبد الله أن المويس لما عاد من الشام صادف قيام الشيخ محمد بن عبد الوهاب
لنشر دعوته فهاجمه المترجم وحاول الوقوف في وجه الدعوة السلفية ، وأخذ يرد على الشيخ محمد
- رحمه الله - وأتباعه ، وصار من أكبر الماديين له . انتهى .

للصلاة لأهلهم مسلمون ، واعتقادكم كفرهم المسوغ للقنوت غير ثابت فلم
نصفوا أقوله كما هي عادتهم .

٢٩ - عبدالله بن فايز بن منصور الوائلي

يلقب كعشيرة أبا الخليل ، من بني وائل المشهورين الآن ^(١) بعنيزة ،
ولد في بلد الخبراء من قُرى القصيم ، في حدود المائتين والألف ، وكان أبوه
أميرها ، ثم تحول مع أبيه إلى عنيزة فقرأ فيها القرآن ، ثم انبعثت همته لطلب
العلم ، بعد بلوغه ثلاثين سنة ، فلم يجد من يشق أوامه ، فجاور في مكة
سنتين يتعبد من النساخة ، وقليل من بيع وشراء على غاية التحري ، وتصحيح
العقود وكان تعلم الخط في كبره ، ولا زال خطه يحسن إلى أن فاق وطرز
الأوراق ، فكتب شيئاً كثيراً لنفسه وللناس ، وقرأ في مدة مجاورته الفقه ،
على شيخنا الشيخ محمد المهدي ، وعلى الشيخ عيسى بن محمد الزبيريين ،
 واجتهد في البحث والمراجعة ، وكان عمي من رفاقه ، ولكن شتان ما بينهما
فأخبر عنه أنه كان يقول : شيخنا الشيخ محمد المهدي كما في الحديث : « فليحد
شفرته وليرح ذبيحته » وشيخنا الشيخ عيسى كجمالة حرب ، أعطوها
وقيفة يعني أن الشيخ محمد سريع التقرير والشيخ عيسى « متأن » ، وبعد أن
يقرأ المقرئ هنية فقال لي بعض الطلبة مازحاً : أتدرى لم يسكت ؟ فقلت لا
قال : يشاور الشيخ منصور آيش « يقرّر » . وقرأ المترجم على غيرهما نحواً
وصرفاً وفرائض ، فمن مشايخه في ذلك الورع التي الزاهد الشيخ محمد المرزوقي
مفتي المالكية ، وكتب له إجازة وغيره ، ثم رجع إلى بلده عنيزة يعلم جَم

(١) قال الشيخ عبد الله البسام : (الشيخ عبد الله بن فايز بن منصور بن محمد بن عبد الله بن
إبراهيم أبا الخليل ، من آل نجيد ، ثم من المصالح أحد بطون عنزة الكبيرة الشهيرة - الوائل ، قال
أبي الخليل نسبة إلى جدهم محمد بن حمد بن نجيد الذي كان مزارعاً في قرية النباهية فقر منها حل
خيل أعدائه ودخل عنزة راكباً واحدة من الخيل والباقي في أثره فمسي أبا الخليل ، وبقي القتب في
دريته إلى اليوم . وآل نجيد فخذ كبير يشمل أسراً كثيرة منهم آل القرعاوي وآل نجيد من المصالح -
ومن عنزة نزع بعضهم إلى بريدة فصار منهم آل مهنا أمراء بريدة سابقاً . ولا تزال أسرة آل
أبا الخليل حل شهرتها ففهم أعيان وعلماء ووزراء) انتهى

فنصبوه إماماً في الجامع ، وخطيباً وواعظاً ثم ناكده أتباع الأمير تركي بن سعود ، ووشوا به عنده ، وعند قضائه ، بأنه ينكر عليهم ، ولا يعتقد فيهم العلم ، وأنه لما احتاج إلى تحرير مژوكة أرسل إلى الشيخ محمد بن سلوم يطلب منه كيفية وضعها ، وزعم أن آل الشيخ^(١) ونظم في أثناء مجاورته منسكاً لطيفاً فرغ منه في ذي القعدة سنة ١٢٤٧ ، ثم رجع ومعه السل^٢ يزايد ، إلى أن مات تركي ، واستقل أهل عنيزة فنصبوه في الإمامة والخطابة فلم يقدر على المباشرة ، ومكث كذلك نحو سنة ثم توفي في ربيع الثاني سنة ١٢٥١ ودفن في مقبرة الضبط شمالي عنيزة ، وتأسف الناس عليه ، لأنه لم يخلف مثله ، وكان جلدأ في العبادة ، وله مدارسة في القرآن العظيم ، مع جماعة ، في جميع ليالي السنة ، ويقرأون إلى نحو نصف الليل عشرة أجزاء أو أكثر ، وأعرف مرة أنهم شرعوا في سورة الفرقان بعد العشاء وختموا ، وكنت أحضر وأنا ابن عشر مع بعض أقاربي فيغلبني النوم ، فإذا فرغوا حملت إلى بيتنا وأنا لأشعر ، وكان مع القراءة يُراجع « تفسير البغوي » و « البيضاوي » كل ليلة رحمه الله^(٣)

٣٠ - عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبد الوهاب^(٤)

بن فيروز التميمي النجدي ثم الأحسائي

ولد سنة (.)^(١) في الأحساء ، وأخذ عن جم غفير من علماء نجد والأحساء وغيرهما ، منهم والده ، والشيخ فوزان بن نصر الله

(١) كذا في الأصل ويستقيم الكلام بكلمة (يجهلون) .

(٢) قال الشيخ عبد الله البسام : (صنف منسكاً لطيفاً بنظم عذب وقد رأيته في مكتبة الشيخ سليمان بن عبد الرحمن الصنيع في مكة المكرمة والمكتبة المذكورة اشترتها جامعة الرياض وهو في قسم المحفوظات تحت رقم ١٣٠٠ بقلم أبي بكر خويقر) .

(٣) كذا في الأصل وفي كتاب « علماء نجد خلال ستة قرون » : (عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن عبد الله بن محمد بن فيروز الوهبي التميمي النجدي أصلاً ثم الأحسائي ، فمقر آل فيروز في بلدة أشيقر من بلدان الوشم ثم انتقلوا منها إلى الأحساء

(٤) كذا بياض . وفي كتاب « علماء نجد » : (قال ابنه العلامة محمد بن فيروز :) واسم

النجددي ، تلميذ الأستاذ عبد القادر التغلبي النمشي ، ومنهم خاله الشيخ عبد الوهاب بن سليمان بن علي صاحب « المنسك » ومنهم عبد الوهاب بن عبد الله النجددي ، ابن تلميذ الشيخ محرر المذهب منصور البهوتي وغيرهم ، وأجازوه ومهر في الفقه وأصوله وأصول الدين وغيرها ودرس وأفتى ، وأجاب عن أسئلة عديدة ، بأجوبة سديدة ، وكان ديناً صيباً نقياً نقيماً ذا أوراد وتآله وعبادة .

توفي سنة ١١٧٥ هـ

وهو والد الشيخ المشهور^(١) ووالد المترجم من أهل العلم والفضل^(٢) ذكر حفيده الشيخ محمد في إجازته لكمال الدين الغزي أنه أخذ عن مشايخ نجد منهم الشيخ سيف بن عراز .

والوالد فقد ولد في اليوم السادس من شهر شعبان سنة خمس ومائة والف (هـ وجاء في هذا الكتاب) وكان من بيت علم كبير فأخذ عن علماء زمنه الذين منهم والده أول قاض تولي قضاء الكويت ، ولما وصل الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الأحساء أثناء رحلته قبل إعلان دعوته اجتمع به وتعرف عليه لأنه ابن عمه . قال الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف في تعليقه على « عنوان الهجد » نقلاً عن « مقامات الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله تعالى : (ثم إن شيخنا رحمه الله رحل إلى الأحساء وفيها فعول العلماء منهم عبد الله بن فيروز أبو محمد الكفيف ، ووجد عنده من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ، ماسر به وأثنى على عبد الله هذا بمعرفته لمقيدة الإمام أحمد) انتهى كلام الشيخ عبد الرحمن بن حسن .

(١) عبد الوهاب ستاتي ترجمته

(٢) هو محمد بن عبد الوهاب ترجمه الشيخ عبد الله البسام في كتاب « علماء نجد » وما ذكر عنه ما نقله عن حفيده : وأما الجد الشيخ محمد فإن مولده في السنة الثانية والسبعين بعد الألف في أثير أخذ عن الشيخ سيف بن عراز والشيخ عبد الوهاب بن عبد الله بن عبد الوهاب التميمين . ونقل عن « تاريخ الكويت » للشيخ عبد العزيز الرشيد أنه أول قضاة الكويت حيث توفي وهو قاضياً سنة ١١٣٥ وتأسسها بين سنتي ١١١٠ و ١١٢٥ .

٣١ - عبد الله بن محمد بن ذهلان

نزير الرياض وقاضيا ، وعلامة الديار النجدية .

كتب إليّ بعض فضلاء نجد ممن يعتني بالآساب والتواريخ في الجملة أنه رأى في بعض التواريخ أنه من آل سُحُوب من بني خالد (١) ملوك الأحساء في سابق ، وهو ابن خال الشيخ عثمان بن أحمد صاحب « حاشية المنتهى » المشهورة وعليه قرأ الشيخ عثمان لما كان بنجد ، وبه انتفع ، وأخذ عنه كثير غيره ونقل منهم المنقور عنه في مجموعه شيئاً جمّاً من فتاواه وتقريراته وهو المراد بقوله : (شيخنا) وتوفي سنة ١٠٩٩ .

وفيهما أيضاً توفي أخوه الشيخ عبد الرحمن وهو أيضاً من أهل العلم والفضل والدين ، وارتحل إلى الشام وقرأ على مشايخها ، منهم بل أجملهم بدر الدين محمد البلباني (٢) رحمهم الله تعالى .

(١) قال الشيخ عبد الله البسام : نقلنا عن الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى : (الصحيح أن الشيخ عبد الله بن ذهلان من آل سُحُوب من زعب لا من بني خالد) وذكر أنه ولد في المدينة أكبر مدن نجد في ذلك الزمن ، وأنه قرأ على الشيخ محمد بن أحمد بن اسماعيل الأشيقرى على ما ذكر المنقور في آخر مجموعه .

(٢) ترجمه الشيخ عبد الله البسام في كتاب « علماء نجد في خلال ستة قرون » وما قال منه : ولد في المدينة وأخذ عن علمائها ، ثم رحل إلى دمشق فأخذ عن علمائها ومن أجل مشايخه فيها الشيخ محمد البلباني صاحب المؤلفات التي منها « كافي المبتدى » و « أخصر المختصرات » ثم عاد إلى نجد ورحل مع أخيه العلامة الشيخ عبد الله إلى الرياض من العينة واستوطنها لأن الشيخ عبد الله صار هو قاضيا ومفتيا وأكبر مدرسيها وكان المترجم من أهل العلم وجلس للتدريس ومن أشهر تلاميذه الشيخ أحمد بن محمد بن حسن القصير .

ونقل عن تاريخ المنقور أنه في عام ١٠٩٩ أصاب الرياض وباء شديد مات منه خلق كثير ومنهم المترجم فكانت وفاته في ٩ ذى الحجة سنة ١٠٩٩ هـ .

٢٢ - عبد المحسن بن علي بن شارخ الأشيقرى

نسبة إلى أشيقر من قرى الوشم^(١) ، قال الشيخ محمد بن فيروز :
وهي بلد آبائنا أولا - قدم علينا وقرأ على الوالد « مختصرا المقنع » إلى
أنشاء الفرائض ، ثم توفى الله الوالد فابتدأ على الفقير أول « المشي » حتى
أكمله ، وكان فقيها تقيا صالحا ، دمث الأخلاق ، وله ملكة تامة في علم الفقه
والفرائض والحساب ، وفي العربية ما يحتاج له ، وله^(٢) تأليف رد به
على طاغية العارض انتقاه من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن
القيم ، ثم طلب مني أهل بلد الزبير أن آذن له أن يكون لهم إماما وخطيبا
ومفتيا فأذنت له ، فسار إليهم وكان عندهم مكرما معظما في تلك الجهات
مقبول القول ، حتى توفاه الله شهيدا بالطاعون آخر ذي الحجة الحرام
سنة ١١٨٧ .

(١) قال الشيخ عبد الله بن بام : (عبد المحسن بن علي بن عبد الله بن شوان الشارعى ،
الملقب كآسلافه (التاجر) نسبته إلى عشيرته المسمين التجار ، المشرق نسبة وهم الذين ينسبون
إلى مشرف بن عمر بن معضاد بن ريس بن زاخر بن محمد بن علوى بن وهيب ، وهيب جد الوهبة
الذين هم من بنى حنظلة أحد البطون الكبار من قبيلة بنى تميم . وله في قرية الفرعة المجاورة لبلدة
أشيقر .. ولما وقت الفتنة في قرية الفرعة بين النواصر والمشارفة انتقل إلى أشيقر واستوطنها
وذلك عام ١١٤٠ ثم سافر إلى الأحساء للأخذ عن آل فيروز .

(٢) لم يورد الشيخ عبد الله البسام هذا الكلام من (وله تأليف) إلى (ابن القيم) ولعله لم
يصح عنه . ومهما كان بفضل الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله على الأمة وجلالة
قدره بما لا يتطوع أحد إخفاءه ، فجزاء الله عن الإسلام والمسلمين خير ما يجزى العلماء المصلحين .
ونقل الشيخ عبد الله البسام عن الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى مانصه : (والمترجم هو
لقبى راضم الشيخ عثمان بن منصور ، وأنه نقل عنه نسب الوهبة حتى انتهى به إلى بنى على أحد
بطون الرباب ، فرد عليه ابن منصور وعلماء الوهبة المتبرون ، وبينوا له نسبهم من بعد وهيب
بن قاسم حتى انتهى إلى مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر ، وهذا هو الحق المتقول
بالتواتر) .

٣٣ عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن مشرف

بوزن محمد التميمي النجدى (١)

قرأ في الفقه على أبيه صاحب المنسك المشهور ، وعلى غيره ، وحصل وثقته ودرس ، وكتب على بعض المسائل الفقهية كتابة حسنة ، توفي سنة ١١٥٣ (٢) .

وهو والد محمد صاحب الدعوة التي انتشر شررها في الآفاق ، لكن بينهما تباين ، مع أن محمداً لم يظهر بالدعوة إلا بعد موت والده وأخبرني بعض من لقيته عن بعض أهل العلم عن عاصروا الشيخ عبد الوهاب هذا أنه كان غضبانا على ولده محمد ، لكونه لم يرض أن يشتغل بالفقه كأسلافه وأهل جهته ويتفرس فيه أن يحدث منه أمر ، فكان يقول للناس : ياما ترون من محمد من الشر ؟ فقدّر الله أن صار ما صار (٣) وكذلك سليمان أخو الشيخ محمد كان منافيا له في دعوته ، ويرد عليه مردا جيدا بالآيات والآثار لكون الردود عليه لا يقبل مواهما ، ولا يلتفت إلى كلام عالم متقدم

(١) ساق نسبه الشيخ عبد الله بن بسام فقال : (عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف بن عمر بن معصود بن ريس بن زاخر بن محمد بن علي بن وهب الوهبي التميمي) .

(٢) في بلدة حريملا على ما ذكر الشيخ عبد الله بن بسام ونقل كثيرا من الثناء عليه عن مؤرخي نجد . وأنه تولى قضاء المدينة ، ثم قضاء بلدة حريملا

(٣) كل كلام ابن حميد في حق الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الهديان الباطل وعند الله تجتمع الخصوم ، (ولا يظلم ربك أحدا) وبطلانه لا يحتاج إلى دليل . وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل .

وما ذكره عن الشيخ سليمان أخى الشيخ محمد فقد كان بينهما في أول الأمر نفور ، ولكنه زال بعد أن شرح الله صدر الشيخ سليمان لقبول الدعوة السلفية ، وقرر ذلك في رسالة له مطبوعة .

ولا داعي للاطالة بتعقب كلام ابن حميد الذي هو أشبه بهديان الحمومين ، لا بكلام الملقاه المنصفين الباحثين عن الحق ، وكل من لديه إلمام بحقيقة دعوة الشيخ ومعرفة سيرته وتمسكه في كل أعماله بالنصوص الشرعية الصحيحة يدرك بحق ابن حميد عليه ، وقد قدم الاثنان على حكم عدل ذي راحة واسعة .

أو متأخر ، كائنا من كان ، غير الشيخ تقي الدين ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، فإنه يرى كلاهما نصّاً لا يقبل التأويل ويصول به على الناس ، وإن كان كلامهما على [خلاف] ما يفهم منه ، وسمى الشيخ سليمان رده على أخيه «فصل الخطاب في الرد على محمد بن عبد الوهاب» وسلمه الله من شره ومكره ، مع تلك الصولة الهائلة التي أرعبت الأبعاد : فإنه كان إذا يأتيه أحد ورد عليه ولم يقدر على قتله مجاهرة يرسل إليه من يغتاله في فراشه ، أو في السوق ليلاً ، لقوله بتكفير من خالفه ، واستحلال قتله ، وقيل : إن مجنوناً كان في بلده ومن عادته بضرب من واجهه ولو بالسلح ، فأمر محمد أن يعطى سيفاً ويدخل على أخيه الشيخ سليمان ، وهو في المسجد وحده ، فأدخل عليه ، فلما رآه الشيخ سليمان خاف منه ، فرمى المجنون السيف من يده ، وصار يقول : يا سليمان لا تخف إنك من الآمنين !! ويكررها مراراً ، ولا شك أن هذه من الكرامات ، وخلف سليمان المذكور عبد العزيز من الفضلاء الأتقياء النجباء ، وأهل الورع البالغ في زمنه إلى الغاية ، بحيث صار يطلق عليه أنه أروع أهل العصر ، وأخبرني عمي عثمان وهو من طلبة العلم ، وله اعتقاد عظيم في الشيخ المذكور لعبادته وزهده وصلاحه ووزعه وتقواه قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم كان في مسجدنا مسجد الجوز ، غربي عنيزة ، وكان الشيخ عبد العزيز المذكور يصلي قدامه ، فجئت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وسلمت عليه ، وجلست عنده فقال : هذا وأشار إلى عبد العزيز - أروع أهل وقته أو من أروع أهل بيته ، الشك من عمي قلت يا رسول الله كابن عمر في زمانه؟ قال : نعم : فكتبت للشيخ أبشره بذلك فكتب إلى ما معناه أني لست من أهل هذا القبيل ، ولكن حسن ظنك في القبر أراك هذا ، وإن كانت رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم حقاً فالرؤيا تسر المؤمن ولا تنفره ، ونحوا من هذا الكلام ، وقد رأيت مكتوبه هذا عند عمي وخطه حسن في غاية النورانية وأصيب بولده النجيب الأديب الأريب ، الفاضل الذكي الشيخ محمد ، وكان قد قرأ وفهم وتميز ، وفاق أهل عصره بالحفظ ، فن محفوظاته « مختصر المقنع » و « ألفية الآداب » وأظن « وألفية المفردات » و « الشنور » و « ألفية ابن مالك » و « جمع

الجوامع ، النحوي وغير ذلك ولا أعرف مقاربه في كثرة المحفوظات ،
وتوفى سنة ١٢٦٣ في الأحساء وعمره نحو ٢٧ سنة .

ثم توفى والده بعده بقليل رحمة الله عليهما ، وعلى جميع المسلمين ،
وكان بعد واقعة إبراهيم باشا المصري في نجد سنة ١٣٣٠^(١) رحل إلى بلدان
شتى ، فناسبه الأحساء فسكن فيها إلى أن مات .

٢٤ - عبد الوهاب بن عبد الله بن عبد الوهاب بن مشرف التميمي^(٢)

قرأ على أبيه وأبوه قرأ في مصر على محرر المذهب الشيخ منصور البهوتي ،
وحصل كل منها (٩) وأفاد واستفاد ، وافق في مسائل عديدة بأجوبة محررة
سدبدة ، ولكنها لم تجمع فتشنت لا يسير في مجموع المنقور توفى المترجم سنة
١١٢٥ وكان قاضي بلدهم العيينة أم قرى نجد إذ ذاك ومقر أميرها كافة ،
ومن بيت علم وفصل ، وتسلسل العلم في ذريته طبقات ، فكان حفيد ابنه
حمد بن إبراهيم بن أحمد بن عبد الوهاب قاضي بلد مرات فاضلا توفى سنة
١١٩٤ ، وابنه^(٣) عبد العزيز بن محمد باقعة الزمان ، ولسان ذلك الأوان عجبا
في الحفظ والاستحضار ، داهية في محاولات الملوك والأمراء ولد في العيينة
أو الدرعية قبل سنة ١١٩٠ وقرأ ففاق ، ولم تدخل في قلبه دعوة الشيخ محمد
بن عبد الوهاب ، مع أنه جده لأمه وزاده نفورا عنهم أن والدته تزوجت بعد
وفاة أبيه الشيخ الفاضل عبد الله بن غريب^(٤) وكان مصانعا لهم في الظاهر ،

(١) أي (١٢٣٣ هـ) .

(٢) ساق الشيخ عبد الله البسام نسبه ومنه (عبد الوهاب بن عبد الله بن عبد الوهاب بن موسى
بن عبد القادر بن راشد بن بريد بن محمد) وما بعده تقدم في نسب الشيخ عبد الوهاب بن سليمان .

(٣) كذا ورد هذا الاسم (عبد الله بن غريب) ولكن جاء في كتاب « علماء نجد خلال ستة
قرون » ما هذا نصه : (الشيخ محمد بن حل بن غريب من كبار علماء نجد وفقهائهم ، وعلم ما ذكر
محمد بن حميد في كتابه « السحب الوابلة » أنه صاهر الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله حل
أهنته التي مات عنها الشيخ حمد بن إبراهيم بن مشرف قاضي بلدة مرارة فهو من بيت عال النسب)
إلى أن قال : (وكان للمترجم نشاط في سبيل الدفاع عن هذه الدعوة السلفية . ومن ذلك أن أحد
علماء العراق بحث إلى علماء الدرعية بمسئلة في العقيدة فأجاباه المترجم إجابة طويلة جاءت في كتاب -

مخالفا لهم في الباطن ، ورد على مخالفهم ، وأجاب عن عدة أسئلة في عدة فنون ، أرسلت إليهم من بغداد ، بعد أن عجزوا عنها فكان عندهم مقبولا معظما ، ثم إن شيخا غريبا من الأعاجم ، مقيما في الدرعية استحسننا لدعوتهم تملق الشيخ عبد الله المذكور واستجلبه وسأله عن حقيقة حالهم ، وأجابه بالاستحسان ، وأنها الحق فقال : أنا في ذمتك ترشدني ، ويسألك الله عن ذلك إن كنت غني الحق . فظنه صادقا وباح له بما كان يكتم في نفسه من تخطيهم ومجازاتهم الحد في التفكير والقتل والنهب فوشى به إليهم فمسكوه وعرفوا أنه إذا كان كذلك ينقضى (؟) عليهم أكثر من غيره لحذقه وفهمه ، وقوة

طبع عام ١٣١٩ بالمطبعة الشرقية بمصر باسم « التوضيح عن توحيد الخلاق ، في جواب أهل العراق » إلا أنه نسب إلى الشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهو ليس له وإنما هو لشيخه الشيخ محمد بن غريب صاحب هذه الترجمة ، والكتاب وجد في بغداد عند بدوي يقال له الملا دليم مخطوطا ليس له عنوان وليس عليه اسم مؤلفه فجعل له هذا العنوان ونسب إلى الشيخ سليمان . والكتاب فيه مسائل ليست على طريقة السلف في العقيدة ، ويبدو أن تصدر مع الشيخ سليمان في علمه وتحقيقه وذلك مثل قوله : (إن الله على ما كان من قبل أن يخلق المكان) وهذه العبارة يقصد بها المعلقة نبي استواء الرب تبارك وتعالى على العرش استواء حقيقياً يليق بجلاله .

وسبب تأليف هذا الكتاب أن الشيخ عبد الله أفندي الراوي البغدادي خطيب جامع الوزير سليمان باشا في بغداد أرسل إلى علماء الدرعية شها في العقيدة يتحداهم بها فأجابته المترجم وفتحا مسألة بعد أخرى بهذا الكتاب ، وبمث الكتاب إلى بغداد ليس عليه اسم مؤلفه فكشك في بغداد وهو النسخة الوحيدة هناك ويوجد نسخة خطية في المكتبة السعودية بالرياض ناقصة من الآخر قليلا بخط حسن ، وعليها تملك الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف بن حسن سنة ١٣١٩ .

ثم ذكر الشيخ ابن بسام عن اخذ عن ابن غريب : الشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد والقاضي عبد العزيز بن حمد ، والشيخ عبد العزيز بن حمد بن محمد بن ممر .

وذكر أن (أحد الغرباء وشى به إلى الإمام عبد العزيز بن محمد بعد وفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بأن منتقده في الدعوة على خلاف ما يظهر منه ، وكانت الدعوة في أول انتفاها من الجهاد باللسان والحجة إلى اسم دولة تجاهد وتكافح هذا الحق وتؤيده ، فقتل في الدرعية بأسباب هذه الوشاية عام ١٢٠٩ عن الله عنهم أجمعين) انتهى بنصه .

(٢) لا يقبل كلام ابن حميد في الشيخ عبد العزيز بن حمد من أن الدعوة لم تدخل قلبه ، وكيف يكون هذا وهو أحد من اختاره الإمام عبد الله بن سعود رسولا لعقد الصلح مع محمد علي باشا (أنظر خبر ذلك في تاريخ المبروق حوادث سنة ١٢٣٠ وانظر ترجمته مفصلة في كتاب « علماء نجد » للشيخ عبد الله بن بسام و « علماء الدعوة » للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ .

تصرفه في الرد مع اطلاعه على خباياهم فقتلوه ، فنفر ربيبه المذكور عنهم نفرة عظيمة ولكن لم يمكنه إلا المصانعة خوفا من القتل ، واستسلم لتيار الأقدار وأرسله سعود سفيراً إلى امام صنعاء فكفى ما أرسل فيه ، وسمعت مشايخ صنعاء يثنون عليه بالفضل والعقل ، والفهم والذكاء التام ، وحسن المحاضرة ثم أرسله عبد الله بن سعود إلى والي مصر محمد علي باشا في الصلح فلم يتم لتشده عليهم حسب تأكيد السلطان محمود عليه في قتالهم ، ولما قصد له باطنية وديوية وذكر مؤرخ مصر العلامة الشيخ عبد الرحمن ابن مقفي الديار المصرية الشيخ حسن الجبرتي في تاريخه الكبير أنه اجتمع به في هذه الرسالة وأنه بحث معه فوجده فاضلاً نبيلاً ، ورأى منه ما أعجبه سمناً وخلقاً وأدباً وحسن إفادة واستفادة وأنه نقلت إليه مخاطبته مع الباشا فأعجبه جداً وكذا ذكر لي عمي عثمان وخالتي عبد العزيز بن عبد الله بن تركي ، وكان من طلبة العلم ومجالسه كثيراً ، فانه بعد أن زالت دولة آل سعود سنة ١٢٣٣ ارتحل إلى عنيزة فولى قضاءها فسمعت من أهلها وصفه بكل حميل منها الاجتهاد في العبادة والمداومة على تلاوة القرآن في كل حال ، حتى في حضور الخصمين بنصون دعواهم وهو يتلى ^(١) وكان فيصلاً في الأحكام ويميل إلى ما يرجحه الدليل مما خالف المذهب ولا يبالي بأحد ، ثم تحول إلى سوق الشيوخ فولاه شيخ المنتفق قضاءها إلى أن توفي فيها بعد الأربعين رحمه الله تعالى .

وقد طالبت هذه الترجمة لما في ضمنها من التراجم فأغنائي ذلك عن أفراد كل واحد منهم بترجمة وإن أفردتها من أراد وضعها في مواضعها فلا بأس وقد أذنت في ذلك .

(١) كذا في الأصل والمقصود : (يذكرون دعواهما وهو يتلو القرآن) .

(٢) ذكر الشيخ عبد الله البسام أنه ولد حوالي سنة ١١٩٠ ونقل ما هنا عن تاريخ وفاته .

ولد قبيل الظهر يوم الثلاثاء غرة بخادى الآخرة سنة ١١٧٢ وأخذ عن والده من صغره ، فقرأ عليه الحديث ومصطلحه ، والأصليين والنحو والمعاني والبيان والمنطق ، والفقه ، والفرائض ، والحساب والجبر والمقابلة ، والهيئة وغير ذلك وأخذ أيضا الحساب عن العلامة السيد عبد الرحمن الزواوي المالكي وأخذ النحو عن الشيخ عيسى بن مطلق ، وكان عنده أعز من أبنائه ، ومهر في جميع ما قرأ وبهر في الفهم حتى فاق أقرانه بل ومن فوقه ؛ فصار كثير من رفقاته تلامذة والده يقرأون عليه وكان ذا حرص واجتهاد إلى الغاية ، قليل الخروج من المدرسة ، حتى إنه اتفق له سبع سنين لم يخرج منها إلا لصلاة الجمعة وأما الجماعة في مسجد ها ، والأكل يأتي له من بيت والده مع الطلبة ، وأكب على تحصيل العلم ، وإدمان المطالعة والمراجعة ، والمذاكرة والمباحثة ليلا ونهارا لم تنصرف همته إلى غيره أصلا حتى انه لما تزوج بأمر والده والزامه أخذ ليلة الدخول معه المحفظة فلما انصرف عنه الناس نزل السراج وقعد يطالع الدروس التي يريد يقرأها في غد ، ويقول في نفسه : إنه بعد إتمام المطالعة يباشر أهله فاستغرق في المطالعة إلى أن أذن الصبح فتوضأ وخرج للصلاة وحضر دروس والده من أولها ولم يعلم والده بذلك لكونه لا يبصر ولما فرغ من الدرس أتى إليه ولده وسلم عليه فبارك له وبارك له الحاضرون ، وفي الليلة الثانية فعل كفعله بالأمس ولم يقرب أهله من غير قصد للترك لكن لانشغاله بالمطالعة فيقول في نفسه : أطالع الدرس ثم ألتفت إلى الأهل فيستغرق إلى أن يصبح ، فأخبرت المرأة وليسها بذلك فذهب وأخبر والده بالقصة فدعاه والده وعاتبه وأخذ منه المحفظة ، وأكد عليه بالإقبال عليها . وكان رحمه الله كثير التحرير ، بديع التقرير ، سديد الكتابة قل أن يقرأ كتابا أو يطالعه إلا ويكتب عليه أبحاثا

(١) وصل الشيخ عبد الله البسام نسبة بوهب الذي تنسب إليه الوهبة ، ولخص ترجمته

مسا هنا .

عجيبة واستدراكات غريبة ، وفوائد لطيفة ، فمنها الكثير ، فمن أكثر ما رأيته كتب عليه « شرح المنتهى » للشيخ منصور ملاً حواشيه بخطه الضعيف المنور ، ولم يدع فيه محلاً فارغاً بحيث أتى جردتها في مجلد وضمت إليها ماتيسر من غيرها وفيها فوائد بدیعة لا توجد في كتاب ، وكذا رأيت « التصريح شرح الاقتناع » و « شرح عقود الجمان » للمرشدي « وشرح جمع الجوامع » الأصولي وغيرها ، وصنف تصانيف عديدة ، منها ما كمل ، ومنها ما لم يكمل ، لا احترام المنية له في سنن الشيبية فمنها « حاشية على شرح المقنع » وصل فيها إلى الشربة ، وهي مفيدة جداً ومما كمل « شرح الجوهر المكنون » للاخضري في المعاني والبيان والبدیع ومنها « إبداء المجهود في جواب سؤال ابن داوود » وذلك أن تلميذه الشيخ عبد الله بن داوود سأله عن القول المرجوح ، وعن المقلد المذهبي ، وعن الناقل المجرد ومنها « القول السديد في جواز التقليد » ومنها « زوال اللبس عن أراد بيان ما يمكن أن يطلع الله عليه أحد من خلقه من الخمس » وله قصائد بليغة ومقطعات عديدة منها قصيدة غزلية أولها :

هام قلبي بسكاهل في الجمال ناقص الحصر جيده كالغزال

وأخرى أولها :

هجر المنام جفون صب ناحل يرعى النجوم بغيث دمع هاطل

وأخرى مقصورة أولها :

أها لجسم ماله غير الضنى مضاجع ومهجة من الهوى

وأخرى قالها في مرض موته أولها :

دع ذكر زينب عنك واهجر واصدد واقطع حبال الوصل عنها واجدد

وأخرى توسل قالما فيه أيضاً أولها :
يا واحداً عمّ الورى بِصِلَاتٍ وله عنتٌ في سائر الصلوات
وأرسل إلى والده بهذه الأبيات وهو في بلدة الزبارة وقد ابتلى فيه
المرض يهته بشهر رمضان :

هُنُتْ يادرة تاج الكرام بغاية الخير بشهر الصيام
وقُزّت بالأجر العظيم الذى يناله من صام صدقا وقام
في عِزّةٍ قعسا ، وفي رفعة مسلماً من موجبات السقام
أرجوك تدعو لي يا سيدي بواسع الرزق وحن الختام

وحين قُرِئتْ على والده أُملي جوابها في الحال فقال :

جزاك مولاي جزاء به تبلغ من تقواه أعلى مقام
في كل شهر وزمان وفي كل مكان فاضل ذي احترام
معظما بين الورى مكرما يصغي إليك الكل عند الكلام
وأسال الله بأسمائه يشفيك من أنواع كل السقام
وأن يديم الكسب من فضله عليك موصولا بغير انحام
ثم صلاة الله موصولةً على النبي المصطفى بالسلام

وتوفاه الله في مرضه ذلك في شهر رمضان سنة ١٢٠٥ في بلد الزبارة ،
من ساحل بحر عمان ودفن بها وورثي بقصائد شتى من غير أهل مذهبه وبلده ،
فضلا عنهم ، وعظمت مصيبة أيه بهلكته واحتسب ، وأتمه التعازي والمرائي
من علماء الشام وبغداد وغيرها .

بالقاف النجدى^(١) مولداً بالدمشق رحلة القاهري سكنا ومدفنا

ولد في بلدة العيينة من قرى نجد سنة (. . .)^(٢) ونشأ بها ، وقرأ على علامتها الفقيه النبيه الشيخ عبد الله بن محمد بن ذهلان ، وهو ابن عمته فأخذ عنه الفقه وغيره ، ثم ارتحل إلى دمشق ، فأخذ عن علمائها الفقه والأصول والنحو وغيرها ، وحضر دروس شيخ الحنابلة بها ومفتيهم الشيخ محمد أبي المواهب^(٣) ، فوقع بينه وبين المترجم نزاع في مسألة إذا تساوى الحرير وغيره في الظهور أو زاد الحرير إذا كان مسدياً بالحرير ومُلتحماً بغيره وأخرجته الصناعة فظهر السدا وخفيت اللحمة ، وهو الخرز كالقرمسود^(٤) والقطنى فقال أبو المواهب بالحل ، وقال المترجم بالحرمة ، وطالت بينهما المنازعة والمناظرة فاحتد الشيخ أبو المواهب . . .^(٥) فيها محرر الفنون للعلامة الشيخ محمد بن أحمد الحلونى فأخذ عنه دقائق الفقه ، وعدة فنون ، وزاد انتفاعه به جداً حتى بهر وحقق ودقق ، واشتهر في مصر ونواحيها ، وقصد بالأمثلة والاستفتاء سنين ، وكتب على « المنتهى » حاشية نفيسة مفيدة

بمادة المراجعة
بمادة المراجعة
بمادة المراجعة
بمادة المراجعة

(١) أورد الشيخ عبد الله البسام نسبة هكذا : (عثمان بن عثمان - أيضاً - بن أحمد بن أحمد بن سعيد بن عثمان بن أحمد بن سعيد بن عثمان بن أحمد قائل التجدي) .

(٢) بياض في الأصل ولم يجدد الشيخ ابن بسام زمن مولده .

(٣) مترجم في « مختصر طبقات الحنابلة » وفي « سلك الدرر » توفي سنة ١١٢٦ هـ

وذكر الشطى (ص ١١٤) أنه أخذ عن الشيخ عبد الحى المكرى صاحب « شذرات الذهب » في أخبار من ذهب « المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ ولم يترجم الشطى الشيخ عثمان .

(٤) كذا في الأصل وفي كتاب « علماء نجد » للشيخ ابن بسام : (كالقز والقطنى) .

(٥) هنا سقط في الأصل وجاء في كتاب « علماء نجد » مانصه : (فاشتد أبو المواهب على المترجم ، وقد ذكر هذه المسألة في كتابه « هداية الطالب » ص ١١٢ المطبوع بمطبعة المثلث ، وأشار إلى النزاع الذى وقع له فيها مع أبي المواهب . وبعد هذا خرج من الشام إلى مصر ، وأخذ من علمائها حتى مهر مهارة تامة) انتهى .

ويظهر أن ما سقط من الأصل : ومن أخذ عنه في مصر محرر الفنون - أو ما هو بمعنى هذا الكلام -

جردها من هوامش سخته تلميذه ابن عرض النابلسي ، فجاءت في مجلد ضخم ، وصنف « هداية الراغب شرح عمدة الطالب » حرره تحريراً نفيساً ، فصار من أنفس كتب المذهب واختصر « درة الغواص » مع تعقبات يسيرة وله « شرح البسمة » ورسالة في الرضاع « ونجاة الخلف في اعتقاد السلف »^(١) وغير ذلك وكان خطه فائقاً ، مضبوطاً إلى الغاية ، بديع التقرير ، سديد الأبحاث والتحرير ، توفي بمصر مساء يوم الاثنين رابع عشر جمادى الأولى سنة ١٠٦٧ .

٣٧ - عثمان بن جامع النجدي ثم الزبيري^(٢)

القصبة النبوية ، الورع الصالح . قرأ على شيخ وقته الشيخ محمد بن فيروز في الفقه وغيره ، فأدرك في الفقه إدراكاً تاماً ، ثم طلبه أهل البحرين من شيخه المذكور ليكون قاضياً لهم ، ومفتياً ومدرساً : فأرسله إليهم ، فباشرها سنين عديدة بحسن السيرة والورع والعفة والديانة والصيانة ، وأحبه عامتهم وخاصتهم ، وصنف « شرح أخصر المختصرات » شرحاً مبسوطاً نحو

(١) ذكر الشيخ ابن بسام أنه في صفات الله تعالى محقق على طريقة السلف . وذكر من مؤلفاته :

- ١ - هداية الراغب شرح عمدة الطالب .
 - ٢ - حاشية على « المنهى » في مجلد ضخم .
 - ٣ - مختصر درة الغواص .
 - ٤ - شرح البسمة .
 - ٥ - نجاة الخلق في اعتقاد السلف « وهو رسالة مطبوعة .
 - ٦ - الاسعاف في إجازة الأوقاف « رسالة صغيرة مخطوطة .
 - ٧ - رسالة في القهوة .
 - ٨ - تلخيص التوبة لابن القيم وفرغ من ذلك سنة ١٠٦١ .
 - ٩ - رسالة في إن - لم يذكرها الشيخ ابن بسام في التيمورية بدار الكتب .
- (٢) تقدم ذكر نسب نقلاً عن كتاب « علماء نجد » للشيخ عبد الله البسام وأنه ينسب إلى الأنصار ، الفزرج وأضاف الشيخ ابن بسام هنا : نسبة المترجم إلى الأنصار والخزرج نقلها من مسودات الشيخ عبد الستار الدهلوي ، وأورد ترجمة المترجم ما هنا .

ستين^(١) كراسا ، جمع فيه جمعا غريبا ، ولم يزل على حسن الاستقامة
والإعزاز التام ، ونفوذ الكلمة عند الأمير فن دونه إلى أن توفاه الله تعالى
سنة ١٢٤٠ انتهى .

٢٨ — عيسى بن محمد الزبيرى

قرأ عليه الشيخ ابراهيم بن جديد، والشيخ عبدالله^(٢) بن حمود وغيرهم ،
وأدرك وقت الشيخ محمد بن فيروز في البصرة ، ولكن لا أدري هل أخذ
عنه أم لا ، ومهر في الفقه والزموه بقضاء الزبير فباشره بلا معلوم ، ثم رغب
عنه فألحوا عليه في الاستمرار بكل سبيل فأبى ، وقال : إنما يطلب القضاء
لإحدى ثلاث : إما للثواب أو للجاه أو للمال . فأما الثواب فأبعد شيء
وليتنا نتجو رأس برأس ، وأما الجاه فإن فلانا لما حكمت عليه بغير مطلوبه قال :
(قطع الله هذا الوجبة) حتى لم يقل هذا الوجه . وأما المال فإن عبادتي
هذه التي صيقت بها شئت بها بلا زيادة ولم أحج حجة الإسلام من قلة
ذات اليد فأى داع إلى ارتكاب الخطأ ؟ ! فقالوا : 'نعين' لك كفاية
السنة ونفعل ونفعل ، فأبى وعرف أنهم لا يتركون مراجعته فتكلف

(١) لم يذكر الشيخ ابن بسام هذا الشرح ولكنه زاد - فيما نقل عن ابن حميد : (قال الشيخ
محمد بن فيروز : وقرأ على الوالد قليلا من « مختصر المقنع » ثم اشتغل على الفقير في الفقه والفرائض
والعربية ، ففتح الله عليه) ولم يذكر سنة وفاته .

(٢) لم أجد في « السحب » له ترجمة وقد ترجمه الشيخ عبد الله البسام فذكر أن أصله من
عنيزة وولد في الزبير من أسرة لا يرتفع نسبها إلى قبيلة من قبائل العرب ، وإنما هي عشيرة في
عنيزة منها آل عبيد الله وآل جنيى وآل الصانع في المحبة كلهم من أصل واحد وهو آل حمود -
وذكر مشافهه وأنه تولى إمامة جامع الزبير الكبير ، ثم قضاء الزبير لما تولى القاضي صالح المبيض
سنة ١٣١٥ وظل نحو عشرين سنة حيث عزل بالشيخ عبد المحسن أبى بطين وأعيد سنة ١٣٣٩ إلى
سنة ١٣٤٢ حيث التى القضاء في الزبير وألحق بقضاء البصرة ، ثم عين مدرسا بمدرسة دويجس
الدينية ، وقرأ عليه الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع .
وتوفى سنة ١٣٥٩ في الزبير .

وحج ، وجاور مدة ، ثم رجع إلى بلده ، وسكن فيها يدرس ويضي إلى أن توفي سنة ١٢٤٨ فلما وكان خطه حسناً وكتب شيئاً كثيراً رحمه الله^(١)

(١) ومن كتاب « علماء نجد » باختصار :

- ١ - عبد الرحمن بن أحمد بن اسماعيل البكري الثوري .
ولد في أشيقر في بيت علم فكان عالماً فقيها حسن الخط كتب كتباً كثيرة بخطه الحسن المتقن .
وتوفي سنة ١٠٦٧ .
- ٢ - عبد الرحمن بن بليهد بن عبد الله بن فوزان بن محمد بن بن بليهد بن عثمان .
ولد في غسلة وقرأ على الشيخ عبد الله بن ذهلان وكان زميلاً للشيخ أحمد المنقور توفي سنة ١٠٩٩ في بلدته .
- ٣ - عبد الرحمن بن محمد بن ذهلان .
نشأ في العينة وأخذ عن علمائها .
ثم رسل إلى دمشق فأخذ عن الشيخ محمد البليان الحنبل حاجة المؤلفات في الفقه .
ثم عاد فرسل مع أخيه الشيخ عبد الله بن محمد إلى مرقن لأن الشيخ عبد الله صار قاضيها .
ومن تلاميذه أحمد بن محمد بن حسن القصير .
توفي سنة ١٠٩٩ .
- ٤ - عبد الرحمن بن محمد بن عثمان - ويلقب بالسحبي - بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن اسماعيل ، البكري الثوري البيه .
ولد في أشيقر وفيها تعلم .
وبرع بمجودة الخط ، وقد اطلع الشيخ إبراهيم بن عيسى على أحد ماكتب من المصاحف وكان الرابع عشر .
وهو من أهل القرن الثاني عشر .
- ٥ - عبد القادر بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف الوهبي ولد في أشيقر وقرأ على علمائها حتى أصبح من علماء نجد .
وتولى القضاء لأجود بن زامل سلطان الأحساء
من أهل القرن التاسع وأول الماشر .
- ٦ - عبد الله بن إبراهيم بن سيف بن عبد الله الشمري .
هو والد الشيخ إبراهيم مؤلف المذهب الفاضل .
من مشايخ الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وابنه للشيخ إبراهيم والشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عقاليق ، من علماء المدينة في أول القرن الثالث عشر .
ووالده الشيخ إبراهيم بن سيف توفي سنة ١١٨٩ .
- ٧ - عبد الله بن أحمد بن اسماعيل بن عقيل البكري الثوري .
ولد في أشيقر وفيها نشأ ودرس وول القضاء حتى توفي سنة ١٠٦٧ هـ .
- ٨ - عبد الله بن أحمد بن اسماعيل البكري ثم الثوري . -

• • • • •
• ولد في أشيقر وتولى قضاء عيزة وافتاها

توفي سنة ١١٩٦ .

٩- عبد الله بن أحمد بن محمد بن سحيم .

عاصر الشيخ محمدا وجرى بينهما مكاتبة . وكتب بخطه كتباً وجمع مكتبة وتولى قضاء
سدير .

توفي سنة ١١٧٥ .

١٠- عبد الله بن أحمد بن محمد بن مشرف الوهبي النجفي .

ولد في أشيقر وفيها تعلم وتولى قضاها وتوفي سنة ١٠٥٣ تقريباً .

١١- عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن اسماعيل .

ولد في أشيقر ودرس على حسن بن عبد الله أبا حسين الوهبي وقتله الشريف عبد العزيز بن
هزاع ظلماً سنة ١١١٩ .

١٢- عبد الله بن عبد الوهاب بن موسى بن عبد القادر بن رشيد بن بريد بن مشرف .

قرأ على الشيخ أحمد بن محمد بن بسام وغيره من علماء نجد ورحل إلى مصر فقرأ على الشيخ
منصور البهوتي وغيره ثم عاد وتولى قضاء العيينة حتى توفي .

وتوفي سنة ١٠٥٦ في العيينة .

وابنه عبد الوهاب قاضي العيينة توفي سنة ١١٢٥ .

وحفيد حمد بن عبد الوهاب توفي سنة ١١٢٦

وابن الحفيد عبد العزيز بن حمد . وهو سبط الشيخ محمد بن عبد الوهاب توفي حول ١٢٤٢

١٣- عبد الله بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن بسام الوهبي .

ولد في أشيقر ، وتلقى العلم عن أحمد القصير وحسن بن عبد الله أبا حسين ، وتولى قضاء
بلدته سنة ١١٣٩ حتى توفي سنة ١١٦٠ هـ

١٤- عبد الله بن عفالق : ولد في نجار تولى قضاء العيينة وتوفي سنة ١٠١٩

١٥- علي بن جعفر الفضل - من آل فضل من لام ثم من طيء - ولد في أشيقر وفيها نشأ
وتعلم وتولى القضاء وتوفي سنة ١٠١٥ هـ .

١٦- علي بن عمر بن حسين بن علي بن مغاس من آل مشرف من الوهبة . ويلقب بالخرزاز .

ولد في أشيقر وفيها نشأ وتعلم وتولى قضاء هاتوا توفي سنة ١٠٥٠ .

١٧- علي بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن منيف بن بسام بن منيف بن عساكر بن بسام
بن عقبة - من الوهبة .

ولد في أشيقر وفيها نشأ وتعلم وتولى قضاها وتوفي سنة ١٠٩٠ هـ .

٣٩ - غنام بن محمد النجدي الزبيرى ثم الدمشقى

ولد في بلد سيدنا الزبير^(١) وأخذ من علمائها ، ثم عن علامة العصر الشيخ محمد بن فيروز لما تحول إلى البصرة ، ودأب وحصل ، ثم رحل إلى بغداد فقرأ فيها مدة ثم ارتحل إلى الشام وقطن فيها إلى أن مات ، وتصدى في دمشق لتشر الفقه ، وجلس يدرس في الجامع الأموي بأمر شيخه علامة الشام أحمد بن عبيد العطار ، وحضر أول ما فتح الدرس مع جملة من مشايخ دمشق من مذهب المترجم ومن غيره ، فأخذ عنه جمع من الفضلاء من أهل دمشق ، والنايسين القادمين والنجديين وغيرهم ، منهم شيخنا التقي النقي الشيخ عبد الجبار النقشبندی البصري والشيخ الصالح أحمد اللبدي وانتفعوا به ، ولم يزل ملازماً على الدروس والمطالعة ، مع تعاطيه التجارة بالتحري والصدق والورع ، وكان في أيام طلبه في بلده قد كتب كتباً نفيسة بخطه الحسن النير منها « شرح المنهى » وملاً حواشيه بالقوائد والأبحاث حتى لم يترك فيه موضعاً خالياً فكانت هذه النسخة مشهورة بين الطلبة بدمشق ، يحضرونها وقت مطالعتهم ، ويستفيدون مما عليها وحصل كتباً نفيسة منها « شرح الاقتناع » بخط مؤلفه ، وكان له أفضال على الطلبة ، وله شهرة عند أهل دمشق وتوفي بدمشق سنة ١٢٤٠ .

وخلف ولده الفاضل الشيخ عبد الرحمن طلب العلم مع الصلاح والخير والسكون وحسن المعاشرة والملازمة الكلية على الجماعة بالجامع الأموي بالصف الأول ، والامام الأول وسماحة النفس في إعارة الكتب توفي رحمه الله تعالى سنة ١٢٨٢ انتهى .

(١) ذكر الشيخ عبد الله البسام أنه ولد في نجد ثم ارتحل إلى الزبير .
(٢) ذكر الشطى في « مختصر طبقات الحنابلة » ص ١٤٨ أنه ولد في نجد وهاهو كلامه
(الشيخ غنام النجدي : ترجمه الم فقال : هو الشيخ غنام بن محمد الزبيرى أصلاً ، النجدي مولداً ،
لدمشق سكناً . العالم المتضلع الفاضل الكامل المحدث الفقيه القرضى الحبسوي .

« أخذ الفقه عن العلامة الشيخ أحمد البعلبي ^(١) ، والحديث عن الشهاب أحمد العطار ، وكتب له إجازة بخطه على ظهر ثبته وأخذ بقية العلوم عن علماء عصره ، وكان له وللشيخ مصطفى السيوطي ^(٢) المنهى في معرفة الفقه والفرائض والاطلاع على غوامضها ، ويوجد له تقارير وأبحاث كثيرة على هوامش شرح المنهى ، بحثاً مع الأصحاب ، وحلاً لمشكل كلامهم وقد أخذ عنه الفقه سيدي العلامة الجلد ^(٣) والشيخ سعيد السفاريني وغيرهما ، وانتفع به الطلبة انتفاعاً كثيراً وقرأت بخط الجلد المذكور أنه توفي يوم السبت ثامن ذي القعدة سنة سبع وثلاثين ومئتين وألف ^(٤) ، ودفن بالمقبرة الذهبية من مرج الدحداح ، وقال الجلد مؤرخاً وفاته :

حدث ثوى فيه الهمام الأمثل (غنام) ذو الفضل الذي لا يحجب
قد كان عوناً للذي رام العلى لا زال في دار الرضا يتقلب
لما دعى قالوا : نجا أرخ أجل بشرى له في جنة لا يعطب

(١) ترجمه الشطى ص ١٢٠ وذكر أنه ولد سنة ١١٠٨ بمشق وتوفى فيها سنة ١١٩١ هـ
(٢) ترجمه الشطى ص ١٤٨ وذكر أنه ولد بمشق سنة ١١٦٥ وتوفى فيها سنة ١٢٤٣
وذكر أنه انتفع به أناس كثيرون من النجديين والنايلسين . وأنه شرح كتاب « غاية المنهى » قال : (كتاب « غاية المنهى » صنفه الشيخ مرعى السكرى جمعاً بين « الاقتناع » والمنهى وصاحب الترجمة شرحه بشرحه المذكور « مطالب أول النهى في شرح غاية المنهى » ثلاث مجلدات ضخام) ، ولما وقع الاعتراض من بعض علماء نجد ، على مواضع في المتن والشرح المذكور انتصر المرحوم الجلد (وهو ممن أخذ عن المترجم) فجرد مازاد منها على الأصول المذكورين وبحس وحقق ، فأيد منها ما شهدت له النقول والروايات ورد منها ما لم يقم عليه دليل ، كما ذكر ذلك في مقدمة كتابه الذى سماه « منحة مولى الفتح » ، في تجريد زوائد الغاية والشرح ، وقد تأدب مع شيخه غاية الأدب انتهى .

(٣) هو حسن بن عمر الشطى ترجمه حفيده بترجمة حافلة - ص ١٥٧ وذكر أنه ولد بمشق سنة ١٢٠٥ وتوفى سنة ١٢٦٤ هـ .

(٤) ذكر الشيخ عبدالله البسام أن وفاته يوم السبت الثامن من ذي القعدة سنة ١٢٤٠ هـ . وذكر من مؤلفاته : (كتاباً في الفلك وقد نسخه والذى رحمه الله وقرأه في الزبير حل الشيخ محمد بن شهران إمام وخطيب جامع الرشيدية والمدرس بمدرسة التجارة الأهلية) انتهى كلام الشيخ رحمه الله .

ولد في الزبير ، وقرأ على عالمه الشيخ ابراهيم بن ناصر بن جديد وغيره ، ثم حج وجاور بمكة فقرأ على زاهداها الشيخ عمر عبد الرسول^(١) الحنفي التفسير والحديث ، وكذا على محدثها السيد يوسف البطاح الزبيدي ، وعلم القراءات والعربية على الشيخ أحمد المرزوقي الضريير ، وأجازوه ، وخطه حسن وغالب كلامه مسجوع وله نظم توفي سنة ١٢٤٦هـ^(٢) .

٤١ - فوزان بن نصر الله بن محمد بن عيسى بن صقر بن مشطاب^(٣)

نزىل الحوطة من قرى سدير^(٤) ، عالم فاضل مشهور ، قرأ وأقرأ واستفاد وأفاد ، كتب إليّ بعض فضلاء نجد أنه رأى إجازة شيخه الشيخ أحمد بن محمد القصصير له ونصها بعد الصدر : وبعد فقد قرأ عليّ الأخ في الله ، الذكي ، الفاضل التقى ، الخبر الكامل الألمي الشيخ فوزان

(١) التمييز لغير الله لا يجوز مثل (عبد الرسول وعبد الكعبة وعبد علي)

(٢) لم يزد الشيخ عبد الله البسام على ما نقله عن ابن حيد في هذه الترجمة .

(٣) قال الشيخ ابن بسام : (ابن عيسى بن أحمد بن عيسى بن صقر بن مشطاب هكذا نسب بخطه حفيد الشيخ صالح بن مشطاب ، فهو من المشايخ وهم من آل جراح من ذرية زهرى بن جراح ابن ثور أحد بطون الرباب اللاحقين بقبيلة سبيع بالخلف فالجد الأعلى المترجم زهرى بن جراح الذي أنشأ عنيزة ، ثم ذكر نزوح المشايخ من عنيزة

(٤) ذكر الشيخ ابن بسام أنه ولد في عنيزة . ونزع من وطنه وسكن حوطة سدير ولذا اشتهر بنزىل الحوطة . وذلك قبل نهاية القرن الحادى عشر كما يفهم من إجازة شيخه أحمد القصير له وكان القصير إذ ذاك خاليا من العلماء فقرأ على علماء سدير وعلى علماء اللوشم حتى أدرك وصار من العلماء المعروفين) .

ثم ذكر أنه سافر إلى دمشق وأخذ عن علمائها كالشيخ عبد القادر التتاي شارح « دليل الطالب » وأخذ عن الشيخ عبد القادر البصرى المنبل . ومن أخذ عنه الشيخ عبد الله بن محمد ابن فيروز والده عالم الأسماء . والشيخ المؤرخ محمد بن عباد الدوسرى قاضى ثرمداء فقد قال في « تاريخه » : (وفي سنة ١١٣٤ قراعت على فوزان بن نصر الله ، وابن عباد من آل عوصبة ذكر الشيخ عبد الله البسام ان له تاريخا يقع في ٨ صفحات من عام ١٠١٥ إلى السنة التي توفي فيها وهي ١١٧٥هـ .

ثم ذكر الشيخ عبد الله البسام أن المترجم توفي في حوطة سدير سنة ١١٤٩هـ .

بن نصر الله الحنبلي بلغه الله من قصبات العلم مقاصده ، ورحمه ورحم والده ،
 غالب كتاب « المنتهى » قراءة بحث وتحرير وتروّ في مواضعه المشككة ،
 وتدقيق في أماكنه المغفلة ، قراءة كافية بلغ فيها الغاية وانتهى فيها إلى أقصى
 النهاية ، وأجزت له أن يروي عني ما يجوز لي روايته بشرطه المقيد عند
 أهله ، جعلني الله وإياه ووالدينا من المتجاوزين فرطهم يوم التناد ولا فضحنا
 الله وإياه بما اجترحنا يوم يقوم الأشهاد ، ، ونسأله أن يزودنا تقواه فلنعم
 الزاد ، وحضر القراءة المباركة الشيخ أحمد بن محمد ابن شبانة والشيخ حسن
 بن عبدالله أبا حسين وعبد القادر بن عبد الله العديلي سنة ١٠٩٩ .

لأهل العلم بالإجماع فوز وللأكرم ابن نصر الله فوزان

ومن مشايخه أيضاً العلامة الورع التقي الشيخ عبد القادر التغلبي ،
 وأخذ عنه جماعة عنه من علماء نجد والاحساء ، منهم الشيخ عبدالله بن الشيخ
 محمد بن فيروز والد الشيخ محمد المشهور .

٤٢ - محمد بن ابراهيم بن محمد بن عريكان

— بضم العين بصيغة التصغير — من آل وطبان ، من بني وائل .
 ولد قبل الثلاثين والمنتين في بلد الخبراء من بلدان القصيم ، وتربى
 عند خاله الشيخ عبدالله بن فائز — الماضي — وقرأ عليه القرآن والفقه ،
 ويسيراً من العربية ، ثم سافر إلى سوق الشيوخ ، فقرأ على علامة زمانه
 الشيخ محمد بن سلوم وولديه الفاضلين عبد اللطيف وعبد الرزاق ، وهو
 قد بلغ أولم .. وكان يتوقد ذكاءً وله همة عالية في تحصيل أنواع العلوم
 ثم رجع إلى عنيزة ، ولم يقنع من التعلم ، فسافر إلى مكة المشرفة ،
 وتلمذ لمشهورها ذلك الزمن ، الشيخ عبدالله سراج الحنفي ، في فنون ،
 فوجد الشيخ قد استروح (؟) وأخلد إلى الرياسة ، فضاقت صدره لعدم مطلوبه
 وهم بالتوجه إلى مصر أو الشام أو المغرب ، فسمع شخصاً بمدح السيد

(١) ترجمه الشيخ ابن همام نقلا عن « السحب الوابلة »

محمد السنوسي^(١) بالعلم الواسع . قال : فاستشرت أعلم تلامذة شيخنا في ذلك ، وسألته عن المذكور هل تعرف حقيقته ؟ قال : نعم . قلت : أخبرني . قال : أجمل أم أفصل ؟ قلت : بل أجمل . قال : حضرته يقرأ في المطول ، للسعد بحاشية السيد ، وهو ثلثهما (؟) فوقعت في قلبي موقعاً عظيماً ، فذهبت إليه ، والتمست منه القراءة ، فأقرأني في فنون عديدة قلت : ولازمة المذكور سنين ، حضراً وسفراً ، حتى مهر في الحساب والفلك بأنواعه من هيئة ورُبُع واصطربلاب وغير ذلك ، ونظم في ذلك عدة مناهج ، ونظم « دليل الطالب » في ثلاثة آلاف بيت نظماً لا بأس به ، إلا أن نظمه بعده حسن وفاق ، حتى تراسل هو وأدباء اليمن بالقصائد الطنانة ، منها قصيدة للبليغ الكامل السيد أحمد صائم الدهر ، أولها : —

هو الجود حتى لا ينجيب آمال (؟)

وآخر مطلعها :

بدت فأقرت كل قلب وناظر فإن تحكّمها يا بدّر وجهها فناظر

وكان عجب الذكاء مع ما فيه من الخفة والاسترواح ..

وانفرد بتدقيق علم الجبر والمقابلة والخطائين والهندسة والهيئة ، حتى كان كبار تلامذة شيخه الشيخ عبد الله سراج يقرأون عليه ، ورأيتهم لا يرتضيه تلامذة وأرسله شيخه السيد السنوسي إلى السودان في شغل ، فلما رجع وجد شيخه قد سافر إلى المغرب فلم تطب له الإقامة بعده ، وأراد الحاق به ، فأرسله إلى جدة عثمان باشا إلى الحبشة ، فطاب له المقام هناك ، وسكن من سنة ١٢٥٧ ، وجاء منه مكاتبة سنة ١٢٧١ أن مراده الحجي ، ولكن له ولد لا يطيق الركوب على الدابة ، فلعله يكبر قليلاً ، ويستصحبه معه لأنه إن تركه لم يجتمع به إلا في المحشر . ثم انقطع خبره بعد انتهى .

(١) هو محمد بن علي السنوسي الإدريسي صاحب الطريقة المروية توفي سنة ١٢٧٦ وقال الشيخ ابن بام : إن ابن عريكان قرأ على السنوسي حينما كان مجاوراً بمكة . فقد استقر بمكة وبني زاوية في جبل أبي قيس .

- بضم الهاء وإسكان الياء التحتية بصيغة التصغير - نسبة إلى جد له
يُسَمَّى هُدَيْبًا التميمي الزبيري مولدا ومنشأ المكي المدني جوارا ، المدني
مدفنا ، شيخنا الصالح العابد الورع الزاهد الفقيه النبيه التي ، ولد في بلد
سيدنا الزبير من أعمال البصرة في حدود سنة ١١٨٠ وبها نشأ فقرأ القرآن ،
ثم العلم تفسيراً وحديثاً وفقها وفرائض ونحواً على الشيخ إبراهيم بن جديد
وغيره ، ولكنه اختص به ولازمه ملازمة كلية ، وانتفع ببركته وأحبه
الشيخ محبة أكيدة ، وأخبرني أنه قال : خطب إلى شيعي بنتي فأجبت ،
فقال لي : أخاف عليك من كلام الناس لأنك قبيلي وأنا لست بقبيلي ، وهذا
عند الناس مستنكر فقلت : لا أسأل عن كلام الناس : فقال لا أرضى
أن يتكلم فيك أحد . وقال : لما عزمت على الرحلة لسكني الحرمين الشريفين
عذلي وقال : اين تفارق أصحابك تستوحش لهم ويستوحشون لك ،
ولا تجد من يذاكرك في الفقه ، وكلاماً من هذا القبيل . فلم ألتفت ، فلما
رآني مصمماً بكى وقال : يا ليتني شعرة في جسدك : فكاد ينخلع قلبي
لفراقه ، وكدت أرجع عن عزمي ، ولكن سبق في علم الله مجاورتي ،
فخرجت ومررت في طريقي بسوق الشيوخ ، فعرض علي شيخ المتفق
الإقامة عندهم ، ورغبني بكل طريق ، فلم أمل إلى ذلك فألح علي وقال :
إذا مات قاضينا نوليك قضاء بلادنا فجاريته على مقدار عقله وقلت له :
أكتب لي صكاً أني أعيش بعده ، فعرف غفلته وسرت إلى أن وصلت
إلى المدينة المنورة وأخذت عن علمائها كالشيخ مصطفى الرحمن وغيره وفي
الحديث ، وفي الفقه عن الشيخ أحمد بن رشيد الحنبلي ، وقد أخذت عن
شيخه علامة الزمن الشيخ محمد بن فيروز ، حين قدم علينا البصرة لسكنائها
وأجازني ، فقد شاركت الشيخ أحمد في بعض مشايخه فصرت أنا مقرئ
درسه مدة ، ثم هجم علينا سعود فصانعهم الشيخ أحمد ، وسلك معهم ،
وقطعت حضور دروسه من يؤمئذ فعاتبني فقلت له : لا بد أنهم يأمرؤنك
بقراءة رسائلهم التي فيها تكفير المسلمين ، فكيف أقرؤها وأسمعها ؟ !

(١) ترجمه الشيخ عبد الله البسام نقلا عما هنا .

ثم قلت : أما تذكر حين أجازك شيخنا المرحوم الشيخ محمد بن هيرور وأوصاك بوصية منها :

أحترزُ نُصبَ عارض من محق أهل العارض

فقد ظهرت إشارته ، وتحققت مكاشفته فقال : الله يعلم أني معهم بالظاهر لا بالباطن فقلت : ولم ؟ قال : لأدافع عن نفسي وعن أصحابي مثلك . ولقد صدق فانه دفع ونفع وقال : قلت سألت الله أن يرزقني أربع خلال أن يرزقني الإقامة بالمدينة أولاً عشرين سنة ، والإقامة بمكة عشرين ، وأن يجعل موتي بالمدينة ، وأن لا أقطع الدروس إلا لمرض الموت ، وأن يرزقني ولداً يقرأ القرآن ، ويطلب العلم ثم يموت حتى أحسبه عند الله ، وقد استجاب الله له فبين جميعها فجاء ولده عبدالله قرأ القرآن حفظاً وقرأ في العلم فتوفاه الله ، وجاور في المدينة عشرين سنة ثم تحول إلى مكة فجاور بها عشرين فلما تمت سنة ١٢٥٧ غزم على التوجه للمدينة والإقامة بها إلى الممات فبلغه الله ذلك وما قطع الدرس إلا لمرض موته وقال تلميذه وصهره على ابنته الرجل الخير صالح بن محمد بن جوعان : ما وضعنا الكراريس في كتبها إلا بعد موته . يعني أنه لم بنو ترك الدروس فقد استجاب الله دعاءه ، وحقق رجاءه ، وكان قوي الرجاء بربه ، كثير الثناء عليه سبحانه دائماً يعدد نعمه عليه ، وكان في أول مجاورته لمكة ينسب بالنجارة مع غاية التحري ، وتصحيح العقود ، والقناعة بالربح اليسير ، مع ملازمته على الدروس والعبادة ، ثم ترك التجارة وانقطع لا يخرج من المسجد إلا لبيته لما لا بُدَّ منه ، مواظباً على الصلاة مع الإمام الأول وخلف الإمام ، وكان كثير الخشوع ، دائم السجود والركوع ، عابداً ورعاً لا يأكل شيئاً من مال السلاطين ، بل يقبضه ويعطيه لبعض تلامذته ، كثير القراءة لكتب التفسير والحديث ، إذا قرأها لا يملك عينيه من البكاء خصوصاً الغزوات ، ولا يحل بوظائفه الليلية والنهارية إلا من عذر شرعي ، ولا يكاد يرى في طريق إلا لزيارة القبور ، أو لعبادة مريض ، ويعكف العشر الأواخر من رمضان كل سنة ، ولا يخرج من معتكفه إلا بعد صلاة العيد ، كما هو السنة في مذهبه بثياب اعتكافه ، وأول ما يخرج يذهب لزيارة المعللة قبل أن يدخل بيته ولا يذهب إلى أحد ، ولا يشتهي أن يجيء عنده أحد ، ومن نطلبه في الدرس أو خلف الإمام .

توفي بالمدينة المنورة ثالث عشر ذى القعدة سنة ١٢٦١ ودفن في
بالبقيع رحمه الله .

٤٤ — محمد بن ربيعة الموسجى النجدى^(١)

قرأ على مشايخ نجد منهم الشيخ أحمد بن محمد القصير ، ومنهم الشيخ
عبدالله ابن ذهلان واشترى كتبه بعد موته ، وفيها كتب بديعة ، وكتب
بخطه الحسن جملة ، ومهر في الفقه وكان قاضي بلد ثادق من وادى سدير
توفي سنة ١١٥٨^(٢) .

٤٥ — محمد بن سيف العتيقى^(٣)

رأيت له منظومة في الآداب الشرعية لطيفة أولها :
أرى المجد صعباً غير سهل التناول أيباً شديداً معجزاً للمحاول
وهي طويلة ، وسمعت بعض الصلحاء يذكر له كرامة نقلها له بعضهم ،
وهي أن المذكور حج ثم زار النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما خرجت
القافلة خارج المدينة وعزم المذكور على الذهاب معهم إلى بلده رأى النبي
صلى الله عليه وسلم في النوم ، وقال له : يا محمد كيف تخرج من عندنا
وأنت من جيراننا ؟ ! فلما أصبح نأى عن السفر ، ورجع إلى المدينة
المنورة ، فأقام فيها أياماً قلائل ثم توفاه الله تعالى فيها ، ولا أدري متى ولكن
غالب ظني أنه قبل المائتين بقليل أو بعدها بقليل والعلم لله سبحانه .

(١) قال الشيخ عبد الله البسام الموسجى الدوسرى : ولد في ثادق عاصمة بلدان الحمل ، وآل
عويجة هم الذين عمرو ثادق سنة ١٠٧٩
وأقول : حدثني الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري أن للشيخ محمد بن ربيعة الموسجى نبذة
في تاريخ نجد ، بخط يده في مكتبته أى مكتبة الشيخ العنقري .
وقد ذكر الشيخ عبد الله البسام أن المترجم اشترى كتب شيخه ابن ذهلان لما توفى ، وأنه
حصل كتباً كثيرة بخطه .

(٢) ذكر الفاضلى في « تاريخه » أنه توفي في شهر صفر سنة ثمان وخمسين ومئة وألف
(٣) زاد ابن بسام : (ابن أحمد العتيقى النجدى ثم الزبيرى ثم ولد في بلد حرمة ونشأ فيها وقرأ
على علماء سدير ومن مشائخه والده سيف بن أحمد، وبعد أن أدرك في العلم انتقل إلى الزبير فسكن فيه
وجلس للتدريس والإفادة ، فانضج بعلمه خلق كثير من تدرسه وفتاويه وألف مؤلفات منها
« نظم الجواهر في الهى والأوامر ، وهو من بيت علم حريق فأبوه عالم وأخوه الشيخ محمد
ابن سيف عالم وأبناء أخيه علماء . ثم نقل عن ابن حيد بعض ما ذكر وقال : توفي في المدينة في نهاية القرن
الثاني عشر وانقطع عقبه ، رحمه الله تعالى .

٤٦ - محمد بن طراد الدوسري

نسباً إلى أبي^(١) الحسن ولد في سدير من نجد ، وقرأ على مشايخها ، ثم ارتحل إلى الشام^(٢) فقرأ على علمائها ومنهم السفاريني فيها أظن ، ثم رجع إلى بلده فقرأ عليه جماعة منهم شيخنا الشيخ عبدالله أبا بطين توفي بعد المائتين والألف^(٣) .

٤٧ - محمد بن عبدالرحمن بن حسين بن محمد بن عفالق العفالق^(١)

نسباً الاحسائي بلداً

العلامة الفهامة الفلكي المحرر (٢) .

ولد في بلد الاحساء سنة (١٠٠٠)^(٥) وبها نشأ وأخذ عن علمائها القاطنين بها ، والواردين إليها ، وأجازوه ومهر في الفقه والأصول العربية وسائر الفنون^(٦) ، وفاق في علم الحساب والهيئة وتوابعهما ، فاشتهر بتحقيق

(١) كذا في الأصل وقال الشيخ عبد الله البسام : (محمد بن عبدالله بن حمد بن طراد الدوسري ، أصله من آل سيف أهل العيينة ، وعشيرته القرية يقال لهم آل أبا حسين . ولد في حوطة سدير) .

(٢) في سنة ١١٧٧ .

(٣) ذكر الشيخ عبد الله البسام أنه توفي في حوطة سدير عام ١٢٢٥

(٤) زاد في كتاب « علماء نجد خلال سنة قرون » (القحطاني ، قال عفالق ينتسبون إلى عياف من ربيعة من غفرس بن خثعم) .

(٥) بياض في الأصل وفي كتاب « علماء نجد » (ولد المترجم في الأحساء عام ١١٠٠)

(٦) قال الشيخ عبد الله بن بسام في كتابه المذكور : (والمترجم أدرك أول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله ، فعادها وكتب إلى الشيخ رسالة يتصداه فيها بأن يبين له سائحتوى عليه (سورة العاديات) من الهجاز والاستمارة والسكناية وغيرها من العلوم البلاغية . إلا أنه توفي قبل أن تمتد دعوة الشيخ) .

علم الفلك وتدقيقه في عصره فما بعد ، وألف التأليف البديعة منها الجداول المشهور الذي اختصره تلميذه العلامة السيد عبد الرحمن الزواوي المالكي ، وعليه عمل الناس اليوم ، ومنها « مد الشبك لصيد علم الفلك » ، وسلم العروج في المنازل والبروج ، وغير ذلك وضبط هذا الفن ضبطاً عجيباً ، وجعل له أوضاعاً غريبة ، سهل فيها مأخذه وقرب طريقه ، واستدرك على من تقدمه أشياء ، فصار مرجعاً في هذه الفنون وعلى كتبه المعول ، وقرأ جميع الفنون جمعاً من الفضلاء أنبلهم الشيخ محمد بن فيروز ، وأنخبر عنه بعجائب منها أنه قال : قال لي عند موته : في صدري أربعة عشر علماً لم أسأل عن مسألة منها قبلك . والذي ظهر إلي أنه يعني غير الفقه والحديث والعربية والفلك ، لأن هذه العلوم قد أخذها عنه خلق كثير قبلي ومعني قال : وشرح « الغاية » في الفقه مبتدئاً من (كتاب البيع) فوصل فيه إلى (الصلح) حقق فيه ودقق ، وكان شخص من أقاربه يقرأ عليه مع رفقة له في قواعد الإعراب ، فلما خرج قال لبعض الطلبة : لم يزدنا الشيخ على ما في الشرح . فنقلت هذه الكلمة إلى الشيخ ، فلما كان من الغد وحضر الطلبة قال الشيخ لذلك الشخص : اقرأ الدرس الماضي فقرأه وشرع الشيخ في التقرير بأبلغ عبارة وأوسع نقل إلى الضحوة ، ثم قال لذلك التلميذ : ما فهمت من هذا ؟ فقال : لم أفهم شيئاً منه فقال : لهذا لم أزدك على ما في الشرح . وكان عالماً عاملاً كاملاً فاضلاً محققاً ماهراً توفي في الاحساء سنة ١١٦٤هـ^(١) . انتهى .

(١) قال الشيخ عبد الله البسام : بعد ذكر هذا : (وقال الشيخ محمد بن سلوم إن وفاته سنة ١١٦٣ ولعله هو الصواب . والله أعلم . قال الشيخ إبراهيم بن عيسى توفي محمد بن عفالق وله ثلاث وستون سنة) .

العلامة الفهامة ، كاشف المعضلات ، وموضح المشكلات ، محرر أنواع العلوم ، ومقرر المنقول والمفول بالمنطوق والمفهوم ، ولد في مدينة الأحساء سنة ١١٤٢ ونشأ بها في كنف والده وكف بصره بالجلدي وهو ابن ثلاث سنين ، وكان يقول : لا أعرف من الألوان إلا الأحمر لأنني كنت إذ ذاك لابساً أحمر ووضع الله فيه من سرعة الفهم وقوة الإدراك وبطء النسيان وشدة الرغبة والحرص ، والفتوح الباطنة والظاهرة ما يتنب منه ، فحفظ كثيراً من الكتب منها مختصر المقنع في الفقه « وألفية العراقي » في المصطلح « وألفية ابن مالك » في النحو وألفية السيوطي « عقود الجمان في

(١) زاد الشيخ عبد الله البسام بين فيروز ومحمد (بن عبد الوهاب بن عبد الله بن فيروز ابن محمد بن بسام بن عقبة بن ريس بن زاخر بن محمد بن علوي بن وهيب الوهبي القمي نسا النجدى أصلاً ، الأحسائي مولداً ومنشأً ، ثم البصري وفاة الزبيرى مدغفاً قال عن نفسه : أما الفقير ، أبوه وجده فيقال في نية كل واحد منهما الفيروزي لأننا من ذرية فيروز ابن محمد بن عقبة بن وهيب بن قاسم ، وإلى وهيب تنسب قبيلتنا وآل مشرف فيقال لهم الوهبة ، ثم لخص ترجمته بما هنا . وقال : (وصادف ظهوره وشهرته عند قيام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدعوته ، فتكاتبنا وتبادلا رسائل لاداعي لذكرها ، فأخذ الشيخ محمد علي ابن فيروز وأتباعه إباحة التوسل بالذوات ، وشد الرحال إلى القبور ونحوها من وسائل الشرك . والذي نقوله - الله تعالى ثم للمقيدة والتاريخ - أن الحق والصحيح هو مادعا إليه ومانئ عنه الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وإذا حصل غلط أو جهل من بعض من ينسب إلى نهجه وطريقه فلا عتب عليه في ذلك . والقصد أن محمد بن فيروز بقى في الأحساء يحارب بلسانه وبيانه الدعوة وأهلها وصار يكتب السلطان (استانبول) ووزرائه ومشيخة الاسلام حتى عجز ، فلما قويت الدعوة بمساندة الأئمة من آل سعود الذين أعز الله بهم هذه الدعوة السلفية وأوشكت الجيوش السعودية أن تستولى على الأحساء في عهد الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود ارتحل ابن فيروز من الأحساء إلى البصرة ، وهناك استقبل فيها استقبالا حافلا وارتحل معه طوائف كثيرة من حاشيته وأتباعه وتلاميذه) وقال الشيخ عبد الله البسام - أيضا - (والقصد أن المترجم حارب هذه الدعوة ، فله رسائل إلى السلطان يحرصه على قبح الدعوة ، ويوجد شيء منها في « عنوان المجد » لأن بشر الطبعة الأخيرة الكاملة إلى أن قال - ولما تيقن استيلاء أنصار الدعوة على الأحساء خاف منهم ... وقال قصيدة مؤثرة مملها :

سلام فراق لاسلام تحية على ساكني نجد وأرض اليمامة

المعاني والبيان « وألفية ابن الوردي » في التعبير ، وشيئا كثيرا لم أتحقق تعيينه ، بل سمعت من بعض صلحاء العوام أنه كان يحضر درسه في البصرة وهو علي « مصحيح البخاري » بأسانيده من حفظه ، وهذا في عصرنا مستغرب جداً فالله أعلم بصحته ، وبالجملة قد كان في الحفظ آية باهرة ، متوقد الذكاء ، كأن العلوم نصب عينيّه ، أخذ الحديث عن علماء عصره ، وكذا الفقه والنحو والمعاني والبيان ، وسائر الفنون ، وأجازوه باجازات مطولة ومختصرة ، وأثنوا عليه الثناء البليغ فممن أخذ منه الحديث حافظ عصره ، ومسند مصره ، الشيخ أبو الحسن السندي نزيل المدينة المنورة والشيخ العلامة محمد سعيد سفر المدني ، والشيخ سلطان الجبوري ، البغدادى ثم المدني ، والشيخ سعيد بن غردقة الأحسائي (١) والعلامة الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف الأنصاري الأحسائي الشافعي ، والشيخ محمد حياة السندي ثم المدني .

وأخذ الفقه عن والده وعن العلامة المحقق محمد بن عبد الرحمن بن عفالق الأحسائي ، ولازمه ملازمة كلية وكثر تفقهه به ، وكذا أخذ عنهما الأصولين ، وعن الثاني الفرائض والحساب وتوابعهما ، والهيئة والهندسة .

وأخذ النحو والصرف والمعاني والبيان عن شيخ الشافعية في عصره ، ورئيسهم في مصره ، عبد الله بن عبد اللطيف السابق ذكره .

ومهر في جميع هذه الفنون وتصدر للتدريس في جميعها ، وأفتى في حياة شيوخه ، وكتبوا على أجوبته وفتاواه بالمدح والثناء ، وتأهل للتأليف ، ونفع الله به نفعا جمعا . وصار يرحل إليه من جميع الأقطار ، حتى أنه يجتمع عنده من الطلبة نحو الحسين وأكثر ، كلهم يقوم بكفائاتهم ، ويتفقد أمورهم ، في جميع ما يلزم لهم . كأنهم أولاد صلبه بلا فرق ، ولا يمكن أحداً ممن يأتي عنده من الأجانب لطلب العلم أن يتفق من كيسه ، ولو كان

(١) في كتاب « علاء نجد خلال ستة قرون » : (سعد بن محمد بن كليب بن غردقة الأحسائي المالكي) .

غياً ويقول : من لم ينتفع بطعامنا لا ينتفع بكلامنا ! فوضع الله له القبول في أقطار الأرض ، وكاتبه علماء الآفاق من البلاد الشاسعة بالأسئلة والمدايح وطلب الإجازات ، والدعاء ، ونجب خلق ممن قرأ عليه ، فكان أهل البلدان يأتون إليه ، ويطلبون منه أن يرسل معهم واحداً منهم ، يفقههم في الدين ويعظهم ، ويقضى ويدرس ويصلي بهم : ويخطب ، فيرسل معهم من استحسن ، فلا يخالفه التلميذ في شيء أصلاً ، بل كانت الطلبة يمثلون منه أدنى إشارة ، ويعيدونها أسنى بشارة ، وتركوا أوطانهم وأهاليهم ، وعكفوا [في] ناديه .

فمن برع منهم حتى وصل إلى درجة التأليف شيخ مشايخنا العلامة قرظي زمانه ، الشيخ محمد بن سلوم ، والفقهاء النبيه الشيخ عثمان بن جامع ، وابنه الأديب اللبيب الشيخ عبد الله بن عثمان ، والمحقق النجيب الشيخ عبدالعزيز بن عدوان ابن رزيق ، والماهر الباهر الشيخ أحمد بن حسن بن رشيد ، والعلامة الورع الزاهد الشيخ إبراهيم بن ناصر بن جديد ، والمحقق البارع الشيخ ناصر ابن سليمان بن عقيم ، والفاضل الشيخ عبد الله بن داوود وغيرهم ومن هو دونهم خلق لا يحصون ، من الفضلاء من أهل الأحساء والبحرين والبصرة ، وبلد سيدنا الزبير ونجد ، بل لا يعرف في عصره لغیره من الشهرة مثل ماله بحيث أنه يطلق عليه شيخ العصر ، وكان قصير القامة ، طويل الاستقامة ، عليه أنوار زاهرة ، وآثار العلم والصلاح ظاهرة ، مهيباً معظماً عند الملوك فن دونهم ، مقبول الكلمة نافذ الإشارة ، بحيث كاتب السلطان عبد الحميد خان يستنجد به على قتال البغاة الخارجين بنجد ، رأيت مسودة بخط ابنه النجيب الشيخ عبد الوهاب ، وافتحه بقصيدة من نظمه ، ونثر بليغ ، فتحرك لذلك ، ولكن اخترمته المنية قبل إتمام مرامه ، وكان الشيخ معهم في هم وأذى ، ونصبوا له الجبال ، حسني بذلوا على قتله خمسمائة أحر ذهباً فتسور عليه جماعة من الأشقياء ليلاً ، وطلعوا إلى داره في سلم فانكسر بهم ، وتعطل بعضهم ، فحملة الباقون وهربوا ، فعدت هذه من الكرامات التي لا تنكر ، وكان الشيخ يرد عليهم ،

يبين خطاهم ، وينصح الناس عنهم ، فلهذا اتخذوه أكبر الأعداء ، وكفروهم ، وصار عندهم يضرب به المثل في عظم الشرك ، وأنه ممن أضله الله على علم ،

فلما رأى هذا منهم وهم في شوكة وصوله وفتك وسي ، وأمرهم في ازدياد ، عرف أنهم يأخذون الأحساء ، فلم يطب له المقام بها ، وارتحل بأهله وأولاده ومن يعز عليه إلى البصرة ، وتبعه تلامذته ، فسافروا دفعات براً وبحراً ، مع غاية الخوف والوجل ، فسلمهم الله .

ولما وصل إلى البصرة تلقاه واليها عبد الله أغا بالاكرام والتعظيم ، وهرع إليه الخلق على مراتبهم للسلام عليه ، والتبرك برويته ، والتماس أدعيته ، وكان يوماً مشهوداً ، امتلأت منه قلوب أهل البصرة سروراً ، وطلب منه الأغا المذكور أن يقرأ « صحيح البخاري » في جامعته الذي بناه ، فجلس الشيخ للإقراء ، وتكاثر الخلق ، حتى ضاق المسجد عنهم فوسعه الباشا ، لأجل هذا الدرس ، وقد نقلنا قول من حضر ذلك الدرس أن الشيخ كان يُبلي صحيح البخاري بأسنانيده من حفظه ، ولكن المخبر رجل عامي لا يعتمد نقله في مثل ذلك ، بل أخبرني آخر مثله قال : كنا عند الشيخ ابراهيم بن جسيدي في بلد سيدنا الزبير ، فدخل عليه شخص بهيئة بدوي فقام له الشيخ ، واعتنقه وأكرمه ، وأقبل عليه بكلية ، فاستغربنا ذلك ، فلما خرج قلنا للشيخ عن ذلك فقال : هذا من تلامذة شيخنا من آل حميد أمراء الأحساء ، فلما أجلاهم سعود خرج معهم وهو يحفظ « صحيح البخاري » وسأله عن حفظه الآن لعله باق فقال : نعم بحمد الله ! وهذا إن صح فهو عجيب ، والله الفاتح سبحانه .

ثم صار للشيخ شهرة في البصرة ما هي دون شهرته في الأحساء ، وهرع إليه الطلبة من رحل إليه أولاً ومن لم يرحل ، واستجازوه ، فأجازهم بإجازات بليغة أغلبها نظاماً من الرجز ، ولكن نظمهم نظم العلماء

وكتب إليه علامة الشام مفتي الشافعية بها كمال الدين محمد بن محمد
ابن محمد الغزّي العامري قصيدة بليغة وكتابا يطلب منه الإجازة ،
وأجابه وأجازته نظماً نحو ستمائة بيت فأرسل إليه قصيدة أخرى ضمن
كتاب يتشكر منه ، ويطلب منه أن يرسل إليه تراجم مشايخه ومشايخهم ،
وأقرانه وتلامذته ، ليثبتهم في كتابه « النعت الأكل في طبقات أصحاب
الإمام أحمد بن حنبل » فأرسل إليه جزءاً ضمنه ما طلب ، ورأيته في
شيبيني ، ثم لما احتجت للنقل منه في هذا جعده مالكه ، فتوسلت
إليه بكل طريق فلم ينجح فيه ، وأصر على الجحود والانكار فحسبنا الله
ونعم الوكيل .

وكتب للشيخ ناصر بن سليمان بن سحيم إجازة منظومة تنوف عن
مائتي بيت أولها :

الحمد لله الذي قد رفعنا مقام من الهاشمي اتبعنا
محمد الهادي النبي المرسل بالحق والنور المبين المرسل (١)
إلى آخرها .

وأخبرني بعض كبار أقاربي الذين أدركتهم في حال الشيخوخة وكان
صالحاً متعبداً له مذاكرة في أطراف من العلم ، عن جدّي لأمي الشيخ
عبد الله بن منصور بن تركي وكان من أهل العلم ، قال : مر بنا
الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عفالق قاصداً الحج معه تلامذة فضلاء
منهم الشيخ المترجم ، وكان شيخه بعظمه كثيراً ويقدمه عليهم ، فتعجبنا
وقلنا له : ما سبب تقدمك لهذا الأعمى ؟ فقال : تفرست فيه شيئاً عظيماً فإن

(١) كذا في الأصل ولعل الصواب (المنزل)

صدقت فراستى فسيشفع الله به هذا الجليل . قال : فما زلنا نسمع بصعوده
وسمعه إلى أن رأيناه بلغ ذلك المبلغ الذي لم يبلغه أحد في عصره انتهى .

وله تصانيف ليست على قدر علمه وقدره ، وأجاب عن أسئلة عديدة في
الفقه بجوابات مسددة بديعة ، لو جمعت لجاءت في مجلد ضخيم ، وبأسنى
عليها فإن فيها من التحقيق والتدقيق مالا يكاد يوجد ، وكان له نعمة عظيمة في
تحصيل الكتب ، واستنساخها وكذلك ابنه الشيخ عبد الوهاب ، فكان
جماعة من طلبة العلم يكتبون لهم كتب العلم مدى أوقاتهم ، فكتبوا شيئا
كثيرا جدا .

توفي رحمه الله ليلة الجمعة غرة محرم الحرام افتتاح سنة ١٢١٦ وعمره
خمس وسبعون سنة ، وصُلِّيَ عليه بجامع البصرة ولم يتخلف من أهلها
إلا معذور ، ثم حمل على أعناق الرجال إلى بلد سيدنا الزبير من بعدها ،
وشيعه خلق ركبانا ومشاة فصلى عليه في جامع الزبير ، ثم دفن لصيق ضريح
سيدنا الزبير بن العوام رضى الله عنه وأرضاه ، وصار للناس حزن وكأب
لفقده ، فلا تسمع إلا باكيا أو باكية . ورثى بقصائد بليغة كثيرة من أهل
الأمصار من سائر المذاهب ، منهم الشيخ صالح بن حسين آل موسى الأحساني
المالكي وآخره بيت التاريخ وهو :

ونخاطبه التاريخ فألا بقوله تَبَوَّاتِ مِنْ عَدْنٍ أَجَلُ الْمَنَازِلِ

ومهم الشيخ صالح بن سيف العتيقي وآخرها بيت التاريخ وهو :

وأعطاه ربي ماحوى تاريخه هتت في الفردوس أرفع مسكن

العلم المفرد . والهام الأوحده ، ولد في قرية يقال لها العطار - بفتح العين وتشديد الطاء - قرية من قرى سدير من نجد ، وقرأ القرآن في صغره ، ونشأ في طلب العلم فلم يجد من يشق أوامه فارتحل إلى الأحساء ، للأخذ عن علامتها الشيخ محمد بن فيروز لشهرته ، فأكرم مثواه ، وقربه وأدناه . وصار كوالده لصلبه . وقرأ عليه في التفسير والحديث والفقه والأصولين : فظهر في ذلك ، لاسيما الفرائض وتوابعها من الحساب والخبر والمقابلة : وكان فيها فرداً لا يلحق ، واشتهر بها ، وصار عليه فيها المعول في حياة شيخه ، حتى أن شيخه أمره أن يقرئ بعض طلبة هذه الفنون لمهارته فيها ، ولم يزل ملازماً لشيخه في جميع دروسه ، رفيقاً في المطالعة لابنه النجيب الشيخ عبد الوهاب . وحج وزار فاستجاز علماء الحرمين فأجازوه ، وأجازوه شيخه ومشايخ الأحساء وغيرهم بإجازات بليغة ، ثم لما تحول شيخه إلى البصرة تحول^(٢) معه ولم يفارقه حتى مات ، فسكن بلد الزبير ، ثم طلبه شيخ المنفق لقضاء بلده . سوق الشيوخ وخطابها ، فامتنع ، فطلب ولده الشيخ عبد اللطيف فامتنع كما سبق في ترجمته ثم أجاب وقال لوالده بشرط أن تسكن معي في سوق الشيوخ لأراجعك فيما أشكل عليّ فرأى الأمر متعيناً عليه فوافق وارتحل إليها بأهله وأولاده ، وجلس فيها للتدريس ، فانتفع به خلق في المذهب ، وخصوصاً الفرائض والحساب والخبر والمقابلة

(١) ساق الشيخ عبد الله بن بام نسبة هكذا : (محمد بن علي بن سلوم بن عيسى بن سليمان ابن محمد بن خيس بن سليمان الوهبي ثم التميمي) وقال عن خيس جد ابن سلوم : (خيس بن سليمان الوهبي ولد في أشيقر ... ولم يزل مجداً في طلب العلم حتى أدرك قول القضاء في بلده أشيقر ، وكان بين وبين العلامة الشيخ مرعي بن يوسف مصنف « الغاية » مراسلة وتعارف .. وتوفي في أشيقر . وأما ذريته فانتقلوا منها وسكنوا بلدة العطار . والمترجم خيس من علماء أول القرن الحادي عشر رحمه الله) انتهى ملخصاً .

(٢) علق الشيخ عبد الله البسام على هذا بقوله - في الكلام على شرح البرهانية الكبير (قال في مقدمته : وإنما حرك ساكن العزم الفائر ورود شيخنا الشيخ محمد بن فيروز . ورد على هذه الناحية قوى عزمي . وهذا يدل على أنه سبق شيخه إلى سكنى العراق كما قال ابن حيد) .

والخطأين والهيئة والمهندسة فقد تميز أهل تلك البلدة في هذه القنون ببركته ، وكان تقيا نقياً ، ورعا صالحاً عابداً ، دائم المطالعة شديد المباحثة والمراجعة ، مكباً على الاشتغال بالعلم والانتهاك فيه ، منذ نشأ إلى أن مات ، لين الجانب ، حسن العشرة ، دمث الأخلاق ، كريم السجايا ، متحففا قانعاً ، ملازماً للتدريس ، مرغبا في العلم ، معينا عليه ، حسن الخط ، جيد الضبط ، كتب شيئا كثيراً جداً ، رقيق القلب ، سريع اللمعة كثير الخشوع .

ألف تأليف مفيدة منها « الشرح الكبير للبرهانية » في الفرائض حقق فيه ودقق ، وجمع فيه زبدة الفن ، وقرظ له عليه شيخه وغيره من العلماء نظماً ونثراً ومنها « الشرح الصغير » عليها ^(١) أيضاً ومنها « مختصر صيد الخاطر » و« مختصر شرح عقيدة السفاريني » ^(٢) و« مختصر مجموع المنقور » و« مختصر » « تلبيس إبليس » و« مختصر عقود الدور والآلي » ، في وظائف الشهور والأيام والليالي « لابن الرسام » و« شرح أبيات الياقيني في الخطأين وغير ذلك .

ورأيت في مكتوب له إلى بعض محبيه أن له جزءاً في « مناقب بني نعيم » وغير ^(٣) ذلك .

وكانت ترد عليه الأسئلة من أفاضل كل قطر نظماً ونثراً ، فيجيب عنها كذلك ، منهم العلامة السيد عبد الرحمن الزواوي سأله عن أفاضل عديده بنظم

(١) قال الشيخ عبد الله البسام (وقد طبعه أمير بريدة سابقاً عبد الله بن فيصل بن فرحان ، وصدره الشيخ عمر بن حسن ذكر أنه من شرق بالدعوة السلفية ولكنه لا يدري عما آل إليه أمره) .

(٢) وقال الشيخ ابن بسام : (وهو أحسن مختصرات هذا الشرح المطول وقد فرغ من اختصاره سنة ١٢٢٧ وقد طبع .

(٣) زاد الشيخ عبد الله : (وذكر ابن بشر أن له تاريخاً صغيراً لنبله نجده ، ونقل عن الأستاذ عباس الزواوي أن له رسائل في سائر العلوم الرياضية من الحساب والهيئة والمهندسة ، وهي غير الرسائل والكتب التي لابنه عبد الرازق بن محمد بن سلوم

فأجابه عنها من بحره ، وقافيته (١) ، وأصيب ببصره في آخر عمره ، وتوفي ليلة الجمعة ثاني عشر رمضان بين الظهر والعصر سنة ١٢٤٦ في سوق الشيوخ وأوصى أن يدفن قريب السور خلاف عادتهم في دفن الأكابر في الصحراء بعيدا عن الأرض التديبة وقال : أدفوني في مكان أسمع منه الآذان ولا أدري مامستنده في ذلك ، ولعله اطلع على شيء في ذلك وقد ذكر الحافظ ابن حجر في «تخريج أحاديث الرافعي» حديثا : أنه لا يزال الميت يسمع الآذان ما لم يُطَيَّن قبره رواه الحاكم ، ورواه الحافظ فإن كان هذا مستنده فهذا كما نرى في التطيين لا في البعد والعلم عند الله (٢) .

وهو والد الشيخ عبد اللطيف والشيخ عبد الرازق الماضيين ، وناصر وأحمد والد صاحبنا الشيخ عبد الله الذي تولى قضاء سوق الشيوخ ومات فيها سنة ١٢٧٩ (٣) .

(١) أورد الشيخ عبد الله نماذج من المساجلات الشعرية التي جرت بينه وبين السيد عبدالرحمن الزواوي .

(٢) قال الشيخ عبد الله البسام : (والمترجم معاصر للدعوة السلفية التي جدها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وهو من الموالين لأعدائها - كمحمد بن فيروز وأحزابه - ولم يكن من الموالين لها ، إلا أنني لم أجده له رداً على الشيخ محمد ولا على دعوته ، ولم أر له كلاماً في ذلك ولا اعتراضاً عليها ، مع أنني اطلعت على كثير من كتبه وأجوبته ، وما أحسن ما قال الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ : إنا لاندري خاتمة هذا الرجل ، فانه أعلم بحاله ، وقد أفضى إلى علام الغيوب انتهى)

(٣) ومن لم أر لهم تراجم في كتاب الحب الوابلة « فلخصت تراجمهم من كتاب وعلماء نجد » للشيخ عبد الله البسام

١ - محمد بن أحمد بن اسماعيل ولد في أشيقر وفيها نشأ وتعلم وتولى القضاء والتدريس حتى جاء مرجعا لأهل نجد في العلم ، ومن تلاميذه الشيخ عبد الله بن محمد بن ذهلان والشيخ أحمد بن محمد ابن بسام وأحمد بن محمد القصير وتوفي سنة ١٥٠٩

٢ - محمد بن أحمد بن محمد بن منيف بن بسام الوهوي المعروف بالقاضي جفا القضاة أهل حنيزة تول قضاء عالية نجد .

وهو من أهل القرن العاشر الهجري .

٣ - محمد بن أحمد بن محمد بن حسن بن أحمد بن سلطان الملقب بالقصير الوهوي . ولد في أشيقر من بيت علم فوالده كبير علماء نجد ، وهما عبد الله ومحمد من العلماء .

تولى القضاء ببلدته أشيقر حتى توفى سنة ١٣٣٩
٤ - محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن اسماعيل ولد في أشيقر ، وصار من أهل
العلم وتوفى سنة ١١٣٥

٥ - محمد بن عبد القادر بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف الوهبي .
ولد في أشيقر وكانت مقر علماء نجد في ذلك الزمن وفيها تعلم ثم انتقل إلى العينية
فأخذ عن الشيخ أحمد بن يحيى بن عطوة الناصري التيمي (توفى ابن عطوة سنة ٩٤٨) وهو
من أهل القرن العاشر .

٦ - محمد بن عبد الله بن حسن بن منصور بن بريد بن مشرف ولد في أشيقر . وفيها نشأ
وقرأ على علمائها وتولى قضاها وإفتاءها حتى توفى سنة ١٠٣٥ .

٧ - محمد بن عبد الله بن سلطان الدوسري . درس على الشيخ سليمان بن علي وولى قضاء
المجبة وافتاها والتدريس فيها حتى توفى سنة ١٠٩٩

٨ - محمد بن عبد الله السويكت الوهبي . ولد في أشيقر ونشأ فيها وتلقى عن علمائها وكانت
أهله بالعلماء منهم أحمد بن محمد القصير وحسن بن عبد الله آل أبا حسين .

وتولى قضاء ثادق والتدريس والوعظ فيها وهو من أهل القرن الثاني عشر فشيخه توفى
سنة ١١٤٤

٩ - محمد بن عبد الله بن الشيخ محمد بن أحمد بن اسماعيل . ولد في أشيقر وفيها تعلم ومن
مشتاؤه الشيخ سليمان بن علي بن مشرف - جد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهو تلميذ جده الشيخ
محمد بن أحمد بن اسماعيل . وتوفى في بلدته سنة ١١٠٩

١٠ - محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن اسماعيل ولد في بلدة
أشيقر في بيت علم وكان فقيها وتوفى سنة ١٠٩٠

١١ - محمد بن الشيخ عبد الوهاب بن عبد الله بن عبد الوهاب المشرف الوهبي ولد في العينية
وتلقى العلم عن أبيه قاضي العينية توفى سنة ١١٢٦ .

١٢ - محمد بن عبد الوهاب بن عبد الله بن فيروز بن محمد بسام الوهبي ولد في أشيقر
وتلقى عن علمائها ودرس فيها ثم تولى قضاء الكويت سنة حتى توفى فيها سنة ١١٣٥

١٣ - محمد بن محمد بن حسن بن أحمد بن حسن بن سلطان - القصير - الوهبي التيمي .
ولد في أشيقر وبها نشأ وتعلم ومن مشتائه أخوه أحمد القصير وتلقى عنه العلم جماعة منهم
ابن أخيه الشيخ محمد بن أحمد القصير توفى سنة ١١٣٩

١٤ - محمد بن موسى البصري :
ولد في العينية في أول القرن الحادي عشر . وتلقى العلم عن علمائها وغيرهم كالشيخ محمد -

٥٠ - ناصر بن سليمان بن محمد بن أحمد بن علي بن سحيم

بضم السين وفتح الحاء المهملتين ثم ياء تحتية ساكنة^(١) ولد في بلد سيدنا الزبير من أعمال البصرة ، وقرأ على مشايخها ، ثم ارتحل إلى الأحساء للأخذ عن علامتها الشيخ محمد بن فيروز ، فقرأ عليه في أنواع العلوم ، حتى أدرك ما أمل ، وقرأ على غيره أيضاً ، وأجازه منهم قاموس ورضي العربية الشيخ عبد الله بن محمد الكردي ناظم حروف المعاني والزواجر وشارحهما فرجع إلى بلده ، وشرع يدرس ويفيد ، وكان عالماً عاملاً ورعاً صالحاً ، له شهرة وذكر عال ، لما جمع من العلم والتقوى ، ومدحه الأفاضل بالنظم والنثر ، منهم لسان الزمان ، وتابغة الأوان الشيخ عثمان بن سند البصري المالكي فقد كتب له نسخة من منظومته في أصول الفقه بخطه المنمق البديع وأهداها إلى المذكور وكتب عليها مانصه :

الحمد لله الكريم المفضل	مصلياً على ختام الرسل
وآله الغر الثقا السادة	وصحبه ابنم الثقاة القادة
ما نسجت أنامل الأقلام	مطارف الإبداع للانظام
هذا وإني قد قضيت نظماً	من هذه البكر العروب العصما
نمقتها بالرقم والكتابة	مزفوفة لباهر النجابة

= ابن أحمد بن اسماعيل ، وزامل الشيخ عبد الله بن ذهلان ، ومن أخذ عنه الشيخ عثمان بن قائد وتوفي في المدينة آخر القرن الحادى عشر .

١٥ - محمد بن ناصر بن محمد بن عبد القادر بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف ولد في أشيقر ، وكان والده وجده وجد أبيه من العلماء وعن علماء بلده وعن الشيخ عبد الله ابن ذهلان تلقى العلم . توفي في القرن الثالث عشر .

١٦ - منيع بن محمد بن منيع الموصلى :

ولد في بلدته ثادق ، وتلقى العلم عن الشيخ عبد الله بن ذهلان والشيخ سليمان بن علي . وتعين في علم النحو وتولى التدريس والإفتاء وتوفي في ثادق عام ١١٣٤

١٧ - موسى بن عامر بن سلطان :

قاضي الدرعية . درس على يحيى بن عطوة . توفي سنة ١٠٢١

(١) قال الشيخ عبد الله البسام : (من فخذ الجبلان من قبيلة عزة ... ولد سنة ١١٧٧ هـ)

المتنبي في سائر الفنون حتى شأى مؤلف «الفنون»
كما إليه المتنبي والغاية في صحة الاسناد والرواية
مغنى اللبيب غنية الأبواب بل بهجة الخلان والأصحاب
ومقنع الطلاب في العلوم ونزهة الأفكار والفهوم
ناصر الناصر دين الباري بعصب علم مصلت بتأر
زفت هذي الغادة الحريدة بل هذه البتيمة الفريدة
إلى جنابه التليد الحميد وفهمه الماضي الحديد الحيد
إذ طالما تشرف بالزفاف شريفة زُفْتُ إلى أشرف
فأسأل الله الذي يبرها بأن يقيم في حماه نشرها
والحمد لله مع الصلاة على النبي خاتم الهداة

وكان خط المترجم مضبوطاً نيراً وهو من بيت علم وفضل ، ولجده
محمد رد علي ابن عبد الوهاب أجداد فيه وإياه عنى الشيخ محمد
ابن فيروز بقوله من إجازته للشيخ ناصر المنظومة :

وجدهُ الأجلُّ ممن قعاً مبتدع العارض فيما ابتدعا
وبيته الرفيع في العلوم أرفع بيت شيدَ في القديم
إلى آخره :

وتوفي المترجم سنة ١٢٢٦^(١) في بلد سيدنا الزبير رضي الله عنه .
وتوفي والده سنة ١١٨١ وكان من أهل العلم والفضل^(٢) ، وكذلك والده

(١) زاد الشيخ ابن بسام يوم الجمعة السابع عشر من شهر محرم .
(٢) هو سليمان ترجمه الشيخ ابن بسام بما ملخصه : (ولد في الجمعة في ٧ ذي الحجة سنة ١١٣٠
واستوطن الرياض وصار مدرس أهل البلاد ومفتيهم وإمامهم وخطيبهم في زمن دهام بن دواس .
ولما اشتهر أمر الشيخ محمد بن عبد الوهاب كذب إلى المترجم كتاباً لطيفاً إلا أنه أظهر العداء
ونفر عن الحق وصار يهاجم الشيخ ودعوته ، فاحتدم الجدل بينه وبين الشيخ ، وفي « تاريخ
ابن غنام » نماذج من الجدل ، ولسكن الله أظهر الحق وأخذ الباطل .. والمرجع عندى أن دعوة
الشيخ لما قويت لم يبق للمذكور قدرة في محاربتها فصار إلى الزبير لأن ابنه ناصر ولد فيه ،
فالراجع أن وفاته في الزبير في سنة ١١٨١ هـ) .

محمد^(١) وكذلك والده أحمد .

ومن أقاربه عبد الله بن أحمد بن محمد بن سحيم كتب كتباً كثيرة منها « منظومة ابن عبد القوي » في الفقه مؤرخة سنة ١١٧٣ وخطه حسن^(٢) .

٥١ — فاطمة بنت حمد الفضلي الزبيدية

وتعرف بالشيخة الفُضَيْلِيَّة — بضم الفاء وفتح الصاد المعجمة وإسكان الياء التحتية وبعدها لام مكسورة فياء تحية مشددة — الشيخة الصالحة العالمة العابدة الزاهدة ، ولدت في بلد سيدنا الزبير قبيل المائتين ونشأت بها ، وقرأت على شيوخها ، وأكثرت عن الشيخ إبراهيم بن جليد فأخذت عنه التفسير والحديث والأصول ، والفقه والتصوف ، وقرأت [على] غيره كثيراً وتوجهت إلى العلم توجهها تاماً ، وتعلمت الخط من صغرها فأتقنته ، وكتبت كتباً كثيرة في فنون شتى ، وخطها حسنٌ مُنَوَّرٌ مضبوط ، وصار لها همة

(١) قال الشيخ ابن بسام : (يقال له رد على الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وقال إلا أن هذا البيت العلمي من قاوم دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وعادها) .

وقال في ترجمة عبد الله بن محمد بن أحمد بن محيم : (ولد في المجعة ، وقرأ على علماء حدير وغيرهم ، وصارت هوايته نسخ الكتب لنفسه ، فجمع من ذلك مكتبة كبيرة غالبها بخط يده حتى لقب الكاتب . وصار عمدة لمقاطعة سدير في التدريس والافتاء والتعليم حتى اشتهر أمره فلما قام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بدعوته كتب إلى المذكور رسالة لطيفة ذكرت في « تاريخ ابن غنام » إلى أن قال — والمترجم على ماقرأنا من تواريخ نجد ومادار حول دعوة الشيخ محمد رحمه الله هو أخف عشيرته معاداة للدعوة السلفية ولي المترجم قضاء المجعة وتوفي سنة ١١٧٥ هـ .

(٢) ومن كتاب « علماء نجد » باختصار :

ناصر بن محمد بن عبد القادر بن راشد بن بريد بن مشرف
ولد في أشيقر ، وتلقى العلم عن والده الشيخ محمد بن عبد القادر ، تلميذ أحمد بن عطوة ،
وأخذ عنه ابنه الشيخ محمد بن ناصر . وتولى قضاء بلدته . وتوفي في القرن العاشر .

في جمع الكتب فجمعت كتباً جلييلة في سائر الفنون ، ولها محبة في الحديث وأهله ، فسمعت كثيراً من المسلسلات ، وقرأت شيئاً كثيراً من كتب الحديث ، وأجازها جمع من العلماء واشتهرت في مصرها بل وفي عصرها وكتبها الأفاضل في الآفاق ، وكتبتهم بأبلغ عبارات ، وأعظم مدح ، ثم حجت وزارت ورجعت إلى مكة المشرفة ، وأقامت بها في باب الزيادة في بيت ملاصق للمسجد الحرام ، ترى منه الكعبة المشرفة ، وعزمت على الإقامة فيها إلى الممات ، فتردد إليها غالب علماء مكة المشرفة ، وسمعوا منها وأسمعوها وأجازتهم وأجاروها ، خصوصاً قمرَينها (١) العلامة الورع الزاهد ، الثبت القلوة شيخ الاسلام الشيخ عمر عبد الرسول (٢) الحنفي ؟ والعلامة الحجة الورع العمدة الشيخ محمد صالح الرئيس مفتي الشافعية فإنهما كانا كثيري التردد إليها ، والسماع منها من وراء ستارة ، ويريان أنهما يستفيدان منها وهي ترى كذلك كما أخبرني بذلك تلامذتها منهم الشيخ محمد بن خضر البصري ، قال : وكانت هذه حالهما مع بعضهما ، فإن الشيخ عمر كان يسابقني إلى حمل مداس الشيخ محمد صالح وتقديمها له ، من غير أن يعلم ، والشيخ محمد صالح يقول : ياليتني شعرة في جسد الشيخ عمر . فصار للشيخة المذكورة شهرة عظيمة ، وصيت بالغ ، وأسندت ، كثيراً من المسلسلات ، وأخذت الطريقة النقشبندية والقادرية ، وكان لها أوراد وأحزاب ومشرب روي في التصوف ، وأرشدت خلقاً من الناس سيما النساء فقد لازمها ملازمة كلية ، وانتفعن بها انتفاعاً ظاهراً ، وصلحت أحوال كثير منهن ، وصار من يتردد منهن إليها يعرف من بين النساء بالدين والتقوى والورع ، والمواظبة على فرائض الدين ، والقناعة والصبر وحسن السلوك ،

(١) كلمة غيروا واخضعوا ولعلها (النيرين)

(٢) التمسيد للرسول ولغيره من المخلوقات لا يجوز ، لأن العبادة لله وحده .

واتفق لها كرامة ظاهرة باهرة لا يمكن أدعاؤها ، وهي أنه كف بصرها في آخر عمرها فبقيت على ذلك نحو سنتين أو أكثر ، وكان بعض النساء الصالحات تخدمها محبة فيها وتبركا بها ، فعرض لها شغل في بعض اللبالي عند زوجها وأولادها ، فاستأذنت الشيخة في المبيت عندهم تلك الليلة ، فأذنت لها ، فقامت الشيخة تلك الليلة للتهجد على العادة ، ولم يكن لها خبر بالدرجة ، فتوضأت وزلقت رجلها فسقطت ، وانكسر ضلعان من أضلاعها فعصبتها ، وصلت راتبها بغاية التكلف والمشقة ، ثم غفت فرأت النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما مقبلين من نحو الكعبة قالت : فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم من ريقه الشريف بطرف رداءه وقال : امسحي عينيك فمسحتهما ، فأبصرت في الحال ، ثم مسحت على الكسر فبرأ في الحال فقال : يا فاطمة من غير استئذان؟ فقلت : ياسيدي يا رسول الله إن الحادث الأصغر يندرج في الأكبر ، وأنت قد أذنت في البصر وهو أعظم فتبسم صلى الله عليه وسلم ، وقال : عمر عبد الرسول ومحمد صالح الرئيس في مكانهما كأبي بكر وعمر في زمانهما ، وفلان وفلان عند الناس من العلماء ، وهما عند الناس (?) من الفساق ، فلما أصبحت أتى النساء إليها على العادة فوجدنها مبصرة ، وقصت عليهن الرؤيا ، وأتى إليها الشيخان المذكوران فأخبرتهما فبكيا وبكت ، وسألاها أن تخبر بأسمائهما^(١) فقالت : لا : أكنتم ذلك ، وهو بإشارة النبي صلى الله عليه وسلم فناشداها الله في ذلك فقالت : لكما على ذلك إذا قربت وفاتي أوموتكما قبلي فقدّر الله وفاتهما قبلها فأخبرت بأنهما الممدوحان ، وأما المتعوتان فلم تخبر بهما أحداً أبداً ويقال إنها أرسلت إليهما وأخبرتهما ونصحتهما ، ولم يعلم من هما إلى الآن إلا بالظن والتخمين ، والله العالم بالسرائر والضمائر ، واشتهرت هذه الرؤيا وتناقلتها الركبان ، وكتابتها

(١) كذا والظاهر وأن لا تخبر بأسمائهما .

علماء الشام والمغرب بأن تكتب لهم هذه الواقعة بخطها ، ورأيت كتبهم
البيغة في طلب ذلك ، وفيها من الرموز إلى أسرار الصوفية ما لا يعرفه إلا من له
أعلا كعب فيه ، وقد أدركت خادمتها المذكورة وهي امرأة متفقهة دينية
صالحة تقية ، فأخبرتني عن أحوالها بالعجائب ، وكان لها شهرة عظيمة ، ولم
نسمع في هذا العصر ولا فيما قبله بأعصار بمثله ولا من يدنها في عملها
وصلاحها ، وزهدا وورعها ، وجمعها للفضائل بحيث يصدق عليها قول
المتنبي :

ولو كان النساء كمن فقدنا لفُضِّلَت النساء على الرجال

وأخذ عنها جَمٌّ غفير ، كما سلف ، وأما النساء فاعتقادهن فيها فوق
الحد ، وانتفاعهن بها لا يحصى بالعد ، حتى أن من صحبها من النساء إلى اليوم
يعرفن بالتفقه والصلاح والعبادة ، والحرص على الخير ، والقناعة والورع ،
وبالحلمة فقد كانت من عجائب الزمان بحالا للوقت ، وفخرا للنساء ،
ووقفت كتبها جميعها على طلبة العلم من الحنابلة ، وجعلت الناظر عليها
بَلَدِيَّتها التي الصالح ، شيخنا الشيخ محمد الهديي ، فكانت عنده ، إلى
أن أراد النقلة إلى المدينة ، فتورع في إخراجها من مكة ، فجعلها عند
خادمتها شائعة بنت النجار وأولادها . ثم أرادت التحول إلى المدينة أيضا فأشرت
عليها بأن تبقى في مكة كما فعل شيخنا ، فغلب عليها أولادها ، وقالوا : إن
الشيخة الواقعة لم تشترط ذلك فذهبوا بها معهم ، فتوفاهم الله تعالى وذهبت
شلمر مذر ، إلا أقلها كان عندي ، فأبيت من إخراجها من مكة فبقى والحمد
لله توفيت يوم^(١) سنة ١٢٤٧ ودفنت في المعلاة في شعبة النور في حوطة
المرحوم العلامة الشيخ محمد صالح الرئيس لصيقة لقبره بوصية منها رحمهما
الله تعالى^(٢) .

(١) يياض في الأصل . (٢) انتهى ما في « السحب الوابلة » من تراجم التجديد .

من جبال القصيم

جبل طمية

طمية : - بفتح الطاء - ولكنها تنطق الآن بكسر الطاء فيم مكسورة أيضاً فياء مشددة مفتوحة فهاء - جبل أحمر ، مشهور في القديم والحديث - في أعلاه حجارة صفراء ، وعر الأعلى ، ولذلك تربي فيه الصقور ويقصدها الاعراب ليجلبوها منه ، ويرى المرء الآن على البعد آثار ذرق الطير في أعاليه بيضاء واضحة .

ويقع جبل طمية : في أقصى الغرب لمنطقة القصيم على بعد حوالي مائتين وثلاثين كيلا من مدينة بريدة تشاهده وأنت في بلدة (عقلة الصقور) ثم يمشيك إذا كنت متجهاً إلى المدينة المنورة مع الخط الأسفلتي الذاهب إليها من القصيم لمسافة تزيد على خمسين كيلا : ويبعد عن بلدة (عقلة الصقور) نفسها اثنين وثلاثين كيلا .

وتسمية (طمية) قديمة لم يتغير من النطق بها شيء ما عدا الطاء أوله إذ كانت ينطق بها في القديم بالفتح .

قال باقوت : طمية : بفتح أوله وكسر ثانيه ، وياه مشددة كياء النسبة وهو من قولهم : طمي يطمي طمياً .

نصوص قديمة في طمية :

نقل الأصبهاني قول بعضهم : طمية علم أحمر صعب منيع ، لا يرتقى إلا من موضع واحد ، وهو يرأس حزيز^(١) أسود يقال له العرقوة وهو

(١) الحزيز : هو المكان الغليظ المتقاد من الأرض حته أحزة . وحزان .

أذكر جبل بالبادية ، وهو يُتَحَصَّنُ به وهو في بلاد مرة بن عوف ، وقال الأصمعي : طمية في بلاد فزارة (١) .

أقول : قوله أذكر جبل بالبادية يريد أشيع جبال البادية ذكراً . وتلك مكانة لا تزال باقية له في حواضر نجد فلا يكاد يوجد أحد لم يسمع بطمية بخلاف غيره من الجبال .

وجاء في كتاب « المناسك » (٢) في الكلام على طريق حاج الكوفة بعد ذكر الثلوث (وادي الشعبة حالياً) : وحذاؤها برّ كثيرة الماء يسرة ، وعندها قصران ، ومتعشى ، ومن عندها يرى (الطمية) (٣) الجبل المرتفع يسرة وهو على طريق البصرة ، وبحضرة هذا الجبل عيون ومياه ومزارع للاعراب ، ويرى هذا الجبل قريب من المعدن .

أقول : قوله وهو على طريق البصرة هذا خاص بطريق البصرة إلى المدينة المنورة الذي ينطلق من النّسّاج (الأسياح حالياً) ثم يمر بقو (قصيبا في الوقت الحاضر) ثم يمر بأثال فالعيون ثم الفوارة ثم يترك جبل قطن يمينه ، فيمر على وادي الرمة قرب عقلة الصقور ، حتى يصل إلى النفرة حيث يجتمع مع حاج الكوفة فيها .

أما طريق حاج البصرة إلى مكة المكرمة فإنه يذهب إلى الجنوب من ذلك كثيراً إذ يمر بضرية ثم الدفينة ولا يمكن أن يرى طمية فيه ، كما هو ظاهر . وأما قوله : أن بحضرة هذا الجبل عيوناً ومزارع للاعراب . فإن تلك العيون والمزارع كانت قد اندثرت تماماً إلى أن أعاد التاريخ نفسه فبدأ الأعراب باتخاذ المجر - جمع هجرة وهي القرى التي يبتدعونها بنية الاستقرار والإقامة ثم يزرعون فيها المزارع وهناك غير بعيد من طمية عدد

(١) « بلاد العرب » : ١٥٣-١٥٤

(٢) ص ٦١٠

(٣) كذا الأصل ص ٣١٦ والمعروف بدون (ال) ولا تدخل (إل) على الأعلام إلا سماعاً ويقول استاذنا حمد الجاسر إن إدخال ال هنا على طمية خطأ من أحد النساخ

من تلك الهجر ولكنها ليست ملاصقة له ، ومن أكبرها وأظهرها هجرة
(عقلة الصقور) ومن أقربها إلى طمية الطرفية التي سبق ذكرها .

أما قول صاحب «المناسك» أن جبل طمية . . يرى إلى قريب من
المعدن فإن المراد به معدن النقرة . وهذا ظاهر الآن أي أنه ليس المراد
بذلك معدن بنى سليم الذي يسمى الآن (المهد) أو (مهد الذهب) فذلك
مرتفع عن تلك المنطقة ، ولا يمكن أن يرى جبل طمية منه .

وقد قلعت في أول الرسم ذكر كون طمية ييسارك وأنت على الطريق
(الأسفلتي) منطلقاً إلى المدينة المنورة من عقلة الصقور ، حتى تكاد تصل
إلى النقرة ، وهو ظاهر إلى ييسارك كأنه على البعد قلعة من قلاع العصور
الوسطى . أما بعده عن النقطة التي تحاذيه تماماً من الخط (الأسفلتي) فإنه
يبلغ ٢٣ كيلا .

وقال صاحب «المناسك» في معرض كلامه على طريق حاج البصرة
إلى المدينة بعد أن تكلم على أباين الجبلين اللذين تقدم ذكرهما في حرف
الألف : ثم تجوز على ذلك فترى جبلاً يقال له (طمية) وهو جبل يرى من
طريق الكوفة في الجادة تراه كأن ظهوره دخان (١) .

أقول : ظاهر أن المؤلف يقصد بقوله (كأن على ظهره دخان)
بالنسبة لمن يكون سائراً مع طريق الكوفة لأنه هو الذي يكون بعيداً جداً
عن طمية ، أما من يسير مع طريق البصرة الذي هو طريق السيارات المسفلت
في الوقت الحاضر من عقلة الصقور إلى النقرة تقريباً فإنه يكون أقرب إلى
الجبل وهو يرى الجبل بوضوح — أما الذي يكون سائراً في طريق حاج
الكوفة فإنه الذي يرى الجبل وكأن قته تسبح في الدخان . على أن الذي بين
الطريقين طريق حاج البصرة إلى المدينة وطريق حاج الكوفة ليس بعيداً
في هذه المنطقة لأنها قريبة من نقطة التقائهما في النقرة ، وأعتقد أن المسافة

في مسامحة طمية من جهة الشمال لا تزيد بين الطريقين على عشرين كيلا .
على أنه مما ينبغي ملاحظته أن كون جبل طمية يرى على البعد ليس لسبب
فرط ارتفاعه وإنما ذلك لكونه يقع على أرض مرتفعة ، ولذلك يعجب
المراء إذا وصل إليه صفره ، رغم ما كان يتخيله عليه من الكبر والعظم
على البعد ، وهذا يوضحه القول بأن طمية على رأس حزيز من الأرض
أي مكان مرتفع منقاد .

قال ياقوت : « عَرْقُوتٌ » - بفتح أوله ، وسكون ثانيه ، وضم القاف ،
وفتح الواو : واحدة العراقي : وهي أكمة تنقاد ، لبست طويلة في السماء ،
وهي على ذلك تشرف على ما حولها ، وهي علم لحزيز أسود في رأسه
طمية^(١) .

أقول : ولكون جبل طمية يُرى على البعد قالت العامة من أهل تلك
البلاد في أمثالها (كل جبل تمسّيه المطيية ، الاساق و طمية) أي كل جبل
إذا رأيته ، في النهاية تصله وأنت راكب المطية قبل المساء ما عدا جبل ساق
وجبل طمية ، وذلك لارتفاعهما وكونهما يريان على البعد .

وفيما يتعلق برؤية جبل طمية من طريق الحاج الكوفي يقول أبو
عبيد الله السكوني : إذا خرجت من الحاجر تقصد مكة تنظر إلى طمية ، وهو
جبل بنجد شرقي^(٢) الطريق وإلى عكاش^(٣) وهو جبل تقول العرب :
إنه زوج طمية . سمتهما واحد ، وهما يتناوحيان ، وفيهما قبيل :

تَرْوَجَ عُكَّاشٌ طَمِيَّةٌ بعد ما تَأَيَّسَ عَكَّاشٌ ، وكاد يشيبُ
وبعد هذه الحرافة عن طمية وزوجها عكاش ، ننقل رواية أعرابي
لياقوت رحمه الله عن طمية وهي رواية صحيحة إن لم تكن دقيقة -

(١) « معجم البلدان » رسم عرقوة .

(٢) الصحيح أنه يقع إلى الجنوب الشرق من الطريق المذكور .

(٣) راجع رسم عكاش .

قال باقوت : وخبرني بدوي من أهل تلك البلاد - أي ما حول طمية -
أن طمية رابية محددة على جُث الرُمة من القبلة . .

أقول : طمية يقع إلى القبلة من مجرى وادي الرمة ولكنها تبعد عنه
بحوالي ٣٠ كيلا هذا وسوف تأتي تنمة لقصة زواج طميسة عند رسم
(زوجها) ! عكاش وولدهما

تسمية طمية :

لا شك في أن تسمية طمية قديمة جداً لا يعرف العرب الأوائل متى
شأت ولا كيف كانت ، ذلك لأنه جرت عاداتهم - أو على الأدق عادة
بعض علمائهم - إذا كانت تسمية بلد من البلدان قديمة أن ينسبها إلى أناس
قدماء كثيراً ما يكونون شخصيات إخبارية أي لا تعرف إلا الأخبار
والأسماء ، وقد تكون شخصيات أوجدها خيال الرواة ليسلوا بها الفراغ
الذي وجدوه .

ومن أولئك الشرقي القطامي وابن الكلبي . ومن ذلك ما ذكره عن
طمية قال ابن الكلبي عن الشرقي : إنما سمي جبل طمية بطمية بنت جام
بن جهمي بن تراوه من بني عمليق ... وكانت طمية أخت سلمى بنت جام
بن جهمي عند ابن عم لها يقال له سلمى بن المهجين فولدت له ضميرا وبرشق ،
والقلاح ، والتريع ، فهم بالحيرة ، ألا ترى أن العبادي ^(١) إذا غضب على
العبادي قال له : اسكت يا سلمى بن طمية ، وإنما يعنى سلمى بن طمية
بنت جام بن جهمي ^(٢)

ونحن إنما نورد هذا لتدل على قدم تسمية هذا الجبل وأنها موغلة
في التاريخ المجهول .

وكانت طمية في وقت من الأوقات في الجاهلية لبني كلب قال البكري :

(١) العباد : قوم كانوا من نصارى العرب سكان الحيرة واحدهم عبادي .

(٢) « معجم البلدان » - رسم طمية .

وانحازت كلب من منازلها التي كانوا بها ، من حضن^(١) وما والاها ،
إلى ناحية الرّيدة^(٢) وما خلفها إلى جبل طمية وفي ذلك يقول زهير
بن جنان الكلبي وهو يوصي بنيه ويذكر منزلة (طمية) :

ابنيّ إن أهلك فلإني قد بنيتُ لكمُ بنيتَه
ونركتكمُ أرباب سادات زنادكمُ ورّيه^(٣)
ولكلُّ ما نالَ الفتيّ قد نلتُهُ إلا النّحيّة
ولقد شَهِدْتُ النَّارَ لِسُلَافٍ^(٤) توقد في طمية
يعني يوم خزاز حين أوقدوا^(٥) .

ونقل ياقوت عن الأصمعي في تحديد مملكة حجر الكندي بنجد :
ما بين طمية إلى حمى ضرية ، إلى داره جلجل . وقال الكلبي : معتق بن مرّ
من بني عييل ومنازلهم ما بين طمية أرض الشام إلى مكة إلى العذّيب^(٦)
ومن الشعر في طمية قول عمارة بن عقيل في طمية وشطيب وذقان^(٧) :

سَرَى يَرْقُ - فأرقني - يماني يضيء الليل كالفرْد الهجان
يضيء ذُرَى طميّة أو شطيب وفلج من طميّة غير داني^(٨)
أبأمل مَنْ يرى رفات فلج زيارة من يَرَى عَلَمِيّ ذقان ؟
ودونَ مزارها بَلَدٌ يُزَجّي به الفوج المنوق وهو واني

(١) حضن : جبل لا يزال معروفًا بهذا الاسم يقع في أعلى نجد .

(٢) الريدة : تسمى الآن البركة سبق ذكرها في مقدمة الكتاب .

(٣) زناد ورية : تورى ناراً : كناية عن المسكنة الرفيعة .

(٤) السلاف : المتقدمون : جمع سالف .

(٥) معجم ما استعجم ص ٤٩ . وتقدم ذكر يوم خزاز في هذا الرسم في حرف الخاء .

(٦) معجم البلدان : رسم : « معتق » .

(٧) ديوانه ص ٨٣ وتقدم ذكر شطب في حرف الشين .

(٨) فلج هو الذي يسمى الآن الباطن إلى الشرق من الدهنا ، ويرجح أنه هو مجرى وادي

للرمة العظيم عندما كان يصل في جريانه إلى العراق .

يَزَجِّي يَسَاق . والفوج المنوق : الحمل المؤدب المروض والفوج -
الواسع الجلد ، نوقت هذا الحمل : روضته وأدبته (١) وأنشد الهجري من
قصيدة للسباق الباهلي :

أما قد قلت - ويحك - فارضوني إلى أهل النجامة أو ضربة (٢)
فإن شئتم إلى آل المهبيبا فقيم كل مكرمة وهي (٣)
حوا ما بين دار بني سليم إلى مارد فبد إلى طيبة (٤)
إلى دار الحريش فبطن برك بلاداً لا تعنفها الرعية (٥)
وقال آخر (٦) :

أتبين على طيبة والمطايا إذا استحثت أتعبن الجرور (٧)
وقال السمرى اللص (٨) :
أعنى على برق أريك وميضه يشوق إذا استوضحت برقاً عنانيا
أرقت له ، والبرق دون طيبة وذو نجب يا بعده من مكانا (٩)
وقال عمر بن لجأ (١٠) :
تأوتني ذكر لزولة كالحبسل وما حيث تلقى بالكشب ولا السهل

(١) « بلاد العرب » ص ١٥٠

(٢) فسر بقوله : المفارضة المقاضاة . الفراض ، جمع فارض : التفقيه .

(٣) في حاشيته : أبو المقلد جعفر بن عمر بن المهيا سيد كعب اليوم .

(٤) فية قرية مشهورة على طريق الحج الكوف شمال القصيم تابعة لإمارة حائل .

(٥) برك : واد لا يزال معروف ، يتفرق جبل عارض النجامة من الغرب مشرقا .

(٦) بلاد العرب ص ١٥٤

(٧) فسر الجرور من الإبل ومن الخيل الذي لا ينساق ولا يتقاد . يكون الدهر متخلفا

اتول : قد شرحت مثلا هامبا نجديا : (ما ينساق ولا يتقاد) . وبينت أصله في كتاب « الأمثال
العامة في نجاسة »

(٨) « معجم البلدان » طيبة .

(٩) ذو نجب راجع رسم (التجبية) عل أن هناك أكثر من مكان يقال له ذو نجب .

(١٠) « معجم البلدان » طيبة .

تحلّ وركن من طمية دونها وجرفاء مما قدّ يحلّ به أهلى
تريدن أن أرضى وأنت بخيلة ومن ذا الذى يرضى الإخلاء بالبخل؟!

وقال الحصين بن الحمام (١) :

أما تعلمون يوم حلف طمية وحلفاً بصحراء الشطون ومقسماً

قال البكري : يقول ذلك لبني ذبيان فذلك أن طمية في بلاد نطفان ،
وكذلك الشطون . والمقسم الموضع الذي تحالفوا فيه : وتقاسموا على الوفاء .

وقال الأدبي : طمية هضبة بين سميرا (٢) وتوز ، بسرة طريق
الحاج ، وهم مصعدون ، ويمينه وهم منحدرون (٣) .

أقول : وهذا وهم ذلك لأن توز منزل للحجاج بعد فيد وقيل سميرا (٤)
وتلك المنطقة تقع بحذاء الشمال لمدينة بريدة وذلك بعيد جداً عن أن يكون
حذاء طمية ، وإنما الصحيح ما ذكره أبو عبيد السكوني وقلمناه عنه من
أنك تنظر إلى طمية إذا خرجت من الحاجر ، ومعلوم أن الحاجر منزل
لحاج بعد سميرا بمسافة طويلة .

وقلنا : إنك ترى طمية بعد أن تترك عقلة الصقور (٥) وأين ذاك من
المنطقة التي تقع بين فيد وسميرا ؟ !

وفي كتاب نصر : طمية جبل في ديار أسد قريب من شطب جبل آخر (٦)
أقول : وشطب الذي أشار إليه قريب من أبان وهو الذي لبني أسد (٧)

(١) رسم . طمية .

(٢) سميرا لا تزال معروفة بهذا الاسم وهي تابعة لإمارة حائل لذلك لم نذكرها .

(٣) معجم البلدان - طمية .

(٤) راجع كتاب المناصك من ص ٣٠٦ حتى ٣١٧

(٥) راجع رسم (عقلة الصقور)

(٦) معجم البلدان - طمية

(٧) راجع رسم (شطب)

وجبل طمية : مرتفع عن ديار أسد ، إلا إذا كانوا تداولوه في بعض
الأزمان بعد ظهور الإسلام بمدة طويلة . فذلك ممكن .

وقال البكري : طُمِيَّة : بضم أوله وفتح ثانيه ، وتشديد الياء أخت الواو .
على لفظ التصغير : موضع قد حددته في رسم المجير^(١) فانظره هناك .
ورد هذا الاسم في شعر أبي دؤاد : طُمِيَّة بفتح أوله وكسر ثانيه ، وكذلك
رواه الأخفش عن رجاله عن الفضل وعن الأصمعي^(٢) .

أقول : وفيما نسب إلى أولئك الأعلام وفي بقاء الاسم على ما هو عليه
بصفة التكبير ما يرد قوله إنه بصيغة التصغير بقي قوله : موضع . ولم يقل :
جبل فإذا كان يقصد أنه ليس جبلا فهو وهم ثان .

أما كلامه الذي أشار إليه في رسم المجير ، فهو أغرب من هذا وأعرق
في الوهم والخلط فيما اعتقد ، حيث أنشد بيت امرئ القيس المشهور من
معلقته :

كَأَنَّ طُمِيَّةَ الْمَجِيرِ غَدَوَةٌ مِنَ السَّيْلِ وَالْإِغْثَاءِ فَلَكُؤُهُ مَغْرَلٌ
وقال : طُمِيَّةُ جَبَلٍ هُنَاكَ . ورواه محمد بن حبيب : كَانَ قَلِيعَةً تَصْغِيرُ
قَلْعَةٍ . ورواه الطوسي : كَانَ بِهِ رَأْسُ الْمَجِيرِ غَدَوَةٌ . أراد أن يرأس المجير :
الجليل المذكور^(٣) .

أقول : إنه رحمه الله لو كان يعرف طمية ذلك الجبل العظيم الذي
لا تستطيع الإبل إذا رأته في أول النهار أن تبلغه قبل حلول المساء لما

(١) راجع رسم « المجير » من كتابنا هذا .

(٢) رسم طمية .

(٣) « معجم ما استعجم » : رسم المجير .

استساغ أن يقول : إنه ربما كان هو المراد بتشييه امرئ القيس له
بفلكة المغزل ، وأنه هو رأس المجمر . ذلك الجبل الصغير الذي لا يعد
شيئاً إذا ما قورن بجبل طمية العظيم .

هذا إلى جانب ما عرف من أن لفظ امرئ القيس في معلقته في رواية
مشهورة هو :

كَأَنَّ ذُرَى رَأْسِ الْمَجْمَرِ غُدُوَّةٌ مِنَ السَّيْلِ وَالْإِغْثَاءِ فَلَكَتْ مَغْزَلٌ (١)

شعر عامي :

تقول العامة في مراغمة من لا يهتمهم مخطه : (لضرب برأسك طمية)
قال غنيان الغنيان من شعراء بريدة في مطلع القرن الرابع عشر :

وَاللَّهِ لَوْلَا ذَلَّةُ الْعَبْدِ مِنْ غَيْرِ وَأَنْتُمْ تَحْبِرُونَ بِالْعَلَّةِ الْبَاطِنِيَّةِ (٢)
لَا أَرُزُّ لَكُمْ رَايَةَ بَرُوسِ الظَّيَاهِرِ وَاللِّي زِعْلٌ يَضْرِبُ بِرَأْسِهِ طَمِيَّةٌ (٣)

وقال أحد شعراء البادية من قبيلة حرب :

أَنَا رَضِيتَ الْحَقَّ لِيَا وَعَلِيَّةُ وَمَنْ لَا أَرْضَاهُ الْحَقُّ مَا أَنْشِبَ مَرْضِيهِ (٤)
يَضْرِبُ بِرَأْسِهِ مَا نَبَا مِنْ طَمِيَّةٍ وَيُرْدُهُ لَوْرَقَانُ يَعْدِلُهُ وَيُثْنِيهِ (٥)

الرياض

محمد بن ناصر العبودي

(١) هذا هو لفظ الزوزني في شرح المعلقات السبع «وشرح القصائد السبع الطوال لابن الأنباري
راجع شرحنا بيت امرئ القيس هذا وأبيات قبله في رسم ضارج من معجنا هذا .

(٢) العبد : يشير إلى نفسه لأن أصله كان عبداً مملوكاً . والذلة : الخوف . وغير :
يرمز به إلى محمد بن عبد الله بن رشيد الذي كان هو حاكم القصيم في ذلك الوقت بعد أن هزم
أهله في وقعة المليدا . وخبر . أخبر .

(٣) أرز : أرفع : راية : علم : بفتح اللام . والظياهر : كتيبان الرمل العالية . يقول :
لولا ذلك لرفعت راية الصبيان على أعلى الأمكنة ومن غضب مني عليه أن يضرب برأسه بجبل
طمية .

(٤) ما نيب مرضيه : ما أنا بمرضيه أي : لا أبالي بمخطه .

(٥) نبا : أرتفع . ورقان : جبل يتهامة لا يزال باقيا باسمه . ويقع في الجنوب من المدينة
المنورة (راجع كلاما عليه في مجلة العرب : م ٥ ص ١٠٦٦) .

ويعدله ويثنيه : يقيمه ويميله : يريد يكرر ذلك .

الأقسام الجغرافية لجزيرة العرب

(عرفت الدكتور عبد الحسن الحسيني معرفة اجتماع قصير ، وكان يعنى بترجمة كتاب « شمال الحجاز » للمستشرق الويس موزل التشيكوسلوفاكي . الذي نشرت له مجلة « العرب » ترجمة كتابه « شمال نجد » وكان الدكتور الحسيني مهتماً بأبحاث جغرافية جزيرة العرب ، وقد بعث إلى بنسخة من كتابه الذي عرب فيه القسم الجغرافي من كتاب موزل المذكور ، فأبدت له - كتابة بعض الملاحظات ولم أتلئ جواباً منه . ولما قدمت الاسكتندرية أردت مقابلة - وكان مدرسا في كلية الآداب فيها . فعلمت أنه نائب للعمل في (باكستان) ثم علمت بعد زمن بوفاته رحمة الله .

وكان من آثار الدكتور الحسيني هذا البحث الذي نشره في المجلدين السادس والسابع من « حوليات كلية الآداب » في الاسكتندرية في سنتي ٥٢ و ١٩٥٣ م وقد رأيت « العرب » في إعادة نشره إحياء لذكرى هذا الباحث الجليل : وإن كان فيه مالا يتفق مع رأى بعض المعين بالدراسات الجغرافية عن الجزيرة وخاصة ما ذكر عن المجلس ، فتحديده لهذه المنطقة بحاجة إلى إمعان بحث وتوسع في الدراسة) .

حدود الجزيرة العربية :

اختلفت المصادر العربية في رسم الحدود الجغرافية لبلاد العرب . ويرجع اختلافها في ذلك إلى تباين المناهج التي اتبعتها في تناول الموضوع ومعالجته . ونستطيع أن نستخلص من بين هذه الخلافات أربعة آراء رئيسية في معالجة الموضوع .

أما الرأي الأول فهو رأي فقهاء الدولة ورجال التشريع فيها . ذهبوا في تحديدهم لرقعة البلاد العربية إلى اتخاذ التقسيم الإداري - الذي اعتمد عليه ديوان الخراج في تحديد أعمال الدولة - أساساً يستندون إليه في مذهبهم الذي ذهبوا إليه .

(ذكر ابن وهب عن مالك قال : أرض العرب مكة والمدينة واليمن) .

(وقال أحمد بن المعذل : حدثني يعقوب بن محمد بن عيسى الزهري .

قال : قال مالك بن أنس : جزيرة العرب المدينة ومكة واليمامة واليمن) .

(وقال المغيرة بن عبد الرحمن : جزيرة العرب مكة والمدينة واليمن وقرياتها^(١) .

فهذه النصوص الثلاثة تتفق على تحديد رقعة بلاد العرب بمكة والمدينة واليمن ولكنها تختلف بعد ذلك في شأن اليمامة . وقد اعتمدت هذه النصوص على وجهة النظر الفقهية التي كانت تأخذ - في تحديدها للامصار وكور الأقاليم وما تشتمل عليها من القصبات والمدن - بالتحديد السياسي الذي حددته الدولة . فالأعمال الرئيسية في بلاد العرب كانت مكة والمدينة واليمن . وكانت نجد تدخل ضمن عمل المدينة .

أما اليمامة فاختلف فهم في شأنها راجع إلى اختلاف وضعها بين العصرين الأموي والعباسي . ففي عهد الأمويين كانت اليمامة تضاف أحياناً إلى المدينة ، وأحياناً تفرد برأسها فتكون قسبة مستقلة . وبهذا نستطيع أن نفهم الاختلاف الذي نراه بشأنها في النصوص التي رويت عن مالك . وأما في عهد العباسيين فكانت اليمامة والبحرين وعمان عملاً واحداً من أعمال العراق . (البحرين من أعمال العراق . وحده من عمان ناحية جزفار^(٢) . واليمامة على حياها ، وربما ضمت اليمامة إلى المدينة ، وربما أفردت . هذا كان في أيام بني أمية ، فلما ولي بنو العباس صيروا عمان والبحرين واليمامة عملاً واحداً^(٣) .

فحدود البلاد العربية على هذا الرأي هي التي تدور حول مكة والمدينة واليمن تدخل في ذلك نجد ، لأنها كانت تعتبر من أعمال المدينة دائماً ، وقد تدخل اليمن ضمن هذه الحدود ، وأما في عهد العباسيين فكانت تضاف إلى أعمال العراق ، وتدخل في ذلك توابع اليمن من الأحقاف والأشجار^(٤) إذا اعتبرنا الضمير في « قرياتها » يعود على اليمن .

أما عمان والبحرين فتخرجان عن هذا التحديد إذ كانتا دائماً من أعمال

(١) كذا ولعل الصواب (جلفار) .

(٢) جمع شعر .

العراق في عهد الأمويين والعباسيين على السواء ، لذلك أخرجها مالك والمغيرة والزهرى من أعمال بلاد العرب .

ومرجع الفقهاء في هذا - كما نفهم من قول أبي إسحق الخزاز - هو عمل (٣) عمر بن الخطاب في خلافته وأخرج عمر بن الخطاب اليهود والنصارى من جزيرة العرب إلا أنه لم يخرجهم من نجران . . . (١) ولا إمامة والبحرين فسميت بالعروض (٤) فعمر قد اعتبر بلاد العرب قاصرة على أعمال مكة والمدينة ، وبهذا أخذ الفقهاء أول الأمر فيما يظهر ، ولكنهم أمام عمل الأمويين والعباسيين - الذين أضافوا اليمن إلى أعمال بلاد العرب - لم يكن لهم بُدٌّ من أن يعدلوا عن رأيهم الأول ، وأضافوا اليمن كذلك إلى رقعة البلاد العربية .

وقد تأثر بعض الجغرافيين بهذا الرأي في تحديد رقعة الجزيرة العربية . وأما الرأي الثاني فيحدد رقعة البلاد العربية تحديداً جغرافياً فيجعل البحر حدها الغربي والجنوبي والشرقي ، ويكمل هذا الحد من ناحية الشرق نهر الفرات الذي ينقطع بعد ذلك في شمال سوريا ، ثم يتجه (٢) حتى يصل إلى خليج العقبة (٣) .

قال ابن حوقل : (والذي يحيط بها - ديار العرب - بحر فارس من عبادان - وهو مصب ماء دجلة في البحر - فيمتد على البحرين حتى ينتهي إلى عمان ، ثم يعطف على سواحل مهرة وحضرموت وعدن ، حتى ينتهي على سواحل اليمن إلى جدة ، ثم يمتد على الجار ومدين حتى ينتهي إلى أيلة ، ثم قد انتهى حينئذ حد ديار العرب من هذا البحر . وهذا المكان من البحر لسان ويعرف ببحر القلزم ، والقلزم مدينة على طرفه وسيفه - فإذا استمر على تاران وجبيلان وصل إلى القلزم وينقطع حينئذ ، وهو شرقي ديار العرب وجنوبها وشيء من غربها . ثم يمتد من أيلة على مدائن قوم لوط فلسطين ،

(١) يظهر أن في الكلام نفعاً .

(٢) كذا والمواب (البصرة)

(٣) أي الحد

وأذرعات وحوران والبثنية وغوطة دمشق ونواحي بعلبك وهي من عمل دمشق ، وتدمر وسلمية ، وهما من عمل حمص ، ثم إلى الحناصرة وبالس وهما من عمل قنسرين . وقد انتهى الحد إلى الفرات . ثم يمتد الفرات على ديار العرب حتى ينتهي إلى الرقة وقرقيسيا والرحبة والدالية وعانة ، والحديثة وهيت والأنبار إلى الكوفة ، ومستفرغ مياه الفرات إلى البطائح ، ثم تمتد ديار العرب على نواحي الكوفة والحيرة على الخورنق وعلى سواد الكوفة ، إلى حد واسط : فتصاقب ما جاور دجلة وقاربها عند واسط مقدار مرحلة ثم تستمد وتستمر على سواء البصرة وبتطائحها حتى ينتهي إلى عبادان .

وهذا الذي يحيط بديار العرب : فإما كان من عبادان إلى أيلة فإنه بحر فارس ويشتمل على نحو ثلاثة أرباع ديار العرب ، وهو الحد الشرقي والجنوبي وبعض الغربي . وما بقي من حد الغربي من أيلة إلى بالس فنن الشام ، وما كان من بالس إلى عبادان فهو الحد الشمالي . ومن بالس إلى أن تجاوز الأنبار فن حد الجزيرة . ومن الأنبار إلى عبادان فن حد العراق (٤) .

وبحر فارس الذي يذكر في هذا النص يقصد به الخليج الفارسي ، وبحر اليمن ، ثم البحر الأحمر . وقد أطلق المؤلف عليهما جميعاً اسم بحر فارس .

ويتفق مع هذا النص تماماً مع نص الإصطخري الذي يورده في « المسالك والممالك » (٥) ، لم يختلف عنه إلا في كلمة واحدة إذ قرأ كلمة (البحيرة الميتة) . الواردة في النص البحيرة المنينة . وهذا الاتفاق قد يدعونا إلى الظن أن هذا التحديد الجغرافي للجزيرة العربية قد سبقهما إليه مصنف سابق اعتمدا عليه وأخذاً عنه . ولما كان الإصطخري قد عول في كتابه على كتاب « صور الأقاليم » لأبي زيد أحمد بن سهل البلخي الذي يذكره المقدسي على أنه إمام هذا العلم (٦) فن المحتمل أن يكون هذا النص الذي بين أيدينا هو نص أبي زيد البلخي . وقد يرجع ذلك لإطلاقه اسم بحر فارس على البحر الأحمر وبحر اليمن . فالبحر الأحمر في المصادر القديمة غير الفارسية كان يضاف إلى الحبشة لا إلى فارس فكان يسمى بحر الحبشة .

فهذا التحديد الجغرافي الذي يشتمل عليه النص يخلق - فيما يبدو - مع لفظ الجزيرة الذي أضافه العرب إلى بلادهم فقد تصوروها والماء يحيط بها من جهاتها .

قال الخليل : سميت جزيرة العرب جزيرة لأن بحر فارس وبحر الحبش والفرات ودجلة أحاطت بها وهي أرض العرب ومعدنها (٧) .

ولا يذكر بحر الروم في هذا التحديد مع الحاجة إليه ، لاستكمال صورة الجزيرة من ناحية حدها الغربي ، والظاهر أن بعض الاعتبارات الجغرافية أو التاريخية قد جعلت الحد الغربي لبلاد العرب يبتعد قليلا عن ساحل البحر الأبيض ، فالحد كما يرسمه ابن حوقل والإصطخري يتجه من أيلة إلى البحر الميت ، ثم إلى الشراة والبلقاء وحوران وغوطة دمشق ، ونواحي بعلبك أي أن هذا الحد هو الإنكسار الاختودي الفاصل بين سلسلة الجبال الساحلية المطلة على البحر الأبيض وبين الهضبة الداخلية المطلة على البادية . فهذا الإنكسار يقوم حائلا دون اتصال الأجزاء الداخلية بالساحل بصفة عامة ، ويتكون من وادي العربية الواصل من العقبة إلى البحر الميت ، ثم من الأخدود الذي يشغله البحر الميت ونهر الأردن ، ثم من سهل البقاع الذي تقع فيه بعلبك ثم من مجرى نهر العاصي حتى إقليم الغاب . إذ يتجه الإنكسار بعد ذلك نحو الأراضي التركية حتى مرعش .

وهذا الحد يظهر أكثر وضوحاً وتأكيذاً في أجزائه الجنوبية منه في جزئه الشمالي . فوادي العربية وأخدود البحر الميت والأردن يكون شبه خندق طبيعي يحول دون القبائل العربية وأقاليم الساحل ، ويكون مشابهاً لذلك الخندق الصناعي الذي اتخذته كسرى في الناحية الشرقية من البادية ليحول دون البدو ويريف العراق .

وقد أخرج هذا الحد شبه جزيرة سينا من دائرة البلاد العربية ، ولكنه كان جديراً أن يدخل الإمارات التي كانت تقع في شرقيه في حدود البلاد العربية . ولكن الاعتبارات السياسية - التي كانت تجعل هذه الإمارات تابعة لإقليم

الشام اقتطعتها من حيز الجزيرة العربية ، وأضافتها إلى إقليم الساحل . « ويتصل بأرض العرب بناحية أيلة بركة تعرف بتيه بني إسرائيل ، وهي بركة وإن كانت متصلة بديار العرب فليست من ديارهم ، وإنما كانت بركة بين أرض العمالة واليونانية وأرض القبط ، وليس للعرب بها ماء ولا مرعى فلذلك لا تدخل في ديارهم . وقد سكن طوائف من العرب من ربيعة ومضر الجزيرة ، حتى صارت لهم بها ديار ومراع — ولم أر أحدا عزا الجزيرة إلى ديار العرب لأن نزولهم بها وهي ديار لفارس والروم في أضعاف قرى معمورة ومدن لها أعمال عريضة فنزلوا على خفارة فارس والروم حتى إن بعضهم تنصر ودان بدين النصرانية مع الروم ، مثل تغلب من ربيعة بأرض الجزيرة وغسان وجرهاء وتنوخ من اليمن بأرض الشام (٨) فالإدارات السياسية التي كانت تنشأ على أطراف البرية خاضعة لفارس أو الروم كانت لا تعتبر من بلاد العرب رغم دخولها في حيزها الجغرافي . ولهذا فإن كثيراً من الجغرافيين كانوا يفضلون في تحديد الحد الجغرافي من هذه الناحية استعمال عبارة (مشارف الشام) أو (أطرار الشام) ، وذلك للاعتبارات السياسية والتاريخية التي كانت تدخل ذلك الإقليم في بلاد الشام وقال الأصمعي : (جزيرة العرب ما لم يبلغه ملك فارس من أقصى عدن أبين إلى أطرار الشام — هذا في الطول — والعرض من جدة إلى ريف العراق) (٩) .

وأما الرأي الثالث فيوفق بين الرأيين السابقين فيراعي في تحديده لرقعة البلاد العربية الاعتبارات الجغرافية والاعتبارات الإدارية في تقسيم الدولة وخير من عبر عن هذا الاتجاه المقدسي « في كتابه أحسن التقاسيم » : (وهذه صورة جزيرة العرب . وقد جعلناه أربع كور جليلة وأربع نواح نفيسة . والكور : أولها الحجاز ثم اليمن ثم عمان ثم هجر . والنواحي : الأحقاف ، الأشجار ، والجمامة ، وقرح (١٠) فهو بهذا التحديد يقصر الجزيرة العربية على الجزء الذي يطيف به البحر من الخليج الفارسي إلى خليج العقبة ، والذي يحده من الشمال خط يمتد من العقبة (أيلة) إلى الخليج الفارسي . وهذا القدر

هو الذي ذكره ابن حوقل على أنه ثلاثة أرباع ديار العرب ، ولكن المقدسي يقتصر عليه ليخرج البلاد الشامية من حدود الجزيرة العربية ، مراعيًا في ذلك الاعتبار السياسية والتاريخية التي كانت تجعل من الشام إقليمًا مستقلًا . وهو في تحديده كذلك لم يتقيد بالنظام الإداري للدولة ، الذي كان يعتبر البحرين وعمان واليمامة من أعمال العراق ، والذي كان يأخذ به الفقهاء ولكنه غلب وجهة النظر الجغرافية فأدخل هذه الثلاثة في حدود الجزيرة العربية ، على الرغم من تبعيتها الإدارية للعراق .

ويصور لنا المقدسي جزيرة العرب في صورة طريفة تنم عن إدراك أصيل فتخليها صفة مستطيلة تمتد من قعر اليمن إلى بادية السماوة ، وبابها إلى بادية السماوة ، وظهرها إلى عدن ، ووضع في طولها سريران أحدهما على امتداد الآخر وبجانب كل سرير فضاءان : (واعلم أن مثل هذه الجزيرة كمثل صُفَّةٍ فيها أدنى طول قد وضع فيها سرير من صدرها إلى بابها بينه وبين الحائطين من يمن وشمال فضاء ، والسرير قطعتان ؛ فالسرير الداخل هو نجد اليمن ، وهي جبال تقع فيها صنعا وصعدة وجرش وتجران ، وبلد قحطان وعدن في الصدر في آخر الجبل ، لأن ثالث الحيطان هو بحر الصين ، وهذه السروات عامرة ، بها الأغنام والمزارع ، والفضاء الذي عن يمن السرير تامة ، تقع فيه زبيد وبلد أنها . والفضاء الذي عن يساره يسمى نجد اليمن ، تقع فيه الأحقاف ومهرة إلى تخوم اليمامة ، ومنهم من يدخلها وعمان في هذه الحطة . وهذا السرير مع الفضائين هي اليمن . والسرير المؤخر إلى باب الصفة يسمى الحرة من تخوم اليمن إلى قرح ، جبال كلها يابسة لا ينبت إلا مواقع المواشي والعضون والثام ، يقع فيه الحرم والعنق ومعدن النقرة ، وتلك المجادب . والفضاء الأيمن يسمى الحجاب . وطية الحجاز قليلة يقع فيها ينبع والمروة والعيص . والسواحل عمارات ونخيل والفضاء الأيسر يسمى نجد الحجاز يقع فيه اليمامة وفيد ، وما على الجادة من المنازل . ويسمى هذا السرير مع فضائيه الحجاز ويدخل هجر فيه . ويقابل باب الصفة البادية وهذا شيء رايته وقسمته والله أعلم (١١) فالبادية بادية

السماء والشام والعراق خارج هذه الصفة أو خارج الجزيرة العربية ،
وهي بابها .

ويتفق هذا الرأي مع الروايات التي نقلت لنا عن الأصمعي وأبي عبيدة
والتي تجعل حدود جزيرة العرب من الشمال (أطرار الشام) أو (منقطع
السماء) .

« قال الأصمعي : جزيرة العرب ما لم يبلغه ملك فارس من أقصى عدن
أبين إلى أطرار الشام ، هذا هو الطول ، والعرض من جدة إلى ريف
العراق » . وأبو عبيدة يذهب إلى نفس هذا التحديد غير أنه يعتبر الطول عرضا
والعرض طولاً وينقل عن الأصمعي قولاً آخر يؤيده فيما ذهب إليه .
« قال أبو عبيدة : جزيرة العرب ما بين حفر أبي موسى بطواره من أرض
العراق إلى أقصى اليمن في الطول . وأما في العرض فما بين رمل بربين إلى
منقطع السماء وينقل عن الأصمعي فيذكر أن طولها من أقصى عدن أبين
إلى ريف العراق في الطول وأن عرضها من جدة وما والاها من ساحل البحر
إلى أطرار الشام (١٢) .

وأما الرأي الرابع فيريد أن يجعل إحاطة الماء من جميع الجهات هو
الأصل الأول في مفهوم الجزيرة ، وعلى هذا الأساس اللغوي في فهم التسمية
(جزيرة العرب) يذهب إلى رسم حدودها الجغرافية ، جاعلاً من الفرات
وخليج فارس وبحر اليمن والبحر الأحمر والنيل وبحر الروم ماءً محيطاً بجزيرة
العرب من جميع جهاتها . وهذا التحديد يختلف عن تحديد الإصطخري وابن
حوقل بأن أدخلوا النيل وبحر الروم في رسم الحد الغربي للجزيرة العربية .

عن الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن فضالة : إنما سميت جزيرة
لإحاطة البحر بها والأنهار من أقطارها وأطرارها . وذلك أن الفرات أقبل
من بلاد الروم فظهر بناحية قنسرين ، ثم انحط عن الجزيرة - وهي ما بين
الفرات ودجلة - وعن سواد العراق حتى دفع في البحر من ناحية البصرة
والأبلة ، وامتد إلى عبادان ، وأخذ البحر من ذلك الموضع مغرباً مطيفاً ببلاد

العرب منعطفاً عليها ، فأتى منها على سفوان وكاظمة ، ونفذ إلى القطيف
وهجر وأسياف عُمان والشحر ، وسال منه عنق إلى حضرموت وناحية
أبين ، وعدن ودهلك ، واستطال ذلك العنق فطعن في تهائم اليمن - بلاد
حكم والأشعرين وعك* - ومضى إلى جدة - ساحل مكة - وإلى الجار -
ساحل المدينة - وإلى ساحل تيماء وأيلة ، حتى بلغ قلزم مصر ، وخالط
بلادها . وأقبل النيل في غربي هذا العنق من أعلى بلاد السودان مستطيلاً ،
معارضاً للبحر ، حتى دفع في بحر مصر والشام . ثم أقبل ذلك البحر من مصر
حتى بلغ بلاد فلسطين ، ومرّ بعسقلان وسواحلها وأتى على صور - ساحل
الأردن - وعلى بيروت وذواتها من سواحل دمشق ، ثم نفذ إلى سواحل
حمص وسواحل قنّسرين حتى خالط الناحية التي أقبل منها الفرات منحطاً
على أطراف قنّسرين والجزيرة ، إلى سواد العراق (١٣) .

فالمشكلة التي يوضعها أماننا هذا النص هي اعتباره النيل الحدّ الغربي للجزيرة
العربية (وأقبل النيل في غربي هذا العنق من أعلى بلاد السودان مستطيلاً معارضاً
للبحر حتى دفع في بحر مصر والشام) وما يتبع هذا الاعتبار من إدخال بلاد
النوبة والبُجّة وصحراء مصر الشرقية في حدود الجزيرة العربية .

وقد يكون الدافع لرسم حدود الجزيرة العربية على هذا النحو هو التغير
اللغويّ لكلمة جزيرة مع شيء من السذاجة ، أو الغفلة عن الحقائق الجغرافية
أو مع شيء من المهارة في صنعة التأويل والتخريج ، وإن كان ذلك على
حساب الحقائق الجغرافية ولكن قد يكون هناك بعض الاعتبارات الأخرى
التي أدخلها صاحب هذا التحديد في حسابه ، فلنحسن به الظن شيئاً ما .

إن سكان الصحراء الشرقية في المنطقة التي تقع بين أسوان والبحر
الأحمر يتصلون اتصالاً وثيقاً بسكان قلب الجزيرة العربية . وقد أدرك العرب
هذه الحقيقة والتفتوا إليها وسجلها الجغرافيون منهم .

قال اليعقوبي في وصفه للطريق من قفط إلى البحر الأحمر ووصفه لمناجم
الذهب في هذه المنطقة : (ومن الحربة - خربة الملك منجم قديم في هذه

المنطقة — إلى رحم معدن تبر — ثلاث مراحل ، ويرحم قوم من بلبي وجهينة وغيرهم من اخلاط الناس يقصدون للتجارات) (١٤) .

ويقول في مكان آخر : (من العلاقي — واد بين اسوان والبحر الأحمر — إلى موضع يقال له وادي الجعل مرحلة ثم إلى موضع يقال له عنب ثم إلى موضع يقال له كنار يجتمع الناس به لطلب التبر وبه قوم من أهل النخامة وربيعه (١٥) ومن العلاقي إلى موضع يقال له دح ينزل قوم من بني سليم وغيرهم من مصر عشر مراحل (١٦) .

فهذه النصوص تبين لنا مقدار صلة الجزيرة العربية بهذه المنطقة من الصحراء الشرقية ونوع هذه الصلة وكيفيتها . فإن كان بعض هذه النصوص يفسر وجود قبائل الجزيرة العربية في هذه المنطقة بأسباب تجارية واقتصادية أي إن وجودهم بها كان على نطاق ضيق ، فقد كانت وجهة القبائل البدوية في هجراتها من الجزيرة العربية ، ولذلك فإن وجودهم بها لا بد وأن يكون على نطاق أوسع من ذلك الذي استخلصناه من النصوص السابقة : (وأما النخامة فواد والمدينة به تسمى الحضرمة .. وكانت قراراً لربيعه ومضر فلما نزل عليها بنو الأخيضر جلت العرب منها إلى جزيرة مصر فسكنوا بين النيل وبحر القلزم وقرت ربيعة ومضر هناك وصارت لهم ولتيم كالدار التي لم يزالوا بها . وابتنوا بها غير منبر كالمحدث التي بظاهر أسوان وكالعلاقي وهو المنهل يجتاز به الحجيج إلى عيذاب) .

وإذا كانت هجرة القبائل العربية إلى هذه المنطقة من الصحراء الشرقية ظاهرة غير مطردة حدثت من قبيل المصادفة فلا يجوز لحمد بن فضالة أن يدخلها في اعتباره — إن كان قد راعى مثل هذه الاعتبارات — فيرى أن هذه البقعة من الصحراء الشرقية امتداد لقلب الجزيرة العربية . ولكن ربما كانت هذه الظاهرة ظاهرة مطردة في العهود البعيدة التي وعها ذاكرة العرب فكان البحر لا يقف أمامهم حائلاً يمنعهم من العبور إلى عدوته الأخرى والإقامة بها فعبّر ابن فضالة عن هذا المعنى فأدخل هذه المنطقة في حدود الجزيرة العربية .

وهناك ملاحظة أخرى جدية بالاعتبار تكشف لنا عن مقدار تأثير الجزيرة العربية بهذه المنطقة من الصحراء الشرقية وبالمطقة الواقعة إلى جنوبها فالادريسي في وصفه لبلاد البجة يقول : (ومن بلاد البجة بلد بختية وهي أيضا قرية مسكونة وبها سوق لا يعول عليها وحولها قوم ينتجون الجمال ، ومنها معاشهم وهي أكثر مكاسهم . وإلى هذه القرية تنسب الجمال البختية وليس يوجد على ظهر الأرض جمال أحسن منها ولا أصبر على السير ولا أسرع خطى وهي بديار مصر معروفة بذلك) (١٧) فالجمال البختية التي يتغنى العربي بفضائلها هي - كما نرى من هذا النص - من نتاج العدة الغربية للبحر الأحمر ، وليست من نتائج الجزيرة العربية . فمثل هذه الظاهرة كانت جدية أن تلفت صاحب هذا الرأي إلى ما كان بين الجزيرة العربية وبين العدة الغربية من البحر الأحمر من صلات ترجع إلى عهود بعيدة .

فأمثال هذه الاعتبارات قد دفعت محمد بن فضالة إلى أن يضيف هذا الجزء من الصحراء الشرقية إلى حدود الجزيرة العربية . ولكن مثل هذا الرأي قد يبدو لنا غريبا الآن لأن فكرتنا عن الحدود السياسية الحديثة تمنعنا من أن نتصوره ، ولكن يجب أن نذكر أن فكرة الحدود السياسية في الأزمنة القديمة لم تكن تمنع من ذلك . والبلد من شأنهم أن يتقدموا بحدودهم في الاقاليم الحضرية التي تحيط بهم إلى أقصى ما يستطيعون وإلى أن توقفهم قوة الحضرة . وبما يحسن ذكره أن حامية الحدود الشرقية التي كان عليها أن تلود البدو عن أرض الحضرة في مصر كانت في بعض عصورها عند مدينة أسوان .. (١٨)

تقسيم الجغرافيين للجزيرة العربية :

والأسس التي اعتمد عليها الجغرافيون في تقسيمهم للجزيرة العربية
أساسان :

أما الأساس الأول :

فيأخذ من إقليم الحجاز وجباله محوراً لهذه التقسيم. ولعل اللغة العربية قد شاركت في جعل هذا الأساس المتوارث أكثر رسوخاً في الأذهان من غيره ، فذهب إليه أكثر الجغرافيين .

فالحجاز معناه الفاصل أو الحاجز حجز بين أقسام الجزيرة وفصل بينها وأكد هذا الفصل والتقسيم . (قال الخليل (١٩)) سُمِّيَ حجازاً لأنه فصل بين الغور وبين الشام ، وبين تهامة ونجد (٢٠) . وقال الزبير بن بكار : سألت سليمان بن عبيد الله السعديّ لمَ سُمِّيَ الحجاز حجازاً ؟ فقال : لأنه حجز بين تهامة ونجد (٢١) قال ابن الكلبي : الحجاز ما يحجز بين تهامة والعروض وفيما بين اليمن ونجد (٢٢) .

فالحجاز هو الذي يفصل بين الشام وبين الغور ، ويفصل بين تهامة والعروض ، وبين اليمن ونجد فهو الذي يفصل بين هذه الأقسام جميعاً ويحدد لكل قسم منها حيزه الخاص .

والبكريّ يعرض لخط التقسيم هذا الذي ظهر في ثوب لغوي فيحاول أن يصوغه في — أسلوب جغرافي فيقول : (٢٣) (وجبل السراة هو الحد بين تهامة ونجد وذلك أنه أقبل من قعرة اليمن — وهو أعظم جبال العرب — حتى بلغ أطراف بوادي الشام ، فسمته العرب حجازاً . وقطعته الأودية حتى انتهى إلى ناحية نخلة ، فمنه خيطة ويسوم — وهما جبلان بنخلة — ثم طلعت الجبال بعد منه فكان منه الأبيض — جبل العرج — وقُدُس وآرة ، والاشعر والأجرد — وهما جبلان للجهينة . . . وطول السراة ما بين ذات عرق إلى حد تجران اليمن — وبيت المقدس في غربي طولها — وعرضها ما بين البحر إلى الشرف (؟) .

فصار ما خلف هذا الجبل في غربيه إلى أسياف البحر — من بلاد الأشعرين وعك وكنانة — إلى ذات عرق والجحفة وما والاها وصافيا

(١) هذا القول ليس للبكري . بل نقله نقلاً وأصله من رواية ابن الكلبي « العرب » .

و صار من أرضها : القَوَر ، غور تهامة . وتهامة تجمع ذلك كله . وغور الشام لا يخل في ذلك . وصار ما دون ذلك في شرقيه من الصحاري إلى أطراف العراق والسماء وما يليها نجداً . ونجد تجمع ذلك كله . واعراض نجد هي بيشة ، تَرْجُ ، وتبالة ، والمراغة ورنية . وصار الجبل نفسه سراته — وهو الحجاز — وما احتجز به في شرقيه من الجبال وانحاز إلى ناحية فيد والجبلين إلى المدينة ومن بلاد مذحج : تثليث — وما دونها إلى ناحية فيد — فذلك كله حجاز . وصارت بلاد الهامة والبحرين وما والاها : العروض — وفيها نجد وغور ، لقربها من البحر وانخفاض مواضع منها ومسائل أدوية فيها — والعروض يجمع ذلك كله . وصار ما خلف تثليث وما قاربها إلى صنعاء ، وما والاها من البلاد إلى حضرموت والشحر وعُمان وما بينها : اليمن — وفيها التهام والنجد — واليمن يجمع ذلك كله (٢٤) .

والمقدسي يتأثر كذلك بهذا التقسيم الذي تحمله التسمية اللغوية لأعلام الجزيرة فيأخذ به ، ويصوغه في أسلوب جغرافي ، ويتخذ منه أساساً لتقسيمه مخالفاً في ذلك أعلام هذا الفن الذين سبقوه ومعلناً مخالفته لهم في ذلك . فأبو زيد البلخي الذي يعتبر إمام هذا الفن قد جعل الجزيرة العربية إقليماً واحداً ، وهو لم يلتفت إلى ما التفت إليه المقدسي من أن جبال الحجاز تقسم الجزيرة قسمة طولية إلى إقليمين متميزين . وأن إقليم الحجاز — الذي يختلف في طبيعته عن اليمن — يقسم هذه الجزيرة — بتمايزه هذا — قسمة عرضية كذلك فيكون الحجاز هو القسم الشمالي وتكون بلاد اليمن هي القسم الجنوبي . ولذلك تنقسم الجزيرة العربية إلى أربعة أقسام .

والمقدسي لا يفوته أن يدخل الاعتبارات الدينية والفقهية في احتجاجاته ، هذه الاعتبارات التي حرص على مراعاتها في تحديد رقعة بلاد العرب ، وفي رسم أقسامها : (واثنان الحليمة والحجاز . فان قال قائل لم جعلت اليمن والمشرق والمغرب جانبين جانبين ؟ قيل له : أما اليمن فالنبي صلى الله عليه وسلم جعلها حيث فَرَّقَ مواقيتها في الاحرام (٢٥) . وأما خراسان فإن أبا زيد جعلها

إقليمين وهو إمام هذا العلم بخاصة في إقليمه فلا عيب علينا أن جعلناها جانبين (٢٦) .

ومثل الصفة الذي يضربه ليصور به صورة جزيرة العرب يوضح لنا كيف طبق الطريقة التي ذهب إليها في تقسيم بلاد العرب . فهو قد اعتبر السريـر الأول الجنوبي جبال اليمن الذي تقع فيه صنعاء وصعدة وجرش ونجران وأرض قحطان . والفضاء الذي يقع إلى جانبه من ناحية البحر هو تهامة . والفضاء الذي يقع في جانبه من الناحية المقابلة هو الأحقاف ومهرة حتى تخوم اليمن . ثم ينـبـه إلى أن من الجغرافيين من يدخل اليمامة وعمان في هذه المجموعة . وأما السريـر الثاني الواقع إلى الشمال من السريـر الأول فهو يختلف عنه من ناحية الحصب فالأول أرضه عامرة بالأعشاب والمزارع والثاني جبال كلها يابسة لا تنبت إلا مواقع المواشي والعضون والثام . والسريـر الثاني هذا هو الحرة وهي تمتد من تخوم اليمن إلى قرح أي إنها تقع شمال الإقليم الأول ويقع في هذه الحرة مكة والعمق ومعدن النقرة وتلك المجادب . والفضاء الذي يقع في الجانب المقابل أي في الناحية الأخرى هو نجد الحجاز يقع فيه اليمامة وفيد ويدخل فيه هجر . والسريـر الأول مع فضائية هو اليمن ، والسريـر الثاني مع فضائيه هو الحجاز (٢٧) .

فهو يقسم بلاد العرب إلى يمن وحجاز ثم يقسم كل واحد منهما إلى جانب شرقي وجانب غربي ، وإقليم مرتفع في الوسط ، هو في القسم الجنوبي جبال السراة ، وفي القسم الشمالي حرة الحجاز . واليمامة قد تعتبر من إقليم اليمن الذي يمتد حتى عمان ، وقد تعتبر من إقليم الحجاز الذي يمتد حتى هجر .

فجبال السراة وحرة الحجاز هي المحور الذي يقسم بلاد العرب طولاً وجبال الحجاز القاحلة التي تختلف عن جبال اليمن والتي يتسع عرضها حتى يشمل اليمامة ونجداً تكون — بعرضها الممتد من الغرب إلى الشرق — المحور الذي يقسم بلاد العرب عرضاً فيقع في شماله هجر واليمامة ونجد والجلس ، ويقع في جنوبه عمان والعروض والأحقاف والشحر واليمن . والحجاز نفسه . الذي يفصل بين القسمين يقع في وسط المجموعة الأولى :

وعلى ضوء هذه الحقيقة - وهي - أن جبال الحجاز تقسم الجزيرة العربية طولاً وعرضاً - نستطيع أن نفهم النصوص السابقة التي اتخذت من الحجاز أساساً للفصل بين جميع أقسام الجزيرة العربية .

وأما الأساس الثاني :

فيدع جانباً قلب الجزيرة وما تحتويه من جبال ويتخذ ساحل البحر قاعدة لتقسيم الجزيرة . وابن حوقل والاصطخري يأخذان بهذا الأساس وهما خير من عبر عنه . وهما يقسمان الجزيرة على أساس خطوط عرضية تحترق الجزيرة من غربها إلى شرقها ، وتكاد تكون متوازية تقريباً . فهي تقسم الجزيرة إلى مناطق مستعرضة يتلو بعضها بعضاً . وقاعدة هذه الخطوط ترتكز إلى نقط على ساحل البحر .

وأول هذه الخطوط هو الخط الذي يمتد من السرين على البحر الأحمر (وهي ميناء قديمة تقع جنوب جدة بين الليث والقنفذة) ويتجه نحو الشمال الشرقي إلى بَلَمْلَم ثم شرقاً إلى الطائف ومنها إلى الخليج الفارسي .

والخط الثاني يبدأ من مدين (على البحر الأحمر ، وهي واحة البدع الآن وهي قريبة من الطرف الجنوبي الشرقي لخليج العقبة) ثم يتجه نحو الجنوب الشرقي إلى الحجر ، ثم يشرق بعد ذلك إلى جبلى طي ، ومنها إلى إيمامة ، ثم إلى الخليج الفارسي .

والخط الثالث يقع شمال الخط الثاني ويحصر بينه وبين الخط الثاني منطقة تمتد من إيمامة شرقاً والمدينة غرباً وتتقدم شمالاً حتى تستغرق حدودها الشرقية بقية سواحل البحرين .

والخط الرابع يمتد من بالس غرباً إلى الأنبار شرقاً . ويتصل بهذا الخط خطان رئيسيان أحدهما من عَبَّادان إلى الأنبار ويكون منه ضلع مستطيل تتجه مساحته إلى الغرب حتى يلاقي مساحة مستطيل الآخر الذي يمتد من الغرب إلى الشرق وتتكون قاعدته من الخط الثاني الذي يصل بين بالس وأيلة .

والاقليم الذي يقع جنوب الخط الأول هو اليمن . والاقليم الذي يقع إلى شماله هو الحجاز . والاقليم الذي يقع بين الثاني والثالث هو نجد . والاقليم الذي يقع شمال الخط الرابع هو بادية الجزيرة . والاقليم الذي يقع غرب الخط الأول المتصل به هو بادية العراق . والاقليم الذي يقع شرق الخط الثاني المتصل بالخط الرابع هو بادية الشام .

(فما كان من حدّ السّريّن حتى ينتهي على ناحية يللم ثم على ظهر الطائف ممتداً على نجد اليمن إلى بحر فارس مشرقاً فمن اليمن ، ويكون ذلك نحو الثلاثين من ديار العرب . وما كان من حدّ السّريّن على بحر فارس إلى قرب مَدْيَنَ راجعاً في الشرق على الحجر إلى جبلى طيٍّ ممتداً على ظهر اليمامة إلى بحر فارس فمن الحجاز ، وما كان من اليمامة إلى قرب المدينة راجعاً على بادية البصرة حتى يمتد على البحرين فمن نجد . وما كان من حدّ عَبَّادَان إلى الانبار مواجهها لنجد على ديار اسد وطيٍّ ونميم وسائر قبائل مصر فمن بادية العراق ، وما كان من حدّ الانبار إلى بالس مواجهها لبادية الشام على أرض تيماء وبرية خُصَاف إلى قرب وادي القرى والحجر فمن بادية الجزيرة . وما كان من بالس إلى أيلة مواجهها للحجاز على بحر فارس إلى ناحية مَدْيَنَ معرضاً لأرض تبوك حتى يتصل بديار طيٍّ فمن بادية الشام . على أن من العلماء بتقسيم هذه الديار من زعم أن المدينة من نجد ، لقربها منها وإن مكة من تهامة اليمن لقربها منها (٢٨)

ففي هذا التقسيم اتخذ ابن حوقل والاصطخري الساحل أساساً لتقسيمهما ، إذ كان نظام الملاحة هو الذي يميز المناطق الساحلية بعضها عن بعض وبالتالي فهو يميز المناطق الداخلية كذلك . فنظام الملاحة في جنوب البحر الأحمر حتى السرين أو جدة يختلف عن نظامها في شماله لاختلاف نظام الرياح . ونظام الملاحة في خليج العقبة يختلف عن نظامها في قسيمي البحر الأحمر فكانت السّريّن ومَدْيَنَ نقطتين فاصلتين بين نظم الملاحة في البحر الأحمر ففصلت كذلك بين المناطق الداخلية في الجزيرة (٢٩) .

ولنحاول الآن أن نتبين المنطقة الداخلية التي اعتبرت حدودها أساساً معرّف به في تقسيم الجزيرة العربية وتمييز أقسامها .

الحجاز :

فهم العلماء من كلمة (الحجاز) معنى (الحجز) فهو يحجز بين تهامة والعروض وفيما بين اليمن ونجد كما يقول ابن الكلبي (٣٠) أو يحجز فيما بين نجد والسراة كما ينقل ابن دريد (٣١) أو يحجز فيما بين الغور وبين الشام وفيما بين تهامة ونجد كما يرى الخليل (٣٢) . غير أن البعض لم يفهم من مدلول التسمية معنى الحجز بل فهم منها شيئا آخر وهو الاحتجاز بمعنى شد الوسط بالحجارة أو بالحجاز . فالجبل وكل ما تشد به وسطك لتشمر ثيابك حجاز (٣٣) وإلى هذا ذهب بعض من روى عنهم البكري فقال: (سمي حجازا لأنه احتجز بالجبال ، يقال احتجزت المرأة إذا شددت ثيابها على وسطها ، وأبرزت عجزتها وهي الحجرة) (٣٤) . وإلى هذا المعنى ذهب ابن السكيت في نقله عن الأصمعي فيقول : (ما ارتفع من بطن الرمة فهو نجد ، إلى ثانيا ذات عرق . وما احتزمت به الحرار : حرة شوران وحرة ليل وحرة واقم وحرة النار وعامة منازل بني سليم إلى المدينة . فما اجتازت ذلك الشق حجاز كله (٣٥) وصاحب « المخطط » يستعمل أصلا كلمة احتجزت بدلا من احتزمت فيقول : لأنها احتجزت بالحرار الخمس حرة بني سليم وواقم وليلي وشوران والنار فهذه الحرات هي سلسلة تتابع من الجنوب إلى الشمال ويكون متوسط اتباعها مسيرة ليلتين سريعتين أو ثلاث) .

فبلاد الحجاز قد احتزمت بالجبال أو بالحرار فسميت حجازا ، أو قد حجزت جبالها وحرارها بين نجد والسراة أو بين نجد واليمن أو بين نجد وتهامة أو بين الشام والغور فسميت لذلك حجازا .

والحجاز حجازان : الحجاز الأسود ، وحجاز المدينة (٣٦) . أما الحجاز الأسود فهو سراة ثقيف أو السراة الثالثة ، تبدأ بعد انتهاء السراة الجنوبية في سراة الأزدي في قمر اليمن ، وسراة فهم وعدوان فيما يليها (٣٧) . فإذا انتهت هذه السراة الثانية عند جبل تثليث بدأت السراة الثالثة واستمرت حتى الطائف . وعند ذلك يبدأ الحجاز الثاني حجاز المدينة . وهو سلسلة من الحرات تتابع من الجنوب إلى الشمال حتى منطقة تبوك . ولكن في منتصف

المسافتين بين مكة والمدينة أو ما يقرب من ذلك عند نقطة يقال لها العرج (عرض ٢٣) يبلغ ذلك الحجاز الثاني نهايته أيضا وبانتهائه ينتهي الحجازان : (طول الحجاز من حد العرج إلى السراة) (٣٨). وإذا قد انتهى الحجازان يبدأ قسم ثالث من إقليم الحجاز وإن كان يتخذ تسمية مخالفة فيعرف بالجلّس ، ويبدأ عند عقبة العرج ويتجه إلى الشمال حتى إقليم الجنب وتبوك ، والقسم الساحلي تحفه جبال هي امتداد الجبال الشمالية المعروفة بالشرارة وحسمى المتصلة بجبال الشام . (والعرج أيضا عقبة بين مكة والمدينة على جادة الحاج تذكر مع السقيّا - عن الحازميّ - وجبلها متصل بجبل لبنان) (٣٩)

فالحجاز هو الحجاز الأسود ، وهو الجزء الشمالي من سلسلة جبال السراة يبدأ من جبل ثلث في الجنوب ، ويمتد إلى الطائف في الشمال ، ثم حجاز المدينة وهو سلسلة من الحرّات ويحمل اسم الحجاز حتى عقبة العرج ، ثم الاقليم الثالث وهو بقية إقليم الحرّات الذي يحمل اسم الجلّس ، ثم الجنب ويمتد حتى تبوك أو معان شمالا .

حد الحجاز الجنوبي :

يتكون الحجاز الجنوبي من ثلاث مناطق متجاورة ، تمتد من الشمال إلى الجنوب في موازاة الساحل ، ويقع عند نهاية كل واحدة منها خط الحدود الذي يفصل بين الحجاز واليمن من قبلها. وهذه المناطق الثلاث هي : المنطقة النجدية الداخلية - جبال السراة المتوسطة - تهامة أو منطقة الساحل الخارجية .

وخط الحدود في المنطقة النجدية المحصورة بين سلسلة جبال السراة وبين رملة يبرين (الربع الخالي) يحدده لنا أكثر الجغرافيين عند بلدة يقال لها (الهجرة) أو (المهجرة) عند شجرة تسمى (طلحة الملك) . (ثم إلى سروم راح) منازل الطريق من مكة إلى صنعاء (قرية عظيمة فيها عيون وكروم ، وجرش منها على ثمانية أميال ، ثم إلى المهجر ، قرية عظيمة فيها عيون . وفيما بين سروم راح) والمهجر طلحة الملك شجرة عظيمة تشبه الغرّب ، غير أنها أعظم منه ، وهي الحد ما بين عمل مكة وعمل اليمن) (٤٠)

والنص الذي ينقل عن قدماء والذي يتفق مع نص ابن خرداذبة هذا يضيف :
 (وكان النبي صلى الله عليه وسلم حجاز بها بين اليمن ومكة) (٤١) والادريسي
 في منازل الطريق بين مكة وصنعاء يذكر هذا الحد كذلك ، موضعه طلحة
 الملك في قرية المهجرة نفسها : (ومن سrooms إلى المهجرة وهي قرية عظيمة
 فيها عيون وفيها بئر بعيدة القعر غزيرة الماء وبهذه القرية شجرة عظيمة تسمى
 طلحة الملك تشبه شجر الخلاف غير أنها أعظم منها وهي حد ما بين عمل مكة
 واليمن) (٤٢) والبكري في وصفه حدود اليمن يقول : (وحدها الثالث طلحة
 الملك إلى شرون . وشرون من عمل مكة) (٤٣) فهو يذكر شرون بدلا من
 سrooms راح وقدامة يكتبها كذلك شrooms راح .

ونستطيع أن نستخلص السبب الذي من أجله صارت طلحة الملك هذه
 الحد بين الحجاز واليمن من نص لابن خرداذبة : (فمن صنعاء إلى خيوان
 أربعة وعشرون فرسخا ، ومن خيوان إلى صعدة ستة عشر فرسخا ، ومن
 صعدة إلى المهجرة ، وهي تحت عقبة المنضح عند طلحة الملك التي هي أول
 عمل اليمن عشرون فرسخا . فبين المهجرة وصنعاء ستون فرسخا) (٤٤)
 فالمهجرة وطلحة الملك تحت (عقبة المنضح) للقادم من اليمن وهما دون هذه
 العقبة للقادم من مكة صاعداً نحو اليمن . فعقبة المنضح هذه هي الحد بين
 الحجاز واليمن . والذي أتيج له أن يصعد عقبة من عقبات البادية يستطيع أن
 يدرك تماما كيف تكون العقبة فاصلا بين إقليم وآخر .

وخط الحدود هذا الذي يقع أسفل عقبة المنضح ويمر بالمهجرة أو طلحة
 الملك يتكون من مجموعة من البلاد بعضها في غرب طلحة الملك وبعضها
 إلى الشرق منها ، ويتضح لنا ذلك من وصف الهمداني لمحجة صنعاء إلى نجد
 يصل بعد تمام خمسة عشر يريداً أو بعد أن يكون قد قطع ١٨٠ ميلا إلى بلدة
 كُتْنَة وهي أول حد الحجاز ، وتقع على خط عرض واحد مع جرش التي
 تقع في غربها على مسافة أقل من يوم ، ومع المهجرة وتلث اللتان تقعان
 إلى الشرق من كُتْنَة على مسيرة يوم كذلك وخط العرض الذي يقع عليه
 كُتْنَة كما ذكره الهمداني (٤٥) هو ١٧/١٠٦ . فالمهجرة التي يذكرها

الهمداني هي المهجرة التي ذكرتها النصوص الأخرى . غير أن لفظ (المهجرة) هو الأصح فيما يظهر . والراجح أن ابن خردادبة وقدامة والادريسي قد خلطوا بين (المهجرة) هذه التي هي نقطة الحدود وبين (المهجرة) التي تقع جنوبها في أرض اليمن بمقدار ٧٢ ميلا تقريبا . كما خلطوا بين سروم راح التي هي على الحدود وبين سروم الفيض التي تقع إلى الجنوب بمقدار ٥٠ ميلا ، كما يتضح ذلك من مقارنة منازل الطريق بين صنعاء ومكة عند هؤلاء وعند الهمداني .

وتشليث هذه التي تقع على خط الحدود السابق ولعلها كانت أبعد نقطة فيه إلى جهة الشرق قد سُميَ باسمها الجزء الجنوبي من نجد الحجاز ، كما سمي الجبل الذي يقع خلفها والذي نجده في الخرائط الحديثة باسم جبل تثليث .

والبكري يتخذ تثليث هذه منطقة الحدود في بعض تحديداته : (وصار ما خلف تثليث وما قاربها إلى صنعاء وما والاها من البلاد إلى حضرموت والشحر وعُمان وما بينهما اليمن - وفيها النُهاثم والنجود - واليمن يجمع ذلك كله) (٤٦) .

ولكى نستطيع أن ندرك موقع هذا الحد من مكة التي هي أبرز نقطة في الحجاز نذكر منازل الطريق بين هذا الحد وبينها : من كُتُنَّة إلى يَبَسْمٍ ٢٠ ميلا ثم إلى بنات حرب ٢٠ ميلا - ثم إلى الحسداء ٢٢ ميلا - ثم إلى بيشة بعطان ٢١ ميلا - ثم إلى تبالة ١١ ميلا - ثم إلى القرىحا ٢٢ ميلا - ثم إلى كَرَى ١٦ ميلا - ثم إلى تُرْبَة ١٥ ميلا - ثم إلى الصفن ٢٢ ميلا - ثم إلى الفتق ٢٣ ميلا . والفتق هذه على خط عرض واحد مع الطائف ومكة . فالطائف ومكة تقعان إلى الغرب منها . أما الطريق فليس هناك طريق ينحدر منها إلى مكة ولكن يسير الطريق شمالا إلى رأس المناقب التي تبعد عن الفتق ٢٢ ميلا ، ثم يعود فينحدر إلى الجنوب والغرب حتى قرن المنازل فكة (٤٧)

(١) البكري ينقل عن غيره كما تقدم

وخط الحدود في منطقة تهامة الساحلية يضعه الجغرافيون عند حصن السريّن الواقع على ساحل البحر ، ثم يمتد هذا الخط إلى الشرق حتى ينتهي على ناحية يلملم ثم على ظهر الطائف ممتداً على نجد اليمن : (فيما كان من حدّ السرين حتى ينتهي على ناحية يلملم ثم على ظهر الطائف ممتداً على نجد اليمن إلى بحر فارس مشرقاً فنّ اليمن . ويكون ذلك نحو الثلثين من ديار العرب . وما كان من حدّ السريّن على بحر فارس إلى قرب مديّن راجعاً في المشرق على الحجر إلى جبل طيء ممتداً على ظهر البمامة إلى بحر فارس فنّ الحجاز (٤٨) وبحر فارس هنا يشمل الخليج الفارسي وبحر اليمن والبحر الأحمر .

وهذا الحد يقع إلى الشمال كثيراً من الحد السابق ، فهو إذا ارتفع إلى الجبل فلأنما يرتفع إلى ظهر الطائف أي في الجزء الشمالي من سرة ثقيف . والسبب في اتخاذ هذا الخط حدّاً بين الحجاز واليمن من هذه الناحية يرجع إلى اعتبارين .

فطبيعة السريّن تجعل منها نقطة عسكرية وبحرية ، تتحكم في الطريق البري وفي طريق النقل البحري بين اليمن والحجاز ، ويصف ذلك الإدريسي فيقول : (والسرّين حصن حصين حسن موضعه ، كثيرة مياهه ولوالبه وجايه شيء معلوم ، ورسم ملزوم ، على المراكب الصاعدة والنازلة من اليمن بالتجارات والمتاع والرقيق . وجباياته المحصلة يصل نصفها إلى صاحب تهامة ونصفها الثاني إلى صاحب مكة الهاشمي) (٤٩) وبمقارنة وصف هذا الميناء بوصف الموانئ الأخرى التي تقع في نفس الساحل مثل حلبي وضنّكان والسقية (?) نجد أنها هي الحصن الحصين والميناء الأمين فيما بين تهامة واليمن .

وهذا الحصن يقع خلف جبل يلملم الذي يعترض الطريق الساحلي الواصل بين الشمال والجنوب ، فهذا الجبل الذي يمتد من الشرق إلى الغرب شمال السرين يحول دون سيطرة الحجاز على هذا الحصن .

والبحر الأحمر من حيث الملاحة والرياح ينقسم إلى منطقتين : إحداهما شمالية ، والأخرى جنوبية ويفصل بين المنطقتين خط عرض جدة .

فأصبحت السرين من ناحية الملاحه تتصل بالمواني الجنوبية في نظامها وتختلف عن المواني الشمالية التي هي معظم مواني الحجاز .

فخط الحدود يمتد من (السرين حتى ينهي على ناحية يللم ثم على ظهر الطائف) ومعنى ذلك أنه يتجه من السرين نحو الشمال الشرقي . والذي دعا إلى تقدمه هذا هو جبل يللم الذي يعترض من الشرق إلى الغرب الذي يتصل بسراة ثقيف .

وخط الحدود في منطقة جبال السراة — وهي المنطقة الوسطى التي تقع بين المنطقتين السابقتين — يختلف تبعاً لاختلاف موقعه في هاتين المنطقتين ، فالحد الأول الذي يتخذ الهجيرة نقطة امتداده يمتد منها غرباً على جبال السراة فيصعد الجبل عند عَشر ثم يميل إلى الشمال قليلاً ، ويهبط إلى سطح البحر عند ميناء حمضة ، التي تقع جنوب حلي وبالتالي جنوب السرين . وهذا هو تحديد الهمداني الذي ينقله عنه ياقوت : (فإلى حدود الهجيرة وتثليث وكُتنة وجرش ، ومنحدرًا في السراة التي شعف عنز — وشعف الجبل أعلاه إلى تهامة إلى أم جحدم إلى البحر إلى جبل يقال له كدمل بالقرب من حمضة — وذلك حد ما بين كنانة واليمن من بطن تهامة) (٥٠) والحد الثاني الذي يتجه من السرين شمالاً يدخل السراة الثانية سراة بني عقيل^(١) في حدود اليمن ، ثم يمضي بهذه الحدود شرقاً فيدخل فيها البحرين وهجر ، وقيل : هجر قصبة البحرين وقد عدّها قوم من اليمن (٥١) .

حد الحجاز الشمالي :

بذلت قبل الآن بعض المحاولات الحديثة لتخطيط الحد الفاصل بين شمال الحجاز وجنوب الشام وكانت النصوص العربية القديمة عنصراً أساساً في هذا التخطيط .

(١) العرب : مصدر هذا النقل عن (لامنس) ولكن لانعرف سراة تدعى سراة بني عقيل ، وبني عقيل من بني عامر ، ومنازلهم في جنوبي نجد ، ولا يتصلون بالسراة وإن كانوا متاخمين لحدود اليمن الجنوبية . ولكنهم في السهل .

وأول هذه المحاولات محاولة (لامنس) وانتهى فيها إلى وضع الحدود بين سورية والحجاز في المنطقة الواقعة قريباً من واحة العُلا في جنوبها (٥٢). وهذه الفكرة يراها صاحب المحاولة الثانية - وهو [لويس موزل] (٥٣) فكرة لامعة لمن ينظر إليها نظرة سطحية ولكنها إذا بحثت على ضوء التفاصيل وُجدت غير صحيحة من وجهة النظر العلمية . فصاحبها لم يميز بين الحدود السياسية والحدود الجغرافية كما أنه لم يعر النصوص (اللاتينية) (واليونانية) أي اهتمام ، كما أنه لم يشرح النصوص العربية بأمانة . ويذهب موزل بعد ذلك إلى وضع الحدود الشمالية للحجاز عند السفح الجنوبي لجبال الشراة حيث وضع بطليموس الحد الشمالى لبلاد العرب السعيدة . ويرى موزل بعد ذلك أن النصوص العربية رغم ما بينها من اختلافات - نتجت عن تغير الحدود السياسية في بعض العصور - فإنه يستخلص منها خيماً أن الحد الجغرافى للحجاز من ناحية الشمال هو المنحدر الجنوبى لسفح جبل الشراة كما حدد بطليموس قبل ذلك .

ويبدو لي أنه قد كان للحجاز أكثر من حد واحد - أو بعبارة أخرى : أن حدود - الحجاز كانت ثلاث نقط فقط ، تقع كل واحدة منها على رأس شعبة من الشعب الثلاث التى تصل بين الحجاز والشام . وأولى هذه الشعب تمتد على ساحل البحر وهي الشعبة الغربية ، والثانية تسير في المنخفض الرئيسى بين المدينة والعُلا إلى تبوك ومعان - هذا المنخفض الذى كانت تسير فيه سكة حديد الحجاز - وهذه الشعبة هي الوسطى ، والشعبة الثالثة تسير مع الطريق الواصل بين سلسلة الواحات التى تكونها خيبر وفلك إلى نيماء ثم دومة الجندل ، وهذه الشعبة هي الشعبة الشرقية .

فحدود الحجاز كانت تنتهى في الشعبة الغربية الساحلية إلى مدينة مدين التى توجد بقاياها الآن تحت اسم واحة البدع ، وهي أقصى ما نصله في الشمال من ناحية الساحل ، ثم تميل بعد ذلك إلى الجنوب والجنوب الشرقى مع طريق الحاج المصرى حتى تشغب ويدا والسُّقيا إلى أن تصل الحِصْبُر ثم وادي القرى .

وابن حوقل والاصطخري اللذان يتخذان ساحل البحر أساساً لتفصيل
أقسام الجزيرة العربية يؤكدان لنا ذلك في وضوح : (وما كان على حدّ
السريّين على بحر فارس) يطلق على البحر الأحمر وبحر اليمن والخليج الفارسي
بحر فارس (إلى قرب مدين راجعاً في المشرق على الحجر إلى جبل طيء
ممتداً على ظهر البهامة إلى بحر فارس فمن الحجاز) (٥٤) فالطريق الواصل
من مدينّين إلى الحجر أسفل الجبال ، والذي يكون الحدّ الشماليّ للسهل
الساحليّ للحجاز يمرّ بشغّب وبدّا ، وهذا يشرح لنا نص الكري الذي
يحدد به الحد الشماليّ للحجاز : (وحد الحجاز الأول بطن نخلٍ وأعلى رُمّة
وظهر حرة ليلي والثاني مما يلي الشام شغّب وبدّا . والثالث مما يلي بهامة بدر
والسقيّا ورُهاط وعُكاظ - والرابع مما يلي (...) سابة وودّان (٥٥) .

وطريق الحاج المصري يفصل لنا هذا الخط أكثر من ذلك . فنازل
الحجة تمر بالنقط الرئيسية في هذا الحد ، وهي كما يذكرها ابن رسته وابن
خرداذبه وقدامة تتكون من المراحل الآتية : مدينّين - الأغراء - منزل -
الكلابة - شغّب - بدّا - السرحتين - البيضاء - وادي القرى .

واليعقوبي الذي يذكر منازل هذا الطريق بشيء من الاختصار قد
حفظ لنا - من حسن الخط - اسم هذا المنزل المجهول لدى أصحاب التحديد
الأول . فهو يقول من مدينّين إلى منزل يقال له أغراء ثم إلى قالس ثم شغّب
ثم بدّا ثم السقيّا . فهذا المنزل المجهول هو قالس . والبيضاء للذه المذكورة
قبل وادي القرى هي إحدى منازل الحجر .

وأما في الشعبة الوسطى فإن حدود الحجاز تمتد إلى الشمال بعد النقطة
التي تقع على محاذة (مدينّين) فتبوك تقع على محاذة مدينّين (ومدينّين على بحر
القلزم محاذية لتبوك على نحو ست مراحل) (٥٦) والحدود بين الحجاز والشام
تقع إلى الشمال منها . فابن حوقل نفسه - والاصطخري كذلك حين يذكران
تبوك يقولان : (وتبوك بين الحجر وبين أول الشام على أربع مراحل
في نحو نصف طريق الشام وهي حصن) (٥٧) . فتبوك بينها وبين أول الشام

أربع مراحل . فإذا كانت في محاذاة مَدْيَنَ فحدود الحجاز تمتد إذن في
الشعبة الوسطى — إلى الشمال — مقدار أربع مراحل شمال أبعد نقطة في
حدود الشعبة الغربية .

والقول كثيرة في اعتبار حدود الشام فيما وراء تبوك واعتبار تبوك
من الحجاز : (وحد الشام ما وراء تبوك وتبوك من الحجاز) (٥٨) .

والطرف النهائي لهذه الشعبة لم تحدده المصادر العربية تماماً ، وذلك
لأن الطريق فيما بعد تبوك في الشام يكاد يكون قفراً أو تكاد تكون منازل
غير واضحة عند الجغرافيين . فهم يذكرون منازل هذا الطريق الذي يسلكه
الحجاج الشامي على النحو الآتي : دمشق — منزل — ذات المنازل — سرغ —
تبوك . وسرغ^(١) هذه تذكر في تاريخ الفتوح الإسلامية فيذكرون أن أباعبيدة
سار بجيش المسلمين إلى سرغ ومن هناك سار إلى الشام . فكان سرغ هذه
كانت في حدود العرب .

وأرى أن النهاية الشمالية للحدود من هذه الناحية كانت إلى الشمال قليلاً
ولكن إلى الشمال الغربي فقد كانت تنتهي في أغلب الأحيان إلى واحة معان .

وأما في الشعبة الشرقية فقد كانت حدود الحجاز تتقدم نحو الشام مسيرة
ثلاثة أيام ، من واحة تيماء ، هذه الواحة التي تقع على الطرف الغربي
لصحراء النفود المسمى عند العرب برمل النهشير^(٢) أو برمل عالح : (وتيماء
حصن عامر بنيته أزلية وهو أعمر من تبوك وبينهما أربع مراحل . وبين
تيماء وأول الشام ثلاثة أيام . وتيماء مياه ونخيل ومنه تمتاز البادية) (٥٩) .

وإذا أردنا أن نعين المنطقة التي تنتهي إليها الحدود من هذه الناحية
فنستطيع أن نضعها في المنطقة التي يقرب بها الطرف الغربي للنفود من

(١) هي المعروفة الآن باسم (المدورة) .

(٢) الهبير : هو الرمل الواقع شرق فيد ، يمر به طريق الحج العراقي من الكوفة وبغداد

(العرب) .

جبل الطَّبِيبُ ، والتي تكاد تفصل وادي السرحان وواحة الجوف (دومة الجندل) عن منطقة تيماء .

والسبب الذي من أجله صارت الحدود الشمالية للحجاز على هذه الصورة نستطيع أن ندركه إذا تنبهنا إلى بعض الاعتبارات . فـجبال حِمْيَ وجبال الشراة تقسم الجزء الشمالي من الحجاز إلى ثلاث مناطق تكاد تكون منفصلة يستقل بعضها عن بعض ، والاعتبارات المختلفة من جغرافية وسياسية واقتصادية قد دفعت نقطة الحدود في كل منطقة منها إلى مدى يختلف في كل واحدة منها عنه في الأخرى .

منذ أوائل القرن العاشر قبل الميلاد تقريباً والتنافس الدولي يدفع إلى السيطرة على ممرات التجارة العالمية في هذه المنطقة . فـسليمان وحليفه الفينيقي حيرام حاولا السيطرة على الطريق البحري الذي يصل بين سواحل اليمن وميناء إيلات - (عصيون جبر بعد ذلك أو إيلة أو العقبة حديثاً) وقد استطاعا كما استطاع من بعدهما يوشافط (٨٤٩/٨٧٣ ق . م) وأمازيه وابنه عزبة (٧٤٠/٧٧٩ ق . م) - وغيرهم أن يسيطروا على هذا الطريق العالمي . وكان على الدول التي خلفت - بعد ذلك - أن تتابع نفس هذه السيطرة على الطريق ، وأن تؤكد هذه السيطرة بكافة الوسائل السياسية والاقتصادية والعسكرية (٦٠) . وفي نفس الوقت كانت ملوك سبأ وخلفائهم من ملوك معين الذين كانوا يتحكمون في التجارة الجنوية لبلاد العرب يحرصون على السيطرة على طريق النقل البري الرئيسي الذي يصل بين الجنوب والشمال بين مأرب في جوف اليمن وبين ديدان (العلا) ومعان في الشمال (٦١) ، وكان على خلفائهم من بعدهم أن يتابعوا هذه السيطرة . وفي الوقت نفسه كذلك كان الآشوريون يحاولون السيطرة على هذه الطرق الرئيسية للتجارة العالمية ونحويلها إلى ناحيتهم ، وذلك بالسيطرة على النقاط المركزية في قلب الجزيرة العربية وربطها بمصالحهم والنفاذ عن طريقها إلى ساحل البحر الأحمر . وكانت دومة الجندل (واحة الجوف) وتيماء والقبائل الضاربة حولهما هدف هذه السيطرة ، ليتحكموا بذلك في طريق

التقل البري والبحري . في عهد بلازر الرابع (٧٤٦-٧٢٧ ق.م) اضطرت الملكة زيببي سيدة دومة الجندل أن تدفع الجزية له وتُعترف بسلطانه . كما اضطرت كذلك - في عام ٧٣٢ ق.م - الملكة شمشي ملكة إحدى الواحات المجاورة أن تعترف بسلطانه وأن تقبل في وادئها مقيماً سياسياً من قبله ، ولكنها حين حاولت أن تنحرف إلى عدوه شردها فاضطرت القبائل الساكنة في تيماء وما حولها أن تدفع له الجزية مباشرة (٦٢) . وقد تابع البابليون بعد ذلك ومن بعدهم الفرس - نفس هذه السياسة . غير أن ميدان سيطرتهم ونفوذهم كان إلى الجنوب من المنطقة السابقة وذلك لأن مملكتهم كانت تقع إلى الجنوب بالنسبة للمملكة الآشورية فكان طريق سيطرتهم يقع إلى الجنوب من صحراء النفود فاعتمدوا على قبيلة طي ثم على كندة بعد ذلك (٦٣) .

وطبيعة هذه المنطقة الجغرافية كانت تلعب دوراً هاماً في حفظ التوازن والمنافسة بين هذه القوى الثلاث المتطاحنة ، فجبال حسمى والشرارة تفصل الساحل عن الأخدود الرئيسي الأوسط الذي يشغله الطريق البري الرئيسي بين الجنوب والشمال ، ومناطق الحرة الوعرة حرة الرجاء ويلي وخيبر تفصل خط الواحات (تيماء - فدك - خيبر) عن الطريق الرئيسي الأوسط ، وتلتحق هذه الواحات بإقليم البادية ونجد .

حقاً إن هذه الطريق تكاد تقع تحت رحمة منطقة مركزية في الجنوب تستطيع التحكم فيها . وهذه المنطقة هي منطقة المدينة ، أو منطقة قرح التي تقع شمالها قليلاً (وادي القرى) ، أو منطقة الحجر أو واحة ديدان العلا القريبتان منها . فوادي إضم - الذي ينحدر من حرة خيبر غرباً (١) ثم يتجه إلى الجنوب والجنوب الغربي حتى يصل إلى المدينة ويتجه بعد

(١) وادي إضم لا ينحدر من حرة خيبر الواقعة في الشمال الشرق من المدينة ، بل هو مجمع أودية المدينة التي تأتي من الجنوب ومن الشرق بالنسبة للمدينة ، من سلسلة جبال الحجاز مثل ورقان وما حوله ، ومن سيول جرة بني سليم المنحدرة من شررها ، ومن الحرار والجبال الواقعة بقربها ، المحيطة بالمدينة ، وليس منها حرة خيبر (العرب)

ذلك إلى الشمال حتى واحة ديدان ثم ينحدر صوب الغرب فيصب في البحر الأحمر عند الوجه (قريباً من ميناء العريند) والذي يعرف الآن بوادي الحمض - يمكن من السيطرة على الطرق الثلاثة . فواحة ديدان - تسيطر على طريق النقل الرئيسي وهو الطريق الأوسط والشعبة الغربية لوادي إضم تمكن من السيطرة على إقليم الساحل وموانيه حتى مدين . والشعبة الشرقية منه تمكن من السيطرة على خيبر ثم بعد ذلك على فدك وتيماء . وقد تستطيع القوة التي تسيطر على واحة ديدان (العلا) أن تدفع سيطرتها أبعد من ذلك حتى معان ، فتتخذ منها مركزاً تسيطر به على النهايات الشمالية لهذه الطرق فتستطيع من معان التحكم في الطريق الغربي وذلك بالسيطرة على إيلات (أيلة أو العقبة) إذ يمكن الوصول إليها بواسطة الطريق الذي يربط بينهما خلال وادي اليم^(١) والذي يمر بجبل معبر (الجزء الشمالي من السراة) . كما تستطيع السيطرة على طريق تيماء بالتحكم في دومة الجندل - خلال الطريق الواصل بينهما شمال جبل الطبيق وشمال الحرات على الطرف الجنوبي للبلقاء أو بادية الشام . وبذلك ينتقل خط الحدود الفاصل بين الحجاز والشام إلى الخط الواصل من أيلة إلى معان إلى دومة الجندل ، والذي يمتد طرفه الغربي إلى البحر وطرفه الشرقي إلى النفود . ولكن طبيعة هذه المنطقة لا تجعل مثل هذه السيطرة أمراً سهلاً . فهذه الجبال الوعرة التي يصعب فيها الاتصال قد حالت دون تماسك هذه المنطقة وجعلتها مسرحاً لقبائل أو لشعوب صغيرة يعيش بعضها في عزلة وفي نزاع مستمر مع البعض الآخر . ففيها كان العمونيون والمؤابيون ، وأهل أدوم وسعير ، وثمود وأصحاب مدين ، والأنباط وسكان طور بعل وغيرهم من أمثال هذه الأقليات المستقلة المتعادية . فتنتج عن ذلك تفكك هذا الإقليم وظهور المدن أو المقاطعات التي تعيش في حماية الحصون ، وكان المظهر الوحيد للتعاون بين مدن هذه المنطقة مقصوراً على اتصال كل مدينة

(١) هو المعروف قديماً باسم (الأثم) ورد في شعر النابغة الذبياني وغيره أنظر كتاب « شمال المملكة » .

أو منطقة في الطريق الداخلي الرئيسي بنقطة تقع في حداثها على الساحل لتكون بمثابة حصن لها . أو على العكس من ذلك كان مقصوداً على اتصال حصون الساحل بنقط مركزية في الطريق الداخلي لتموين هذه الحصون وتصريف تجارتها في داخل الجزيرة . فكانت كل مدينة مع فرضتها على الساحل أو كل حصن ساحلي مع نقطة ارتكازه في الإقليم الداخلي تُكوّن وحدةً متماسكة مستقلة يقوم وجودها على حساب غيرها من هذه الوحدات (٦٤) .

ونستطيع أن نزيد ذلك وضوحاً باستعراض هذه الصلات . فقد اتصلت معان بأيلات خلال وادي اليم ، واتصلت سلع (بتر) بأيلة (إيلات أو العقبة) خلال وادي العربية ، واتصلت تبوك بمدين (واحة البدع الآن) عن طريق ممر شتار - المار بالسفح الجنوبي لجبل الشراة بين البلقاء والمدينة - ، واتصل إقليم قرح أو وادي القرى والحجر وما يتصل به من واحة ديدان (العلا) وشغب وبدآ (بدا يعقوب) والسقيّا (سقيا يزيد) - بالعونيد (العونيد على الخرائط الحديثة) أو بالوجه خلال وادي الحمض ، واتصل إقليم خيبر - وما يتصل به من المروة (ذي المروة) وفدك - بالخوراء (هي ميناء القديمة كما يرى شبرنجير) ، واتصلت المدينة بالجار ، واتصل حصن ينبع الساحلي بالمدينة كذلك .

ونظام القبائل في هذه المنطقة قد يزيدنا وضوحاً في فهم طبيعتها وتبين الحدود البشرية والاجتماعية فيها . فالقبائل العربية في هذه المنطقة ترجع إلى نظم أربعة ثلاثة منها قحطانية وواحد عدناني .

أما أول هذه النظم فالنسب الذي يرجع إلى الأزد من قبائل اليمن ويضم الأزد وخزاعة وبجيلة والأوس والخزرج ثم غسان ، وهذه القبائل امتدت ديارها على طول ساحل البحر الأحمر من شمال الحجاز ، وكانت تسيطر على طريقي النقل الرئيسيين بين الجنوب والشمال الطريق البحري ، والطريق البري ، فكان بعضها يسكن تهامة والساحل والبعض الآخر

يسكن في الداخل على طول الطريق الذي يخترق سلسلة السراة والحجاز
والسراة .

وكانت هذه القبائل تعمل في النقل البري والبحري للتجارة في الوقت
الذي كان يسيطر السبثيون والمعينيون على التجارة العالمية في الجزيرة
العربية . ولا يفوتنا أن نبه إلى أن الأزد هم بحارة العرب الذين كانوا
يعيرون بهذه المهنة بين القبائل العربية ، وكانوا يجوبون البحر الأحمر
وبحر اليمن والخليج الفارسي .

وأما النظام الثاني فهو النسب العدناني الذي يرجع إلى اسماعيل والذي
كانت تسكن قبائله في أول الأمر سلسلة الحرات وأطرافها الشرقية التي
تمتد من الشمال إلى الجنوب من دومة الجندل تقريباً إلى حرة بني عقيل (١)
المعروفة بسراة فهم وعدوان الواقعة جنوب الطائف بين سراة ثقيف
وسراة شؤة أو الأزد ، والتي كانت ديارهم تقع إلى الشرق من ديار
قبائل الجنوب التي ذكرناها في النظام السابق .

والمصادر اليهودية تذكر أولاد اسماعيل على أنهم هم أدوم وعلى أنهم
كانوا في وادي فاران . أما أدوم فإنها دومة الجندل كما حقق ذلك موزل
وأما فاران فهو معدن فاران الذي يقع في حرة بني سليم وهو أحد المعدنين
القديمين المشهورين بديار العرب . أحدهما فاران هذا ، والآخر عقيق
بني عقيل في حرتهم (٢) والذي يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم
« مطرت أرض عقيل ذهباً » (٦٥) . فأرض أولاد اسماعيل هي إقليم
الحرثات شرقي سلسلة الجبال وهو المشهور بالذهب . والشعر العربي يصف
مضر بأنهاء مضر الحمراء (٦٦) ويقولون في تفسير ذلك : إنه نسبة إلى
الذهب فهذا التفسير له معناه . يقولون : إنه نسبة إلى الأديم الأحمر الذي

(١) لا ذكر لحرة بني عقيل هذه فيما أطلعنا عليه من المؤلفات القديمة . (وفوق كل ذي علم
علم) مع ملاحظة الفرق بين الحرة والسراة ، وسراة فهم وعدوان معروفة (العرب)
(٢) عقيق بني عقيل - هو وادي الدواسر الآن - ولا يقع في حرة ، بل في سهل واسع من
الأرض .

اتخذ منه خيمتهم الحمراء ، وهذا له معناه كذلك ، فكلمة أدوم معناها في اللغة العبرية الحمرية والبحر الأحمر كان يسمى بحر أدوم ، فترجم ذلك بالأحمر (٦٧) فلعل هناك صلة بين صفة الحمرية في مضر وبين نسبة الحمرية إلى واحة أدوم . وأما العمل الرئيسي لقبائل هذا النظام الثاني فكان رعي الإبل وتاجها في منطقة الحرات وما سال منها شرقاً ، وكانت هذه الإبل تعد لنقل متاجر الجنوبيين .

وأما النظام الثالث فهو نسب القبائل التي تنتمي إلى قضاة من قبائل الجنوب ويشمل قبائل كلب وبني سليح وتثوخ وجرم وراسب وبهراء وبلي ومهرة وعذرة وجهينة ونهد . وهذه القبائل تسكن المنطقة التي تقع بين ساحل البحر الأحمر وبين طريق النقل الداخلي وإلى الشرق منه قليلاً في بعض إقليم الحرات في المنطقة الواقعة بين أبلة شمالاً والوجه جنوباً . وفرع من هذه القبائل يسكن دومة الجندل والحيرة . فهذه القبائل كانت تمتد في منطقة أشبه بحزام أو شريط يصل فيما بين الحيرة والخليج الفارسي وبين منطقة أبلة ومدين على البحر الأحمر . وكانت هذه القبائل تسيطر على طريق التجارة الواصل بين منطقة الفرات والخليج الفارسي وبين منطقة خليج العقبة والشام . كانت هذه القبائل متعاونة أول الأمر مع قبائل الأزدي التي تسيطر على الطريق من الجنوب إلى الشمال - ويشيرون في ذلك بإشارة لها معناها فيقولون : إن زعيماً من الأزدي أتى البحرين فالتقى هناك بزعيم من قضاة فتحالفا على التعاون فسموا تنوخاً . ولكن هذه القبائل بعد ظهور الأشوريين على مسرح الحياة العالمية اضطرت للخضوع للأشوريين . وما تجدر ملاحظته أنه كان على رأس هذه القبائل ملوكات من أمثال زيبى وشمسي كُنَّ إله جوار ذلك كاهنات القبيلة . ومن بين هذه القبائل كذلك قبيلة عذرة التي اشتهرت في الأدب العربي بالهوى العذري . وإذا لاحظنا أن عبادة « أشتار » (١) القديمة التي كانت معروفة عند الساميين كانت تدور حول الحب . وتهدف إلى قهر الموت والفناء عن طريق الحب

(١) هو مشتري .

أمكننا أن نثبن مقدار تأثير هذه القبائل بالحياة الأثورية وبالنظام الاجتماعي الأثوري (٦٨) .

وأما النظام الرابع فهو النسب الذي ينتهي إلى كهلان من قبائل اليمن والذي يدخل فيه لحم وكندة وطيّ وعاملة وجذام . وكانت ديار هذه القبائل تمتد من الخليج الفارسي والفرات شرقاً إلى البحر الأحمر غرباً قريباً من إقليم مدّين . وكانت ديار هذه القبائل تقع على الحملة جنوب ديار القبائل السابقة يفصل بينهما النفود الشمالي ، فكانت ديارهما تشتركان في المنطقة الشمالية للحجاز . ولعل هذا الفرع لم يظهر إلا في وقت متأخر حين بدأ النزاع بين الأثوريين والبابليين . فالأثوريون يحاولون السيطرة على الطريق التجاري بمجموعة القبائل التي ترجع إلى قضاة والبابليون يحاولون ذلك بالمجموعة التي تسكن جنوب المجموعة السابقة وترجع إلى كهلان . وقد اعتمد الفرس على قبائل هذا النوع الثاني فيما بعد ذلك ، إذ اعتمدوا على ملوك الحيرة وكندة .

فالمطقة الشمالية للحجاز هي هذا الإقليم الذي كانت تختلط فيه النظم الأربعة السابقة من أسباب الجزيرة العربية . وإن كان هذا التحديد سيخرج المنطقة التي تقع فيها تيماء - والتي كانت منطقة معزولة - من الإقليم الشمالي للحجاز وقد يكون ذلك أصح وأجدر بالاعتبار ، فإقليم تيماء يتصل ببادية نجد أكثر مما يتصل بإقليم الحرات في الحجاز فجبل الطبق وبادية السماوة تفصله عن إقليم الحجاز وبعض الجغرافيين يعتبره من إقليم بادية الجزيرة وبرة خساف لاتصاله بدومة الجندل وتدمر .

الحد بين الحجاز ونجد :

يتكون الحد الشرقي لإقليم الحجاز من سلسلة مناطق متتابعة يتلو بعضها بعضاً ، من الشمال إلى الجنوب ، وتأخذ كلما هبطنا نحو الجنوب في الاتساع والانبعاج نحو الشرق حتى يبلغ ذلك أقصاه عند الوسط تقريباً ثم تعود بعد ذلك فتضيق ويأخذ طرفاها في التجمع والاتصاق الواحد منهما

إلى الآخر حتى تبلغ أقصى الجنوب ، فتكون هناك أضيق ما نجدها . وهذه السلسلة من المناطق التي تؤكد أمتاؤها وأعلامها وجودها المستقل المتميز - ترسم لنا بواسطة حدودها الشرقية أو الغربية خطاً الحدود بين الحجاز ونجد وذلك تبعاً للاختلاف من حيث اعتبارها في إقليم نجد أو إقليم الحجاز ، وهذه المناطق على الترتيب من الشمال إلى الجنوب : منطقة القرى - الحجاب - الجبلنس - نجد العليا - أرض العالية - تثليث .

منطقة القرى :

هذه المنطقة هي المنطقة الشمالية والشمالية الشرقية من إقليم الحجاز . وكان لها خصائصها المستقلة التي ميزتها عن غيرها ، وأفردها بالتسمية التي عرفت بها وهذه المنطقة هي التي تقع فيها واحات نخيبر وفدك والسواريقة وأمثالها . والأصمعي يؤكد لنا هذا التمايز في نصه الذي يقول فيه : (ومادون الرمل (النفود) إلى الريف من العراق ، يقال له العراق . وقري عريّة كل قرية في أرض العرب نحو خيبر وفدك والسواريقة وما أشبه ذلك) (٦٩) والمغيرة بن عبد الرحمن في تحديده لبلاد العرب يقول : (جزيرة العرب مكة والمدينة واليمن وقرباتها (٧٠) . وهذه المنطقة وإن كانت تتصل بوادي القرى^(١) إلا أنها تستقل عنه في خصائصها . وهي منطقة تقع في وسط الحرات الوعرة قائمة في شبه عزلة واستقلال ، ولما كان طريق الوصول إليها هو عن طريق الجنوب الشرقي من وادي القرى أو من وادي خيبر فاعتبرت هذه المنطقة من الحجاز . وتلامس هذه المنطقة عند حافتها الشمالية والشمالية الشرقية حدود نجد أو حدود البادية . وفي شمالها الغربي تقع المنطقة المنخفضة التي تفصل بينها وبين تبوك والتي تعتبر منها منطقة المحتطب ، وذلك يتم الإقليم الفاصل المحيط بها من الشمال الغربي والشمال والشرق والذي يفصل بين نجد وشمال الحجاز .

فالحدود بين نجد والحجاز في هذه المنطقة تبدأ من منطقة المحتطب

(١) (قرى عربية) انظر عنها مجلة « العرب » ص ٢ ص ٧٦٩ و ص ٤ ص ٨٩٨٣

هذه ، وتنتج إلى الشرق والجنوب الشرقي أسفل منطقة الحرات التي تقع عليها فذلك وخير والسوارقية حتى تتصل برمل التهبير^(١) أو عالج (النفود) وهي بهذا تفصل بين تيماء التي تقع إلى الشمال عند الطرف الغربي للنفود وبين إقليم الحرات . فتيماء من بادية نجد : (ومنها تمتاز البادية كما يقولون (٧١) .

وإقليم الحرات من الحجاز ، وما يجدر ملاحظته أن منطقة المحتطب هذه ينبت فيها الغضا وقد اعتبر ابن الفقيه ظهور هذا النبات علامة لتمييز نجد عن الحجاز فهو كما يرى لا ينبت إلا في نجد : (وقد قيل : فرق ما بين الحجاز ونجد أنه ليس بالحجاز غصاً فما أنبت الغضا فهو نجد وما أنبت الطلح والسمر والأسل - وواحدته أسلة - فهو الحجاز (٧٢) .

الجناب :

ويقع شمال أرض فزارة - ذيبان - وجنوب أرض كلب : (فإن جاوزت بلاد بني فزارة إلى أرض كلب فأنت بالجناب^(٢)) والأصمعي يؤكد لنا وضع هذا الإقليم بين غطفان وكتب : (والجناب ما بين غطفان وكتب) (٧٣) فإذا تجاوزت بلاد فزارة فأنت بالجناب إلى أرض كلب (٧٤) فالجناب يقع في منطقة الحرات الشمالية^(٣) التي تكون الجهة الشمالية لإقليم الحجاز والتي تقع نجد والبادية أسفل منها . وهذه الحرات هي : الحرة الرجلاء . حرة راهص . حرة راجل . حرة كيلتي . وحررة الرجلا هذه في ديار بني القين : (الحرة الرجلاء وهو علم لحرة في ديار بني القين بن جسر ، بن المدينة والشام وحررة راجل في بلاد بني عبس . وحررة راهص

(١) رمل الهبير يقع وسط النفود شرق فيد على طريق حجاج العراق ، والكتاب يقصد الطرف الغربي من النفود الواقع شرق تيماء بقربها .

(٢) الجناب - بكسر الجيم - هو ما يعرف الآن باسم الجهراء - انظر كتاب « في شمال شرق الجزيرة » .

(٣) لا يقع في الحرات بل في الطرف الشمال الشرقي من حرة خيبر وحررة ليل (أثنان) شرق للمسد صد عذرة - وهو الأكام والجهال الواقعة شرق الملا .

هي في ديار قزارة . وحرّة ليلي لبني مرة بن عوف من ذبيان (٧٥) وتكون هذه الحرات الجهة الشمالية لمنطقة المجلس (١) .

وكان يسكن بالجَناب هذا قبائل 'عذرة وبلي' «والجَناب أرض عذرة وبلي» (٧٦) وكان بين إقليم الجنوب وبين تيماء في المنطقة التي تكاد تقع على حدود البادية حصن السمّول ، وبين جناب وتيماء حصن الأيلق القرد الذي كان ينزله السمّول (٧٧) .

الجلس :

إذا تصورنا الحجاز 'شجيرة' قريبة من الأرض لها جذر طويل ضارب فيها ، ولها جذع قصير تعلوه مجموعة كثيفة من الأغصان قد عمِلَ 'التقليم' والقَصُّ في الجانب الأيسر منها فقصر عن الجانب الأيمن ، كانت هذه الأغصان هي إقليم المجلس ، وكان ساحل البحر الأحمر هو المقصُّ الذي جار على جانبها الأيسر وكانت أغصان جانبها الأيمن هي الإقليم الممتد شرقاً وشمالاً حتى 'جبلي طيء' . وكان رأس هذه الشجيرة هو إقليم الحرات الشمالية ، وكانت نقطة اتصال أغصانها بجذعها عند منتصف الطريق بين مكة والمدينة وإن كانت إلى مكة أقرب منها إلى المدينة . أما جذعها فهو جبال الحجاز وأما جذرها الطويل فهو جبال السراة .

فالجُلُس كما يحدده لنا ابن الكلبي ما بين الجُحفة و'جبلي طيء' و'يَعْدُ' المدينة منه . قال : (والجلس ما بين الجحفة إلى جبلي طيء والمدينة جلسة (٧٨) ويذهب إلى هذا التحديد أيضاً 'عَرَام بن الأصمغ' ويزيده وضوحاً بتعداد بعض الأماكن التي تدخل فيه : (الجلس ما بين الجحفة إلى جبلي طيء . والمدينة جلسة وأعمال فدك ، وخيبر ووادي القرى والمروة والجار والقرع) والبكري يستكمل لنا توضيح هذه الحدود من الجنوب ثم من

(١) أوفى وصف وتحديد للحرات في كتاب «أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع» .

الشرق فيقول : (المجلس ما ولي بلاد هذيل) ويقول : (وبلاد اسيد المجلس ^(١)) والقنان وأبان الأبيض وأبان الأسود إلى الرمة) .

والحففة هذه - وهي النقطة التي يبدأ عندها إقليم المجلس - منزل من منازل الحاج بن مكة والمدينة بينها وبين المدينة ١٧٣ ميلا وبينها وبين مكة ١٠٣ ميلا وهي قرية من ساحل البحر الأحمر تبعد عنه بمقدار ثمانية أميال فقط ، وهـ وفق حساب الهمداني تقع على خط ١٠ ، ٢٢ من خطوط العرض ^(٢) .

وجبلا طيء هما أجا وسلمى يقعان على خط عرض ٢٧ تقريباً على يسار الطريق الواصل من الحجاز إلى الكوفة على مسافة ٤٠٣ ميلا من مكة ٢٤٧ ميلا من المدينة .

ولما كانت الحففة تقع على خط ساحل البحر لا تبعد عنه إلا بمقدار ثمانية أميال فقط ، ولما كان الجار فرضة المدينة على ساحل البحر قد عدّه عرام ابن الأصبح من إقليم المجلس فإقليم المجلس يضم جزءاً من تهامة أو الغور وهو يمتد من الحففة جنوباً مشرقاً على ساحل البحر إلى ما يحاذي أجا وسلمى وخير فلك .

وإذا كان جزء من المجلس من قسمه الغربي يقع في إقليم تهامة فهل يقع قسمه الشرقي جميعه في إقليم الحجاز ، أو أن طرفاً منه يقع في إقليم نجد ؟

البكري ^١ يحدد لنا حدود الحجاز من هذه الناحية فيقول : (ومن المدينة إلى طريق الكوفة إلى الرمة حجاز ، وما وراء ذلك نجد إلى أن تُشَارِفَ

(١) المجلس هنا تصحيف المجلس - وهذا جبل يقرب القنان وأبان وهو في القصيم في نجد ، وليس معلوماً من المجلس لا هو ولا القنان ولا أبان « العرب » .

(٢) الحففة لا تزال معروفة في الجنوب الشرقي من بلدة رابغ .

أرض العراق . ومن طريق البصرة إلى بطن نخل^(١) حجاز ، وما وراء ذلك نجد إلى أن تُشارف البصرة . وما بين المدينة إلى طريق صنعاء إذا سلك على معدن بني سليم حجاز إلى النجرّد إلى نجران إلى صنعاء . ومن المدينة إلى بطن نخل إلى شباك ابن عليشة حجاز إلى الرّبذة . وما وراء ذلك إلى الشرف إلى أضناخ وضريّة والجمامة نجد (٧٨) .

وبطن نخل على الطريق من المدينة إلى الكوفة وهي تقع في شرق المدينة في محاذاتها مع ميل إلى الشمال مقداره درجة تقريباً وهي تبعد عن المدينة بمقدار ٤٩ ميلاً (عرض بطن نخل ٢٥٠ وعرض المدينة ٢٤٠ تقريباً . وفق حساب المهداني) .

والربذة^(٢) على الطريق من مكة إلى الكوفة على بعد ٢٠٠ ميل من مكة ، ٥٨ ميلاً من معدن النقرة ، وهي مجمع طريقي مكة والمدينة الذاهبين إلى الكوفة . والربذة بين معدن النقرة ومكة . وعرض الربذة ٢٥ .

ومعدن النقرة^(٣) وهي مجمع الطريقتين تقع بين الحجاز وبين قيد، وبينها وبين قيد ١١٩ ميلاً وبينها وبين مكة ٢٥٨ ميلاً وبين المدينة ١٢٨ ميلاً وهي على عرض ٢٦ . وبطن نخل تبعد عنها بمقدار ٧٩ ميلاً .

ومعدن بني سليم^(٤) على الطريق من مكة إلى الكوفة بينها وبين مكة ١٦٠ ميلاً وبينها وبين معدن النقرة ١٢٤ ميلاً ، والربذة في منتصف تقريباً بين معدن النقرة ومعدن بني سليم فبين الربذة ومعدن النقرة ٥٨ ميلاً وبين الربذة ومعدن بني سليم ٦٦ ميلاً . ومعدن بني سليم على عرض ٣٠/٢٣ .

وطريق البصرة (من البصرة إلى مكة) يقع إلى الشرق والجنوب قليلاً

(١) نخل هو ما يعرف الآن باسم (الحناكية) « العرب »

(٢) انظر عن تحديد الربذة « العرب » ص ١ ص ٤١٨-٢٢٤ و ص ١٠ ص ١٠٤-١١٦ ص ١١٦

(٣) معدن النقرة لا يزال معروفاً يقع على الطريق بين القسم وبين المدينة قبل الحناكية

والنقرة الآن بلدة مسكونة « العرب » .

(٤) معدن بني سليم هو مهد الذهب الآن بلدة مروفة .

من طريق الكوفة (من الكوفة إلى مكة) والمسافة الواقعة بين الطريقين هي مسيرة ثلاث مراحل وهي المسافة الواقعة بين معدن النقرة في طريق النباج^(١) في طريق البصرة . ثم تأخذ المسافة بعد ذلك في الضيق حتى يلتقي الطريقان عند ذات عرق^(٢) ، ميقات أهل العراق .

فالبكريّ يصور لنا القسم الشرقي من الحجاز مُثلثاً تستند قاعدته إلى وادي الرُمة شمال المدينة ، وضلعه هو الخط الواصل بين المدينة ومكة ، ووتره يتكون من عدة انكسارات فتبدأ النقطة الأولى عند التقاء الرمة بطريق الكوفة ، ويسير هذا الوتر حتى الريدة . ومن الريدة إلى معدن بني سليم ثم الطائف ، يضاف إلى ذلك منطقة أخرى تقع بين بطن نخل إلى طريق البصرة .

فحدود الحجاز وفق هذا التحديد تنتهي في الشمال عند إلتقاء الرمة بطريق الكوفة أي في ثلثي الطريق بين المدينة وجبلى طيء تقريباً .

وإذا أخذنا في ذلك بتحديد عَرَّام بين الأصبع الذي يجعل حدّ الحجاز : (من معدن النقرة إلى المدينة) فتنتهي هذه الحدود كذلك قبل أن تصل إلى جبل طيء بمسافة طويلة تقارب مئة ميل : وديار بني أسد التي تقع في المجلس^(٣) تقع في هذا الجزء الذي يخرج عن حدود الحجاز . وما ولي ديار هذيل الذي يقع في المجلس هو ديار سُليّمْ وهَوَازَن وهي تقع في حدّ الحجاز هذا . .

ولما كان جزء كبير من شمال المجلس يقع خارج حدود الحجاز فقد دفع ذلك قوماً إلى اعتباره من نجد، وبمساعدهم في ذلك أن الحجاز عندهم

(١) النباج شرق القصيم منه ، ويعرف الآن باسم (الأسياح) وهذا نباج بني علفر وهناك نباجان غيره .

(٢) ذات عرق تعرف الآن باسم الضريبة - بفتح الضاد وكسر الراء .

(٣) ديار بني أسد تقع في نجد ، لا في المجلس ، وكلمة (المجلس) ، هنا تصحيف (المجلس) وهو جبل يقرب القنان ، شمال أبان .

حجازان الحجاز الأسود وهو سراة شنوءة أو الحجاز ، والحجاز الآخر هو حجاز المدينة وبعضهم لا يعتبره من الحجاز إذ يعتبر نهاية الحجاز عند العرج (٧٩) في الطريق بين مكة والمدينة . وهي تبعد عن المدينة بمقدار ٨٥ ميلا وعرضها ٢٣ : (وكذلك إذا تصوَّبت في ثنايا العرج إلى أقصى بلاد بني فزارة أنت مُتهمٌ فإن جاوزت بلاد بني فزارة إلى أرض كلب فأنت بالجناب) (٨٠) ولذلك اعتبروا المدينة من تهامة . واعتبر بعضهم المجلس نجداً لإقليم الغور خاصة : (فمعنى تهامة والغور واحد ومعنى حجاز وجلس واحد هكذا ذكر الزبير بن بكار عن عمه وقال غيره : معنى حجاز وجلس ونجد واحد) : (والمجلس علم لكل ما ارتفع من الغور في بلاد نجد) (٨١) .

فالمجلس فيما يبدو إقليم قائم بذاته ، يقع في شمال الحجاز الأسود . وجزء منه من الغور وهو الجزء المرتفع من الساحل ، وجزء منه من نجد وهو امتداد حرّات خيبر وليّلى نحو الشرق ، وجزء ثالث منه من حجاز المدينة الذي عرف فيما بعد مع الحجاز الآخر باسم الحجاز فقط .

وحدود الحجاز الشرقية في إقليم المجلس هذا تقع عند التقاء طريق العراق بوادي الرمة ، عند الخط الفاصل بين الربذة والشرف وهو ما يسميه البكري بحجاز الأول : (وحد الحجاز الأول بطن نخل وأعلى رمة وظهر حرة ليلي) (٨١) .

نجد العليا :

ونجد نجدانٍ علَيّا وسُفليّ : (ويقال في نجد العليا النجد وفي السفلي أرض نجد (٨٢) والنجد أو نجد العليا هي أدنى النجدين إلى الحجاز ، والسراة تمتد من الشمال إلى الجنوب في شرقي سلسلة الحرات الوسطى . (وقال أبو منصور : حرة ليلي وحرة شوران وحرة بني سليم في عالية نجد (٨٣) وحرة ليلى في شمال خيبر وشرقيها . وحرة شوران في شرقي وادي العقيق وفي شرقي المدينة : (قال عَرّام عبر جبل المدينة جبلانٍ أحمران عن يمينك

وأنت بطن العقيق تريد مكة وعن يسارك شوران) وحرّة بني سليم أو حرّة
النار في منازلهم حول معدن بني سليم .

والفاصل ما بين الحجاز ونجد هو هذه الحرات فما سال منها نحو المشرق
والشمال الشرقي فهو من نجد ، وما سال منها نحو المغرب فهو من الحجاز
(وقال 'عمارة بن عقيل : ما سال من الحرّة حرّة بني سليم وحرّة ليلى
فهو الغور ، وما سال من ذات عرق مقبلاً فهو نجد . وحذاء نجد أسافل
الحجاز وهي وجرة والغمرة . وما سال من ذات عرق مولياً إلى المغرب
فهو الحجاز) (٨٤) غير أن عمار يقصر معنى الحجاز في نصه على الحجاز
الأسود خاصة ويطلق لفظ الغور على إقليم المجلس وما ينقله ابن الفقيه
يحدد لنا ذلك في صورة أكثر وضوحاً : (قال جعفر : أودية نجد تسيل
مشرقة وأودية تهامة تسيل مغربة) (٨٥) .

فالمنطقة شمال وجرة والغمرة التي يعتبرها عمارة بن عقيل من الغور
أو أسافل الحجاز هي منطقة المجلس (الغمرة على عرض ٢٢ وهو عرض
الحففة وبينها وبين مكة ٧٣ ميلاً) وقد بينا أن القسم الشرقي من منطقة
المجلس أو ما سال من بطن الرمة شرقاً أو ما سال من حرّة ليلى وخيبر شرقاً
فهو نجد . وما سال من حرّة شوران شرقاً فهو نجد . ويقع ذلك عند اتصال
المجلس بنجد في هذه المنطقة قريباً من الربذة . وما سال من حرّة 'سليم شرقاً
فهو نجد كذلك ، وحدّه جبل حَضْن الذي قالوا فيه : إنّ من رأى حَضْناً
فقد أنجد (حَضْن جبل بالعالية مشرف على السّي إلى جانب ديار 'سليم
وهو أشهر جبال نجد) فحَضْن هو الحد بين إقليم الحرّة وبين نجد .

والجغرافيون الذين اتخذوا ساحل البحر أساساً لتحديد الأقسام الداخلية
للجزيرة يضعون نجداً في المنطقة الواقعة شمال المدينة فتكون الحدود بين نجد
والحجاز هي من ناحية الشمال فحسب ، ولعلهم قد أضافوا التمامة إلى أعمال
المدينة ، كما كان الحال في عهد الأمويين ، فتكون الحدود بين نجد والحجاز
هي إقليم حرّة خيبر ، ومنطقة جبل طي إلى أن تتصل برمل الهبيرة (النفود)

ومن ذهب إلى هذا التقسيم ابن حوقل والاصطخري : (وما كان من البامة إلى قرب المدينة راجعا على بادية البصرة حتى يمتد على البحرين فمن نجد) (٨٦)

أرض العالية - أو العروض :

وأرض العالية التي تقع إلى الجنوب من نجد العليا وإلى الشرق من الحجاز كانت تعرف بالعروض أو الأعراض ، وهي المنطقة المشتركة بين نجد والحجاز وتمتد مساحتها شرقا حتى البامة والبحرين وجنوبا حتى اليمن . وابن الكلبي يميزها ويرسم لنا حدودها في نصه الذي يقول فيه : (وأرض العالية والبحرين إلى عمان من العروض) (٨٧) ويذهب إلى ذلك أيضا أبو اسحق الحرابي فيقول : (وأخرج عمر بن الخطاب اليهود والنصارى من جزيرة العرب إلا أنه لم يخرجهم من نجران ولا البامة والبحرين فسميت العروض) (٨٨) فهذه المنطقة كانت منطقة واحدة متميزة تقع بين الحجاز ونجد واليمن والخليج الفارسي .

والجزء الغربي من هذه المنطقة الذي يقع بين جبال السراة ورمال الربع الخالي المعروفة برملة بني سعد ، أو رملة يبرين ، وإن كان هو - في حقيقة الأمر الطريق البري الوحيد الموصل بين اليمن وبين البامة ثم إلى البحرين وثمان أوبين ثامة والحجاز وبين هذه المناطق - خلال وادي الدواسر الذي يشق منطقة الرمال الفاصلة ^(١) - فإنه على الرغم من ذلك كان منفصلا ومستقلا من الناحية الجغرافية عن هذه المناطق . فإن بحر الرمال كان يفصله عن البامة والبحرين وثمان ، وإن كانت الصلاة الأخرى الاجتماعية والاقتصادية تربطه بهما .

فالإعبارات الجغرافية تضيف هذا الأقليم إلى الحجاز أو إلى نجد العليا الملاصقة للحجاز . والنصوص تؤكد هذه الإضافة : (والأعراض أيضا قرى بين الحجاز واليمن) (٨٩) وأعراض الحجاز رساتيقه الواحد عرض (٩٠) .

(١) وادي الدواسر لا يشق تلك الرمال بل تحجزه بعد مجاوزة جبل العارض (طويق)

(وأعراض نجد هي ببشة تَرَج ، وثبالة والمراغة وَرَنِيَّة) (٩١) وكلمة نجد المستعملة هنا هي نجد الحجاز أو (أرض - العالية) .

والحسن اللغوي قد تنبه إلى أن منطقة العروض أو الأعراض هذه هي في واقع الأمر منطقتان تفصل بينهما رمالُ الرُّبْع الحلي ، فأكد ذلك الفصل في التسمية فكان يطلق العروض على البامة والبحرين وعمان - وكان يطلق ، اسم الأعراض على القسم الآخر .

والخط الواصل بين حَضَنٍ في الشمال ، وبين جبل تثليث في الجنوب ينطبق على الحافة الغربية لمنطقة الرمال الفاصلة وهي تُكُون الحد بين الحجاز ونجد في هذه المنطقة إذا اعتبرنا هذه الرمال من منطقة نجد .

تهامة :

يطلق على الساحل المحصور بين البحر وجبال السراة أو الحجاز لفظ تهامة أو الغور ، غير أن الأغلب أن يطلق لفظ تهامة على الجزء منه الواقع في حدود اليمن ، فيقال تهامة اليمن ، ويغلب إطلاق لفظ الغور على الجزء الشمالي منه الواقع شمال الحجة ، ويطلق لفظ الغور أو تهامة - بدرجة واحدة من التساوي - على الجزء الأوسط منه الواقع في حيز الحرم حتى الحجة .

وأساس التخصيص في هذه التسمية هو الارتباط بجبال السراة ، فسلسلة السراة التي تنتهي عند ذات عرق ، حيث تحتفي النهاية الشمالية لسراة ثقيب أو - السراة الثالثة - تنهي معها تهامة حيث يلتقي طرفا نجد وتهامة بعد أن اختفى الحجاز الأسود الفاصل بينهما . لذلك كانت ذات عرق فصل مابين تهامة ونجد والحجاز : (وذات عرق فصل مابين تهامة ونجد والحجاز . وقيل لأهل ذات عرض : امتهمون أنتم أم منجدون ؟ فقالوا : لا متهمون ولا منجدون) (٩٢) وكانت الحدود الشمالية لتهامة تقف عند الخط الواصل من ذات عرق هذه إلى البحر : (وأما تهامة فإنها قطعة من اليمن جبال مشبكة أولها مشرف على بحر

القلزم مما يلي غربها . وشرقها بناحية صنعدة وجرش ونجران ، وشمالها خلند
مكة ، وجنوبها من صنعاء على نحو من عشر مراحل (٩٣) - وفي
النقطة التي يَخْتَمُ عندها الحجاز الأسود تبدأ سلسلة حرات الحجاز
التي تتجه إلى الشمال مكونة حجاز المدينة الذي يعلو منطقة المجلس
ابتداء من حد الحففة . ويسير ساحل تهامة موازيا لهذا الحجاز حتى
إذا صادف إقليم الجَلَس مَضَى فيه قليلا إلى نقطة تقع في الشمال والشمال
الشرقي من الحففة حيث يلتقي هناك حجاز المدينة (أو إقليم الحرة) وتهامة
(أو الغور) وإقليم المجلس . وهذه النقطة التي تلتقي عندها الأقاليم الثلاثة
تعرف بالعَرَج : (طول الحجاز من حد العرج إلى السراة) (٩٤) والمنطقة
التي تقع جنوب الحففة هي الغور أو تهامة والمنطقة التي تقع إلى شمال
الحففة على ساحل البحر هي الغور فقط أي غور المجلس : (فصار ما خلف
هذا الجبل في غربيه إلى أسياف البحر من بلاد الأشعرين وعك
وكسانة إلى ذات عرق والحففة وما والاها وصاقبها وغار من أرضها
الغور ، غور تهامة - وتهامة تجمع ذلك كله - وغور الشام لا يدخل في
ذلك ؟ (٩٥) .

ولما كانت العرج نقطة اتصال جبال الحجاز بجبال لبنان : (والعرج
عقبة بين مكة والمدينة على جادة الحاج تذكر مع السَّقِيَا - عن الخازمي
وجبلها متصل بجبل لبنان) (٩٦) فإننا نستطيع أن نفهم لِمَ خُصَّصَ
الْحُزْءُ من شمال الحففة باسم الغور فقط - وذلك لأن غور الشام
لا يدخل في حد تهامة وغور الشام لا يدخل في ذلك ، وكثيرا ما نجد
هذه المنطقة تسمى « بسيف البحر » إلى جانب تسميتها بالغور .

ولما كان الجزء الجنوبي من ساحل البحر يعرف بتهامة وكان الجزء

الشمال منه يعرف بالغور فإن الجزء الأوسط جمع بين الاسمين فسمي تهامة
وسمي الغور أيضا .

ومن حدّد مفهوم لفظ الحجاز فقصره على الحجاز الأسود أي جبال
السراة فقد اعتبر مكة من تهامة فهي دون هذا الجبل ، محصورة بينه وبين
البحر ومن فهم من لفظ الحجاز والحجازين جميعا : الأسود وحجاز
المدينة فكة عنده من الحجاز لأنها تقع في الهضبة المرتفعة التي ترتكز عليها
جبال السراة أو الحجاز الأسود .

وكذلك شأن المدينة فهي من تهامة أو الغور عند من يقصر معنى الحجاز
على الحجاز الأسود فقط وهي من الحجاز على المعنى الثاني ، فهي تقع
فوق نفس الهضبة الحجازية التي ترتكز عليها سلسلة السراة .

ومن لا يعترف إلا بالحجاز الأسود قد يعتبرها كذلك من نجد لأنه
قد يعتبر إقليم الحنّس من نجد : (على أن من العلماء بتقسيم هذه الديار
من زعم أن المدينة من نجد لقربها منها وأن مكة من تهامة اليمن لقربها منها (٩٧)

ونصوص الجغرافيين في رسم الحدود الحجازية بين أقسام الجزيرة العربية
تكشف لنا عن طريق تحليلها واستعراض أوجه الخلاف بينها عن بعض من
مراحل التطور في حياة الجزيرة العربية .

وقد كانت هذه المراحل تنعكس في أغلب الأحيان على الأعلام الجغرافية
والعناصر الثابتة في حياة الجزيرة العربية . ولعلنا نوفق إلى تتبع هذا التطور
في مناسبة أخرى .

عبد المحسن الحسيني

المواثي :

- ١ - البكري : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) .
- ٢ - ياقوت : معجم البلدان - مادة « البحرين » .
- ٣ - البكري : معجم ما استعجم « القاهرة ١٩٤٥ » ١٢ .
- ٣ - ابن حوقل : صورة الأرض (ليدن ١٩٣٨) ١٨ / ١٩ .
- ٤ - الاصطخري : مسالك الممالك (ليدن ١٩٢٧) ١٢ / ١٣ .
- ٥ - المقدسي : أحسن التقاسيم (ليدن ١٩٠٦) ٦٨ .
- ٦ - البكري : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ٦ .
- ٧ - ابن حوقل : صورة الأرض (ليدن ١٩٣٨) ١٩ والاصطخري :
مسالك الممالك ليدن ١٩٢٧) ١٤
- ٨ - البكري : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ٦ .
- ٩ - المقدسي : أحسن التقاسيم (ليدن ١٩٠٦) ٦٨ .
- ١٠ - المقدسي : أحسن التقاسيم (ليدن ١٩٠٦) ٩٤ / ٩٥ .
- ١١ - البكري : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ٦ .
- ١٢ - البكري : معجم ما استعجم (القاهرة : ١٩٤٥) ٧ .
- ١٣ - يعقوبي : البلدان (ليدن ١٨٩٢) ٣٣٣ .
- ١٤ - يعقوبي : البلدان (ليدن ١٨٩٢) ٣٣٤ .
- ١٥ - يعقوبي ٣٣٥ .
- ١٦ - ابن حوقل : صورة الأرض (ليدن ١٩٣٨) ٣١ .
- ١٧ - الادريسي : نزهة المشتاق ، في اختراق الآفاق (مخطوط - صورة
شمسية بمكتبه جامعة الاسكندرية تحت رقم ١٩٤ / ٣٦
- ١٨ - ينقل ذلك جورجى زيدان عن استرابون وبلين : « العرب قبل الإسلام »
(١٩٣٩) (١٦٢ وحتى في العصور الحديثة فان دي بوا - أرميه بصور
لنا صورة مما بقي من صور هذه الصلات القوية بين بلاد العرب
وصهراء مصر الشرقية . ففي مقالة له عن القصير يذكران أن المدينة
لا يسكنها إلا التجار الذين يقبلون من بلاد العرب ومصر ، وأن المدينة
ليس لها سكان أصليون . وأن المشايخ بها والإدارة هم تجسار من ينبع

تمهلوا بأن يقدموا إلى الحكومة المصرية حصة مما يجبونه على المتاجر

Do Bois-Ayme : Sur la ville de Q'oceyr. (Description de l'Egypte 2ème ed. Vol, XI, 385).

١٩- البكري : معجم مااستعجم (القاهرة ١٩٤٥) ١٢

٢٠- البكري ١١ .

٢١- ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان « ليدن ١٨٨٥ » (٢٧) والبكري يورد

نفس النص غير أنه يضع لفظ التمامة بدل تمامة) معجم مااستعجم (القاهرة ١٩٤٥) ١١ غير أن نص ابن الفقيه أوضح .

٢٢- لعل كلمة (جلس) وما شابهها قد سقطت من هذا المكان . فالمعنى لا يستقيم إلا بمثل ذلك .

٢٣ و ٢٤- البكري : معجم مااستعجم (القاهرة ١٩٤٥) ٩/٨

٢٥- المقدسي : احسن التقاسيم (ليدن ١٩٠٦) ٦٧/٦٨

- لأهل اليمن ميقانان تبعاً لإختلاف الطريق التي يأتون منها فن أتى من صنعاء عن طريق نجد فيقانه مع أهل نجد قرن المنازل . ومن أتى من طريق الساحل (طريق زبيد) فيمقانه باملم . فالطريق الأول هو الطريق الشرقي والآخر الغربي ويفصل بينهما جبل السراة .

٢٦- سبق أن أوردنا نص المقدسي الذي يمثل فيه صورة جزيرة العرب .

٢٧- ابن حوقل : صورة الأرض (ليدن ١٩٣٨) ٢٠/٢١ - الأصبهري

مسالك الممالك (ليدن ١٩٢٧) ١٤/١٥

٢٨- وبعض الجغرافيين من العرب مثل الإدريسي قد اتبع نظرية الأقاليم السبعة في وصف الجزيرة العربية فوقعت في الجزء الخامس من الأقاليم الأول وفي الجزئين الخامس والسادس من الأقليمين الثاني والثالث . ولمسا كانت مثل هذه الطريقة لا تعرض لجزيرة العرب عرضاً خاصاً باعتبارها أقلية مستقلة فلم نشر إلى هذا المنهج في تقسيمها إذ هو جزء من النظرية العامة في تقسيم العالم المغشور .

٢٩- ابن الفقيه : مختصر البلدان (ليدن ١٨٨٥) ٢٧ - البكري معجم

مااستعجم (القاهرة ١٩٤٥) ١٠

- ٣٠ - البكري : ص ١١
- ٣١ - البكري : ص ١٢
- ٣٢ - القاموس المحيط .
- ٣٣ - البكري : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ١١
- ٣٤ - البكري ص ١٤
- ٣٥ - هذا التقدير هو تقدير النضرين شميل (ياقوت : معجم البلدان مادة حرة
- ٣٦ - البكري : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ١٣
- ٣٧ - ابن الفقيه : مختصر البلدان (ليدن ١٨٨٥) ٣١
- ٣٨ - ابن الفقيه ص ٢٢
- ٣٩ - ياقوت : معجم البلدان - مادة « العرج » .
- ٤٠ - ابن خرداذبة : المسالك والممالك (ليدن ١٨٨٩) ١٣٥
- ٤١ - قدامة : الخراج (ليدن ١٨٨٩) ١٨٩ .
- ٤٢ - الادريسي : نزهة المشتاق (مخطوط) الأقاليم الثاني الجزء الخامس .
- ٤٣ - البكري : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ١٦
- ٤٤ - ابن خرداذبة : المسالك والممالك (ليدن ١٨٨٩) ١٣٥ .
- ٤٥ - الهمداني : صفة جزيرة العرب (ليدن ١٨٨٤) ٧/١٨٦ .
- ٤٦ - البكري : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ٩
- ٤٧ - هذا التقدير هو تقدير الهمداني وقد رجحنا على غيره .
- ٤٨ - ابن حوقل : صورة الأرض ليدن ١٩٣٨/١٩ - الأصبخري :
- مسالك الممالك (ليدن ١٩٢٧) ١٤ .
- ٤٩ - الادريسي : نزهة المشتاق (مخطوط) الأقاليم الثاني الجزء الخامس .
- ٥٠ - ياقوت : معجم البلدان - مادة « يمن » .
- ٥١ - ياقوت « مادة البحرين » .
- ٥٢ - H. Lammens : L'ancienne frontière entre la Syrie et le
Hidjaz (B. I. F. A. B. vol. Xv, 69 ff)
- ٥٣ - Tha Northern Hegaz - (New York 1926) 257.

٥٤ - ابن حوقل : صورة الأرض (ليدن ١٩٣٨) ١٩ - الاصطخري :
مسالك الممالك (ليدن ١٩٢٧) ١٤ .

٥٥ - البكري : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ١١ .

٥٦ - ابن حوقل : صورة الأرض (ليدن ١٩٣٨) ٣٢ .

٥٧ - ابن حوقل صورة الأرض (ليدن ١٩٣٨) ٣٢ - الاصطخري :

مسالك الممالك ليدن ١٩٢٢ (٢٠ - الأدرسي : نزهة المشتاق (مخطوط)

الأقليم الثالث الجزء الخامس وهو يذكر نفس النص تقريباً .

٥٨ - البكري : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ١٢

٥٩ - الأدرسي : نزهة المشتاق (مخطوط) الأقليم الثالث الجزء الخامس .

٦٠ - من أمثلة ذلك محاولة الرومان استمالة امرئ القيس سيد جزيرة تيران

(ايوتاب) واقليم مدين بدعوته إلى النصرانية وزيارة القسطنطينية بدعوة

من الأمبراطور ليو ومنحه لقب فيلارك عام ٤٧٣ .

٦١ - Musil : The Northern Hegaz (New York 1926) 243 ff.

٦٢ - Musil : Arabia Deserta (New York) 1927) 477 ff.

٦٣ - كانت كندة تسكن إلى الشرق وإلى الجنوب قليلا من منازل طي في

المكان المعروف بالشرف وهو يقع الآن تقريباً بين الرياض وحائل^(١)

مع ميل قليل إلى الغرب . ولا يتخفى النزاع بين الفرس والروم

للسيطرة على كندة وذيبيان وكلب وعبس وطي لبسط نفوذهما

٦٤ - على هذه المنطقة وامرؤ القيس سيد جزيرة تيران (إقليم مدين)

كان حليفاً للفرس أول الأمر قبل أن يستميله الروم إليهم .

٦٥ - أنظر الهمداني : صفة جزيرة العرب (ليدن ١٨٨٤) معدن فاران

١٧٠ وعقيق بني عقيل ١٧٧ .

٦٦ - انشدوا في ذلك :

إذا مضى الحمراء عب عباها
فمن يتصدى موجهها حين ترخر ؟

(١) الشرف لا يقع بين الرياض وحائل بل يقع غرب الرياض ، غرب السر ، ويقع بالنسبة لحائل جنوباً على مسافة بعيدة ويعرف الآن باسم الشرفة « العرب »

٦٨ — لا أدري إذا كانت هناك صلة بين عبادة « اشتار » وبين تسمية البحر الواصل بين مدين وتبوك وبالتالي بين مدين وتبء باسم ممر شتار^(١) (ككتاب) .

والحمداني في تعدادده لشطوط بحر العرب (السواحل والمواني)
يعد منها تيه تبء . وكلمة تيه كما يتضح من نصه معناها الساحل
أو المرسى المتصل بواد يصله بالداخل (صفة جزيرة العرب) ليدن
١٨٨٤ ، ١٢٧

٦٩ — البكري : معجم مااستعجم (القاهرة ١٩٤٥) ١٥
٧٠ — هذا إذا اعتبرنا الضمير في كلمة « قرياتها » يعود على جزيرة العرب
وإن كان من الممكن أن يعود على اثنين فهي أقرب مذكور إليه .
٧١ — كانت تبء منازل طيء (البكري : معجم مااستعجم (القاهرة ١٩٤٥)
مادة تبء ، وطى من قبائل نجد لذلك اعتبرت تبء من نجد
وليس من الحجاز .

٧٢ — ابن الفقيه : مختصر البلدان (ليدن ١٨٨٥) ٢٧ .
٧٣ — البكري : معجم مااستعجم (القاهرة ١٩٤٥) ١٣ وص ١٤ مادة
(جناب)

٧٤ — ياقوت : معجم البلدان — مادة « نجد » .
٧٥ — ياقوت : معجم البلدان — مادة « الحرار » .
٧٦ — البكري : معجم مااستعجم (القاهرة ١٩٤٥) مادة (تبء) .
والصفحات من ١٠ / ١٥

٧٧ — البكري : معجم مااستعجم (القاهرة ١٩٤٥) ١٢
٧٨ — البكري : معجم مااستعجم (القاهرة ١٩٤٥) ١٠
٧٩ — يعتبر بعض الجغرافيين أن العرج هي نقطة إتصال جبال الحجاز بجبال

(١) أخشى أن تكون كلمة (شتار) محرفة عن شار ، وهو جبل عظيم في جنوب حسمى
ومن قربه طريق إلى تبوك من منطقة مدين « يمر بعقبة الحربية .

لبنان فلذلك يقصرون اسم جبال الحجاز على السلسلة التي تمتد منها
نحو الجنوب والعرج عقبة بين مكة والمدينة على جادة الحاج ، تذكر مع
السقيا — عن الحازمي — وجبلها متصل بجبل لبنان « ياقوت : معجم
البلدان مادة العرج .

- ٨٠ — البكري معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ١٣ وص ٨٧
٨١ — ياقوت : معجم البلدان — مادة « جلس » .
٨١ — البكري : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ١٠
٨٢ — الحمداني : صفة جزيرة العرب (ليدن ١٨٨٤) ١٧٧
٨٣ — ياقوت : معجم البلدان — مادة « الحرار » .
٨٤ — البكري : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ١٤
٨٥ — ابن الفقيه : مختصر البلدان (ليدن ١٨٨٥) ٢٦
٨٦ — ابن حوقل : صورة الأرض (ليدن ١٩٣٨) ٢١ — الاصطخري :
مسالك الممالك (ليدن ١٩٢٧) ١٤ .
٨٧ — البكري : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ١٠
٨٨ — البكري : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ١٢ .
٨٩ — ياقوت : معجم البلدان — مادة « عرض » .
٩٠ — القاموس المحيط — مادة « عروض » .
٩١ — البكري : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ٩
٩٢ — البكري : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ٩
٩٣ — ابن حوقل : صورة الأرض (ليدن ١٩٣٨) ٣٦ — الاصطخري
مسالك الممالك ليدن (١٩٢٧) ٢٣
٩٤ — ابن الفقيه : مختصر البلدان (ليدن ١٨٨٥) ٢٧ .
٩٥ — البكري : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ٩
٩٦ — ياقوت : معجم البلدان — مادة « العرج » .
٩٧ — ابن حوقل : صورة الأرض (ليدن ١٩٣٨) ٢١ .

مع القراء في أسانهم وتعليقاتهم

ذات السلاسل أين موقعها !!

.. قرأت في مجلة « الفصيل » في سنتها الأولى أن ذات السلاسل التي سميت بها الغزوة التي حدثت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، بقرب المدينة ، وأنها سميت بذلك لميائها . فأين موقعها بالنسبة للمدينة ؟ ؟

الرياض — حسين كماخي

المصرب : المعروف أن ذات السلاسل التي سميت باسمها سرية عمرو بن العاص في العهد النبوي تقع في شمال الحجاز ، بقرب حسما (حسمى) بقرب الحدود الأردنية ، حيث منازل جذام ، الواقعة شمال بلاد قبيلة بلي . وكان لعمر بن العاص في قبيلة بلي نخوة ، ولهذا كان رئيس تلك السرية لمنزله من هذه القبيلة التي يربطها بجذام الحوار والنسب ، إذ القبيلتان من قحطان .

ويحسن إيراد بعض نصوص المتقدمين التي تدل على أن ذات السلاسل بعيدة عن المدينة ، وتحدد موقعها .

قال البكري في « معجم ما استعجم » : ذات السلاسل : بفتح أوله على لفظ جمع سلسلة : رمل بالبادية ، قال الأخطل :

كأنها قارب أفرى حلاله

ذات السلاسل حتى أبتس العود

وفي كتاب البخاري : قال ابن اسحاق عن يزيد بن عروة : ذات السلاسل في بلاد عذرة وبلي وبني القين . وقال اسماعيل بن أبي خالد : غزوة ذات السلاسل هي غزوة كخم وجذام . وبعث النبي صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاصي على جيشها . قال ابن اسحاق : بعثه ليستنفر العرب بالشام . وذلك أن أم العاصي بن وائل كانت امرأة من بلي . قال ابن اسحاق : سار عمرو حتى إذا كان على ماء بأرض جذام يقال له سلسل ، وبه سميت الغزوة غزوة

السلاسل ، خاف فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده ، فأمدّه
بأبي عبيدة بن الجراح في جيش .
والسلاسل في غير هذه الرواية ماء لخدم ، وبه سميت تلك الغزوة
ذات السلاسل .

انتهى . وغير واضح التفريق بين هذا الماء وبين الماء الذي قبله ،
وكلاهما لخدم . وقال ياقوت في « معجم البلدان » : السلاسل . ماء بأرض
خدم ، وبذلك سميت غزاة ذات السلاسل . وقال ابن اسحاق : اسم الماء
سلسل . وبه سميت ذات السلاسل . وقال جرّان العود :
وفي الحَيِّ مَيْلَاءُ الخِمار كأنّها

مهاةٌ بهَجَلٍ من أدِيسٍ تعطفُ
كانَ نَناها العِذابَ ، وَرَبّةُها
وَتَشوّةُ فيها ، خالَطَتْنَهُنَّ قَرَقَفُ
يُشَبِّهُهَا الرَّائِي المُشَبِّهُ يَبْضَعُ
غدا في النَّدَى عنها الظِّلِيمُ النَهَجَنَفُ
بوعساء من ذات السلاسل يلتقي
عليها من العلقى نبات مؤنّف

وقال الراعي :
ولما علّت ذات السلاسل وانتحى
لها مصغيات للفجاء عواسرُ

وفي حديث عاصم بن سفيان الثقي أنهم غزوا غزوة السلاسل ، فقاتهم
العدو فأبطلوا ، ثم رجعوا إلى معاوية . قال أبو حاتم بن حبان عقيب هذا
الحديث في كتاب « الأنواع » : غزوة السلاسل كانت في أيام معاوية .
وغزوة ذات السلاسل كانت في أيام النبي صلى الله عليه وسلم . قلت :
ولا أعلم ما هذه السلاسل . انتهى . كلام ياقوت . ولا أرى شعر جرّان
العود النخري الذي أورد ياقوت ينطبق على الموضع المذكور . وإنما يقصد
(وعساء من ذات السلاسل) أرضا لينة من أرض ذات سلاسل وهي جبال
الرمل الممتدة .

وبلاد جُدام حول سلسلة جبال حَسَمَى إلى ساحل البحر إلى الشام ،
وحلت محلها بنو عقبة ثم بنو عطية والحريطات ، وتلك البلاد تقع شمال
بلاد قبيلة بليّ التي لا تزال في مواطنها القديمة .

شلال وهل الاسم قديم ؟

.. ذكرتم في رحلتكم إلى العلا . المنشورة في جزء رمضان وشوال
١٣٩٧ وادي شلال وقلتم : إنه بفتح اللام مخففة . ولكن الذي أعرف أنه
بتشديد اللام ، فهل هناك من كلام المتقدمين ما يدل على تخفيفها ؟

العلا - جد الله عمر

المُرب : لم أسمع - وأنا في العلا - هذا الاسم إلا مخفف اللام ، وكذا
أُملي عليّ وكيل إمارة تلك البلدة الشيخ عبدالله بن نوبصر ، وهو خبير
بهذه البلاد ، وقد نص المتقدمون على تخفيف اللام
قال أبو عبيد البكريّ في « معجم ما استعجم » : شلالُ بفتح أوله ،
على بناء فعال لايجري : وادٍ معروف ، أوله ببلاد بني ضنّة من عُذرة ،
رهط بُشينة ، قال جميل :

فلولا ابنة العذريّ لم تر ناقتي شلال ولم أعسف بها حيث أعسف
فهل أبلغ من هذا دليلاً على تخفيف لام (شلال) وعلى قدمه ؟
ويظهر أن السائل الكريم ليس من أهل العلا إذ لو كان من أهلها لما خفى عليه هذا .
وقد قيل لي : إن أحد الإخوة الذين يحاولون أن ينهضوا شيئاً عن
تحديد مواضع في بلادنا قال : إنه يعرف شلالاً - بتشديد اللام - والحق
أنه جاهل ولا يدري أنه جاهل ، وشلال - لا يسوغ تنوينه كما فعل .

الروحاء هل هي الراحة ؟

في أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم يرد ذكر الروحاء كثيراً ، وقد
سألت عنها فقبل لي : إنها تسمى الراحة ، فهل هذا صحيح ؟ وأين تقع الروحاء ؟

المدينة - على حسن رويحلي

المُرب : ينبغي ملاحظة أن اسم الروحاء يطلق على مواضع منها :

١ - الروحاء الواقعة في الطريق من المدينة إلى مكة ، وهذه أشهر المواضع ، ولها ذكر شائع في كتب السيرة النبوية وفي التاريخ وفي معاجم الأمكنة ، ولا يزال موضعها معروفاً يمر به الطريق من الفريش إلى المسيجد ، وهناك بُرّ ومسجد ، وتعرف باسم (الراحا) لأن أبناء البادية يدلون الواو ألفاً في هذا الاسم وانظر عن تحديد هذا الموقع مجلة « العرب » (١) .

٤ - الروحاء : في شرق الجزيرة فقد ذكر في « النقااض » (٢) : أن الفرزدق لما هرب من زياد أتى الروحاء - بعد قصصية كاظمة - فنزل في بكر بن وائل ، فأمن وقال في ذلك .

قد ميّلتُ بعد المسير فلم تجدد
لعربتها كالحجّ بكر بن وائل
فسارت إلى الأجفار خمسا فأصبحت
مكان الثريا من يد المتناول

- يعني خمس ليال -

إلى أن قال :

إذا هي حلّت بين سعد ومالك
وجيد لها ما بين فلج وحائل

سعد : هو ابن يزيد (٣)

٢ - الروحاء موضع بقرب رجلة التيس ، وهذه شرق الدهنا ، وردت في شعر الراعي (٤) :

شَقَرٌ سَمَاوِيٌّ ظَلَّتْ مَحَلَّةٌ
بِرِجْلَةِ التَّيْسِ فَالرَّوْحَاءِ فَالْأَمْرِ

٣ - الروحاء : موضع قرب جبران - على ما في كتاب نصر ، ونقله صاحب « معجم البلدان » في الكلام على الرُّخَيْخ . وجبران والرُّخَيْخ يقعان غرب جبلي طيء ، شرق الحرة .

(١) السنة الأولى ص ٨٥٥-٨٥٦ (٢) ٦١٤ و ٦١٥

(٣) « معجم ما استعجم » للبكري .

ج ١١ و ١٢ من ١٢ جمادى الأولى ١٤١٩ هـ - يناير - حزيران (مايو/يونيو ١٩٩٨ م)

رَابطة للأدباء

في حديث لي في (الإذاعة) قبل بضعة شهور ^(١) دعوت إلى إنشاء (رابطة للأدباء) في بلادنا ، ووجهت الرجاء إلى أمير الشباب فيصل بن فهد ، ذي اليد الكريمة على الأدب والأدباء بإنشاء (النوادي الأدبية) في بلادنا .

هذه النوادي التي كان لها أثر كبير في إنعاش الحركة الأدبية بما تنشره من مؤلفات ، وما يُلقَى فيها من محاضرات ، وما تقيم من حفلات تجمع الأدباء ، وتوجد بينهم أقوى الصلات .

وكان مما لفتُ إليه النظر كثرة ما تقوم تلك النوادي بنشره من كتب ، قد لا تكون ذات أثر في الحركة الأدبية في بلادنا ، بل ليس من المبالغة القول بأن كثيراً منها على درجة من الضعف ، بحيث لا يتلاءم مع ما بلغته حياتنا الأدبية ، فنشرها والحالة هذه إن لم يكن من قبيل العبث وإهدار جزء من نشاط النوادي ، المادي . فلا أقلّ من أن يُوصف بأنه غير جدير بالنشر ، لا سيما وأن كثيراً منها سبق نشره قبل سنين تزيد على العشر .

(١) في شهر ذي القعدة ١٣٩٧ .

وإذن فنحن أمام قضية بحاجة إلى المعالجة ، نشأت عن إنشاء النوادي الأدبية، فاكل المشرفين على تلك النوادي على درجة من الثقافة وسعة المعرفة تمكن من اختيار المؤلف الصالح للنشر ، وما كل من كان عل مثل تلك الدرجة من المشرفين على أحد النوادي الأدبية بالقادر على أن يستوعب قراءة كل كتاب يقدم للنادي لنشره ، لكي يختار الأصلح . ثم إن المبالغ التي تصرف في كتب قد لا تضيف جديداً إلى أدبنا يعتبر صرفها في غير محله .

ولقد أدركت حينما حضرت (مؤتمر أدباء العرب) في دورتيه العاشرة في الجزائر والحادية عشرة في طرابلس شدة الحاجة إلى وجود رابطة للأدباء في بلادنا ، فكل واحد من الأدباء الذين حضروا — ويحضرون الدورات الأدبية لمؤتمر الأدباء العرب — يمثل في رابطة للأدباء في بلاده ، وكلهم ينتخبون من قبل تلك الرابطات ، وقل أن يُوجدَ قُطرٌ عربيٌّ مُثلَ أدباؤه في إحدى الدورات المذكورة لا يوجد للأدباء فيه رابطة .

وكان مما قلت في حديثي في الإذاعة: إنَّ وجود رابطة للأدباء في بلادنا يدفع النوادي الأدبية فيها إلى القيام بأعمالها بقوة ونشاط . وأنه سيكون خير وسيلة لكي تشرف (رعاية الشباب) على هذه النوادي إشرافاً تاماً ، لأن من غير المعقول أن (رعاية الشباب) تستطيع توجيه تلك النوادي الوجهة الصحيحة من جميع نواحيها ما لم تكن لها هيمنة مباشرة على أعمالها، وتلك الهيمنة لا تتم ما لم توجد هيئة تباشر الإشراف الفعليَّ على كل نشاط أدبي، ولن يكون ذلك بدون وجود رابطة للأدباء يكون من اختصاصها توجيه النوادي الأدبية توجيهها تاماً ، من حيث اختيار العاملين فيها ، واختيار ما تتولى نشره من كتب ، وإيجاد روابط قوية بين تلك النوادي التي هي الآن على درجة من التفكك والتناهي ، وعدم الارتباط بحول دون أن يكون لها الأثر القوي في حياتنا الأدبية .

وما الفائدة من هذه (النوادي الأدبية) إذا لم تُسهمْ إسهاماً قوياً ،
في دفع الحركة الأدبية قدماً ، وإزالة ما يحثم عليها من ركود وضعف -
وقل إن شئت : وموت ؟ ! وما جدوى هذه الكتيبات التي تنشرها
ومنها ما مضى على نشره عشرات السنين - ما جدواها في أثر تلك النوادي ! !

ولا أدري ما هو أثر هذه النوادي في خلال السنوات الخمس التي
مضت على إنشائها ؟ ! ولكن الذي لا يشك فيه أحدٌ أنها بأمس الحاجة إلى
الرعاية المباشرة ، ولن تنجح هذه الرعاية ما لم تكن من الأدباء أنفسهم ،
وما أعتقد بأنهم في نظر أولي الأمر بأقل شأنًا من (الرياضيين) و الفرق عظيم
بين (النوادي الأدبية) و (النوادي الرياضية) ! !

وإيجاد رابطة للأدباء من خير الوسائل وأقواها لتتم هيمنة (رعاية
الشباب) وإشرافها الفعلي على النوادي الأدبية ، فهي - والحالة هذه -
من أهم ما يجب أن تعنى به (رعاية الشباب) .

وأيّ تخننور في وجود هذه الرابطة ما دامت ستُنشأ من قبل
رعاية الشباب وتحت إشرافها ؟ !

إنني أتوجه بهذا الرجاء إلى الرجل الذي له الخطوة الأولى المباركة
في إنشاء النوادي الأدبية ، وليس عليه بعزير أن يتبعها بخطوة مباركة
أخرى من شأنها أن تجعل تلك النوادي قائمة على أسس ثابتة تمكنها من أداء
عملها في إنعاش الحياة الأدبية في بلادنا .

وهو رجاء لا أعتقد أن أدبياً واحداً من أدباء هذه البلاد لا يشاركني
فيه ، بل لا أعتقد أن سمو الرئيس الأعلى لرعاية الشباب يجهل أثره العظيم في
توجيه أعمال تلك النوادي توجيهاً صالحاً ، مُثمرًا الثمرة المرجوة من إنشائها .
والله الموفق .

حمد الجاسر

الآثار في المنطقة الشرقية

مقدمة من تحرير المجلة :

عندما كنت في الظهران (بين عامي ١٣٦٣ و ١٣٦٩) كان ممن عرفت وقويت صلتني به الأستاذ الشاعر خالد الفرج ، وكان قد أقام في مدينة القطيف مدة طويلة عُني في خلالها بجمع بعض النواذر من المخطوطات والتحف ، ومما جمع تمثال مكسور الرأس ، ولوح حجري فوقه كتابة بالمُسند (الخط الحِمْيَرِي) وقد خشي أن يؤخذ منه ، فعمد إلى دفنها داخل بستان له في جنوب القطيف يدعى (العَبَّاشِيَّة) وكان يُخفي أمرهما ، غير أن أحد علماء الآثار من الأمريكيين بواسطة (شركة الزيت العربية الأمريكية) استطاع الاطلاع عليهما وتصويرهما .

وللأستاذ خالد رحمه الله مع الآثار خبر طريف ، أوردته فلني في كتابه « أرض مَدِين » ولا أعتقد أنه تهمة بتكسیر أحجار تحوي كتابات قديمة في جهات تبوك .

ثم علمت فيما بعد أن ذلك العالم الأمريكي نشر بحثاً عن الآثار في الاحساء ونواحيه ، نشر ذلك البحث في المجلة الجغرافية الأمريكية في شهر أبريل سنة ١٩٤٨ وتحدث عن اللوح الحجري والتمثال اللذين سبق ذكرهما .

ولم ألبث إلا يسيراً حتى اطلعت على خلاصة ذلك البحث منشوراً في مجلة « المنهل » في عام ١٣٦٧ معرباً بقلم الأستاذ أحمد علي المدرس بمدرسة الأمراء في ذلك الوقت ، فأرسلت إليه بعض الملاحظات فكتب إلي بتاريخ ١٣٦٧/٢/٣ من مكة المكرمة كتاباً يقول فيه : (... فشكراً لك وألف شكر ، على أن ترجمة المقال نالت استحسان عالم بحاث ، وستضحك كثيراً إذا صرحت لك بأن ما أشرت إليه في الهامش من عدم معرفتي للأسماء لم يكن سببه (سواك) فقد كنت متأكداً أن أحداً سواك لا يلتفت إلى ذلك ، أو ليس في وضع أحد سواك أن يلتفت إليه ، ولقد حمدت الله

على أن ما أملته ورجوته وقع - وشكراً لك على الإفادات القيمة ، وقد بقيت للمقال بقية ، وبها بعض أسماء ربما احتاجت إلى إصلاح أو تهذيب منك ، وبعدها أحاول نشر ما تكلمت به من التصحيحات .

وقال في ذلك الكتاب : (إن كلمة (الجرعاء) أو (الجرها) أو كما ذكرها مترجم آخر لهذا المقال (كرحا) فأقول عنها : إنني اطلمت على مقال الأستاذ رشدي في « البلاد السعودية » ولكنني مع هذا استحسنيت ذكر النص الإنجليزي ، اعتقاداً من أن ما ذكره الأستاذ رشدي يكون تعديلاً من العرب ، لأنَّ الكلمة في الأصل منقولة ومروية عن اليونانيين ، أو اللاتينيين ، وهم نقلوها بالطبع من لغات الشمال القديمة ، وهذه اللغات وأهلها بالطبع كانوا قبل المسيح بأرقام شبه تخيالية ، فأين العرب وأين لغاتهم في تلك الأيام ؟ ! وأظن أن حرف العين والغين والحاء والهزة ما وجدت إلا في اللغة العربية ، وبعد ظهور العرب ، والدليل على ذلك أن غير العرب في الوقت الحاضر يصعب عليهم النطق بهذه الحروف - ولا سيما بالعين - وبناء على هذا الظن ما أظن أن الكلمة أو البلدة المذكورة اسمها عند اليونان أو عند استرابو (الجرعاء) بهذا النص الأخفشي أو الحليلي أو القالوني هذا ما أظنه .

وأزيدك علماً أنني قلت لصديق عن هذا البحث : يظهر أن هذا البحث كله ظنٌ وحس ، وهمٌ في وهمٍ ولا حقيقة لشيء .

أما الصورة والتمثال فيكونان من الأشياء القريبة كالعهد الجاهلي ، ولكن تجاري الزمن و(الدّمن) وتعرف معنى الدمن أنها تقابل الهرجة الكذّابة . إلى آخر ما كتبه الأستاذ أحمد علي .

ثم لا أدري شيئاً عن هذا البحث ولكنني بعد زمن مررت ببغداد فقدم الي الأستاذ الشيخ عبد الله الخيال حينما كان وزيراً مفوضاً هناك نسخة معربة منه .

وفي هذه الأيام بينما كنت في الرياض أجمع معلومات تتعلق بكتاب « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » - قسم المنطقة الشرقية - وجدت

تلك الترجمة بين أوراق كنت قد هيأتها للنشر في صيفتي الإمامة التي كنت أصدرها فحدثت الأمور بما حال دون ذلك ، فلما وجدت أن رأيت في نشرها جانباً من أطراف القراء يبحث قد يكون غريباً عند بعضهم وإن كنت أوافق الأستاذ أحمد علي بأن كثيراً مما يحويه البحث من الآراء لا تقوم على أساس تاريخي قوي .

أما كاتب هذا البحث فهو أمريكي يدعى (بيتر بروس كورنوال Peter Bruce Cor Nwall) أتم دراسته العالية ، وحاز شهادة اختصاص بتاريخ العرب وآثارهم القديمة من جامعتي (أكسفورد) و (هارفارد) وقد قام بالتنقيب عن آثار الاحساء بمساعدة من (شركة الزيت العربية الأمريكية) و (جامعة كاليفورنيا) و (جامعة هارفارد) ونشر بحثه بعنوان (البحث عن ماضي جزيرة العرب In Search of Arabias Past)

وقد حذفنا من مقاله كلمات يسيرة ليست من صلب الموضوع وفي نشرها مالا يستحسنه بعض القراء . ومن الممكن الاطلاع عليها في المجلة الجغرافية الأمريكية The National Geographis Magazine April 1948 .

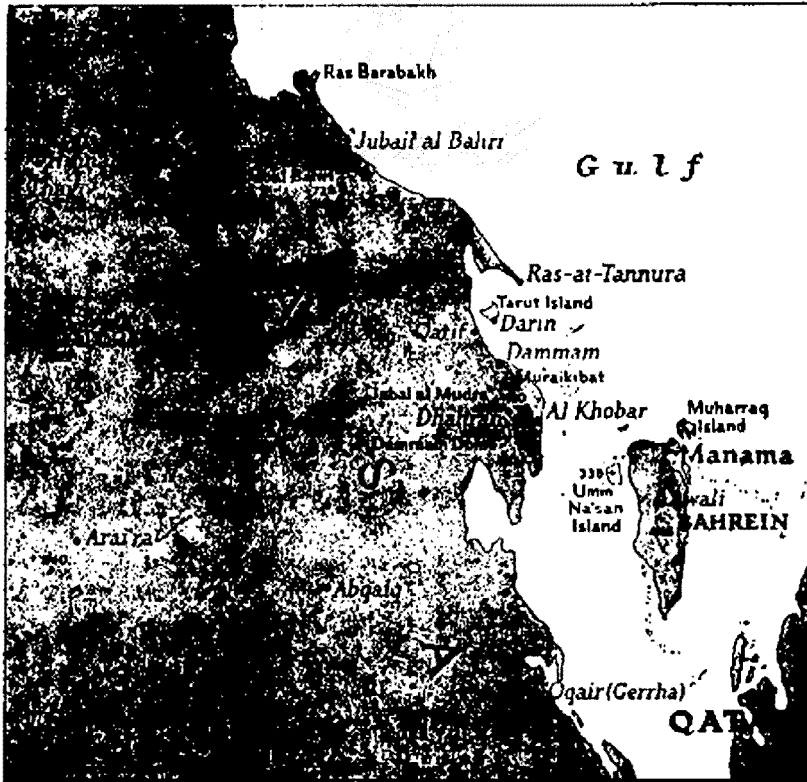
وها هي ترجمة البحث :

ليس بين أقاليم المملكة العربية السعودية الصحراوية اليوم إقليم يضارع مقاطعة الاحساء تقدماً في العمران ، أو قرباً من المدينة الغربية الحديثة ، أو يدانها في شهرتها العالمية الذاتية . والاحساء شقة أرض ضيقة طويلة قاسية تساحل الخليج (. . .) طولا كشف المهندسون الأمريكيون تحت سطحها مستودعات زاخرة بالنفط .

وثمة أربعة آلاف مهندس وموظف أمريكي يعيشون اليوم في الاحساء حيث تنتصب مصافي النفط الجبارة في رأس تنورة ، تحيط بها الدور والنوادي وأحواض السباحة ، وتختلل أراضيها شبكة من الطرق المعبدة تجوبها مئات من سيارات الحمل والسيارات الأخرى اللازمة لتسيير أعمال هذه الصناعة النامية التي تدر الثروة على العرب كما تجهز الأوروبيين والأمريكيين بالنفط الذي هم بأمس الحاجة إليه . .

كان ذلك في يوم اشتد قيظاً من أيام أيلول (سبتمبر) عام ١٩٣٣ عندما وطلت أقدام بعض علماء طبقات الأرض الأمريكيين سواحل البلاد العربية فأقاموا ساعة وصولهم غيماً صغيراً لأقامتهم ومقرراً لأعمالهم الكشفية الذي سرعان ما تطورت إلى عمل من أعظم الأعمال ، لاستثمار أعظم منابع النفط في العالم .

ولقد كانت الاحساء إلى ذلك الوقت أرضاً منزلة منسية ؛ زارها سياح من الأوروبيين ومكث بها بعضهم زمناً قصيراً ومع ذلك فلم يعلم غير القليل النادر من تاريخ الإحساء (وطوبوغرافيتها) المفصلة كما أنه لم يتيسر لأحد أن يعلم ما تحويه أرضها من كنوز أثرية (أنظر الخارطة) تحت أكمات مستديرة الشكل من الرمال ، والتقطوا من بينها نقوداً وخرزاً وكسر أسلحة أسلحة (بورنزية) كما بلغهم أيضاً وجود تماثيل ومخطوطات حجرية وعابنوا شواهد مدنيات قديمة في تلك الأرجاء .



أول من نقب عن آثار الأحساء :

سعدت على حين غرة في أواخر عام ١٩٤٠ بمنحي فرصة نادرة وهي الأمر بالبحث عن آثار الأحساء فكنت بذلك أول عالم أثري أنبح له تسجيل هذه الآثار وتنسيقها .

قطعت طريقني إلى تلك المفازة جواً عبر (الباسفيك) وآسيا وبلغت البحرين الجزيرة الغنية بالنفط بعد بضعة أيام من حادث قصفها من قبل الطيارين الظليان في محاولتهم الحريثة لتدمير مصافي نفطها العظيمة .

لم يكن الوقت إذ ذاك مناسباً لظهور عالم ما في منطقة الخليج (. .) .
يبد أن سلطات الخليج برهنت على عواطفها بما أسدته من رعاية نحوي ، فباشرت عملي هناك أول ما باشرت بفتح بعض المدافن قبل أن أصل الأرض المقصودة . وكان عدد هذه المدافن التي هي أشبه بأكمات ترايبية قائمة قرابة خمسين ألفاً ، وتغطي واجهة الربع الشمالي من جزيرة البحرين ، ويتفاوت ارتفاعها من بضعة أقدام إلى ٨٢ قدماً بينما تبلغ مساحة قاعدة أكبرها مائة قدم ، فهي تشبه هرمًا صغيراً وبما أن علماء (الجيولوجية) الأمريكيان يفيدون بوجود عدد كبير من هذه الروابي منتشرة على مساحة بضعة أفدنة من الجزء المقابل للبحرين من جزيرة العرب فإنه يستدل بذلك على أن هذه المدافن جميعاً من آثار قوم سكنوا هذا الجزء من المعمورة في الزمن الغابر .

وضعت حكومة البحرين بسخاء تحت تصرفي رئيس عمال وزمرة من العمال ليتولوا مهمة الحفر بالمعاول ، ورفع التراب ، وكان هؤلاء الرجال يزاولون عملهم بفرح ورغبة ، وكان بعضهم يحث بعضاً على العمل بكلمة (يا الله) ويتجاوبون بأهازيج شجية .

وهذا الضرب من الغناء عند القيام بالعمل مشهور في البلاد العربية ، فلقد وجدت البحارة الشيعة من أهل البحرين يلهجون بأناشيدهم باسم حفيد الرسول (حسين) يقولونه بنغمة صاعدة ويردونها بقولهم (حسن) حفيده الآخر بنغمة هابطة وهكذا .

اختتام وعلب زينة للنساء تعود إلى اليهود القديمة :

اتفق لي أنه رغم رجوع هذه الروابي الأثرية إلى العصر (البرونزي) فلا زالت رواابي منها مستطيلة الشكل في الطرف الشمال من الجزيرة ترجع إلى العهد الفارسي فآزلا .

وعُثرت في داخل هذه المدافن على تواييت صنعت من الملاط أو الحجر بداخلها جاجم بشرية وأواني من صلصال ، وخواتم وقلائد من خرز ، وعلب زينة نسائية وجرار للدماء مصنوعة من الرخام المعرق ، كما اكتشفت تحت سطح أحد الشوارع في المنامة — مدينة البحرين الكبرى — قاعة مجلس شورى صغيرة غريبة الهيئة ، إذ تحتوي على تسعة مقاعد منقورة من الصخر على شكل دائرة ، يبدو للناظر أن هذه القاعة ليست عربية المظهر بل إنها يغلب عليها الطابع اليوناني أو الروماني ، ومتأثرة بفتيها إلى حد ما .



أما رقم (٩) فقد
تمتع في الأزمان التاريخية
القديمة بنوع خاص من
القدسية والاحلال فمن
منا لا يذكر عرائس
الشعر والأدب التسع ،
أو يمين لارس بورس
الغليظ بالآلهات
التسع ؟ !

وعبرت بعد تنقيب زاد على الشهر الواحد المضيق الضحضاح الذي يفصل جزيرة البحرين عن أرض الاحساء من بلاد العرب ، واتخذت الظهران مقراً لأعمالها في مستقر شركة النفط المريحة ذات الهواء المكيف ، وانصرفت فور وصولي إلى مسح أرض المقاطعة مسحاً أثريا وقد كان تحت تصرفي سيارتنا حمل ، أقطع بهما المسافات في حقل العمل ، بينما تألفت حاشيتي الصغيرة من عالم (جيولوجي) أمريكي وسائقي سيارة وعسكري مسلح .

كان أول غرضي زيارة ميناء العقير الصغير ، فعلى مقربة منه توجد منطقة خرائب أثرية ، يرى علماء الآثار أنها بقايا آثار مدينة (جرعاء) Gerrab ^(١) إحدى مدن جزيرة العرب المفقودة . وكانت (جرعاء) هذه على العهدين اليوناني والروماني الأولين من أشهر الأسواق والمراكز التجارية في الشرق الأوسط ، ويعتقد أنها شيدت من قبل اللاجئين الكلدانيين من بابل ، وكانت مخازنها التجارية تضييق باللبان والبهار الطيب وغيرهما من الأموال والبضائع التجارية الصادرة من جنوب جزيرة العرب والهند إلى أفريقيا .

وكانت الطرق التجارية في ذلك العهد التي تربط أوروبا ببلاد (الشرق الخرافي) تمر عبر الخليج (...) وجزيرة العرب أكثر من مرورها عبر البحر الأحمر وهكذا نمت تجار (جرعاء) وزادت أموالهم حتى قيل : إنهم فاقوا السبأين باقتنائهم مقداراً عظيماً من المصنوعات المعدنية من الفضة و الذهب مثل أسرة النوم والمساند الثلاثية انقوائم والأحواض وأواني الشرب ، وحتى قيل : إن دور هذه المدينة وجدرانها وسقوفها كانت مطعمة بالعاج والذهب والفضة والأحجار الكريمة .

ومن أبواب مدينة (جرعاء) خرجت القوافل تتلصقاً بسيرها الوئيد

(١) يقصد الجرعاء .

نحو الجزيرة وتشق طريقها نحو حضرموت أو موالي البحر الأحمر أو البحر الأبيض المتوسط .

بيد أن جرعا هذه لم تلبث حتى طمست معالمها وغارت في بحر من الغموض والابهام بمدة مديدة من الزمن قبل القرون الوسطى حتى عسر على علماء القرن التاسع عشر تعيين موقعها . ويشير بعض العلماء إلى أن ثمة تقارب يوجد بين اسمي جرعا والعُقَيْر ، ولهذا فقد أحدث القول بوجود خرائب واسعة في جنوبي الأحساء اهتماماً وحمل على شيء من الرجاء .

حشرات بق صغيرة تدب على كُتبان الرمال :

كان علينا أن نشق طريقنا نحو العقير جنوباً من الظهران مارين وسط كُتبان من الرمال عالية في صحراء الحافورة الشمالية . وكان ارتفاع بعض هذه الكُتبان يبلغ مائة قدم ، ولكنها تنحدر بصورة فجائية من الناحية الجنوبية .

وكنا نتسلق حيناً بقوة وعزم ، وحيناً كانت نقف دواليب سيارتنا الأمامية ، ونعجز عن الدوران فنتقهقر السيارة إلى الخلف فكان علينا والحالة هذه أن ندعمها من الوراى خشية تدهورها إلى أسفل ، وكنا نأرجح بدفعها صُعُداً إلى الأمام إلى مسافة بعيدة ، ثم نواصل السير بعدها . وهكذا كانت سيارتنا من نوع (بيك أب) المجهزة بدواليب وإطارات ذات ضغط تبدو في رحلتها هذه كحشرة بق تشق طريقها على تل من الرمل وهي تتسلق وتهبط وتغير مجرى سيرها مئات المرات .

سرنا على هدي (البوصلة) وعطفنا آخر الأمر نحو جهة الشرق فخرجنا من منطقة كُتبان الرمال الحاذية لميناء العُقَيْر المختشدة ، المطلّة على مياه الخليج الزرقاء وتقع إلى جهة الشمال الشرقي لهذه الميناء منطقة الخرائب الواسعة ، يعلو سطحها شظف الأواني الفخارية ، وتمزج بتربتها قطع الزجاج الملون ، وكانت أسامات جُدُرِها البيضاء تمتد ملتوية كخط متعرج خلال الأنقاض القديمة ، بينما انتشرت هنا وهناك أكوام من أحجار البناء المرجانية .

هنا حقاً تقع مدينة (جرجا) العتيقة بيد أنه لم يكن ثمة أثر لبناء ،
أو لكتابات ، أو أعمدة ، لاشيء سوى مساحات واسعة من أرض تغطيها
الحجارة القاسية ، وتحوم فوقها أسراب زمع الماء (نوع من طيور البحر)
وهي تصفر بحدة .

وذكر (بليي Pliny) - ٢٢ / ٧٩ م - أن قطر مدينة جرجا القديمة
يبلغ خمسة أميال ، وأن فيها أبراج قائمة مشيدة من أحجار الملح المربعة .

ويضيف (استرابو Strabo) الجغرافي اليوناني أن تربة
جرجاء فيها الشيء الكثير من الملح ، وأن أهلها يعيشون في بيوت مصنوعة من
الملح ، وبما أن شدة حرارة الطقس المنبعثة من أشعة الشمس المحرقة تسبب
تساقط قشور ملحية من الجدران بصورة دائمية فكان السكان دائماً يضحون
الماء على الجدران لتحفظ قوتها ومتانها .

ولعل التعليل لهذه الظاهرة يقلل شيئاً من حدة الخرافة القائلة : إن
جدران هذه المدينة مشيدة من حجارة الملح . فليس ثمة معدن للملح يقوم
قريباً منها ، غير أن مساحات واسعة من السبجات (أرض ملحية) الغنية
بسلفات الكلس وبلورات الملح تحيط بهذه المدينة . وعلى هذا فالأحجار
المصنوعة من هذه التربة لا بد من أن تكون عرضة لتغير كيموى شديد ،
ولا بد أن يكون (سترابو) مشيراً إلى تأثير تجوهر مادة الملح في الطين .
ومن الواضح إذن أن نعلم لماذا هذه المدينة (الملحية) ذابت في وقت ولم
تترك بعدها أثراً فوق أسسها الصخرية .

ولقد وجدت الأراضي المحيطة بالعقير يابسة تكنسح سطحها رياح
جافة وهي عطشى وقد رسى الملك (أنتيوخوس الثالث) بأسطوله في هذا
الميناء وهو ينوي إخضاع المدينة وعشايرها المجاورة - غير أنه لما رأى
جذب أرضها ومحلها الشديد تخلى عن فكرة احتلال هذه البلاد احتلالاً
دائماً وكرر راجعاً على أعقابهِ بعد أن رأى ذلك .

السمى وراء السلام والحرية في التقدم :

وهكذا عندما أرسل ملك جرعا رسالته إلى أنتيوخوس الثالث وهو بنوى فتح بلاده كتب له قائلاً: (لا تخرب أيها الملك نعمتين أنعمت بهما آلهتنا علينا وهما الحرية والسلام الأبدي) . وقنع أنتيوخ بجزية كبيرة من الفضة يؤديها له ملك جرعا وقفل راجعا بأسطوله .

لاقانا ونحن راجعون إلى الظهران أعرابيان أحدهما جاء بثلاثة جمال محدودة الظهر من جهة غير معلومة ، والآخر كان يجثم على ذراعه عقابٌ صيد ، وكان بطمع — على ما يظهر — بصيد أرنب بري ، وكان شاحب اللون ، ضئيل الجسم ، والصيد بواسطة الصقر إذا اتبع بكامل معداته يتم من قبل جماعة من راكبي الخيل تتبعهم كلاب الصيد (السلوقية) الهزيلة ويحمل عنهم صقور الصيد جماعة من العبيد السود ، وقد غطوا عيون الطيور بأقنعة سمكية من الجلد الأحمر أو الأخضر موشاة بخيوط الذهب أو الفضة . فإذا كانت طريدة الصيد غزلاً شاردًا انقض عليها الصقر من علٍ وأنشب مخالبه الحادة في رأسه وأخذ ينقر عينيه المرعوبتين حتى يعميهما فيعجز الحيوان المسكين عن الهرب ، وتلحق به الكلاب المطاردة . بيد أن هذا النوع من الصيد نادر الوقوع على شواطئ الأحساء ، وحتى البدو الرحل تراهم يجتنبون خوض هذه المنطقة .

ويعتقد الجيولوجيون أن بلاد الأحساء كانت قليلة الرمال ، وأن الأمطار كانت تنساقط عليها بوفرة كما أن الأشجار والبحيرات كانت من المشاهد المألوفة فيها .

رياح الشمال تسوق كثبان الرمل :

طراً تغيير طبيعي على مناخ جزيرة العرب وعلى إتجاه الرياح التي تهب عليها فنشأ عن ذلك جذب ، وجاءت كثبان الرمال تسوقها الرياح الشمالية الغربية تنساب كالأمواج ، نحو منطقة الأحساء فتغطيها ، وما زالت منذ ذلك الحين تمتد على تلك الواحات المخصبة فتزرع عنها معالم النضرة والحياة ، وتتحرك

هذه الكثبان الرملية الهائلة بفعل الرياح مسافة ٤٠ إلى ٥٠ قدماً في السنة الواحدة وقد هبت الرياح الشمالية الغربية فجرفت معها كثبان الرمل ، وأناخت بها على ما صادفته من مدن قديمة وبساتين زاهرة ، وطوت معالمها ، فأصبحت كأن لم تكن بالأمس ، فعلى مقربة من العقير حيث ازدهرت بساتين النخيل في العصور السالفة لا يوجد الآن سوى بحر من الرمال ، تشق سطحه في بعض الجهات نخيلات تنفض رؤوسها المغضنة كأنها أعجاز نخيل خاوية .

ولقد كان من دواعي اليأس أن لانجد في خرائب (جرجا) شيئاً من الآثار الكتابية أو آثار أخرى ذات أهمية ، والأسوأ من ذلك كله أنني يممت صباح ذات يوم باكر شطّر الظهران ، لأجد نفسي على مقربة من مقر أعمال شركة النفط فأصبحت في هذا المكان نكرة غير معروفة ، واستدعاني مدير الشركة لمقابلته وبادرني بالسؤال بلهجة تدل على القلق والارتعاج : (أين الفيل) ؟ ! فسألته مستغرباً (الفيل ؟ !) قال : نعم ذلك الفيل الكبير الذي عثرتم عليه أثناء التنقيب في العقير . ! ! علمت بعدئذ قصة هذا الفيل .

وذلك أن الرجال الذين كانوا معي سثموا من عدم وجود أخبار يتحفون بها ذويهم وأصدقائهم عن أعمالي الحضرية في العقير ، فاختر عوا قصة عثوري على (الفيل) الكبير أثناء الحفر ، ولفقوا كيف أتت هرعته إلى حفظه في السيارة ، وأرسلته إلى مكان ما ، توطئة للإبحار به ، إلى بلد بعيد ! !

وكلما زاد القلق والاهتمام بهذا الاكتشاف زاد (الفيل) ضخامة وحجماً كما زاد التأثير عليّ لفتلي مثل هذا (الكنز) إلى خارج المملكة العربية السعودية وعلى كل فقد وفقت في تهديتي هذه العاصفة ، وإن كنت لا أكنم أسني وإن كان دخان هذا الحادث لم يكن مصحوباً بشرر

الآثار في الظهران :

إن أهم موقع في بلاد الإحساء عموماً هو الظهران وما جاورها وهي القاعدة الأساسية لشركة النفط . وهنا يوجد آثار بناء حجري مَدَوَّر عظيم

تعلو سطوح منحدراته الخارجية آلاف المدافن ، من النقط الذي يرجع إلى العهد (البرنزي) الذي سبق ذكر وجوده في جزيرة البحرين .

وبعض هذه المدافن في الظهران يشبه دائرة من الاستحكامات الترابية الواطئة ، ولعل الحكمة من بناء هذه الاستحكامات المحيطة هي لأجل منع حفر مدافن مجاورة لها ، فكل مدفن له رصيف وجدران تحيط بأطرافه طولها ٦٠ قدما وهي تتجه صوب الشمال . وفي بعض المحلات تزدحم هذه المدافن وتتقارب بحيث تكون أشبه بمدينة الأموات .

وفي جزيرة البحرين كما في الأحساء تحتوي كل رابية صغيرة من هذه الروابي على تابوت حجري واحد ، وأما الكبيرة فتحتموي على ما لا يقل عن قاعة دفن واحدة مبنية من الأخشاب المرسوفة بالملاط ، وأينما تكون الأبواب فهي متجهة نحو الجنوب الغربي فما الذي يدل عليه هذا التنظيم والاتجاه ؟ إذ أن زاوية الاتجاه لهذه الأبواب تقرأ عادة ٢٥ درجة بين الجنوب والغرب ، فهل ياترى جاء بناء هذه المدافن من تلك الجهة ؟! وثمة تعليل آخر وهو أنه لما بنى أحد هذه القبور جعل مدخله باتجاه نجمة العشاء إذ أن الفلكيين يقدرّون أن مجال السمّ لمدخل هذا القبر يطابق سمت الزهرة عند مغيب الشمس ، ولدينا من الأدلة على أن عبادة كوكب الزهرة كانت على شيء من الشهرة والانتشار في هذا الطرف من العالم .

ولم يَتَسَنَّ لي معرفة أولئك المدفونين في التوابيت التي يرجع عهدها إلى العصر النحاسي ، أو التثبت من حقيقتهم إلا بعد مرور عدة أشهر - قضيتها في أعمال الحفر ، يضاف إلى ذلك سنوات عديدة في البحث والاستقصاء .

كان هؤلاء القوم يعرفون باسم (الدَّائِمُونِيِّين)^(١) وكان ملكهم يحكم الأحساء وجزيرة البحرين أيضاً وقد انصرف هؤلاء إلى التجارة مع السومريين

(٢) ألا تكون هناك صلة بين هذا الاسم وبين جزيرة (دلا) الواقعة في الخليج العرب جنوب جزيرة البحرين « العرب » .

والأشوريين ، وشغلتهم الحروب معهم أيضاً مدة لا تقل عن ألف عام امتدت من أوائل الألف الثاني قبل المسيح إلى سنة ٥٠٠ ق م .

لم يبلغ الدلونيون شأواً من الحضارة والرفي يضارع ما بلغته الممالك التي نشأت في بلاد ما بين النهرين . ومصادر البحث عنهم تكاد أن تنحصر فيما أتاننا من أخبار البابليين والأشوريين ، عدا مخطوطات حجرية مسمارية عثر عليها في جزيرة البحرين .

تخبرنا هذه السجلات المكتوبة على ألواح من الصلصال على هيئة إسفين طبيعي أو المنقوشة على الحجر أن (دلون) كانت مدينة مقدسة بالنسبة للسومريين وأن (زيوسدرا Ziusudra) نوح عند البابليين « ذهب ليعيش في جزيرة دلون (البحرين) بعد حادثة الطوفان العظيم ، وإلى هذه الجزيرة نفسها حجج (كلكامش) المتشبه بالآلهة ليتعلم (سر الحياة) من (زيوسدرا) ، الحكيم الذي وهبه حياة أبدية (مثل ما أعطى للآلهة) .

تصدير التمور في الأزمنة السحيقة :

وثمة مصادر أخرى تدل على أن جزيرة (دلون) كانت موطن السومريين الأذكاء ، حيث عاشوا فيها قبل أن ينزحوا إلى وادي دجلة والفرات ليستوطنوه . وتدلنا أعمال الحضر وأبحائه المستقاة من حطام اللوحات الحجرية على تفاصيل أخرى ، عن هذه المملكة العربية العريقة في القدم . مثلاً أن التمر كان أهم صادرات هذه المملكة ، وكانت التمور هذه لا تقل جودة وشهرة عن مثيلتها ذات اللون الصنوبري الشفاف ، المشهورة في الأحساء هذا اليوم ، والتي تصدر إلى سائر أنحاء العالم العربي .

وتدلنا تلك الأبحاث أن معبود (الدلونيين) الخاص كان الإله (انزاك Inzak) وزوجة (لخموى Lakhamuy) حوالي سنة ٢٣٦٠ قبل الميلاد وأن سرجون الأكادي الشهير غزا جزيرتهم وغنم سفنها وقبل هذا التاريخ أرسل أمراء (لاكاش Lagash) إلى (الدلونيين) في الجنوب

في الجنوب أشياء نافعة كالخنطة وخشب الساج والجبن والشعير المقشر وقايضوا بها معدن النحاس الذي كان يحمله بحارة الدلونيين المجازفون من الأرض المعروفة اليوم بعمان .

وخلال أيام الحكم الآشوريّ صارت مملكة (الدلونيين) هدفاً لحملات ضغط (هتلية) شديدة ، إذ أنّ الآشوريين كانوا قد وطلوا العزم على إخضاع هذه المملكة وإلحاقها بامبراطوريتهم الواسعة وعلى هذا الأساس فإن (سنحاريب) بعد أن دمر مدينة بابل وأحرقها سنة ٦٨٩ قبل الميلاد أرسل إلى ملك (الدلونيين) شيئاً من رمادها الأسود دلالة مأكرة منه على أن مصير بابل قد صار إلى هذا الرماد الأسود .

كان لهذه (الهدية) وقع عظيم في نفوس (الدلونيين) على ما يظهر وتدعي المصادر الآشورية أن (الدلونيين) نظروا إليها - أي إلى الهدية الرماد الأسود - فتملكهم الخوف من (آشور) فأرسلوا خزائنها إلى (آشور) - وأرسلوا معها الصنّاع المهرة الذين جمعوهم من أنحاء البلاد معهم من النحاس وُعدّد مصنوعة منه وأواني من مصنوعات بلادهم .

وعلى عهد حكم حفيد (سنحاريب آشوربانبال) المثقف المترف ، (المسمى أسنابر Asnapperof) في كتاب عزرا النبي (٤ / ١٠) أشير إلى أن (دلون) مقاطعة من مقاطعات مملكة آشور ، ومن هذا يتضح أنه كان على مملكة (دلون) أن تخضع لحكم الآشوريين في النهاية وأن (تقسم لها يمين الاخلاص والولاء) .

وعُثِرَ تحت أطباق التراب في قلب الروابي القديمة في جزيرة البحرين التي يرجع تاريخ معظمها إلى الألف الثاني قبل المسيح على جماجم بشرية ومصنوعات من النخار وأسلحة وعدد من النحاس كما عُثِرَ على قشور بيض النعام وقطع من صناديق مصنوعة من عاج .

ووجدت في كثير من غرف هذه المدافن هياكل عظمية لأكباش

وخراف ، دلالة على أنها تقدم قربانا للقاء ، وهذا العادة لم يقض عليها الإسلام القضاء التام في هذا الجزء من العالم . وقد نشاهد حتى اليوم رؤوس القوارب في البحرين مغطاة بقطع من جلود الغنم ^(١) .

موطن القراصنة القدماء :

أما من أي مكان جاء (الدلونيون) فلا يزال سرّاً من الأسرار . ومع ذلك فإن ثمة أسباب تدعو للاعتقاد أنهم انحدروا من الربع الجنوبي الغربي لجزيرة العرب ، وبعد أن استوطنوا في موطنهم الجديد انصرفوا إلى التجارة ، كما انصرفوا إلى (القرصنة) أيضاً . ذلك لأن السفن كانت تتمخر في ذلك الحين (٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد) عباب البحر ، وتساحل في هذه البلاد في سيرها التجاري بين بلاد ما بين النهرين وبلاد الهند وعمان وجنوبي جزيرة العرب وغيرها من البلاد التي ما زال أمرها في لبس وغموض .

وكانت العادة المتبعة - والملاحاة لا تزال في عهد طفولتها الأول - أن تسير السفن جوار السواحل ما وسعها ذلك ، وكان الشاطئ الايراني من الخليج غير محبب إلى نفوس البحارة ، إذ أنه كان أقل من الساحل العربي خصوبة وكرماً ، ولا زالت البواخر في يومنا هذا تفضل ملازمة الساحل العربي في سيرها لتلك الأسباب . وهكذا فإن مملكة (الدلونيين) كانت تقع على خط ملاحاة التجارة القديمة التي أصبحت معروفة لدينا اليوم .

أما البضائع التي كانت تنقل إلى الشمال فكانت تشمل الغنم (المعز) ومدن التحاس من عُمان والمرُّ المكايي واللبان الذكر من جنوب جزيرة العرب وخشب الساج من الهند ، وكذلك الكتّان والحجر الأشهب المحبب لصنع التماثيل ، والعاج والاحجار الكريمة ، ولا بد أن يكون من بين هذه الصادرات (القردة والطواويس) .

(١) لا نعتقد وجود أية صلة بين الأمرين ، والإسلام قد أزال كل معالم الشرك والتخريف وقة الحمد « العرب » .

وعلى أثر وصولي إلى الظهران أبلغني مهندس أمريكي أنهم قد اكتشفوا أثناء قيامهم ببناء خزانات الماء في بلدة الدوادمي الواقعة في قلب المملكة العربية نصلاً كبير الحجم وعندما احضره إليّ وجدت أنه حقا قد اكتشف شيئاً يبعث على الدهشة والاهتمام . فقد كانت بلطة يدوية منحوتة بدقة ، تعود إلى



العصر الحجري المتأخر ، وقد يكون هذا السلاح نُحِتَ واستعمل من قبل احد الناس الذين عاشوا في العصر (الاكويي) الغابر - أحسد عصور ما قبل التاريخ السحيقة - وربما كان ذلك قبل المسيح بمائة الف سنة .

حلقة الاتصال بين أفريقيا وفلسطين :

كان هذا الاكتشاف الأخير إشعاراً بوجود خزان لا تقدر قيمتها من الآثار القديمة التي يجب أن تكون مدفونة في قلب جزيرة العرب ، هذه المنطقة التي لازالت غير معروفة لدى علماء ما قبل التاريخ تمام المعرفة . فالجزيرة العربية كانت ولا ريب حلقة الاتصال بين القارة الافريقية وفلسطين . .

إنهمكت في دراسة بعض التصاوير الجوية التي عرفت عن مقاطعة ، الظهران ، وذلك قبل سفري إليها ، وعانيت هذه التصاوير بدقة بواسطة (المجهز) البصرية فلفت نظري إمكانية معينة منها شككت أنها قد تكون منظوبة على آثار لرجل العصر الحجري .

كانت هذه المنطقة هي المسماة جبل (المذرع) والمعروفة باسم (درع الشمال) وهي تلٌّ لا يتجاوز ارتفاعه ٤١٠ من الأقدام عن سطح البحر ، تتوسطه أرض مسطحة صخرية تشبه دكّةٍ مستوية القطع ، تقع في ثلث المسافة من القاعدة إلى القمة . وقد أثارت مكانتها البارزة اهتمامي صعدت إليها بحدوني الأمل ، وشرعت أول ما شرعت بفحص سطحها فوجدت بعض (المدافن) منتشرة عليه هنا وهناك ، كما وجدت قطع الأحجار الصوانية المنحوتة ، وقد لفت نظري بريقها ولمعانها ، وهي تخالط تربة ذلك التلّ . كانت الامطار غسلت هذه القطع الصوانية حديثا فكانت نظيفة بيضاء .

أمضيت أياماً بجمع هذه القطع الصوانية وخزنها في أكياس كتانية وقد كانت هذه الأحجار أدوات أعمال مختلفة كأدوات الكشط (الحرط) ورؤوس آلات مديبة ، وأشياء أخرى من منبذات صناعية يدوية متنوعة . وبعض هذه العدد الصغيرة يوحي بأنّها قد صنعت من قبل بناء هذه المدافن كما يدل بعضها أنّها قد نحتت من قبل رجال العصر الحجري الحقيقيين وليكنهم أقرب إلينا في الزمن من أولئك (الأكيوليين) البدائيين الذين جابوا قلب الجزيرة العربية .

وعندما كنت منصرفاً إلى جمع هذه الأدوات الحجرية طلع عليّ فجأة غلامان بدويان وطفقا يرقباني عن كثب . وعليهما إمارات الاستغراب والتعجب من عملي . ولعلهما تملّكهما العجب من قيامي بجمع هذه الأحجار وتأملها ودرسها ، ثم وضعها باعثناء في أكياس ، انحنى أحدهما على الأرض وأخذ يجمع معي الحجارة ويناولني إياها فوجدتها غير مصنوعة صنعا بشرياً فهزرت له رأسي . دلالة على عدم نفعها لي ، إلا أن الغلام لازم عمله وثابر على جمع الحجارة وتقديمها لي ، حتى انتخبت واحدة منها أخيراً كانت متقنة النحت حقاً ووضعها داخل الكيس ، وهنا انفجر الغلامان الآخوان بضحكة عالية وصاحا : (ما شاء الله) ! !

ولعل هذين الغلامين وجدا في مهمة جمع الحجارة لعبة (حزيرة)
يحزرون بموجها أي حجر يقع عليه اختيار - هذا الرجل المجنون - وأي
حجر يرفضه ...

ولقد وجدت في هذه البقعة الوسطى من مقاطعة الاحساء أشياء أخرى
جديرة بالدراسة والبحث ...

امكة صيد اللؤلؤ القديمة :

وهناك على مقربة من الشاطئ إلى شرقي مناطق التلال والروابي الأثرية
تقوم أكمام كبيرة مستطيلة الشكل من الأصداف يتجاوز طول الواحدة
منها مائة ياردة على وجه التحقيق . وهذه الأصداف دليل على وجود مصايد
اللؤلؤ فيها غبّرَ من العصور .

ونحن نعلم مما كتبه جغرافيو القرون الوسطى أن صناعة صيد اللؤلؤ
كانت من أهم الصناعات المزدهرة على طول هذه السواحل ولعلها هي
اليوم كما كانت من قبل .

فالبحرين ذات شهرة عالمية واسعة اليوم لنفاسة لؤلؤها البراق وجودته
أما قدم هذه الصناعة ومدى تغلغها في الزمن القديم فلا يزال كما هو عليه
سرٌّ يحوطه الغموض . ويمكننا أن نرجع بها إلى ما لا يقل عن عهد الاسكندر
الكبير (٣٥٦ - ٣٢٣ ق.م) . فبعد هذا التاريخ بثلاثمائة سنة صرح
(بليني Pliny) أن (البحرين مشهورة بكثرة لؤلؤها) وثمة لوح
حجري مسباري وجد في (أور) يذكر أن جرابا من (عيون السمك) قد جلب
من (دلمون) فإذا كانت هذه العيون تدل على اللؤلؤ فيعلم إذن أن محار
اللؤلؤ كان مما يسعى إليه منذ ذلك العهد القديم . ولعل حباته الجوهريّة
البراقة كانت تستعمل لتزيين الحسان السماوات من (سومر) .

وإلى شمال هذه الأكمام من الأصداف على مسافة ميلين باتجاه البرّ
عُثرت على مركبات حجرية يسميها الأعراب (المريكبات) وهي أشبه
بشجرة متحجرة على الأرض ، أو كأنها جثة مومياء من مخلفات العصر

(البلايستوسيني Pleistocene) — الدور الجليدي الأول الذي نشأ فيه الإنسان — عندما كانت أوروبا ترچف من برد الدَّوَر الجليدي .

برج السكوت :

ولعل هذه الأكمة المتحجرة تكون ذات قيمة أكثر إثارة للتطلع ، فهي تمد علماء (الجيولوجيا) وطلاب معرفة الماضي القديم لشبه جزيرة العرب بمعلومات قيمة . فبينما تسوق الرياح هذه الأكمات في الاحساء شطر الجنوب والجنوب الشرقي نرى هذه الأكمة المتحجرة (المريكبات) تقابل الجنوب الغربي ولعل ذلك ناشيء أنه عندما أخذت هذه الأكمات بالتصلب والتحجر كانت الريح تهب من الجهة الشمالية الشرقية ، وهذا مما يدل على أن مهبّ الرياح في جزيرة العرب كانت تختلف عما هي عليه الآن اختلافاً تاماً في طول البلاد وعرضها .

وعُثِرَت في منحدرات الجهة الجنوبية الغربية (للمريكبات) على أكثر من حفرة غريبة الحفر ، مساحة بعضها قدمان في قدم واحدة وعمقها ثمان بوصات وبعضها يشبه تواييت الموتى في الحجم . فهل تكون هذه الحفر قد استخدمت في يوم من الأيام بمثابة دُخَم الموتى (أي بُرَج السكوت) ؟ !

لقد سكن هذه الربوع عدد عديد من أتباع الديانة (الزردشتية) النازجين من إيران في القرون الأولى من عصرنا الحاضر ، فلعلهم كانوا يستخدمون هذه الحفر لعرض جثث موتاهم لضواري الحيوان والكلاب لتلتهمها فتلك هي عادة (الزردشتيين) مع موتاهم وهي نفس عادة أحفادهم الفرس القاطنين في الهند في هذا اليوم .

وسارت بنا السيارة ميلين نحو الساحل الشمالي (المريكبات) فزرت أولاً بلدة الدمام الصغيرة الشهيرة بقلعتها الحجرية الجاثمة فوق صخرة عالية على شاطئ البحر يحيط بها الماء عند ارتفاع المد^(١) . ووجدت في جوانب

(١) أصبحت الدمام أعظم مدينة في المنطقة . وقد هدم ذلك البرج (القلعة) « العرب » .

هذه القلعة عدداً من المدافع القديمة يعلوها الصداً ويغلب على الظن أن هذه القلعة شيدت من قبل (البرتغاليين) الذين ارتادوا سواحل الخليج في مطلع القرن السادس عشر للميلاد ، وقد نزع هؤلاء خطوط التجارة المربحة من يد العرب وأسسوا أول امبراطورية أوربية حديثة في آسيا . وما هذه القلاع الجبارة التي أسسوها في الخليج سوى دليل صامت على عظمة سلطانهم القصير المدى ، الذي سرعان ما انهار أمام هجمات الثوار من العرب والإيرانيين ثم ما برح أن تلاشى أمام جيروقت الفتح الهولندي والانكليزي وقوتها البحرية .

أعظم قراصنة البحر توفيقاً :

كان رحمة من جابر أعظم القراصنة الذين جابوا البحار شأناً وأكبرهم توفيقاً ، وكان معقل هذا مدينة الدمام وقد استمرت قرصنته طيلة سنين تبدأ من أوائل القرن التاسع عشر الميلادي (١) .

وكان الدافع لحركات رحمة وقرصنته عداوته لشيوخ البحرين . فكان يدافع من هذه العداوة بسوق الخمس أو الست من السفن الكبيرة المجهزة كل واحدة منها بما يقارب مائتين إلى ثلاث مئة رجل مسلح من رجاله الضامري الأجسام المحتالين ، ويمخر بهم عباب البحر ليصطاد ما تيسر له من السفن والمراكب الماخرة من الكويت والبصرة ومسقط ومن موانئ أخرى .

وقد شاهد أحد الأوربيين (رحمة) فقال عنه : إن هيئته أشبه بجذع خاو ركبت فيه أربعة أطراف ضامرة . وفي كل جزء من أجزاء بدنه من ضربات السيوف وطعنات الأسنة ومواقع الرصاص ما لا يعد ولا يحصى .

كذا كان حال رحمة بن جابر حتى وافته منيته في آخر معركة حدثت بينه وبين أعدائه . فقد كان عليه أن يواجه عدوه وهو محصور مع عدد من رجاله في سفينة فرأى رجاله يخسرون المعركة لا محالة فأشعل النار في سفينته وفجرها قطعاً متناثرة بمن عليها فهلك هو ورجاله .

وعلى بعد عشرة أميال إلى الجهة الشمالية الشرقية من الدمام تقع مدينة

(١) ليس (قرصانا) بل كان مجاهداً ناشراً للدعوة السلفية — رحمه الله — ترجمته في «عنوان المجاهد لابن بشر

القطيف وهي المدينة البحرية الرئيسة في الأحساء وقد وجدت من الأدلة ما يكفي لإثبات أن هذه المنطقة كانت ولا تزال مأهولة بالسكان بكثافة من الأيام التي أعقبت العصر النحاسي حتى يومنا هذا .

وقد اختلطت على هذه التربة بقايا آثار تلك القرون العديدة اختلاطاً غير مقصود ، فقد التقطت منها كسراً من الأواني الفخارية من مصنوعات القرون الوسطى ، كما عثرت على قطع من العملة الصينية تعود إلى أيام حكم الإمبراطور (تشي تسنك Chetsung) عام ١٠٨٥ - ١١٠٠ ب والإمبراطور (لي تسنغ Litsung) عام ١٢٢٤ - ١٢٦٤ ب.م .

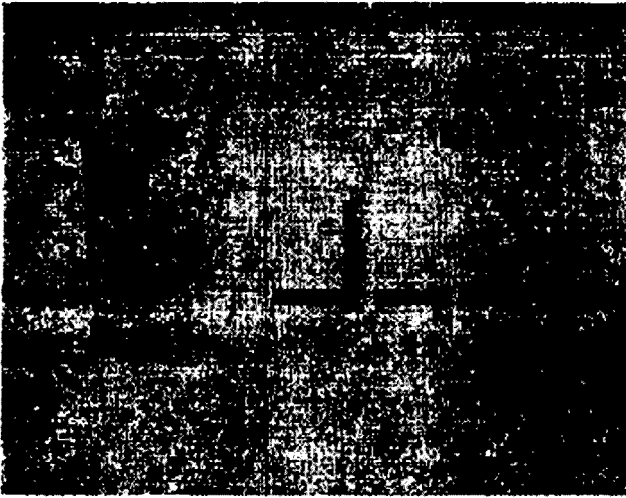
كانت السفن الصينية الكبيرة ترتاد هذه المياه لتبادل مع السكان سلع بلادها النائية وتقايض بها اللؤلؤ والتمور والعطور وغير من البضائع منذ القرن العاشر الميلادي .

وقد صارت العملة الصينية العملة المتداولة في بعض أقاليم الخليج في أحد الأزمان .

وعلى مقربة من القطيف وجدت نماذج من (الطويلة) وهي قطعة من النحاس المخلوط بالنيكل وهذه الطويلة على شكل حرف v إحدى شعبتيه مستقيمة والأخرى منحنية قليلاً من طرفها الأعلى . وقد ضربت هذه العملة من قبل أحد الأمراء الكرماثيين قبل أن تطأ قدما وليم الفاتح أرض انكلترا بمئة عام وعلى رغم قدمها السحيق فهي لا زالت مقبولة من قبل أصحاب الحوانيت في الهنوف قاعدة الاحساء .

وبساتين النخيل الكاثنة غرب القطيف فيها صف طويل من الآبار الارتوازية ذات مياه دافئة درجة حرارتها ٨٤ (فهرنهايت) . وتجرى مياه هذه الآبار نحو الشرق داخل مجارٍ حفرتها تحت الأرض ، ويستقي منها المستقون من فوهات على مسافات معينة في الطريق وقد أقيم على كل فوهة منها جدار اسطواني الشكل مرتفع البناء ليحفظ البئر من تجاوز الرمال . وقد زاد أهل القطيف في طول جدران هذه الفوهات كلما زاد تجاوز الرمال على سطح الأرض وجعلته مرتفعاً . غير أن الرمال جاوزت الآن هذه المنطقة

وغيرت عنها مجراها فظلت هذه الفوهات القائمة الاسطوانية الشكل تعلو عن سطح الأرض منصبة كأنها الأبراج الشاهقة أو مداخن عالية (أنظر صورتها).



(الأبراج التي بنيت
على أفواه مجاري
العيون في القطيف
لحمايتها من سقوط
الرمال في تلك
المجاري)

وتؤيد التحريات العلمية ما يعتقد أهل البلاد من أن هذه الآبار كانت يوماً ما في أواسط منطقة مزدهرة بساتين التخليل الباسقة ، كما يدعي العرب أن وسائل الري كانت عامرة فيها منذ أمد طويل قبل عهد الإسلام . ونظراً إلى أن طرز هذه الآبار إيراني فالمعتقد إذن أن يكون أحد ملوك السلالة الساسانية هو الباني لهذه الآبار .

في عام ٣٢٠م أغار (سابور الثاني Shapur) أول ملوك الساسانيين على بلاد الاحساء وأعمل السيف برقاب أهلها وأباد أهم عشائرها حتى أعبأ هذا القصاب كثرة سفك الدماء ، فأمر رجاله بثقب أكتاف الأهليين وربطهم بحبال من أكتافهم المثقوبة وسحبهم أسرى وقد سماه العرب لقسوته القطيعة هذه سابور ذي الأكتاف .

أثارت كيفية بناء آبار القطيف هذه موضع إعجاب المهندسين الأميركيين ودهشتهم إذ كيف استطاع بناتها أن ينزلوا ببناء جدرانها الاسطوانية حتى الطبقة (الأيوسية) — الطبقة الجيولوجية الثالثة — ذات المسام الكثيرة مع سرعة نضح الماء من خلالها وتدفقه أثناء القيام بالحفر والناء ...

ماء عذب من تحت البحر :

ويستخرج من هذه الآبار بضعة آلاف من البراميل من الماء العذب الفرات وتنتاب المراء الحيرة والدهشة إذ يفكر في كيفية توصيل الأقدمين إلى حفر الآبار وفتحها حتى وصلوا بها إلى تلك الطبقة السفلى ولم يكن لديهم آنذاك سوى آلاتهم الابتدائية البسيطة .

أما تعليل ذلك عند العرب فبسيط ، فالنجوم الساقطة على الأرض هي التي حفرت تلك الآبار العميقة ، فلأها الله ماء عذبا فراتا . .

وجزيرة البحرين كالأحساء من هذه الوجهة . ففيها عدد كبير من مثل هذه الآبار وأشهرها الينابيع المستمدة مياهها العذبة من تحت سطح البحر الواقعة على بعد من الساحل ويتدفق من هذه الآبار كميات وافرة من مياه عذبة ، يملأ الآن منها الأهلون جرارهم ، وهذه الثروة الطبيعية الزاخرة من المياه العذبة في الأحساء وهي الثروة التي تداينها ثروة في باقي أقسام جزيرة العرب كانت موضع تعليق الكتاب والمؤرخين القدماء وكان يشار إليها باحترام وتجله بأنها هبة من الله .

أما مصدر هذه المياه فـلَغَزُ مَعَمَّى حتى هذا اليوم (١) .

ولقد ظن العرب أن مصدرها ثقب كائن تحت سطح نهر الفرات يتسرب منه الماء قاطعاً تلك المسافة إلى الأحساء . بيد أننا نعلم أن مصدر هذه المياه هو (جبل طويق) الذي يبعد (٣٥٠ كيلا) إلى غرب القطيف ومنها تجري أنهر من تحت سطح الأرض إلى الأحساء .

(١) علل وجود هذه المياه (هو غارث) في كتابه « اختراق الجزيرة » بأن الأمطار المتساقطة على جبل العارض وماحوله ، يعتزها جوف الأرض حتى تبرز بشكل ينابيع في منطقة الأحساء ومن بين جغرافيين العرب من لمح هذا كالمعداني في « صفة جزيرة العرب » فقد ذكر أن امرأة وقعت في نهر الناقة في الأفلاج فظهر سوارها في نهر علم في الأحساء . ويشاهد في ماء عين نجم آثار بعر الحيوانات في بعض الأحيان مما يدل على أن مياه المطر تجري فيها من ظهر الأرض إلى جوفها حيث يجري الماء فينبع هناك « العرب » .

وفي مكان ما بين خرائب القطيف المنتشرة حوالي المدينة يجب أن يكون موقع مدينة (بلبانا Bilbana) وقد عثر موضعها ههنا أيضاً الجغرافي الشهير (بطليموس Ptolemy) . كما أن (بليبي) يخبرنا أن قبيلتين من القبائل عاشتا على ضفاف خليج القطيف الذي سماه بخليج (كبوس Capeus) وكانت تعرف إحدى القبيلتين باسم (كولوبس Caulopes) والثانية باسم (كاتيني Chateni) وأن اسم قطيف على ما يظهر ينتمي إلى اسم القبيلة الأخيرة منهما . فمن أي الأقوام كانتا ؟ ! . . .

لا يسعنا الجزم بالإجابة على هذا السؤال بغير الحدس فإننا إذا أخذنا ما ورد عن بعض الكتاب المتأخرين نجد أن هاتين القبيلتين ينبغي أن تكونا قد قامتا على أعمال القرصنة . وكانت القرصنة في ذلك العهد خطيرة وشديدة الضرر بطرق التجارة حتى أن السفن عند المرور بتلك المنطقة تحمل كتية من رماة السهام .

وظلت حرفة القرصنة مزدهرة طوال قرون مديدة في الخليج ولم يكن في الإمكان قلع جرثومها إلا في أوائل القرن الماضي عندما أخذت البوارج البريطانية تطارد عصابات القراصنة وقد اضطرت هذه القوات مرة إلى إنزال آلاف من الجنود المسلحة لتهاجم مدينة تحصن بها هؤلاء القراصنة الشقاة .

والقطيف التي أتيحت لي زيارتها من بعد كانت تحتل فيما مضى مركزاً شهيراً وبني فيها البرتغاليون قلعة بعد دخولهم المنطقة بعد عام ١٥٥٠ بقليل أي في نفس السنة التي احتلوا فيها المدينة .

الطيور أنيسة الأطفال :

بقيت القلعة على ما هي عليه ، بيد أن المدينة ذاتها غير جذابة ولا نظيفة . وكانت الحميم القوية البيضاء تسير محترقة طرقاتها تحمل على ظهورها الناس أو السلال المملوءة بالتمر أو حزم الحطب وغيرها من الأشياء وقد

كانت هذه الحمير تعتبر على عهد البرتغاليين (من أجود أصناف الحمير في العالم) وحتى اليوم فإنك تراها قد انتشرت في بلاد بعيدة كتنجانيقا في أفريقيا الشرقية وقد نقلت إليها بطريق زنجبار ودار السلام .

وحيثما كنت أسير في القطيف كانت زمرة من الأولاد الفضوليين تلتف حولى، وكان البعض منهم تنتشر على وجوههم آثار الجدري وغيره، وأحياناً كانوا يحملون معهم طيورهم الأليفة وقد ربطوا أحد ساقها بخيط دقيق ويتألف مجموع سكان أغلب موانيء الخليج من أجناس مختلفة تنتمي إلى سلالات نزحت من العراق وإيران ، وأهل القطيف عادة تنقصهم همة الاندفاع ، ذوو أجسام صغيرة وملامح وقسمات غير منسجمة . وبعض موظفي شركة النفط في الظهران ورأس تنورة من العرب من الخفوف ومن نجد وهم أناس فطنون أجلاء لهم قابلية التعلم السريع وحذق ما لم يكونوا يعرفونه من قبل . وفوق ذلك فلهم أجسام قوية وطلعات مقبولة .

ولا يمكن لمن يعرف هؤلاء إلا أن يحزم بسرعة بأن لو أتيحت لهؤلاء الشبان السعوديين فرصة التعليم المواتية وغيرها لأصبحوا بمثابة العمود الفقري في أمة عربية جديدة متقدمة

وعندما كنت أشتغل في أعمال الحفر في القطيف طرق سمعي وجسود حاجر عليه كتابة وتمثال حجريّ قيل : إنهما دفنا تحت سطح بستان نخل بعد العثور عليهما . ففقت واستحصلت إجازة الشيخ المحلي لأحضر الموضع ، وشرعت بأعمال الحفر ، يساعدني على ذلك زمرة من العمال وآلات حفر مختلفة . كان شيخ ذلك المكان رجلاً قصير القامة ، ملتحي الوجه أخذ يستعيد ذاكرته لتعيين موقع دفن هذه الآثار ، وصار يتمشى بين أشجار النخيل الباسقة رواحا ومجينا ، وهو يدرس التربة ويتأمل معالمها جيداً وإذا به يقف ويلتفت نحوي، ناشراً ذراعيه ويهيب بي قائلاً: (توكل على بركة الله) وأشار بطرف يده إلى بقعة أرض مساحتها نصف قطرها لا تتجاوز الخمسين ياردة

(التمثال واللوح الحجر - شاهد القبر - والرجل
الجالس هو الشيخ خالد الفرج - رحمه الله -)

ثم قال : إنه يعتقد أن الآثار تقع ضمن هذه المنطقة ، ولو أنه لا يتذكر محل
دفنها بالضبط . وهذا كل ما استطاع أن يقوله الرجل بهذا الشأن .

وأهبت برجانى للعمل ، فأخذوا يسبرون سمك تربة المكان الرملية
بقضبان معدنية وطويلة ، تستعمل للبحث عن الآثار ، وظللنا نبحث ونبحث
حتى امتد ظلال النخيل أمامنا على الأرض ، إذ تجاوز الوقت بعد العصر ولم
يسعدنا الحظ بعد . . .

وشعرت فجأة بدافع يحفزني على العمل فتناولت قضيباً من هذه القضبان
الطويلة ، وصررت أغرزه بقوة في الأرض الناعمة بعد أن خطوت عدة
خطوات على غير هدى ، فلم يكد القضيب يدخل مقدار قدمين تحت سطح
التربة حتى أحسست به يصطدم بجسم صلب ويقف عن الولوج .

اللوح الحجري يدل على انتشار الديانة المسيحية :

وهرع رجالى إذ شعروا بذلك ، ، وصاروا يحرفون التراب صائحين
(ما شاء الله ما شاء الله) وبعد قليل من دقائق كانت الدفنتان متصبتين
أمامنا على الأرض ، لوح حجري عليه كتابة سبئية نقرأ هكذا (هذا شاهد قبر
وضريح اليا بن بن شاسار من عائلة س م م من فخذ د . ل من قبيلة شواذب)
ولعل أهم نقطة وردت في هذه هي الكتابة التي وجدت على هذا الشاهد
الذي يعود إلى القرن الخامس أو السادس للميلاد . ورود الاسم (إيليا)
يدل على أن الرجل صاحب القبر مسيحي .

كانت المسيحية قد تغلغت إلى ربوع كثيرة من ربوع بلاد العرب
عندما بدأ محمد^(١) ينشر دعوته وكان الإنجيل قد انتشر فيها بواسطة
المبشرين النازحين إليها من بلاد سورية والحبشة . وحيثما سار تعليم الإنجيل
وأثمر أبطل العرب عباداتهم الوثنية وإيمانهم بالشمس والقمر والزهرة
وبعدد آخر من الآلهة المختلفة^(٢)

أما التمثال الذي عثرنا عليه مع شاهد القبر فكان ارتفاعه ثلاثة أقدام
وكان ناقص الرأس والكفين ولا يستبعد أن يكون الوهابيون قد ضربوا
عنقه وهم (محطمة الأوثان) إذ أن التماثيل وغيرها من الأنصاب المنقوشة
مما يحرمه الإسلام .

والظن أن هذا التمثال يمثل عن راهباً وثنياً يقوم بأجراء طقوس القربان
بمساعدة صبي ، ويرجع أن تاريخه يرجع إلى ٢٠٠ عام بعد المسيح .

ويدعي صديقنا الشيخ أنهم عثروا على هذا التمثال أول ما عثروا عليه
في جزيرة (تاروت) الواقعة في خليج القطيف وقد عثر العرب هناك على
تماثيل أخرى شبيهة بهذا التمثال وعلى عمله ذهبية .

(١) عليه الصلاة والسلام .

(٢) حذفنا من هنا كلاماً عن الديانة المسيحية .

كنت عازماً على زيارة جزيرة تاروت التي سماها (كلود يوس بتولي claudius Ptolemy) المؤرخ اليوناني المصري في خارطته العربية باسم (Tharo) تارو وعلى هذا فقد أفلتت من الخبر على ظهر قارب ومعني عالم جيولوجي وبضعة أنفار من العرب وحاذيت الساحل شمالاً نحو الجزيرة وكان ذلك قبل عيد الميلاد بيومين .

وكانت ريح الشمال — الشمالية الغربية القوية — تهب بسرعة وسرعان ما أظلمت السماء فكان ذلك بمثابة إنذار منها بخطر اقتراب عاصفة تجرفنا معها جرفاً ، ومن عادة هذه الريح أن تهب بسرعة ٦٠ ميلاً في الساعة أحياناً فتحمل معها مقداراً من الغبار والرمل من كثبان نفود .

ونمة رياح أخرى أكثر خطراً وأشد وقعا في الحقيقة على البحارة ألا وهي الريح الجنوبية الشرقية التي يسميها البحارة باسم (الكوس) وتكون مصحوبة عادة بالأمطار الشديدة والعواصف الهوجاء .

وقد كانت هذه الريح مصدر خوف للأقدمين أيضاً فقد عثر على لوح حجري في (أور الكلدانيين) يحمل (تعويذة) ضد شر رياح الجنوب .

منظر من رحلات السندباد البحري :

وعندما قاربنا جزيرة تاروت ذكرتنا مناظر هذه الجزيرة برحلات السندباد البحري . إذ أن جدران (دارين) المدينة الرئيسة في هذه الجزيرة شديدة الانحدار وتشمل معظم جهة الجنوب ، فلهذا توحى للناظر إليها أنها مدينة خرجت من البحر فجأة .

وتاروت مدينة يكتنفها غموض وأحلام وهذا يصدق على كل جزر الخليج التي تعكس صدى حوادث السندباد ومغامراته الرائعة .

ولم أجد أي أثر على سطح جزيرة تاروت من سجد أو هيكل قديم مما يمكن اعتباره من الخرائب الأثرية ، بيد أن مدينة دارين يحملها قد شيدت على ما يظهر على أنقاض أبنية قديمة . وليس سوى مكان واحد جدير بالعناية

الأركولوجية (علم الآثار) وهذا المكان هو عبارة عن بقعة صغيرة تعلوها
أكمام بدائية يقول عنها السكان إنها بقايا قبور عفى عليها الزمان . والحق
أن لا شيء سوى الحفر بقادر على أن يميّط عن أسرارها اللثام .

وفي القرون الوسطى اشتهرت هذه الجزيرة بكثرة ما كان يدخر فيها
من السمك والأفاويه مما كان يرد إليها من الجنوب ويعيش سكانها الآن
محترفين صيد السمك ، وقد كان السمك الغذاء الرئيسي للأقوام التي
عاشت منذ الأيام القديمة على شواطئ الخليج . . .

ويروي أن أحده واد اسكندر الكبير كان يجوب البحر مرة باحثاً عن
طريق صالحة للملاحة من الهند إلى الفرات فوجد في طريقه أناساً : (يخطي
الشعر الكثيف أجسادهم وتشبه أظافرهم مخالب الطير والسباع كانوا
يستعملونها في تقطيع السمك وتقطيع الخشب الرقيق ، أما ملابسهم فكانت
مصنوعة من جلود السمك الكبير السمكة) .

جزيرة أكلة الأسماك :

اعتاد كهنة السومريين - كما كشف البحث - على لبس ملابس
ينسكرون بها كالأسماك في مواسم وأوقات معلومة . وزار بحارة اسكندر
الكبير مرة قوماً اسمهم (إكثاي أوفاجي Ichthy Ophagi) أي أكلة
الأسماك ، وكان السمك غذاؤهم وهم يصطادونه بواسطة الشباك التي يلقونها
في البحر ويستظرون مدة من الزمن ليقذف المدفئها ما يقع منه . وفي
الدمام رأيت على السواحل نوعاً من الشباك يضارع النوع الذي كان يصنعه
(أكلة الأسماك) .

وعقب رجوعنا من زيارة تاروت اتجهت لزيارة القسم الشمالي من
منطقة الاحساء وصادفت في طريقي قوافل الإبل تدلف في سبيلها الوئيد
نحو الواحات المختلفة الواقعة في الشمال الغربي .

وكانت الأرض مجدية قليلة الأشجار ولا شيء يسترعي الاهتمام ، غير

أنني وجدت على بعد سبعة أميال إلى جنوب الجبيل البحري الميناء الصغير مدينة غربية مهجورة تقوم على قمة جبيل بحري . وعلى قمة هذا التل تقسع أنقاض بيوت حجرية مستطيلة الشكل ، تفصل بينها شوارع مرتبة ترتيباً نموذجياً حسناً ، ولم يكن فوق التل أو في سفحه أثر لبشر ، كما أنني لم أعثر على خزان أو مستودع للماء . ومهما يكن الأمر فلا بد أن ساكني هذه البقعة قد أعدوا الماء الذي يشربون بحالة من الحالات .

كان المكان هذا منيعاً حصيناً ولا ريب في أنه قاوم غارات وغزوات شتى فرسان غزاة من الصحاري المجاورة . وتدلنا كسر الفخار التي عثرت عليها هناك وألوانها الزرقاء والخضراء على أن هذه المدينة التي نُسِي اسمها يرجع تاريخها إلى العصور الوسطى .

طرق سمعي بين القبة والقبة حديث عن قلاع ساحلية قديمة تقع على بعد ٨٥ ميلاً إلى غرب الجبيل . فقمنا للبحث عن آثار هذه الخرائب ترافقني سيارتنا الحمل وكان طريقنا نحو الغرب ، في بحر متموج من الرمال فكنا في هذه السفرة أشبه براكب قارب فوق متن سلسلة من الأمواج غير المتناهية .

مدينة قوافل قديمة :

وقفنا في (الحنا) نزود بالبنزين والحنا هذه واحدة من بضع قرى في هذا القفر النائي وقد عثر الكابتن شكسبير Capt. W. H. I. Shakespear عام ١٩١١ في هذه القرية وفي خرائب ثاج على ثلاث كتابات سبئية مهمة . والكابتن شكسبير هذا كان المبعوث السياسي لحكومة الانكليز في الكويت وقد قام بعدة جولات استكشافية إلى الداخل إلى أن قتل في سنة ١٩١٥ أثناء بعض المناوشات القبلية على حدود نجد (١) .

(١) بل قتل في وقعة جراب في داخل نجد ، بين الملك عبد العزيز آل سعود والأمير عبد العزيز بن رشيد رحهما الله .

ويقع المكان المسمى بـ (ثاج) على طريق القوافل المهم الذي يربط
مملكة (الحيرة) في بلاد ما بين النهرين بنجران في جنوب جزيرة العرب
وقد وجد المسيحيون بكثرة في هذين المكانين .

وواصلنا من الحنطة سيرنا جهة الغرب متوغلين في قلب مقاطعة نجد ،
قلب البلاد العربية حيث السهول المنبسطة السراء تمتد إلى الآفاق البعيدة
وكانت التلول المائدية الشكل المنبثة على الأرض تضئ على منظر هذه المفاضة
شيئاً من الروعة والبهاء بحيث تذكر الناظر إليها بمنظر بلا (أباك Apache)
من أعمال أمريكا الجنوبية الغربية .

أولى القلاع الجبلية :

بلغنا بعد أن قطعنا سلسلة منحدرات حوضية الشكل تسمى بوادي
المياه أقصى حافة الحرف الشرقية وعندها أسرعنا إلى تسلق أولى القلاع .

كانت القلعة هذه عبارة عن مستعمرة لا هي بالصغيرة ولا بالكبيرة
تجثم على قمة رابية منعزلة تحيط بها جدران شيدت بالآجر المحصص ، باستواء
سطح جانب الصخرة المشيدة فوقها فتكون هذه الواسطة قلعة حصينة آمنة ..

ومن إحدى جهات القلعة برز شبه إفريز من الحجر الكلسي في وسطه
كوة ، ودورة تنسع لمروء شخص واحد منها ، في وقت واحد كان يتسلق
— على ما يظهر — بواسطة حبل يدلى له من هذه الكوة . وقد حفر في أرض
القلعة المهجورة الصخري بئر بالغ العمق .

ويُظنُّ أن هذه القلعة شيدت في غضون القرن التاسع ، القرن المشحون
بالقلاقل والفتن عندما كان القرامطة الغلاة يجوبون شرقي جزيرة العرب
ويتحاربون . ثم هجرت منذ أمد ليس بالقريب .

في وادي الحارث السامي
لبنان ومزارع الحارث

كان القرامطة هؤلاء أعداء خليفة المسلمين الألداء ، إذ لهم بيبهم الخاص ، وقد استولوا على عدد من المدن والجهات الهامة من هذا الجزء من البلاد العربية ، وقد أتيح لهم غزو مكة نفسها بالفعل واستولوا على الحج الأسود المقدس ، وانتزعوه من مكانه ونقلوه إلى الاحساء حيث بقي لديهم أكثر من عشرين عاماً .

تركنا بعد ذلك هذه القلعة الجبلية وخيمنا في مكان يبعد ٣٤ ميلاً شرقي قرية السفلى وعندما خيم الظلام دلف إلى داخل الخيمة رجل طاعن في السن ، عرفناه من بعد ، إنه واحد من خبرة الألداء الأبناء المعول عليهم في شبه جزيرة العرب الرجل الذي يعرف الجزيرة من (الرُبْع الخالي إلى وادي السرحان) . وجلسنا نتجاذب الحديث على ضوء المصباح في الخيمة ، وكنت أسأله عن تكوين الأرض في القسم الشمالي الشرقي من الجزيرة وما إذا كان قد طرق سمعه وجود كهوف أو خرائب فيها أثرية بارزة ، ولكنه أكد لي أن لا شيء من هذا القبيل عدا القلاع القائمة فوق الهضبات .

لم أتمالك نفسي عن الاسترسال في التأمل والتفكير وقلت في نفسي : لعل هذا الرجل قد مر أثناء سفراته العديدة داخل هذه البلاد على كثير من المشاهد والآثار الخافية التي تحكي قصتها يوماً لعلماء الآثار وقد تكون قدماء ركلنا مراراً شظفاً أثرية منحوتة من الصوّان ، نبذاً أقوام بدائيون لا يمكن أن ينتظر على بال هذا الرجل حتى وجودهم ومقامهم في هذه الأصقاع .

كما أنه ليس من البعيد أن تنطوي أرض جزيرة العرب على مادة غريبة لعلماء البيولوجيا (علم الحيوانات والأشجار المتحجرة) إذ أن (الجيولوجيين) النبطيين عثروا عند بلوغهم الطبقة (البيلوسينية) في العصر (البيلوسيني) ، - وفيه الجو في شمال أوربا ونشأ الإنسان القروي - على عظام أسنان وقوائم

هيكمل عظمي لحيوان (المستوطنون Mastodon) وهو حيوان منقرض يشبه الفيل كما عثروا على بقايا عظام فك لظبي بدائي . وهذه البقايا الحيوانية ربما كان لها من العمر حوالي ٢٥ مليوناً من السنين .

الخليج في الصيف فرن نار مشتعل :

وفي اليوم التالي استكشفت قلعتين مضبتين أخريين لا تختلفان عن القلعة السابقة . وكانت الشظف الحجرية تنتشر مختلطة بترتباتها وهي على شكل نصال السهام ، المستعمل لصيد الطيور كما وجدت أكواماً من كسر الأواني الفخارية المختلفة .

انتهى بنا الطريق في الإياب إلى مقرنا في الظهران وبعد بضعة أسابيع فقلت راجعاً إلى البحرين على ظهر (نخت) بخاري لأن الربيع كان قد حل وكان عليّ أن أنجز أعمالاً حفرية في جزيرة البحرين ، قبل أن يداهنا فصل الصيف ، وترتفع درجة الحرارة وتجعل من الخليج أتوناً مستمر اللظى . إذ ترتفع درجات الحرارة خلال أشهر الصيف فيه إلى ١٣٠ في الظل .

وعلى العمال عندئذ أن يدفنوا آلات عملهم وعددهم تحت التراب ، عندما يقفون عن العمل ، لأنهم إن تركوها فوق سطح الأرض سخنت إلى درجة لا يقدرّون على إمساكها بأيديهم ثانية .

وتركت الاحساء وعادياًتها المنوعة على أسف ومضض ، يحدوني أمل واحد ، وهو أن تكون هذه الفرقة قصيرة ، لأن أودعها وداع فراق طويل . ولكن عليّ أن أقول ههنا ما يقوله العرب في مثل هذه الحال :
الله أعلم !!

فِي رِحَابِ الْحَرَمَيْنِ

مِنْ خِلَالِ كُتُبِ الرِّحَلَاتِ إِلَى الْحَجِّ

- ١٦ -

كنا نشرنا في مجلة « العرب »^(١) طائفة من الأشعار التي ذكرت في منازل طرق الحج ومنازلها ، ومما اطلعنا عليه - في رحلات علماء المغرب تقول كثيرة عن رحلة للسيد البكري ، ضمنها وصف طريق الحج من مصر إلى مكة المشرقة .

وعند ذكر كل منزلة من منازل الطريق يورد أحياناً لطيفة من شعره ، وقد مرّ في الرحلات التي نشرناها طرف من ذلك . وقد رغبتنا بنشر الرحلة كاملة ، ولكننا لم نطلع على نسخة منها ، فاكفينا بنقل ما وجدناه من تلك الرحلة في كتب الرحلات قال العياشي : قد ظفرت بمصر برسالة للشيخ محمد البكري وأظنه شيخنا محمد ابن الشيخ زين العابدين ، ذكر فيها منازل الحج ودياره ذهاباً وإياباً ، وحقق قدر ما في كل مرحلة من الساعات والدرج والدقائق وصعوبتها وسهولتها . بنثر بليغ وعبارات رائقة ، وذكر في كل منزلة شعراً يتعلق بأحوالها ، فأردت أن أقتطف منها ما يكون في إذن هذه الرحلة شتقاً^(٢) .

البركة :

فأول المنازل البركة التي توحدت في مشارق أنوارها ، ومشارع شوارع أقطارها عن المشاركة وقصرت عن أوصافها درر^(٣) الألسن ،

(١) السنة الثالثة من ص ٣٠٤ إلى ٣٤٤

(٢) « الرحلة العياشية » : ١ - ١٦٠ ومحمد بن أحمد بن ناصر الدرعي صاحب « الناصرية » .

١-٣٥٣ نقلًا عن العياشي وكذا أبو مدين وأشرنا إلى رحلته بكلمة (المدينة) ونقلها عن العياشي الورثيلاني في رحلته .

(٣) العياشية : « ذوى السن » .

وجمعت بين الماء والخضرة وقلوب الوجه الحسن ، فهي مخضرة الأكثاف ،
 بدبعة الأوصاف ، قد صدحت أطيارها ، ونفحت بالنسائم أزهارها ،
 وبها الخيام منصوبة ومرفوعة ، والخبرات لا مقطوعة ولا ممنوعة ، مع
 موقف ^(١) آثارها على الأقدام ، يستدل بضوئها في الليل من له على
 القلوب إقدام ، كأنها في جنح الليل نجم الثريا إذا اقترنت بالنثرة ، والإكليل
 إذا قارن الزهرة ، وبها سوق يساق إليه بدائع البضائع ، التي يحتاج إليها
 المسافر في أكثر الوقائع ، ما قصد نحوه قاصداً ، إلا وعاد منه موصولاً بالصلة
 والعائد ، وكان هذا النعيم المقيم يسايرنا في الذهاب والإياب ، إلى أن رجعنا
 إلى بركة الحاج ثانياً ولقينا الأحباب :

في بركة الحج ترى	تخلأ زها لكن عجب
زبرجداً يحكي وما	ثمساره إلا الذهب
فيها نسيم رائق	بلطفه يشي الوصب
والطير فوق مأها	يشدو بأنواع الطرب
فيها من بركة	تبلغ القلب الأرب
عوذتها من طارق	وغاسق إذا وقب ^(٢)

البويب :

البُوب المعروف بالتصغير ، وفي الحقيقة هو باب الدرب ومفتاح المسير ،
 فاجتمع شمل الركب في ذلك المكان ورجع المودع في خبر كان .
 ومدة المسير في تلك المرحلة ثلاث ساعات ^(٣) (يقصد من البركة إليه)

المصانع :

ثم نادى منادي الرحيل فسار الركب — من البويب — إلى أن أصبح

(١) مع وقوف أشايرها .

(٢) عن « الناصرية » ١٥٣٨ ورحلة أبي مدين و « العياشية » ١٩٠-١

(٣) عن الناصرية - ١٥٤٠ والعياشية ١٦١-١

مقارناً للبر (٩) الطويل وهو المكان المعروف بالمصانع ... وبه تقطير الجمال
وضبطها في مسير الركوب ...

فباله من يوم تقطر فيه الدموع ، وبطول فيه الوقوف والوقوف ،
وتشرب فيه الفقراء كاسات الردى ، لشدة ما يحصل لها من جور الجنود
واعتماد الاعتداء (٩) فما من فقير إلا ويحتاج إلى غني يسعفه ، وإلى عادل
من ظلامته ينصفه .

قال الشاعر :

قد آتينا إلى محل المصانع فاصنع الخير فيه إن كنت صانع
وانفع الناس في كثير جميل علّ تلقى خيراً كثيراً ونافع

واعلم أن عدة درج المسير (١) إلى هذه المرحلة ست ساعات (٢)

عجروود :

فوصلنا إلى بندر عجروود ، وماؤه ملح أجاج غير مورود ، فأتى أهل
بندر السويس ، وعطفوا علينا انعطاف الأغصان في الميل والميس ، وأهدوا
إلينا الأحطاب للمشاعل ، والأغنام للمأكّل ، وعدة درج هذه المرحلة المبهجة
سبع وثمانون درجة (٣)

المنصرف — وادي القباب :

قال البكري : في رحلته من عجروود إلى التّخيل : ثم سرنا إلى النواطير
ورأس وادي المنصرف ، وهو واد بكثرة الرمال والكثبان قد عُرف ،
ليس به ماء ولا مرعى ، وإنما عيون الناس لمضيق أرجائه ترعى ، قال الشاعر :

نزل الراكب بوادي المنصرف وعلى لقيه كم مال صرف
نحمد الله الذي جئنا له وجميع اللهم عنا مُنْصَرَف (٤)

(١) الساعة ١٥ درجة .

(٢) عن « الناصرية » : ١٥٤-١٠١ والمباشية ١٦١-١٠١

(٣) عن « الناصرية » ١٥٤-١٠١ والمباشية ١٦١-١٠١

(٤) هذا المنصرف بكسر الراء والذي بقرب المدينة المعروف الآن باسم المسيجيد بفتحها .

ثم سرنا إلى وادي القباب ، وهو واد فسيح الرحاب ، نهم به قلوب
الأحباب ، وتذكر به عهد زينب والرباب ، لا سيما اجتماع الأصحاب ،
في مواطن البعد والاعتراب . قال الشاعر :

شاقنا وادي القباب المرتضى في اسمه وهو فسيح في الربى
فوصلناه وقد قلنا : عسى بعده نأتي إلى وادي مُبسا
وميقات المسير عشر ساعات على التمام ، وبعد إقامتنا به إلى وسط النهار
نهانا للقيام .

التيه - نخل :

ثم نادى المنادي بالرحيل ، فسرنا إلى رأس وادي تيه بني إسرائيل ،
قال الشاعر :

لا تسلكن بوادي التيه منفردا بلا دليل ترى وقع الردى فيه
فما سمعت كلاما من أخي ثقة في الناس إلا وقال : احذر من التيه
ومدة المسير إليه عشر ساعات .

ثم سرنا إلى قلعة نخل الحمية ، وتعجبنا من كثرة الفواكه الشامية ،
من سفرجل ورمان ، وعنب على اختلاف ألوان ، والخيرات الكثيرة ،
وما يحتاج الحجاج إليه من الذخيرة ، والفساقي المملوءة بالماء البارد ، المعدة
للغادي والوارد ، قال الشاعر :

إلى نخل الحصينة سر حميدا ترى فيه المتى والخير باقي
ولا تشكو الظماء لفقد ماء فساقها مقيم بالفساقي
ومدة المسير ست ساعات محررة ، وخمس من الدرج مقلرة (١) .

القريض - العقبة :

ثم سرنا من النخيل (٢) إلى وادي القريض المشهور وهو واد ينبت به الشوك

(١) عن « الناصرية » ١٥٧ - ١٥٨ والعيانية ١٦٥ - ١٦٦ الساعة ١٥ درجة

(٢) كذا وتقدم نخل .

عوضاً عن الزهور ، فكُم آذَى بشوكه من أقدام ، وعطل لمن له على المشي
إقدام ، ولا سيما الحفيا لا تساع أرضه ، وزيادة فضائه في طوله وعرضه
قال الشاعر :

في وادي القريص^(١) كم سائر من غير نعل ثابت الكعب^(٢)
قد صار كالاعجام من شوكه يرقص من قرص على الكعب
وسيرها اثنتي عشرة ساعة كاملة .

ثم سار الركب إلى بئر العلائي التجريد (؟) وهي محطة بُرها معطلة بها
قصر مشيد ، وبقرها جاذرة منحدره (؟) وأشجار أثل منتشرة ، وبجانباها
فستقان ليس بهما منفعة ، فإورد عليهما حيوان ظمآن إلا وقام عند
رؤيتهما بالأربعة (؟) قال الشاعر :

إلى بئر العلائي قد أتينا وفزنا بالنجاح وبالثناء
شكرنا للدليل وقد دعانا إلى شيء يوصل للعلاء
ومدة السير إليه اثنتي عشرة ساعة في المسير

العقبة :

وبعدها الجدُّ إلى سطح العقبة في المسير ، وهو سطح واسع الأكثاف ،
متسع الجوانب والأطراف ، لا يوصل إليه إلا بالاستطاعة ، لأن مدة
المسير إليه اثنتي عشرة ساعة ، ثم سرنا إلى العقبة وما أدراك ما العقبة ،
فكُم بها من حدرات ومضيقي ، وجبال في شكل الحمرة والبياض وهي عقلة
في الطريق ، وصعود وانهاط ، وعلو وانحطاط ، قال الشاعر :

عقباتٌ تسلك الناس بها بعقول لم تنزل مرتعبه
قد قطعناها بوقت هينٍ لم ترَ فيها أموراً متعبة
نحمد الله الذي خلّصنا فاسترحنا من عقاب العقبة

(١) (المياشية) : (في وادي فيحاء) وفي رحلة إلى مدين (فرض)

(٢) عند أبي مدين (العقب) .

فقطعتنا تلك الحذرة الكبرى ، ثم سرنا إلى واد بشاطيء البحر وأحطنا به
خبراً ، وبجانب البحر مغائر مأوها عذب فرات ، وآبار تسقى منها الناس
بسائر الجهات ، ورأينا نخلاً زاهية ، وقلعة حصينة عالية ، فاقمنا بتلك
المنزلة ثلاثة أيام . وقد وردت الفواكه من غرة وأعمالها نصبت للبيع ،
وانخفضت الأسعار . ورفعت البواقي على أحمالها .

وبقلعتها توضع الودائع وترد إلى الأياب ومدة المسير تسع ساعات
بالحساب^(١)

ظهر الحمار – بين الجرفين :

ثم سرنا إلى مرحلة يقال لها ظهر الحمار ، وهي محطة عالية كثيرة
الأوعار ، يصعد إليها من عقبتين ، وانمى أوسع من اليسرى في المسلكين .
قال الشاعر :

صعدوا على ظهر الحمار لعلهم أن يبلغوا بصعودهم كلَّ الأملِ
تعب الحمار من الطريق وطولها ومديدها واجتثَّ من بعد الرَّمَلِ
حتى الجمال به شكَّتْ يا هل ترى يقبلُ به عذر الحمار أو الحمل ؟

ومدة المسير إليه ثمانية من الساعات :

ثم سرنا إلى ما بين الجرفين ، وهو مكان كأن الجبال قد قسمت به
شطرين ، ينحزم منه أن يقذف بالحجاج ، في أيام السيل إلى البحر الملح
الأجاج قال : الشاعر ملغزاً فيه :

وخسة أحرف في اللفظ تُقرأ فإن صحفتها صحت بحرفين^(٢)
وإن اسقطت مُخسِئها فيبقى ثلاثة أحرف من أصل ألفين^(٣)

(١) عن « الناصرية » ج ١ ص ١٦١ و ١٦٢ والياشية ١-١٦٤ و ١٦٤

(٢) أى : جرفين - حرفين .

(٣) ألفين (فين) إذا أسقطت (حر) يبقى (فين)

الشرفة - مغار شعيب :

ومنها إلى الشرفة ، وهي بطول المسير متصفة ، تنعب فيها الجمال ،
ولورحلت بالأرحال ، لما فيها من الوهاد ، والطلوعات الشداد ، وخلف
جبالها قبيلة بني عطية ، المعروفين بالسرقة والأذية قال الشاعر :

إذا ما جئتَ للشَّرْفَةِ ترى العربان مختلفه
وأما العيس فاجعلها بحسن الحفظ متصفة
فإن منعت بحارسها وإلا فهي منصرفه

ومدة المسير خمس عشرة ساعة ، من غير ريب ، وبعده المغار المعروف
بمغار شعيب ، وهو غار تتبرك به الناس ، وترى فيه الحظ والإيناس ، وبه
الماء العذب والنخيل ، وشجر المقل والأثل والظل الظليل قال الشاعر :

قد وصلنا إلى مغار شعيب فرأينا المياه كالأنهار
فاستقينا من مائه واشتقينا وظفرنا بغاية الأوطار
وذكرنا بغاره غار ثور من هوى للصديق والمختار
خير من أنزل الإله عليه (ثاني اثنين إذ هما في الغار)
ومدة المسير ثمان عشرة ساعة (١) .

عيون القصب :

ثم منها - مغار شعيب - إلى عيون القصب ، إذا نظر إليها العاجز ذهب
عنه الوصب ، لأن خضرتها نظرة ، والأشجار بها منتظمة ومنتشرة . قال
الشاعر :

قد وصلنا لعيون القصب واستراح القلب بعد النصب
وعيون الماء فيها قد جرت كسيول الغيث بين القصب
فجلسنا في صفاء حولها وظفرنا عندها بالأرب
وتشوقنا لشادٍ مطرب يتغنى بعيون القصب

(١) عن الناصرية ١٦٤ - ١٦٥ المباشية ١٧١-١

(١) عن الناصرية ١٦٤ - ١٦٦ المباشية ٣٢-١

ورأينا مجاوراً لتلك العيون ، نسوة من العرب يوصفن بحسن العيون ،
ويَتَعَاَجِبْنَ بظفائر الشعور ، فيمتنعن من عقل الحبة الشعور ، كأنهن
أقمار ، أو كأنما نبتت في وجناتهن الأزهار ، فكان قطع المفاوز والأوعار
كالتزهات في الرياض والأزهار ، قال الشاعر في بدوية اسمها ساكنة :

بروحي أفدى ظبية بدوية لها وجنة فيها الأزاهير نابته
إذا رُمْتُ منها أن تكلمني غدت تكلمني ألاحظها وهي ساكنة

ومدة المسير إليها أربع ساعات وثلاث من الدرج .

المويلح :

ثم منها - عيون القصب - إلى بندر المويلح المشهور ، ورأينا بساحله
مراكب من السويس والطور ، فياله من بندر فاق البندر ، يأتي إليه الوارد
والصادر ، وبه جملة من الكروم ، التي تذهب برؤيتها الهموم ، وبمخازن
القلعة تودع الودائع ، وإلى سوقها تساق نفائس البضائع ، من ثمار تجلبها
العرب ، وزلاية عجبتها كاللجين ، وإذا قُليَتْ أشبهت الذهب ، وبهذا البندر
رجل من أهل الأحوال ، حاز رتبتي الجلال والجمال ، صاحي مجذوب ،
يميل إليه حبة القلوب ، وله أسرار ظاهرة ، ومكاشفات باهرة - وأطال
ثم قال :

فأقنا بهذا البندر مدة ثلاثة أيام ، ومدة المسير ثلاث عشرة ساعة
وخمس من الدرج ^(١) ..

دار أم السلطان - سلمى :

قال البكري : ثم سرنا من المويلح إلى دار أم السلطان ، التي هي لعرب
البادية أوطان ، ونزلنا بوادي سلمى وكفافة ، وحصل مزيد الأمن بعد
الخافة ، وخلف جبلها الغربي البحر الأصيل ، وبجانبه القسطل الذي ^(٢) منتظم

(١) عن الناصرية ١٦٦ والمياشية ١٧٢-١

(٢) في المياشية : (البرى ينتظم كالتهيل وحفاند) رنج والمدينة (انبرى منتظم كالنخل

وحفاير) .

النخيل ، في حفائر ماؤها عذب بارد ، يشرب منها الغادي والوارد .
قال الشاعر :

إنَّ وادي سلمى بهيَّ بهيج حيث فيه قبر الولي المسمى
صاحب السرِّ والمعارف مرزو ق الكفافي طاب روحا وجسمها
فإذا جئت قبره فتأدَّب وتوسل بجاهه ثم سل ما^(١)

فأقنا بتلك المرحلة الإقامة المعتادة . ومدة السير كاف على التهام^(٢)
[يقصد ٢٠ ساعة ، إذ المكان بحساب الحمل تساوي رقم ٢٠]

الأزلم :

ثم سرنا - من سلمى - إلى بندر الأزلم ، ولا يرغب فيه من بحقيقته
يعلم ، فآؤه ملح أجاج ، ماثريه إنسان إلا احتاج للعلاج ، فأقنا به من غير
إقبال^(٣) ، ورحلنا منه بعد الزوال ، ومدة المسير إليها ست عشرة ساعة
وخمس من الدرج (٢)

اصطبل عنتر :

ثم سرنا إلى مرحلة تسمى اصطبل عنتر ، وقد اختفى فيها ركب العربان
للأذى وتستتر ، والمسير إليها بين جبال صاعدة وجورات وأوعار متقاربة
ومتباعدة ، وبها آبار عذبة ، يود كل ظمآن شربه ، قال الشاعر :

إن جنت للاصطبل لا تغفل به عند النزول
واحدَر من العرب الذي بجباله أبداً تصول
واعلم - فديتك - أنه صعبٌ ولكني أقول
قد سمّي الاصطبلُ من عَرَبٍ به شبة الخيول
ومدة المسير ثلاث عشرة ساعة^(٤) .

(١) التوسل بالجاء من الأمور المحرمة ، إذ التوسل يكون بالأعمال الصالحة .

(٢) عن الناصرية ١ - ١٦٩ والعباشية ١ - ١٧٤

(٣) في المدينة (قبال) .

(٤) « الناصرية » ١ - ١٦٩ والعباشية ١ - ١٧٥

وادي الأراك - الوجه :

ثم سرنا منه - الاصطبل - إلى وادي الأراك ، وهو وادٍ ليس لانفراد
محاسنه اشتراك ، وبعده دخلنا بين جبال وأوعار ، ومضيّق وأحجار ،
وحذرات ^(١) طوال ، وصعودات وتلال ، حتّى نزلنا ببندر الوجه المبارك ،
وصار حصنه متقارباً مُتَدَارِكٌ ، فرأينا فيه الآبار الحالية ، وحفائر الماء
العذب بقربه غير خالية (؟) فأقننا به إلى قبيل العصر ، وقد زال من الناس
الحصر ، قال الشاعر :

قد دخلنا بندر الوجه الذي فيه قوتٌ كلِّ عامٍ يَحْتَوِزُ
وشربنا من مياهٍ عذبةٍ شربُها يَجْلُو عن القلبِ الحزن
نحمد الله الذي أسعفنا ورأينا ذلك الوجه الحسن
ومدة المسير إليها سبع عشرة وثلاث ساعة ^(٢)

مفرش النعام - أكره :

وقال : ثم سرنا من الوجه إلى مفرش النعام ، إلى حذرات ^(٣) وآكام ،
وأماكن يرى منها البحر الأجاج ، وشدة تلاطمه بالأمواج ، ثم إلى حذرات
كبيرة المقدار ، من الصخور والأوعار ، ونزلنا في مرحلة ^(٤) يقال لها
بركة أكره ، وهي أرض بها حفائر ماء تكره ، ماؤها مُرٌّ المذاق ، من تقيد
بها بشربه حصل له الإطلاق ، وهي مرحلة لا ترتاح بها النفوس ، ولا يضحك
العبوس ، قال الشاعر :

يَا مَنْ رَأَى أَكْرَهَ فِي سَبِيلِهِ أَبْشُرْ بِنَيْلِ الْقَصْدِ وَالْمُنَى
لَا تَكْرَهُ الْمَكْرُوهُ فِي أَكْرِهِ فَبِالْمَكَارِهِ حُفَّتِ الْجَنَّةُ
ومدة المسير إليها تسع ساعات وثلاث ساعة ^(٥)

(١) في المدينة (حذرات) بالذال في كل المواضع . ولعلها حذرات .

(٢) : « الناصرية » ١٧٠-١٦٩-١٧٥-١ والبياشية ١٧٥-١

(٣) في المدينة مشرف و (حلورات) وفي كل ما تقدم (حذرات) .

(٤) في البياشية والناصرية : (رملة)

(٥) « الناصرية » ص ١٧٤-١ البياشية ١٧٩-١

الحنك :

قال البكري : ثم سرنا - من اكره - إلى مرحلة يقال لها الحنك ولها من بين القرى ^(١) اسم مشترك ، بين فضاء واسع المجال ، ومراعي أعشاب للجمال ، إلا أنها خالية من الماء للوراد ، والإقامة بها إنما هي على طريقة السير المعتاد ، ومدة المسير إليها أربع عشرة ساعة ^(٢)

العقبة السوداء - الحوراء :

قال البكري : ثم مرنا - من الحنك - إلى العقبة السوداء المشهورة وقطعنا مفازتها ، ونزلنا بالحوراء النضرة ، وهي مرحلة رملها غزير ، ومحاطها كثير ، وبها شجر الأراك الأخضر ، والماء من حفائر رملها يتفجر ، قال الشاعر :

جئنا إلى الحوراء وهي محطة ^(٣) فيها الأراك نزاهة للرائي
ناديت خلى : قف بها متأملاً ^(٤) وأنظر لرملى مغمر بالماء
واغتم زمانا مقبلاً بسعوده فيه اجتماع الشمل بالحوراء
ومدة المسير إليها في جمل الأعداد ^(٥) ، حررها أهل الإرشاد ^(٦)

مغارة نبط :

وقال : ثم سرنا - من الحوراء - إلى مغارة نبط ، وهي حد عربان جهينة في الشَّيْل والحط ، وبطرفها مضائق وحدرات ^(٧) ، وجبال راسيات شامحات ، وشجر أثل كالنخيل ، وحفائر ماء عذب يشقى الليل ، قال الشاعر :

(١) في الناصرية والمدينية (القرون)

(٢) « الناصرية » ١٧٤-١ والياشية ١- ١٧٩

(٣) في المدينية (محاطة) .

(٤) وفيها (مثلاً) ، .

(٥) كذا ويظهر أن حرف الجمل الدال على العدد غير مذكور وقد ترك أبو مدين بياضاً

(٦) الياشية ١- ١٧٩ والناصرية ١- ١٧٤ .

(٧) في الياشية : (حدرات) وفي المدينية : حفرات .

وفي أكره والتي بعدها مرارة ماء تزيد القساوه
فجئنا إلى نبط نشكوا الظماً فأنعشنا ماؤها والطلاوه
ولما صبرنا على غيرها فأعقبنا صبرنا بالحلاوه
ومدة المسير إليها عدد كاف (١) ، وهي عشرون ساعة من غير
اختلاف (٢)

طراير الراعي (الاباطيح) وادي النار — الخضراء :

ثم سرنا من نبط إلى طراير الراعي ، وهي أماكن (٣) تحمد فيها
المساعي ، وهي جبال سود فوق الجبال ، وتسمى أيضاً بالاباطيح كما
يقال ، ثم إلى وادي يسمى وادي النار ، وهو وادي بين جبال ووعر وغبار ،
ثم نزلنا بالخضراء وقيل الخضيرة — بالتصغير — وهي من أعمال بندر
النبوع في المسير ، قال الشاعر :

انظر إلى الخضراء واغمم بسطها تلني ربها نزهة للراعي
فلرب حشاش شكى من همته قد زال عنه الهم بالخضراء
ومدة وصولنا إليها بالمسير (٤)

دار البقر — الوعرات السبع — ينبع :

قال البكري : ثم رحلنا من الخضراء واستقبلنا دار البقر (٥) ، ورأينا
أول الوعرات قد ظهر ، وهي سبع وعرات كبيرة أصعبها الأولى والأخيرة ،
بين كل وعرة فضاء ، وبعده عقلة في الطريق ، ويلها شفا جبل هائل
ومضيق ، ثم أنحنأ الركاب ببندر ينبوع ، وهو أول بلاد الحجاز في الذهاب
وآخرها في الرجوع ، به حدائق ونخيل ، وعيون بين زرع تسيح وتسيل ،

(١) كاف أي (٢٠) بحساب الجمل .

(٢) « الناصرية » ١ - ١٧٤ والعياشية ١ - ١٨٠

(٣) في العياشية : (وهي مكان تحمد فيه)

(٤) بياض وفوقه بياض بالأصل بنسختين (عن الناصرية ١٧٥ العياشية ١٨٠-١)

(٥) في العياشية : « دارين البقر ، وفي المدينة (داري) .

وكان به سور منيع ، وجامع مفرد وسيع ، وبيوت فسحة الرحاب ،
قال أمرها إلى الخراب ، وبه الآن سوق للحجاج ، بأخذون منه الذخيرة عند
الاحتياج ، وبه أفران وحيشان ^(١) (٢) كبار ، وعشوش تسقى فيها القهوة
من أيدي الجوار . قال الشاعر :

حَبَّذا بندر ينبوع وما في ربّاه من رياض وعيُونُ
وسقاة من مِلاَح نهْدٍ يصرعن (٣) الصَّب من نبل العيون
فارتحلَ عنهن واذهب وانتصح فإذا خالفت أذْهَبَت العيونُ

وجميع تلك الأسواق خارجة عن المساكن ، ويعُمُّ نفْعُها الساكن
والظاعن ، فنصبنا بهذا البندر الحيام ، وأقننا به ثلاثة أيام ، ومدة المسير إليه
سبع عشرة ساعة ^(٤) .

الأبرقان — بدر :

وقال : ثم سرنا من ينبوع ^(٥) في فضاء ورمال وآكام وجبال ،
حتى وصلنا إلى الأبرقين ^(٦) وهي كناية عن جبلين متفرقين ، أحدهما رمل
صاعد ، والآخر من وعر وجلامد ، وبينهما تَدَقُّ الطبول الحربية لنصرة خير
البرية ، فيسمعها من كان أهلاً للسمع ، ويحجب عنها أهل الزيف والابتداع ^(٧)

ثم دخلنا قرية بدر وحنين ، التي حماها الله من كل شين ، وبها جسر ^(٨)
طويل ، وعيون تجري بين حدائق ونخيل ، وبها مسجد العريش وقيل مسجد
العمام ، وموضع حوض المصطفى عليه الصلاة والسلام ، ومحل النصر للجيوش
الإسلام — إلى أن قال : قال الشاعر :

يا أهْلَ بَدْرِ لَقَدْ طابَتْ مآثرُكم وقد علا قدرُكم في أرفع الدرج

(١) في المدينة (وحشيان)

(٢) « الناصرية » ١٧٥-١٨٠ والعباشية ١٨٠-١٨٥

(٣) في العباشة (ينبع) وكذا المدينة

(٤) في المدينة (الفرقين) .

(٥) دق الطول خرافة سببها أن الرمل بعد أن يتراكم من فعل الرياح ينهار فيسح له صوت .

فَزَيَّمْ بِغُفْرَانٍ أَوْ زَارِ وَحُسْنِ ثَنَاءٍ عَلَى الْمَدَى نَشْرَهُ مِنْ أَطْيَبِ الْأَرْجِ
يَكْفِيكُمْ فِي عَلَانِ قَوْلٍ مُدَحِّحِكُمْ : « هُمْ أَهْلُ بَدْرِ فَلَا يَخْشَوْنَ مِنْ حَرْجِ »
ومدة المسير إليها ثمان ساعات واثنتي عشرة درجة (١)

البزوة — عالج — جبل القروء — سبيل محسن — ودان :

وقال البكري : ثم سرنا من بدر إلى قاع البزوة وتسمى طرف
النجحار (٢) (٣) ثم إلى عالج وجبل القروء ، ومكان يسمى ودان ثم نزلنا
بسبيل محسن المشهور وتزدهنا في خضرة أعشابه وسرحه المعطور ،
قال الشاعر :

قَدْ شَكَالِي بَعْضُ الْحَبِيبِينَ يَوْمًا ظَمًا الْمَاءِ قُلْتُ : ذَا غَيْرُ مُمَكِّنٍ
كَيْفَ تَشْكُو الظَّمَا ، وَتَجْزَعُ مِنْهُ وَهَذَا السَّبِيلُ أَحْسَنُ مُحْسِنٍ ؟ !
ومدة المسير ثمان عشرة من الساعات وعشرون درجة (٣)

بستان القاضي — رابع :

وقال البكري : ثم سرنا من سبيل محسن إلى بستان القاضي ، ونسبنا
بقرب الديار تعب المسير الماضي .

ثم نزلنا برابع محل الميقات ، وتجردنا من لبس المحيط وأحرمنا ورأينا
حفائر ماء تنبع ، ومزارع بطيخ يتنوع ، ومسجداً قديم الأثر ، ويسمى
بالجحفة (٤) كما ورد في الخبر ، وهو محل وقته المصطفى ، زاده الله رفعة
وشرفاً . قال الشاعر :

(١) إشارة إلى الحديث : « إن الله أطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما كنتم ، فقد غفرت لكم »

(٢) في المباشية (النجحار) وفي الناصرية و « المدينية : (النجحار)

(٣) المباشية ١ - ١٨٧ والناصرية ١ - ١٨٤

(٤) موضع الجحفة بعد رابع بنحو ١٥ كيلا يدعه الطريق القديم ذات اليمين . والطريق

الحديث ذات اليسار ، ولا يزال موضع الجحفة معروفًا ، وقد أنشئ فيه مسجد بجوار مقبرة
وآثار قديمة .

تَجَرَّدَت لما أن وصلت لرابع ولَبَّيْتُ للمولى ، كما حصل النداء
وقلت : إلامى عندك الفوز والغنى وإني فقير ، قد أثبتُ تجرّداً
ومدة المسير إليها ست عشرة ساعة وعشر من الدرج (١) .

الجرينات - طارف قديد :

قال البكري : ثم سرنا - من رابع - إلى الجرينات ، ونزلنا بطارف
قديد ، الذي لا يحل في حرمه للمحرم الصيد ، وأرجأوه واسعة المجال ،
كثيرة الوعر والرمال ، إلا أنها تبشر بقرب البلاد ، وهي مواطن الأجداد .
قال الشاعر :

قد تزلنا بطارف لقديد ودخلنا حماك نرجو الحماية
فتفضل على عبيد وفود منك نرجو دفع العنا بالعناية

ومدة المسير إليها سبع عشرة ساعة (٢)

عقبة السويق - خليص - الديسة - مدرج عثمان - عسفان :

وقال : ثم سرنا - من طارف قديد - إلى عقبة السويق ، وهي عقبة
عالية الرمال في الطريق ، ثم منها إلى خليص الشهيرة ، وبها فسقية من الماء
كبيرة ، ومنها إلى الديسة ، ويحترز بها من اللصوص أحجاب النفوس الحسيسة .
ثم خرجنا من مدرج عثمان إلى قرية عسفان ، وبها البئر التي تفل فيها
سيد البشر ، وهي بئر من شرب من مأثها زال عنه الضرر (٣) . قال الشاعر :

إن عسفان تسامت رفعة وعلت قدرا على كل القرى
وبها بئر النبي المصطفى خير من صلي وصام وقرا
فلإذا جئت لها كن محسنا فعسى تحسب من أهل القرى

ومدة المسير إليها (زاي) في العدد . . . (٤)

(١) العياشي ١-١٨٧

(٢) العياشي ١-١٨٥ و « الناصرية » ١-١٨٤

(٣) لم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم تفل في تلك البئر ، وهو عليه الصلاة والسلام أجل
من أن يصدق في ماء ينتفع به الناس .

(٤) العياشي ١-١٨٨ و (الناصرية) ١-١٨٥ و (زاي) تماوى ٧

جبل العميان - الوادي :

وقال البكري : ثم سرنا من عسقلان إلى جبل العميان ، الذي يجتمع فيه الفقراء ، بقصد الإحسان ، ونزلنا بالوادي ، وهو نهاية سیر البوادي ، وهو واد خصيب ، يرى فيه طالب الزاهة أوفر نصيب ، أغصانه زاهية ، وقطوفه دانية ، وأطياره ناطقة ، وجداوله دافقة ، ومزارعه تنبت من كل زوج بهيج ، ويفوح من أزهارها كل عرف أريج ، وهي زائدة الابتهاج ، وعلى كل حديقة سياج ، فلو رآه مصري من الناس ، نسي الروضة والمقياس ، وبه عشب تسكنها عرب البوادي ، وبأرضه ينبت شجر الكادي.

قال الشاعر :

يا حَبْدًا واد فسيح الفضا أريجه قد عَطَّرَ النادي
كم فيه من فَاغِيَةٍ قد زكت وفيه زهرُ القُلِّ والكادي
وكم ثمار وزروع به والماء فيه يُنْعَشُ الصَّادي
قُلْتُ نَحْلِي حِينَ شَاهَدْتَهُ ولاح لي نور السنا بادي
هل دار لَيْلَى قد تَدَانَتْ لَنَا؟ فقال لي : إِنَّكَ بالوادي

ووصله خمس عشرة ساعة بالمسير ، وخمس من الدرج بالتحريز (١)

سبيل الجوخى - مساجد ميمونة - كداء :

ثم سرنا - من الوادي - إلى سبيل الجوخى المعروف ، ورأينا جنان مكة دانية القطوف .

ثم مررنا بمساجد ميمونة بالعمرة ، وقد اقترن بسما سُمُوها كوكب الأريا بالزهرة ، ولاحت لنا أعلام الديار . ومشاهد المشاعر والآثار ، ووصلنا ثنية كداء ، وبعدها المنعلى التي بها مشاهد أهل الهدى ، وكنا عند خروجنا من عدم الوصول خائفين ، حتى تلقينا هواتف البشائر (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ) فدخلنا من باب السلام ، وشاهدنا البيت والمقام (٢) .

(١) « الناصرية » : ١-١٨٥ و المياشية ٩-١٨٨

(٢) المياشية : ١-١٨٩ و الناصرية : ١-١٨٦

«تاريخ الإسلام» للذهبي وموقف مركز إحياء التراث منه

- ١ -

صدر عن (مركز تحقيق التراث) في مصر ، القسم الأول من الجزء الأول من كتاب «تاريخ الإسلام»^(١) للحافظ الذهبي ، وفيه تفصيل لمغازي الرسول صلى الله عليه وسلم ، مما لم يرد في الأجزاء التي نشرها الأستاذ حسام الدين القدسي ، وسبوالي المركز نشر أجزاء الكتاب - على ما جاء في مقدمة هذا الجزء - ما نشر وما لم ينشر .

وحقق هذا القسم الدكتور محمد عبد الهادي شعيره رحمه الله ، وشارك في التحقيق بعض الباحثين في مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية . ومنهم خديجة محمد كامل ، وفوزية فؤاد على يوسف . وإلهام محمد خليل ، وأحمد عبد المجيد هريدي .

ووقع في ٣٢٠ صفحة من القطع الكبير . تقع المقدمة في ٦١ صفحة والفهرس الموجز في خمس صفحات . والطباعة في دار الكتب .

ويبدأ الجزء بخطبة المؤلف وبذكر مصادر كتابه ، وينتهي بذكر حوادث سنة ست من الهجرة ، حيث يبدأ القسم الذي يليه بذكر (غزوة خيبر) .

مركز تحقيق التراث :

لأبدًا لي من كلمة موجزة عن عمل بعض القائمين بتحقيق التراث في (دار الكتب المصرية) أول عهدي بالدار ، قبل ثلاثين عاما . وعن جانب من عمل

(١) وقد صدر في العام الماضي وتأخر نشر هذا المقال

(مركز تحقيق التراث) الذي أنشئ في تلك الدار منذ بضعة عشر عاماً ،
فقد كان أول قسم قويت الصلة بيني وبين العاملين فيه من أقسام الدار هو
(القسم الأدبي) وكان القسم المشرف على تحقيق الكتب التي تنشرها الدار ،
مثل « تفسير القرطبي » و « الأغاني » ومجموعة من الدواوين الشعرية .

ولا أزال أذكر من بين العاملين في ذلك القسم الأساتذة محمد أحمد
العلوي - وكان رئيسه - ومصطفى البرهامي ومحمد عبد الجواد الأصمعي
وأحمد لطفي السيد - سمي رئيس المجمع - وإبراهيم طغيش - رحم الله
الماضين ، وبارك في أعمار الباقين .

وأذكر أن أول صلة لي بهذا القسم نشأت عندما اتصلت بقسم المخطوطات
طالباً الإطلاع على كتاب تاريخ « ابن الجاور » وكان رئيس ذلك القسم عالم
أزهري معتم ومجيب يدعى الشيخ محمد عبد (رب) الرسول ، وكان
الأستاذ فؤاد السيد من موظفيه ، وبه كانت صلتني ، فأخبرني أن الكتاب
الذي طلبته « معارف » في (القسم الأدبي) ومن الممكن أن أطلع عليه هناك .
وذهب - رحمه الله - معي ليسر لي أمر الإطلاع عليه . فأدخلني على شيخ
كث اللحية ، معمم تجبب ، مشرق الوجه ، قد كاد وجهه يخفي بين صفحتي
كتاب ضخيم كان بين يديه . وقال له : هذا الأخ من الحجاز ، ويريد
الإطلاع على كتاب « تاريخ ابن الجاور » فأمرني بالجلوس ، وسألني من أي
بلدة أنا من الحجاز ؟ فأخبرته أنني من نجد ، ولما استقرت في المجلس على كرسي
بجوار الشيخ - قال لي : ماذا تشرب ؟ فاعتذرتُ ولكنّه ألحَّ . فقلت :
قهوة ، ولتكن مُرَّةً ! فقال للساعي الواقف بجواره : إتنا بقهوة بسكر ،
رغم أنف هذا النجدي - قال ذلك ضاحكاً - وأردف قائلاً :

الرسول عليه الصلاة والسلام يحب الخلاء والعسل ، وأنت تريدها
مرة ؟ . !

كان ذلك الشيخ هو الأستاذ إبراهيم طغيش ، وهو من كبار علماء

الإباضية ، وكنت قد سمعت به ، وقرأت بعض ما نشر من كتب مثل كتاب
« الملاحن » لابن دُرَيْد .

وقدم لي الشيخ « تاريخ ابن الجاور » النسخة المصورة عن مخطوطة (طوب
قبو) في اصطنبول ، ومن غريب ما حدث أنني أثناء مطالعتي فيها وأنا عنده
في تلك الساعة ، وقع نظري على كلام سيء في الكتاب عن الإباضية ،
فسألت الشيخ : هل طالعتم الكتاب ؟ وما رأيكم فيه ؟ فقال : لا بأس به .
فأريت الكلام المتعلق بقومه ، فما كان منه - رحمه الله - إلا أن طغت عليه
العاطفة طغياناً دفعه إلى تناول الكتاب مني بعنف ، وكاد أن يقذف به ،
ثم أخرج ورقة استعارته من مكتبه ، وأمر رجلاً كان يجلس على مقربة مني
أن يرجعه إلى « قسم المخطوطات » وأن يأتيه بورقة الاستعارة التي في ذلك
القسم .

قويت صلتني بالشيخ ابراهيم طقيش ، بل بكثير من العاملين في (القسم
الأدبي) فكنت إذا أردت الاطلاع على أي كتاب مخطوط أطلب من أحدهم
استعارته ، فأطلع عليه عنده ، وقد انسخ ذلك المخطوط ، أو اطلب من أحد
موظفي ذلك القسم نسخه ، وأتولّى معه المقابلة والتصحيح ، فما نسخت من
الكتب في ذلك العهد « تاريخ ابن الجاور » وكتاب « المقتضب من جهرة
النسب » لياقوت الحموي بخطه ، وعن نسختي من هذا الكتاب نسخ الأستاذ
عبد الدين الخطيب نسخة بخطه ، أطلعني عليها ، ووضع في هوامش نسختي
بعض التصحيحات .

ثم تولى رئاسة (القسم الأدبي) الأستاذ الجليل محمد أبو الفضل ابراهيم ،
فعرفته وقويت صلتني به ، وكان بينه وبين الأستاذ فؤاد السيد من الصلة
والصداقة أقوى مما يكون بين الشقيقين .

فقد كان الأستاذ أبو الفضل يرجع إلى فؤاد - رحمه الله - في كل دقيقة
وجليلة من أموره في عمله في (دار الكتب) عرفت ذلك بعد أن خالطت

الرجلين وعرفتهما أتم معرفة ، بعد أن قويت صلتني بالقسم الأدبي ، وازدادت معرفتي بفؤاد السيد بعد أن صار المسؤول عن (قسم المخطوطات) .

ولم اكن وحدي الذي عرف (القسم الأدبي) واستفاد من علم العاملين فيه ، بل كان ذلك القسم بمثابة (نادر) يلتقي فيه جميع المهتمين بالتراث العربي ، فقد عرفت فيه كثيرا من الباحثين من العلماء من المغرب ومن الشام ومن اليمن ومن العراق ، وبعض المستشرقين ، ممن كانوا يجدون في علم أولئك القائمين على تصحيح ما تنشره الدار خيرا ما يتوقون إلى معرفته ، ويرون في عملهم من الجودة والعناية ما يتخذونه قدوة وأسوة حسنة .

ثم دارت الأيام ، وتغيرت الأحوال ، وزال (القسم الأدبي) من دار الكتب ، فحل محله (مركز تحقيق التراث) في وقت وضعت ظروفه (دار الكتب) في معزلة عن كثير ممن كانوا يجدون فيها خير مدرسة لكل ما يتصل بالتراث العربي ، لا من حيث وفرة ما فيها من مخطوطاته ، ولا من حيث كثرة من تظم في مختلف أقسامها من المعنيين به فحسب .

ومع كثرة ترددي على القاهرة ... أثناء حضور (مؤتمر مجمع اللغة العربية) إلا أن صلتني بالدار انقطعت بعدما علمت بصعوبة الاستفادة مما فيها من كتب .

ولم يكن بين الكتب التي نشرها (مركز تحقيق التراث) ما أثار في الرغبة إلى مطالعته .

ولكنَّ أحد الإخوة عندما أخبرني بأن المركز نشر الجزء الأول من « تاريخ الإسلام » للذهبي وقلت له : لديّ الطبعة الأولى منه . قال : إنه مما لم ينشره الأستاذ حسام الدين القدسي ، فهو يحوى المغازي ، عن مخطوطة قد تكون أنت الذي أخبرت بها ، فقد ورد اسمك في مقدمة ذلك الجزء . فكان قوله هذا مما حفزني إلى استعارة الجزء من أحد الاخوان ، ومطالعته .

ولا أدري هل من الخير أن أقول : وبأيتنى لم أطلعه ؟ !

لقد رأيت فيه ما تمنيت أني لم أراه في أي كتاب عربي منشور .

من المدرك — بداهة — أن معنى (تحقيق الكتاب) : التحقق والتثبت من أن ما ينشر منه مطابقا حقا لأصله ، كما وضعه مؤلفه بدون زيادة أو نقصان ، أو تغيير في النص ، أو تحريف له ، متى كان لأصل ذلك الكتاب من النسخ ما يصح الاعتماد عليه ، وإن لم يكن ذلك فلا أقل من أن يُطابق المنشورُ النسخةَ المخطوطة الموثوق بها ، إن كان لأصل الكتاب نسخ ، أو النسخة الوحيدة إن لم يكن سواها .

أما ما يعترض المحقق من خطأ أو غموض في عبارة ، فإن عمله حيال ذلك يجب أن يكون منفصلا عن عمل مؤلف الكتاب ، إذ لا يسوغ له أن يتصرف في كلامه بزيادة أو نقصان أو تغيير ، ولو فعل ذلك لخان أمانة العلم ، وأبرز الكتاب بصورة غير مقبولة — كما حدث في هذا الجزء الذي نشره (مركز تحقيق التراث) من « تاريخ الإسلام » .

ما كنت أودُ الإفاضة في الحديث في هذا الموضوع ، لولا أن الأمر يتعلّق بتراثنا ، وعلى تراثنا يرتكز أساس حياتنا الروحية والثقافية ، وهو تراث الأمة كلّها ، لا يختص بقطر من الأقطار العربية دون غيره ، ولا بجيل من أجيال الأمة وحده ، بل هو ملك لكل أجيالها ما تعاقبت تلك الأجيال ، وواجب جيلنا صيانة هذا التراث ، والحفاظ عليه ، وتسليمه أمانة مُصانة لمن يحافظ عليه بدون عبث أو تحريف .

ما أهون هذا التراث — تراث أمتنا الفكرية — إذا وكتلنا أمره لمن لا يحسن القيام به !! ، إننا نرتكب خطأ جسيما — بل جريمة منكرة — إذا وضعناه في أيدي لا تحسن صيانته ، ونرتكب خطأ جسيما إذا تركناه لبعض الناشئين أو العاجزين ، ليقدموه لنا محققاً مُصحّحاً ، صالحاً للانتفاع به ، والاستفادة منه — بل الركون إليه باعتباره أساس حياتنا الفكرية .

هذا العدد من الفتيات اللواتي لم يتجاوزن — بعد — مرحلة الدراسة ، وهذا

(الدكتور) الجليل عمرآ ، وقد رآ ، الضعيف جسما وصحة ، ما كان ينبغي تعريض واحد منهم للنقد ، ولا عرض عملهم للتجريح والتنقيص من قدره ، لولا أن الأمر يتعلق بحياة أمة وثقافتها . ولأجل تلك الحياة يستسهل كل شيء في سبيل الحفاظ عليها ، فلنلج في الموضوع :

جاء في المقدمة الطويلة التي تعرض لها بالنقد أحد الباحثين في «مجلة معهد المخطوطات»^(١) - ص ٤٩ مانصه : (أخبرنا القدسي عن حمد الجاسر عضو المجمع اللغوي في نجد : الموجود من تاريخ الإسلام للذهبي في نجد : يوجد عند الأمير عبد الله .. أربعة مجلدات .. القدسي عن حمد الجاسر عضو المجمع اللغوي : عند الشيخ علي آل مبارك بالأحساء .. جزءان ١٢ و ١٣) ...

أنا لم أقل : (الموجود من تاريخ الإسلام في نجد) كذا وكذا ، في نجد مكبات لا أعرف ما فيها ، وقد يوجد من الكتاب أجزاء عند بعض الناس لا أعلمها وإنما قلت : (يوجد في نجد) وفرق بين قولك : (الموجود في المكتبة خمسة كتب) وقولك : (يوجد في المكتبة من الكتاب الفلاني خمسة أجزاء) .

عرضت للذكر هذا - وهو سهل يسير - إذ سبقت الإشارة إلى أنه كان من أسباب مطالعتي هذا الجزء فلننظر ماذا عمل محققوه .

الأمر الأول - الزيادة في النص :

ليس عمل محقق الكتاب شرح النص ، أو إضافة ما يراه مكملًا لمعناه ، فتلك وظيفة المشرح أو المؤلف . وعمل المحقق ينحصر في إبراز النص صحيحًا كما ورد عن المؤلف ، ولو أراد المحقق أن يضيف أو يشرح فيجب أن يفصل فعله عن الأصل ، وأن يبرزه في الحواشي ، أمّا إذا لم يفصله فإن عمله يعتبر تصرفًا غير مقبول ، بل خيانة للأمانة العلمية التي تحمى نقل النصوص عن أصحابها مع نسبتها إليهم بدون تصرف .

فما هو موقف محققي « تاريخ الإسلام » إزاء هذا الأمر ؟ ! لقد استغلقت

(١) في الجزئين الثاني والثلاثين والثالث والثلثين .

عليهم فهم كثير من العبارات الواضحة. إما لعدم دريتهم على قراءة المخطوطات أو لقصور فهمهم ، فما كان منهم إلا أن غيروا بعض الكلمات في مواضع ، وزادوا كلمات أخرى في مواضع ، لا تستدعي الزيادة ، مبزوها بأن أشاروا في الهوامش إليها ، مع وضع بعضها داخل مربعين [..] . وحذفوا حروفا أو كلمات لم يستطيعوا قراءتها .

ومن اليسير الرجوع إلى المخطوطات الموجودة من الكتاب وإلى الأصول التي رجع إليها المؤلف ، من اليسير ذلك لمن يريد أن يحقق الكتاب تحقيقاً صحيحاً . حتى يتضح ما انبهم من عبارات المؤلف ، أو خفي من كتابه من بعض كلماته في بعض النسخ .

وما هي أمثلة للزيادات في الأصل :

١ - ص ٨٠ : (ومن المنافقين نبتل بن الحارث ونجابه بن عثمان) . وفي الهامش : (في الأصل : نجاد - بالدال - ولم نجده في الإصابة ولا في الاستيعاب ورجحنا أن يكون اسمه نجابه بالباء ، شهد بدر) كيف يكون منافقاً وهو ممن شهد بدرأ ؟ والرسول صلى الله عليه وسلم قال في حقهم : « إن الله أطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

إن الصواب : (ومن المنافقين نبتل بن الحارث ، ونجاده بن عثمان) كما في كتاب : « السيرة النبوية » تأليف ابن هشام (١ / ٥٢١) والمخبر (٤٦٧) وأنساب الأشراف (٤٧٥ / ١) وتاريخ الطبري (٣ - ١١١) - على ما جاء في مطبوعة الأزهر من هذا الجزء

٢ - ص ١٢٨ في خبر وقعة بدر : (فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، وبينهم وبين الماء رملة عصاة) وفي الهامش : (في الأصل : رملة وعصاة ، ولا وجود لهذه الصفة في اللغة ، وقد قرأنا العبارة بحذف الواو وتفسيره : رملة عصاة . أي رملة صلبة ، لأنَّ عَصًى على وزن مل معناها صلب ، اشتد - المحيط) .

وبعد كلام الأصل : (فأنزل الله عليهم مطرا شديداً ... وصار الرمل يعني ملبداً) !

وفي ص ١٣٨ : (وكان على المسلمين ديمة خفيفة لبدّ لهم الأرض) والمقصود المطر .

وكلمة (وعصة) صوابها (دعصة) بالدال لم يستطع المصححون قراءتها فصحفوا الدال واوا ، ثم حذفوها وجعلوا الكلمة (عصة) ثم تحلّوا لها من المعاني ما لا يتفق مع سياق الكلام ، إذ الدعصة السهلة الناعمة ، فلما أصابها المطر لبّدها وجعل المشي عليها ممكنا .

٣ - ص ١٣٥ : (وكانت عاتكة قد رأت [رؤيا] قبل قدوم ضمضم فذكروا رؤياها إلى أن قال) .

والصواب : (وكانت عاتكة قد رأت قبل قدوم ضمضم ، فذكر رؤياها) .

فكلمة : رؤيا لا محلّ لها ، إذ قد تقدم ذكر هذه الرؤيا . وكلمة (فذكروا) صوابها : (فذكر) كما في كتب السيرة .

٤ - ص ١٣٦ : (قد [حلمت] بكذب بني المطلب مع كذب بني هاشم) وفي الهامش (الأصل مطموس والقراءة تقريرية ، وجاء في مقابلها عند ابن كثير ج ٣ ص ٢٦٦ فقال - أي أبو جهل - : هذا أيضا نبي آخر من بني عبد المطلب) .

والصواب : (قد جئتمونا بكذب بني المطلب مع كذب بني هاشم) وكلمة (حلمت) جعلت الجملة ركيكة وغيرت المعنى .

٥ - ص ٧٧ : (فجاءوا فقالوا فقال [النبي صلى الله عليه وسلم] أي رجل عبد الله فيكم ؟) .

لا محلّ للزيادة . فقد تقدم ذكره عليه الصلاة والسلام في أول الخبر . والزيادة هذه تسبب ركاسة العبارة .

٦ - ص ٧٢ : (وذكر الحديث لنا) .

وكلمة (لنا) لا محل لها ، ولم ترد في الأصل ، وقد يكون الكاتب وضع فاصلةً وصورتها عند المتقدمين (.) فلم يدرك المصححون هذا ، بل لم يدركوا أن كلمة (لنا) نائية في هذا الموضع .

٧ - ص ١٤٤ : (فلا تذهبوا بالمغنم ونبيي فأبى الفتيان وقالوا : جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم [الأنفال لنا] فأنزل الله) إلخ .

صواب الجملة : (فلا تذهبوا بالمغنم ونبيي ، فأبى الفتيان وقالوا : جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا) إلخ .

وهنا خطأان : أولهما أن المشرفين لم يحسنوا قراءة (جعله) فقرأوها (جعل) والخطأ الثاني زيادة (الأنفال لنا) .

٨ - ص ٢١١ : (١٠ منهم أحد إلا وهو قعيد تحت حجفته من النعاس) وفي الهامش : (في الأصل عند التصويب من السياق) .

وصحة العبارة : (ما منهم أحد إلا وهو يعمد تحت حجفته من النعاس) . فكلمة (قعيد) لم ترد في الأصل ، وإنما ورد (يعمد) أن يتحرك ويضطرب من النعاس . ولما لم يحسن المصحح قراءتها غيّر ها .

٩ - ص ١٥٣ : (عبد الله [بن عبد مناف بن النعمان بن سنان] أبو سلمة بن عبد الأسلم) وفي الهامش : وهو أنصاري سلمى والاسم ناقص في الأصل ، وقد استكملناه من ابن حجر في الإصابة) .

والصواب : (عبد الله بن مسعود ، صهيب بن سنان ، أبو سلمة بن عبد الأسد) .

ثم بعد ذلك ذكر أعيان الأنصار . فالزيادة لا محل لها . وكيف يصح إضافة اسم رجل من الأنصار بين رجال ليسوا منهم ، لأن أسماء الأنصار أوردّها المؤلف بعد هذا .

١٠ - ص ١٥٣/١٥٤ : (ومن بنى عمرو بن عوف : مبشرين عبد المنذر ، وأخوه [زيد] ولم يحضرها أخوها أبو لبابة) وفي الهامش : (وهو زيد بن عبد المنذر أخ أبي لبابة ذكر أبو عبيد أنه شهد العقبة)
كلمة زيد التي زادها المصححون خطأ ، والصواب (رفاعة) مكانها ، كما في كتب السيرة .

١١ - ص ١٥٧ : (ولا في دين أحد من [اتباع] الملك) وفي الهامش : (اضطررنا إلى هذه الإضافة الغير موجودة في الأصل) إلخ .

الخطأ هنا نشأ من قراءة (الملك) بدل (الملل) جمع ملة ، لتشابه الكلمتين في الكتابة . ولو رجع المصححون إلى أصل آخر لما اضطوا إلى إضافة ما لا يصح أن يضاف ، فقد غير المعنى .

وينتضح من صنيع المحققين أنهم لم يحسنوا قراءة النسخة المخطوطة من الأصل . ولهذا وقعت منهم هفوات كثيرة . نستمر في الإشارة الموجزة إلى بعضها .

١٢ - ص ١٦٨ : (وحدثني ابن إسحاق عن عبادة بن الوليد) وفي الحاشية : (في الأصل : أبي ، والتصحيح من متن ابن كثير : البداية والنهاية ج ٤ ص ٤) .

وأقول الصواب - كما في الأصل

(وحدثني أبي إسحاق) فالقائل محمد بن إسحاق ، يحدث عن أبيه إسحاق بن يسار ، وبهذا السند وردت الرواية في السيرة لابن هشام (٤٩/٢) وابن كثير في التفسير (١٢٦/٣) والبداية والنهاية (٤/٤) .

١٣ - ص ١٧٥ : (ووجد رعاة) وفي الحاشية : (في الأصل لم يثبت التاء المربوطة) .

والصواب : (ووجد رِعَاءً) . وهم جمع راعي وهي لغة فصيحة

صحيحة وردت في كلام الرسول صلى الله عليه وسلم : « وأن ترى الحفاة
العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان » فما الداعي لاستبدالها ؟ !
١٤ - ص ١٨٧ : (لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا ، [بل]
أثبت مكانك) .

كلمة (بل) لا محل لها .

١٤ - ص ١٩٠ : (فقال أصحاب عبد الله بن جبير : الغنيمة أي
[يا] قوم) .

غريب أمر هاؤلاء المصححين : كأنهم دخلاء على اللغة العربية . لا
يدركون أن (أي) تغني عن (يا) في هذا الموضع .

١٥ - ص ١٩٤ : (وليس مع المسلمين فرس [واحدة])

ولماذا تزيد (واحدة) وكلمة (فرس) اسم مفرد ؟ ؟ !

١٦ - ص ٢٩٣ : (عن الأسود عن قيس بن نبيح العنزي) .

هو الأسود بن قيس فكلمة (عن) تحريف (بن) .

١٧ - ص ٢٩٥ : (ثم حشوا فضول ما فضل من ازوادهم في جُرُهم)
وفي الهامش (في الأصل لغفوا ومعناها لعق ولا يتفق وسياق الخبر) .

قرأ الإخوة المصححون كلمة (لغفوا) بفاءين (لغفوا) بغين معجمة
ثم فاء ، فلم يروا لها معنى ملائماً فغيروا الكلمة .

١٨ - ص ٢٠٠ : - وفي خبر أنس بن النضر (فلقية سعد بن معاذ
فقال : أي سعد ! إني لأجد ريح الجنة دون أحد ، واهأ لريح الجنة .

قال سعد : فما استطعت [رؤيته] يارسول الله ما صنع) وفي الهامش :
(إضافة للإيضاح من عندنا) ما هذا ؟ إن العبارة يفهمها كل قارئ بدون
هذا الإيضاح الذي غير المعنى ؟ !

١٩ - ص ٢٥٦ : (وكانت صنفية في فارغ حصن حسان بن ثابت
وكان معها فيه مع النساء والولدان . قالت (صفية) فمرّ بنا يهودي ..) .

ولماذا تضاف كلمة (صفية) المحرّدة التصرف بعبارة المؤلف السلسلة الواضحة ؟ .

٢٠ - ص ١٠٦ : (رواه محمد بن إسحاق من طريق يونس بن بكير عنه [بمعناه) .

- ص ١١٠ : (وكان عمير من شياطين قريش ، ومن [كان] يؤذي المسلمين) و (هو الذي حزننا [للقوم] يوم بدر) وص ١٢٢ : (فكانت [في] الريح الأولى جبريل .. وكانت [في الريح] الثانية ميكائيل) ٢١ - ص ١٣٥ : (فوضع جهيم بن الصلت [يده على] رأسه فأغنى ، ثم فرغ فقال لأصحابه) وفي الهامش (في الأصل نزع والتصحيح من عندنا) وكذلك كلمة [يده على] التي لا محل لها .
- ص ١٤٢ : (وقالت اليهود : [ثبقتنا] أنه النبي الذي نجدبعثه في التوراة) .

٢٢ - ص ١٧٢ : (وانتظروا أعداء الله فراث عليهم [الرسول بعض الريث] فأقبل رجل من المدينة فقال : لقيته قد دخل أرقعة المدينة) .

٢٣ - ص ١٣٨ : (فعمد [الرسول] البدر) .

والكلام كلمة عن الرسول صلى الله عليه وسلم . وكل الكلمات التي بين المربعات من زيادة المصححين ! ؟

٢٤ - ١٣٩ : (وتحمّل دية ابن الحضرمي و [تتكفل] بما أصاب محمد في تلك العير) وفي الهامش : (إضافة يقتضيها السياق) . ولماذا يقتضيها مع وجود كلمة (تحمّل) ؟ !

٢٥ - ص ١٣٨ : (وحفض أبو سفيان فلصق بساحل البحر) وفي الهامش : (في المحيط حفزه يحفضه بمعنى جمعه ، والمقصود حسب السياق : جمع الأبل وساقها) .

كلمة (حفص) هنا صوابها (خفض) بالخاء المعجمة ، أي انحدر نحو طريق الساحل ، وترك الطريق الأعلى المارّ بقرب بدر .

٢٦ - ص ١٤٠ : (حتى يصيبوا عدداكم ولا آمن أن تكون لهم الدائرة عليكم) وفي الهامش (في الإصل الزبرة والتصحيح من السياق) .
والصواب : (حتى يصيبوا أعدادهم منكم ، ولا آمن أن تكون لهم الدبرة عليكم) .

فهنا إساءة قراءة النص ، مع التصرف فيه بالزيادة .
٢٧ - ص ١٤٠ : (ألا يستحيون من ذلك ، أن يقبلوا الدية) :

والصواب : (ألا تستحيون من ذلك أن تقبلوا الدية) .

٢٨ - ١٤١ : ((ويأني معظم الناس إلا أن المحرز هو الذي قتله) وفي الهامش كلام في ترجمة محرز بن نضلة طويل .

والصواب : (ويأني عظم الناس إلا أن المحزّر هو الذي قتله) .

والمحزّر هو ابن زياد البلوي ، لا محرز بن نضلة الذي ظلمه الإخوة المصححون ، فنسبوا إليه قتل رجل هو برىء من قتله ! .

٢٩ - ص ١٤١ : (فلما بصر إليه) .

والصواب : (فلما نظر إليه) يقال : بَصَرُ به - لا بصر إليه .

٣٠ - ص ١٤٢ : (النبي الذي نجد بعثه في التوراة) .

والصواب : (النبي الذي نجد نعته في التوراة) .

حرف المحققون نعته - أي صفته - بكلمة (بعثه) لأنهم لم يحسنوا قراءة الكلمة .

٣١ - ص ١٤٢ : (وقد ذكرت هذه القصة بنحو قول موسى بن عقبة وابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة) وفي الهامش (في الأصل : عقبة ابن لهيعة . كأنهم اسم واحد والصواب فصلهما) !

والصواب : (وقد ذكر هذه القصة بنحو قول موسى بن عقبة ، ابن لهيعة) إلخ . فكتابة الأصل صحيحة لا غبار عليها ، وإنما أُتِيَ الإخوة المحققون من عدم استطاعتهم قراءة الجملة على وجهها الصحيح .

٣٢ - ص ١٤٥ : (أبكي للذي عرض على أصحابك من أخذهم
القداء ، لقد عرض على أعدائهم أدنى من هذه الشجرة) وفي الهامش : (في
الأصل :) عذابهم (والخطأ في الإملاء ونقص الألف) .

والجملة : (أبكي للذي عرض على أصحابك من أخذهم القداء ، لقد
عرض عليّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة) .

ولا خطأ ولا نقص ولكنّه الجهل - قاتل الله الجهل .

٣٣ - ص ١٤٧ : (وكان قد أخذ معه عشرين أوقية ذهباً) .

والصواب : (وكان قد أُخِذَ منه عشرون أوقية ذهباً) .

٣٤ - ص ١٤٧ : (وقال عبد العزيز بن عمر إن الزهري وهو ضعيف :
حدثني عن محمد بن موسى) .

والجملة : (وقال عبد العزيز بن عمران الزهريّ وهو ضعيف - حدثني
محمد بن موسى) .

والخطأ في القراءة سبّب تضعيف الزهري ، وهو عند المحدثين الامام
محمد بن مسلم بن شهاب من كبار الأئمة ومشاهير العلماء .

أما محمد بن عمران - وهو من بني زهرة أيضا - فهو اخباري ضعيف
عند المحدثين .

٣٥ - ص ١٤٨ : (وإن شئتم فاديتموهم واستمتعتم بالقداء فيه [نزل]
(إن يعلم الله في ..) واستشهد منكم بعدئهم) .

والجملة : (وإن شئتم فاديتموهم واستمتعتم بالقداء ، واستشهد منكم
بعدئهم) .

وكلمات : (نزل : (إن يعلم الله في) لا أدري من أين أتى بها الإخوة
المحققون .

٣٦ - ص ١٤٩ : (حدثني العباس أن عبد الله بن معبد عن بعض أهله
عن ابن عباس) إلخ .

والصواب : (حدثني العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله عن ابن عباس) إلخ .

٣٧ - ص ١٤٩ : (أنقثل أبانا وإخواننا) .

وهي : أنقثل آباءنا وإخواننا) .

ومن عادة المتقدمين حذف الهزمة في الكتابة في كثير من الكلمات .

٣٨ - ص ١٥٠ : (هل لك أن اعطيك شيئاً تعطها إياه) ؟ .

ما الداعي لحزم (تعطها) أي حذف الياء منه .

إن الصواب : (هل لك أن اعطيك شيئاً تعطها إياه) ؟

٣٩ - ص ١٥٣ : (ومن بني عبد الأشهل : عباد بن بشر بن وقش الأشهل ، أبو الهيثم بن التيهان) وفي الهامش : (في الأصل : عباد بن مسلمة) وقد حذف الإخوة اسماً من هذه الحملة ، (ومن بني عبد الأشهل : عباد بن بشر ، محمد بن مسلمة ، أبو الهيثم بن التيهان) .

٤٠ - ص ١٥٥ : (وذكر ابن إسحاق وغيره سائر المقتولين ، وكذا أسماء الذين أسروا) .

والصواب : (وذكر ابن إسحاق وغيره سائر المقتولين وكذا سمي الذين أسروا) .

٤١ - ص ١٥٦ : (إنه قدم إلى بلد الملك منا غلمان صفهاء) وفي الهامش : (في الأصل : قدموا والصحيح ما أثبتناه) .

صحة الحملة : (إنه قد ضوى إلى بلد الملك) إلخ .

ولمّا لم يحسن المصححون قراءتها غيرها ، ولهذا فما أثبتوه هو الخطأ لا الصحيح .

وضوّى : أوى والتجأ .

٤٢ - ص ١٥٧ : (قال : فهل معك شيء مما جاء به عبد الله) .

والصواب : (قال : فهل معك شيء مما جاء به عن الله ؟) .

٤٣ - ص ١٥٨ : (فأرسل إلينا لينينا لنا) وفي الهامش : (المراد لينين
نا الرسولان) .

قرأ المصححون - خطأ - كلمة (ليسألنا) هذه القراءة المضحكة ،
وفسروها هذا التفسير المضحك المبكي .

٤٤ - ص ١٥٩ : (كان مع عمرو وعمارة بن الوليد) .

والصواب : (كان مع عمرو وعمارة بن الوليد) . إذ هما رسولا قريش
إلى النجاشي .

٤٥ - ص ١٦٠ : (فلما قربوا منه قاصب نفسه ومات) وفي الهامش :
(من قصب يقصيه بمعنى قطع كما في القاموس المحيط) .

(قاصب) : صوابها : (فاضت) ولكن هكذا قرأها المصححون ،
وهكذا فسروها .

٤٦ - ص ١٩٣ : (فخرج من مكة سرّاً خائفاً في ثلاثين فارساً ليحل
معيه ، فنزل بجبل من جبال المدينة يقال له نبت) . وفي الهامش : (كذا في
الأصل مرتين في مناسبتين ، وفي ابن هشام : نيب ص ٥٥٩ ج ٢ وبحثنا عن
الجبل بالقراءتين في حرف الثاء والباء فلم نجد شيئاً ، وأقرب شيء إليه هو
النباه على وزن حصاة ، قال (؟) وهو اسم جبل . وقال ياقوت أيضاً (؟) :
واختلف في هذا الاسم فروى على عدة وجوه . نقول : ولا يوجد شيء
قريب من حرف الثاء . وعند ابن كثير « نيب » ج ٣ ص ٣٤٤ والغريب أن
تهمل أعلام المغازي العلم على خلاف العادة) كذا !

وجاء في ص ١٦٤ : (إلى أن نزل بجبل يقال له نبت على نحو يريد من
من المدينة) .

وأقول : كل هذا الكلام الطويل الممل لا معنى له ، فاسم الجبل (نيب)
بالمثناة الفوقية بعدها مثناة تحتية ساكنة فباء موحدة ، وهو جبل لا يزال
معروفاً ، إذا كنت في مطار المدينة شاهدته في الجنوب الشرقي رأي العين ،
ويقال فيه (ثياب) بالهمز ، أيضاً .

ويبدل العامة بآءه ميا فيقولون (تيم) وهم كثير ! ما يعاقبون بين الحرفين فيقولون في الرقم والهدم : الرقب والهدب .

٤٧ - ص ١٦٦ : (جهز رسول الله - ص - فاطمة في حميل وقربة ووسادة آدم حشوها أدجر) وفي الهامش : (الحميل هو الشيء المحمول من بلد إلى بلد ، - المحيط) و (بالأصل : ادخر - بالخاء الفوقية ونظنها أدجر بمعنى ببس النئات (؟) بالميم التحتية - المحيط - ونقترح أن نقرأ « أدجر » جمع جذر ، ولعله أراد أن يعصور التقشف) !

صواب الجملة : (جهز رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة في تخميل ووسادة آدم حشوها إذخر) .

والخميل والخميلة هي القطيفة . وكلمة (أدجر) صوابها : إذخر ، وهو نبت معروف في الحجاز . كانت تحشى به الوسائد ، لأن ورقه لين يشبه لينه لين القطن .

أما اقتراح الإخوة المصححين فقد ورد في غير محله !!

٤٨ - ص ١٦٦ : (وفيها توفي خنيس بن حذافة . . وتأمت منه حفصة) .

والصواب : (وتأيمت) وتحريف الكلمة نشأ من عدم احسان القراءة مع جهل معنى التأيم ، والافما معنى (تأمت) ؟ !

٤٩ - ص ١٧١ : (فإن صدقوا وآمنوا بك آمناء بك ، فقص وخبرهم ، فلما كان الغد غدا عليهم رسول الله) .

والصواب : (فقص خبرهم) ولا حاجة للواو .

٥٠ - ص ١٧٨ : (كانت غفار سوقة في الجاهلية) .

والصواب : (. . سرقة) ويؤيد هذه الأخيرة ما ورد عنهم في أول الكلام : (واتبعه سراق الحميج من غفار) .

٥١ - ص ١٨٠ : (فبعث إليه سعد محمد بن مسلمة وأبا عيسى والحارث بن أخ سعد) وتكررت (أبو عيسى) ص ١٨١ وص ١٨٢ .

والصواب : (فَبِعثَ إلیه سعد محمد بن مسلمة ، وأبا عبس ، والحارث بن أخی سعد) وهو أبو عبس بن جبر الحارثي - تهذيب التهذيب (١٢ / ١٥٦) والاستيعاب (١٢٢ / ٤) .

٥٢ - ص ١٨٥ : (فكلّموا أبا سفيان ومن كان له في تلك العير تجارا) الصواب : (ومن كان له في تلك العير تجارة) . و فرق بين الكلمتين .
٥٣ - ص ١٩٣ : (وأصيّبت أنامله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو قلت باسم الله) إلخ .

والجملة هي : (وأصيّبت أنامله فقال : حسن . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو قلت باسم الله) .

٥٤ - ص ١٩٣ : (لا تشرف يصيبك سهم) .

والصواب : (لا تشرف يصيبك سهم) .

جواب النبی ، وهو مجزوم .

٥٥ - ص ١٩٣ : (أما مرتين أو ثلاثة) .

والصواب : (أو ثلاثا) وهذا مما يدرك بداهة .

٥٦ - ص ١٩٤ (وقصموا رباعيته) وفي الحاشية إشارة إلى أن ابن كثير أورد (وقصموا رباعيته) وكلمة (وقصموا) هي الصواب ، فاللحاق مقام قصم - بالصاد المهملة - وليس مقام قصم بالصاد المعجمة .

٥٧ - ص ١٩٤ : (وكانوا قد سکوا أزقة المدينة بالبنيان حتى كانت كالخصن) وفي الهامش : (نقترح قراءة (شكوا) ونفترض وجودهم في السماع ، والأصح والأرجح أن نقرأ (سکروا) أي حبسوا وسدوا - القاموس المحيط) .

والجملة : (وكانوا قد سکوا أزقة المدينة بالبنيان) لا البنيان ، ، ومن هنا تتضح صحة الكلمة ، وعدم الحاجة إلى تلك الحاشية .

٥٨ - ص ١٩٥ : (فجاسوا العدو ضرباً) وفي الهامش : (كذا في الأصل) .

وهي (فحاسوا العدو - ضرباً) من حاس - بالخاء المهملة لا بالحاء .
٥٩ - ص ١٩٧ : (فنظر حذيفة فإذا هو يأتيه الإيمان فقال : أبي أبي)
إلخ . .

الصواب : (فإذا هو بأبيه الإيمان) فأبوه واسمه الإيمان قتل في تلك الوقعة .
٦٠ - ص ١٩٩ : (نائر برأسه) .
وهي : (نائر رأسه) .

٦١ - ص ١٩٩ : (فناديت : يامعشر المسلمين) .
والصواب : (فناديت : يامعشر المسلمين) إذ لا مرجع للضمير هنا .
٦٢ - ص ١٩٩ : - في خبر قتل مسيلمة - قال : (فأرميته بحررتي فأضعها
بين يدييه حتى خرجت من بين كتفيه) وفي الهامش : (كذا في الأصل) .
وهي : (فأرميه بحررتي) إلخ .

٦٣ - ص ١٩٩ : (قالت جارية على ظهر بيت : وأمير المؤمنين قتله
العبد الأسود . أخرجه البخاري) .

الصواب : (وا أمير المؤمنين !!) إلخ - بالواو بعدها ألف حرف
النُدْبَة ، فهي تندبه .

٦٤ - ص ١٩٩ : (سمعت سعداً يقول : نقل لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم كنانته يوم أحد) .

والصواب : (نثل) أي اخرج لي سهامها ، ولا معنى لكلمة (نقل)
هنا . .

٦٥ - ص ٢٠١ : (ثم ينفروا بطني) .

وهي : (ينفروا) : بقر البطن : شقّه .

٦٦ - ص ٢٠٤ : (فسألوا أهله ما شأنه ؟ فسئلت امرأته) .

الصواب : (فسألوا أهله ما شأنه ؟ فسئلت امرأته) .

٦٧ - ص ٢٠٤ : (فذل بالهجرة) وفي الهامش : (في الأصل : فذل
والصواب في السياق) .

الصواب : (قدُت بالهجرة) الدث الرمي بالهجرة .
٦٨ - ص ٢٠٢ : (لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم شفر يطوف) .
والصواب : (يطرف) بالراء لا بالواو - والمقصود شفر العين ،
ويطرف : يتحرك .

٦٩ - ص ٢٠٣ : (فلم يجلوا قتيلًا إلا وقد مثلوا به ، إلا حنظلة بن أبي
عامر ، وكان أبوه مع المشركين ، فنزل لأجله . فرموا أن أباه وقف عليه
كتيلًا فدفع صدره برجله ثم قال : ذنبا أصبتهما ، قد تقدمت إليك في
مصرعك هذا ياديس) وفي الهامش : (كذا في الأصل ولم يسم العرب بهنا
الاسم ، ومعناه اللغوي غسل التمر فالمراد النداء الخلو من الأب المشرك لابنه
المسلم الشهيد) .

الصواب : (إلا حنظلة ابن أبي عامر ، وكان أبوه مع المشركين فترك
لأجله) أما الحاشية الطويلة العريضة فقد أوردتها لطرافتها .

٧٠ - ص ٢٠٣ : (فدفن في ثمرة كانت عليه) وفي الهامش : (ورد
لفظ ثمرة وثمر في ابن كثير .. والمراد البردة التي كفن فيها الشهيد) .
والصواب : (فدفن في ثمرة) .

والثمرة نوع من الأقمشة التي يكنى بها في ذلك العهد ، أنت كتب
اللغة على وصفها .

٧١ - ص ٢٠٥ في خبر أبي بكر : (كنت أول من ناء يوم أحد) ،
فرأيت رجلا يقاتل مع رسول الله - ص - فونه) .

والصواب : (أول من فاء) أي رجع - لئنا التي لا معنى لها هنا .

٧٢ .. ص ٢٠٦ : (وبين وبين المشرق رجل لا أعرفه) .

والصواب : (وبين وبين المشركين رجل لا أعرفه) .

٧٣ - ص ٢٠٨ : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رخی عن قوسه حتى اندقت سينها) وفي الهامش : (كذا في الأصل غير ظاهرة) .
والجملة : (رمى عن قوسه) وسبب القوس طرفها المنعطفان .

٧٤ - ص ٢٠٧ من شعر حسان في عتبة بن أبي وقاص :
فأخزأك ربی يا عتيب بن مالك وألقاك قبل الموت إحدى الصواعق
والصواب : (ولقأك) إذ لقي تتعدى إلى مفعولين ، بخلاف التي .

٧٥ - ص ٢٠٨ : (فكانت أحسن عينيه وأحدها) .

والوجه : (وأحداهما)

٧٦ - ص ٢٠٨ : (ومص نخالد بن سنان ابن أبي سعيد الدم عن وجهه ثم ازورود ، فقال رسول الله - ص - من مس دمه دمي لم تمسه النار) .

والصواب : (ومص مالك بن أبي سنان أبو أبي سعيد الدم عن وجهه ثم أزدرده) .

فخالد بن سنان هو أبو سعيد (الخدري) . وازدرده : بلعه .

٧٧ - ص ٢٠٨ : (وقال الواقدي .. عن المقداد بن عمر قال : فرما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً يوم أحد يرمي على قوسه ويرمي بالحجر ، حتى تحاجز أوتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما هو في عصابة صبروا معه) وهو المقداد بن عمرو البهراني - (لا ابن عمر)
فرما : صوابها : فرما .

حتى تحاجز أوتيت : صوابها : حتى تحاجزوا وثبت رسول الله .

٧٨ - ص ٢٠٩ : (ان أبا حذيفة بن اليمان حليف الأنصار أصابه المسلمون في المعركة ، فتصدق حليف بدمه على من أصابه) .
وكلمة (حليف) صوابها : (حذيفة) كما تقدم .

٧٩ - ص ٢٢٠ : (وقال أبو بكر بن عباس عن يزيد بن أبي زياد) .
والصواب : (وقال أبو بكر بن عباس) وهو مترجم في التهذيب
التهذيب ^(١) للمحافظ ابن حجر .

٨٠ - ص ٢٢٦ : (فلما أتوا أداني أرض بني عامر بعث أربعة إلى بعض نبيّاهم - أو قال إلى بعضهم) .

الصواب : (فلما أتوا أدنى أرض بني عامر ، بعث أربعة ممن بعث إلى بعض مياههم ، أو قال : إلى بعضهم) .

٨١ - ص ٢٢٦ : (هل يرضى من حسان طعنة أطعنها عامراً ؟ قيل : نعم ، فشدّ عليه فطعنه) .

الصواب : (هل يرضى حسان مني طعنة) الخ .

٨٢ - ص ٢٣٣ : (وكان اسمها بُرّة ، فسمّاها رسول الله صلى الله عليه وسلم جويرية) .

وصواب الاسم (بَرّة) بفتح الباء لا بضمها .

٨٣ - ص ٢٣٤ : (فقال الأنصاري : يا آل الأنصار ، وقال المهاجري يا آل المهاجرين) وفي ص ٣٠٠ أيضاً .

والصواب : (فقال الأنصاري : يا للأنصار ، وقال المهاجري : يا للمهاجرين) .

٨٤ - ص ٢٣٩ : (ثم نفّرت لي الحديث فلا أكر راجعة) .

والصواب : (ثم بقرت لي الحديث فأكرّ راجعة) وتبقي الحديث : توسيعه وإيضاحه .

٨٥ - ص ٢٤٧ : أن صفوان قال :

لا تلق ذباب السيف غني فإنني

غلام إذا هوجيت لست بشاعر

والصواب : تلقّ ذباب السيف . وبه يستقيم الوزن .

٨٦ - ص ٢٥٣ : (فالحنوا إلى لحنأ أعرفه) وهي : (فالحنوا لي لحنأ أعرفه) .

٨٧ - ص ٢٥٤ : (أمراً تحبه فنصنعه ، أم بشيء أمرك الله به ؟) .

وهي : (أمراً تحبه فنصنعه ، أم شيئاً أمرك الله به) .

٨٨ - ص ٢٥٥ : (في يده حربة يرقد بها) وفي الحاشية : (يرقد :

يسرع . وفي الأصل يرقل - راجع ابن هشام ج ص ٢٢٦ ط الحلبي) .

والصواب : (في يده حربة يرقل بها) كما في الأصل

٨٩ - ص ٢٦٠ : عن غزوة الأحزاب (وقول موسى وعروة :

إنها في سنة أربع وهم " بيتن " ، ويشهد قول عبيد الله عن نافع عن ابن عمر :

عرضني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة فلم

يجزني ، فلما كان يوم الخندق عرضت عليه وأنا ابن خمس عشرة سنة

فأجازني ، فيحمل قوله تعالى على أنه كان قد شرع في أربع عشرة ، وأنه

يوم الخندق كان قد استكمل خمس عشرة ، وزاد عليها بعد ذلك الزيادة) .

وكلمة (ويشهد) صوابها : (ويشبهه) كما يفهم من السياق كله .

٩٠ - ص : ٢٦٤ (إثنى بخبر القوم ، ولا تدعوهم علي)

والصواب : (ولا تدعوهم علي) كما في ص ٢٦٥ .

٩١ - ص ٢٦٨ : (أما والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ثم أكذبت

نفسى فقلت : أتى ابن عتيك بهذه البلاد) ؟

والصواب : (. . أتى ابن عتيك بهذه البلاد) ؟

٩٢ - ص ٢٦٩ : (فدخلت فكثت) وهي (فكثت) كما في

صحيح البخاري .

٩٣ - ص ٢٧١ : (إنه ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت له
قشعريرة) .

وهي : (آية ما بينك) الخ .

٩٤ - ص ٢٧٣ : (متفق عليه . ومر أيضاً من حديث عبد الحميد
بن جعفر ، عن المقبري به . وخالفهما محمد بن اسحاق) .

كلمة : (ومر أيضاً) : صوابها (وم أيضاً) أي روى الحديث
الإمام مسلم . وقد أوضح المؤلف في المقدمة أنه يرمز لاسم (مسلم) بحرف
(م) وقد حرقها الإخوة المصححون حيث لم يفهموا معناها .

٩٥ - ص ٢٧٧ : (فلو أذنت لنا فردنا إلى الإبل) .

الصواب : (. . . فرحنا إلى الإبل) .

٩٦ - ص ٢٨٣ : (فإن قعدوا قعدوا موتورين ، وإن يجيئوا يكن
عنفاً قطعها الله) .

والصواب : (وإن لجئوا تكن 'عنفاً' قطعها الله) .

٩٧ - ص ٢٨٥ : من كلام عروة بن مسعود الثقفي لقريش في خبر الحديبية :
(ألسن تعلمون أني استنقرت أهل عكاظ فلما بلحوا علي جئتكم بأهلي
وولدي ومن أطاعني) .

والصواب : (ألسن تعلمون أني استنقرت أهل عكاظ ، فلما بلحوا
علي جئتكم) .

٩٨ - ص ٢٨٨ : (والله ما شكلت منذ أسلمت) وفي الهامش :
(شكل الأمر وأشكل بمعنى التبس - القاموس - وفي نهاية الارب :

والله ما شككت . وفي مغازي الواقدي : ارتبت ارتياباً لم أرتبه منذ أسلمت) .

والصواب : (ما شككتُ) من الشك .

٩٩ - ص ٢٩٧ : (درأ رجل رجلاً من الفريق الآخر) وهي : (إذ رمى رجل رجلاً من الفريق الآخر) .

١٠٠ - ص ٢٩٨ : (الجحد بن قيس محتبياً لبط بعير)

وهي : (الجحد بن قيس محتبياً تحت لبط بعير) .

١٠١ - ص ٣٠١ : (وقال هشام بن عروة : حدثنا الوليد قلت : ورواه دحيم بن الوليد) .

والصواب : (دحيم عن الوليد) .

١٠٢ - ص ٣٠١ : (أخبرني أم ميسر أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

وهي : (أم مبشر) كما في إحدى نسخ الأصل .

١٠٣ - ص ٣٠٦ : (وأصحابه مخالطهم الحزن) وفي الهامش : (في الأصل مخالطوا وما أثبتناه عن تفسير البغوي بهامش تفسير ابن كثير ٥١٧/٧) .

والصواب : (وأصحابه مخالطوا الحزن) كما في الأصل .

١٠٤ - ص ٣٣٩ : (هات ما سمعته . قال : سمعته يقول)

والصواب : (هات ما سمعتهُ) الخ .

(للحدث صلة)

محمد الجاسر

التاريخ العربي والجغرافية

- ١ -

أكرمني أخي الأستاذ أمين مدني فأنحني بنسخة من كتابه « التاريخ العربي وجغرافيته » وهو الجزء الثالث من مؤلفه . « العرب في أحقاب التاريخ » وقد أفضل فأضني علي صفة (الرائد) ولا يسعني إزاء فضله هذا أن أدع جهده العظيم الذي بذله في تأليف هذا الكتاب بدون أن أبدي رأيي حيال ما جاء فيه من طريف الآراء ، وأصفه بالطرافة لأنه جدير بذلك .

وستكون كلمتي عن هذا الكتاب مبنية على اعتبارات ذكرها المؤلف الكريم منها : -

- ١ - تبلور نتائج لم يُعْنَ بجمعها محقق من المؤلفين (ص ٤٨٠) .
 - ٢ - وكل نتيجة تقف مفردة سيستهدفها النقد (ص ٤٨٠) .
 - ٣ - فالتقيد بمعناه الصحيح ضروري ، في مثل هذه البحوث ، لسلامة تاريخنا من الشوائب التي ما زلنا في حاجة إلى إزالتها (ص ٤٨١) .
- ويمحس أن نعرض بإيجاز محتويات هذا الجزء ، فقد فصله المؤلف إلى فصول تسعة :

- الفصل الأول : تحدث فيه عن العرب وأرضهم .
- الفصل الثاني : عن أقسام الجزيرة ، ضمنه بعض الآراء في بيان أقسامها وتاريخها
- الفصل الثالث : الحجاز : جغرافيته وسكانه .
- الفصل الرابع : نجد سكانه وجغرافيته .
- الفصل الخامس : العروص وحلوده وسكانه .
- الفصل السادس : تهامة حلودها وسكانها .
- الفصل السابع : اليمن في موكب الحضارة والسياسة .

مكتبة جامعة القاهرة
الطبعة الأولى ١٩٥٠
الطبعة الثانية ١٩٥١

الفصل الثامن : الملل الحبيب تحدث فيه عن العراق وعن الشام
(سورية ولبنان وفلسطين والأردن) .

الفصل التاسع : عن مصر العثمانية العربية ، حيث اعترها جزءاً
من جزيرة العرب فتحدث عن حدودها وعصورها .

وجاءت هذه الفصول في ٥٣٢ صفحة ، بما فيها المقدمة ، ثم أتبعها
بفهارس للأعلام والأماكن من ص ٥٣٣ إلى ٥٨٤ صفحة .

يضاف إلى ما تقدم عشرون خريطة إحداها ملونة .

ولا يتضح ما بذله المؤلف الفاضل من جهد إلا لمن اطلع على كتابه
اطلاع الباحث ، وعانى ما يعانيه كل مهتم بدراسة تاريخ العرب في
عهودهم القديمة .

ولا أعتقد أن المؤلف حينما ذكر وظيفة النقد الصحيح أتى بذلك
اعتباطاً ، وإنما كان يعني ما يقول ، وأنه أراد أن يكون لكتابه هذا منه
نصيب ، وهو أجل من أن يعتقد أن كل ما أورده من الآراء في منأى
عن النقد .

ولقد تحدثت في أحد أجزاء مجلة « العرب »^(١) عن الجزء الثاني من هذا
الكتاب حديثاً لم يوافقني المؤلف الفاضل على ما فيه من ملاحظات ، بل
نشر ردّاً على ما كتبت في « جريدة المدينة » فكان أن نقلت هذا الرد ونشرته
بنصه في مجلة « العرب »^(٢) ولم أعلق عليه بحرف ، لأنني رأيت من حق من
قرأ ما كتبه عن الكتاب أن يعرف رأي مؤلفه حياله .

وأنا حين أتحدث عن هذا الجزء لست على ثقة بأن المؤلف الكريم
سيوافقني على ما سوف أبدية من آراء ، لأنني أستشف من خلال عباراته
أنه يسوق بعضها مساق الواثق بصحتها . ومن الصعب أن يعدل المرء عن
أمر يراه حقاً ، كما أن من الصعب أن يعتقد امرؤ صحة رأي قبل أن يتضح
له من براهينه وأدلته ما يحمله على الاعتقاد بصحته . ومن الخطأ حقاً
أن يبق المرء بجميع ما يبدية من آراء .

(١) صفحة ٢٣٤ - ٢٣٩ السنة السابعة . (٢) ص ٧٧-٧٦ السنة السابعة .

ومن عاذني أن لا أهتم إلا بترجمة الكتب التي أراها جديرة بالقراءة ،
ومنى قرأت الكتاب فقد تنطبع في ذهني بعض الملاحظات فأحب أن
أشرك فيها القراء وهذا ما كان مني بعد أن تصفحت هذا الكتاب .

١ - حول حدود جزيرة العرب وأقسامها :

لا أريد إشغال ذهن القارئ والإطالة عليه بإيراد أقوال المتقدمين
في تحديد الجزيرة وذكر أقسامها في الكتب المؤلفة عن المواضع وفي
كتب اللغة ، من تلك الأقوال ما يعرفه كل معني بدراسة جغرافية
الجزيرة (١) .

والمؤلف الكريم من اطلع على تلك الأقوال اطلاع الباحث الدارس ،
ولكنه أتى على كثير منها بالنقد ، وجاء بآراء جديدة وطريقة حقاً تخالفها ،
فن ذلك على سبيل المثال اعتباره العراق والشام كله والصحراء الشرقية من
وادي النيل من جزيرة العرب ، ولم يكتف بذلك بل وصم من لم يعتبر
تلك الأجزاء من الجزيرة بأنه ممن وقع في شباك المزاعم الاستعمارية
(ص ٩ ص ٦٢) .

أنا أعتقد أن القضايا العلمية يجب أن لا تتأثر بالعاطفة ، وأن بعض
العلماء الذين حددوا الجزيرة فلم يدخلوا تلك الأقسام لم ينظروا إلى أوضاع
الجزيرة في عهودهم كنظرتنا إلى أوضاعها في عهدنا ، ثم إنهم لم يتأثروا
في تلك العهود الماضية بما عرفناه في عهدنا الحاضر باسم (الاستعمار)
ولكنهم لاحظوا حالة العرب في تلك العصور والبلاد التي كان نفوذهم
فيها قوياً وغالباً ، والأقطار التي تمتد سيطرتهم عليها ، ومن هنا حددوا
جزيرة العرب كما عرفوها وكما هو الواقع في عهودهم .

يبقى أن نقول : هل لنا أن نحدد تلك الجزيرة في عهدنا وأن نغير

(١) في موضع آخر من هذه المجلة بحث مطول عن هذه الأقسام (ص ٧٤٧ إلى ٧٩٧) .

أجزاء بعض أجزاء منها - سيما على سبيل سرطافنا في هذا العصر ؟ مدسوح
هذا حينما نريد أن نؤلف أي تأليف كان ، باستثناء التاريخ والجغرافية فهما
علمان يقومان على أساس الماضي وعلى الوضع الطبيعي للبلاد ولا دخل
للعاطفة فيهما ، وليس في الاستطاعة تغيير الماضي ، أو التأثير في الوضع
الطبيعي الجغرافي للبلاد .

ووضع مصطلحات حديثة وتغيير الأسماء القديمة في الأماكن الجغرافية
وإن كان ميسوراً لكل أحد - كما حاول المؤلف حينما سمي الخليج الشرقي
الجزيرة (الخليج الإسلامي) ولكن مجرد التسمية لا أثر لها ، ولا تغير
من الماضي شيئاً . والمؤلف يتحدث عن الماضي حديث المؤرخ ، وهو
يتحدث عن حقائق جغرافية وتلك تتركز على أسس ثابتة لا يستطيع
تغييرها .

حدود نجد :

والأستاذ أمين مدني في تحديد نجد رأي طريف حقاً وغريب أيضاً
ملخصه - كما جاء في كثير من عباراته وكما يتضح من رسمه في الخريطة
التي قال إنها (وضعت على ضوء أقوال قدامى جغرافي العرب) وألحقها
بالكتاب ، يحده من الناحية الغربية بخط يوشك أن يكون مستقيماً يمتد من
حرة الهنيفة الواقعة غرب فيد ، بقرية ، صوب الجنوب حتى جبال القهر
الواقعة شرق بلاد عسير - أي من درجة الطول ١٥/٤٢° إلى ٢٥/٤٤°
(ويحده من الجنوب اليمن ، أما من الشرق فقد تداخلت حدوده مع
حدود إقليم العروض) .

والحد الشمالي لنجد بادية الشام والعراق .

والمؤلف الكريم يتخذ من أقوال المتقدمين قاعدة لما ينبغي عليه آراءه
في هذا التحديد ، ومن تلك الأسس حسب رأيه :

١ - أن اسم نجد يطلق على نجد كثيرة (ص ١٩١) .

٢ - أن جواد علي نقل أن علماء العرب يقسمون نجد إلى قسمين نجد

العالية وهو ما ولى الحجاز ، وأن شرف عبد المحسن البركاني يعد القسم الشمالي من نجد وهو حائل وما والاها - أنه يسمى نجد الحجاز (ص ١٩٢) .

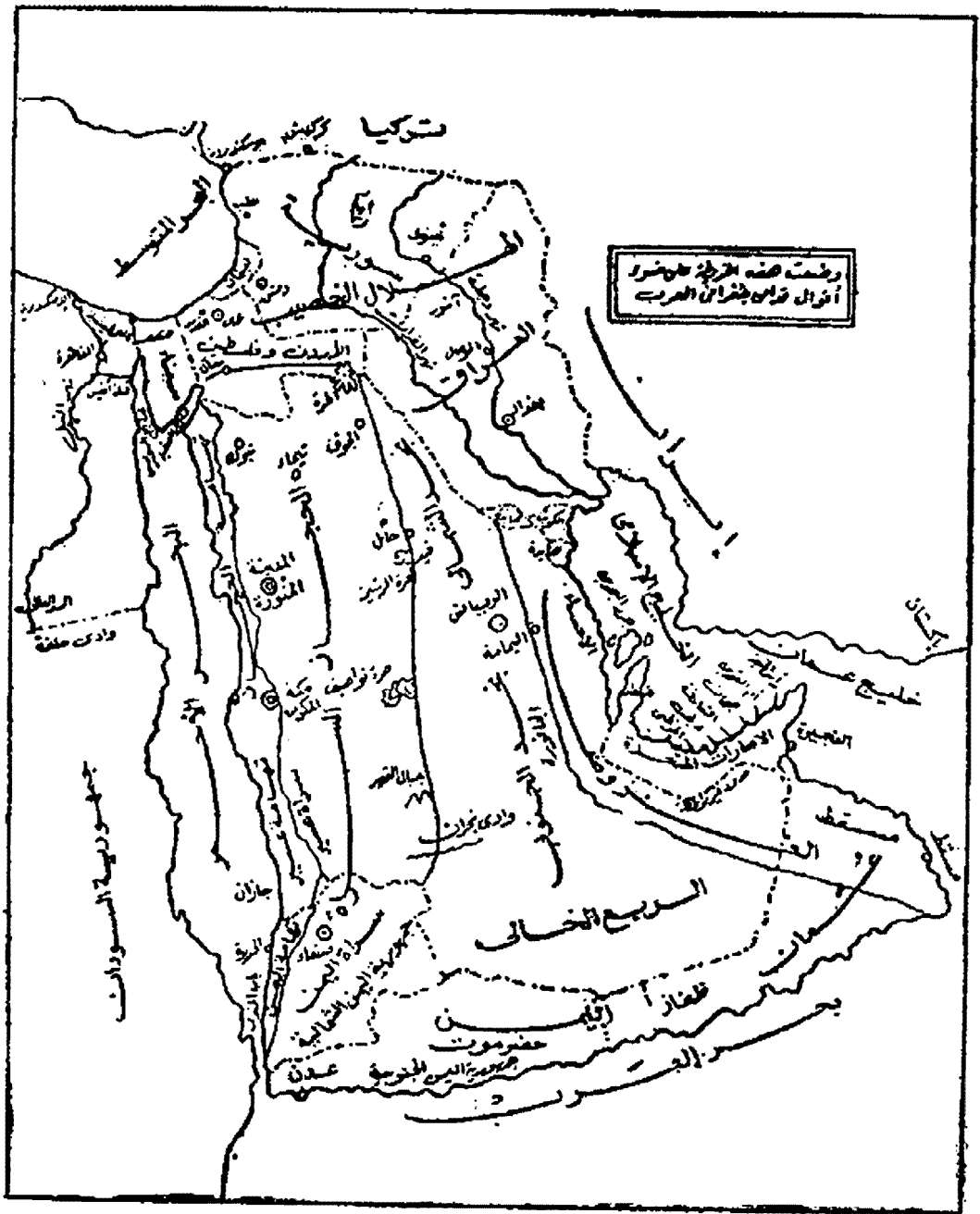
٣ - أن الأصمعي يقول : إذا عرضت لك الحرات بنجد قيل ذلك الحجاز ، والحرار تعرض لك من وراء فيد حيث توجد حرتا الهتمة والدهامة (ص ١٩٣) .

٤ - أن ما ورد في كلام بعض المتقدمين من تحديد نجد من الناحية الغربية بأنه : (ماسأل عن ذات عرقٍ مقبلاً فهو نجد) ذات عرق موضع من الأماكن التي ذكرها ياقوت ، والعروق التي ذكرها ياقوت في معجمه تراها منشورة على خريطة الجزيرة العربية بأسمائها الحديثة ، والعرق لغة الجبل . والذي يبدو - وهذا نص كلام المؤلف - أن المقصود من هذه المواضع هو أحد العرقين : عرق سبيع أو عرق الوادي حيث تراهما قريبين من حدود الحجاز (ص ١٩٣) .

٥ - أما قول : من رأى حَضَنًا فقد أنجد . فحَضَنٌ هذا بعيد عن الطائف ، وفي معجم ياقوت : اسم لجبال منها حضن جبل قريب من ديار سليم ، ومنها حضن جبل بالعالية ، وقيل جبل ضخم بناحية نجد . ومنها حضن من جبال سلمى (ص ١٩٥) .

٦ - وكان المؤلف الفاضل وقد قال : (كانت أقوال القُدامى وما زالت ، موضع بحث ونقاش عند كل من بحث في جغرافية نجد وتاريخه ، ولا يجد الباحث في تحقيق المتأخرين الوضوح الذي نجده في أقوال المتقدمين ، فلم تنضج حدود نجد الحديث في بحوث المتأخرين (ص ١٩٤) كأنه أراد أن يستريح ويريح القارئ فأتى بذلك التحديد العجيب الغريب لإقليم نجد وحصره في رقعة ضيقة ، وحَمَلَ أقوال المتقدمين من الجغرافيين ما لا يحتمل وفسرها بما لا يتفق مع المقصود منها .

ولا نريد أن نسرسل في بحث هذا الموضوع ولكننا نكتفي بإيضاح بعض جوانب من أقوال المتقدمين ، لانهقول : إنها خفيت على الأستاذ المؤلف



(نجدكما في الخريطة التي رسمها المؤلف وقال : إنها على ضوء
أقوال قدامى جغرافيين العرب !!!)

أمن مدني ، ولكننا نعتقد بأننا لا نجد أحداً من القراء يفهم منها ما فهمه الأستاذ أمين .

وقبل ذلك ينبغي الإشارة إلى أن كثيراً من المتقدمين من محدّد أقاليم الجزيرة متأثراً بوضعها السياسي أو الإداري في عهده فيدخل أقساماً من هذا القطر في قطر آخر ، ومنهم من يقف في تحديده على المعنى اللغوي ، ومنهم من لاحظ التقسيم الجغرافي ، ولاحظ أن كثيراً من أقسام الجزيرة لا توجد بينها فواصل طبيعية ، تفصل كل قطر عن الآخر ، وإنما هناك صفات بارزة لكل قطر تختص به دون غيره ، ومن هنا كان التقسيم الجغرافي الدقيق لتلك الأقطار غير واضح في كثير من أقوالهم لكل أحد .

ولا شك أن المؤلف قد أدرك هذا ، وأورد أقوالاً تتعلق به ، ولكنه مع ذلك لم يسلم من الوقوع في الخلط بين المدلول اللغوي لبعض الأسماء وبين المدلول الجغرافي .

ومن أمثلة ذلك أنه أدخل في إقليم الحجاز أجزاء واسعة ، ليست منه ، بمجرد كونها ذات جبال . ولم يدرك أن كلمة (حجاز) لا يمكن تطبيقها كلها متى وردت على الإقليم المعروف بهذا الاسم ، وإن يكن أدرك ذلك فهو لم يأخذ به . لأنه اعتبر قول بعضهم : (وما احتجز به من شرقيه من الجبال وانحاز إلى ناحية فيد والجبلين إلى المدينة ، ومن بلاد مذحج تثلث وما دونها إلى ناحية فيد حجازاً والعرب تسميه نجداً وجلسا وحجازاً) . اعتبر المواضع المذكورة من الحجاز ولم يلاحظ الأستاذ أمين أن المقصود بكلمة (حجاز) هنا هو المعنى اللغوي على حد قول الأحنس بن شهاب التغلبي (١) :

وَتَحْنُ أَنْاسٌ لَا حِجَازَ بَارِضِينَ مِنْ النَّغِيثِ مَا نَلْفَى وَمَاهُوْ غَالِبٌ

(١) من قصيدة في « الفضليات » .

وقول ابن الوزير المغربي في كتاب « أدب الخواص »^(١) : وكذلك
يسمى العرب كُلَّ جبل حَجَز بين أرضين حجازا ، قال حُرَيْث بن
عَتَّاب النبهاني الطائي :

لَنَا نِسْوَةٌ لَمْ يُجْزُ فِيْهِنَّ مَقْسَمًا تَحْمِيْسٌ وَلَا بَعْدَ التَّسَامِ مَرْبِعٌ
حَمَاهُنَّ مِنْ نَبْهَانٍ جَمْعٌ عَرْمَرَمٌ وَصُمُ الْعَوَالِي ، وَالْحِجَازُ الْمُسْنَعُ
يَرَى خَارِجِيًّا لَا يَزَالُ إِذَا بَدَأَ تُشِيرُ لَهُمْ عَيْنٌ إِلَيْهِ وَأَضْبَعُ

يعنى بالحجاز هاهنا جبل طيء ، والخارجي عنا به أنه ظهر وبدا
للعيون . انتهى .

ونعود لنوضح للقارئ، جوانب من خطأ الأستاذ أمين مدني في تحديده
لإقليم نجد ، إذ التوسع في الموضوع يقتضينا إفراده بمؤلف ، وهذا مما
لا حاجة إليه :

إن أبرز أعلام حدود نجد الغربية هي جبل حَضَن ، وموضع ذات
عرق ، والحرار ، فلنحاول إيضاح هذه الأعلام التي وردت في أقوال المتقدمين :

جبل حضن :

لا وجه لنفي المؤلف أن المقصود من جبل حضن - الجبل المعروف
شرق الطائف ، لأن هذا الجبل هو أشهر جبل عُرف بهذا الاسم ، وهناك
من المتقدمين من أدخل الطائف في إقليم نجد لوقوعها شرق السلسلة
الجبلية المعروفة باسم الحجاز ولإطلال كثير من قرأها ومواضعها على
جبل حضن . .

أما ما نقله عن ياقوت من أن حضناً اسم لجبال فينبغي تصحيحه
فكلمة (اسم لجبال) لم ترد في كلام ياقوت ، وما هو نص ما ورد في
« معجم البلدان » : حَضَن : بالتحريك ، وهو في اللغة العاج : وهو
جبل بأعلى نجد ، وهو أول حدود نجد ، وفي المثل : أُنْجِدَ مَنْ رَأَى

(١) نشرت مجلة « العرب » الجزء الموحود منه

حضناً . أي من شاهد هذا الجبل فقد صار في أرض نجد ، وقال السكري في قول جرير :

لَوْ أَنَّ جَمْعَهُمْ غَدَاةَ مُخَاشِنٍ يُرْمَى بِهِ حَضْنٌ لَكَادَ يَزُولُ

حضن : جبل بالعالية ، ومُخَاشِن : جبل بالحزيرة ، وقال يزيد بن حذاق في أخبار المفضل : — ثم أورد أبياتاً منها — :

فَإِنْ تَبَعْتُمْوَا عَيْنًا تَمَنَّى لِقَاءَنَا

يَرُمُ حَضْنًا ، أَوْ مِنْ شَمَامٍ ضَيَّيْنَا

وقال نصر : حضن جبل مشرف على السِّي إلى جانب ديار سليم ، وهو أشهر جبال نجد ، وقيل : جبل ضخيم بناحية نجد ، بينه وبين تهامة مرحلة ، تفيض فيه النور ، يسكنه بنو جُشَم بن بكر ، وقال أبو المنذر في كتاب « الافتراق » : وظننت قضاءة كلها من غور تهامة ، بعد ما كان من حرب بني نزار لهم واجلاثم إياهم ، وساروا مُنْجِدِينَ فالت كلب بن وبرة إلى حَضْنِ والسِّي وما صاقبه من البلاد ، غير شكم اللات بن ثور بن كلب فإنهم انضموا إلى فهم بن نيم اللات بن أسد بن وبرة بن تغلب وصاروا معهم ولحقت بهم عُصَيْمَةُ بن اللبو بن أمرمنة بن النمر بن وبرة فانقضت إليهم ، ولحقت بهم قبائل من جرم بن رَبَّان فثبتوا معهم بحضن فأقاموا هنالك وانتشرت قبائل قضاءة في البلاد

وحضن أيضاً : من جبال سلمى ، عن نصر . انتهى كلام ياقوت .

وعلى هذا فإن كُلَّ كلام ياقوت ينطبق على جبلين : أشهرهما الواقع شرق الطائف والثاني جبل يقع متصلاً بجبل أجأ ، وليس من جبال سلمى بل هو واقع غربها ، يفصل بينهما جبل رَمَّان وجبال أخرى . وقول ياقوت : إنه جبل بالعالية ، وأنه مشرف على السِّي إلى جانب ديار سليم ، وأنه أشهر بلاد نجد ، وأن بينه وبين تهامة مرحلة وأنه من مساكن بني جُشَم وأن بني عُصَيْمَةَ ومن معهم مكثوا في حضن ^(١) . فكل هذه الأقوال تنطبق

(١) ولا تزال بنو عصىة (المصمة) وبنو جشم (الجشمة) تحلن قريباً من حضن غربه ، في نواحي الطائف .

على مسمى واحد وهو جبل حضن المعروف وكل من لديه إلمام بمعرفة مواضع الجزيرة يدرك هذا .

وياقوت رحمه الله وغيره من المتقدمين ينقلون في تحديد الموضع الواحد أقوالاً متعددة في حدود ذلك الموضع ، وبعبارات مختلفة فنجد أحد المتقدمين يحدد الموضع بذكر مكانه ، وآخر يحدده بوصفه كقوله : تبيض فيه النور لعظمه ، وثالث يحدده بالنسبة لما حوله من المواضع كقوله : جبل مشرف على السّي ، والسّي هو صحراء رُكْبَة وهكذا ، ومن ليس لديه دربة ومعرفة بطرق المتقدمين في تحديد المواضع يتخيل أن مثل تلك الأقوال تنطبق على مواضع متعددة .

ذات عرق :

أما رأى صديقنا الأستاذ أمين حول ذات عرق فلا أعتقد أن قارئاً واحداً يوافقه عليه ، فالمتقدمون قالوا عن عرق (ذات عرق) : هو جبل أحمر يرتفع حين تجاوز بطن العقيق مشرفاً على تهامة ^(١) .

وقالوا : ذات عرق مهملٌ أهل العراق ، وهو الحد بين نجد وتهامة وقال الأصمعي : ما ارتفع من بطن الرُّمة فهو نجد ، إلى ثانياً ذات عرق ، وعرق الجبل المشرف على ذات عرق وقال ابن عبيّنة : إني سألت أهل ذات عرق : أمتهمون أنتم أم منجدون ؟ فقالوا : ما نحن بمتهمين ولا بمنجدين ^(٢) .

وإذن فذات عرق هي المكان الذي يُهلُّ منه الحجاج القادمون من العراق عن طريق نجد — أي يحرمون — ويهل منه حجاج شمال نجد وهو المعروف الآن اسم الضَّرِيَّة ، لا يشك في ذلك أحد .

ومع أن الأستاذ أمين المدني يدرك أن العرق هو الجبل ، فقد وقع في هفوة شنيعة بل هفوتين إحداهما حينما قال : (يبدو أن المقصود من هذه المواضع هو أحد العرقين عرق سبيع أو عرق الوادي حيث تراهما قريبتين من حدود الحجاز) فهذان العرقان ليسا جبلين ، بل رمال ممتدة طويلة ،

(١) كتاب المناسك ص ٣٣٥ . (٢) معجم البلدان .

ثم هما في وسط نجد ، وليسا قريبين من حدود الحجاز إلا إذا أردنا أن نقول عبارات المتقدمين وأن نتحكم فيها حسب ما يبدو لنا ، وهذا ما نربأ بباحث ، كالأستاذ أمين من الوقوع فيه .

الحرار :

استدل الأستاذ أمين المدني على حدود نجد الشرقية بقول الأصمعي : فإذا عرضت لك الحرار بنجد قيل ذلك الحجاز . هذا قائلا : (والحرار تعرض لك من وراء فيند حيث توجد حرثا الهتيمة والدهامة ١٨٤ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٩) فلنرجع إلى كلام الأصمعي كاملا ونصه في « معجم البلدان » لياقوت : قال الأصمعي : ما احتزمت به الحرار ، حرة شوران وحررة ليلي وحررة واقم ، وعامة منازل بني سليم إلى المدينة ، فذلك الشق كله حجاز . وقال أيضاً في كتاب « جزيرة العرب » : الحجاز اثنا عشرة داراً : المدينة وخيبر وفدك وذو المروة ودار بلي ودار أشجع ودار مزينة ودار جهينة ونقر من هوازن ، وجل سليم وجل هلال ، وظهر حررة لبلي ، ومما يلي الشام شغب وبداء . وقال الأصمعي في موضع آخر من كتابه : الحجاز من تخوم صنعاء من العلاء وتبالة إلى تخوم الشام ، وإنما سمي حجازاً لأنه حجز بين تهامة ونجد ، ففكة تهامة والمدينة حجازية والطائف حجازية . انتهى .

وفي « معجم البلدان » أيضاً عن الأصمعي : العرب تقول : إذا خلقت عجلزاً حتى تنحدر إلى ثبابا ذات عرق . فإذا فعلت ذلك فقد آهمت إلى البحر ، وإذا عرضت لك الحرار فذلك الحجاز .

وعلى هذا فالأصمعي قد أوضح الحرار التي تحدد الحجاز وليس من بينها حرثا الهتيمة والدهامة . وكان الأستاذ المدني ألقى نظرة على الخريطة فشاهد الحرة الواقعة غرب فيد ، فظن أن كل حرة ينبغي أن تكون داخلة في الحجاز وهذا خطأ ، فالحرار قد توجد في غير الحجاز ففي طرف الدهناء الغربي حرة رماح فهل نقول على هذا أن الحجاز يحده شرقاً طرف الدهناء الغربي ؟!

لا تزال الحرار التي ذكرها الأصمعي معروفة بأوصافها إن لم تكن

معروفة بأسمائها ، وتكاد أن تكون امتداداً لسلسلة جبال الحجاز التي تقع المدينة في طرفها الشرقي حيث تنفصل سلسلة الجبال للمتجه من المدينة إلى نجد وتضعف ، ومن هنا ذهب بعض المتقدمين إلى اعتبار المدينة من بلاد نجد^(١) وأن الحجاز يبتدي شرقها من ثنابا العرج وهذا قول مرجوح فهي داخلة بين حنايا السلسلة الجبلية وأطراف تلك السلسلة تمتد منها شرقاً بميل نحو الشمال حتى الحناكية (نخل قديماً) بل تتجاوز ذلك حتى تتصل بجبال المعلم المتصلة بحرة خيبر ، ثم تمتد الحارار نحو الشمال .

إن الحارار الى ذكر الأصمعي هي :

١ - حرة شوران : الحرة المطلة على سدّ العاقول بقرب المدينة .

٢ - حرة ليلى : هي الحرة المتصلة بحرة خيبر من الغرب ، المعروفة الآن باسم حرة اثنان وحرة هتيم وحرة ضرغد ، كل ناحية منها تدعى باسم^(٢) .

٣ - حرة واقم : هي حرة المدينة التي جرت فيها الوقعة المعروفة ، وهي متصلة الآن بعمران المدينة ، بل تتجاوزها .

فأين حرة الهتمة من هذه الحارار ، وهي حرة لم تكن معروفة بهذا

الإسم إلا في عهد متأخر ؟ !

والغريب من الأستاذ أمين مدني أنه لما أورد قول : (الحجاز ما احتجزت به الحارار) أضاف : (الحارار التي ذكرها ياقوت هي حرة لوطاس) وسرد ما جاء في معجم البلدان من أسماء الحارار ومنها : (حرة رماح وحرة شرح وحرة ضارج)^(٣) :

وحرة رماح في غربي الدهناء ، وحرة شرح شمال شرق القصيم ، وضارج في وسط القصيم ، فهو بعمله هذا أوصل حدود الحجاز الشرقية إلى قرب الدهناء ! (للتحديث صلة) **حمد الجاسر**

(١) جاء في كتاب « المناسك » ص ٥٢٧ : (وقال ابن السكلي : ونجد فيما بين الحجاز إلى الشام إلى العذيب ، والطائف من نجد ، والمدينة من نجد) .

(٢) والأصمعي في تحديده كان دقيقاً فلم يدخل كل حرة ليلى ، بل قال (ظهر حرة ليلى) على ما نقل عنه الأستاذ أمين مدني (ص ١٨٢) فشرقي الحرة وهو ضمنها وسایل أوديتها للشرقية من منطقة (عدنة) وتلك في نجد .

(٣) صفحة ١٨٢ .

ابن السِّدِّ البَطْلِيُّوسِي الأَنْدَلِسِي

- ٢ -

ابن السِّدِّ وأبو العلا :

وكان المعري ، من بين جميع الشعراء ، أكثر إعجاباً ، وأوسع تأثيراً ، وقبولاً ، عند المغاربة ، ولم يكذب يظهر شعره في الشرق ، حتى ذاع صيته في الأندلس ، ووصلت دواوين شعره وجميع آثاره إلى الأندلس في حياته ، وتلقاها الناس بالقبول ، ووجدت لها جواً مناسباً وبيئة صالحة لذيوعها ، وانتشارها ، وأقبل الشعراء ، والأدباء والعلماء ، على حفظها ، ودراستها ، كما أقبل عليها الأمراء ، وأعجبوا بها إعجاباً كبيراً ، حتى أن أبا بكر ، محمد بن عبدالله المظفر ، صاحب بطليوس ، وأديب ملوك عصره : (كان ينكر الشعر على قائله في زمانه ، ويقل رأي من ارتسم في ديوانه ، ويقول : من لم يكن شعره مثل شعر المتنبي أو المعري فليسكت ولا يرضي بدون ذلك)^(١) .

وكانت آثاره قد دخلت الأندلس ، إما بطريق الراحلين من الأندلس إلى المشرق ، أو بطريق الوافدين من المشاركة على الأندلس . فمن الراحلين إلى المشرق ، الآخذين عن المعري ، أبو الربيع سليمان بن أحمد السرقسطي ، وأبو تمام غالب بن عيسى الأنصاري الأندلسي ، وأبو عبدالله بن جابر القرطبي . ومن الوافدين على الأندلس ، من تلاميذ المعري أبو الفضل البغدادي ، وأبو عمرو السفاقسي وغيرها^(٢) .

(١) أعمال الاعلام ص ١٨٤ ومقدمة الانتصار ص « ش »

(٢) مقنة الانتصار . ص « ش » .

وكذلك فإن الأندلسيين قد تناولوا آثار المعري شرحاً ومعارضة .
 فمن المعارضين له ، أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي ، صاحب
 رسالة « الساجعة والغريب » التي عارضه بها في « الصاهل والشاحج » كما
 عارضه في خطبة الفصيح ، وسقط الزند « بالإصلاح وثمره الأدب » .
 ومنهم أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الذي عارضه في خطبة « الفصيح »
 بكتاب سماه « جهد النصيح » ، وأبو الطاهر محمد بن يوسف السرقسطي ،
 صاحب « المقامات اللزومية الشهيرة » ، وأبو عبد الله محمد بن مسعود
 ابن أبي الخصال الغافقي ، وزير يوسف بن تاشفين ، وصديق صاحبنا
 ابن السيد ، كان قد عارض المعري في « ملق السبيل » (١) .

أما صاحبنا ، أبو محمد ابن السيد ، فإنه لم يكن من المعارضين للمعري ،
 وإنما كان من المعجبين به ، المعتنين بآثاره ، الشارحين لها . فقد درس
 شعره ، وحفظه ، وفهمه حق الفهم ، وقدره حق قدره . انظر إليه كيف
 يعترف بمكانة المعري وشعره : « ولعمري إنه شعر ، قوي المباني ، خفي
 المعاني ، لأن قائله سلك به غير مسلك الشعراء ، وضمته نكتا من التحل
 والآراء ، وأراد أن يرى معرفته بالأخبار ، والانساب ، وتصرفه في جميع
 أنواع الآداب ، فأكثر فيه من الغريب ، والبديع ، ومزج المطبوع
 بالمصنوع ، فتعقدت ألفاظه ، وبعدت أغراضه » (٢) .

وقد رأى في شرحه أن ترتيبه على حسب الحروف المعجمة أتم في
 الوضع ، وأجمل للتصنيف ، فاحتاج لذلك . إلى أن يزيد فيه من شعره ،
 ليكون أوفى للغرض ، وأنفع ، فأضاف إليه قدراً كبيراً من اللزوميات ،
 وجامع الأوزان ، وكتبه الأخرى (٣) .

(١) تعريف والقضاء بالمعري ص ٤٤١ - ٤٤٥ ومقدمة الانتصار ص « ت » وأبو العلاء
 ما إليه ص ٢٠٤ .

(٢) شروح سقط الزند ص ١٥ .

(٣) نفس المرجع .

« وهو (في شرحه لآثار المعري) ناقد ، دقيق الفهم ، صافي الحس ، وقد أعانه هذا ، وما له من غزارة الحفظ ، وسعة الإطلاع ، وتحققه في علوم الفلسفة ، والمنطق ، وغيرها ، من فهم أغراض أبي العلاء ، وإدراك خفي معانيه . وكذلك كان عوناً له في دقة الموازنة ، وسلامة المقارنة ، وفي تتبعه للمعنى ، حتى يدرك أول من قاله ، ونبه عليه ، وفي تعقبه لأصل الخاطر ، فلا يدَّعُه حتى يصل إلى مبتدعه » (١) .

نبذة من آراء القدماء والمحدثين في ابن السيد

١ - قال الفتح ابن خاقان في شيخه : (الفقيه الأجل ، أبي محمد عبد الله بن السيد أدام الله علوه ، وتاج مفرقه ، وهلال أفعه ، ومهبّ نفع صراره ومحلى أنواره ومحلى أنجاده وأغواره ما نصه : « إنه ضارب قداح العلوم ، وجيلها ، وغرة أيامنا البهية ، وتحجيلها ، لو أدركه قيس لما قضى للحلم ونرا ، ولا شفعا ، ولو عاصره ابن العاصي لما ادعى ضرا ، ولا نفعا ، حلب الدهر أشطره ، وتلا حروفه وأسطره ، وخدم الرياضات ، وعلم طرق السياسات ، ونفق ، وكسد ، ووقف وتوسد ، وهو اليوم شيخ المعارف ، وإمامها ، ومن يديه مقودها ، وزمامها ، لديه تنشد ضوال الأعراب ، وتوجد شوارد اللغات ، والإعراب ، إلى مقطع دمث ، ومنزع في النفاسة غير متكث ، وندى خرق به العوائد ، أورق عوده في يد الرائد ، وعفاف كف حتى عن الطيف ، ومكي المحرمين بالخيف ، ولقد نزلت منه بالنقى الطاهر ، ولقيت منه ما لقي عوف بن محلم من ابن طاهر ، ورأيت نار مكارمه تتألق ، وبث كأنما على النار الندى والمخلق ، وله تحقق بالعلوم الحديثة ، والقديمة ، وتصرف في طرقها المستقيمة ، ما خرج بمعرفتها عن مضمار شرع ، ولا نكب عن أصل للسنة ولا فرع ، ونواليقه ، في الشروحات ، وغيرها صنوف ، وهي اليوم في آذان الأيام شنوف ، فمنها « المقتبس في شرح موطأ مالك بن أنس » و « الاقتضاب في شرح أدب الكتاب » ، وكتاب « التنبيه على

(١) مقدمة الانتصار ص « ض » .

على السبب الموجب لاختلاف العلماء في اعتقاداتهم ، وآرائهم ، وسائر أغراضهم ، وأنحائهم ، ، وغير ذلك » (١) .

وقال فيه ، تلميذه الآخر ، وهو ابن بشكوال : « وكان عالماً بالآداب واللغات مستبحراً فيهما ، مقدماً في معرفتهما ، واتقانها ، يجتمع الناس إليه ويقرءون عليه ، ويقتبسون منه ، وكان حسن التعليم . جيد التلقين ، ثقة ، ضابطاً ، وألف كتباً حسناً » (٢) .

وقال الضبي صاحب « بغية الملتبس » : أبو محمد البطليوسي . . . إمام في اللغة ، والآداب ، سابق ، مبرز ، وتواليفه دالة على رصوخه ، واتساعه ونفوذه ، وامتداد باعه ، . . . وكان ثقة . مأموناً على ما قيد : وروى ، ونقل ، وضبط » (٣) .

ويقول السيوطي في بغية الوعاة (٤) : « كان عالماً باللغات ، والآداب ، مستبحراً فيهما ، انتصب لإقراء علوم النحو ، واجتمع إليه الناس ، وله يد في العلوم القديمة » .

ويقول ابن خلكان ، بعد أن نقل قول ابن بشكوال ، وذكر تصانيفه وأثنى عليها : « وبالجملية ، فكل شيء يتكلم فيه ، فهو في غاية الجودة ، وله نظم حسن » (٥) .

وقال في المغرب : « أبو محمد عبد الله بن السيد ، أحد من تفخر به جزيرة الأندلس ، من علماء العربية » (٦) .

(١) أزهار الرياض ٣ - ١٠٥ - ١٠٧ والقلائد ص ٢٠٢ . ونفع الطيب ١ - ٤٢٥ -

٤٣٠

(٢) الصلة ص ٢٨٧ وعنه ابن خلكان ١ - ٢٨٧ : عنه انشذرات ٣ - ٦٥ والياضي

٣ - ٢٢٨

(٣) الضبي ص ٣٢٤ .

(٤) ٢ - ٥٥ - ٥٦ .

(٥) ابن خلكان ١ - ٢٨٧ .

(٦) المغرب ١ - ٣٨٥ .

وقال الأستاذ الكبير ، حامد عبد المجيد ، في بداية مقدمة الانتصار :
« ابن السيد البطليوسي ، إمام من أئمة النحو واللغة ، وعلم من أعلام الأدب
وصورة صادقة للعقل الحصب ، والتفكير الناضج . أديب ، عالم ، اجتمعت
لديه مواهب الأديب ، ومنح صفات العالم المحقق . شخصية متعددة النواحي ،
مختلفة الجوانب . فهو نحوي لغوي ، فقيه عالم ، أديب شاعر ، له تحقق
بالعلوم الحديثة والقديمة ، ومشاركة في علوم الفلسفة ، والمنطق ، وعلم
الهيئة ، وغير ذلك » .

« وإذا كانت آثار الإنسان تدل على شخصيته ، ونفسيته ، ومواهبه ،
وتكوين مزاجه ، فإن ما خلفه هذا الأديب العالم ، من بدائع التأليف ،
لتدلنا ، على أن ابن السيد — رحمه الله — كان واسع الإطلاع ، غزير
الحفظ ، صافي الطبع ، صائب الرأي ، بارع الحكم ، واضح البرهان ،
ومثل هذه الشخصية ، خليقة بالبحث والدرس ، جديرة بالعناية والاهتمام » (١)

وقبل أن ننقل إلى الفصل القادم ، للكلام على مؤلفات ابن السيد ،
ثم على شيوخه ، وتلاميذه ، ونحتم كلامنا عن محاسن الرجل ، ومزاياه ،
لا بد لنا أن نذكر هاهنا ، كسمة لهذا الفصل ونهايته — قول الفتح ابن
خاقان ، الذي ختم به تأليفه البارع عن حياة شيخه ، الفقيه الأجل أبي محمد
ابن السيد البطليوسي رحمه الله ، وهذا نصه : « قال أبو نصر : هذا
ما سمع به خاطر ، لم تخطر عليه سلوة ، وذهن ناب لم ترهف له نبوة ،
ووقت أضيق من المأزق المتداني ، ومقت للزمن ، شغلني عن كل شيء ،
وعدائي ، أتجرع به الصاب ، وأندرع منه الأوصاب ، فما أتفرغ لإنشاء قول ،
ولا أصحو من الانتشاء من هول ، وإلا فحاسن الرجل كانت أهلا أن يمتد

(١) مقدمة الانتصار .

عنانها ، لكن عاق عن ذلك الدهر الذي شغل ، وأوغلنا في شباب الانكاد ،
حيث وغل « (١) .

مؤلفاته :

يصرح ابن القفطي في « إنباه الرواة » (٢) ، أن ابن السيد البطليوسي ،
كان قد ألف تواليفه الكثيرة ، وهو في بلنسية . إلا أنه لم يبدأ بها التأليف
لأول مرة ، وإنما كان قد بدأ هذا العمل السامي ، في عهد مبكر جداً ،
لأنه يقول في مقدمة المثلث ، بأنه كان قد ألف في هذا الموضوع كتاباً
آخر من قبل ، وذلك عام سبعين وأربعمائة . فإذا كان مولد ابن السيد
كما صرحت به المصادر إجماعاً ، هو عام ٤٤٤ هـ ، فعنى ذلك أنه كان
قد أخذ في التأليف في ميعه الشباب ، وعنفوانه ، وذلك في نحو السادسة
والعشرين من عمره . إلا أنه يعترف بأن التأليف الثاني في المثلث ، خير
من الأول ، كما جاء في المثل الفارسي : « إن محاولة الفنان الثانية تكون أجمل
من الأولى » .

ومؤلفات ابن السيد التي تزيد عن عشرين كتاباً ، تنقسم إلى ثلاثة أقسام :
القسم الأول : هي الكتب التي طبعت ونشرت . والقسم الثاني : يشمل الكتب
من مؤلفات ابن السيد التي عرفنا عن وجود نسخها في شتى مكتبات العالم ،
ولم تطبع إلى الآن . فيما بلننا . والقسم الثالث : من مؤلفاته هي الكتب التي
فقدت أصولها ، وذهب بها الزمان ، وعصفت بها يد الأيام ، ولم نعر على
وجود نسخة منها . فن القسم الأول : ستة كتب ، ومن الثاني : خمسة كتب ،
ومن الثالث : أحد عشر كتاباً ، فيما علمنا .

(١) أزهار الرياض ٣ - ١٢٧ .

(٢) كما نقله عنه الأستاذ حامد في مقالة الانتصار .

القسم الأول من مؤلفات ابن السيد

١ - الاقتضاب في شرح أدب الكاتب :

بهذا الاسم سماه المؤلف ، وبهذا الاسم ذكره أصحاب التراجم ،
والمؤرخون ، من أمثال ابن بشكوال ، وابن خاقان ، وابن خلكان ،
والمقرئ في نفح الطيب ، وأزهار الرياض ، وابن خير الإشبيلي في فهرسته ،
والحاج خليفة ، سوى السيوطي ، والأستاذ بروكلمان ، فلنهما يذكرانه
باسم « شرح أدب الكاتب » (١) .

وقد اشتهر أدب الكاتب لابن قتيبة ، عند المغاربة باسم « أدب الكتاب »
فلان ابن خير يقول في فهرسته : « كتاب أدب الكتاب لأبي محمد عبد الله
بن مسلم بن قتيبة الدينوري رحمه الله ، حدثني به الأستاذ أبو القاسم
عبد الرحمن بن محمد بن الرماك النحوي ، رحمه الله ، قراءة مني عليه ،
قال : حدثني به الأستاذ أبو الحسن علي بن عبد الرحمن التنوخي ، رحمه الله ،
قراءة مني عليه ، قال : حدثني به الأستاذ أبو الحجاج يوسف بن سليمان
النحوي الأعلم الخ » (٢) .

وبهذا الاسم ، قد شرحه كثير من المغاربة ، ومنهم أبو الحزم الحسن
بن محمد بن يحيى بن عليم الأنصاري البطلبيومي رحمه الله (٣) . وقد ذكره
المقرئ باسم « شرح آداب الكتاب » . وكذلك ابن السيد ، قد صرح في
خطبة شرحه لأدب الكاتب أنه موسوم بأدب الكتاب (٤) .

وقال ابن خلكان ، وقد ذكر أدب الكاتب لابن قتيبة : « وقد شرح
هذا الكتاب أبو محمد ابن السيد البطلبيومي ، شرحا مستوفي ، ونبه على

(١) الصلة ص ٢٨٧ وأزهار للرياض ٣ - ١٠٧ . وابن خلكان ١ - ٢٨٧ ونفح

الطيب ٢ - ١٢٤ وابن خير ص ٣٤٤ والكشف ص ١٤١١ .

(٢) ابن خير ص ٣٣٣ .

(٣) ابن خير ص ٣٥٤ والصلة ص ١٣٩ .

(٤) الاقتضاب ص ٢ .

مواضع الغلط منه ، وفيه دلالة على كثرة إطلاع الرجل ، وسماء ، « الاقتضاب
في شرح أدب الكتاب » (١) . وكذلك قال الحاج خليفة عند كلامه على أدب
الكتاب لابن قتيبة : « وله شروح أجملها شرح الفاضل الأديب أبي محمد
عبد الله بن محمد ، المعروف بابن السيد البطلوسي » (٢) .

وقد طبع الكتاب ببغروت سنة ١٩٠١ م في المطبعة الأدبية وقام على
تحقيقه ونشره المعلم عبد الله أفندي البستاني . وقد قرأنا النسخة المطبوعة من
ألفها إلى يائها قراءة مسبهة فوجدناها مليئة بالأخطاء بعضها مطبعية وبعضها
من قبل المحقق إذ لم يستطع قراءة المخطوط قراءة صحيحة جيدة وليس هذا هو
موضع التنبيه على الأخطاء وإنما تكفي الإشارة إليها (٣) .

وقد نسب هذا الشرح لأحمد بن محمد بن أحمد أبي العباس المرسي ،
المتوفي ٤٦٠ هـ ، المعروف بابن بلال ، الذي قرأ عليه المظفر عبد الملك ،
في صغره ، عند كونه بمرسية ، في حياة أبيه المنصور ، أبي الحسن عبد العزيز
بن عبد الرحمن بن أبي عامر ، صاحب بلنسية . وقد كان أبو عبد الله بن
خلصة النحوي كتب رسالة ناقض فيها أبا محمد بن السيد البطلوسي ، وبكته
وذكر أنه أغار على شرح أدب الكتاب لابن بلال ، وانتحل ، وسماء ،
بالاقتضاب (٤) .

والكتاب ينقسم إلى ثلاثة أقسام : القسم الأول ، في شرح الخطبة ، والثاني
في التنبيه على الأغلاط ، والثالث في شرح الآيات ، ونسبها لفائلها . وقد
صرح المؤلف نفسه بذلك ، عندما أراد أن يشرح موضوعه ، وأغراض
الشرح ، وأهدافه ، حيث قال : « غرضي ، في كتابي هذا ، تفسير خطبة

(١) ابن خلكان ١ - ٢٨٧ .

(٢) الكشف ١ - ٤٧ .

(٣) انظر معجم المطبوعات ص ٥٧٠ .

(٤) ابن الأبار ١ - ٢٥ . وقد اشتهرت رسالة ابن خلية هذه وتداولها الناس (ورووها

منه انظر التكملة ص ٢١٠ .

الكتاب ، الموسوم بأدب الكتاب ، وذكر أصناف الكتب ، ومراتبهم ، وجل ما يحتاجون إليه في صناعتهم ، ثم الكلام بعد ذلك على نكت من هذا الديوان يجب التنبيه عليها ، والإشارة إليها ، ثم الكلام على مشكل إعراب أبياته ، ومعانيها ، وذكر ما يحضرني من أسماء قائلها ، وقد قسمته إلى ثلاثة أجزاء ، الجزء الأول في شرح الخطبة ، وما يتعلق بها من ذكر أصناف الكتاب ، وآلاتهم ، والجزء الثاني في التنبيه على ما غلط فيه واضع الكتاب ، أو الناقلون عنه وما منع منه ، وهو جائز ، والجزء الثالث في شرح أبياته (١) .

وفي نهاية القسم الأول أضاف ابن السيد بعض الفوائد الجملة ، والمصطلحات الفنية ، والمعلومات الثمينة ، كأصناف الكتاب ، وما يحتاجون إليه ، وآلاتهم التي يحتاجون إلى معرفتها ، ومعنى الكتاب والكاتب ، وطبع الكتاب ، وختمه ومن المصطلحات كعنوان الكتاب ، والديوان ، والبراءة ، والتوقيع ، والتاريخ ، ويختم القسم على ذكر الأوائل ، كأول من افتتح كتابه بالبسملة ، وأول من قال « أما بعد » وأول من طبع الكتب ، وأول من كتب في كتابه « من فلان بن فلان ، إلى فلان بن فلان » ، وغير ذلك من الفوائد .

وأما الأغلاط ، التي نبه عليها في الجزء الثاني ، فهي تنقسم إلى أربعة أقسام : فالقسم الأول ، هي مواضع ، غلط فيها ابن قتيبة ، والقسم الثاني ، أشياء اضطرب فيها كلامه فأجاز في موضع ما منعه في آخر ، والقسم الثالث ، هي أشياء جعلها ابن قتيبة من لحن العامة ، وعول في ذلك على ما رواه بعض أئمة اللغة ، وأهمل آراء بعضهم ، وأنكرها ، وكان ينبغي له أن يقول : إن ما ذكره مؤرخنا عندنا ، والأفصح عنده ، والقسم الرابع من الأخطاء ، هي مواضع في الكتاب وقعت غلطا في رواية أبي على القالي ، والتي نقلت إلى ابن السيد بطريق أبي نصر ، هارون بن موسى في رواية أدب الكاتب عن القالي . وابن السيد ، رحمه الله ، لا يجزم القول في كونها أغلاط ابن قتيبة أو الناقلين والرواة عنه (٢) .

(١) الاقتضاب ص ٢ .

(٢) الاقتضاب ص ١٠٦ .

ونظن أن معظم هذه الأخطاء ، التي نبه عليها ابن السيد يرجع إلى غفلة الناقلين ، وإهمال الرواة ، وتحليطهم في كلمات الأبيات ، وغيرها من مواد الكتاب . ويدل على صحة قولنا هذا ، ما نبه عليه ابن السيد في ألفاظ بيت من أبيات الكتاب (لبشار بن برد أو عروة ابن أذينة) وهو :

يقلن : لقد بليت ، فقلت كلا وهل يبلى من الطرب الجليل

فيتنبه عليه ابن السيد قائلا : « هكذا نقل إلينا عن أبي نصر هارون بن موسى ، عن أبي علي البغدادي ، رحمة الله عليهما ، والصواب : فقلن « بالفاء » ^(١) . وإننا نجد في المطبوع من أدب الكاتب « فقلن » بالفاء ، وقد ذكر المحقق الأورني للكتاب ، يهامشه ، أن في نسخة من نسخ الكتاب ، « يقلن » مكان « فقلن » ^(٢) .

وقد قال في بداية القسم الثالث من الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ، أن غرضه أن يقرن بكل بيت من أبيات الكتاب ، ما يتصل به من الشعر من قبله أو من بعده ، إلا أن أبياتا يسيرة ، لم يعلم قائلها ، ولم يحفظ الأشعار ، التي وقعت . ثم يقول « إن في معرفة ما يتصل بالشاهد الشعري ، ما يحلو معناه ، ويعرب عن فحواه ، فإن كثيراً من المفسرين للأبيات ، المستشهد بها قد غلطوا في معانيها ، حين لم يعلموا الأشعار التي وقعت فيها هذه الأبيات ، لأن البيت إذا انفرد ، احتمل تأويلات كثيرة » ^(٣) .

وللكتاب نسخ مخطوطة في مكتبات العالم ، كالقاهرة ، والاسكوريال ، وفاس ، والقيروان ، ذكر ذلك الأستاذ الكبير بروكلمان في تكملة ١ - ١٨٥ . وفي نهاية الكتاب الثاني من الاقتضاب عبارة نصها : « نجز الكتاب بحمد الله ، وحسن معاونته ، وصلى الله على محمد ، خاتم أنبيائه ، في اليوم الثاني من ذي القعدة ، سنة خمس وثمانين وخمسمائة » ^(٤) .

(١) نفس المرجع ص ١٠٧ .

(٢) أدب الكاتب طبعة ليدن ص ٢٣ .

(٣) الاقتضاب ص ٢٨٨ .

(٤) الاقتضاب ص ٢٨٦ .

فالظاهر أن النسخة التي عول عليها البستاني كانت قد كتبت بعد موت ابن السيد بقرن ونصف ، أو نحو ذلك .

٢ - شرح سقط الزند :

كان ابن السيد رحمه الله من المعجبين بشخصية المعري المولعين بشعره ، كما ذكرنا قبل ذلك . وكان قد أخذ شعره عن أخيه أبي الحسن ابن السيد ، وعبد الدائم القيرواني ، وأبي الفضل الدارمي البغدادي ، الذي ذكره ابن السيد فقال : إنه شبعه في شعر أبي العلاء المعري^(١) . وقد شغل بأبي العلاء ، وشرح شعره ، واختار من دواوين شعره « سقط الزند » فشرحه واستوفى فيه المقاصد ، كما يتول ابن خلكان^(٢) ، وهو أجود من شرح صاحب الديوان ، أبي العلاء نفسه ، الذي سماه « ضوء السقط » ، ويُعدُّ هذا المشرح أقوى شرح سقط الزند ، وأكثرها نفعاً وأوفاهها إستيعاباً^(٣) .

وليس شرح ابن السيد خاصاً بسقط الزند ، وإنما يتناول مؤلفه طائفة أخرى من شعر المعري ، في كتبه الأخرى . كجامع الأوزان ، ولزوم ما لا يلزم ، إلا أنه مع هذه الزيادات ، التي ضمها إلى شرحه هذا ، فقد فاته بعض القصائد من سقط الزند^(٤) .

وقد انفرد ابن السيد من بين شراح « سقط الزند » بترتيب شرحه على نظم حروف المعجم . وقد صرح بذلك ، حيث قال : « ورأيت أن ترتيبه على نظم حروف المعجم ، أتم في الوضع . وأجمل للتصنيف فاحتجت لذلك إلى أن أزيد فيه ما يبي بالغرض »^(٥) إلا أنه وضع ترتيب الحروف على طريقة المغاربة ، وليس على طريقة المشارقة^(٦) .

٢٠٠

(١) الانتصار ص ٢٨٦ .

(٢) ابن خلكان ١ - ٢٨٧ .

(٣) انظر مقدمة شروح سقط الزند .

(٤) نفس المرجع .

(٥) شروح سقط الزند ص ١٥ .

(٦) انظر مقدمة شروح سقط الزند .

« وهذا الشرح ، يمتاز بكثرة التعرض للتحقيقات اللغوية ، والمسائل النحوية ، وهو شديد الولوع بالموازنة ، والمقابلة ، بين معاني أبي الطيب ، وأبي العلاء ، وليس بدعا منه أن يسرف في ذلك فإن البطليوسي قد تصدى لشرح ديوان المتنبي ، فكان لذلك أثره في إستيعابه لشعره ، ومعانيه ، وهو أيضاً يلتزم التسجيع في أكثر عباراته ، فلا ينزل إلى التكلف ، وإنما يصطنع ذلك في سهولة ويسر » (١) .

وللكتاب عدة نسخ ، توجد في شتى مكتبات العالم ، منها في تونس ، والقاهرة (٢) .

وقد طبع هذا الشرح مع شرحي الخوارزمي ، والتبريزي ، في القاهرة بإشراف وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، وبتحقيق لجنة مكونة من الأساتذة الأعلام (٣) .

٣ - كتاب الانتصار :

وقد ورد ذكره بهذا الاسم في المعجم لابن الأبار (ص ٣٠١) حيث قال : « إن الفتح سمعه من ابن السيد سنة ٥١٦ هـ » . وقد قام على تحقيقه ، ونشره الأستاذ الكبير ، الدكتور حامد عبد المجيد ، وأخرجه باسم « الانتصار ممن عدل عن الاستبصار » ، وذكر أنه لم يتحقق اسمه من نسخه المخطوطة ، التي وصلت إلى يده ، لأنها تختلف في اسمه ، ولا تعينه واحدة منها ، وإنما جعلت كل منها للكتاب اسماً ، اقتبسته من قول المؤلف في صدر تأليفه ، مشيراً إلى موضوع الكتاب ، وقال إن اسم الكتاب هذا ، قد اكتشفه من مخطوطة بدار الكتب المصرية (برقم ١١ لغة م) ، وهي نسخة كتاب « القول المأثور في شرح مغلق القاموس » لبدر الدين محمد بن عمر بن حسن (٤) .

(١) نفس المرجع

(٢) انظر مقدمة شروح سقط الزند ونكلة بروكلمان ١ - ٧٥٨ .

(٣) وهم : مصطفى المفا ، وعبد الرحيم محمد ، وحامد عبد المجيد ، وعبد السلام محمد هارون ، بإشراف الدكتور طه حسين .

(٤) مقدمة الانتصار ، وقد طبع في القاهرة سنة ١٩٥٥ م .

وموضوع الكتاب هو رد اعتراضات أبي بكر محمد بن عبد الله العربي ^(١) ، على ابن السيد في شرح سقط الزند ، كما يصرح به في خطبة الكتاب ويقول : « رأيت أراك الله منج الحق وسنته ، وجعلك من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه - اعتراضات ابن العربي علينا في شرح شعر المعري . ولنا نكر معارضة المعارضين ، ومناقضة المناقضين ، فلها سبيل العلماء المعروفة ، وطريقهم المألوفة : (الطويل) .

ومن ذا الذي ترضى بحجابه كلها كفى المرء نبلاً أن تعد معاييه

ولنما ننكر من هذا الرجل - وفقنا الله وإياه إلى صالح العمل - أنه تعسف ، وما أنصف ، وجاء في المعارضة والخلاف ، بأشياء ، استطرفتها غاية الاستطراف ، وذلك أنه وجد أبياتاً أفسدها ناسخ الديوان ، بالزيادة والنقصان ، فعادت مكسورة الأوزان ، ونبت العين عما فيها من الشين ، فنبه عليها في طرر الكتاب ، وبين فيها وجه الصواب ، كأنه توهم - عفا الله عنه - أننا من الطبقة التي لا تقيم وزناً للشعر ، ولا تحسن شيئاً من النظم والنثر . وكذلك وجد لحناً من الناسخ في بعض الأحرف ، فظنه من قبل المؤلف المصنف ، فتفضل بأن نبه عليه في طرر الكتاب ، فجعلنا عنده في مرتبة من لا يقيم وزن الشعر ، ولا يحسن الإعراب ^(٢) .

وابن العربي هذا ، كابن السيد ، من المغاربة ، المعجبين بشعر أبي العلاء ، المولعين بقراءته ، وحفظه ، ودراسته . إلا أنه يمتاز برحلته إلى المشرق ، ورواية شعر المعري عن أعلام الشرق مباشرة . فإنه قد تتلمذ على أبي زكريا التبريزي ، من تلاميذ المعري ، المختصين به . أما ابن السيد فإنه لم يرحل إلى المشرق ، وإنما أخذ شعر المعري عن أبي الفضل البغدادي الوافد على أهل الأندلس وغيره .

وكانت رحلة ابن العربي إلى الشرق سنة ٤٨٥ هـ ، وهو لم يتجاوز

(١) التكملة ت ١٥١٦ ومجم المطبوعات ص ١٧٤ .

(٢) الانتصار ص ١ - ٢ .

السابعة عشر من عمره . ثم انصرف إلى الأندلس ، سنة ٤٩٣ هـ ، بعد أن أخذ ، وسمع ، وجمع فأوعى من المعارف ، وأصبح من المتخصصين في شعر أبي العلاء المعري . وعندما عاد إلى بلاده ، وقع في يده شرح سقط الزند لابن السيد ، فأخذ عليه ، واعترض .

والبطل يوسي رحمه الله ، في هذا الكتاب ، لا يرد مأخذ ابن العربي فحسب ، وإنما يظهر أخطائه ، ويبين أغلاطه . وهو في رده غزير الحفظ ، واسع الاطلاع ، جم المعرفة ، متمكن في علم النحو ، فلا تخفى عليه الدقائق . وقد ظهر أثر ذلك في كثرة استشهاده بشعر القدماء ، وفي التنظير بين أبيات المعري ، بعضها ببعض ، وفي الموازنة والمقابلة بين شعر المعري وغيره من الشعراء ، وهو قد درس شعر أبي العلاء في أكثر من نسخة ، كما يقول ، وكذلك فإنه لم يما غير المعري من ألفاظ شعره في أخريات حياته ، وكان كثير النص عليها ، والإشارة إليها ^(١) .

وللكتاب ست نسخ ، مخطوطة في شتى مكتبات العالم ، وقد سرد ذكرها الدكتور حامد عبد المجيد في مقدمته للانتصار ، حيث فصل القول عن حياة ابن السيد ومؤلفاته ^(٢) .

٤ - كتاب الحدائق في المطالب الفلسفية العويصة :

وهذا الكتاب قد قام بتحقيقه الأستاذ محمد زاهد بن الحسن الكوثري ، وكيل المشيخة الإسلامية ، في الخلافة العثمانية ، وصححه ، وعرف به ، وترجم لمؤلفه ونشره السيد عزت العطار الحسيني ، مدير مكتب نشر الثقافة الإسلامية ، في القاهرة سنة ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ .

المشاكل الفلسفية الغامضة العويصة ، التي حارت فيها العقول والأذهان ، وكان ابن السيد قد سئل عنها ، فرد عليها ، وهي ثمان مسائل ، كما ذكرها

(١) انظر مقدمة الانتصار .

(٢) وقد استفدنا منه كثيراً في هذا الموضوع ، فجزاء الله أحسن الجزاء .

في مقدمته قائلا : « سألتني .. عن معنى قول الحكماء : إن ترتيب الموجودات عن السبب الأول ، يحكى دائرة وهمية ، تبدأ من نقطة ، وترجع إليها ، ومرجعها في صورة الإنسان ؛ وعن قولهم : إن الإنسان ، تبلغ ذاته بعد عمارته إلى حيث يبلغ علمه في حياته . وأن علمه يحكى أيضاً دائرة وهمية وعن قولهم : إن في قوة العقل الجزئى ، أن يتصور بصورة العقل الكلى . وعن قولهم : إن العدد دائرة وهمية ، كدائرة الآحاد ، والعشرات ، ودائرة المئات ، والألوف . وعن قولهم : إن صفات البارئ تعالى ، لا يصح أن يوصف بها ، إلا على طريق السلب . وعن قولهم : إن البارئ ، تعالى ، لا يعرف إلا نفسه . وما البرهان على بقاء النفس الناطقة بعد الموت » (١) .

وأما مدى نجاح ابن السيد ، رحمه الله ، وتوفيقه في الإجابة عن هذه المطالب ، ضيقة المسالك ، والرد عليها ، فناهيك بما قاله المحقق العلامة ، في تعريفه بالكتاب ، ومؤلفه : « وقد أجاب المؤلف في هذا الكتاب عن تلك الأسئلة العويصة ، إجابة خريّت ، خبير بتلك المضائق ، بصير بوجوه كشف الحقائق . وسعى في أن لا يحد في بيانه قيد شعرة ، عن حدود شرع الله ، بقدر ما استطاع ، ولمباحته صلة وثيقة . بمباحث اللمعة ، وقد أجاد في بيان آراء الفلاسفة في تلك المضالب » (٢) .

٥ - التنبيه على الأسباب الموجبة لاختلاف الأمة :

وقد ورد ذكر الكتاب بهذا الاسم عند ابن خلكان في الوفيات ، وابن بشكوال في الصلة ، وابن العماد في شذرات الذهب ، والبغدادى في هدية العارفين ، وقد ورد ذكره عند ابن خير (٣) باسم « كتاب التنبيه على الأسباب التي أوجبت الخلاف بين المسلمين في عقائدهم ، ومذاهبهم . مع الكلام في الاسم والمسمى » . وقال : إن سمعته عن أبي محمد العبدري ، تلميذ

(١) كتاب الحقائق ص ٦ .

(٢) نفس المرجع ص ٤ .

(٣) ابن خير ص ٢٥٨ .

ابن السيد ، وهو عند المقرئ ، في أزهار الرياض ^(١) ، كتاب « التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين ، في رأيهم ، واعتقاداتهم » وقال : إنه كتاب عظيم لم يصنف مثله .

واسم الكتاب عند الفتح بن خاقان ^(٢) ، في رسالته ، التي كتبها عن حياة ابن السيد ، كتاب « التنبيه على السبب الموجب لاختلاف العلماء في اعتقاداتهم ، وآرائهم ، وسائر أغراضهم ، وأنحائهم » . وذكره السيوطي باسم كتاب « سبب اختلاف الفقهاء » . وأما الحاج خليفة ، فقد سماه في كشف الظنون ، كتاب « التنبيه على الأسباب الموجبة لاختلاف بين المسلمين » ^(٣) وعند ابن فرحون ^(٤) « كتاب التنبيه على الأسباب الموجبة لاختلاف الأمة »

وقد طبع الكتاب في القاهرة سنة ١٣١٩ هـ بتحقيق الشيخ أحمد عمر الحمصاني البيروني ، الأزهري وسماه « الانصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم » ^(٥) .

٦ - المسائل والأجوبة :

هذا الكتاب يشتمل على الردود والأجوبة ، عن بعض المشاكل ، والأسئلة ، التي كان ابن السيد قد طوّل بالجواب عنها ، بعضها استنهام واسترشاد ، وبعضها امتحان وعناد ^(١) . وتوجد له نسختان ، كما ذكر الأستاذ الكبير بروكلمان في تكملة (٧٥٨/١) ، نسخة في الاسكوريال باسم « المسائل والأجوبة » ، برقم ١٥١٨ ، وأخرى في مكتبة جامع القرويين بفاس ، باسم « كتاب الأسئلة » ، تحت رقم ١٢٤٠ . وقد نشر الأستاذ

(١) أزهار الرياض ٣ - ١٠٢ .

(٢) أزهار الرياض ٣ - ١٠٧ .

(٣) السيوطي ٢ - ٥٥ - ٥٦ .

(٤) الكشف ١ - ٢٣٣ .

(٥) الديباج ص ١٤١ .

(٦) مجمع المطبوعات ص ٥٧٠ ونكلة بروكلمان ١ - ٧٥٨ وانظر فقه الإسلام ص ١٩٩

ابراهيم السامرائي ، مختارات من الكتاب ، في مجموعة سماها « مسائل في اللغة » . في بغداد ، سنة ١٩٦٤ م ، وذكر أنه حصل على نسخة جيدة ، من تونس كتبت في سنة ١٢٩٩ هـ ، وقد سماه « المسائل والأجوبة » ، كما صرح به ابن السيد ، مؤلفه ، في خطبة الكتاب ، حيث قال : « سميت ، كتاب المسائل والأجوبة ليكون معروفاً بهذه السمة » (١) .

وإننا نظن ، أن هذا الكتاب ، هو نفس الكتاب ، الذي ذكره السيوطي في البغية ، باسم « المسائل المنثورة في النحو » ، والقاضي ابن شهبة في « طبقات النحاة » باسم « المسائل المنثورة المشهورة الغريبة » ، وابن خبير باسم « كتاب فيه مسائل في العربية وغيرها » ، وقال إن من بين هذه المسائل ، مسألة سخنون ، ومسئلة التشميت ، والفرق بين التوابع ، والخمسة (٢) ونرى أن هذا الخلاف ، والتخليط ، في اسم الكتاب ، قد وقع من قبل الناقلين والناشئين ، وأخذ كل منهم اسم الكتاب من محتوياته ، بصفة عامة ، فإنه يحتوي على الأسئلة وأجوبتها ، ومعظمها تتعلق بالنحو واللغة ، وهذا كثير ما يحدث بالكتب القديمة ، كما حدث « بالانتصار » من الاختلاف في اسمه (٣) .

وأما الدكتور حامد عبدالحجيد ، فإنه قد جعل الأسئلة والمسائل والأجوبة كتابين مستقلين وهما واحد في الحقيقة ، كما أنه متردد غير جازم في « المسائل المنثورة في النحو » ، و« مسائل منثورة مشهورة غريبة » هل هما كتابان أم اسمان لكتاب واحد ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب ، وهو ولي التوفيق والتسديد (٤) .

(١) رسائل في اللغة ص ١١٤ .

(٢) السيوطي ٢ - ٥٥ - ٥٦ ومقدمة الانتصار وابن خبير ص ٢١٦ وهديي المارفين

١ - ٤٥٤ .

(٣) انظر مقدمة الانتصار .

(٤) نفس المرجع .

القسم الثاني من مؤلفاته

١ - المثلث :

هذا الكتاب الغريب ، قد جاء ذكره عند ابن خير في فهرسته ^(١) ، وقال إنه رواه عن القيسي والبدري ، الذين كانا من تلاميذ ابن السيد رحمه الله ، كما ذكره السيوطي في البغية ، وعنه المقرئ في أزهار الرياض ، والقفطي في إنباه الرواة ، والقاضي ابن شهبة في طبقات النحاة ، وابن خلكان في الوفيات ، ووصفه ، وأثنى عليه ، فقال « إن المثلث في مجلدين ، وأن مؤلفه ابن السيد ، قد أتى فيه بالعجائب ودل على اطلاع عظيم ، فإن مثلث قطرب ، في كراسة واحدة ، واستعمل فيها الضرورة ، ومالا يجوز ، وغلط في بعضه » . وقد نقل قول ابن خلكان هذا ، ابن العماد في الشذرات ، والياضي في مرآة الجنان ^(٢)

ويقول يوسف سرقيس ، صاحب معجم المطبوعات العربية والمعربة ، إنه وقف عه نسخة خطية ، من كتاب المثلث لابن السيد ، الذي يقول فيه : « اجتمع لنا في المثلث ، المختلفة المعاني ٦٨٠ كلمة ، ومن المثلث ، المتفق المعاني ١٢٢ كلمة . وقد كنت صنف في تأليف آخر ، مرتباً على نظم الحروف ، حسبما فعلت في هذا التصنيف ، وذلك عام سبعين وأربعمئة وذهبت عني في نكبة السلطان ، جرت على ، وانتهيت معظم ما كان بيدي ، غير أنه لم يبلغ عدد ما ذكرته في هذا التأليف الثاني » ^(٣) .

وللكتاب عدة نسخ ، توجد في مكتبات العالم ، كما ذكر المستشرق الكبير ، الأستاذ بروكلمان ، في تكملته ٧٥٨/١ ، والأستاذ حامد في مقدمة الانتصار ، وهي : مكتبة عاطف أفندي ، برقم ٢٧٥٤ ، ومكتبة لالي

(١) ابن خير ص ٣٦٢ .

(٢) انظر ابن خلكان ٢٨٧ - ١ والشذرات ٤ - ٦٥ والياضي ٣ - ٢٢٨ وبنية الوهاة

٢ - ٥٥ - ٥٦ وأزهار الرياض ٣ - ١٠٢ والكشف ٢ - ١٥٨٧ وهدية العرفين ١٨ - ٤٥٤

(٣) وهو المعري في الزومية السابعة عشر ، ص ٤٥ .

برقم ٣٦١٦ ، والقاهرة ٢ ، ٣٤ و (لعلها هي النسخة ، التي ذكرها الأستاذ حامد في مقدمة الانتصار) وطنجة ١٢ ، ٥٦ . وكان أبو مروان عبد الملك بن يزيد القرطبي قد ألف كتاباً ^(١) في المثلث ، نحمى فيه منحنى أبي محمد البطليوسي ، ورتبه على حروف المعجم ، وسماه « بحر الدرر وروض الفكر » . وكان ابن الأبار قد وقف على نسخة منه ، وكتب عنه ، وذلك في سنة ٥٢١ هـ ، وهي سنة وفاة ابن السيد رحمه الله . وعمر بن محمد القضاعي أيضاً ألف كتاباً في هذا الموضوع وسماه « الباهر في المثلث مضافاً إليه المثنيات ، وهو من تلاميذ ابن السيد وسيأتي ذكره .

٢ - شرح الكامل لابن السيد البطليوسي :

هذا الشرح (الذي قد قمنا بتحقيقه كأطروحتنا الدكتوراه من جامعة بنجاب بلاهور) قد أهملته المصادر القديمة ، والحديثة ، ولم يذكره أحد من علماء التراجم بين مؤلفات ابن السيد ، إلا أبو عبد الله المراكشي في « الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة » وعبد القادر البغدادي في « خزانة الأدب » فإن المراكشي هو الذي أخبرنا بأن السيد كان قد كتب على الكامل ، وأن ابن سعد الخير ، من تلاميذه ، كان قد جمع ما كتبه من الطرر عليه وضمها إلى طرر ابن الوليد الوقشي ، ثم زاد عليهما من عنده ^(٢) . أما عبد القادر البغدادي فقد سماه « شرح الكامل لابن السيد » . وقد استفاد من هذا الشرح في خزانته ، وذلك في خمسة مواضع من الجزء الأول وفي أربعة من الثاني ، وفي تسعة من الثالث ، وفي ثمانية من الرابع ^(٣) .

ومن غريب الأمر أن شرح ابن السيد للكامل ، لم يشتهر في الشرق ، والغرب كما اشتهر شرحه لأدب الكاتب ، الذي سماه « الاقتضاب في شرح

(١) الذيل والتكملة السفر الخامس ص ١٨٨ .

(٢) خزانة الأدب ١ - ١٠ قال وقد ذكر مصادره التي استفاد منها في خزائنه ، « والكامل

لمبرد وشرحه لابن السيد البطليوسي ولأبي الوليد الوقشي » .

(٣) انظر اقليد الخزانة ص ٨٦ .

أدب الكتاب ، ولم يذكره ابن بشكوال في صلته ، مع أن الكامل كان أكثر انتشاراً في الأندلس وأكبر اهتماماً وعناية عند أهلها ، ثم إن ابن بشكوال قد كان من تلاميذ ابن السيد كما صرح به غير مرة في صلته (١) . فلم يذكر هذا الشرح بين مؤلفاته ، ولا نستطيع أن نقول إن ابن السيد لم يخرج شرحه إلا بعد سماع ابن بشكوال عنه ، وقد أخرجه لابن سعد الخير وزملائه في الدرس ، لأن ابن بشكوال عاش مدة بعد ابن سعد الخير ، فإن الأول توفي سنة ٥٧٨ هـ وتوفي الثاني سنة ٥٧٠ هـ أو ٥٧١ هـ . فما السبب في ذلك ؟ لا يذكره ابن بشكوال ، أما ابن سعد الخير فإنه يجمع ما كتبه شيخه ، وأبو الوليد الوقشي . وقد يكون السبب في ذلك أن هذا الشرح لم يكن شرحاً في أدق معاني الكلمة ، وإنما كانت هي الطور ، والحواشي على نسخة الكامل ، عند ابن السيد كان يرويه منها . وكذلك فإن سماع ابن بشكوال عن ابن السيد لم يكن كثيراً ومكثه لديه لم يكن طويلاً ، أما ابن سعد الخير فقد كان مختصاً به ، وتلمذ عليه طويلاً ، ربما طوال قيام ابن السيد ببغداد ، ما يزيد من عشرين سنة ، فكان يعرف جميع ما كتبه شيخه ، وروى عنه ما كان يرويه من طريقته (٢) .

ومن ثم يرويه ابن سعد عن ابن السيد كشرح ، أو كتاب مستقل ، وإنما رواه كطور ، وحواش كتبت على هامش نسخة شيخه للكامل . وهذا ما جعله يذكر هذه النسخة ، ويقول : « في كتاب الأستاذ أبي محمد ، أو « قال الأستاذ أبو محمد » . ولم يذكر هذا الكتاب عند المشاركة باسم الشرح غير البغدادي ، فهو الذي سماه شرحاً ، وأظنه سماه بهذا الاسم لأنه وجد على غلاف النسخة : « شرح الكامل » ولم يقرأ العبارة الآتية بعد هذا الاسم وهي « وإنما هي الطور والحواشي على كتاب الكامل للمبرد » .

(١) انظر كتاب الصلة ص ٤٠٠ .

(٢) ويؤيد ما قلناه أن ابن بشكوال لم يذكر بين تلاميذ ابن السيد في المراجع الغربية والشرقية . ولم نطلع عليه ، ولم ننتبه إلى ذلك إلا إذا قرأنا ترجمة علي ابن السيد حيث قال ابن بشكوال إنه « أخو شيخنا أبي محمد ابن السيد » . (انظر الصلة ص ٤٠٠) أما ابن سعد الخير فقد كان من المختصين بابن السيد كما صرح به المراكشي في الذيل والتكلة السفر الخامس ص ١٨٨ .

وشرح ابن السيد هذا ، (أو قل : طرده على الكامل) ، هو خبر ما كتبه القدماء على الكامل ، حتى أن شرح ابن السيد يضاهي شرح المرصني رحمه الله في بعض الأشياء ^(١) . وكذلك فإن ابن السيد في شرحه للكامل قد تفوق على الوقشي ، فيما كتبه عليه من الطرر والنكت .

ونقد ابن السيد للكامل نقد سليم ، مقتصد ، ومؤاخذاته على المبرد هي مؤاخذات عالم جيد تنبئ عن فكر صائب ، يريد الإصلاح ، ولا يريد الظعن في شخصية الرجل ، ولا ينهمه بالجهل والغفلة . ولا يسبه سباً قبيحاً . أنظر إلى الوقشي كيف يثور على المبرد لأنه يظنه قد أخطأ في الاستشهاد بيت شعر لأبي تمام وهو قوله ^(٢) : (البسيط) .

قد قلصت شفتاه من حفيظته فخيّل من شدة التعيس مبنسماً فيعلق عليه الوقشي ويقول : « ضمه قول حبيب هذا إلى ما قبله في المصلوب ، وحمله إياه عليه ، من أفحش الخطأ ، وإنما قول حبيب هذا في صفة الشجاع في الحرب ، وكلوحه من الحفيظة ، وهي الغضب ، وبين ذلك ، ويقويه الأبيات التي قبل هذا البيت من قصيدة حبيب وهي :

أضحكت منهم ضباغ القاع ضاحية بعد العبوس وأبكيت السيوف دما
بكل صعب الذرى كل مصعب يقظ إن حل متثدا ، أوسار معتزما
بادى الحيا لأطراف الرماح فما يرى غير الدم (؟) المعبوط ملثما
بضحى على المجد مأمونا إذا اشتجرت سمر القنا ، وعلى الأرواح متثما

قد قلصت البيت .

لا شك أن البيت في صفة الشجاع في الحرب وليس في صفة المصلوب ، وأن المبرد هو المخطيء والوقشي هو المصيب إلا أن أسلوبه هو أسلوب ناقد ، نائر ، غضبان ، قاهر ، لا يفكر في الإصلاح ، ولا يعفو عن

(١) إذا ألفينا شرح القصائد التي أكثر منها المرصني في شرحه ، فإن شرح ابن السيد أجود وأنفع من شرحه .

(٢) الكامل ص ٤٥٨ وانظر ديوان أبي تمام ص ٢٦٨ .

شاور المراجعين
بأخبارهم وأخبار
الكتاب

الرجل ، ولا يحتال في العذر لزلزلاته ، والتبرير لأخطائه . فليس هذا من وظيفة الوقشي ولا أسلوبه ، وإنما هو وظيفة البطليوسي ، رحمه الله ، وأسلوبه ، فإنه يحاول إصلاح الكلام ، ويحتال عذراً لزلزلات المبرد . انظر إلى طرته في هذا الموضع نفسه حيث يقول : « إن كان أبو العباس جعل قول حبيب مثل ما قدمه في وصف المسلوب ، فقد أخطأ ، لأن قول حبيب ، إنما هو في صفة شجاع ، وقد بينه بقوله في « حفيظته » وهو نحو قول عنزة :

« أبدي نواجهه لغير تبسم » .

وإن كان قد استأنف ضرباً آخر من التشبيه ، وقطع ما كان فيه ، فقد سلم من الخطأ . وليس هنا ما يقطع ، وأنه جعله مثل ما قبله من صفة المصلوب فيختم عليه ، فإنه خطأ .

ولعل الوقشي كان قد تأثر بأسلوب علي بن حمزة البصري في مؤاخذه ، وتنبيهاته على الكامل ، لأنه في أكثر الأحيان يثور عليه ، ، ويسبه ، ويتهمة بالجهل والغفلة . وقد استفاد ابن السيد من تنبيهات ابن حمزة ، وقرأها فهو يصرح أحياناً ، ويقول : « هذا مما نبه عليه علي بن حمزة » ، إلا أنه لم يتأثر بأسلوبه في الأخذ ، والتنبيه على أخطاء الرجال . ونراه أحياناً ينتصر للمبرد ، ويرد مؤاخذات ابن حمزة ، أنظر تنبيه ابن حمزة على قول المبرد في قتل بسطام بن قيس أنه « قتل بالحسن وهو جبل ^(١) » ثم اقرأ ما يقوله ابن السيد في هذا الموضع من طرده على الكامل : « في بعض النسخ بحاء غير معجمة ، وباء ساكنة . وفي جمهور النسخ : جبل ، وليس بشيء » ، وإنما الصواب بحاء غير معجمة ، وباء ساكنة ، وهو المستطيل من الرمل . وكذا قال الرياشي في الحماسة : الحسن نقا بالدهناء ، وقد رد علي بن حمزة قوله جبل ، وزعم أن أبا العباس غلط في قوله « الحسن رمل » وإنما هو شجر . وعلي بن حمزة (هو) المخطيء في هذا ، لأن أبارياش قال : هما نقوان ، يقال لأحدهما الحسن ، والآخر الحسين ، ويدل عليه قول الآخر :

ويوم شقيقة الحسين لاقت بنو شيان آجالاً قصاراً

(١) الكامل ص ١٣٠ وانظر التنبيهات ص ١١٦ .

أما الموضوعات التي تناولها ابن السيد في هذا الشرح ، فإنها لا تختلف كثيراً عن الموضوعات التي تناولها الوقشي ، والمرصفي ، إلا أن ابن السيد يتناول موضوعاً أو موضعاً من الكامل ، فيعلق عليه بأسلوب سلس ، سهل ، ويفصل القول إذا اقتضته الحاجة ، ودعاه الموضوع إلى ذلك . أما إذا لم يكن في حاجة إلى ذلك أجمل القول فيه ولم يطل فيعمل .

٢ - كتاب الحال في شرح أبيات الحمل :

بهذا الاسم ذكره الحاج خليفة ، في « كشف الظنون » وقال : إن ابن السيد لما فرغ من « إصلاح الخلل الواقع في الحمل » ، تكلم في أبياته وذكر أسماء قائلها ، وما يتصل بالشاهد من بعده ، أو من قبله ، وسماه « الخلل في شرح أبيات الحمل » ، وهو أصغر من الشرح حجماً ، أوله : الحمد لله الذي علمنا ما لم نكن نعلم ، الخ ^(١) ، كما ذكره بهذا الاسم ابن شهبة ، والسيوطي والمقري ، وابن العماد في الشذرات ^(٢) وبهذا الاسم يوجد له نسخة في مكتبة جامعة طهران ^(٣) . أما الأستاذ بروكلمان ^(٤) والقفطي وابن خير ، فقد ذكروه باسم « شرح أبيات الحمل » .

وقد ذكر الأستاذ الزركلي أن نسخة الخلل ، التي توجد في جامعة طهران ، كانت قد كتبت في ٥٢٦ هـ ، وكانت في خزانة المتوكل ، أحمد بن سليمان المتوفي ٥٥٦ هـ ^(٥) .

(١) الكشف ١ - ٤٠٣ .

(٢) بنية الوعاة ٢ - ٥٦ وأزهار الرياض ٣ - ١٠٢ والشذرات ٤ - ٦٥ ومقدمة

الانتصار .

(٣) فهرست كتاب خانة دانشگاه تهران ٢ - ٣٨٢ - ٣٨٥ ، ٧٤٨ ، ٧٤٩ .

(٤) انظر تكملة ١ - ٧٥٨ ، والقفطي في إنباء الرواة ، ص ٤٠٣ ، وابن خير ص ٣٤٥

(٥) الاعلام ١٠ - ١٣٦ .

وقد حصلنا على نسخة منها ، بالتصوير الشمسي فرأينا أن اسم الكتاب هو كما ذكر خليفة ، ومن نحى نحوه ، وعلى غلاف الكتاب ، تحت اسمه ، عبارة ، بالخط الفارسي ، يختلف عن خط الأصل ، وهي : تصنيف السيد الأجل ، عبدالله بن محمد بن الحسن البطليوسي ، رحمه الله تعالى عليه ، ورضوانه ، وصلى الله على محمد وآله وسلم . كتبه محمد بن عبد الله بن أحمد بن علي بن الحسين . وفي زاوية ، ذات اليسار من ذيل الغلاف ، اسم مكتوب بالخط الفارسي وهو صلاح بن محمد بن صلاح ^(١) .

ومتن الكتاب يبدأ هكذا : « بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على محمد وآله : . . . الحمد لله الذي علمنا ما لم نكن نعلم ، وفضلنا على كثير من خلقه وقدم ، وجعلنا ممن يقتدي به ويؤتم ، وصلى الله على محمد وآله وسلم . قال أبو محمد . عبدالله بن محمد بن الحسن البطليوسي ، رحمه الله : ، لما فرغت من الكلام في الخلل الواقع في كتاب الحمل ، أردت أن أتبع ذلك الكلام ، في إعراب أبياته ، ومعانيها ، وما يحضرنني من أسماء قائلها . وغرضي أن أصل بكل بيت منها ما يتصل به ، ليكون أبين لغرض قائله . ومذهبه . ولم يمنعني من الكلام في إعرابها ومعانيها ما تقدمني من كلام غيري فيها . فربما كان لكلامي مزية على ما سواه ، وزيادة فائدة لمن وقف عليه ورواه . وأنا أسأل الله عوناً على ما أبدته ، إنه ولي الفضل ومسدي . ولا رب سواه ، ولا معبود حاشاه » .

أنشد أبو القاسم (الزجاجي) ، رحمه الله . باب النعت : (الكامل) .

(١) لم نعلم على ترجمة الزجاجي . ونظن الأول من تلاميذ ابن السيد ، والله أعلم بالصواب وهو علام الغيوب .

لا يبعدن قومي الذين هم سم العداة وآفة الجزر
النازلون بكل معترك والطيبون معاهد الأزر

هذا الشعر لخزنتق بنت ^(١) هذان القيسية ، وهي أخت طرفة بن العبد
المالكي لأمه ، من شعر رثت به زوجها بسر ^(٢) بن عمرو بن مرثد ،
ومن قتل معه من بنيهِ وقومه . وكان غزا بني أسد بن خزيمة هو وعمرو
بن عبدالله بن الأشل الخ .

وفي نهاية الكتاب ، جاءت هذه العبارة : تم الكتاب بحمد الله ومنه
ولطفه ، وتوفيته ، وتأييده ، في سنة ٥٢٦ هـ ^(٣) .

ويقع الكتاب في نحو ثمانين ومائة صفحة ، وفي كل صفحة حوالى
عشرين سطراً ، وفي كل سطر نحو أربعة عشر كلمة

٤ - شرح الخمس المقالات الفلسفية :

وهو من مؤلفات ابن السيد ، التي ذكرها الأستاذ بروكلمان ، وقال
أن نسخته توجد في بريل رقم ٥٦٦ ^(١) . ولا نتحقق ما هي المقالات
الفلسفية التي تناولها ابن السيد في هذا الكتاب ، كما أننا لا نعرف ، هل
له صلة بكتاب الحقائق أم لا ؟ .

٥ - الاسم والمسمى :

وقد ذكره الأستاذ بروكلمان بين مؤلفات ابن السيد ، ونص على
وجود نسخته بالمغرب الأقصى ، وقد طبع الكتاب في إسلام آباد
باكستان بتحقيق صديقنا الأستاذ أحمد الفاروق .

(١) انظر ديوانها ص ١٠ .

(٢) كذا في ديوانها ص ١٠ ، بشر .

(٣) أى بعد وفاة المؤلف بخمس سنوات .

(٤) تكملة بروكلمان ١ - ٧٥٨ .

القسم الثالث من مؤلفاته

١ - شرح الموطأ :

وقد ذكر المرجعون لابن السيد ، أن له شرحاً لموطأ الإمام مالك بن أنس ، منهم ابن بشكوال في الصلة (ص ٢٨٧) والسيوطي في بغية الوعاة (٥٦/٢) والقفطي في أنباه الرواة (ص ٤٠٣) ، والمقري في أزهار الرياض (١٠٢/٣) ، وابن خلكان في وفيات الأعيان (٢٨٧/١) ، وابن العماد في شلرات الذهب (٦٥/٤) ، والياضي في مرآة الجنان (٢٢٨/٣) ، والحاج خليفة في كشف الظنون (١٩٠٧/٢) ، والبغدادى في هدية العارفين (٤٥٤/١) . وقد سماه الفتح : « المقتبس في شرح موطأ مالك بن أنس » (١) .

وقد كانت للمغاربة عناية خاصة بالموطأ ، لأن مسلك الإمام مالك الفقهى كان قد أصبح مسلماً رسمياً في الأندلس ، ولهم شروح وتفسير للموطأ ، وتعليقات عليه ، ومؤلفات في تراجم رجاله ، وأخبارهم . ومن بين هؤلاء الشراح المغاربة : الإمام أبو عمر بن عبد البر ، صاحب كتاب التقيصي لما في موطأ مالك بن أنس ، وكتاب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، وأبو الوليد سليمان بن خلف الباجي صاحب كتاب المنتقى في شرح الموطأ (٢) .

أما شرح صاحبنا للموطأ ، فإنه قد عصفت به يد الإمام ، ولا نعرف عنه أكثر من اسمه الذي ورد في كتب التراجم والتاريخ .

٢ - شرح الفصيح لثعلب :

وقد كان كتاب اختيار فصيح الكلام لأبي العباس أحمد بن يحيى الشيباني الملقب بثعلب رحمه الله ، موضع إعجاب ، وتقدير عند علماء اللغة

(١) أزهار الرياض ٣ - ١٠٧ .

(٢) انظر ابن خير ص ٨٦ - ٩١ . والكشف ٢ - ١٩٠٧ وقد طبع الأول بمصر من

المعرب والثاني كله من مصر .

الغربية في الشرق والغرب ، قديماً وحديثاً . ولهم عليه ذبول ، وتنبيهات ،
وتعليقات ، وشرح ، فن ذلك كتاب فائت الفصيح لأبي عمر المطرز ،
وكتاب التنبيهات لابن حمزة البصري ، وشرحا الفصيح لابن درستوريه ،
وابن خالويه ، وكتاب تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح ، لأبي علي
أحمد بن فهد اللبلي النحوي المتوفي بتونس سنة ٦٩١ هـ . وغيره . ولم يتخلف
صاحبنا ابن السيد رحمه الله في الميدان ، فقد أفرد كتاباً مستقلاً ، لشرح
هذا الكتاب الفر (١) .

ومن غريب الأمر أن المراجع الغربية والشرقية ، قد أهملت ذكر هذا
الشرح ، ولولا الحاج خليفة ، والسيوطي ، رحمهما الله ، لما عرفنا اسم
الكتاب ، ولا سمعنا ذكره . أما خليفة فقد ذكر الفصيح ، وشروحه ،
في الكشف ، ومن بينها شرح ابن السيد . وأما السيوطي فقد استفاد منه في
كثير من مواضع المزهري ، فن ذلك في الصفحات ٢١٥ ، ٢٢٤ ، ٢٧٢ ،
٣٠٨ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٩٩ ، من الجزء الأول وفي الصفحات ٩٣ ،
١٠٧ ، ١٩٥ ، ٢٠١ ، ٢٢٢ من الجزء الثاني (٢) .

ولا نعرف هل له نسخة بقيت ، ولا زالت في مجاهل المكتبات ،
وستكتشفها يوماً أيدي الباحثين المحققين ، أو عصفت بها يد الأيام ،
وأبادتها حوادث الزمان ، فلا يرجى إحيائها ، ولا بقاؤها !

٣ - كتاب الفرق بين الأحرف الخمسة :

وقد جاء ذكر هذا الكتاب بين مؤلفات ابن السيد ، في كثير من

(١) وقد قال فيه بعض الشعراء وقد أوصى ابنه بقرائه وحفظه (المزهري ١ - ٢٠١) :

كتاب الفصيح كتاب مفيد يقال لقاريه ما أبلغه

بني عليك به ، إنه لباب اللبيب وصنو الفقه

(٢) ابن خير ص ٣٣٩ و ٣٤٢ ، والطرف الأدبية ص ٢ ، والمزهري ١ - ٢٠١ ،

والكشف ٢ - ١٩٧ .

المراجع ، وقد ذكره السيوطي ^(١) : وبروكلمان ^(٢) ، بهذا الإسم ، وهو عند ابن خير كتاب الفرق بين الحروف الخمسة ^(٣) ، وعند ابن خلكان كتاب في الحروف الخمسة ، وعنه ابن العماد ، وقال : إن الحروف هي السين ، والصاد ، والضاد ، والظاء ، والذال ، وأنه قد جمع فيه كل غريب ^(٤) ، وسماه القاضي ابن شعبة كتاب « الحروف الخمسة » وتبعه البغدادي ^(٥) ، أما الحاج خليفه ، فإنه يسميه كتاب الحروف الستة ، وهي الصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء ، والذال ، والذال ^(٦) .

وموضوع الكتاب . كما عرفناه من الاقتباسات التي اختارها منه السيوطي في المزهر . وكما يتبادر إليه الذهن من اسمه . هو القلب والإبدال والفك والادغام وغير ذلك من مشاكل اللغة ومسائلها . وهو موضوع مفيد ، شيق هام عند النحاة واللغويين ولهم فيه مؤلفات كثيرة .

والاقتباسات التي أخذها السيوطي بعضها طويلة جداً ، مما يمكن لنا أن نعرف قيمة الكتاب . ومكانته بين مؤلفات الفن . فقد جاء في موضع ^(٧) ما نصه : « قال أبو محمد البطلوسي ، في كتاب التفرق بين الأحرف الخمسة : من هذا الباب ما يتقاس . ومنه ما هو موقوف على السباع . كل سين وقعت بعدها عين ، أو غين ، أو خاء ، أو قاف ، أو طاء ، جاز قلبها ضاداً ، مثل : يساقون ، ويصاقون ، وصقر وسقر . وصخر وسخر . مصدر سخرت منه ، إذا هزأت . فأما الحجازة فبالصاد لا غير . قال : وشرط

(١) في المزهر ١ - ٤٦٩ .

(٢) في تكلته ١ - ٧٥٨ .

(٣) ابن خير ص ٣٦٣ .

(٤) ابن خلكان ١ - ٢٨٧ والشذرات ٤ - ٦٥ .

(٥) هدية العارفين ١ - ٤٥٤ ومقدمة الانتصار .

(٦) الكشف ٢ - ٢٧٣ . وقال إن ابن السيد توفي سنة ٤٩١ هـ ! وقال مرة (٢ - ١٩٧)

أنه توفي سنة ٥١١ هـ ، وقال في موضع توفي ٤٢١ هـ (١ - ٧٤) وقال في موضع آخر أنه

توفي ٥٢١ هـ (١ - ٤٠٣) وهو الصحيح !

(٧) من المزهر ١ - ٤٦٩ .

هذا الباب ، أن تكون السين متقدمة على هذه الحروف ، لا متأخرة بعدها ، وإن تكون هذه الحروف متقاربة لها لا متباعدة عنها ، وأن تكون السين هي الأصل . فإن كانت الصاد هي الأصل لم يجر قلبها سينا ، لأن الأضعف يقلب إلى الأقوى ، ولا يقلب الأقوى إلى الأضعف ، وإنما قلبوها صاداً مع هذه الحروف لأنها حروف مستعلية ، والسين حرف متسفل ، فنقل عليهم الاستعلاء بعد التسفل ، ولما فيه من الكلفة . فاذا تقدم حرف الاستعلاء لم يكره وقوع السين بعده ، لأنه كالانحدار من العلو ، وذلك ضعيف ، لا كلفة فيه ، قال : فهذا هو الذي يجوز القياس عليه ، وما عداه موقوف على السماع .

وفي موضع آخر (١) : « وفي كتاب الفرق للبطلوسي : حظلت النخلة ، وحضلت إذا فسدت أصول سعتها . وسمعت ظباطب الخيل ، وضباطبها : أصواتها وجلبتها . والعظ ، والعص : شدة الحرب ، وشدة الزمان ، ولا تستعمل الظاء في غيرها . »

وأخذ منه في موضع آخر (٢) : « قال أبو محمد البطلوسي ، في كتاب الفرق : لم يقع في كلام العرب إبدال الضاد ذالاً ، إلا في قولهم : نبض العرق ، فهو نابض ، ونبذ فهو نابذ ، لا أعرف غيره . »

٤ - أبيات المعاني :

موضوع الكتاب ، كما يتبادر إليه الذهن من اسمه ، ومن الاقتباسات التي أوردها البغدادي في خزائنه ، هو معاني أبيات الشعر ، وحللها ، وشرحها وتوجيه إعرابها . وقد ذكره غير البغدادي ، وومنهم الأستاذ بروكلمان (٣) . وهو من الكتب التي عول عليها واستفاد منها البغدادي في خزائنه ،

(١) من الزهر ١ - ٥٦٢ .

(٢) الزهر ٢ - ٩٤ .

(٣) في تكملة ١ - ٧٥٨ .

في كثير من المواضع (١) ، فن ذلك تعليق على البيت لشاعر مجهول وهو
(الطويل) :

تمر على ما تستمر وقد شفت غلائل عبد القيس ، منها صدورها

وهذا نص التعليق : « وقال ابن السيد في أبيات المعاني ، هذا البيت
أنشده الأخفش ، وتوجيه إعرابه أنه فصل بين المضاف ، والمضاف إليه ،
بما ليس بظرف ، وهو أفحش ما جاء في الشعر ، ودعت إليه الضرورة ،
وتقدير الكلام : وقد شفت غلائل صدورها ، والغلائل جمع غليلة مثل
عظيمة وعظائم ، وكريمة وكرائم ، وقال أبو الحسن الأخفش : إن كان
الشعر لم يوثق بعريبته فيجوز أن يكون أخرج غلائل مضافة ، وقدر فيها
التنوين ، لأنها لاتنصرف ، ثم جاء بالصدر مجرورة على نية إعادتها كما
قال الآخر .

رحم الله أعظمًا ، دفنوها بسجستان ، طلحة الطلحات

أى أعظم طلحة الطلحات ، فكذلك هنا يريد غلائل عبد القيس ،
منها غلائل صدورها ، وقد حذف الثاني اجزاء بالأول ، وهذا التأويل
حسن ، لأنه مخرج الكلام ، وفيه ضعف من حيث إضمار الجار (٢) .

٥ - شرح ديوان المتنبي :

قد جاء ذكر هذا الشرح عند السيوطي ، والمقري ، والقاضي ابن شهبة ،
والحاج خليفة ، وابن خلكان ، وقال : « وسمعت أن له (لابن السيد)
شرح ديوان المتنبي ، ولم أقف عليه ، قبل إنه لم يخرج من المغرب » (٣) .

وقد كان لعلماء الشرق ، والغرب ، عناية خاصة ، واهتماماً كبيراً ،

(١) انظر إقليد الخزانة لأستاذي عبد العزيز الميمني ص ١ - ٢ .

(٢) خزانة الأدب ٢ - ٢٥٠ - ٢٥٦ .

(٣) ابن خلكان ١ - ٢٨٧ وأزهار الرياض ٢ - ١٠٢ وبلية الرواة ٢ - ٥٦ والكشف

بشعر المتنبي ، حتى قال خليفة : « واعتنى العلماء بديوانه ، فشرحوه ، وقال أحد المشائخ ، الذين أخذ عنهم : « وقفت له على أكثر من أربعين شرحاً . ولم يفعل هذا بديوان غيره ، ولا شك أنه كان رجلاً مسعوداً ورزق في شعره السعادة الشامة » (١) .

وشرحه من المغاربة ، غير ابن السيد ، أبو القاسم ابن الأفلح ، وأبو الحجاج الأعم (٢) . وأغلب الظن أن هذه الشروح قد ضاعت فيما ضاع من التراث العربي الإسلامي ، على أيدي الأفرنج ، والله أعلم بالصواب .

٦ - التذكرة الأدبية :

ذكرها القفطي « في إنباه الرواة » ، ولا نعرف أحداً غيره ذكرها أو عثر على نسخة منها (٣) .

٧ - جزء في علل الحديث :

ذكره ابن خبير ، وقال إنه سمعه من الشيخ المحدث ، أبي الحسين عبد الملك بن محمد بن هشام ، عن ابن السيد ، مؤلفه ، وقال إن هذا الجزء كان مكتوباً عنده في آخر شمال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي عيسى الترمذي ، رحمه الله .

ولم نعرف له ذكرًا عند غيره ولم نعثر على وجود نسخة منه .

٨ - فهرسة ابن السيد :

ومن دأب المغاربة أنهم كانوا يجمعون أسماء شيوخهم مع ذكر الكتب المسموعة عنهم ، وطرق روايتهم ، التي أخذوا منها هذه الكتب ، فن ذلك

(١) الكشف ١ - ٥٢٠ .

(٢) انظر نفح الطيب ٢ - ١١٨ و ١٢٤ وابن خبير ص ٤٠٣ والكشف ١ - ٥٢٠ -

٥٢٢ ، والصلة ص ٢٧٨ .

(٣) إنباه الرواة ص ٤٠٣ .

فهرسة ابن خير الأشبيلي ، ومعجم ابن الأبار في أصحاب القاضي أبي علي
الصدفي رحمه الله (١) .

وفهرسة ابن السيد هذه ، قد ذكرها ابن خير (٢) . وابن الأبار وقد
نقل عنها بعض تراجم الرجال (٣) .

٩ - رسالة إلى ابن خلاصة :

وقد كان أبو عبدالله محمد بن خلاصة (أو خلصة) قد ناقض ابن السيد
في رسالة له ، واتهمه بالانتحال (٤) . فالظاهر أن البطليوسي رد عليه ،
كما أنه رد على ابن العربي فيما أخذ عليه في شرحه لسقط الزند ، وسماه
بالانتصار ممن عدل عن الاستبصار .

وقد ضاعت الرسالتان ، رسالة ابن السيد ، ورسالة ابن خلاصة
كليهما ، فيما عرفناه ، والله أعلم بالصواب .

١٠ - رسالة إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم :

ذكرها ابن خير فقال : « ورسالة (ابن السيد) كتب بها إلى قبر
النبي صلى الله عليه وسلم ، وبعث معها بشعر إلى مكة ، زادها الله شرفاً ،
حدثني بذلك كنهه الفقيه أبو الحسين عبد الملك بن محمد بن هشام » (٥) .

(١) انظر فهرسة ابن خير ص ٤٢٥ وما بعدها .

(٢) ابن خير ص ٤٣٣ .

(٣) ابن الأبار ١ - ٢١٩ .

(٤) انظر ابن الأبار ١ - ٢٥ وابن خير ٤٢٠ .

(٥) ابن خير ص ٤٢٠ (العرب : الكتابة إل قبره صلى الله عليه وسلم من البدع) .

ونظن أن الشعر الذي بعث به إلى مكة ، مع هذه الرسالة ، هي قصيدته
التي خاطب بها مكة ، وقد أنشدنا بعضها في شعره ^(١) .

١١ - إصلاح الخلل الواقع في كتاب الجمل :

ذكره بهذه الاسم ابن خبير ^(٢) ، ورواه عن أبي الحسين ، عن ابن
السيد . وذكره السيوطي والمقري ، والحاج خليفة باسم « إصلاح الخلل
الواقع في الجمل » وذكره القفطي ^(٣) باسم « إصلاح الخلل الواقع في شرح
الجمل » وذكره ابن شهبة ، وابن العماد باسم « الخلل في أغاليظ الجمل » .

وقد وقف خليفة على نسخة من الكتاب وقال إن أوله : « الحمد لله
الذي لم يتخذ ولدًا الخ » ، وأنه ذكر فيه أن الزجاجي رحمه الله ، قد
نزع في كتابه الجمل المنزع الجميل ، فإنه حذف الفضول ، واختصر
الطويل ، غير أنه قد أفرط في الإيجاز فأصبح كلامه بعيد الإشارة ، مختل
العبارة ، مما دعا ابن السيد ، أن يصلح ما وقع فيه من الخلل ، وينبه على
أغلاطه ، ويجعله سهلا ، قريب الفهم للقارئ ^(٤) .

وكان ابن السيد قد اتبعه بكتاب آخر عن الجمل ، وهو كتاب « الخلل
في شرح أبيات الجمل » ، الذي مر ذكره ، وهو أصغر من الأول ، على
ما ذكره خليفة ^(٥) .

(١) انظر أزهار الرياض ٣ - ١٤٧ .

(٢) ابن خبير ص ٣٢٥ .

(٣) بنية الوعاة ٢ - ٥٦ ، أزهار الرياض ٣ - ١٠٢ ، والكشف ١ - ٤٠٣ ، والشرائح .

٤ - ٦٥ .

(٤) انباء الرواة ص ٤٠٣ .

(٥) انظر الكشف ١ - ٤٠٣ .

وقد ذكر المراكشي في «الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة» (١) ،
أن أبا الحسن ابن سعد الخيزر الأنصاري ، صاحب القرط على الكامل ،
وتلميذ ابن السيد الأنصاري ، كان قد أتم شرح الجمل للزجاجي لشيخه
ابن السيد وذلك من بعد باب النعت إلى نهاية الكتاب لأن المؤلف رحمه الله
أعجابه منيته قبل إكماله .

وبيان المراكشي مجمل ، لأنه إذا أراد بالشرح «إصلاح الخلل الواقع
في الجمل» فهو غير صحيح ، لأن ابن السيد يصرح في خطبة شرح أبيات
الجمل بأنه لما فرغ من الكلام في الخلل الواقع في الجمل ، أراد أن يتبعه
بكتاب آخر في إعراب أبيات الجمل ، وشرحها وأسماء قائلها فتعين
أن المراد بالشرح هو شرح أبيات الجمل ، وأن ابن السيد لم يكمله في حياته
ولمّا أكمله تلميذه أبو الحسن ، بعد وفاة شيخه ، إلا أننا لا نجد الإشارة
إلى ذلك في النسخة المصورة للكتاب ، لا في أوله ولا في آخره ، ولا في
مثنى ، حيث يبدأ باب النعت ، والله أعلم بالصواب .

أما شرح الأبيات ، فإن لدينا نسخة مصورة منه ونهزم نشره ،
بعون الله ، وتوفيقه وإرادته ، وأما هذا الشرح ، الذي كان أكبر حجماً
من شرح الأبيات ، فلم نعثَر على نسخة منه ، ولا نعرف أحداً من العلماء
ذكر وجودها في مكتبات العالم ، إلا أننا نتمنى بقاء الكتاب ونريد
إحياءه ، لأنه من خير أعمال الرجل وأكبر مجهوداته في خدمة العلم والأدب ،
وعسى الله أن يوفقنا أو أحداً غيرنا للبحث عن الكتاب واكتشافه ، وما ذلك
على الله بعزيز ، فإنه ولي التوفيق وهو على كل شيء قدير .

(١) السفر الخامس من ١٨٨ .

شيوخ ابن السيد

١ - حسين بن محمد بن أحمد أبو علي الفاني :

هو الشيخ أبو علي حسين بن محمد الغساني ، (بغين معجمة ومين مهلة مشددة) ، البخاني (بجيم ومثناة من أسفل ، مشددة) ^(١) ، أصل آبائه من مدينة الزهراء ، وعرف بالبخاني لأن أباه كان قد نزلها في الفتنة ، فكان أبو علي يقول : لا حلل من دعاني بالبخاني ^(٢) .

وكان من شيوخ أبي علي الغساني أبو عمر ابن عبد البر ، وأبو الوليد الباجي ، وأبو عمر بن الحذاء القاضي ، شيخ أبي الوليد الوقشي ، رحمهم الله .

وكان الشيخ الغساني ، رئيس المحدثين في وقته بقرطبة ، موصوفاً بالجلالة ، والحفظ ، والتباحة ، والتواضع ، والتعاون ^(٣) . وذكره القاضي عياض فقال : « أن انفراد أبي علي (حسين بن محمد) الصدفي بالأمانة في الحديث بالأندلس لم يكن إلا بعد وفاة كنية وسميه أبي علي (حسين بن محمد) الغساني » ^(٤) . وقال أبو الحسن ابن مغيث : « كان من أكمل من رأيت علماً بالحديث ومعرفة بطرقه ، وحفظاً لرجالهم » ^(٥) .

وقد وصفه ابن بشكوال ، وأثنى عليه ، فقال : « وكان من جهابذة المحدثين ، وكبار العلماء المسنين وعنى بالحديث وكتبه وروايته وضبطه . وكان حسن الخط ، جيد الضبط . وكان له بصر باللغة والإعراب ، ومعرفة بالغريب والشعر والأنساب ، وجمع من ذلك كله ، ما لم يجمعه أحد في وقته » ^(٦) .

(١) ضبطه المقرئ في أزهار الرياض ٣ - ١٤٩ .

(٢) من هامش الصلة ص ١٤٨ .

(٣) الصلة ص ١٤٢ وأزهار الرياض ٢ - ١٥٠ .

(٤) المعجم لابن الأبار ص ٧٨ .

(٥) الصلة ص ١٤٢ وأزهار الرياض ٣ - ١٥٠ .

(٦) نفس المرجعين .

وهو من شيوخ القاضي عياض ، كما ذكر المقرئ في أزهار الرياض^(١) وأصابته زمانة في أخريات عمره ، فعطلته ، ورحل إلى المرية للاستشفاء بحمها ، وهي حمة بجانة وذلك قبيل وفاته بسنتين . ثم عاد إلى قريته ، حيث توفي سنة ثمان وتسعين وأربع مائة . وكان مولده سنة سبع وعشرين وأربع مائة^(٢) وكان قد جمع كتاباً حسناً مفيداً في رجال الصحيحين ، وسماه بتقيد المهمل وتمييز المشكل ، وكانت نسخة منه عند الوزير الأديب أبي عبد الله بن أبي الحवाल ، وتقيد فيها أنه توفي يوم الخميس لأربع عشرة ليلة خلت من رجب سنة سبع وتسعين وأربع مائة^(٣) .

٢ - أبو سعيد الوراق :

وقد ذكر ابن بشكوال ، وابن فرحون ، أبا سعيد الوراق ، من شيوخ ابن السيد^(٤) . ولم نعر على ترجمة له إلا عند الحميدى^(٥) ، فانه ذكر شخصاً بهذه الكنية ، واللقب ، ولم يذكر اسمه ، ولا نسبه ولا مولده ولا وفاته ، ولم يقل في ترجمته غير أنه كان من أهل الأدب والفضل ، وكان قد حج ، وحكى عنه قصة شاعر أسود ، كان في رفقة من الأعراب ، النازلين بعرفات . وكان هذا الأسود « يخدمهم فجعل النعاس يغلب عليه ، وهم يقيمونه لشغل لهم ، فلما طال عليه ، ضجر وجعل يقول (الرجز) :
في كل يوم شملي مبلة يقيتل الناس ولن أقيله
ولا نتحقق أهو نفس الرجل ، المذكور في شيوخ ابن السيد ، أو هو رجل آخر غيره . والله أعلم بالصواب .

ويذكر ابن خبير أن ابن السيد أخذ عنه « الأصمعيات » حيث يقول :

(١) ٣ - ١٤٩ .

(٢) الصلة ص ١٤٣ وأزهار الرياض ٣ - ١٥٠ والمعجم لابن الأبار ص ٧٨ .

(٣) ذكره ابن الأبار في معجم الصلف ص ٧٨ .

(٤) الصلة ص ٢٧٨ والديباج ص ١٤١ .

(٥) الحميدى ص ٣٧٣ .

« وحدثني بالأصمعيات خاصة أبو الحسين عبد الملك بن محمد بن هشام ،
 رحمه الله ، عن الأستاذ أبي محمد عبد الله بن السيد البطليوسي ، عن الفقيه
 أبي سعيد الوراق ، عن أبي ذر عبد بن أحمد الهروي ، عن أبي بكر أحمد
 بن إبراهيم بن شاذان ، عن أبي محمد السكري ، عن أبي يعلى المنقري ،
 عن الأصمعي ، (١) .

٢ - عاصم بن أيوب ، أبو بكر البطليوسي :

هو الوزير الأديب ، صاحب المظالم ، أبو بكر عاصم بن أيوب البلوي
 البطليوسي النحوي ، كان من أعيان بطليوس ، وأعلامها في الفنون والآداب
 العربية في وقته .

وكان قد أخذ العلوم عن شيوخ الأندلس ، وأعلامها ، من أمثال
 أبي بكر محمد بن الغراب ، وأبي عمرو السفاقسي (وهو من شيوخ أبي الوليد
 الوقشي) ، وأبي محمد مكّي بن أبي طالب المقرئ ، واسمه حموش
 بن محمد بن مختار القيسي ، القبروائي المتوفى ٤٣٧ هـ (٢) .

وقد ذكره ابن بشكوال فقال : « وكان من أهل المعرفة بالآداب
 واللغات ، ضابطاً لهما : مع خير وفضل ، وثقة فيما رواه وأخبرنا عنه
 أبو محمد ابن السيد بجميع ما رواه » (٣) . وقال فيه صاحب البلغة ، ونقل
 عنه السيوطي أن أبا بكر البطليوسي كان إماماً في اللغة (٤) .

(١) ابن خير ص ٣٩١ .

(٢) وترجمته في معالم الإيمان ٣ - ٢٦٣ والصلة ص ٤٢٣ وقال هو محمد بن مكّي بن أبي

طالب بن محمد ، والحيدري ص ٣٢٩ وقال إنه هو مكّي بن محمد بن حموش .

(٣) الصلة ص ٤٢٧ .

(٤) بنية الوعاة ٢ - ٢٤ .

وله من المؤلفات : شرح المعلقات ^(١) ، وشرح الشعراء الستة ^(٢) وشرح أشعار الحماسة ^(٣) وكتاب الأوائل ^(٤) ، وشرح ديوان رئيس الشعراء أبي الحارث الشهير بامرئ القيس ابن حجر الكندي ^(٥) .

وقد توفي أبو بكر ، عاصم بن أيوب البليوسي ، رحمه الله ، في العقد الأخير من القرن الخامس الهجري ، وذلك سنة أربع وتسعين وأربعمائة ^(٦) .

٤ - عبد الدائم القيرواني :

هو عبد الدائم بن مرزوق أبو القاسم القيرواني ، ثم الطليطلي ، كان من رواة شعر أبي العلاء المعري في المغرب ، وهو شيخ ابن السيد في شعر المعري ، كما صرح به في الانتصار ^(٧) . ولا نحددنا المصادر التاريخية متى كان قد وفد على الأندلس ، وفي أي مدينة من مدنها ، كان قد اشتغل بالتدريس ، ورواية شعر المعري . وأغلب الظن أنه كان بظليطة ، حيث توفي ، وكان قد سافر إلى الأندلس في عصر قريب من تاريخ وفود أبي الفضل البغدادي ، إلا أنه لم يشتهر كشهريته ، ولم يحظ من العناية والاهتمام بمثل ما حظي به البغدادي . وهذا مما جعل أصحاب التراجم يهملون ترجمته ، وذكره ، ولم يترجم له إلا الضبي من المغاربة ، والسيوطي من المشارقة ، وذلك ضئيل ، مفرط في الإجمال ، والاقتضاب ^(٨) .

(١) نفس المرجع .

(٢) ذكره ابن خير ص ٣٨٩ باسم كتاب الأشعار الستة الجاهلية وانظر بروكلمان

١ - ٣٠٩ وتكلمه ١ - ٥٤٣ .

(٣) ابن خير ص ٣٨٨ .

(٤) ذكره بروكلمان في تكلمه ١ - ٥٤٣ .

(٥) وقد طبع بمصر سنة ١٩٠٦ م .

(٦) بغية الوعاة ٢ - ٢٤ والصلة ص ٤٢٧ وبروكلمان ١ - ٣٠٩ .

(٧) الانتصار ص ٢٣ .

(٨) انظر الضبي ص ٣٨٩ ، وبغية الوعاة ٢ - ٧٥ .

وذكره الضبي فقال : « عبد الدائم بن مردوق بن جبر (كذا) القيرواني أبو القاسم توفي بطلبلة سنة ٤٧٢ هـ ^(١) » . وترجم له السيوطي فقال : « عبد الدائم بن مردوق القيرواني ، نحوي قديم ، روى عنه أبو جعفر محمد بن حكم السرقسطي ، وأكثر أبو حيان في الارتشاف من النقل عنه » .

ولم يذكره أحد منهما في شيوخ ابن السيد ، كما لم يذكره غيرهما في من أخذ عنهم . ولولا اعتراف ابن السيد بالسماع عنه ، لما عرفنا أنه من شيوخه .

٥ - علي بن أحمد البطليوسي :

هو علي بن أحمد بن حمدون أبو الحسن المقرئ البطليوسي المعروف بابن اللطينة ، وذكره ابن بشكوال فقال : « روى عن أبي عمر المقرئ وغيره أخذ عنه شيخنا أبو محمد ابن السيد ، وغيره وتوفي في العشر الوسط من المحرم سنة ست وستين وأربع مئة ببطلوس ^(٢) » .

٦ - علي بن محمد البطليوسي :

علي بن محمد بن السيد ، أبو الحسن البطليوسي النحوي المعروف بالحيط أخو صاحبنا أبي محمد ابن السيد البطليوسي ، كان مقدما في علم اللغة وحفظها ، والضبط لها ^(٣) .

وكان قد أخذ العلم عن أبي بكر بن الغراب ، وأبي عبد الله محمد يونس وغيرهما . وأخذ عنه أخوه الأصغر أبو محمد كثيراً من كتب الأدب والنحو واللغة . ولعله هو شيوخه الأول في شعر أبي العلاء المعري ، فذكر ابن خبير أن أبا محمد كان قد أخذ سقط الزند وضوءه عن أخيه ،

(١) الضبي ص ٣٨٦ .

(٢) الصلة ص ٣٩٧ وانظر بنية الوعاة ٢ - ١٤٢ .

(٣) بنية الوعاة ٢ - ١٨٩ والصلة ص ٤٠١ .

الحسن علي بن محمد ، عن أبي القاسم عبد الدائم بن مرزوق ابن خبير القيرواني
عن أبي العلاء المعري (١) .

وهو من الأدباء الشعراء ، ومن شعره (٢) : (الكامل)

يارب ليل قد هتكت حجابها بزجاجة وقادة كالكوكب
يسعى بها ساق أغن كأنها من خده ، ورضاب فيه الأشنب
بدران ، بدر قد أمنت غروبه يسعى بيدر جانح للمغرب
فإذا نعمت برشف بدر طالع فانعم بيدر آخر لم يغرب
حتى ترى زهر النجوم كأنها حول المجرة ربرب ، في مشرب
والليل منحصر ، يطير غرابه والصبح يطرده يياز أشهب

وكان ابن عكاشة (٣) قد قبض عليه وألقاه في السجن بقلعة رباح ،
لأسباب لم يذكرها التاريخ ، ولم يجلها البحث ، ولم تزل سرا غامضا إلى
الآن . ومات ابن السيد ، الحيطال ، معتقلا ، في نحو الثمانين وأربع مئة ،
أو في ثمان وثمانين وأربع مئة (٤) .

٧ - أبو الفضل الدارمي البغدادي :

هو محمد بن عبد الواحد بن عبد العزيز ، أبو الفضل الدارمي ، البغدادي
الوزير ، داعية أمير المؤمنين القائم بأمر الله العباسي ، ورسوله إلى المعز بن
باديس ، صاحب إفريقية ، ورسول المعري في بث شعره ، في بلاد إفريقية
والأندلس . كان من أهل الفضل ، والأدب ، والشعر . وهو شيخ ابن السيد
في شعر أبي العلاء المعري كما صرح به في أكثر من موضع في الانتصار ،
وشرح سقط الزند (٥) .

(١) ابن خبير ص ٤١٢ وتعريف القدماء بالمصري ص ٣٨٩ .

(٢) نفح الطيب ٢ - ٤٦٩ .

(٣) هو حكم بن عكاشة ، كان شجاعا مشهورا ، جبارا محتالا ، وهو الذي قتل الظاهر
بن المعتز في قرطبة ، وقتل هو في آخر أيام المعتز ، أعمال الأعلام ص ١٥١ و ١٥٨ .

(٤) الصلة ص ٤٠١ وبغية الوعاة ٢ - ١٨٩ .

(٥) انظر الانتصار ص ٢١ و ٢٣ و ٣٠ و ٤٥ وشروح سقط الزند ص ١٢٩٠ .

باب في معرفة الحروف الهجائية
بالحروف الهجائية

وعندما خرج من بغداد رسولا للقائم إلى المعز ، اجتمع في طريقه مع
أبي العلاء بالمعرة ، وأنشده قصيدة لامية مدح بها صاحب حلب ، فأعجب
المعري شعره وقبل عينه وقال : « الله أنت من ناظم » (١) . ووصل القيروان
سنة تسع وثلاثين وأربعمائة ، فتقدم بفضل آدابه ، عند الكبراء ، وعرف
قدره العلماء والفقهاء . وهو أول من أدخل كتاب بتيمة الدهر للثعالبي
عندهم . وشهد حصار القيروان ، وخرج منها من أجل فتنة العرب واستيلائهم
على البلاد ، وتوجه إلى سوسة ، وأقام بها عشر سنين (٢) ، ثم رحل إلى
الأندلس ، فنزل بدانية ، وعليها أبو الجيش ، مجاهد العامري . ومن دانية
رحل إلى بلنسية ، فلقى برأ من أهلها ، وعرفوا قدره . إلا أنه أسرع الخروج
منها إلى طليطلة ، وعليها المأمون بن ذي النون ، فاستقبله ، وأكرم مثواه ،
وأجزل له العطايا ، وأجرى له ستين مثقالا في شهر واحد . وكان دخلها
سنة ٤٥٤ هـ وتوفي بها في نفس السنة ، أو في العام بعدها كما قيل ، قرئاه
أبو محمد بن خليفة المصري (٣) .

وكان ابن السيد حديث السن ، عندما سمع منه شعر المعري ، فقد ولد
سنة ٤٤٤ هـ ، ووفد أبو الفضل على الأندلس في نحو ٤٥٤ هـ .
نفس السنة أو سنة ٤٥٥ هـ ، فعنى ذلك أن ابن السيد سمع منه في
التي قضاه بطليطلة ، (التي لا تزيد عن السنتين) ، وهو في
أو الحادية عشر من عمره .

وكان أبو الفضل البغدادي من الشعراء المجيدين ، وقد تناول في جارية
تبخرت بالتد (٤) : (الطويل) .

(١) نفع الطيب ٢ - ٧٧ .

(٢) معالم الإيمان ٣ - ٢٤١ والصلة ص ٥٤٠ .

(٣) معالم الإيمان ٣ - ١٤١ وما بعدها ونفع الطيب ٢ - ٧٧ والصلة ص ٥٤٠ .

والحميد ص ٦٨ - ٦٩ والضبط ص ٩٧ - ٩٨ .

(٤) نفع الطيب ٢ - ٧٨ .

ومحطوطة المتنين مهضومة الحشا منعمة الأرداف ، تدمي من اللمس
إذا مادخان الند من جيها علا على وجهها أبصرت غيا على الشمس

ومن فرائد شعره ، قوله ^(١) (البسيط ٩) .

يا ليل ألا انجلبت عن فلق ظلت ، ولا صبر لي على الأرق
جفا لحاظي التغميض فيك ، فـ تطبق أجفانها ، على الحدق
كأنني صورة ممثلة ناظرها الدهر ، غير منطبق

تلاميذ ابن السيد

تلاميذ ابن السيد يكثر تعدادهم ويطول ذكرهم . وفيما يلي فهرس ،
لأسماء بعضهم على ترتيب أبجدي ، مع ذكر المراجع لتراجمهم :

١ - إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحمن ، أبو إسحاق الأنصاري الغرناطي
المتوفي ٥٧٩ هـ (ابن الأبار ١ / ١٨٩) .

٢ - إبراهيم بن خليفة بن أبي الفتح ، أبو إسحاق القضاعي المتوفي قبل
لأربعين وخمسة (ابن الأبار ١ / ١٧٧ ومعجمه في أصحاب الصديقي ص ٦٢)

٣ - إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ، أبو إسحاق الخزرجي التطيلي ، من
الراجلين إلى المشرق ، (ابن الأبار ١ / ١٩١) .

٤ - إبراهيم بن محمد ، أبو إسحاق الفخمي السبتي ، المعروف بابن المتن ،
من الراجلين إلى المشرق ، السامعين من السلفي (ابن الأبار ١ / ٢١٣) .

٥ - أحمد بن جبير ، الكنتاني المتوفي ٥٥٢ هـ ، والد ابن جبير الرحالة
لمشهور ، كان من الكتاب الشعراء الوزراء ، (ابن الأبار ١ / ٧٧) .

٦ - أحمد بن جعفر بن عبد الله ، أبو محمد المعافري ، البليسي ،
المتوفي ٥٤٧ هـ من قضاة الأندلس الناهيين ، (ابن الأبار ١ / ٦٩) .

(١) نفع الطيب ٢ - ٧٧ .

٧ - أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد ، أبو بكر البلسني ، المتوفي سنة ٥٨٣ هـ ، وقد ذكره ابن الأبار فقال : وكتب علما كثيرا ، حتى انفرد بالرواية عن البطليوسي ، فكان آخر الرواة عنه بالسمع (ابن الأبار ١ / ١٠٥ وانظر ابن الفرضي ت ٥٣٨ لترجمة جده الأعلى) .

٨ - أحمد بن عبد العزيز بن الفضيل ، أبو العباس الوراق الأنصاري الشريوني القيسي ، المتوفي ٥٧٢ هـ (ابن الأبار ١ / ٩٦) .

٩ - أحمد بن الفرج أبو عامر التجيبي البلسني ، صاحب « المجمل في العروض » . من العلماء الأدباء ، والشعراء الرؤساء ، (ابن الأبار ١ / ٦١)

١٠ - أحمد بن محمد بن عبد الرحيم ، أبو العباس الأنصاري ، المعروف بابن البراذعي (ابن الأبار ١ / ٨٣) .

١١ - أحمد بن محمد بن عبد الله أبو العباس الأنصاري المقرئ ، المعروف بابن النيم ، المتوفي ٥٨١ هـ (ابن الأبار ١ / ١٠٣ وغاية النهاية ١ / ١٢١) .

١٢ - أحمد بن محمد ، أبو بكر الأنصاري البلسني ، من الملازمين لابن السيد ، الآخذين عن أبي الطاهر السلفي (٥٧٦ هـ) ، (ابن الأبار ١ / ١٠ والسلفي ص ٢٨) .

١٣ - أحمد بن معد بن عيسى ، أبو العباس التجيبي ، الأقلبشي الزاهد ، المتوفي سنة ٥٥٠ هـ ، من الأدباء الشعراء ، الراحلين إلى المشرق ، الآخذين عن علمائه ، الراوين لشعر ابن السيد البطليوسي . (وترجمته عند ابن الأبار ١ / ٧٥ ونفع الطيب ١ / ٨٧٢ والسلفي ص ٢٤ ، و ٢٥) .

١٤ - أحمد بن ملك بن مرزوق ، أبو العباس الطرطوشي ، ثم البلسني المتوفي ٥٥٣ هـ من العلماء القضاة في الأندلس ، (ابن الأبار ١ / ٧٨) .

١٥ - جعفر بن أحمد بن خلف ، أبو أحمد البلسني ، المتوفي ٥٦٧ هـ ، من الشيوخ الأخيار ، (ابن الأبار ١ / ٢٨٤) .

١٦ - حسين بن محمد بن حسين ، أبو علي الأنصاري ، الطرطوشي ، صاحب الصلاة والخطبة بمرسية ، قرأ أدب الكتاب لابن قتيبة على ابن السيد ، (التكملة ت ٨٣ والمعجم لابن الأبار ت ٦٨) .

١٧ - حنون بن الحكم ، أبو الحسن العمرى ، الأبلدي (التكملة ت ١٠٧) .

١٨ - خلف بن عبد الملك بن مسعود ، أبو القاسم ابن بشكوال القرطبي الأنصاري ، المتوفى ٥٧٨ هـ ، صاحب كتاب الصلة ، وقد صرح فيه غير مرة ، أن ابن السيد البطليوسي من شيوخه (وترجمته في التكملة ت ١٧٩ ، والمعجم لابن الأبار ت ٧٠ ، والديباج ص ١١٤) .

١٩ - خلف بن محمد بن خلف ، أبو القاسم الأوريولي ، المتوفى ٥٥٧ هـ ، من قضاة الأندلس ، (التكملة ت ١٧٤) .

٢٠ - خليل بن إسماعيل بن خلف ، أبو محمد السكوني ، من الفقهاء المشاورين في الأحكام ، وشيوخ ابن خبير الاشيلي (التكملة ت ١٨٨) .

٢١ - سعيد بن فتح بن عبد الرحمن ، أبو الطيب الأنصاري الثغري ، ثم المرسي ، (الذيل الرابع ص ٣٩) .

٢٢ - سفيان بن عبد الله بن سفيان ، أبو محمد التجيبي القونكي ، المتوفى ٥٤٦ هـ ، (الذيل الرابع ص ٤٧) .

٢٣ - سليمان بن عبد الملك بن رويل ، أبو الوليد العبدري البلسي ، المتوفى سنة ٥٣٠ هـ ، (الذيل الرابع ص ٧٤) .

٢٤ - سليمان بن يوسف بن عوانة ، أبو الربيع الأنصاري اللاردي ، (الذيل الرابع ص ٩٨) .

٢٥ - طاهر بن عبد الرحمن بن سعيد ، أبو بشر الأنصاري الداني ، المعروف بابن سبيطة ، المتوفى ٥٤٠ هـ ، (التكملة ت ٢٧٠ والذيل الرابع ص ١٥٤) .

٢٦ - عاشر بن محمد بن عاشر ، أبو محمد الأنصاري الشاطبي ،
المتوفي سنة ٥٦٧ هـ ، صاحب « الجامع البسيط وبقية الطالب النشيط » ،
(التكملة ت ١٩٥٤ والنسبي ت ١٢٧٠ ، والذيل الخامس ص ٩٩ ، والمعجم
لابن الأبار ص ٢٩٨) .

٢٧ - عاصم بن خلف بن محمد ، أبو محمد التجيبي البلنسي ، المتوفي
٥٤٧ هـ ، من العاكفين على كتاب المدونة ، (التكملة ت ١٩٤٨) .

٢٨ - عبد العزيز بن أحمد بن غالب ، أبو الأصبع البلنسي ، المتوفي
في حدود سنة ٥٧٣ هـ . (التكملة ت ١٧٦٣) .

٢٩ - عبد الله بن إبراهيم بن سعيد ، أبو محمد القونكي ، روى عن
أبي محمد البطليوسي ، وروى عنه أبو بكر بن عبد الله بن خلف ، (الذيل
الرابع ص ١٧٦) .

٣٠ - عبد الله بن أحمد بن سعيد ، أبو محمد العبدري البلنسي ،
المعروف بابن موجوال ، المتوفي ٥٦٧ هـ ، من شيوخ ابن خيرة ، وصاحب
شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، (التكملة ت ١٣٨٦ ، والمعجم لابن الأبار
ت ٢٠٧) .

٣١ - عبد الله بن محمد بن الخلف ، أبو محمد الصدفي البلنسي ،
المعروف بابن علقمة المتوفي في حدود ٥٤٠ هـ (التكملة ١٣٥٤) .

٣٢ - عبد الله بن موسى بن محمد ، أبو محمد الأنصاري البلنسي ،
المتوفي بعد السبعين وخمسة ، (التكملة ت ١٣٩١) .

٣٣ - عبد الملك بن سلمة بن عبد الملك ، أبو مروان الأموي الوشني ،
المعروف بابن الصقيل ، المتوفي ٥٤٠ هـ ، (الحلل ٢ - ١٨٠ والتكملة
ت ١٧٠٨ ، والذيل الخامس ص ٢٠) .

٣٤ - عبد الملك بن محمد بن هشام ، أبو الحسين القيسي الشلبي ،
المعروف بابن الطللا ، المتوفي ٥٥١ هـ ، من شيوخ ابن خيرة ، (التكملة
ت ١٧١٥ والذيل الخامس ص ٤٣) .

٣٥ - عبد الواحد بن محمد بن خلف ، أبو محمد القيسي ، المتوفي سنة ٥٥٠ هـ (التكملة ت ١٨٠٢) .

٣٦ - عبد الوهاب بن محمد بن أحمد ، أبو العرب البقساني البلنسي ، المتوفي ٥٥٢ هـ ، (التكملة ت ١٧٩٠ ، والذيل الخامس ص ٩٤ والمعجم لابن الأبار ت ٢٤٨) .

٣٧ - عبد الوهاب بن محمد بن علي ، أبو محمد القيسي الزاهد ، المتوفي سنة ٥٩٨ هـ ، وهو آخر وفاة من تلاميذ ابن السيد (التكملة ت ١٧٩٣) .

٣٨ - عتيق بن أحمد بن محمد بن خالد أبو بكر الخزومي المتوفي ٥٤٨ هـ (الذيل الخامس ص ١١٦ ، والتكملة ت ١٩٣٥) .

٣٩ - عتيق بن عبد الجبار ، أبو بكر الجذامي البلنسي ، المتوفي ٥٣٩ هـ (وترجمته في التكملة ت ١٩٣٤ والذيل الخامس ص ١٢١) .

٤٠ - عدل محمد بن عدل ، أبو الحسن الغافقي المرسى ، من الراحلين إلى الشرق ، الرواة لشعر ابن السيد ، (السلي ص ٩٧ الذيل الخامس ص ١٤١ والفضي ت ١٢٧١) .

٤١ - علي بن إبراهيم بن محمد ، أبو الحسن ابن سعد الخير البلنسي ، المتوفي سنة ٥٧١ هـ ، صاحب القرط على الكامل .

٤٢ - علي بن عبد الله بن خلف المعروف بأبي الحسن ابن النعمة ، المتوفي سنة ٥٦٧ هـ ، من تلاميذ ابن السيد الأعلام النابهن ، والمختصين به ، (وترجمته في التكملة ت ١٨٦٣ والذيل الخامس ص ٢٢٦ ، ونيل الابتهاج ص ١٩٩ ، والمعجم لابن الأبار ت ٢٦٩ ، والفضي ت ١٢٢٤ ، وبغية الوعاة ٢ / ١٧١) .

٤٣ - علي بن عبد الله بن موسى بن طاهر ، أبو الحسن البرجي المتوفي سنة ٥٣٦ هـ (التكملة ت ١٨٤٥ ، والذيل الخامس ص ٢٣٧) .

٤٤ - علي بن عطية الله بن مطرف ، أبو الحسن التميمي البلنسي .
المعروف بابن الزقاق ، المتوفى سنة ٥٣٠ هـ (التكملة ت ١٨٤٤ ، والذيل
الخامس ص ٢٦٥ ، والمغرب ٢ / ٣٢٣ وهو فيه : علي بن إبراهيم بن
عطية - والشذرات ٤ / ٨٩ وهو فيه علي بن عطية) .

٤٥ - علي بن محمد بن زكريا ، أبو الحسن الأنصاري اللاردي (الذيل
الخامس ص ٣٠٥) .

٤٦ - عمر بن محمد بن أحمد ، أبو حفص القضاءي البلنسي ،
المتوفى سنة ٥٧٠ هـ ، (التكملة ت ١٨٢٥ ، والذيل الخامس ص ٤٥٧) .

٤٧ - عمر بن محمد بن واجب ، أبو حفص البلنسي ، المتوفى ٥٥٧ هـ ،
(الذيل الخامس ص ٤٦٧ ، والتكملة ت ١٨٢١) .

٤٨ - عياض بن موسى بن عياض ، أبو الفضل اليحصبي ، المتوفى
سنة ٥٤٤ هـ ، من أئمة الأندلس ، وأعلامها الخالدين ، وتلاميذ ابن السيد
الناهين ، وهو الذي كان سبباً لتخليد ذكراه ، ولولاه لفضاعت الرسالة التي
كتبها الفتح عن حياة ابن السيد ، وأخذها المقرئ بأسرها في «أزهار الرياض
في أخبار عياض» ، وهو صاحب مشارق الأنوار ، وكتاب الشفاء بتعريف
حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم ، (الديباج ص ١٦٩ ، والصلة ص ٤٢٩
وأزهار الرياض ٣ / ٥ وما بعدها ، و ١٠١ ، والمعجم لابن الأبار ص ٢٩٤
وتكملته ت ١٩٤٧ والضبي ت ١٢٦٩) .

٤٩ - عيسى بن محمد بن شاهد الأنصاري الاشبيلي ، (الذيل الخامس
ص ٥٠٦) .

٥٠ - الفتح بن محمد بن عبيد الله ، أبو نصر القيسي الكاتب الوزير ،
المتوفى ٥٢٨ هـ ، صاحب المطمح والقلائد ، سمع من ابن السيد كتاب
الانتصار ، سنة ٥١٦ هـ ، (المعجم لابن الأبار ت ٢٨٥ ، والشذرات
٤ / ١٠٧ ، والذيل الخامس ص ٥٢٩ والإرشاد ١٦ / ١٨٦ ، والمغرب
٢ / ٢٥٤ وابن خلكان ت ٤٩٨) .

٥١ - محمد بن أحمد بن سعيد ، أبو عبد الله العبدي المقرئ ،
المعروف بابن موجوال ، وهو أخو أبي محمد عبد الله العبدي المعروف

بابن موجوال ، المار ذكره ، (المعجم لابن الأبار ت ١٤٩ ، وتكلمته
ت ٦٩٠ ، والذيل الخامس ص ٦٤٢) .

٥٢ - محمد بن أحمد بن عبد الرحمن ، أبو عبد الله الهنسي الطوطوشي
الشاطبي ، المعروف بابن الأصيلي المتوفى ٥٦٣ هـ (التكملة ت ٧٤٩ ،
والذيل الخامس ص ٦٧١) .

٥٣ - محمد بن أحمد بن عمران أبو بكر البلسي ، المتوفى سنة ٥٦٣ هـ
(التكملة ت ٧٣٧) .

٥٤ - محمد بن إدريس بن عبد الله ، أبو عبد الله الخزومي البلسي ،
المتوفى سنة ٥٤٦ هـ ، (التكملة ت ٦٦٦) .

٥٥ - محمد بن الحسن بن محمد ، أبو عبد الله الداني المقرئ ، المعروف
بابن غلام الفرس ، المتوفى ٥٤٧ هـ (التكملة ت ٦٦٩) .

٥٦ - محمد بن عبد الرحمن بن أبي العاص ، أبو عبد الله الأنصاري ،
المتوفى في نحو ٥٢٠ هـ ، من ولد سعد بن عبادة رضي الله عنه ، من تلاميذ
الوقشي وابن السيد ، (التكملة ت ٥٥٠) .

٥٧ - محمد بن عبد الرحيم بن محمد ، أبو عبد الله الأنصاري ، من ولد
سعد ، صحابي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، (التكملة ت ٧٥٠) .

٥٨ - محمد بن عبد الله بن محمد ، أبو عبد الله الغرناطي ، المعروف
بابن الغاسل ، المتوفى بعد ٥٧٠ هـ ، (التكملة ت ٧٦٩) .

٥٩ - محمد بن عبد الوهاب بن عبد الملك ، أبو عامر العبدري الطرطوشي
ثم البلسي ، (التكملة ت ٧١٢) .

٦٠ - محمد بن عبيد الله بن أحمد ، أبو عبد الله الحشني ، المعروف
بابن العويص ، المتوفى ٥٧٦ هـ ، (التكملة ت ٧٨٣) .

٦١ - محمد بن عمر بن عبد الله ، أبو بكر العقيلي البلسي ، المعروف
بابن القباب ، وهو من تلاميذ الوقشي ، (التكملة ت ٥٨٦) .

٦٢ - محمد بن أبي القاسم بن عميرة ، أبو عبد الله المري الكاتب ،
(ترجمته في التكملة ت ٧٨٧) .

٦٣ - محمد بن مخلوف بن جابر أبو عبد الله اللواتي النحوي البلسي
(التكملة ت ٧٦٧) .

٦٤ - محمد بن مسعود بن عبد الله ، أبو بكر الخشني النحوي المعروف
بابن أبي ركب ، المتوفي ٥٤٤ هـ ، (التكملة ت ٦٥٥) .

٦٥ - محمد بن هشام بن عبد الله ، أبو عبد الله ، المعروف بالبتي ،
من أهل مريطر ، (التكملة ت ٨٠٨) .

٦٦ - محمد بن يحيى بن محمد ، أبو عبد الله الأنصاري البلسي ،
المتوفي سنة ٥٤٧ هـ ، (التكملة ت ٦٧٢) .

٦٧ - محمد بن يوسف بن سعادة ، أبو عبد الله المرمي ثم الشاطبي ،
المتوفي سنة ٥٥٥ هـ ، من الراحلين إلى الشرق الآخذين عن علمائه ،
وهو صهر أبي علي الصديقي ، وإليه صارت كتبه ، (نفع الطيب ١ / ٥٦٥ ،
والتكملة ت ٧٤٦ ، والمعجم لابن الأبار ت ١٥٨) .

٦٨ - محمد بن يوسف بن سليمان ، أبو بكر القيسي السرقسطي ،
المعروف بابن الجزار ، المقتول سنة ٥٤٠ هـ ، (الحلل ٢ / ١٥٠ ، والتكملة
ت ٦٣٥ ، والمعجم لابن الأبار ت ١٢٧) .

٦٩ - محمد بن يوسف بن عبد الله ، أبو الطاهر التميمي السرقسطي ،
الاشتركوني ، المتوفي ٥٣٨ هـ ، صاحب المسلسل ، والمقالات اللزومية ،
(الحلل ٢ / ١٤٠ والصلة ص ٥٥٦ ، والمعجم لابن الأبار ت ١٢٤) .

٧٠ - مروان بن عبد الله بن مروان ، أبو عبد الله البلسي ، المتوفي
سنة ٥٧٨ هـ ، (التكملة ت ١٠٨٨) .

٧١ - منصور بن مسلم بن عبدون ، أبو علي الزرهوني القاسمي ،
المعروف بابن أبي فوناس ، المتوفي ٥٥٦ هـ ، (المعجم لابن الأبار ت ١٧٤
والتكملة ت ١١٢٣) .

٧٢ - يحيى بن عبد الله بن فتوح ، أبو زكرياء الحضرمي الداني ،
المتوفي في نحو ٥٥٠ هـ ، (التكملة ت ٢٠٤٣) .

الدكتور محمد أحمد الظاهر

بمديرية جامعة القاهرة

المعجم الجغرافي للبلاد العربية السُعوديّة

- ٢ -

(وتواصل « العرب » نشر بعض مواد القسم المتعلق بشمال المملكة ، عالم يسبق نشره ،
وسيصدر قريباً في جزء من أجزاء المعجم) .

زَبْرَجْدَة : قال البكري - في « المسالك والممالك » : (والزَبْرَجْد
وهو يوجد في جزيرة بين العَوَيْنَد والحوراء ، وتسمى تلك الجزيرة
زبرجدة) . ومفهوم هذا أن هذه الجزيرة بقرب ميناء الوجه .

الزَّبِيرُ - بفتح أوله - قال الصخاني في « التكملة » وياقوت في « معجم
البلدان » (١) : الزَّبِير اسم موضع قرب الثعلبية قال أعرابي : (ورد اسمه
في الثعلبية) :

إذا ما سماءٌ بالدُّنَاحِ تَحَايَلَتْ فلأني على ماء الزَّبِيرِ أَشِيمُهَا

ويقول موزل (٢) عن هذا الذي ذكره ياقوت : يقع بئر الزبار الآن
على بعد ٢٨ كيلاً إلى الجنوب الشرقي من الثعلبية (وانظر الزبيرة) .

الزَّبِيرَة : - بفتح الزاي مؤنث ما قبله - وهي 'عَقْل' من مناهل
التيسية ، الواقعة في الجنوب الغربي منها ، وبقرها أمُ الذبابة وسدُحَة ،
آبار .

وأرى أَنَّ الزَّبِيرَة هذه هي التي سماها ياقوت الزَّبِير ، أو بقرها
وهي من مياه قبيلة حَرْب ، جنوب شرق الثعلبية (بقرب خط الطول ٤٠° -

(١) « معجم البلدان » .

(٢) « العرب » ص ٧ من ٢٧٠ .

٤٣° وخط العرض ١° - ٢٨°) وفيها مركز حكومي وتبعد عن حاييل بنحو ٣٢٠ كيلا .

وفي « معجم البلدان » : الزبيرتان مائتان لطفية من أطراف أخازم خفاف ، حيث أفضى في الفرع ، وهي أرض مستوية . انتهى .

وفي « التكملة »^(١) : من أطراف أخازم خفاف وأقول : بنو طهية ، هؤلاء من بني مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مائة بن تميم ، منسوبون إلى أمهم^(٢) ، وبلادهم تقع شرق القصيم ، ومنها النبقة (النبقية) وتلك البلاد ليست بعيدة عن الزبيرة التي تقدم تحديدها . ولا أستبعد أن تكون كلمة (الفرع) صوابها : الفرغ - بالغين - وقد أضافه ياقوت إلى (مبة) وقبة هذه بقرب الزبيرة ، وخفاف أراه جفافاً - بالميم - وهو موضع في هذه الجهات .

الزُبَيْرِيَّات - بالضم : حبارى تقع شرق بلدة طريف وغرب أمّ أوغال زَحْتَفَق : - بالزاي المفتوحة بعدها حاء فنون ساكنة فضاء أولهما مفتوحة - : جبل أسود من جبال حرة أبْضَة ، بين قريني أبْضَة والجُحْفَة ، يشاهد من القريتين ، وهو يبعد عن مدينة حاييل بنحو ٩٠ كيلا شرقاً جنوباً .

زَحَّة - بالفتح وتشديد الخاء - كذا في « معجم البلدان » وأورد أنه موضع في بلاد طيء ويوم زَحَّة من أيام العرب ، وأورد شعراً لبهكة الفزاري ، وأراه تصحيف رخة (بالراء المهملة وانظره في موضعه) .

الزُّراب : جبال عالية بين فيند والجبلين ، عن بدوي من أهل تلك البلاد ، خبرنا بها . كذا قال ياقوت في « معجم البلدان » .

الزُّراب : - أيضاً - وادٍ يقع في الطرف الشرقي الشمالي لحرّة بني

(١) : ٣ - ٥ .

(٢) « بلاد العرب » ص ٢٦٦ .

عطية ، ويبعد عن تبوك ٧٠ كيلا تقريبا في الجنوب ، وقد ورد ذكره في وصف مسير النبي صلى الله عليه وسلم إلى تبوك وذكر المتقدمون أن فيه مسجداً من المساجد النبوية ، وسموا الموضع ذات الزراب .

الزُرْق : — بضم الزاي وإسكان الراء وآخره قاف في « معجم البلدان » .
رمالٌ بالدهناء ، وقيل : قرية بين النَّبَاج والسُّمَيْنة وهي صَعْبَةٌ المسالك قال ذُو الرُّمَّة :

فيا أَكْرَمَ السَّكْنِ الَّذِينَ نَحْمَلُوا عن الدَّارِ وَالْمُسْتَخْلَفِ الْمُتَبَدِّلِ
كَأَنَّ لَمْ نَحُلْ الزُّرْقَ مِثْلُ لَمْ تَطَأْ بَجَرَعَاءِ حَزَوَى ذَيْلِ مَرْطٍ مَرَجَلِ
وقال : أَلَا حَسْبِي بِالزُّرْقِ دَارُ مُقَامِ .

وفي « بلاد العرب »^(١) — بعد كلامه على الدهناء — في وصف الطريق من حجر (الرياض) إلى البصرة (والصُّبَيْغَاء وهي برقاء بمنقطع الدهناء إذا جرت الصُّبَيْغَاء وقعت في أبرق يقال له القنفذ ، ثم إذا جرت القنفذ استقبلت أول الصَّيَّان ، وعن يسارك قبل ذلك الزُّرْقُ اللاتي ذكرهنَّ ذُو الرمة ، وهي أجارع من الرمل ، وهي من أرض سعد ، وهي من الدهناء) .

وفي كتاب « المناسك »^(٢) « عند ذكر السُّمَيْنة التي تقع غرب

الينسوعة بتسعة وعشرين ميلا ، وشرق النَّبَاج بثلاثة وعشرين ميلا قال : (والسُّمَيْنة بين مُضْرَطٍّ ومُرْبِغٍ ، ينحدر من أحدهما ويصعد في الآخر بصعوبة شديدة قال الراجز : —

أَمِنْ حِذَارِ مُضْرَطٍّ تَمْطِئِنْ^(٣) لا بدَّ مِنْهُ فَانْحَدِرْ وَارْقِئِنْ

فالأول منها التي تلى البصرة أصعبها ، فكان الحجاج لما انحدر انحدر ومعه جارية ، فلما استصعب على الجمالين الرمل في هذا الموضع

(١) ص ٣١٢ .

(٢) ص ٥٨٤ .

سألوا أصحاب الحجاج أن ينزلوا عن الإبل ، ليخففوا عنها فيمشوا فلم
يبق إلا الحجاج وجاريتيه ، فقال الراجز :

الرمل لا يركب فيه أحد إلا النساء وأبو محمد

فالرجاز حتى الساعة يرتجزون في هذا الموضع بهذا ، ويرتجزون أيضا :
يا حبذا القمراء والليل ساج وطُرق مُثلُ ملاء النَّساج

وهذه الرملة بها الزرق التي يذكرها ذو الرمة - إلى أن قال- : ثم من
وراء هذا الرمل الشقائق ، وهي سبعة أحبل ، بينها سبع شقائق : لكل
حبل منها اسم ولكل شقيقة اسم (انتهى المقصود منه .

وقال ياقوت في « معجم البلدان » : السمينية : أول منزل من النجاج ،
للقاصد إلى البصرة ، وهو ماء لبني الهجيم ، فيها آبار عذبة وآبار ملحة ،
بينهما رملة صعبة المسلك ، بها الزُّرقُ التي ذكرها ذو الرُّمة في شعره .

وقد أكثر ذو الرمة من ذكر الزرق ، ومن ذلك (١) :

فما أبأستنى النفس حتى رأيتها بحومانة (٢) الزُّرقِ حزَّلتُ نحدُ ورُها
وقال (٣) :

وقربن بالزُّرقِ الجمائل بعدما تقوَّب عن غريبان أوراكاها الخطر (٤)
الزرق : أكتبة الدهناء .

• وقال :

إذا شئت أبكاني بجرعاء مالك إلى الدَّحْلِ مستبدئ لي ومحضر (٥)
وبالزُّرقِ أطلال لمية أقفرت ثلاثة أحوال تُراح وتُنظر

(١) ديوانه ص ٢٨٨ .

(٢) الحومانة : القطعة من الأرض الغليظة ، حزَّأت : استقلت وشخصت .

(٣) ديوانه ٥٦٧ .

(٤) جمائل : جمال ، تقوَّب : تقشَّر ، غريبان الأوراك : رؤوسها ، الخطر : آثار البول
التي تبيس على الغريبان من ضرب الحمل بذنبه فوق وركه .

(٥) ٦١٥ .

الزرق : أكثبة بالدهناء .

وقال (١) :

كَأَنِّي غَدَاةُ الزُّرْقِ بِأَمِّي مُدْنَفٌ يَكِيدُ بِنَفْسٍ قَدْ أَجْمَ حَمَامُهَا (٢)

— وفي الشرح : الزرق : كثبان الرمل .

وقال أيضا ، وقرنها بمشرف :

وَعَيْنٌ أُرْشَتْهَا بِأَكْنَافٍ مُشْرِفٍ

من الزُّرْقِ فِي مَفْكَ دِيسَارِ الْحَبَائِبِ

فمشرف من الزرق ، وهو نفا طويل من أنقاء الدهناء .

وقال :

نَظَرْتُ وَرَائِي نَظْرَةَ الشَّوْقِ بَعْدَمَا بَدَا الْجَوُّ مِنْ (جِيٍّ) لَنَا وَالِدَسَاكِرِ

لَأَنْظُرَ هَلْ تَبْدُو لِعَيْنِي نَظْرَةً بِحَمَومَانَةِ الزُّرْقِ الْحُمُولِ الْبَوَاكِرِ

إلى أن قال — :

جَذُيْنِ الْهَوَى مِنْ سَقَطِ حَوْضِي بِسُدْفَةٍ

عَلَى أَمْرٍ ظَعْنَانِ دَعْنُهُ الْمَحَاضِرِ

فَأَصْبَحَنْ قَدْ نَكَبْتَنِ حَوْضِي وَقَابَلْتَنِ

مِنَ الرَّمْلِ تَبْشِجَاءِ الْجَمَاهِيرِ عَاقِرٍ

وفي تفسيره : أصبحن في مكان قابلتهن فيه من الرمل بشجاء — أي

ضعمة الشج يعني الرمل — عاقر : لا تنبت ، الجماهر : عظام الرمل ،

وروى أبو عمرو البيت الأخير — كما ذكر المحقق الفاضل .. قد

(١) ص ١٠٠١ .

(٢) مدنف : مريض ، يكيد : ينزع ، أجم : حضر ، حمامها : وهو القدر .

جاوزن حوضي وقابلت من الزرق . . ويلاحظ أن ذا الرمة يقرن الزرق بحزوى : فيقول (١) :

أستقى الإلهُ به حزوى فجأوبه ما قابل الزرق من سهل ومن جلد
وهذا يدل على تقارب الموضعين ، إلا أن يقال بأن السيل كثيراً ما يكون واسعا . وحزوى شرق الدهناء ، غرب الصمان ، وهي بعيدة جداً عن طريق البصرة إلى مكة .

وقال ذو الرمة أيضاً (٢) :

فودَّعْن أَقْوَاعَ الشَّالِيلِ بعدما ذوى بقلها ، أحرارها وذكورها
وفي الحاشية : الشاليل موضع في الزرق . وفي « معجم البلدان » :
الشاليل جبال رمال متفرقة بناحية معلقة . انتهى . وهذا يؤيد أن الزرق في جهة حزوى ، وأنها بعيدة عن طريق البصرة إلى مكة .

وفي « ديوان جرير » (٣) قال :

ألا حيَّ دار الهاجرية بالزُّرق وأحِبُّ بها داراً على البعد والسَّحق
سَمَّتِكَ الغَوادي هلْ يربُّعك قاطنٌ
أم الحيَّ ساروا نحو فينحان فالعمق (٤)

— هاجر : في بني ضبة —

وخلاصة ما يفهم من النصوص المتقدمة : —

١ — أن الزرق من أنقاء الدهناء ومنها نقا مشرف من أطول الأنقاء

٢ — أن الشاليل من الزرق ، والشاليل بناحية معلقة ، وهذه لا تزال

معروفة .

(١) ديوانه ص ١٩٠ .

(٢) ١٠١٨ - ١٠٢٣ .

(٣) ديوانه : ١٦٨ .

٣ - أن ذا الرمة يقرن الزرق بحزوى وحزوى معروفة وهي بجهة معقلة .

٤ - معقلة وحزوى يقعان جنوب طريق الحج البصري ، أي جنوب الحفر - حفر الباطن .

٥ - تحديد الحربي وياقوت - وقد أخذ عنه فيما يظهر من مقارنة التصين - يدل على أن الزرق تقع في الطريق البصري بين الينسوعة والسمينة . وهذا التحديد يخالف القول بأنها قرب معقلة وحزوى .

ولا مخرج من هذا إلا أن يقال : أن الزرق يقصد بها أعظم أنقاء الدهناء وأطولها ، ومعروف أن حبال الدهناء تمتدّ من الجنوب إلى الشمال مسافات طويلة ، فقد تكون أطراف الزرق الجنوبية غرب معقلة وحزوى وتمتد حتى تبلغ طريق البصرة من حَجْرٍ (الرياض) شماله ، إلى طريق البصرة إلى مكة .

زَرُودُ - بفتح الزاي وضم الراء بعدها واو ساكنة فذال مهملة - : من أشهر منازل الحاج العراقي بعد الثعلبية وقبل الأجنصر للمتجه إلى مكة .

ذكر في كتاب « المناسك » (١) : أنها سميت بزروود ابنة يثرب بن قانية من مهليل بن رام بن عييل بن عوض بن رام بن سام بن نوح - نقل هذا عن ابن الكلبي الذي ألف كتابا في أنساب المواضع ، ومعروفة منزله عند العلماء .

وقال في « المناسك » : وزروود قبل الخزيمية بميل ونصف ، وهي لبني أسد وبني نهشل أيضا ، وفيها من الآبار العامرة والمندفنة نحو من

(١) ص ٢٩٩ .

عشرين بئراً ، ماؤها غليظ ، وبها قصرٌ وحوانيت ، وبركة ماءٍ وحوض
على بئر كبير قال الشَّامُخُ بْنُ ضَرَّارٍ :

وراحتُ رَواحاً من زَرُودٍ فنازعتُ زُبالةَ جَلْبَاباً من اللَّيْلِ أَخْضَراً
ولقرب الخزيمية من زرود يقع الخلط بينهما ، فقد أورد صاحب
« المتناسك »^(١) من قصيدة في وصف طريق الحج البصري بعد ذكر
التعلبية :

ثم الخزيمية أموا بعدها وَهِيَ زَرُودٌ ، والنزول عندها

وفي « النفااض »^(٢) في شرح قول الفرزدق :

أَتَتْنِي أَحَادِيثُ الْبُعَيْثِ رَدُّونَهُ زَرُودٌ فَشَامَاتُ الشَّقِيقِ إِلَى الرَّمْلِ
زرود : لبني مجاشع بين التعلبية والأجفر ، ليس لهم بالتربة (؟)
ماء غيره من طريق الكوفة . والشَّقِيقَةُ الْخَدَّادُ بْنُ الرَّمْلَيْنِ ، وربما كان
أميالا .

وفي « شرح ديوان جرير »^(٣) « محمد بن حبيب : وليس لبني مجاشع
بالبادية إلا زرود ووَاقِيط . وقول الشَّامُخِ بْنِ ضَرَّارٍ :

وَرُحْنٌ رَواحاً من زَرُودٍ فنازعتُ زُبالةَ جَلْبَاباً من اللَّيْلِ أَخْضَراً »^(٤)

هذا القول مشكل ، لأن المسافة بين زرود وزبالة لا يمكن أن تقطع
في جزء يوم ، ولا في يوم كامل ولعله قصد ليل اليوم الثاني لا الذي راح
فيه ، أو يكون قوله من قبيل قول ذي الرمة :

عشت من منى جنح الظلام فأصبحت

بيسيان أيديها مع الصبح تلمع

(١) كتاب « المتناسك » ص ٥٦٤ .

(٢) ص ١٢٧ .

(٣) ص ٣٣٠ .

(٤) أصل الخضرة لون الريحان والبقول ، ثم جعلوا بعد الحديد أخضر والسماه خضراء حتى
سموا بذلك الكحل والليل « الحيوان » للجاحظ ٣ - ٢٤٦ .

وقال جرير يهجو الفرزدق (١) :

كَانَ مُحَاشِعًا تَخَبَّاتُ نَيْبٍ هَبِطْنَ الْمَرَمُ أَسْفَلَ مِنْ سَرَارِ
إِذَا حَلُّوا زَرُودَ بَنَوِا عَلَيْهَا يُبِيتُ الذُّلُّ وَالْعَمْدُ الْقَصَارِ

وقال :

وَإِذَا لَقِيتَ عَلَى زَرُودٍ مُحَاشِعًا تَرَكُوا زَرُودَ خَبِيثَةَ الْأَعْطَانِ

وقال ياقوت (٢) : روى أن الرشيد حجَّ ، فلما أشرف على الحجاز

تمثل بقول الشاعر :

أَقُولُ وَقَدْ جُزْنَا زَرُودَ عَشِيَّةٍ وَرَاحَتِ مَطَابَانَا تَوْمُ بَنًا نَجْدَا
عَلَى أَهْلِ بَغْدَادِ السَّلَامِ فَإِنِّي أَزِيدُ بِسَيْرِي عَنْ بِلَادِهِمْ بَعْدَا

وقال مهيار :

وَلَقَدْ أَحْنُ إِلَى زَرُودٍ وَطِئْتِي مِنْ غَيْرِ مَا أُجِلَّتْ عَلَيْهِ زَرُودُ

وقال ياقوت (٣) : لعلها سميت بذلك لا بتلاعها المياه التي تمطرها

السحاب ، لأنها رمال بين الثعلبية والحزيمية ، بطريق الحاج من الكوفة .

وقال ابن الكلبي عن الشرقي : زرود والشقرة والربذة بنات

يثرب بن قانية بن مهليل بن رخام بن عبيل أخي عوض بن لرم بن سام بن نوح عليه السلام . وتسمى زرود العنيفة وهي دون الحزيمية بميل .

قالو : أول الرمل الشنيحة ، ثم رمل الشقيق وهو خمسة أحبل حبلا

زَرُودٌ وَحَبْلُ الْغَرِّ ، وَمَرْبِخٌ ، وَهُوَ أَشَدُّهَا ، وَحَبْلُ الطَّرِيدَةِ ، وَهُوَ أَهْوَنُهَا
حَتَّى تَبْلُغَ جِبَالَ الْحِجَازِ . انتهى كلام ياقوت .

ويلاحظ أن الدهناء لا تبلغ جبال الحجاز . ويمكن تخريج صحة هذا

القول على أن المقصود بجبال الحجاز هنا جبال طيء فقد يطلق عليها

(١) « الثقات » ٢٥٠ - ٨٩٢ .

(٢) « معجم البلدان » .

(٣) « معجم البلدان » .

الحجاز (انظر هذا الاسم) أو أن المقصود حرار الحجاز ، فطرف الدهناء ،
رمل عالج الغربي يكاد يتصل بطرف حرة ليلي الشمالي الشرقي .

وقد جرى بقرب زرود - في العهد الجاهلي معارك ، منها يوم من أيام
العرب يضاف إليها .

قال النويري (١) : يوم زرود الثاني : أغار خزيمه بن طارق التغلبي
على بني يربوع وهم بزروود ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، ثم انهزمت بنو تغلب
وأسر خزيمه بن طارق أسره أنيف بن جبلة الضبي وهو فارس السليط
وكان يومئذ نقيلاً في بني يربوع ، وأسيد بن حنّاء السليطي ، فتنازعا فيه
فحكما بينهما الحارث بن قراد ، فحكم بناصية خزيمه لأنيف ، على أن
لأسيد على أنيف مائة من الإبل قال : فقدى خزيمه نفسه بمائتي بعير وفرس
فقال أنيف :

أخذتُك قسراً يا خزيم بن طارق ولا قبئتُ مني الموت يوم زرود
وعانتقتُه والخيل تدمي نحورها فأنزلته بالقاع غير حميد

وقال في « الروض المعطار » (٢) : وزرود : جبل رمل بين ديار بني
عبس وديار بني يربوع . وبزرود أغار خزيمه بن طارق التغلبي على بني
يربوع ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فانهزمت تغلب ، وأسر خزيمه ، وفي ذلك
يقول الكلجة اليربوعي من كلمة له :

فقلنت لكأس الجمينها فلانماً حكلت الكتيب من زرود لأفرعا

ولما وجه عمر رضي الله عنه سعد بن أبي وقاص لحرب العراق ،
خرج فنزل فيد ، فأقام بها شهراً ثم كتب له عمر أن يرتفع إلى زرود ،
فأناها فأقام بها ، وأناه ممن حولها من بني تميم بنو حنظلة ، وأته سعد
والرباب وعمر ، وكان ممن أناه عطارد بن لبيب بن عطارد والزبرقان

(١) « نهاية الأرب » ١٥ - ٢٨٢ .

(٢) ص ٢٨٧ .

وحنظلة بن ربيعة اليشكري وربيعي بن شبت بن رباعي ، وهلال بن علقمة التميمي والمندر بن حسان الضبي ، فقالت رؤساء حنظلة : يا بني تميم قد نزل بكُم الناس وهم قبائل الحجاز واليمن وأهل العالية ، وقد لزمكم قراها فشاطروها الرّسل . ففعلوا فن كانت له لقحتان فضاً إحداها عليهم ، ومن كان له أكثر فعلى حساب ذلك ، فقروهم شتوة بزروود ، ونزل الناس معه في أول الشتاء بزروود ، وتفرقوا فيها حولها ، وأقام سعد ينتظر اجتماع الناس ، ثم كتب عمر إلى سعد : أن سرّ حتى تنزل شرّاف ، واحذر على من معك من المسلمين إلى أن كان من أمر القادسية ما كان) انتهى .

وزروود من مناهل العرب القديمة الواقعة على طريق الحج العراقي ولقدّم زروود يحاول ابن الكلبي فيما نقل عن أبيه تعليل الاسم بنسبته لإحدى الأُمم القديمة قال : سميت زروود وشقرة بزروود وشقرة ابني يثرب بن قانية بن مهليل بن رم بن عييل بن عوض بن ارم بن سام بن نوح .

ويطلق اسم زروود على كتيب من النفود (الدهناء) مشرف على جوار منخفض فيه آبار ، قال في كتاب « المناسك » : ودون الخزيمية بثلاثة أميال رمل يقال له جبلا زروود .

كما يطلق الاسم على موضع جلد يقع شرق هذا الرمل ، شرق المهل يدعى شامة زروود ويقال شامات زروود يبعد عن الطريق ثلاثة أميال للمصعد ، بقرب الخط ٥٠ - ٢٧ ° عرضاً و ١٣ - ٤٣ ° طولاً تقريباً - وتقع جنوب الطريق وبقربها برّ تدعى الوسيط .

وتبعد زروود عن بطن الأغر - كما في كتب المتقدمين ٣٨ ميلاً ولكنها لا تبعد عن الخوير - الذي رجحت أنه هو الأغر - إلا بنحو ٣٥ كيلاً .

وتبعد عن الأجفر ٥٨ كيلاً وعن مدينة حابل بنحو ١٧٠ كيلاً

وزروود من مياه قبيلة شمر ، وتقع زروود في وهدة منخفضة من الأرض وسط الرمال تحيط بها مرتفعات صخرية - حزوم - ولم أر من

آبارها باقياً سوى واحدة ، حين زرتها في ربيع الأول سنة ١٣٩٥ ، كما
لم أشاهد بقرب البئر شيئاً من آثار العمران (تقع بئر زرود بقرب خط
الطول ١٨° - ٤٣° وخط العرض ٥٠° - ٢٧°) .

الزَّرْيُ - بالفتح وإسكان الراء وآخره مثناة تخنية - : في كتاب
« المناسك »^(١) : (وعلى ستة أميال من الشقوق بمنة من الطريق بركة
وقباب ومسجد يدعى الرُّسْتَمِيَّة ، وهذا الموضع أول الزَّرْي ، والزَّرْي
عقاب صغار وأرض خشنة ، صعود وهبوط ، إلى بطن ، ويقال :
إنها نيف وسبعون عقبة ، وفيها رمل كثير ثم بركة الشَّيْحَة) ويفهم من
كلامه أنها قبل بطن للمصعد بـ ١٢ ميلاً ، وأن الرستمية أولها .

وذكر الهمداني^(٢) أنَّ طريق زُرْي طريق يتجه إلى الإمامة ماراً بالدهناء
من الاحساء ، ولكن هذا الطريق يقع جنوباً بعيداً عن طريق الحج الكوفي
والواقع أن الطريق بين بطن وبين الشقوق ذو عقبات صغار ، وأرضه
خشنة جداً .

الزَّرْيَبُ - تصغير الزَّرْب - : أرض تقع في شرق الحَنْفَة بينها وبين
النفود ، شرق وادي نِيَّان ، فيما بين الوجه وتيماء .

الزَّرْيَبُ - تصغير الزَّرْب أيضاً : واد يقع شرقي الوجه على مقربة منه ،
فيه نخل .

زُرَيْنين - مثنى زَرْبٍ مصغراً - : آكام تقع غرب بلدة جَبَّة في
النفود الكبير .

زَعْبَل : (انظر رعبل) .

الرَّعْبَلِيُّ - بفتح الزاي والعين والباء بعدها لام مكسورة مشددة .

(١) ص ٢٩٠ .

(٢) « صفة الجزيرة » طبعة دار الإمامة ص : ٢٨١ - ٢٨٢ .

فياء النسبة ، كأنه مركب من كلمتين ^(١) — بئر ارتوازية تقع غرب أنصاب ، على الحدود الشرقية ، في أسفل أودية الهذليل ، شرقي زُبالة ، بميل نحو الجنوب ، وهو بعيد القعر ، إذ يبلغ طول رشائه ١٠٥ مائة وخمسة أبواح (٢١٠ أمتار) .

الزَعْفَرانُ — على اسم النبات المعروف — قال العياشي ^(٢) — في كلامه على الوجه — : وفي أعلى الوادي بين جبلين ماءٌ يسمى الزعفران ، وماؤه طيب إلا أنه قليل ، فإذا كثُر الزحام على الآبار طلع إليه أهل النجدة والحرّاء من الناس ، وربما هجمت عليهم العرب هنالك فيقع بينهم قتال ، إلا أن الموضع قريب من البندر فيغاثون . انتهى . وهذا الماء هو الذي سماه العبدري وغيره الشَّعْبَيْنِ (انظره) على ما ذكر ابن عبد السلام في رحلته الكبرى .

الزَّغْيِيَّة — بالضم وفتح الغين المعجمة وإسكان المثناة التحتيّة وكسر الموحدة ثم مثناة تحتية مفتوحة مشددة فهاء — ماءٌ شرقي سمراء ، في طريق الحاج كذا قال ياقوت ^(٣) ، ولعل الصواب بغربي سمراء ، فهناك منهل أصبح الآن قرية من قرى قبيلة حرّب في الجنوب من حایل على بعد ١٩٠ كيلا بهذا الاسم .

وكتب إلى الأستاذ محمد العبّودي : أن الزغيبية ماء عدّ لقوم من ولد سليم من حرّب غرب شمال قرية البايث (الحاجر) بنحو ٢٠ كيلا .

الزَّقْلَة — بالفتح وإسكان القاف وفتح اللام وآخره هاء — : أرض

(١) وبعضهم ينقله : (ازعبل) .

(٢) « الرحلة العياشي » ١ - ١٧٤ .

(٣) « معجم البلدان » .

بين وادي أعيجو غرباً ، وهذلول المسعري شرقاً ، في شمال الهذليل .
غرب منهل الشعبة .

زُلْفَةُ : — بضم أوله وسكون ثانيه وفاء — ماء شرقي سميراء . قال
عبيد بن أيوب اللص :

لعمرك إني يوم أقواز زُلْفَةَ على ما أرى خلف القنا لوقور
أُرى صاروا في كف أشط نائر طوى سره في الصدر ، فهو ضمير

وقال عبد الرحمن بن حزن :

سقى جدنا بين الغميم وزُلْفَةَ أحم الذرى ، وأهي العزالي مطيرها
إذا سكنت عنها الجنوب تمجأوت

جلاد مرائب السحاب وخورها
وإنني لأصحاب القبور لغابط بسوداء إذ كانت صدى لأزورها
كان فؤادي يوم جاء نعيمها ملاءة قر بين أيد تطيرها

وعَدَّ ياقوت (١) زُلْفَةَ من مياه بني أسد وذكرها مع زوراء (انظر هذا
الاسم) وكون الشاعر قرنهما بالغميم يدل على قربها منه ، والغميم هذا هو
الوارد في ذكر الاقطاعات النبوية ، وهو غير القريب من عسقان ، هو
بقرب وادي الرمة حيث منازل بطون من بني تميم .

زَلُوم — بفتح الزاي وتشديد اللام المضمومة بعدها واو ثم ميم —
يطلق هذا الاسم على موضعين : أحدهما : جبل مرتفع في الشمال الشرقي
من سكاكة على مسافة ٣٠ كيلا ، يمر به الطريق منها إلى عرعر . الثاني :
قصر أثري يقع غرب تيماء في واد يعرف باسم وادي زلوم ، بطرف بلدة
تيماء القديمة (٢) .

(١) « معجم البلدان » .

(٢) انظر عنه وعن آثاره « في شمال غرب الجزيرة ص ٣٩٥ - ٣٩٦ .

زَنَانِيرُ :- كأنه جمع زنار - قال البكري في « معجم ما استعجم »
وفي شعر ابن مقبل : هي رملة بين بلاد غطفان وأرض طيء ، قال ابن
مقبل :

تَهْدِي زَنَانِيرُ أَرْوَاحَ الْمَصْئِفِ لَهَا وَمِنْ ثَنَائِهَا فُرُوجُ الْكُورِ تَهْدِينَا
كَذَا قَالَ الْبَكْرِيُّ وَأَرَى الشَّاعِرَ أَرَادَ مَوْضِعًا قَرِيبًا مِنَ الْكُورِ الْمَعْرُوفِ
بِإِلَادِ قَوْمِهِ فِي جَنُوبِ نَجْدٍ شَرْقِ رُثْيَةٍ ، وَزَنَانِيرُ هُنَاكَ ^(١) . وَذَكَرْتُ هَذَا
لِلتَّنْبِيهِ عَلَى وَهْمِ الْبَكْرِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

الزَّوْرَاءُ :- مؤنث الأزور - في « معجم ما استعجم » ^(٢) : قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ :
عَدْنَةُ ذُو أَرْلٍ - جَبَلٌ - وَفِيهَا أَقْرٌ ، وَعُرَيْثُنَاتُ ، وَالزَّوْرَاءُ ، وَكَنْيَبُ
وَعِرَاعِرُ ، وَجُشُّ أَعْيَارُ ، وَالْعَرِيمَةُ وَالْعُرَيْمُ ، كُلُّهَا لَفْزَارَةٌ إِلَّا الزَّوْرَاءُ
فَلَهَا بَنِي أَسَدٍ ، وَهِيَ كُلُّهَا مِيَاهُ مَرَّةٍ ، فَهِيَ الَّتِي يَقَالُ الْأَمْلَاحُ وَالْأَمْرَارُ
وَقَالَ فِي « مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ » ^(٣) : زُفَّةٌ وَزَوْرَاءُ مَاءِ بَنِي أَسَدٍ ، وَقَالَ
الْحُسَيْنُ بْنُ مَطِيرٍ :

أَلَا حَبْنًا ذَاتَ السَّلَامِ وَحَبْنًا أَجَارِعُ وَعَسَاءَ النَّقْيِ قَدُوزُهَا
وَمِنْ مَرْقَبِ الزَّوْرَاءِ أَرْضُ حَبِيَّةٍ إِلَيْنَا عَحَانِي مُتْنَهَا ، وَظُهُورُهَا
وَسَقِيًّا لِأَعْلَى الْوَادِيَيْنِ وَلِلرَّحَا إِذَا مَا بَدَتْ يَوْمًا لَعَيْنُكَ نُورُهَا
تَحْمَلُ مِنْهَا الْحَيُّ لَمَّا تَلَهَّبَتْ لَهُمْ وَغَرَّةُ الشَّعْرِى ، وَهَبَتْ حَرُورُهَا

وَقَالَ فِي « مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ » أَيْضًا : ضَبَاءٌ - بِالْفَتْحِ ثُمَّ التَّشْدِيدِ وَالْمَدِّ -
مَوْضِعٌ فِي شَعْرِ الْحُسَيْنِ بْنِ مَطِيرٍ الْأَسَدِيِّ :

وَأَصْبَحْتُ مِنْهُمْ ضَبَاءٌ خَالِيَةً كَمَا خَلَتْ مِنْهُمْ الزَّوْرَاءُ فَالْعُوجُ
وَيَفْهَمُ مِمَّا تَقْدُمُ أَنَّ الزَّوْرَاءَ فِي أَعْلَى بِلَادِ بَنِي أَسَدٍ ، بِجَوَارِ بِلَادِ بَنِي مَرَّةٍ ،
عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْ فُرُوعِ وَادِيِ الشَّعْبَةِ حَيْثُ عَدْنَةُ .

(١) انظر « العرب » ص ٧ ص ٤٢١ - ٧٠٦ .

(٢) ص ٩٢٤ .

(٣) رسم (الزوراء) .

الزَّوْرُ : في « معجم البلدان » : قال نصرٌ : الزور بفتح الزاي - : موضع بين أرض بكر بن وائل وأرض تميم على ثلاثة أيام من طَلح ، والزَّوْر أيضاً : جبل يذكر مع مَنْوَر - جبل في ديار بني سليم بالحجاز - قال ابن ميادة :

وبالزَّوْر زور الرِّقَتَيْنِ لنا شجاً إذا نَدَيْتَ قَيْعَانَهُ وَمَذَاهِبُهُ
بلادٌ مَتَى تُشْرِفَ طَوِيلُ جِبَالِهَا عَلَى طَرَفٍ يَجْلِبُ لَكَ الشَّقُّ جَالِبُهُ
تذكرُ عَيْشاً قد مضى لَيْسَ رَاجِعاً لنا أبداً أَوْ يَرْجِعُ الدَّرَّ حَالِبُهُ

ويفهم مما تقدم :

١ - أن الزور بقرب طلع ، أي في شرق الجزيرة .

٢ - أنه جبل في بلاد بني سليم في غرب الجزيرة .

٣ - أما الوارد في شعر ابن ميادة فهو غير المذكورين ، وينبغي أن يكون في بلاد قومه بني مرة من غطفان وأنه بقرب الرقتين .

وقد تقدم أن في بلادهم موضعاً يدعى الرقتين ، ففي شعر أورده الهجري :
جُمَيْسِيَّةٌ بِالرَّقَتَيْنِ مَحَلَّهَا .

وابن ميادة كانت محبوبته من بني جُمَيْسٍ هؤلاء ، ولا شك أنه أراد بالزور زور الرقتين موضعاً واقعاً في بلاد أولئك . وتقدمت الإشارة إلى أن بلادهم تقع بأطراف الحرة الغربية الشمالية .

زَوْرُ : اسم جبل من جبال أجا ، في وادي مشار ، شمال غرب حابل بحوالي عشرة أكبال .

الزُّولَانِيَّةُ : قال الهجري : السَّلمُ آكَامٌ مُتَشَابِهَةٌ سَهْلَةٌ ، مشرفة على

(١) ٢٨٤ .

(٢) ص ٢٤٤ .

(٣) رسم قويسل .

الأجفرُ ، لبني ناشرة من بني أسد ، وأقرب المياه منها الزولانية ، وبين
الثلث وثبند ١٥ ميلاً (وانظر التلم) .

الزويل : — على لفظ تصغير زول — في « معجم البلدان » : ذو الزويل
موضع من ديار عامر بن صعصعة قرب الحاجر ، وهو من منازل الحاج
من الكوفة . وفي شعر الحارث بن عمرو الفزاري :

حتى استغاثوا ببني الزويل ولأد معرجاء من كل عصبة جزر
كذا قال ، وجهة الحاجر بعيدة عن منازل بني عامر ، وإنما هي من
منازل غطفان وأسد . ولعله ورد ذكره في خبر إحدى الوقعات على بني
عامر في يوم الرقم أو غيره من أيامهم مع غطفان ، فانهزموا حتى بلغوه ،
ويظهر أنه غرب الحاجر .

زُهمانُ : — بالضم — قال نصر : زُهمان واد لبني أسد كثير الحمض ..
وزهمان أيضاً : ماء لأشجع أسفل من الحاجر على طريق الكوفة إلى مكة ،
فوقه حرة النار على نحو من ليلتين ، بينهما تصب أعالي الرمة . كذا ويظهر
أن صواب كلمة (أسفل) (أعلى) وكأن كلام نصر مأخوذ مما جاء في
كتاب « بلاد العرب » ونصه : زُهمانُ فوق الحاجر ، وهو ماء لأشجع ،
وفوق ذلك حرة النار ، من زهمان على نحو من ليلتين .

وفي معجم ما استعجم « لمزرد :

وتسكن من زُهمان أرضاً عذبة إلى قرن ظبي حامداً مستزبداها
زهمان واد يدفع في الرمة لبني فزارة قاله يعقوب (وانظر موبسل) .

وفيه أيضاً : — زهمان — بضم أوله وإسكان ثانيه على بناء فعلان ، وهو
متصل بالرقم .. قال كعب بن زهير :

أتعرف رسماً بين زُهمان فالرقم إلى ذي مراهيط كما خط بالقلم

وقال ياقوت ^(١) : زهمان بفتح الزاي وضمها .

(١) « معجم البلدان » .

وهلى ما تقدم فزهمان من روافد وادي الرمة الغربية القريبة من الحرة
في جهات العَلَم .

زهوة : بُر (ارتوازية) تقع جنوب الدُّوَيْد ، بمسافة تقرب من
٨٠ كيلا ، سكانها الرُّمالُ من عنزة ، مستقرون فيها .

الزَّهْرِيَّات : آبارٌ في الشَّقِيْق ، بقرب الرُّغَيْثِيَّات ، متجاورات من
بلاد الحوف ، في جنوبه .

زَيْتَنَة - بالزاي المفتوحة بعدها ياء مثناة تحتية ساكنة فناء مثناة فوقية
مفتوحة فهاء - واد يقع في الشمال الغربي من نبوك في الطريق إلى حَقْل .

زَيْمَر : موضع في جبال طيٍّ بذكر مع بُلْطَة ويُضاف إليها قال
امروء القيس :

وكنْتُ إذا ما خَفْتُ يوماً 'ظلاماً' فَإِنَّ لها شعباً يَبْلُطَة زَيْمَراً^(١)
ويفهم من هذا البيت قربه من بلطة التي لا تزال معروفة (أنظر
بلطة) .

ويظهر أن اسم زيمر ليس خاصاً بهذا الموضع ، ففي وادي تلبث في
جنوب الجزيرة الآن قرية تُدعى زَيْمَر ، سكانها من قحطان (مذحج) .

سابِلُ : - بالسين المهملة بعدها ألف فباء موحدة فلام - : جبل في
الطرف الشرقي الشمالي من رمَّان ، جنوب حايل على مسافة تقارب ٩٠ كيلا
(وانظر سَبَلات) .

ويدعى جبال سابل فهو سلسلة جبلية ، وبعضهم ينطقه سَبَل ، ولعل
الألف نشأت من إشباع حركة السين .

ساحُوتُ : - على وزن فاعول - : اسم بُر تقع في الشمال الغربي من
الثُلَيْثَوَات ، في أسفل شعيب السَّاقِيَة ، بطرف رملة الذَّئْب ، غرب سلسلة
جبال المسنَّى (مُحَجَّرٌ قديماً) .

(١) « معجم البلدان » .

السَّادَة : - فاعلة السَّدِّ - : أرضٌ منخفضة رملية تقع بين الرَّمِيثَات الواقعة في اللَّبَّة (لبة الدهناء الشمالية) وبين أودية الحزول الجنوبية ، ويخترقها فرع وادي الخُرِّ ، وشُعَيْب الرُّمَيْثِي .

ساقُ : اسم ساقٍ يطلق على عدد من الجبال ، إذ هو الجبل الدقيق الطويل . ومن أشهر تلك الجبال :

١ - ساق الجواء في شمال القصيم لا يزال معروفاً ، وقد ورد كثيراً في الشعر القديم (١) .

٢ - ساقُ جبل يقع غرب الحُمَيْمَة ، وشرق قرية الطَّوِيَّة .

٣ - ساقُ جبلٍ يقع شمال ضَرْغَد ، وغرب أجأ بعيداً عنه (يقرب خط الطول ٢٨° - ٤٠° وخط العرض ١٠° - ٢٨°) ويقربه رس - بُرَّ قليلة الماء - يعرف برسُ ساق . وهذا غرب التَّوَيْطَة ، وجنوب أريك (وَرَيْك) .

٤ - ساق العناب ذكره البكري فقال (٢) : قال الطوسي : عناب جبل على طريق المدينة ، وساق جبل حذاء عناب ، يقال له ساق العناب ، ويقال لهما جميعاً الساقان وربما قيل : العنابان . وأنشد الطوسيُّ لكعب بن زهير .

جَعَلْنِ الْقَنَانَ بِإِبْطِ الشَّامِ وساقَ العُنَابِ جَعَلْنِ يَمِينَا
ورجعَ الأستاذ العبودي أن ساق العناب يعرف الآن باسم الأصبغة ، غرب الجواء في إقليم القصيم ، بقربها هجرة تدعى بُقَيْعَاء لِصَبْع (العرب س ١٠ ص ٦٩٧) .

٥ - ساق الفَروين : قال فيه الراجز :
أَقْصَرُ مِنْ خَوْلَةِ سَاقِ الْفَرَوَيْنِ فَفَقَطْنُ فَاَلرَّكْنَ مِنْ أَبَانَيْنِ

(١) وانظر عنه « العرب » س ١١ ص ٦٥٠ .

(١) « معجم ما استعجم » - ساق - وانظر مجلة « العرب » جزء ربيع سنة ١٣٩٧ (السنة العاشرة) .

ويرى الأستاذ محمد العبودي أن ساق الفروين هو ما يعرف الآن باسم
سويقة ، وهو جليل صغير شمال ساق الجواء بينهما نحو ٤ أكيال (العرب :
س ١١ ص ٦٥٩) .

ساقية فيند : قرية تقع في الجنوب الشرقي من حابل على مسافة ٩٢ كيلا ،
من قرى شمر ، تقع في أسفل واد يدعى الساقية ، تنحدر فروعه من شرقي
سلمى ، ويتجه صوب الشرق ، يدعى أعلاه الصفا ثم يتجه صوب الشمال
الشرقي حتى يفيض في قاع يدعى قاع الأجفر ، بعد أن يجتاز قرية الأجفر .

ومن روافده شعب يدعى الساحل (أبو طلحات) ينحدر من سالمي
السالمي : — كأنه منسوب إلى سالم — : ماء يقع في الشمال الغربي من
مدينة حابل ، على بعد نحو ٢٣٠ كيلا وهو من مياه قبيلة شمر ، وقد ذكره
ابن دجيل ، وعده في بلاد سنجارة .

سامودة : من المراكز التي حدثت بعد مد خط الأنابيب ، في شرقي
الدهناء ، وهي منهل من مناهل البادية ويتبعه من موارد البادية الأرطاوية
والسلال والعود وسراب وطلحاء ، وعريفج ووسيط ، (من مياه البشوك)
وما حولها .

وتقع سامودة في منخفض من الأرض ، فيه شعاب كثيرة ، يلب
به من الغرب عرق من الدهناء (جبل) يفصل بينه وبين التيسية ، وتقع شمال
منهل الثماني .

وسامودة من مياه البشوك (تقع بقرب خط الطول ٥٥-٤٤° وخط
العرض ٢٧-٥٢°) .

السايبية — كأنها منسوبة إلى السايب — منهل يقع شرق جبة ، في
التفود ، في جانبه الجنوبي الشرقي . وأوردها ابن دجيل في كتابه باسم
(السائبة) وذكر أنها من بلاد عبدة من شمر .

وتبعد عن مدينة حاييل بنحو ١٥٠ كيلا ، وهي من مياه قبيلة شمر .

سبأ : بفتح السين المهملة والباء الموحدة مشددة بعدها ألف مقصورة :-
قال الهجري^(١) : (سبأً وصفاراء بثران برمل يحتر ، عن يوم من تيماء ،
شرقاً إلى الشمال ، سبا مقصورة ، وصنفاراء ممدودة ، وكل مؤنث ، وتجمعان
فيقال : سبأً وصفاراء) .

وفي « معجم البلدان » : (سبا : ماء لبني سليم . وقال القتال السكلابي
وأذم كثيران الصريم تكلفت لظنية حتى زُرنا وهي طلع
سقى الله حياً من فزارة دارهم بسبأ كراماً حوث مسوا وأصنبهوا
ورواه أبو عبيد : بسبي - بكسر الباء . وحث : لغة في (حيث) .

وقال نصر : سبأ ماء في أرض فزارة ، وفي شعر مروان بن مالك
بن مروان المعنى الطائي ما يدل على أن سبأ جبل . قال :

كلّا تعلبينا طامعٌ بغنيمّة وقدّر الرحمن ما هوَ قادرُ
بجمع تظلُّ الأكم ساجدةً لهُ وأعلامُ سبأً والهضابُ النّوادرُ

وأقول : (١) القول بأنها من بلاد سليم غريب إذ شعر القتال ينص على
أنها من بلاد فزارة ، وكذا قول الهجري ونصر . (٢) : ويظهر أن شعر
مروان بن مالك محرف وأن صوابه (وأعلام سلمى) وما أسهل تصحيف
سلمى بسبي ، وقال البكري : (سبأ - مقصور - : رملة معروفة بديار
غطفان ، قال ابن أحر :

فاقتَرَتِ الجُدّة البيضاء واجتَنَبَتْ
من رمل سبأ العَدَاب الوَعَث والكُثْبَا

فهذا صريح بأن سبأ رمل .

وأقول : سبأ بئر تقع بين جبال شمر ، تدعى المختبيات ، لا ماء

(١) أبو علي الهجري - ٢٢٣ .

(٢) « معجم ما استعجم » .

فيها ، تقع جنوب شرق قرية العُشُر ، بما يقارب خمسة أكيال ، وقد يطلق
الاسم على تلك الجبيلات ، ولكن سبأ هذه لا تنطبق عليها الأقوال المتقدمة
فليست برمل بَحْتَر (النفود الكبير) الواقع بين منطقة حایل وبلاد الحوف ،
وهي بعيدة عن بلاد بني سليم ، وخارجة عن بلاد فزارة ، في بلاد طيء
ويظهر أنها الواردة في شعر مروان بن مالك المعنى الطائي ، إذا صحت كلمة
(سَبَأ) .

أما التي في رمل بَحْتَر (النفود الكبير) فيظهر أنها من أبرز أعلامه ،
كما يفهم من شعر ابن أحر .
سَبْحَنَة : من آبار التَّيْسِيَّة ، في الشمال الغربي من قُبَّة ، 'مجاورة
للزَّيْبَرَة غربها .

السَّبْحَنَة : جاء في كتاب « المناسل »^(١) : (أرض بين النطاة والشق
وهما واديان في خيبر) والسبخة هذه لا تزال معروفة ، ممتدة شمال بلدة
خيبر وحولها .

سَبْطَرُ - بفتح السين وإسكان الموحدة وفتح الطاء المهملة وآخره
راء : - اسم لوادي قرية الشَّملِي ، والشملِي نسبة لآل شَمْلان من عترة -
على ما سمعت عند زيارتي تلك القرية ، غير أن أحد سكانها أنكر هذا
بشدة ، وهو من فخذ لا ينتمي إلى الشملان .

ووادي سَبْطَر يسيل من شمال الحرة الشرقي حرة ضرغد (حرة لبلى)
ويتجه صوب الشمال الغربي ، حتى يفيض إلى روضة التَّنْهَات .

سَبْعُ رَجُل - على اسم العدد بالإضافة إلى رَجُل بكسر الراء
وفتح الجيم - : واد صغير يقع جنوب لَوْقَة ، ينحدر من شمال السادة
حتى يمر بمنهل الرَّوْض ، في شرق الحَزْوَل شرقاً عن الهَبَّكَات . وتقدم
ذكر الرَّجُل في (أسنمة) ويظهر أنه هو هذا الوادي .

حمد الجاسر

(وللبحث صلة)

فهارس السنة الثانية عشرة

- ١ - الكتاب والمعلقون والمؤلفون ٢ - الموضوعات العامة
٣ - الأعلام ٤ - الأسر والقبائل والجماعات
٥ - الكتب والصحف والمجلات ٦ - المواضيع
٧ - الشعير

أولاً: الكتاب والمعلقون والمؤلفون

٥٩٥	د. ظهور أحمد أظهر	٤٨٤	د. إبراهيم السامرائي
٥٠٣	عبدالعزیز الرفاعي	١٢٣	إسماعيل الأكوع
٢٠٩	د. عبدالكريم كريم	٣٥٣	جعفر بن حسن البرزنجي
٥٠٩/٣٥٢/٢٢	عبدالله بن خيس	٦١٦	د. حسن أحمد محمود
٧٩٠	د. عبدالمحسن الحسيني	٤٦	الحسن بن عمر بن حبيب
٨٠٦	كور نوال	٣٠٤/١٨٥/١٥٤/٣	حمد الجاسر
٦٤	د: محمد داود التميمي	٩٦٠/٨٧٧/٨٠٣/٦٥٢/٤١٥/٤٠٥/٣٤٥/	خليل ساحلي أوغلي
٧٤٦/٤٩٦/٢٨٢/٣٥	محمد العبودي	١٤٨	داود التميمي
٥١٢	محمد علي الاكوع	٦٤	الريادي المنالي الفاسي (رحلته)
٥٦٨	محمود شبيب	٥٢٦	سعد بن جندل
		٥٢٥/٤٤/١٠	

ثانيًا: الموضوعات العامة

٥٩٦ التهديد البرتغالي لسواحل الجزيرة	٨٠٤ الآثار في المنطقة الشرقية
٤٥ الجزيرة العربية في الوثائق العثمانية	٥٦٩ ابن السيد البطلوسى
١١٦ الخرجى مؤرخ اليمن ومؤلفاته	٢٨٢ أبو العيضاء
٤٩٧ الخيل في حياة زيد الخيل	٧٤٧ الأقسام الجغرافية لجزيرة العرب
 دليل المجتاز بأرض الحجاز	١٨٦ بلاد الحجاز في المخطوطات المغربية
٤٦ (أرجوزة في منازل الحج)	٨٥٣ تاريخ الإسلام وعمل مركز إحياء التراث

قصيدة البحر النعامي: في الشهور الحميرية	٥١٠
كعب المنازل من روافد الدراسات	٣٢١
مخطوطات عن الجزيرة	١٢٣
مع القراء في أسئلته وتعليقاتهم	٧٩٧/٤٧٣/٣٤
مكتبة العرب	٦٣٩/٤٧٧/٣١٩/١٥٨
من جبال القصيم	٧٣٧/٤٨٥
من ظرفاء اليمامة: أبو العناء	٢٨٢
مواضع تاريخية في القصيم	٢٣
الهجرى	٤٧٣

رابطة للأدباء	٨٠١
رحلة إلى العلا	١٦١
السحب الوابلة	٦٤١
شعر في الرس	٤٧٣
الشهور الحميرية	٥١٠
عبدالكريم الخطابي	٥٦١
العرب في عامها الثاني عشر	١
في رحاب الحرمين	٨٣٧/٥٢٦/٤١٩/٢١٠/٦٥
في المعجمات البلدانية	٤٨١

ثالثاً: الأعلام

أحمد بن محمد بن ناصر	٦٦٥/٤٢٠
أحمد النخلي	٤٦٠
أحمد بن يحيى بن عطوة	٦٦٣
إدريس بن أحمد الصعدي	٤٦١
إسماعيل بن ربيع العريزي	٦٦٦
البحر النعامي من آل ذي نعام	٥١٣
بدر بن محمد بن بدر الوهبي	٦٦٦
بدوي بن عيد	٣٨٢
بلقاسم بن أحمد المغربي	٥٥٠
ابن جبير الرحالة	٦٤٠
جته جي عبدالله باشا	٣٦٧
جعفر بن إسماعيل المدني	٣٥٨
جعفر بن حسن بن عبدالكريم	
ابن محمد المدني	٣٥٧
جعفر بن محمد البيتي بأعلوي	٣٨٦
جمال الدين الهندي النقشبدي	٢٧٠/٩٨
حجسي	٦٦٦
الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب	٤٠٧
حسن البري	٢٦٩
حسن بن عبدالله النجدي	٦٦٦
حسن بن علي بن عبدالله بن بسام	٦٦٩
حسن بن علي بن يحيى بن عمر العجمي	٤٦١/ ٩٩
الحسين الحنفي المكي	٤٦١

إبراهيم بن أحمد بن يوسف النجدي	٦٥٣
إبراهيم البري	٤٦٩
إبراهيم بن حسن الكوراني	٤٧٠/٢٦٦
إبراهيم بن الشيخ خير الدين الخياري	٢٦٦
إبراهيم بن سليمان بن علي	٦٥٤
إبراهيم بن عبدالله بن يوسف	٦٥٤
إبراهيم بن محمد بن أحمد بن إسماعيل	٦٦٤
إبراهيم بن ناصر بن جديد	٦٦٥
أبو سعيد الوراق	٩٢٥
أبو نمي بن عبدالله بن راجع	٦٦٤
أحمد الأنصاري	٤٦٩/٢٦٧/٩٩
أحمد البري الحنفي	٢٦٩
أحمد بن حسن بن رشيد	٦٥٨
أحمد بن زهران	٦٦١
أحمد بن عبدالرحمن الشريف	٤٦٩
أحمد بن عثمان الحصيني	٦٦٥
أحمد بن عثمان بن جامع	٦٦٢
أحمد بن عمر بن أنس العذري	٣٢٣
أحمد الفلاني	٤٧٠
أحمد بن محمد بن حسن القصير	٦٦٢
أحمد بن محمد بن رخيخ	٦٦٥
أحمد بن محمد بن عبدالله بن بسام	٦٦٥
أحمد بن محمد المنقور	٦٦٣

عبدالله بن السيد إبراهيم بن محرم ٣٦٨
عبدالله بن عثمان بن جامع ٦٩٠
عبدالله بن عيسى المشهور بالمويس ٦٩٢
عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين ٦٨٧
عبدالله باعفيف اليمنى ٢٦٧
عبدالله بن فايز أبا الخيل ٦٩٣
عبدالله بن محمد بن ذهلان ٦٩٦
عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسي ٥٦٩
عبدالله بن محمد العباسي ٦٥
عبدالله بن محمد بن فيروز ٦٩٤
عبدالله مدهر الباعلوي ٥٥٠
عبدالله المنوفي ٣٩٢
عبدالله بن نسي المودى ٢٦٩
عبدالمحسن بن علي بن شارخ ٦٩٧
عبد الوهاب بن سليمان بن علي ٦٩٨
عبد الوهاب بن عبدالله بن عبد الوهاب ٧٠٠
عبد الوهاب بن عبدالله بن فيروز ٧٠٣
عثمان بن أحمد بن فايد ٧٦
عثمان بن جامع ٧٠٧
علي بن أحمد البطليوسي ٩٢٨
علي البرزنجي ٣٩٠
علي الضرير المالكي الأحاسي ٢٦٨
علي بن محمد البطليوسي ٩٢٨
علي بن محمد بن عبدالرحمن الربيع ٢٦٥
عيسى بن محمد الثعالبي ٩٧
عيسى بن محمد الزبيري ٧٠٨
غنام بن محمد النجدي ٧١١
فاطمة بنت حمد الفضيلي ٧٢٣
فراج بن سابق الزبيري ٧١٣
الفرزدق ١٦٠
فوزان بن نصر الله ٧١٣
محمد بن إبراهيم بن عريكان ٧١٤
محمد أكرم الهندي ٤٦١
محمد تاج الدين مفتي الحنفية ٤٦٠

حسين بن محمد الفساني ٩٢٤
حفيد الملا حماد ٣٩١
حميدان بن تركي ٦٦٧
الخرزجي المؤرخ (علي بن الحسن) ١١٦
حميس بن سليمان الوهبي ٦٦٩
زيد بن محسن أمير مكة ٢١٦/١٠٣
زين العابدين الطبري الحسيني ٩٨
سلطان بن غن ٣٨٥
سليمان بن الشيخ عبدالعزيز الحبيشي ٩٨
سليمان بن علي بن مشرف ٦٦٩
ابن السيد البطليوسي ٨٩٠/٥٦٩
سيف أحمد العتيقي ٦٧٢/٦٧١
سيف بن محمد بن عزار ٦٧١
صالح بن أحمد المعطري ٤٦٩
صالح بن سيف بن أحمد العتيقي ٦٧٣
صالح بن محمد بن عبدالله الصايغ ٦٧٣
طاهر بن الشيخ إبراهيم الكردى ٤٦٩
عاصم بن أيوب ٩٢٦
عبد الجبار على البصري ٦٧٤
عبد الدائم القيرواني ٩٢٧
عبد الرزاق بن محمد بن سلوم ٦٧٩
عبد الرحمن السندي ٤٦١
عبد الرحمن الشنقيطي السوسي ٥٥٠
عبد الرحمن بن عبدالله أبانطين ٦٧٩
عبد الرحيم الأنصاري ٤٦٩
عبد الرحيم البرعسي ٥٥٣
عبد العزيز عبدالرحمن بن عدوان ٦٨١
عبد القادر بن أبي بكر الحنفي ٤٦١
عبد الكريم الخطابي ٥٦١
عبد الكريم الخليفتي ٤٦٩
عبد اللطيف بن محمد بن سلوم ٦٨٢
عبدالله بن أحمد محمد بن غضيب ٦٨٣
عبدالله بن داود الزبيري ٦٨٧
عبدالله بن سالم البصري ٤٦٠

٧٢١ محمد بن عبدالله بن فيروز
 ٩٢٩ محمد بن عبدالواحد بن عبدالعزيز
 ٧٢٧ محمد بن علي بن سلوم
 ٢٦٨ محمد بن علي بن عبدالقادر المالكي
 ٢٦٧ محمد الفزاري
 ٤٦٩ محمد الهيمسي
 ٣٩٤ محمود جوريجي حيدر
 ٢٦٩ الشيخ مرزا الشامي الدمشقي
 ٤٦١ مصطفى بن فتح الله المكي
 ٢٦٧ ائلا نافع
 ٧٣١ ناصر بن سليمان بن سحيم
 ٤٧٣ الهجري
 ٢٨٢ هزاع بن مبارك بن مزيان
 ٢٦٦ ياسين بن محمد بن غرس الدين الخليلي
 ٢٦٨ يحيى بن الباشا الأحساني

٧١٦ محمد بن حمد الهريبي
 ٥٥٧ محمد حياة السندي
 ٢٨٨ محمد أفندي الخليلي
 ٧١٨ محمد بن ربيعة العوسجي
 ٢٦٩ محمد بن رسول الشهرزوري البرزنجي
 ٣٩١ محمد سعيد أفندي
 ٤٦١/٢٦٧ محمد بن سليمان الروادني
 ٢٦٩ محمد السوداني
 ٧١٨ محمد بن يوسف العتيقي
 ٢٧٠ محمد شريف بن القاضي يوسف
 ٧١٩ محمد بن طراد الدوسري
 ٥٥٠ محمد بن الطيب الصميلي
 ٤٦١ محمد بن عبدالباقي الإسكندري
 ٧١٩ محمد بن عبدالرحمن بن عقاليق
 ٦٤١ محمد بن عبدالله بن حميد النجدي

رابعاً: الأسر والقبائل والجماعات

١٦٦ الزحسوف
 ٣٨١ صبيح
 ٤١٥/٣٧٣/٢٦٤ بنو صخر: الصخريون
 ٦٢٩ العرافاء
 ١٦٦ آل علي
 ٢١٧ عنزة
 ١٧٠ الفقراء
 ١٦٦ القروق
 ١٦٦ القضاة
 ٦٢٤ بنو لام
 ١٦٦ المحفوظ
 ١٦٦ آل محمد
 ١٦٧ مخلصد
 ٣٨٥ مطسير
 ١٦٦ النافع

٢٥٧ الأغوات
 ٢٦١ أمراء المدينة
 ١٦٦ البدنة
 ١٦٦ آل بدير
 ٤٥٩/١٦٧ بلي
 ٣٥٧ بيت البرزنجي
 ١٦٦ التامنة
 ٤٥٨ جهينة
 ٣٩٧ الحجر وفروعها
 ٤٥٨/٣٨٨/٣٨٦/٣٨٢/٣٧٤ حرب
 ٣٨٥ بنو حسن
 ١٦٦ آل حمد
 ٤٥٩ الحريطات
 ٦٣١ بنو خالد
 ١٦٧ غزام
 ٨١٦ الدلمونيون

خامساً: الكتب والمصنف والمجلات

تفريد حمام الأيكة فيما وقع لأمر	٣١٩	آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب
الحج مصطفى بك	٩١٨	أبيات المعاني
التقبة	١٢٩	أخبار مكة
تلخيص في فتح الطائف	١٣٠	اختصار الخلاصة في تاريخ المدينة
التبیه على الأسباب الموجبة لاختلاف الأمة	٤٨٠	أدب القضاء
تبیه ذوي الهمم العالية على الزهد	٤٧٧	الارتسامات اللطاف
في الدنيا الفانية	٩١٤	الاسم والمسمى
الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرم	٩٢٢	إصلاح الخلل الواقع في كتاب الجمل
حجاز سياحتنا مه سي	٦٦	إظهار المنة على المشرين بالجنة
حجازك أحوال عمومية	١٢٩	إعلام الأعلام ببيت الله الحرام
الحدائق في المطالب الفلسفية العويصة	١٤١	الإعلام ببناء المسجد الحرام
حقيقة الحجاز إلى الحجاز	٨٩٦	الافتضاب في شرح أدب الكتاب
الحكم بالعدل والإنصاف	٦٦	اقتضاء الأنس
الحلل في شرح أبيات الجمل	٦٣٩	الإكليل
خلاصة الأخبار	٩٠١	الانتصار
خلاصة الوفاء في أخبار دار المصطفى	٤٧٨	الأنوار ومحاسن الأشعار
الخلفيات (الفوائد المنقاة)	٣١٩	الهنرول والمستقبل العربي
الدرة النية في وصف كعبة الله البهية	٣٣٨	البرق السامي في تعداد منازل الحج الشامي
درر الفرائد المنظمة	٣٤٠	برهان الإعجاز في منازل الحجاز
دليل المحتار بأرض الحجاز (أرجوزة)	١٢٨	بشائر التجاز في خط الحجاز
ديوان طرفة	٣٤٠	بغية السالك إلى أشرف المسالك
ذكريات	١٤٠	بهجة المنازل في مناسك الحج
رحلات الحج	٨٥٣/٢٧٣	تاريخ الإسلام للذهبي
الرحلة الناصرية	٨٧٨	التاريخ العربي وجغرافيته
رحلة الكسري	٣١٨	تاريخ القاضى
رحلة ابن جبير	١٣٠	تاريخ مكة وفضائلها وفضل النبي
رحلة ابن رشيد	١٣٢	التبيين في أنساب الفرشين
رحلة العياشي	١٣٠	تحصيل المرام من تاريخ البلد الحرام
شرح الخمس المقالات الفلسفية	٦٦	تحفة الأخلاء بأسانيد الأجلاء
رحلة السالي الزبدي	٨٢٠	التذكرة الأدبية
السحب الوابلة	٤٧٨	التعاري والمراثي
السعادة النامية في مكة الحديد الحجازية		تعطير أرجاء الدولة المجيدية بطبيب
السلام والعدة في تاريخ بندر جدة	١٣١	أخبار خير البرية
سوق النفوس وأنس النفوس		

٩١٤	شرح الخمس المقالات الفلسفية
١٣	كتاب أخبار مكة
٣٤٢	كفاية المحتاج إلى معرفة منازل الحج
١٢٧	كمال الأدب في أخوة الترك والعرب
١٤١	لائحة وخريطة
١٦	ماء الموائد رحلة العياشي
١٢٧	مبلغ الأرب في فخر العرب
١٢٩	محاسن المرام في أخبار البلد الحرام
١٤٠	المسالك في المناسك
٦٦	مسالك الهداية
٩٠٥	المسائل والأجوبة
	المعجم الجغرافي للبلاد
٩٣٩/٦٣٢/١٤٨	العربة السعودية
١٣	مفتاح السعادة
٤٧٩	الملمع
٣٤٢	منارة المنازل ومناهل المناهل
٣٤٢/٣٣٥	منازل الحجاز
٣٤٢/٣٣٩	منازل الحج
٣٤٢	منازل الحرمين
٣٣١	المناسك
٢٧٢	منتهى السؤل من أمداح الرسول
٣٢٤	نظام المرجان في مسالك البلدان
٣٥٣	النفع الفرجي
٣٤٢	نهجة المنازل
٤٦	وصف طريق الحج الشامي

٦٣٩	شرح الدامغة
٩١٩	شرح ديوان المتنبى
٩٠٠	شرح سقط الزند
٩١٥	شرح الفصيح لتعلب
٩٠٨	شرح الكامل
٩١٥	شرح الموطأ
٢٧٤	شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة
٢٧٤	طبقات الصوفية للمنوي
٣٣٩	طريق مكة (كتاب)
١٤٠	الطواف بالبيت الحرام ولو بعد الهدم
١٤١	عريضة شكر رفعها أشرف مكة
١٢٠	المسجد المسبوك
٩٢٠	عقل الحديث
٢٧٤	غفاء مغرب ومعرفة الأولياء وشمس المغرب
١٤١	عين زبدة بمناسبة إجزاء مياه عين زبدة
١٢٧	غاية الطالب في فضل العرب
١٣١	الفتوحات المدنية
١٣١	فتوح الحرمين
١٣١	فروح مكة المكرمة
٩١٦	الفرق بين الأحرف الخمسة
١٣٤	فضائل القدس الشريف ومكة والمدينة
٢٧٤	الفوائد المنقاة الحسان
٩٢٠	فهرسة ابن السيد
١٥٨	الفصيل (مجلة)
٢٧٤	القوانين لابن أبي الربيع

سادساً: المواضع

١٦٤	الأثلة
١٥٦	أثلث (ثلاث)
٣٣	الأجفر
١٦٤	أحر
٨١٥	الأحشاء
١٧٤	أديم
١٦٣	أراك

١٩٢	آبار علي
٦٢٢	الإبائر والسناء
٨٤٨	الآباطيح
١٦٤	الأبرق
٨٤٩	الأبرقان
٤٣٥/٧٥	أبو العظام
١١٣	أبو فييس

٥٤٥/٤٥٧/٩٢	التعميم
٧٨٨	تهامة
٨٤٠/٥٣/٤٢٦	التيه
١٦٥/١٦٢	ثريه
٣٣٠	الثعلبية
٢٢٠	الثنية السفلى
٥٤٥	ثنية كداء
١٠٨	ثور
٨٥٢	جل العيمان
٨٥٠	جبل القروء
٥٤٢/٤٥٤	الجحفة
١٩٧/١٩٤	جدة
٥٥٣/٤٦٧/٢٢٤/١٦٥	الجديدة
٨٤٢	الجرفان
٨٥١	الجربعات
٣٢٨	جزيرة أم الملك
٨١٦	جزيرة دلمون
٣٢٨	جزيرة رعا
٣٢٨	جزيرة ابنه سحر
٣٢٨	جزيرة شبيبة
٨٨٠/٧٤٧/٤٥	جزيرة العرب
٣٢٧	جزيرة عشقة
٣٢٩	جزيرة محمد
٣٢٩	جزيرة مرقان
٣٢٨	جزيرة النعمان
١١٤	الجمرائة
١٧٨/١٦٤	ذو الجيفة
٧٨١	الجلس
٧٨٠	الجناب
١٦٥	جيدة
١٦٥/١٦٤	جيلة
٤٧٤	ذات الحاج
٣٣٠	الحاجر
٣٢٧	الحار
١٦٣	الحاطبة

٨٤٥/٥٣٥/٤٣٩/٧٨	الأزلم
١٦٦	الأسيرة
٨٤٥/٥٣٥/٤٤٠/١٦٤/٧٨	أصطبل عستر
١٧٤	أضاعي
١٦٢	الأفرع
٨٤٦/٥٣٧/٤٤٢/١٨٩/٨٠	أكره
١٦٢	أم جرفان
١٦٤	أم زرب
١٦٢	أم طليحة
٤٣٤	أم العظام
١٦٤	أم نصيب
١٦٢	أم هشيم
١٦٥	إنبا
٣٢٦	باحة
٨٢٦/٨١٥	البحرين
٨٤٩/٥٤٠/٤٤٩/٣٨١/٨٥	بدر
٤٥٦/٢٧٧/٩١	برقة
٨٣٧/٣٨٠	البركة
١٦٣	البرود
١٦٤	البروك
٨٥٠/٢٧٧/٢٢٢	البراء - البروة
٨٥٠	بستان القاضي
٢٣	البطاح
٣٩٧	بلاد الحجر
١٦٥	البلاطة
٢٨	بلعوم
٨٣٨	البويب
٣٠	البياضة
٤٢٨	بئر البارود
٤٢٨/٧٢	بئر الصعاليك
٢٢٣	بئر الملا نافع
٣١	اليضة
١٩١	نبوك
١٦٥	نقبة

٨٤٨	دار البقر
٦٩	الدار الحمراء
٨٨٤/٥٣٤/٤٣٨/٧٧	دار السلطان
٤٤٩	دار الوقدة
٤٢٢	درب الحجاز
٤٤٢	الدركان
٨١٦	دلمون (جزيرة)
١٦٢	دنسن
٥٥٧/٥٤٠/٤٠٧/٢٧٩	الدهنا
١٨٥	الديسدان
٨٥١	الديسة
٣٢٦	ذهبان
٨٥٠/٥٤٢/٤٥٤/٣٢٧/٢٧٧/٨٩	راسنخ
٣٢٧	رأس اللوق (في البحر)
١٧٤	رب
١٦٣	رغا
٣٣	الريضة
١٧٣	الرجبة
٤٧٣	الرس
٨٤	رضوى
١٦٤	الرغاي
١٦٤	الرقبة
١٧٤	الرقبة
١٦٣	الركاكة
١٦٣	رم
١٦٢	الرماحية
٥٠٤	رمال اليمامة
٧٩٩/٤٦٧/٢٢٥	الروحاء
٤٥٧/٩٢	الزاهر
٣٣	زبالسة
١٦٥	الزبابر
١٦٢	ساق
٦٢٢	البتاء
٥٣٩/٨٢	البع وعرات
٨٥٢	سبيل الجوخى

١٧٤	الحاكة
٣٠٤	حابل
٨٨٤/٧٧٨/٧١٦	الحجاز
١٦٥	الحجر
٣٨٥	الحجيرة
١٦	حراء
٨٨٨	الحرار
١٦٤	حربل
٣٢٦	حصار
٨٨٥	حقن
٥٣٢/٧٤	حفاير النخل
١٦٤	الحفيرة
٣٢٨	الحلق
٣٢٦	حلي بن يعقوب
١٦٤	حماطة
٣٢٧	حمان
٣٢٧	الحموم
١٦٣/١٦٢	حيط
٨٤٧	الحنسك
٨٤٧/٥٣٧/٤٤٤	الحوراء
١٧٨/١٦٢	حوضا
١٦٢	الخالص
١٦٥	الخشية
٣٨٥	خراب
٣٧٨	الخرما
١٧٣	الخرية
١٦٥	الخريمات
٨٤٨/٥٣٩	الخضرا
٤٤٦/٨٢	الخضيرة
٨٥١/٥٤٣/٤٥٥/١٩٢/٩٠	خليص
٣٨٥	الخنسق
١٦٥	الخوالي
٣٢٦	الخور
٣٢٧	خور شيران
٣٢٧	ذو الخيام

٣٠	الصلعاء
١٦٣	الصميعة
١٦٥	ضاع
١٦٢	الضبيعة
٣٨٤	الضريبة
١٦٣	الضريس
١٦٣	الضلفة
١٦٥	الضليعة
١٦٤	ضمير
٣٢٦	ضنكان
١٦٢	ضويين
٨٥١	طارف قديد
١٩٧/١٩٤	الطائف
٥٣٩	الطراطير
٨٤٨	طراطير الراعي
٧٣٧	طمية
٥٤٥/٤٥٧/٩٢	ذو طوى
١٦٤	ظلي
٨١٤/١٩٢	الظهران
٨٤٢/٥٣٢/٤٣٤/٧٤	ظهر الحمار
٨٥٠	عالج
٧٨٧	العالية
٣٢٦	عشر
٨٣٩/٥٢٩/٤٢٤	عجروود
١٦٣	عذافة
١٧٠/١٦٥/١٦٣	العذيب
٣٦	العرض (عرض شعام)
٨٨٧	ذات عرق
٤٦٧/٢٢٤	عرق الظبية
٥٣١/٧٢	عرقوب البغلة
١٦٣	عرقين
١١	العرمة
٧٨٧	العروض
٨٥١/٥٤٤/٤٥٦/٢٧٧/٩١	عصفان
١٦٢	عشار

٨٥٠/٥٤١/٢٢٢/٨٩	سيل محسن
٣٨٥	سد زيدة
١٦٢	سدر
٥٤٥/٤٥٧/٩٢	سرف
١٦٢	المريسط
٣٢٥	السرين
٤٢٩/٧٢	سطح العقبة
٥٤٠/٨٥	السقائف
١٧٥	سقا الجزل
٧٩٧	ذات السلاسل
١٦٦	السلامة
٣٨٤/٣٧١	سلحة
٣٢٧	السلحم
٨٤٤	سلمى
١٦٤	السليلة
٣٣٠	سمراء
٣٢	السمينة
٣٨٥	السوارقية
٨٠	السوداء
٣٢٧	الشبعان
٢٢٠	الشيكة
٨٤٣/٤٣٤/٧٥	شرف بني عطية (الشرفة)
٥٥٣/٢٢٥	شرف الروحاء
٣٢٩	شرم البير
٣٢٧	شرم القصر
٥٣٤/٧٧	شق المعجوز
٤٤٩	الشقاقق
١٦٦	الشفيق
٧٧٩/١٦٥/١٦٢	شلال
٣٢٧	شبران
١٦٢	الشيرة
٦١٧	صاحنة
١٦٣/١٦٢	صيدر
٥٣٠	الصعايلك
٣٨٥	صفينة

الفقير ١٧٦/١٦٥
 فيد ٢٣٠
 قاع الجزوة ٥٤١/٤٥٤
 القباب ٢٨١
 قبر عبدالرحيم البرعي ٥٥٣
 قبر عبيدة بن الحارث ٢٧٩
 قبر الكفافي ٥٣٥/٧٨
 قديد ٥٤٣/١٩١/٩٠
 قراقر ١٦٣
 فرح ١٨٣
 قرية بني حسن الأشرف ٣٨٥
 القريض ٨٤٠
 قصب ١٦٥
 القطار ١٦٣
 القطيف ٨٢٤
 القمرة ١٦٥
 قمره الدومة ١٦٤
 القليلة ١٦٢
 القنسان ٤٨٥
 القويبة ١٦٦
 القويبة ٣
 كدا ٨٥٢/٤٥٧/٩٣
 الكيسيتان ٢٩
 الكديد ٤٥٥
 الكفافة ٥٥٧
 النجاسة ١٦٤
 لضاف (الصفافة) ١٥٥
 العايات ١٧٣
 منان الحب ١٦٤
 المثلث ٩٠٧
 المثنى ١٦٤
 ذو المجاز ٣٢٧
 المحاش ١٦٢
 محسر ٥٥٠/٢١١
 المحصب ٥٥١/٢١٥

عش الغراب ١٨٨/٧٥
 العشرة ٨٤
 العطابا ٣٢٧
 العطائف ٣٢٦
 العقبة ٤٣٠/٤٢٩/٢١٣/١٨٨/٨٠
 ٨٤١/٨٤٠/٥٣١/٤٥٩/
 العقبة السوداء ٨٤٧
 عقبة السكر ٥٤٣/٩٠
 عقبة السويق ٨٥١
 العقيق ٥٣٨/٤٤٦
 عكمة ١٦٢
 الملا ١٨٤/١٦١
 الملا ٣٤٦
 العلية ٣٤٦
 عماية ٦١٧
 العمربة ١٠
 عمودان ١٦٥
 عتر (وانظر أصطبل) ١٦٤
 عورث ١٦٥/١٦٤
 العويند ٣٢٨
 العير ١٦٤
 عين ريبة ١٤١
 عينونة ٣٢٩
 عيون الأقباص (القصب) ٤٣٥
 عيون القصب ٨٤٣/٥٣٤/٤٣٥/١٨٨/٧٦
 غارب ١٦٢
 غار جبل ثور ١٠٨
 غيطين ١٦٣
 الغسر ١٦٣
 غراب ٣٨٥
 الفارعة ١٦٣
 الفرعة ١٦٥
 الفريش ٢٢٦
 الفريع ٣٨٥

٢١٥/٢١١	منى
٨٣٩	المنصرف
٨٠٤	المنطقة الشرقية
٤٨٥	النوشم
٨٤٤/٥٥٧/٥٣٤/٤٣٧/١٨٩/٧٦	المويلح ..
٤٥٤	مهيعة
٧٠	النابعة
٤٦٧/٢٢٤	النازية
٥٣٨/٤٤٦/٨١	النبط
٣٢٩	النك
٨٨١	نجد
٧٨٥	نجد العليا
١٦٥	النجيل
٨٤٠/٣٣٠	نخل
٥٣٠/٤٢٨/٧٠	النخيل
١٦٥	النشيفة
١٦٤	نعاضا
٥٥١	نعمان
١٦٣	النفس
١٦٣	نقيع
٨٥٢	الوادي
٨٤٦/٧٨	وادي الأراك
١٦٤	وادي الجزل
٤٢٥/٧٠	وادي الخروب
٤٢٥	وادي الرمل
٥٤٤/١٩١	وادي الشريف
٨١	وادي العقيق
١٦٤	وادي عمودان
٥٤٤/٤٥٦/٩١	وادي العميان
١٦٤	وادي العيص
١٦٤	وادي العين
٤٦٦	وادي فاطمة
٨٣٩	وادي القباب
١٧٦/١٧٤/١٦٢	وادي القرى
٨٤٨/٥٣٩/٤٤٦/٢١١/٨٢	وادي النار

٨٥١/٥٤٤	مدراج عثمان
٥٣٣/١٩١/١٨٩/٧٥	مديسن
١٦٢	مراخ
٣٢٨	مرسى بهور
٣٢٩	مرسى التحده
٣٢٩	مرسى الحر
٣٢٨	مرسى الرحيمات
٣٢٨	مرسى الرس
٣٢٨	مرسى زاعم
٣٢٩	مرسى ضبا
٣٢٩	مرسى النيك
٣٢٨	مرسى الوجه
٣٢٨	مرسى هواز
٥٤٤/٤٥٦/٩١	مر الظهران
١٨٠	المروة
١٦٣	مريخة
٥٥٢	المزدلفة
٥٢١	مزعل
١٦٢	مزيلقة
٨٥٢	مساجد ميمونة
٤٥٤	مسنورة
٨٩	مسنيرة
٢٢٥	مسجد الغزالة
٣٨٥	مسلح
٤٥٥	المثلل
٨٣٨/٥٢٩	المصانع
٣٢٨	مضيق زنفة الزريقا
٥٥٤	المعرس
٨٤٧	مغارة نبط
٨٤٣/٥٣٣/٤٣٦/٤٣٥/٢٨١/٧٥	مغاير شعيب
١٦٥/١٦٣	مغسيرا
٢٨١	المقسيرة
٢٢٦	مفرح
٨٤٦	مفرش النعام
١٦٣	مطح

الورد	١٦٥	وادي النبط	٥٣٨
الوعرات البع	٨٤٨/٥٣٩/٤٤٧	وادي نخلة	١٦٤
الوهيبة	١٦٦	وادي نعمان	١٩٢
مرثا	٥٤٣/٩٠	واسط	١٦٣
مواز	٣٢٨	الواسطة	٣٨٠
الينبوع ...	٨٤٨/٥٤٠/٤٤٧/٢٧٩/١٨٩/٨٢	الوجه ..	٨٤٦/٥٣٦/٤٤٠/٣٢٨/١٨٩/٧٨
		ودان	٨٥٠

سابعاً: الشعر

قصائد لشعراء المدينة في أمير الحج	دليل المجتاز بأرض الحجاز (أرجوزة) .. ٤٠٦ إلى ٤١٤
الشامي سنة ١١٧١	شعر البكري في منازل الحج
قصيدة البحر النعامي في الشهور الحميرية	شعر في الرس
٣٩٣ إلى ٣٨٦	٨٥٢ إلى ٨٣٨
٥١٠	٤٧٣

كتابخانه و مرکز اطلاع رسانی
بنیاد و ایره المعارف اسلامی

شماره ثبت ٩٨٣١٩

تاریخ ١٣٨٥/٣/٠٤